

الصحبة بالصالح ١٣١	اتفاق السلف	اظهار البغض بها للظلمة وغير	حق الاخوة ١٣٢	النصيحة فى الخلاء تنبيه وفى الملاء افضاح ١٣٣	دعاء الاخ ليستجاب ١٣٤
حفظ الوفاء بالثبات على المحبة	ترك التكلف والتكليف ١٣٥	فضيلة زيارة الاخ	كيفية السلام ١٣٦	المصافحة والقبلة والمعانقة ١٣٧	تعظيم العلماء ١٣٨
واكرام الداخل ببسط ثوبه	الانحناء والقيام للداخل	القيام الى الغير	مراعات قلب الصغار ١٣٩	تكفل اليتيم ١٣٩	تشميت العاطس اصلاح ذات البين
ستر العيوب	الاتقاء من مواضع التهم ١٤٠	الشفاعة فى غير الحدود	ارشاد الضال وانشاد الضالة	تفريج المكروب	ونصرة المظلوم ١٤٠
والسعى فى حاجة المظلوم	احوال العامة	كيفية معاشرة الناس	حقوق المسلم ١٤٢	استيذان للدخول ١٤٣	وعيادة المريض ويغتنم دعاءه
التعزية تشييع الجنازة ١٤٤	التصدق الى الميت والقراءة له ١٤٥	تعيين اليوم لزيارة القبور	بر الوالدين حق المعلم ١٤٥	صلة الرحم حق الجار ١٤٦	حسن المعاشرة مع المراة ١٤٦
وحقوق المراة الغائرة	حق الزوج على المراة ١٥٠	احوال الولد ١٥٢	حق المملوك ١٥٣	الدخول على الظلمة والسلاطين ١٥٦	احوال الامراء والسلاطين ١٥٦
مناظرة السلف مع الامراء ١٥٧	الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ١٥٨	حق الاحتساب ١٦١	اضطرار الذمى الى اضيق الطرق واحواله ١٦٤	الباب التاسع فى الصمت وافات اللسان ١٦٤	منها ما لا يعنى وفضول الكلام ١٦٥

والخوض فى الباطل ١٦٥ والطعن فى الكلام ١٦٦	الجدال ١٦٦ والخصومة التشدق والفحش ١٦٧	السب واللعن ١٦٨	نسبة الذنب الى المسلم ١٦٩	والدعاء على احد والمزاح ١٧٠	الاستهزاء اظهار السر ١٧١
الوعد على عزم الخلف ١٧١	الكذب و الغيبة ١٧١ ١٧٣	النميمة ١٧٦	تكلم ذى اللسانين ١٧٦	المدح عنه التكلم بالمنهى ١٧٧	وسؤال العامة عما يتعذر ادراكه ١٧٨
الشعر كلام والانشاد ما يؤثر ١٧٩	التغنى والغناء ١٧٤	اقشعرار والخشية عند تلاوة القران	الباب العاشر فى الافادة و العجلة ١٨٧	الحلم والعفو ١٨٩ ١٩٠ النصيحة	الحقد الثانى ١٩٢ العجلة وافاتها
الغضب فضائل الحلم الحسد	الباب الحادى عشر فى العزلة والخمول وحب الذم وبعض المدح ١٩٣		اجوبة السلف بكيف اصبحت وسؤالهم ١٩٤	الجليس السوء و الصالح ١٩٥	لزوم البيت فى زمان الفتن ١٩٧
افات العزلة لطيفة جامع التواضع ١٩٨	الخمول و الجاه ٢٠٠	وكراهية المدح وحب الذم ٢٠٣	الباب الثانى عشر فى التواضع وذكر المنة ٢٠٥	افات الكبر ٢٠٧	افات العجب ٢٠٩
الباب الثالث عشر فى الاخلاص والنية والصدق ٢١٣	اصل الاخلاص النية ٢١٣	وصدق النية وقوله وفعله ٢١٨	رخصة الكذب فى ثلثة مواضع	الرياء ٢١٩	ويحمد الفرحة بسبب ظهور العمل
اظهار العمل لترغيب غيره ٢٢٨	ذكر العمل	حديث اذا احب الله عبدا	الخلافة ثم القضاء ٢٣٠	الوعظ والفتوى ٢٣٠	الباب الرابع عشر فى التفويض ٢٣١
وقصر الامل ٢٣٢	ذكر الموت ٢٣٤	والانتباه التفويض ٢٣٥	الطمع الامل وذكر الموت	الانتباه الغرور ٢٣٦	الباب الخامس عشر فى نفى الخواطر والرياضة ٢٣٩

والخوض

٤٧



٤٦٥

الملك لله دخل في حفظ عبده
الحاجي بشير آغاى دار السعادة الشريفة
لسنة ثمان وخمسين
ومائة والف



هذه النسخة الجليلة والمجلة الجميلة من وقف حضرت مولانا صاحب الخيرات الحسان
صاحب ذيل الجود والاحسان منور مصابيح المقاصد بانوار العناية
مفتح معاقد المراصد بمفتاح الكفاية جامع محاسن العلم والعمل حائز مجامع البر
الاكمل الآ وهو اغا دار السعاده الحاج بشير وهبه الله الخير المزيد والبر الكثير
من هو على كل شيء قدير حرره الفقير الى الله سبحانه وتعالى
محمد امين المفتش باوقاف الحرمين المحترمين
عفى له





بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم العليم على ما هدينا الى الصراط القويم والصلوة والسلام على نبيه الكريم وعلى آله واصحابه واتباعه واحزابه المقيمين المديمين على الصراط المستقيم

اما بعد فيقول خادم كلام ربه القديم وحديث رسوله الفخيم علي بن سلطان محمد القاري عاملهما الله الباري بلطفه الخفي وكرمه الوفي ان هذا فتح شرح مجمل محمل غير مطل ولا مخل ممل لكتاب عين العلم وزين الحلم الذي من غاية الايجاز ونهاية الالغاز كاد ان يكون من انواع الاعجاز وهو في الحقيقة مختصر احياء العلوم لحجة الاسلام وبرهان الانام رجاء ان استفيض من بركات كلمات العلماء الاصفياء واستفيد من نفحات صفحات المشايخ الاولياء وان اذكر في جملتهم واحشر في زمرتهم وان قصرت في متابعتهم وخدمتهم اغترارا بمحبتهم واكتفاء بمودتهم واقول كما قال القائل من ذوي الفضائل لي سادة من عزهم اقدامهم فوق الجباه ان لم اكن منهم فلي في حبهم عز وجاه قال المص رحمه الله تعالى ونفعنا ببركات علومه وتقواه وهو من فضلاء الهند وصلحائهم على ما صرح به شيخ ابن حجر في شرح مقدمته وقيل انه منسوب الى بعض علماء بلخ ومشايخهم والله اعلم بتصحيح نسبته فخفية ترجمته

بسم الله الرحمن الرحيم قد بسطنا الكلام في غير هذا المقام على مفردات البسملة ومركباتها ومبانيها ومعانيها وما ورد فيها وسائر متعلقاتها وبربي ثقتي اي وثوقي واعتمادي بكرمه وجوده لا بغيره اذ لا عبرة بوجوده وشهوده وقد اكتفى بالبسملة مبنى لتضمنها الحمدلة معنى يا رب اغنني في شئ وهو على حذف ياء المتكلم وابقاء الكسرة دلالة عليها واشارة اليها وفي الابتداء به في مقام المناجاة والدعاء بالنداء اشعار بانه رب العالمين عموما كما يفيد فايحة فاتحة الكتاب ورايحة نافحة فصل الخطاب ورب كل فرد من افراد بني آدم خصوصا كما يومي اليه حديث ادبني ربي فاحسن تاديبي وقول بعضهم حسبي ربي من كل مربي ويدل عليه خبر رضيت بالله ربا ثم زاد في مقام التاكيد ونظام التاييد لافادة اظهار العبودية في معرض الربوبية بقوله يا رباه بلفظ المندوب لمد الصوت المطلوب في الندبة والمرغوب في المناجاة والمنادى يحتمل تعلقه بثقتي والاظهر تعلقه بقوله باسمك اي لا بغيره ابتدي كما هو وجب على المنتهي والمبتدي وبك اي بحكمك





افتدي وبعونك اهتدي وبنور قدسك اي المطهر المصون في صدر صدري الذي هو محل ظهور انسك اشارة الى قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه اهتدي ايماء الى قوله سبحانه ومن يهدي الله فهو المهتدي وقوله قل ان الهدى هدى الله والمعنى انه يهدي به عبده بالقاء نوره في قلبه ويهديه الى طريق ربه ويفرق بين الحق والباطل فيختار الحق ويترك الباطل في اعتقاده وعمله اتق الله اتق الله اي اتق الله مرة بعد اخرى في امر الدنيا والعقبى واحذر عن مخالفة المولى فلا يراك فيما نهاك فان العاقبة للتقوى والاعادة المشيرة الى زيادة الافادة كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون اي ظاهرا وباطنا او التقدير استغيث بالله واستعين بطلب رضاه فيما ارجوه واخشاه والحاصل لما اهتدى بنور قدسه دخل في قلبه بعض انسه وتبين له الامر لكمال ظهوره ورأى نفسه متلوثة بالدنيا ومعرضة عن العقبى وغافلة عن المولى حذرها بقوله الله الله اي اتق الله اتق الله لقوله سبحانه ويحذركم الله نفسه ولقوله عز وجل واتقوا الله ويعلمكم الله وعلامة التقوى هي الزهد في الدنيا والميل في العقبى رجاء لمرضات المولى ولما كان النفس بطبعها مائلة الى الدنيا وشهواتها وغافلة عما خلق له من تحصيل عباداتها قال مخاطبا لنفسه او معاتبا او خطابا عاما لا سيما اذا كان له مصاحبا الامه اصله الى ما بحرف الجارة وما الاستفهامية وكتبت الى بالالف من لا لشدة الاتصال في المرتبة النظامية وحذف الالف من ما اكتفاء بالحركة الفتحية البنائية واقتفاء برسم المصاحف العثمانية والمعنى الى متى ايها المخاطب المعاتب تمد اي تطمح وتتوجه الى زهرة الحيوة الدنيا اي بهجتها وزينتها عينيك وفيه اقتباس من قوله تعالى ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وقوله سبحانه وتعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم روي انه عم راى باذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجواهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولانفقناها في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم لقد اعطيتم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع يعني قراءتها مع التأمل في مبانيها والتعمل بمعانيها خير من تلك القوافل وما فيها بل لا مناسبة بين الاموال الفانية والاحوال الباقية ومن ههنا قال الصديق في مقام

المحقق من اوتي القران ورأى ان احدا اوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما
وعظم صغيرا وقال ابو القاسم القشيري غار سبحانه على عينيه ان يستعملها في النظر الى
غيره ويقال اذا لم يسلم له اشباع نظر ظاهره الى الدنيا فكيف يسلم له سكون قلبه الى
غير المولى وحتام اي وحتى متى تنكص اي ترجع عن القيام بالاقدام على الله والاقبال
على سبيل رضاه وفيه تلميح الى فعل ابليس وما وقع منه نوع تلبيس كما اخبر الله تعالى عنه بقوله
واذ زين لهم الشيطان اعمالهم الى ان قال نكص على عقبيه الاية وتلويح الى قوله سبحانه قد كانت
آياتي تتلى عليكم فكنتم على اعقابكم تنكصون بعد ايناس نار اي بعد ابصار نار واستيناس انوار
واحساس اسرار واخبار مزديار ليس بها بعض اغيار على عقبيك اي متوجها الى دار اكدار
فيها انواع حجاب وغبار وفي الكلام اقتباس من قوله تعالى آنس من جانب الطور نارا اي نارا نورا
دارا والمعنى بعد ظهور الحق وطريق الصدق آثارا وقيل ايناس النار كناية عن استيناس
النفس بالآفات الدنيوية المانعة عن العبادات الاخروية هذا على تقدير ان يكون على عقبيك
ظرف الايناس واما على تقدير كونه متعلقا بتنكص فالمعنى الى متى ترجع على عقبيك عن طريق العبادة
وسبيل اهل الارادة التي يسلك بهم الى مقام السيادة والسعادة بعد ما علمت يقينا انارة
هداية الحق التي بها من نار جهنم يقينا ايجبهك من جبهه بالتخفيف اي رده او بالتشديد
اي نكس رأسه اي يبعدك عن مقام القبول ويقعدك عن طلب الوصول الشهوات الخسيسة
اي المانعة عن المقامات النفيسة والحالات الانسية او اللهوات الفانية الحاجزة عن الدرجات
الباقية للاحجام اي للاعراض عن الدنيا والاقبال على المولى ام يعوقك من عاق او عوّق
اي يمنعك ويصدك الزخارف المموهة اي الزينات المتوهمة الملفقة عن الاقدام على عمل
الآخرة الفاخرة المحققة مالك اي ما حالك واي شيء حاصل لك في مآل حال كونك في مقام
اقبالك وزمان استقبالك تسعى في المباهات اي المفاخرة في غير الحالات الفاخرة التي تنفع
في الآخرة وفي نسخة المماراة اي المجادلة والمخاصمة والمجاراة اي المسابقة والمقاطعة
في المحاورات وجمع الحطام اي جمع اموال الشبهة والحرام لنشر الصيت اي لانتشار الجاه عند
العوام كالانعام ودفع العدى اي بالعفو في مقام الصدر عند معرض العذر وصرف وجوه
الانام اي بالتردد اليك في الليالي والايام وتنسى نعيم جنات اي بساتين موعودة للمتقين
باقية ونهر اي انهار جارية فيها عافية من آفات سارية في مقعد صدق اي مكان مرضي
ومجلس حق عند مليك مقتدر اي مقربين في غاية الاعتبار عند من تعالى امره في الملك والاقتدار
بحيث ابهم على ذوي الافهام والاسرار فهي عندية منزلة ومكانة لا عندية منزل ومكان

المموهة ط

لعلو

لعلو شأنه ورفعة برهانه قال جعفر الصادق مدح المكان في الصدق فلا يقعد فيها
الا اهل الصدق وهو المقعد الذي يصدق الله فيه مواعيد اوليائه بان يبيح لهم النظر
الى وجهه الكريم وبشرهم بلقائه وقال الواسطي ليس محل من اشتغل بنفسه وتلذذ
بمطعمه ومشربه وملبسه كمن كان شغله بالحق وانسه والقيام بامره ونظره الى ربه
في مقعد صدق عند مليك مقتدر وقيل الصادق في عبادته من لا يتعبد على ملاحظة
الاطماع والاغراض ومطالبة الاعراض والاعواض وما شأنك اي وما عذرك في مقام
حذرك ترغب اي تعرض وتبعد عن علم سماه ربك الاعلى بالفقه حيث قال تعالى لعلهم
يفقهون وقال فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين والحكمة حيث قال عز وجل
يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا والنور حيث قال سبحانه وتعالى
قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من
ربه والهدى حيث قال عز وعلا قل ان هدى الله هو الهدى والسلام على من اتبع الهدى وهو علم الكتاب
والسنة واجماع ائمة بهم يقتدى وهو علم المعاملة واما ما سبق من قوله بنور قدسك
اهتدى هو علم المكاشفة لان من كوشف فعرف الحق يتعين عليه ان يرغب في علم المعاملة
الذي يعرف به احكام الله وطريق عبادة مولاه وترغب اي تميل وتخوض فيما احدثه قرون
اي طبقات بعد خير القرون من فرقة الصحابة والتابعين واتباعهم فشا فيها اي شاع
وظهر فيما بينهم الكذب اي في حكاياتهم والبدعة في اعتقاداتهم والهوى اي هوى ارباب
النفوس ومشتهياتهم من العلوم التي غير نافعة ولا رافعة بل ضارة دافعة كعلم المنطق
والكلام والهيئة وسائر علوم الفلاسفة قفا خطاب لصاحبيه كانه شبه نفسه ان
يكون في سفر يسير مع رفيقيه فاذا بلغ منازل الاحباب وقد ارتحلوا ومضوا ودخلوا
في مقام الحجاب غلب عليه وجد فراقهم وحرارة اشتياقهم وغشية البكاء في ميدان البيد
فلم يتمالك في مهالك الازمنة ان يتجاوز مسالك الامكنة فوقف لديه واستوقف
صاحبيه وقال قفا نبك بالاتفاق على حزن الفراق وقيل اصله قف قف فحذف الثاني وعوض
عنه الالف لان الالف علم كالجزء من الفعل وقيل اصله قفن فابدل نونه الفا والمعنى قف ايها
المخاطب مع الرجل المعاتب نبك على رسوم علوم كدرس اي آثارها المندرسة في ديارها
المنتقلة بعد اقبالها الى ادبارها لقلة علماء الشريعة واحبارها واطلال اعمال اليقين
اي علامات انطماس علامات اهل اليقين حيث اختلط بافعال ارباب الرياء والسمعة ولو كانوا
من المجتهدين في امر الدين بفقد المشايخ العاملين الكاملين في مقام الطريقة والجامعين



للاخلاق الواصلين الى مرتبة الحقيقة ودمن كمالات الاحوال بكسر الدال وفتح الميم اى و
على زوال آثار كمال ارباب الاحوال واصحاب الاقوال بعدم وجود اهل الشهود فى زوايا
المشاهد الحقيقة والمعارف الدقيقة وارادات مشاهدات الجمال وكذا على صادرات
مطالعات الجلال لغيبة ارباب الحضرة فى مقام التوحيد واصحاب الجذبة فى مرتبة التأييد
غدت الديار اى صارت ديار العلوم وضرار الفهوم عافية اى خربة واهية وظلت
الآثار اى وصارت آثار الاسلام واخبار الاحكام باقية وفيه ايماء الى قوله عم يأتى
على الناس زمان لم يبق من الاسلام الا اسمه ومن القرآن الا رسمه وساجدهم عامرة وقلوبهم
خربة واصبح الاصحاب اى العلماء الكبار الذين بمنزلة الاصحاب الوارد فيهم اصحابى كالنجوم
بايهم اقتديتم اهتديتم راحلين اى مرتحلين من دار الدنيا الى دار العقبى كما يشير اليه قوله
تعالى افلا يرون انا نأتى الارض ننقصها من اطرافها اى باخذ العلماء من اكنافها واضحى
الاعراب اى الجهال الذين بمنزلة الاعراب الوارد فيهم قوله سبحانه وتعالى الاعراب اشد كفرا
ونفاقا واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله نازلين اى فى مقام العلماء العاملين
وفيه ايماء الى قرب القيمة وعلامة وقوع الساعة التى تورث الندامة لاهل الملامة كما
ورد فى حديث جبرئيل وان ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان
فيا اسفى اى تأسفى على منام القلوب وقيام الالسنة اى على غفلة القلوب القاسية وحدة
الالسنة الراسية وفيه اشارة الى ما ورد فى ذم علماء آخر الزمان ان قلوبهم امر من الصبر
والسنتهم احلى من العسل ومضاء العلوم اى وعلى مضى العلوم الفاخرة وذهاب علماء الآخرة
وبقاء الاوعية اى علماء السوء الذين اكتفوا بمجرد حفظ الرواية دون ضبط الدراية والكتب
البالية والجب العالية ويالهفى بفتحتين اى تعطشى على صيرورة الحال اى حال ذوى شمائل و
اظهار فضائل وكتب ورسائل اى مشحونة بقيل وقال واظهار فضال وانقلاب اى محمل اجوبة
ومسائل اى يبحثون فيها ولا يعملون بها بل يخوضون فيما ليس تحتها طائل ويا حسرتى اى تحسرى على
انطماس المعنى عن الاسم اى محو المعنى المراد عن المبنى والمواد واندراس الحقيقة عن الرسم اى رسم الشريعة
والطريقة ويا سوءتى اى فضيحتى على خلو القشر اى العلوم الآلية من الاعراب والاعراب عن اللباب
اى لباب العلوم المأخوذة من الكتاب الذى تذكره اولوا الالباب فى جميع الفصول و
الابواب واغترار القوم اى اهل الزمان من ارباب الحجاب بلامع كسراب اى الاعمال الكاملة
الخالية عن الاحوال الطاهرة وفيه تلويح الى قوله تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه
الظمآن ماء ولله در القائل من اعمالهم * لا والذى حجت قريش بيته * مستقبلين الركن من

بطحائها * ما ابصرت عينى خيام قبيله * الا بكيت احبتى بفنائها * امام الخيام جمع خيمة
فانها الخباء منهم اى منازل الحى ومقامهم واى نساء الحى غير نسائها اى الا والحى التى كن فى نعت
ووصف الكمال من العفة والحياء والحشمة والسخاء والمعنى انه ظهر السفهاء فى صورة
الفقهاء والجهلاء فى هيئة المشايخ العرفاء خطر بالى جواب شرط مقدر اى لما كان الامر
كذلك خطر فى خاطرى هنالك ان اريح بالبالى اى ادخل فى الراحة قلبى فى ميدان حب
ربى وفى نسخة بالزاء اى ازيل حزن قلبى وتشتت بالى وتفرق حالى بتصفح تلك العلوم
اى بتفحص صفحات العلوم النافعة الزاخرة فى الدنيا والآخرة واسرارها اى ودقائقها
وحقائقها الفاخرة وتتبع سير الرجال اى سلوك اصحاب الحال وفى نسخة مسير
وفى اخرى بكسر السين وفتح الياء اى شمائل ارباب الفضائل واصحاب الفواضل وآثارها
اى اللامعة بانوارها تحت استارها رجاء ان احب اى احرض واحرص على اتباعهم بتشديد
التاء اى متابعتهم وموافقتهم فى الدنيا وان ابعث فى اشياعهم اى احشر فى اتباعهم
فى العقبى فامتريت اطباء الطاقة اى حاولت وعالجت صرف الوسع والقدرة
واحتملت اعباء المشقة اى وتحملت اثقال المشاق فى طريق المحبة وسبيل المعرفة
وبالغت فى جمعها اى ضبط افرادها وتهذيبها اى تنقيتها وحذف زوائدها و
استقصيت فى ضبطها وترتيبها اى ضبط معانيها وحفظ مبانيها مع انى سكيت
نادى البيان بكسر السين وتشديد الكاف اى كثير السكوت فى مجلس التبيان وسكيت حلبة
الرهان بضم السين وتخفيف الكاف المفتوحة وتشديد الياء اى آخر الخيل فى ميدان المسابقة
والجولان والجريان يمتحن فيه الافراس لعشرة على عرف ذلك الزمان ويرهن للسبق مال
يأخذ من سبق فرسه ذلك المكان وفيه تلويح الى قول من قال عند الامتحان يكرم المرء
او يهان وانحت بداى بتصنيفى هذا الفرع العلى اى الرفيع من الاصل العلوى اى
المنسوب الى على المنيع والغصن السنى اى المنسوب الى اهل السنة والجماعة العزيز الوجود
فيما بين السادة او السنى بفتح فكسر اى الشريف الجلى الحسنى من كنز الحسينى وفى نسخة الحسنى
اى المنسوب الى اولاد فاطمة الزهراء رض وفيه تنبيه على ان كل علوى ليس بحسنى ولا حسينى
كمحمد بن الحنفية وسائر اولاد على ارفع السراة جمع السرى عمادا بكسر العين اى على الاشراف
اعتمادا يقال فلان رفيع العماد اى شريف سنى الذكر عالى الصيت وقيل العماد فى الاصل عيدان
يرفع بها البنيان فكنى بذلك عن رفعة نسبه وقوة حسبه وقيل بل يراد بها حقيقتها
اى مرتفع العماد فوق البنيان يراه الضيفان فيقصدونه وذو الحاجات فيطلبونه و

الطول الكماة جمع الكمي نجادا بكسر النون بعده جيم وهو حمائل السيف وهو كناية عن طول قامته
وطول شانه والمعنى افضل شجعان زمانه استنادا واكثر الكرام رمادا كناية عن كثرة الجود
المستلزم لكثرة الطبخ في منزل الشهود المستلزم لكثرة الرماد ولدوام وقود ناره ليلا في تلاد
البلاد فيهتدي به الضيفان من العباد واكبر العظام وسادا كناية عن كونه معظما موقعا
في قلوب العباد والزهاد وهو ابن بني عدنان فانه عليه السلام محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب
ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لوي بن غالب بن فهر بن مالك
ابن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان والى
هنا من النسب الشريف لا خلاف فيه بين العلماء الاعيان وانما الخلاف فيما فوقه مختلف البيان
ولذا يروى ان النبي عليه السلام كان اذا بلغ في النسب الى عدنان امسك عما بعده من عدنان البيان
وقال كذب النسابون اي في هذا الشان قال الله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا قال ابن عباس
رضي الله عنه ولو شاء الله ان يعلمه لعلمه وقال ابن دحية اجمع العلماء والاجماع حجة على ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم انما انتسب الى عدنان ولم يتجاوزه وفي مسند الفردوس عن
ابن عباس رضي الله عنه عليه السلام كان اذا انتسب لم يتجاوز معد بن عدنان ثم يمسك
ويقول كذب النسابون وقال السهيلي الاصح في هذا الحديث انه من قول ابن مسعود رضي الله عنه وقال
غيره كان ابن مسعود اذا قرا قوله تعالى الم ياتكم نبا الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود
والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله قال كذب النسابون انهم يدعون علم الانساب ونفى الله
علمها عن العباد في الكتاب وعن ابن عباس رضي الله عنه بين عدنان واسماعيل ثلثون ابا لا يعرفون
وسئل مالك عن الرجل يرفع نسبه الى ادم فكره ذلك وقال من اخبره بما هنالك وسمي جده
خليل الرحمن يعني اسم الممدوح ابراهيم كاسم جده الكريم الخليل الى ولده الجليل اسمعيل جد
نبينا عليه السلام وشرف وكرم ركن الدنيا اي المدار عليه المشار اليه اي المشهود لديه
قطب الشرع النافع في العقبى المدار عليه كالقطب لها قبله مشيرا الى علمه ومعرفته والى
انه جامع بين الفضائل الدينية والشمائل الاخروية طاهر الذيل عن دنس الهوى كناية
عن صلاحه وديانته عازف القلب اي صارفه عن لذة الدنيا اشارة الى ورعه وزهده
وحسن عبادته راسخ القدم في شريعة المصطفى ايماء الى ثباته في امر الدين واستقامته
صارف العنان الطريقة المرتضى اشعارا بانه على مذهب الصوفي وسلوك طريقته وايماء
الى انه متصف بصفات الانبياء ومقامات الاولياء وانه تابع لجده الاعلى والادنى
بلغه الله الى الكمال الاعلى اي في الدنيا والاخرى واوصله الى السعادة القصوى اي السيادة

في انساب النبي صلى الله عليه وسلم

العظمى وهي رضاء المولى وادام المجد بين ثوبيه اي العظمة في ذاته واقام الكرم بين برديه
اي السخاوة في صفاته قال صاحب المفتاح المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه من الكناية المطلوب
بها تخصيص الصفة بالموصوف اراد القائل ان لا يصرح بتخصيص المجد والكرم بالممدوح فجعلهما
بين ثوبيه وبرديه تنبيها بذلك على ان محلهما ثوبان وبردان وهما مشتملان على الممدوح
فتم غرضه بذلك ذكره الطيبي وانا بحمد الله سبحانه لم اجعل تصنيفي هذا ولا ما سبق
لي من تاليفي باسم احد من الامراء والوزراء وانما به ابتغاء وجه الله وشفاعة نبيه
يوم لقاه فحصل بحسن لطف رحماني وعميم فضل رباني اي بتوفيقه وتسهيله لهذا
التاليف وتحصيله كتاب حجمه عند صغير لانه في اوراق معدودات يتم بها الكتاب
من غير طريق الاطناب ليسهل للحفظ اي بالجنان والاستصحاب اي مع الابدان وعلمه
اي معلوماته على ظني غزير اي كثير لاشتماله على جميع ما في الاحياء من ربع مجلدات الكمال
الاستقصاء فهو كاللباب وانما قال على ظني هضما لنفسه في هذا الباب ولان صاحب
البيت ادرى بما فيه لعدم الحجاب يغني عما عداه في الباب اي باب التصوف وفصل الخطاب في ابوابه
عشرون بابا فيها كفاية لارباب الالباب فالباب الاول في الورد والثاني في الانفاق و
الثالث في الصوم والرابع في السفر والخامس في التزوج والسادس في الكسب والسابع في
المعيشة والثامن في الصحبة والتاسع في الصمت والعاشر في الاناة والحادي عشر
في العزلة الثاني عشر في التواضع الثالث عشر في الاخلاص الرابع عشر في التفويض الخامس
عشر في نفي الخواطر السادس عشر في التوبة السابع عشر في الصبر والشكر الثامن عشر
في الخوف والرجاء التاسع عشر في الفقر والزهد العشرون في التوحيد والتوكل واليقين
قد صدرت اي ابتدات بمقدمة في العلم والمعرفة هي احرى اي اليق واولى بالتقديم وزينت
اي ضمنت واحرت بخاتمة في المحبة حق اي اجدر واحق ان يقع بها التتميم لئلا يحتاج الى
واسمه المطابق للمسمى عين العلم الذي نتيجته وثمرته ان يكون زين الحلم بل هو معدن الاسرار
الشريعة والطريقة ومنبع انوار المعرفة والحقيقة واساسه اي مدار بنائه ونبراسه الكتاب
والسنة وشيم الصحابة الشيمة بضم الشين وتشديد الميم جمع الاشم اي سير الاصحاب الكبار
من ذوي الافتخار وفيه الاشعار بان اجماع الصحابة او اكثرهم اولى بالاعتبار لانهم اولى
الايدي والابصار معري اي خال ومجرد عما حدث اي اخترع وابتدع من وضع غير مشروع
كالاراء الفاسدة والاهواء الكاسدة لا يسمن ذلك الموضوع او غير المشروع ولا يغني
من جوع اي لا يفيد الزيادة والاستزادة ولا ينفع حين الافادة والاستفادة ليس التكحل

النبراس بالفتح والكسر
چراغ مصباح مشعله
اختري

في العينين كالمكحل بغير تحمل اشارة الى ان محمودية الكتاب بالتكلف من الاعمال المحدثة كالتحمل
مسعه وتهذيبه على ما اتفق عليه الجمهور من السلف كالعين المكحلة خلقة لا يزول بازالة
احد ولو تكلف في مشقة وفيه تنبيه نبيه على ان طريق النجاة للانام هو متابعته عليه السلام
واصحابه الكرام في جميع احكام الاسلام كما يشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني
يحببكم الله ويدل عليه حديث اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وخبر لا يجتمع امتي على
الضلالة وعليكم بالسواد الاعظم والله سبحانه اعلم فالحمد لله ازلا وابدا لا اشترك به احد
نحمده في كل آن ونشكره في كل زمان ونستعينه في كل شان ونتوكل عليه في كل مكان ونعوذ بالله
من شرور انفسنا اي من الاخلاق الدنية ومن سيئات اعمالنا من الاحوال الردية ونشهد
ان لا اله موجودا ومعبودا الا الله اي الذات المستجمع لكمال الصفات فلو نعبد الا اياه
ولا نلتفت الى ما سواه وحده منفردا بالذات لا شريك له في كمال الصفات ونشهد ان محمدا
عبده ورسوله وحبيبه وخليله اعطاه الله تعالى خير دعاء الوسيلة وقد سئل عم
عن الوسيلة فقال هي مرتبة لا ينالها الا واحد رجوان اكون انا فمن سال لي الوسيلة
من الله تعالى حلت له الشفاعة والفضيلة اي الزيادة في المرتبة المنيفة والدرجة الرفيعة
اي في المنزلة البديعة وبعثه اي حشره ونشره مقاما محمودا يحمده الاولون والاخرون
ويغبطه النبيون والمرسلون والملائكة المقربون الذي وعده اي بقوله عسى ان يبعثك
ربك مقاما محمودا وما وعده لم يكن الا موجودا وانما عبر عنه بعسى للاشعار بانه
لا يجب على الله سبحانه شيء للعباد وان الامور انما تكون وفق ما قضاه واراد وصلى الله
عليه اصالة وعلى اهله اي اهل بيته من ازواجه واقاربه واحبابه وآله اي من يؤول
اليه امره من اتباعه واصحابه واحزابه وسلم تسليما اي يقرنه تعظيما وتكريما المقدمة
في العلم وقد ورد العلم ثلثة وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة قائمة
او فريضة عادلة والمراد بها اجماع الامة واتفاق الائمة رواه ابو داود وابن ماجة
والحاكم في مستدركه عن ابن عمرو في رواية الديلمي عنه العلم ثلثة كتاب ناطق وسنة
ماضية ولا ادري وانما لم يذكر الاجماع لان مستنده اما الكتاب او السنة والحديث
رواه ابو داود وابن ماجه عنه مرفوعا وقد روى ابو داود والحاكم وصححه من حديث
ابي هريرة ما ادري اعزير نبي ام لا وروى احمد والحاكم وابو يعلى والبزار وصحح اسناده
الطبراني من حديث جبير ابن مطعم ولابن حبان والحاكم وصححه نحوه من حديث ابن
عمر انه لما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا ادري حتى نزل جبرئيل وفيه تنبيه على ان العجز
عن

عن درك الادراك ادراك ومنه قول الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا وقول الرسل
يوم القيمة لا علم لنا بسم الله الرحمن الرحيم ولا يحيطون به علما وهو بكل شيء عليم
العلم علمان اي علم الآخرة او المعتبر في الاحوال الفاخرة او النافع في المرتبة الزاخرة
او علم التصوف والاحوال الفاخرة نوعان وقد ورد العلم علمان فعلم بالقلب فذلك
العلم النافع وعلم على اللسان وذلك حجة الله على ابن آدم رواه ابن ابي شيبة والحكيم
عن الحسن مرسلا والخطيب عنه عن جابر مرفوعا علم المكاشفة وهو ما يطلب منه
كشف المعلوم فقط المعبر عنه بعلم الباطن مثل علم المحبة والشوق والرضا والقبض و
البسط والمحو والصحو والهيبة والانس والفناء والبقاء واللوامع والطوالع واللوائح
والروائح والاستتار والاستنار ومقابلة المعاملة وهو ما يطلب مع الكشف
العمل وهو نور يظهر في القلب اما بالجذبة الالهية او بالرياضة الشرعية عند تطهير
القلب وتزكيته من الاخلاق الدنية والصفات الردية فيشاهد به الغيب اي ما غاب
عن غيره من علوم متعلقة بالرب من وجود ذاته وشهود صفاته في ملكوته ومصنوعاته
كما يشير اليه قوله عز وعلا سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق وهو متحقق
اي ثابت الى يوم القيمة لاصحاب السلامة من الندامة والملامة فورد دليلا لقوله فيشاهد
به الغيب اذا دخل النور في القلب انشرح اي انفتح اي عاين الغيب من غير الريب وانفسح اي
انبسط واتسع وانفتح اي احتمل البلاء وحفظ السر اي في مقام الولاء والابتلاء وفي
المعالم عند قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام اي ليتقبل ما فيه من الاحكام
ولما نزلت هذه الآية سئل عم عن شرح الصدر فقيل فهل لذلك امارة اي علامة قال نعم
الانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت وعن علي
كرم الله وجهه علم الباطن سر من اسرار الله عز وجل وحكم من حكم الله تعالى يقذفه من يشاء
من عباده رواه الديلمي وابو عبد الرحمن السلمي ولا يصرح به اي لا يمكن التعبير عن علم المكاشفة
لفقد الرواية اي تصريحا بل ذوقا واحيانا تلويحا لانه من الامور الوجدانية فلا يمكن ان يروى
وينقل الا بالرموز والاشارات الايمائية الوجدانية فان العاقل يكفيه الاشارة والغافل
ما يفيده الا صريح العبارة ولذا قيل العلم نقطة كثرها الجاهلون ومع هذا كل حزب بما
لديهم فرحون فالمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة دون علم المكاشفة التي لا رخصة في ابدا رعها
الكتب وان كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر السالكين وعلم المعاملة طريق اليه
ودليل عليه ولكن لم يتكلم الانبياء مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد الى الحق واما علم

المكاشفة فلم يتكلموا فيه الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور
افهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الانبياء فما لهم سبيل الى العدول عن نهج التاسي
ومنهاج الاقتداء وورد ان من العلم اي من جملته علم خفي فيه الفنون كهيئة المكنون اي
من الدر المصون لا يعلمه الا اهل المعرفة بالله رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابي هريرة
بلفظ ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه الا العلماء بالله فاذا انطلقوا به لا ينكره الا
اهل الغرة بالله عز وجل وفي هذا المقام قيل من عرف ربه كل لسانه فان بيان حقايق الذات
والصفات تعظم شانه ويجل برهانه واما قول من قال من عرف ربه طال لسانه فمحمول
على العلوم الظاهرة والذخائر الفاخرة من سائر العلوم المتعلقة بالدنيا والآخرة
وقيل من عرف الله كل لسانه في بيان الذات وطال بيانه في شان الصفات وقيل من عرفه بالصفات
الجمالية طال لسانه ومن عرفه بالنعوت الجلالية كل بيانه وهو اي علم المكاشفة افضل من علم
المعاملة لان شرف العلم بشرف المعلوم ومن المعلوم اشرفية ما يتعلق به سبحانه من
الذات والصفات وما اخبر به من المغيبات ولانه المقصود الاكمل والمطلوب بالذات ولذا
ينتقل بانتقاله حال الممات بخلاف علم المعاملة فانه ليس مقصودا بالذات بل يعمل به في سائر
الاوقات ولذا ينتهي بانتقال صاحبه الى دار الآخرة حيث لا تكليف فيها وعلم المعاملة اي
النوع الثاني وهو العلم بما يقرب الى الله تعالى من المامورات وما يبعد عنه من المنهيات وينقسم
الى قسمين الى علم ظاهر يتعلق باعمال الجوارح والى باطن يتعلق باحوال القلوب ثم الجاري
على الجوارح اما عبادة واما عادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب على الحواس
من عالم الملكوت اما محمود واما مذموم وهو اي علم المعاملة مقدم اي على العمل وعلى علم
المكاشفة وهو اظهر من حيث دليله الوارد ولكن يشكل بقوله لانه الشرط فتدبر فانه
قد يتقدم الجذبة على السلوك في الخدمة اللهم الا ان يقال انه الشرط الغالبي كما يدل عليه استثناء
الآتي ورد اي في كلامه سبحانه وتعالى والذين جاهدوا فينا اي اجتهدوا في طاعتنا وعبادتنا لنهدينهم
سبلنا اي طرق موقفنا ووصلنا او المعنى والذين جاهدوا فينا بما عرفوا منا لنهدينهم سبلنا
التي ما فهموا عنا كما يشير اليه قوله صلى الله عليه وسلم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لا يعلم ويدل
عليه قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى واصبت اي وردا صبت فالزم حين اخبر حارثة
رضي الله عنها بانكشاف الغيب اي من احوال العقبى بعد عزوفه اي بعد صرف المسالك قلبه و
اعراضه عن الدنيا والحديث في الجامع الكبير لشيخ مشايخنا المرحوم جلال الدين السيوطي
عن الحارث بن مالك وحارثة بن النعمان الانصاريين ففي رواية الطبراني وابي نعيم عن

الحارث

الحارث بن مالك الانصاري قال مررت بالنبي عليه السلام فقال كيف اصبحت يا حارث
قلت اصبحت مؤمنا حقا فقال انظر ما تقول فان لكل شيء حقيقة فما حقيقة ايمانك قلت
قد عزفت نفسي عن الدنيا واسهرت لذلك ليلي واظمأت نهاري وكان انظر الى عرش ربي
بارزا وكاني انظر الى اهل الجنة يتزاورون فيها وكاني انظر الى اهل النار يتضاغون
وفي رواية يتعاوون فيها فقال يا حارث عرفت فالزم قالها ثلثا وفي رواية ابن عساكر
قال له عليه السلام امرؤ نور الله قلبه عرفت فالزم وفي رواية العسكري في الامثال
عن انس ان النبي عليه السلام قال لحارثة بن النعمان كيف اصبحت الى ان قال ابصرت فالزم
ثم قال عبد الله نور الله الايمان في قلبه فقال يا نبي الله ادع الله لي بالشهادة فدعا له
قال فنودي يوما يا خليل الله اركبي فكان اول فارس ركب واول فارس استشهد وفي رواية
ابن النجار فبلغ ذلك امه فجاءت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ان
يكن في الجنة لم ابك ولم احزن وان يكن في النار بكيت ما عشت في الدنيا فقال يا ام الحارث
او يا حارثة انها ليست بجنة ولكنها جنة في جنان والحارث في الفردوس الاعلى فرجعت
وهي تضحك وتقول بخ بخ يا حارثة الا استثناء من قوله مقدم اي لكن قد يوخر علم
المعاملة ان جذبته العناية كما في سحرة فرعون فانهم وصلوا الى الحق الحقيق بدون
المجاهدة في الطريق فانه روي انهم راوا في سجودهم الجنة ومنازلهم فيها وقد ورد جذبة
من جذبات الحق توازي عمل الثقلين وورد ان لله في ايام دهركم نفحات اي فتعرضوا لها
والحاصل ان السلوك الى الله اما بتقديم المجاهدة على الجذبة واما بتقديم الجذبة
على المجاهدة كما يشير اليه قوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب
والطريق الثاني سلوك الحكماء واكثر الاولياء والاول مسلك الانبياء وبعض
الاصفياء كما يدل عليه قوله تعالى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان اي تفصيله في الخطاب
ومعرض البيان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء اي من اهل العرفان وابلغ منه وما كنت
ترجوا ان يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك ولا ينفك اي علم المعاملة عنه اي عن علم
المكاشفة كما قدمنا من لزوم وجود احدهما مقدما او موخرا والحاصل ان بعد الجذبة و
حصول المكاشفة يلزم علم المعاملة واما قبل الجذبة فلا بد من المجاهدة فانها شرط وجود
المكاشفة وخلاصته ان علم المعاملة غير لازم لحصول علم المكاشفة ابتداء واما الدوام
فلا بد منه انتهاء كما ان عمر حصل له الجذبة وعلم المكاشفة ثم التزم علم المعاملة و
الخدمة ولو عاش سحرة فرعون لكان علم المعاملة لازما لهم ايضا لدوام علم المكاشفة

والمراد بالجذبة هنا الجذبة القوية الالهية العوذية الآتية من عالم الامر والاصحاب
علم المعاملة ايضا لا يخلو عن نوع جذبة ربانية الا انها ضعيفة تدريجية من عالم الخلق
وقد قال تعالى الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ومن هذا قيل الطرق الى الله
بعدد انفاس الخلايق لانها تختلف باختلاف حجب العلايق والعوايق ثم اعلم انه لا يلزم
من وجود المعاملة حصول المكاشفة بخلاف العكس في المقابلة وزبدته ان كل من سعى
لم يدرك ما تمنى لكن ما ادرك ما تمنى الا من سعى فلله الآخرة والاولى فورد اي في الحديث
تمايه لتطلب لزوم المعاملة بعد تقدم المكاشفة الجاني عن دار الغرور اي التبعد والتزهد
عن الدنيا والانابة الى دار الخلود اي الرجوع الى دار العقبى والاستعداد للموت قبل نزوله
اشتياقا للمولى حين سئل اي النبي عليه السلام عن علامة ذلك النور كما قدمنا هذا اي العلم
المنقسم الى قسمين من المكاشفة والمعاملة ما ورد بفضله اي فضل تعلمه وتعليمه مما يشرع مطابق
للعقل والطبع من الكتاب والسنة واخبار الائمة اما الكتاب فكقوله تعالى شهد الله انه لا اله
الا هو والملائكة واولوا العلم وقوله يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
عن ابن عباس رضي الله عنه للعلماء درجة فوق درجة المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين
الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقوله قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقوله
انما يخشى الله من عباده العلماء وقوله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب
وقوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن وعمل صالحا وقوله وتلك الامثال
نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وقوله ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه
الذين يستنبطونه منهم وقوله بل هو آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم واما السنة
فعنه عليه السلام من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين متفق عليه وزاد الطبراني ويلهمه رشده
العلماء ورثة الانبياء ابو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان في صحيحه من حديث
ابي الدرداء ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى تجلسه مجلس الملوك ابو نعيم
في الحلية عن انس فقد نبه بهذا على ثمرته في الدنيا ومعلوم ان الآخرة خير وابقى خصلتان
لا يجتمعان في منافق حسن سمت وفقه في الدين الترمذي عن ابي هريرة افضل الناس
المؤمن العالم اذا احتيج اليه نفع وان استغني عنه اغنى نفسه البيهقي في شعب الايمان
موقوفا على ابي الدرداء الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم والعمل
الحاكم في تاريخ نيسابور عن ابي الدرداء اقرب الناس من درجة النبوة اهل العلم والجهاد
واما اهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل واما اهل الجهاد فجاهدوا باسيافهم

على ما جاءت به الرسل ابو نعيم عن ابن عباس موت قبيلة ايسر من موت عالم الطبراني وغيره عن
ابي الدرداء الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم في الجاهلية خيارهم
مطلب
في الاسلام اذا فقهوا متفق عليه عن ابي هريرة يوزن يوم القيمة مداد العلماء بدم
الشهداء فترجح مداد العلماء ابن عبد البر عن ابي الدرداء من حفظ على امتي اربعين
حديثا من سنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيمة ابن عبد البر
عن ابن عمر من حمل من امتي اربعين حديثا لقي الله يوم القيمة فقيها عالما ابن عبد البر عن انس
من تفقه في الدين كفاه الله همه ورزقه من حيث لا يحتسب الخطيب عن ابن جزء اوحى الله
تعالى الى ابراهيم م يا ابراهيم اني عليم احب كل عليم ابن عبد البر تعليقا العلماء امناء الله
صنفان ط
في الارض ابن عبد البر عن معاذ صنفان من امتي اذا صلحوا صلح الناس واذا فسدوا فسد
الناس الامراء والفقهاء ابو نعيم عن ابن عباس اذا اتى علي يوم لا ازداد علما يقربني الى الله
فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية وابن عبد البر
في العلم عن عائشة رض يشفع يوم القيمة ثلثة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجة
عن عثمان رض ما عبد الله بشيء افضل من فقه في الدين الطبراني في الاوسط عن ابي
هريرة خير دينكم ايسره وافضل العبادة الفقه ابن عبد البر عن انس اصبحتم في زمان
كثير فقهاؤه قليل خطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه كثير سائلوه العمل فيه خير من
من العلم الطبراني عن حزام بن حكيم عن وسياتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه
قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل الطبراني عن حزام ابن حكيم عن عمه والمعنى اظهار
العمل خير من اظهار العلم ليقتدي الناس فلا ينافيه ما سبق من الاحاديث الدالة على
افضلية العلم مطلقا قيل يا رسول الله اي الاعمال افضل قال العلم بالله عز وجل فقيل
نسئل عن العلم وتجيب عن العلم فقال ان قليل العمل ينفع مع العلم بالله وان كثير من العمل
لا ينفع مع الجهل بالله ابن عبد البر عن انس يبعث الله العباد يوم القيمة ثم يبعث
العلماء ثم يقول يا معشر العلماء اني لم اضع علمي فيكم الا لعلمي بكم ولم اضع علمي فيكم لاعذبكم
اذهبوا فقد غفرت لكم الطبراني عن ابي موسى فالمراد اي فمراد الشارع المكاشفة اي ولا نة
المراد علم المكاشفة فيما ورد فالفاء للتعليل فضل العالم على العابد كفضلي على امتي
ولفظ الترمذي والدارمي عن ابي الدرداء كفضلي على ادناكم وفيه مبالغة لا تخفى اي في حديث
مشهور ورد ورواه احمد والترمذي وابو داود وابن ماجة والدارمي وابن حبان ولفظه
ان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء ورثة

الانبياء والانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ بحظ وافر
وفي لفظ للترمذي عن ابي امامة رض فضل العالم على العابد كفضلي على ادنا رجل من صحابي وقال
حسن صحيح وورد فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد سبعون درجة ابن عدي عن ابي هريرة
وابو يعلى عن عبد الرحمن بن عوف الاصبهاني في الترغيب والترهيب عن ابن عمر بين العالم والعابد
سبعون درجة وكذا في مسند الفردوس عن ابي هريرة واما ما في الاحياء مائة درجة فلا اصل
له اذ غيره اي غير علم المكاشفة وهو علم المعاملة تبع للعمل لثبوته اي العلم شرطا له اي للعمل
فلا عمل بلا علم وقد يوجد علم بلا عمل والمعنى ان كلما وجد العمل لزم وجود العلم بخلاف عكسه
فالعمل بغير العلم غير ممكن فعلم ان المراد بالعالم هو العالم بعلم المكاشفة والا فلو اريد بفضل العالم
بعلم المعاملة لزم تفضيل العامل على العالم او على العالم العابد وهذا فاسد فتعين ان المراد
بقوله فضل العالم هو العالم بعلم المكاشفة هذا حل كلامه وبيان مرامه والظاهر ان المراد
بالعالم هنا هو الجامع بين علمي المكاشفة والمعاملة بل المستجمع بين علم الشريعة وعمل الطريقة
المؤدي الى مرتبة الحقيقة ثم التحقيق ان العلم بدون العمل غير معتد والعمل بغير العلم غير
صحيح فلا بد للعالم من العمل وللعابد من العلم فالمراد من العالم في الحديث من يعمل ما يجب عليه
ويصرف الى العلم ما يفضل من الاوقات لديه وبالعابد من يعلم ما يجب عليه من العلم وصرف
بقيته اوقاته الى العمل وانما فضل العالم على العابد لان نفع العلم متعد ونفع العمل
قاصر ولان العلم اما فرض عين واما فرض كفاية وكلاهما افضل من النوافل كما لا يخفى على ذوي
الفضائل ولان العلم من صفات الله والعمل من صفات العبد ولان لكل فضيلتين خيرا من
واحد فلان العلم ايضا عمل اي عمل وخلاصته ان زيادة العلم خير من زيادة العمل والمراد
هنا العالم العامل كما يشير اليه قوله عم تعوذوا بالله من علم لا ينفع رواه ابن ماجة
باسناد حسن عن جابر وعن عمر من حدث بحديث فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل ويؤيده
الحديث الدال على الخير كفاعله رواه الترمذي من حديث انس وعن الحسن لولا العلماء
لصار الناس مثل البهائم وقال عطاء دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكي فقلت ما
ما يبكيك قال احد يسئلني عن شيء والمعاملة اي والمراد علم المعاملة القلبية الواجبة
فيما ورد طلب العلم فريضة على كل مسلم رواه ابن ماجة وضعفه احمد والبيهقي وغيرهما
لامتناع ارادة غيرها اي غير المعاملة القلبية اقول بل الحمل على المعنى الاعم هو الاتم
ليشمل المعاملة القالبية الواجبة وانما يصح كلام الماتن على قضية نادرة الوقوع
في يمتنع ارادة غير المعاملة القلبية لان الفرض بعد التوحيد نوعان احدهما ما يكون

فرضا على العبد بحكم الاسلام وهو علم المعاملة القلبية واصلاح الباطن لازدياد
الانوار اليقينية وازالة الاخلاق الردية واثبات الشمائل المرضية وثانيهما ما هو
فرض عليه عند تجدد الحادثة كدخول وقت الصلوة والصوم ووجوب الحج والزكوة وعلم
البيع والشراء وسائر المعاملات واما العبد اذا اسلم في وقت لم يجب عليه فيه هذه
الاشياء فليس عليه ان يعلمها بفرضيتها لكنها لانه لم يدرك وقتها وما لم يدرك وقتها لا يكون
فرضا عليها اذ لو قدر موته قبل تجددها لم يطالب يوم القيمة بتعلم علمها وانما يكون الفرض
عليه علم المعاملة القلبية وتحصيل الاخلاق الزكية لان العبد بعد الاسلام لا يخ
اما ان يكون متصفا برذيلة فيجب عليه ازالتها واثبات ضدها مكانها او لا يكون فيجب عليه
تحصيل علم الباطن ايضا لتحصيل ازدياد اليقين ومعرفة خداع النفس وغرورها ودسائسها
الخفية ومعرفة الخواطر الردية وما يكون بينه وبين الله في ذلك الوقت من الاحوال
الباطنة القلبية فلو وجد فرصة وفراغا بعد الاسلام ولم يشتغل بتحصيل علم المعاملة
القلبية كان تاركا للفرض مسئولا عنه يوم القيمة وان لم يتجدد من تلك الفروض الظاهرة
شيء كالصلوة ونحوها فافهم والله اعلم وهذا بيان ما اجمل بقوله اما التوحيد اي علمه
فليس المراد به فالحصول والحصول لكل مسلم وفيه انه لا بد له من بقائه ودوامه وحفظه من
تخريب نظامه واما الصلوة اي امتناع ارادة الصلوة فلجواز ان يتاهلها شخص يصير
اهل وجوبها رجلا او امرأة وقت الضحى بالبلوغ او الاسلام ومات قبل الظهر يعني فلا يجب
على كل مسلم ويدفع بان هذا امر نادر على انه مشروط بشرائط في تعلقها فالحكم بعد تحققها
واما غيرهما من التوحيد والصلوة ونحوه من علم الفقه المسمى بعلم المعاملة فاظهر اي في
امتناع ارادته والجواب ما تقدم والله اعلم وبسط الكلام في مرام هذا المقام ان العلماء
اختلفوا في العلم الذي هو فرض عين على كل مسلم فتحزبوا فيه اكثر من عشرين فرقة وتعصبوا
ونزل كل فريق وجوبه على العلم الذي هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام اذ به يدرك
التوحيد وبه يعلم ذات الله وصفاته وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة
اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحرام
من المعاملات وقال المتصوفة المراد به علم الاخلاق وما يتعلق به من علم المعاملة والمكاشفة
والتحقيق ان هذه العلوم كلها من فروض الكفاية واما فرض العين على كل صنف فبعضها
مما يجب فيه الرعاية وعلم الآخرة اي والمراد علم ينفع في الآخرة مطلقا اي مع قطع النظر
عن المعاملة والمكاشفة فيما ورد اي في كلامه المجيد قل هل يستوي الذين يعلمون

والذين لا يعلمون لئلا يفضل علماء الزمان على الصحابة وفيه ان الظاهر في معنى الآية عدم استواء العلماء والجهلاء واما مراتب العلماء من الانبياء والصحابة والتابعين والفقهاء والمشايخ والاولياء فمختلفة بحسب منازلهم المؤتلفة فمجادلة الكلام اي علم المنطق والكلام والنحو في فتاوى نذور وقوعها لحدث اي بدعة الا ان الاولى مذمومة والكل في الجملة محمودة وما ورد اي جاء من القرآن فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين لاختصاص الانذار والحذر في قوله تعالى ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون به اي مختص بعلم الآخرة فالحاصل مما سبق ذكره بفسق القلب اي لعدم مدخليته في الانذار والحذر وانما ينور القلب بذكر الرب وما يتعلق به من الترغيب والترهيب ففي العوارف لما صار الانذار مستفادا من الفقه والانذار احياء المنذر بالعلم والاحياء بالعلم رتبة الفقه في الدين صار الفقه فيه اكمل رتب المجتهدين وهو علم الزاهد في الدنيا الراغب في المعنى الطالب المولى وهو الاعلى وايضا ما يؤيد ما قدمنا انه وصف الشارع الفقيه بانه يمقت الناس اي يبغضهم بالمعاصي في ذات الله اي لاجل رضاه ولم يقنطهم من رحمته لقوله تعالى لا تقنطوا من رحمة الله وقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون ولم يؤمنهم من مكر الله لقوله تعالى فلا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون بل يجعل نفسه وغيره بين الخوف والرجاء ولو ظهر له مقامات الاولياء لقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والانسان لا يخلو من العصيان ولو بالنسيان ولم يرغب عن القرآن اي وما هو مقتبس منه الى غيره اي الى غير القرآن من العلوم المحدثة ويرى له اي للقرآن وجوها كثيرة اي من ظاهر وباطن وحد ومطلع وتاويلات عبارات ورموز واشارات ولفظ الوارد عنه عم انه قال الا انبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه الى ما سواه ابو بكر بن لال في مكارم الاخلاق وابو بكر بن السني وابن عبد البر من حديث علي وقال ابن عبد البر اكثرهم يوقفونه على علي وفي حديث آخر لا يفقه العبد حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة ابن عبد البر من حديث شداد ابن اوس وقال لا يصح مرفوعا وروي موقوفا على ابي الدرداء مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها اشد مقتا قلت فيه ايماء الى ما قيل وجود ك ذنب لا يقاس به ذنب فظهر ان المراد بالفقه ما يحصل به الانذار والحذر وهو علم الآخرة فقد سأل فرقد السبخي الحسن البصري عن شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك فقال الحسن ثكلتك امك فريقد فهل رأيت

فقيها بعينك انما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة الله الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم ثم اعلم انه ورد في فضيلة التعلم والتعليم آيات واخبار كثيرة وآثار شهيرة منها قوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقوله عليه السلام من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا الى الجنة رواه مسلم من حديث ابي هريرة وقوله ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع احمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال وقوله لان تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من ان تصلي مائة ركعة ابن عبد البر من حديث ابي ذر و الخبر عند ابن ماجة بلفظ آخر وقوله باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن حبان في روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصري وجاء مرفوعا بلفظ خير له من مائة ركعة رواه الطبراني في الاوسط من حديث ابي ذر وقوله اطلبوا العلم ولو بالصين ابن عدي والبيهقي في المدخل والشعب من حديث انس وقال متنه مشهور واسانيده ضعيفة وقوله العلم خزائن الله مفاتيحها السؤال فاسئلوا فانه يوجر فيه اربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم رواه ابو نعيم من حديث علي مرفوعا باسناد ضعيف وقوله لا ينبغي للجاهل ان يسكت على جهله ولا للعالم ان يسكت عن علمه الطبراني في الاوسط وابن مردويه في التفسير وابن السني وابو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف وقوله من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الاسلام فبينه وبين الانبياء في الجنة درجة واحدة الدارمي وابن السني في رياضة المتعلمين من حديث الحسن اي ابن علي والبصري فالحديث مرسل واما قول الغزالي وفي حديث ابي ذر حضور مجلس علم افضل من صلوة الف ركعة وعيادة الف مريض و شهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل ينفع القرآن الا بالعلم فقد ذكره ابن جوزي في الموضوعات من حديث عمر وقال الحافظ العراقي ولم اجده من طريق ابي ذر قلت قد ذكره الحافظ السيوطي في الجامع الكبير في مسند ابي ذر يا ابا ذر لان تغدو فتتعلم بابا من العلم عمل به او لم يعمل به خير من ان يصلي الف ركعة تطوعا رواه ابن ماجة والحاكم في تاريخه عنه واما ما ورد في فضيلة التعليم فمنه قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه وهذا ايجاب للتعليم وقوله وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهذا دليل على ذم كتمان الحق والتحريم وقوله ومن احسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقوله ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وقوله ويعلمهم الكتاب والحكمة و منه قوله عليه السلام ما آتى الله عالما علما الا اخذ عليه من الميثاق ما اخذ من النبيين

ان يبينه للناس ولا يكتمه ابو نعيم من حديث ابن مسعود وقوله لما بعث معاذا الى اليمن لان يهدي
الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم احمد من حديث معاذ وفي الصحيحين من حديث سهل
ابن سعد انه قال ذلك لعلي رض وقوله من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين صديقا
الديلمي من حديث ابن مسعود وقوله اذا كان يوم القيمة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا
الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله تعالى انتم عندي كبعض ملائكتي
اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة ابو العباس المرهبي من حديث ابن عباس وقوله
ان الله لا ينزع العلم انتزاعا من الناس بعد ان يؤتيهم اياه ولكن يذهب بذهاب العلماء
فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى اذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا ان
سئلوا افتوا بغير علم فيضلون ويضلون متفق عليه من حديث عبد الله ابن عمرو وقوله من علم
علما فكتمه الجمه الله يوم القيمة بلجام من نار ابو داود والترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم
وصححه من حديث ابي هريرة وقوله نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي عليها
ثم تحملها الى اخ لك مسلم تعلمه اياها يعدل عبادة سنة الطبراني من حديث ابن عباس نحوه
وقوله ان الدنيا ملعونة وملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او معلما او متعلما الترمذي
وابن ماجة من حديث وقوله ان الله وملائكته واهل السموات واهل الارض حتى النملة
في جحرها وحتى الحوت في البحر يصلون على معلم الناس الخير الترمذي من حديث ابي امامة وقوله
ما افاد المسلم اخاه فائدة افضل من حديث حسن بلغه وبلغه ابن عبد البر من رواية محمد
ابن المنكدر مرسلا نحوه ولابي نعيم من حديث عبد الله بن عمر بلفظ ما اهدى مسلم لاخيه
هدية افضل من كلمة تزيده هدى او ترده عن ردى ورواه البيهقي في الشعب ايضا
وقوله كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها خير له من عبادة سنة ابن المبارك
في الزهد والدقائق من رواية زيد ابن اسلم مرسلا نحوه وقوله على خلفائي رحمة الله
قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله ابن عبد البر من حديث
الحسن فقيل هو ابن علي وقيل ابن يسار البصري فيكون مرسلا ولابن السني ولابي نعيم في
رياضة المتعلمين من حديث علي نحوه وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فراى
مجلسين احدهما يدعون الله ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال اما هؤلاء فيسألون
الله ان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما هؤلاء فيعلمون الناس وانما بعثت معلما ثم عدل
اليهم وجلس معهم ابن ماجة من حديث عبد الله بن عمرو ثم حققه اي حق علم المعاملة وهو
اثنان وعشرون منها العمل والمعنى لا بد للعبد من العمل بالعلم فان العلم بمنزلة الشجرة و

والعمل في مرتبة الثمرة فالشرف للشجرة لكونها الاصل لكن الانتفاع بالثمرة التي هي الفرع
فكذا حقيقة العلم والعمل في قواعد الشرع والكمال هو الجمع بين العلم والعمل والتعليم كقول
عيسى عم من علم وعمل وعلم يدعى في الملكوت عظيما وقول نبينا عليه السلام خيركم من
تعلم القرآن وعلمه والحاصل ان العالم العامل في منزلة النبيين واذا انضم اليه التعليم
فهو في مرتبة المرسلين فورد في ذم ترك العمل كبر مقتا عند الله الاية والمقت اشد
الغضب تمامها ان تقولوا ما لا تفعلون وفي معناها أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وانشد لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت
عظيم ثم اعلم انه كثر في التصانيف ذكر الاية والحديث والبيت قبل تمامها وقد يكون الباعث
على ذلك اختصار ما هنالك وقد يكون الاستدلال على المطلوب يتوقف على اواخرها وهو محفوظ
ومعروف عند اهلها فيذكر صدرها ويشير الى آخرها بقوله الاية ونحوها اما بالنصب على اضمار
اقرأ وهو الوجه الظاهر ويجوز الرفع بتقدير مبتدأ او خبر كالمعروف والمروي والجر على الى آخر الاية
وامثالها اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم لم ينفعه الله بعلمه اي لم يوفقه للعمل ومن جملة عمله
نفعه ان احتاج الى علمه والحديث رواه الطبراني في الصغير وابن عدي في الكامل والبيهقي في
شعب الايمان من حديث ابي هريرة وورد ويل للجاهل مرة وويل للعالم سبع مرات والاحتراز
اي وحق علم المعاملة اجتناب صاحبه عن الفتوى اي اذا لم يتعين لها لعدم قيامهم اي الصحابة
بها الا بضعة عشرة بكسر الموحدة ما بين الثلث الى التسع وكان قبض عليه السلام عن مائة
الف واربعة وعشرين الفا من الصحابة الكرام فهم يسير من كثير من اهل التقوى وورد لا يفتي
الا امير او مامورا او متكلف الطبراني عن عبادة الصامت وعن عوف ابن مالك ايضا قال الامير
هو الامام وقد كانوا هم المفتون والمامور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتكلف تلك
العهدة من غير حاجة فلا يخلو عن الخطر فينبغي له الحذر كل الحذر وعن حذيفة انما يفتي احد
ثلثة من عرف الناسخ والمنسوخ او رجل ولي سلطانا فلا يجد بدا من ذلك او متكلف
ابن عساكر قال الحجة وقد كان الصحابة يحترزون عن الفتوى حتى يحيل كل واحد منهم على صاحبه
وكانوا لا يحترزون اذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل
المتكلف المرائي فان من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين عليه للحاجة اليه فلم يقصد
به الا طلب الجاه والمال وعن ابي حصين قال ان احدهم ليفتي في المسئلة ولو وردت على عمر
ابن الخطاب رض لجمع لها اهل بدر ابن عساكر وعن ابن سيرين ان عمر قال لابي موسى
اما بلغني انك تفتي الناس ولست بامير قال بلى قال ول حارها من تولى قارها عبد الرزاق

والديوري في المجالسة وابن عبد البر في العلم وابن عساكر وعن عبد الله بشير ان علي بن
ابي طالب سئل عن مسئلة فقال لا علم لي بها ثم قال وا بردها على الكبد سئلت عما لا اعلمه فقلت
لا اعلم رواه سعدان بن نصر وسئل مالك عن اربعين مسئلة فقال في ست وثلثين لا ادري
ومن يرد وجه الله بعلمه فلا تسمح نفسه بان يقر على نفسه بانه لا يدري وعن ابي يوسف سمعت
ابا حنيفة يقول لولا الخوف من الله تعالى ما افتيت احدا اكون الهناء لهم والوزر علينا وسئل علي عن
مسئلة فقال سئلوا مولاي الحسن ذكرها الكردري وناهيك عن نهي الفتوى قوله عم اجرؤكم على الفتيا
اجرؤكم على النار رواه الدارمي عن ابي عبد الله بن ابي جعفر مرسلا والاستبصار اي وحق علم المعاملة
بعد فتوى المفتين طلب البصيرة بعين الاعتبار واخذ القول بدليل الخاص من غير استبعاد بالنظر من
بين الاخبار فورد استفت قلبك وان افتاك المفتون احمد من حديث وابصه ويؤيده حديث
دع ما يريبك الى ما لا يريبك الترمذي وصححه والنسائي وابن حبان من حديث الحسن بن علي وحديث
لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة ما به بأس الترمذي وحسنه وابن ماجة والحاكم
وصحح اسناده من حديث عطية السعدي وحديث الاثم حواز القلوب البيهقي في شعب الايمان من حديث
ابن مسعود وهو بتشديد الزاي جمع حازة وهي الامور التي تحز فيها اي تؤثر كما يؤثر الحز والحك في الشيء
وهو ما يخطر فيها من المعاصي لفقد الطمانينة اليها ويروى بتشديد الواو اي يحوزها ويملكها و
يغلب عليها ويروى حزاز بزايين الاولى مشددة فعال من الحز فيعتمد في العلوم على بصيرته وادراكه
بصفاء قلبه لا على صحفه وكتبه ولا على تقليد ما يسمعه من غيره كما اشار اليه بقوله ولان المقلد وعاء
العلم عطف على فقد وردلانه في معنى التعليل والمعنى ان الذي يقبل قول الغير ولو كان مجتهدا انما
هو وعاء العلم اي ظرفه بمنزلة الرواية فليس له حظ في الدراية وانما نصيبه الرواية ومن هذا
قال ابو حنيفة وغيره لا يحل لاحد ان يقول بقولنا ما لم يعلم من اين قلنا والشفقة في التعليم
اي من حق علم المعاملة على المعلم بالنسبة الى المتعلم فورد انا لكم مثل الوالد لولده ابو
داود والنسائي وابن ماجة وابن حبان من حديث ابي هريرة وقال تعالى النبي اولى
بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم في قراءة شاذة وهو اب لهم بل هو افضل واكمل من
الوالدين فان قصده انقاذهم من نار الاخرة وهو اهم من انقاذ الابوين ولدهما من نار الدنيا
ولذلك صار حق المعلم اعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحيوة
الفانية ولولا المعلم لساق ما حصل من جهة الاب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد
للحيوة الاخروية الدائمة اعني معلم علم الاخرة او علوم الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ
بالله ثم كما ان حق ابناء الواحد ان يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذا حق تلامذة

الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون الا كذلك ان كان مقصودهم الاخرة ولا يكون الا
التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وابناء الاخرة مسافرون الى
الله سبحانه وتعالى وسالكون اليه والطريق هو الدنيا وسنونها وشهورها منازل الطريق والترافق
في الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التوادد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى
والترافق في طريقه الاعلى ولا ضيق في سعادات الاخرة فلذا لا يكون بين ابناء الاخرة تنازع
ولا سعة في سعادات الدنيا فلذا لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم
خارجون عن موجب قوله تعالى انما المؤمنون اخوة وداخلون في مقتضى قوله سبحانه الاخلاء يومئذ
بعضهم لبعض عدو الا المتقين ومعزولون عن منصب قوله عم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه
ما يحب لنفسه فلا يضن بفتح الضاد وكسرها نفيا او نهيا اي لا يبخل على اهل علمه لان العلم
لا يحل منعه فورد من كتم علما الجم بلجام من نار ابن ماجة وغيره من حديث ابي هريرة الا استثناء
من قوله فلا يضن اي فلا يبخل بالعلم الا عن غير اهله وهو الذي يريد ان يتوصل الى المال والجاه
ونحوه فورد لا تطرحوا الدر في افواه الكلاب رواه ابن النجار عن انس ولفظ لا تطرحوا الدر في افواه
الخنازير وقال عيسى عم لا تعلقوا الجواهر في اعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها
فهو شر من الخنازير وقال ايضا لا تضعوا الحكمة عند غير اهلها فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم
وكونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء وفي لفظ اخر من وضع الحكمة في غير
اهلها فقد جهل ومن منعها اهلها فقد ظلم ان للحكمة حقا وان لها اهلا فاعط كل ذي حق
حقه وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل اما سمعت ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيمة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء
من يفقه فكتمته فليلجمني وقوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم فيه تنبيه نبيه على ان حفظ العلم
ممن يفسده ويضره اولى وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق شعر فمن
منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم والتعريض اي لا التصريح بالمنع ابقاء
للهيبة وهو المأمور اي في المنع كما ورد في الحديث المأثور والمعنى ان من حقوق المعلم ان يزجر
المتعلم بالتعريض اذا وقع منه تقصير وقلة ادب في القول او الفعل حال التقرير ولا يصرح ما
امكن وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجراءة
على الهجوم بالمخالفة كما روى ابن جريج مرسلا انه عم بينما هو يخطب يوم الجمعة اذ رأى
رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى عم عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان
ما منعك ان تجمع اليوم معنا فقال يا نبي الله اني قد جمعت معكم فقال عم الم ارك تتخطى

رقاب الناس فعرض عليه السلام بالمنع من التخلي بانه يحبط اجر عمله ولم يصرح له مع ما فيه
من امالة النفوس الزكية والاذهان البهية الى استنباط المعاني الخفية فيفيد فرط التفطن
رغبة في العمل به بخلاف التصريح فانما يوقعه في الاصرار على القبيح فقد روي لو منع الناس
عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء يطلب وقد قيل الانسان حريص على ما منع
كما يشير اليه قوله تعالى حكاية ما نهيكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين
والاقتصار على قدر الفهم فورد امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم ابو داود من حديث عايشة رضي الله
عنه بلفظ انزل الناس منازلهم وفي رواية عن ابن عمر نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل الناس
منازلهم ويؤيده حديث كلموا الناس بما يعرفونه ودعوا ما ينكرون البخاري موقوفا على رض و
رفعه ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق ابي نعيم ويقويه حديث ما حدث احدكم قوما بحديث
لا يفهمونه الا كان فتنة عليهم العقيلي في الضعفاء وابن السني وابو نعيم في الرياضة من حديث ابن عباس
باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود نحوه وفي رواية ما انت محدث قوما
حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم وفي رواية لابي نعيم عن ابن عباس لا تحدثوا امتي
من الاحاديث الا بما تحمله عقولهم وعن علي قال حدثوا الناس بما يعرفون اتريدون ان يكذب الله
ورسوله البخاري وفي رواية عنه ايها الناس تحبون ان يكذب الله ورسوله حدثوا الناس بما يعرفون
ودعوا ما ينكرون الخطيب وفي رواية عنه واشار الى صدره ان ههنا لعلوما جمة لو وجدت
لها حملة ولقد صدق فقلوب الابرار قبور الاسرار وقطع الطمع اي عن الخلق خصوصا عن التلميذ وهو
سكون القلب كنفس المنفعة المشكوكة فورد في ايات كثيرة قل لا اسئلكم عليه اجرا تمامه
ان اجري الا على رب العالمين ولان فساد الدين الطمع كما ان صلاح الدين الورع على ما
روي عن الحسن ونية العمل بنفسه والتعليم لغيره في التعلم اي لا قصد المال والاغراض الفاسدة
والاعواض الكاسدة وهذا من حقوق يجب على المتعلم فورد من تعلم للمباهاة اي المفاخرة او المماراة
اي المجادلة او لصرف وجوه الناس اليه تعظيما وتكريما فهو في النار ابن ماجة من حديث جابر
باسناد صحيح ولفظه لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه
الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وفي رواية لابن ماجة عن ابي هريرة بلفظ من تعلم العلم
ليباهي به العلماء ويماري به السفهاء او يصرف وجه الناس اليه ادخله الله جهنم وفي رواية
لابي داود عنه من تعلم صرف الكلام ليسبي به قلوب الناس لم يقبل الله منه صرفا ولا عدلا
وفي رواية الترمذي عن كعب بن مالك رض بلفظ من تعلم العلم ليجاري به العلماء او ليماري به
السفهاء او يصرف به وجوه الناس اليه ادخله الله النار وقد كثر طرقه بحيث كاد ان يكون متواترا

والانقطاع

والانقطاع اي عن سائر الامور التي فيها نوع من النزاع لشغل العلائق اي العوائق بتعلق
الخلائق عن خدمة الخالق ويشير اليه قوله تعالى وتبتل اليه تبتيلا اي انقطع اليه واعتمد
عليه واقصد الحضور لديه ولقوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وقال بعضهم العلم
لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه على
خطر والتملق وهو الافراط في التواضع والتذلل فورد ليس من اخلاق المؤمن التملق الا
في طلب العلم رواه الخطيب والتسليم اي تسليم المتعلم للمعلم لان العالم الرباني يربي المتعلم بصغار
العلم قبل كباره ولقوله هلاك مريض لا يسلم امره للطبيب اي فيما يحميه وفيما يعينه والخضوع
للانتفاع اي ومن حق العلم خضوع القلب مع الرب ليحصل به الانتفاع في مقام الكسب فورد اي
في قوله تعالى ان في ذلك اي فيما سبق من اول سورة ق او في القران لذكرى اي تذكرة ومنفعة
وموعظة لمن كان له قلب اي حاضر وتمام الاية او القى السمع وهو شهيد اي بجميع خواصه وترك
الاستنكاف اي الانفة عن طلب او المطلوب منه فان العلم يؤتى ولا يأتي لانه تكبر اي بغير حق
وقد قال تعالى ساصرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها
وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا والقياس اي ومن
حق العلم ترك قياس المبتدي على المنتهي في كثرة الطاعة وقلة اجتناب الشبهة لامتداد له
اي لاختيار المنتهي الحضور اي مع الله بالنوافل اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكين
الجوارح الا عن اداء الفرائض فيترائى الى الناظر انه كسل وبطالة واهمال غفلة وهيهات فان ذلك
مرابطة القلب في عين الشهود والحضور مع الرب واحالة البحر لا يغيره النجاسة ما دون
الكوز فشبه المنتهي بالبحر والمبتدي بالكوز فلا يقاس الملوك بالحدادين ومن هنا قال بعض المشايخ
من رآني في البداية صار صديقا ومن رآني في النهاية صار زنديقا وتقديم الاهم اي من العلوم
تعلما وتعليما فيبدأ بفرض العين اي المتعين على كل احد وهو علم ما يجب من اعتقاد اي اجمالا
او تفصيلا او تقليدا او تحقيقا كما بينته في شرح الفقه الاكبر تدقيقا وفعل اي عمل من صلوة
او صوم ونحوهما وترك اي من قتل نفس وشرب خمر وامثالهما ومحلها كتب الفقه ظاهرا وهو
ظاهر او باطنا كترك ارادة المعصية ثم علم الاخرة اي معرفة تفاصيل احوالها ومواقفها و
اهوالها او علم لا ينفع الا في الاخرة واما لها والمراد به علم التصوف وتحسين الاخلاق الباطنة
وتزيين الاحوال السرية فهو المقرب اليه تعالى اي ظاهرا وباطنا بخلاف غيره اذ قد يبعده عنه
سبحانه لما يشتمل عليه من انواع التقصير واصناف التكدير من الرياء والسمعة والعجب
والغرور في التقرير والتحرير ومن هنا قال الامام مالك من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق

ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ومن جمع بينهما فقد تحقق وقال بعض العارفين من لم يكن له
نصيب من هذا العلم اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به والتسليم لاهله
وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة وكبر وقيل من كان محبا
للدنيا او مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم فاقل عقوبة من ينكره ان لا يرزق
منه شيئا وانشد وارض لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنب عقابه فيه هذا ومجمل ما يجب
عليك من الاعتقاد على وجه الاقتصار في مقام الاستناد ان تعلم ان لك الها عالما قادرا
حيا مريدا متكلما سميعا بصيرا واحدا احدا فردا صمدا لا شريك له ابدا ولا ضد له ولا ند
ولا شبيه ليس كمثله شيء لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد متصفا بصفات الكمال جامعا
بين نعوت الجلال والجمال فهو ذو الجلال والاكرام وصاحب الافضال والانعام منزها
عن الحدوث منفردا بالقدم مخالفا لكل شيء من حيز العدم كلامه قديم وارادته وعلمه مقدسان
عن كل نقص وآفة لا يوصف بصفات المحدثين ولا يجوز عليه ما يجوز على المحدودين ولا يتضمنه
الامكنة والجهات ولا تمر عليه الازمنة والساعات ولا تحله الحوادث والعاهات وان محمدا
عبده ورسوله وحبيبه وخليله ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وهو
الصادق المصدوق فيما جاء به عن الله تعالى وفيما ورد على لسانه من امر الآخرة لانه موجود لكنه
وغير شأنه ويجب عليه اعتقاد ما كان عليه السلف من ان الله يرى في الآخرة صح
غير محدود وان القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ليس بحروف مقطعة ولا اصوات مختلفة فهو حال و
حادث فينا محفوظ في قلوبنا مقروء بالسنتنا مكتوب بايدينا ملحوظ باعيننا ونعتقد ايضا انه
لا يقع في الملك والملكوت فلتة خاطر ولا لفتة ناظر الا بقضاء الله وقدره وفق ارادته ومشيئته
فمنه الخير والشر والنفع والضر والايمان والكفر وانه لا واجب على الله لاحد من خلقه وان حقه
واجب على غيره وهو العبادة ثم من اثابه فهو بفضله ومن عاقبه فهو بعدله ولا يسأل عما يفعل
وهم يسألون ونعتقد ان جميع ما ثبت بالشرع من امور الآخرة كالجنة والنار والحشر والنشر
وعذاب القبر وسؤال منكر ونكير والصراط والميزان فهذه اصول الايمان درج السلف
الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم على اعتقادها والتمسك بها ووقع الاجماع عليها
قبل نبوغ البدع وبدو الاهواء وقال الحجة علم الآخرة ينقسم الى المعاملة والمكاشفة وغاية المعاملة
المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست اعني بالمعرفة الاعتقاد الذي تلقفه العامي
رواية بل ذلك نوع يقين من دراية هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى في قلب عبد طهر بالمجاهدة
باطنه عن الخبائث حتى ينتهي الى رتبة ايمان ابي بكر الصديق رضي الله ولي التوفيق ومن
اهم المهمات معرفة الواجبات ليكتسبها والسيئات ليجتنبها اذ كيف يقوم بطاعات لا يعرف

ماهي او كيف يفعلها مع وجود الملاهي ام كيف يجتنب المعاصي من غير ان يعرف انها من المناهي
فيجب عليك ان تعلم احكام الشرع من الاصل والفرع فربما انت تقيم على كفر وبدعة او على غفلة
مما يفسد عليك طهارتك او صلوتك او نحوهما عن كونهما على وفق السنة ثم هذا الشأن
ايضا العبادات الباطنية التي هي من فروض الاعيان من التوكل والتفويض والتسليم والرضا
بالقضاء والتوبة والانابة والصبر والشكر والاخلاص في النية ونحوهما مما سيجيء ذكرها
ويجب الاتصاف بها وكذا المعاصي الباطنة من السخط والغضب والحقد والحسد والبخل وطول
الامل وحب العفو والرياء والكبر مما سيأتي بيانها ويجب اجتنابها حتى تصون النفس
عما شانها وتكون منعوتة بما زانها فان هذه المذكورات كلها فرائض نص الله تعالى على الامر بها
والنهي عن اضدادها في كتابه القديم فقد قال الله تعالى وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين و
اشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون واصبروا ان الله مع الصابرين وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين ونحو ذلك من الآيات كما نص على الامر بالصوم والصلوة فما بالك اقبلت على
العبادات الظاهرة وتركت الطاعات الزاهرة والامر بها من رب واحد في كتاب واحد على لسان رسول
واحد بل غفلت عنها ولا عرفت شيئا منها وعلى الجملة فكل ما لا يؤمن من الهلاك مع جهله فطلب علمه
فرض لا يسوغ لاحد تركه فاذا فرغ اي عن القيام بفرض العين علما وعملا اي فعلا وتركا ساغ له
ان يشرع في فرض الكفاية كالتفسير اي مما يتعلق به من علم القراءة واسباب النزول ومعرفة الناسخ
والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو الذي يسمى
اصول الفقه وبينا ولا السنة ايضا وما يتوقف عليه علم اللغة والصرف والنحو والاخبار اي الاحاديث
والآثار المسندة وغيرها ومعرفة رجالها وسائر احوالها والفتاوى اي في فروع الفقه واصوله
غير متجاوز الى النوادر اي كما نقل عن السلف الاكابر فيكفيك من التفسير وجيز الواحدي والجلالين ووسط
المدارك او المعالم ونهاية الدر المنثور في التفسير المأثور ومن الحديث يكفيك ما في الصحيحين و
التوسيط منه نحو المشكاة والنهاية تيسير الوصول الى جامع الاصول والجامع الكبير للحافظ السيوطي
واما الاستغراق في علم واحد طلبا للاستقصاء فممنوع فان العلم كثير والعمر قصير ولا مستغرق
اي بكليته في فروض الكفاية وهي كما قال الحجة كل علم لا يستغنى عنه في قوام امور الدنيا كالطب اذ هو ضروري
في حاجة بقاء الابدان وكالحساب فانه ضروري في المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرها قال
ولا تتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفاية فان اصول الصناعات كذلك كالفلاحة والحياكة
والسياسة بل الحجامة وهي اخس الصنائع فانه لو خلا بلد عن الحجامين تسارع الهلاك اليهم وحرجوا
بتعريضهم انفسهم الهلاك فان الذي انزل الداء انزل الدواء وارشد الى استعماله واعد الاسباب

لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله قلت واغرب من هذا انه صنفه سرابادية ايضا من فروض
الكفاية مستغن عن المعصوق اى الذى هو الحضور بين يدى المعبود والاستغراق فى لجة بحر الشهود
فقد قال الطحاوى حدثنا ابن عمران قال انبانا محمد بن مروان الخفاف قال سمعت اسمعيل ابن حماد
ابن ابى حنيفة يقول قال محمد بن الحسن كنت آتى عند داود الطائى فاسئله عن مسئلة فان وقع
فى قلبه انه مما احتاج اليه لامر دينى اجابنى فيها وان وقع فى قلبه انها على خلاف ذلك
تبسم فى وجهى وقال ان لنا شغلا والاقتصار اى ومن حقوق علم المعاملة الاختصار على
الواقع اى من القضايا والقريب منه اى من الوقائع فى البلايا فى المناظرة اى بطريق المشاورة
فهو الماثور اى عن الجمهور فان الصحابة ما تناظروا ولا تشاوروا الا فى مسئلة واقعة او
قريبة الوقوع غالبا واختيار الخلوة اى للمناظرة لقربها الى جمع الهمة وصفاء الفكرة و
البعد عن الرياء والعجب لان فى حضور الجمع ما يحرك دواعى الرياء ويوجب الحرص على نصرة
كل واحد نفسه محقا كان او مبطلا وسبيل التشاور راى واختياره لقوله تعالى وامرهم شورى
بينهم ولحديث ما خاب من استشار والتعاون لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى
فهو الماثور لا على سبيل المراء والخصومة والرياء فيجيز الانتقال اى فيجوز انتقال خصمه من
معاونه ومشاوره عن دليل واشكال الى دليل آخر واشكال اظهر بان اعتقد اولا انه دليل
واشكال قبل المشورة والتعاون فعلم بعدها انه غير دليل واشكال فينتقل ولا يدعى علم مجهول
كما اذا قال احد المتناظرين هذا ما ظهر لى فان ظهر لك ما هو اوضح فاذكره فيصير المعترض
ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفته ولا اذكره اذ لا يلزمنى ذكره ولا يعرف هذا المسكين
اما قوله انما كذب ولا يعرف معنى وانما يدعيه تعجيز الخصم فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى ويكون
دعواه دعوى علم مجهول او قوله صدق فقد فسق باخفاء ما عرفه من امر الشرع وقد ساله اخوه
المسلم واظهار مثل ذلك واجب كما لا يخفى فيكون سكوته سكوتا عن معلوم زاعما عدم لزوم
الذكر وهو قد وجب عليه وهذا معنى قوله ولا يسكت عن معلوم زاعما اى مدعيا انه عالم بعد
اى بعد سؤال المناظر لزوم الذكر كما هو شان المناظرين اذا قاس المستدل على اصل بعلة
يظنها فيقال له ما الدليل على ان الحكم فى الاصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لى فان
ظهر لك ما هو اوضح واولى فاذكره الى آخر ما سبق فهى اى المذكورات من عدم اجازة الانتقال
والادعاء والسكوت قواعد محدثة اى اصطلاحات مبتدعة مستقبحة جاذبة الى المهلكات من الحسد
والتكبر وكتمان الحق واذى المسلم وغير ذلك يحرم التمسك بها اى يجب العمل بخلافها ويشكر
اى المناظر للمصيب ويعترف بالخطاء فعن محمد بن كعب قال سأل رجل عليا رضى عن مسئلة

فقال

فقال فيها فقال الرجل ليس هكذا ولكن كذا وكذا فقال على اصبت واخطأت وفوق كل ذى
علم عليم اخرجه ابن جرير وابن عبد البر وقد ثبت ان امرأة ردت على عمر رضى ونبهته
على الحق وهو فى خطبته على ملاء من الناس فقال اصابت امرأة واخطأ رجل واستدرك
ابن مسعود على ابى موسى الاشعرى فقال ابو موسى لا تسألونى عن شئ وهذا الحبر بين اظهركم
وذلك لما سئل ابو موسى عن رجل قاتل فى سبيل الله فقتل فقال فهو فى الجنة وكان اذ ذاك
امير الكوفة فقال ابن مسعود اعده على الامير فلعله لم يفهم فاعادوا عليه واعاد الجواب
فقال ابن مسعود انا اقول ان قتل واصاب الحق فهو فى الجنة فهو فى الجنة فقال ابو موسى الحق
ما قال وهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الان لاقل فقيه لانكره واستبعده
وقال لا يحتاج الى ان يقال انه اصاب الحق فان ذلك معلوم لكل احد فانظر الى مناظرى زمانك
اليوم كيف يسود وجه احدهم اذا اتضح له الحق على لسان خصمه فكيف يخجل به وكيف يجتهد
فى مجاهدته باقصى قدرته وكيف يذم من افحمه طول عمره ثم لا يستحيى من تشبيه نفسه بالصحابة فى تعاونهم
على النظر فى الحق ولا يهتم به اى بترك الخطاء لان هذا شان الاجتهاد ولانه اذا اصاب فله اجران
واذا اخطأ فله اجر فلا يخرج عن الخير بالكلية فهو الماثور اى المنقول عن الجمهور قيل ولا يقدر
على هذه الثلثة الا العالم الربانى او الولى الصمدانى ولانه دليل آخر لعدم الاهتمام اى ولان
المناظر اذا كان طالب الحق منشد ضالة فلا فرق بين منه او من غيره كما يشير اليه قوله عليه السلام
الكلمة الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو احق بها اخرجه الترمذى عن ابى هريرة مرفوعا ويقدم
اى المناظر قبل البحث الجام النفس اى اسكات نفسه والزامها بان يحكم عليها بانها امارة بالسوء
والشيطان وكذا الجام الشيطان لشدة معاداتها قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا و
قال عم اعدى عدوك نفسك التى بين جنبيك ومن بيان الشيطان وهو مستول على قلبه وهو
اعدى عدو له ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره فى مسائل المجتهد فيها
مصيبا ومساهم للمصيب فى الاجر فهو ضحكة الشيطان وعبرة للمخلصين فى حزب الرحمن والله المستعان
فهذا وقد ورد من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا فى ربض الجنة اى وسطها وفى ترك
المراء وهو محق بنى الله له بيتا فى اعلى الجنة الترمذى وحسنه من حديث انس والتمسك عطف على
اختيار الخلوة اى والاعتصام فى الاصول اى الاعتقاديات بالكتاب اذا كان مقطوع الدلالة والسنة
اى المتواترة مبنى ومعنى والاجماع اى اجماع الامة او اتفاق الائمة والاعراض عما عرض من خاطر
او ناظر ومن حق العلم ان يعرض عما اعترض فى خاطره او فى قول مناظره اذا كان هذا الاعتراض
مخالفا للادلة الثلثة المذكورة لاعتصامها عن الهوى اى هوى النفس والوسوسة اى وسوسة

اي وسوسة الشيطان دون غيرها اي بخلاف ما عداها من المقايسات العقلية ونحوها وتأييد
الاعتقاد اي تقويته وتأكيده بالمعاملة والمعنى انه اذا علم واعتقد شيئا واجبا او سنة او مندوبا
من جهة ان يؤيد هذا الاعتقاد بالعمل به وكذا اذا اعتقد شيئا حراما او مكروها من جهة ان
يؤيد اعتقاده ذلك بالترك فهو اي تأييده بها طريق المكاشفة اي الموصل الى علم المكاشفة والمشاهدة
فمن اشتغل بالعلم بالهدى ولازم طريق التقوى ونهى النفس عن الهوى يفتح له ابواب الهداية وما يوصله الى مقام
النهاية كما يشير اليه قوله سبحانه والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله والذين اهتدوا زادهم
هدى وقوله عم من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم وادلة القرآن اي وتأييده بادلة القرآن
خصوصا فانها قطعية لا محالة ويرجع الاجماع والسنة اليها فبها اي بالادلة القرآنية كانوا
اي السلف يحتجون اي يأخذون من فقه القرآن ويقاتلون من لم يفقهه فلا بيان اي يوجد بعد
بيانه اي بيان القرآن وقد قال تعالى هذا بيان للناس وقال هذا بلاغ للناس اي كفاية لهم في امر
دينهم ودنياهم واخريهم وفي الحديث من لم يتغن بالقرآن فليس منا اي من لم يستغن به عن غيره
ويؤيده قوله تعالى اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ان في ذلك لرحمة وذكرى
لقوم يؤمنون وصحبة الصالحين اي وتأييد الاعتقاد بصحبة الصالحين لانه قد ينكشف لهم
بنور الصلاح ما لم ينكشف لغيرهم من العلوم وقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا
مع الصادقين واصغاء الوعظ اي وتأييده باستماع الوعظ اللين اي المؤثر للقلوب اما من
الوعاظ او من كتب الصوفية وترك مجادلة الكلام اي وتأييده بترك مجادلة علم الكلام على طريقة
المنطقيين والحكماء الخارجين عن دائرة الاسلام فهو صنعة جدل بفتح وكسر اي مجادل او
بفتحتين فان المجادلة مراء يتعلق باظهار المذاهب وهو يعرف بكراهة اصابة الخصم وارادة
خطائه واظهار فضل وهو موضوع لتحيير العامي الذي يضر بصيغة المجهول ضرره اي يضر الجدل
مثل ضرر العامي وضرر العامي خلل اعتقاده بواسطة المناظرة بانه يقع في خاطره ان العلماء
لما يترددون في المسئلة كيف نعتقدها على طريق الجزم وهذا معنى قوله تشويشه الحق يبعث الشبهة
وتحليل العقيدة وازالة الجزم فهذا ضرره بالنسبة الى العامي واما ضرره بالنسبة الى العالم
فقد بينه بقوله وتوكيده عطف على التحيير اي فهو صنعة جدل لتأكيده الباطل بتأسيس الاصرار اي
بتقوية الاستمرار على المجادلة في الآيات والاخبار فتعنت الجدلي اي لطلب زلة من يجادل معه
ومشقته وحمل الافحام اي وحمل الالزام على قصور الطبع وذلك لان المماراة تصير عادة
فيه طبيعة فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك
على قلبه في ادلة القرآن والفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض ولذا ذم الجدل في الكتاب

والسنة فقد ورد ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك الا جدلا
بل هم قوم خصمون الترمذي وابن ماجة من حديث ابي امامة قال الترمذي حديث حسن صحيح وقال عز
وجل وكان الانسان اكثر شيء جدلا وفي الحديث في معنى قوله تعالى فاما الذين في قلوبهم زيغ الاية هم
اهل الجدل الذين عنى الله تعالى بقوله فاحذرهم متفق عليه من حديث عائشة رض وقال بعض السلف
يكون في اخر الزمان قوم يغلق عنهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل وفي بعض الاخبار انكم في زمان الهمتم
فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل ذكره الحجة وقال العراقي لم اجد له اصلا وفي الخبر المشهور ابغض
الخلق الى الله تعالى الالد الخصم متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها ولعله مقتبس من قوله ومن
الناس من يعجبك قوله في الحيوة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام ومن ههنا قيل اعتقاد
العامي الذي لم يشتغل بالكلام راسخ قوي في احكام الاسلام غاية الاحكام واعتقاد الجدلي الحارس
اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء بل يشابه الهواء تلعبه الرياح المختلفة في الصحراء
كما في الاحياء ومن ثمه تكتب بالتاء لئلا يشتبه بثم بضم ثاء بفتح المثلثة من غير تاء وصلا و
هاء وقفا وخلاف ذلك عد من غلط العامة كذا في غاية التحقيق اي ومن اجل ذلك وما يتفرع
عليه هنالك تزعزع عقيدة المتكلم المشتغل بالنظر اي بالادلة النظرية العقلية فقط دون
المتقي اي المعتمد على الادلة النقلية والحجج الشرعية فان المشتغل بالكتاب والسنة ومتابعة الصالحين
من الائمة لا يتزعزع بل يزداد رسوخا بما يسمعه من ادلة القرآن وبما يرد عليه من شواهد
الحديث في ميدان التبيان وبما يسري اليه من سير الصالحين وسلوك الصادقين الا استثناء
من قوله لتحيير العامي الذي يضر ضرره الا في عامي اعتقد بدعة مسموعة اي من جماعة مبتدعة والف
الجدل حتى لا يفيد سواه والغالب انه لا يفيده بل لا يزيده الا ضلالا وتبارا كما يشير اليه قوله تعالى
وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا فان القرآن
كالنيل ماء للمحبوبين ودماء للمحجوبين كما يومي اليه قوله تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا ومن ثمه
اي ومن اجل انه يفيده في الجملة او لاقامة الحجة صار اي علم المناظرة مباحا عند بعضهم بل
فروض الكفاية اي عند ارباب الدراية في زمان البدع اي ايام ظهور انواع البدع صونا للعقائد
اي عن تزلزلها في القواعد لتحصيله وهو انما يكون مباحا او فرض كفاية على الزكي اي الفطن كفصيح
اي القادر على التقرير والتحرير المتدين المتجرد له اي لتحصيله في هذا الفن ليقدر على الفهم اي اولا
والتقرير اي التفهيم ثانيا والثبات على الحق اي ثالثا والاستكمال لازالة الشبهة دون العامة
اي لا يباح لعامة الناس ان يخوضوا في هذا البحر العظيم فان فيه من الخطر الجسيم والمراد بالعامي
هنا من لم يستحكم عقائده بالكتاب والسنة واجماع الامة وسائر الادلة العقلية والحجج النقلية

لانه اى علم النظر دواء فيحتاج اليه عند الحاجة كالادوية والعامى ليس له معرفة بكيفية استعمال
هذه الدواء فلا حاجة اليه بل استعماله وبال عليه بخلاف ما قد سبق من الادلة الثلثة
التى هى الكتاب والسنة واجماع الامة فهو غذاء اى فانها كالغذاء للبدن فلا بد للعامى منها فقد قال
فتح الموصلى اليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت فقالوا بلى فقال فكذلك القلب
اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلثة ايام يموت واما دقايق المعتقدات وحقايق المختلفات فيستغنى عنها
العامى حتى لو مات قبل ان يعتقد ان كلام الله قديم وانه مرئى وانه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك
فقد مات على الاسلام اجماعا بكلام واضح اى هو من فروض الكفاية على الذكى الفصيح بكلام ظاهر
سديد اى مسدد فاهم مرتب من الشرع ليقرب اى ذلك الكلام من الفهم اى الذى يقتضيه الطبع و
يبعد عن ورود الشبهة والهوى اى هوى النفس وهوى البدعة والوسوسة اى الناشئة من النفس
والشيطان دون التعمق المشوش اى ولا يباح لمن ينظر فى علم النظر ان لا يتعمق فيه بحيث
يوسوس عليه ما يعنيه والتجاوز اى ودون التعدى الى هذيانات اى وترهات تزويرها
الطباع وتمجها الاجماع اخترعها المبتدعة اى من الخوارج والروافض والمعتزلة
ثم اعلم ان المصنف فى هذا المقام تبع حجة الاسلام فى اباحة علم الكلام واقتفاه فى
تفاصيل ما ذكره من المرام الا ان السلف الكرام وجماعة من الخلف الفخام اتفقوا على
ان علم الكلام من العلوم المذمومة وهو ما تنصب فيه الادلة العقلية وتنقل فيه
اقوال الفلاسفة والحكماء الطبيعية والا فعلم العقايد بالحجج الشرعية والبراهين
النقلية اشرف العلوم الدينية لانه يبحث فيه عما يتوقف صحة الايمان عليه وتمامه الا ذمة
لدير فعن الشافعى لان يلقى الله العبد بكل ذنب ما خلا الشرك خير له من ان يلقاه
بشىء من علم الكلام وذكر فى غياث المفتى عن ابى يوسف انه لا يجوز الصلوة خلف المتكلم
وان تكلم بحق لانه مبتدع ولا يجوز خلف المبتدع وكان ابو حنيفة يكره الجدال على سبيل
الحق حتى روى عن ابى يوسف انه قال كنا جلوسا عند ابى حنيفة اذ دخل جماعة فى ايديهم
رجلان فقالوا ان احد هذين يقول القران مخلوق وهذا ينازعه ويقول غير مخلوق
فقال لا تصلوا خلفهما فقلت اما الاول فنعم فانه لا يقول بقدم القران واما الاخر فما
باله لا يصلى خلفه فقال انهما ينازعان فى الدين والمنازعة فى الدين بدعة كذا فى مفتاح
السعادة ومن جملة العلوم المذمومة علم المنطق الذى هو مسمى بدهليز الكفر فقد
صنف شيخ مشايخنا جلال الدين السيوطى رسالة مستقلة فى تحريمه ونقل عن الائمة
الاربعة ما يدل على تسليمه ومن جملتها علم السحر كما يدل عليه قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا

الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ومنها
علم النجوم فقد ورد تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى ظلمات البر والبحر ثم انتهوا ابن مردويه
والدارقطنى عن ابن عمر رب معلم حروف ابى جاد دارس فى النجوم ليس له عند الله خلاق يوم
القيمة الطبرانى عن ابن عباس من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد احمد و
ابو داود وابن ماجة عن ابن عباس مثل الناظر فى النجوم كالناظر فى عين الشمس كلما اشتد
نظره فيها ذهب بصره الديلمى عن ابى هريرة وعن الربيع بن سبرة الجهنى قال لما ان عمر رض و
اراد الخروج الى الشام خرجت معه فلما اراد ان يدلج نظرت فاذا القمر فى الدبران فاردت ان
اذكر ذلك لعمر فعرفت انه يكره ذكر النجوم فقلت له يا ابا حفص انظر الى القمر ما احسن استواءه الليلة
فنظر فاذا هو فى الدبران فقال قد عرفت ما تريد يا ابن سبرة تقول ان القمر فى الدبران والله ما
نخرج بشمس ولا قمر الا بالله الواحد القهار الخطيب وابن عساكر عن عبد الله بن عوف بن الاحمر ان مسافر
ابن عوف بن الاحمر قال لعلى ابن ابى طالب رضى الله عنه حين انصرف من الانبار الى اهل النهروان يا
امير المؤمنين لا تسر فى هذه الساعة وسر فى ثلث ساعات يمضين من النهار قال على رضى الله عنه ولم
قال لانك ان سرت فى هذه الساعة اصابك انت واصحابك بلاء ومن شديد وان سرت فى
الساعة التى امرتك بها ظفرت وظهرت وطلبت فقال على ما كان لمحمد صلى الله عليه وسلم منجم
ولا لنا من بعده هل تعلم ما فى بطن فرسى هذه قال ان حسبت علمت قال من صدقك بهذا القول
كذب القران قال الله تعالى ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الارحام
الاية ما كان محمد صلى الله عليه وسلم يدعى ما ادعيت علمه تزعم انك تهدى الى علم الساعة التى
تصيب السوء من سافر فيها قال نعم قال من صدقك بهذا القول استغنى عن الله فى صرف المكروه
عنه وينبغى للمقيم بامرك ان يوليك الامر دون الله ربه لانك انت تزعم هدايته الى
الساعة التى ينجو من السوء من سافر فيها فمن آمن بهذا القول لم آمن عليه ان يكون كمن اتخذ
دون الله ندا وضدا اللهم لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك نكذبك ونخالفك
ونسير فى هذه الساعة التى تنهانا عنها ثم اقبل على الناس فقال ايها الناس اياكم وتعلم
هذه النجوم الا ما يهتدى به فى ظلمات البر والبحر انما المنجم كالكافر والكافر فى النار والله
لئن بلغنى انك تنظر فى النجوم وتعمل بها لاخلدنك فى الحبس بقيت ما بقيت ولاحرمنك
العطاء ما كان لى سلطان ثم سار فى الساعة التى نهاه عنها فاتى اهل النهروان فقتلهم
ثم قال لو سرنا فى الساعة التى امرنا بها فظفرنا وظهرنا لقال قائل سار فى الساعة التى امر بها
المنجم ما كان لمحمد منجم ولا لنا من بعده ففتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر وسائر البلدان

ايها الناس توكلوا على الله وثقوا به فانه يكفيكم ما سواه الحارث والخطيب وعن علي رضي الله عنه
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا علي لا تجالس اصحاب النجوم خرايطي في مساوي الاخلاق والديلمي
ومنها علم الرمل والفال ولو من المصحف فانه من قبيل الازلام المنصوص في القران من
الحرام وعن معاوية ابن الحكم مرفوعا كان نبي من الانبياء يخط فمن وافق خطه فذاك احمد ومسلم
وابو داود ومنها علم النسب والتوغل في الصرف والنحو وغيرهما فعن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا
تعلموا من انسابكم ما تصلون به ارحامكم ثم انتهوا وتعلموا من العربية ما تعرفون به كتاب الله
ثم انتهوا البيهقي وعن ابي هريرة رضي الله عنه مرفوعا علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا يضر ابن عبد البر
وعن ابن عباس مرفوعا كذب النسابون قال الله تعالى وقرونا بين ذلك كثيرا ابن سعد وابن عساكر
وفي رواية الديلمي عن عطاء عن ابن عباس وابي هريرة رضي الله عنهم ان النبي عليه السلام دخل المسجد
فراى جمعا من الناس على رجل فقال ما هذا فقالوا يا رسول الله رجل علامة قال وما العلامة قالوا
اعلم الناس بانساب العرب وبالشعر وبما اختلف فيه العرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم هذا علم
لا ينفع وجهالة لا تضر الديلمي ومنها علم الطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات كالكيمياء والسيمياء
واما المباح فالعلم بالاشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الاخبار وما يجري مجريها ومنها
الشطحيات وهي الدعاوي الطويلة العريضة من العشق مع الله والوصال المغني عن الاعمال الظاهرة
حتى ينتهي قوم الى دعوى الاتحاد من العينية وغيرهما من انواع الالحاد ودعوى ارتفاع الحجب والمشاهدة
بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور
الحلاج الذي صلب لاجل اطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله انا الحق وبما حكي عن ابي
يزيد البسطامي انه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة
من اهل الفلاحة فلاحتهم واظهروا مثل هذه الدعاوي فان هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه
البطالة من الاعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والاحوال فلا يعجز الاغبياء عن دعوى
ذلك لانفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما انكر عليهم لم يعجزوا ان يقولوا هذا
انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن
بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله قد استطار في بعض البلاد شرره وعظم في العوام ضرره
حتى من نطق بشيء فقتله افضل في دين الله من احياء عشرة واما ابو يزيد البسطامي فلا يصح
ما حكي وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله تعالى في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو
يقول انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم ذلك منه الا على سبيل
الحكاية كذا في الاحياء ومنها قراءة كتاب الفصوص المخالف للنصوص فانه مشتمل على انواع

من

من كفريات صريحة التي ليس لها تاويلات صحيحة وقد قال ابن المقري في الارشاد ان طائفة ابن
عربي شر من اليهود والنصارى وقد عملت في هذه المسئلة رسالة مستقلة وقد حرم بعض
فقهائنا مطالعة تفسير الكشاف لما فيه من الاعتزال وكذا ينبغي الاحتراز عن مواضع في
البيضاوي تبع فيه مذاهب الحكماء والله سبحانه اعلم بحقايق الاشياء ومنها الطامات
وهو صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة الى امور باطنة لا يسبق منها الى الافهام
كدأب الباطنية في التاويلات فهذا ايضا حرام وضرره عظيم فان الالفاظ اذا صرفت
عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع من غير ضرورة تدعو اليه من دليل
العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ ويسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله
عم فان ما سبق منه الى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن
تنزيله على وجوه شتى وهذا ايضا من البدع الشايعة العظيمة الضرر وانما قصد اصحابها
الاغراب لان النفوس مائلة الى الغريب مستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية الى هدم
جميع الشريعة بتاويل ظاهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكى الغزالي من مذاهبهم في كتاب المستظهري
المصنف في الرد على الباطنية ومثال تاويل اهل الطامات قول بعضهم في تاويل قوله اذهب الى فرعون
انه طغى اشارة الى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغي على كل انسان وفي قوله وان الق عصاك
اي كلما تتوكأ وما تعتمده مما سوى الله فينبغي ان يلقيه وفي قوله عم تسحروا فان في السحور بركة اراد
به الاستغفار في الاسحار وامثال ذلك حتى يحرفوا القران من اوله الى آخره عن ظاهره وعن
تفسيرها المنقول عن ابن عباس وساير العلماء وبعض هذه التاويلات يعلم بطلانها قطعا
كتنزيل فرعون على القلب فان فرعون شخص محسوس تواتر الينا النقل بوجوده ودعوة موسى له
كابي جهل وابي لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة ومالم يدرك بالحس
حتى يتطرق التاويل الى الفاظها وكذلك حمل السحور على الاستغفار فانه كان عم يتناول الطعام
في السحور كما في البخاري ويقول تسحروا وهلموا الى الغداء المبارك كما رواه ابو داود وغيره فهذه
امور تدرك بالتواتر والحس وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك في امور لا يتعلق بها الاحساس فكل ذلك
حرام وضلالة وافساد للدين على الخلق ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا
عن الحسن البصري مع اكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله عم في الترمذي وسننه من فسر
القران برايه فليتبوأ مقعده من النار معنى الا هذا النمط وهو ان يكون غرضه ورايه تقرير امر
وتحقيقه فيستجر شهادة القران عليه ويحمله عليه من غير ان يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية
او نقلية او لغوية ولا ينبغي ان يفهم من الحديث انه يجب ان لا يفسر القران بالاستنباط والفكر

فانّ من الايات ما نقل منها عن الصحابة والتابعين خمسة معان وستة وسبعة واكثر ونعلم قطعاً
ان جميعها غير مسموعة عن النبي عم فانها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطاً بحسن
الفهم وطول الفكر ولذا قال عم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل كما رواه احمد
وابن حبان والحاكم قال صحيح الاسناد ومن يستجيز من اهل الطامات مثل هذه التأويلات مع
علمه بانه غير مرادة بالالفاظ ويزعم انه يقصد بها دعوة الخلق الى الحق يضاهي من يستجيز
الاختراع والوضع على رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هو في نفسه حق ولكنه لم ينطق
به الشرع كمن يضع في كل مسئلة يراه حقاً حديثاً عن رسول الله صلى الله عم فذلك ظلم و
ضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله عم في الصحيحين من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار
بل الشر في تأويل هذه الالفاظ اطم واعظم لانها مبطلة للفقه بالالفاظ وقاطعة طريق
الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية واما اذا اورده الالفاظ والمبنى على مراد الشرع
من المعاني بحسب العبارات ثم زاد على ظواهرها مما يستفاد من سر بها بطريق الارشاد فذلك
نور على نور وجمع بين بطونه وظهوره ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور وفي كل فروع عطف
على في الاصول اي ومن حق العلم التمسك في علم الفروع المسمى بالفقه بالمجمع عليه ان وجد اجماعاً
او بالمتفق عليه بين الاربعة مثل تعجيل صلوة المغرب ثم الاحوط كمسح كل الرأس فان الخروج
عن الخلاف مستحب بالاجماع وكذا اذا كان حنفياً ومسح ذكره او لمس امرأة يتوضأ واذا
كان شافعياً لا يتوضأ من القلتين واذا رعف او افتصد ونحوه يتوضأ وهذه كطريقة
السنية الصوفية حتى قيل انها مذهب خامس في القواعد الفقهية ثم الاوثق اي اذا لم يمكن الاحوط
للتعارض فيتمسك بالاقوى دليلاً كالاسفار في الفجر دون الغلس ووضع اليمين على اليسار
دون الارسال وقد بينا الادلة بيننا وبين المخالفين معنى في شرح النقاية والله ولي
الهداية في البداية والنهاية ثم قول من ظن اي اذا لم يكن مجتهداً او لم يظهر له دليل ولا بد
له ان يتقلد فيتمسك بقول من غلب على ظنه انه افضل وفي مقام الفقه اكمل لان نفسه
حينئذ ينقاد الى قوله ويخضع لرأيه ويتبادر الى امتثال امره ونهيه وزاد ابن الحجر في شرحه اصله
قوله والعمل به اكثر وهذه زيادة فائدة ان صحت لها منفعة عائدة ثم قال وكل من ابي حنيفة
ومالك والشافعي امتاز باقليم لا يعرف فيه غير اتباعه او يكون فيه اتباعه اكثر كاقليم
الحجاز واليمن ومصر والشام وحلب وعراق العرب والعجم بالنسبة للشافعي وكالمغرب على سعته
بالنسبة الى مالك وكالروم والهند وما وراء النهر بالنسبة لابي حنيفة انتهى ولا يخفى
ان المغرب مختص بالامام مالك واما ما ذكره من اقليم الحجاز وما بعده فمخلوط بالشافعية

والحنفية والمالكية والحنبلية فان الحنابلة موجودون في نجد وتوابعه وكذا في
البصرة وبغداد والاحساء ونواحيها واما شمس علم ابو حنيفة فقد اشرق على المشرق
وغلب على فرق اكثر الورى فان كثرة الاروام وغلبة الهنود والاعجام ربما يكون
اضعافاً مضاعفة على اتباع مالك والشافعي واظن ان الحنفية يكون ثلثي اهل
الاسلام كما يكون المؤمنون ثلثي اهل الجنة في دار المقام ثم الكثرة اصل معتبر عند
العلماء الاعلام كما يشير اليه ما روي عليكم بالسواد الاعظم والله اعلم كابي حنيفة ؍
عندنا معشر الحنفية وكغيره من الائمة الاربعة عند غيرنا فقد علم كل اناس مشربهم وتبع
كل طائفة منهم فرد اي من طرق كلها كلها واهية ابو حنيفة سراج امتي حديث موضوع
كما قاله الصغاني وغيره بل قال السيوطي وما يورد في ذكر ابي ح من الاحاديث فباطل لا اصل
له نعم اخرج الشيخان عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو كان العلم عند الثريا
لتناوله رجال من ابناء فارس قال السيوطي هذا اصل صحيح يعتمد عليه في البشارة بابي حنيفة
وفي الفضيلة التامة له قلت مع زيادة كونه من التابعين اتفاقاً على اختلاف في انه هل روى
عن الصحابة ام لا كما بينته في شرح مسند الامام وقد ورد خير القرون قرني ثم الذين
يلونهم ثم الذين يلونهم ومما يصلح للاستبداد على عظم شان ابي ح ما روي عنه عم
انه قال ترفع زينة الدنيا سنة خمسين ومائة ومن ثمة قال شمس الائمة الكردري ان هذا
الحديث محمول على ابي ح لانه مات تلك السنة كذا ذكره ابن الحجر المكي في الخيرات الحسان في
مناقب ابي حنيفة النعمان وقد ثبت ان اباه ثابتاً ذهب به الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
وهو صغير فدعا له بالبركة فيه وفي ذريته وسمع بصيغة المجهول او المعلوم في المنام انه عم
قال بعد ما قيل اين اطلبك يا رسول الله انا عند علم ابي حنيفة وفي شرح ابن حجر وسمع في المنام
البارى تعالى يقول انا عند علم ابي حنيفة اي بالحفظ والقبول وانزال البركة فيه وفي الا خفين
بره وسلم المخالفون كمالك والشافعي وغيرهما السبقة في الفقه اي غلبته في هذا الفن اصولاً
وفروعاً فقد قال الشافعي قيل لمالك هل رأيت ابا ح قال نعم رأيت رجلاً لو كلمك في هذه
السارية ان يجعلها ذهباً لقام بحجته وهذا من كمال انصاف مالك مع علو مقامه هنالك
وغاية مبالغة في المرام في الاتمام وبيان المرام في جميع المقام وقال الشافعي الخلق كلهم عيال ابي حنيفة
في الفقه وفي رواية عنه من اراد ان يتبحر في الفقه فهو عيال على ابي ح في الفقه وقال
ايضاً من اراد ان يعرف الفقه فليلزم ابا حنيفة واصحابه ذكره ابن حجر وذكر ايضاً ان الشافعي
لما دخل بغداد وزار قبره وصلى عنده ركعتين فلم يرفع يديه في التكبير وفي رواية ان

ان الركعتين كانت الصبح وانه لم يقنت فقيل له في ذلك فقال ليس ادبا مع هذا الامام ان اظهر
خلافه بحضرته والفضل ما شهدت به الاعداء وقال النضر بن شميل كان الناس نياما عن
الفقه حتى ايقظهم ابو حنيفة ودخل على امير المؤمنين المنصور وعنده عيسى بن موسى العابد
الزاهد فقال للمنصور هذا عالم الدنيا فقال له المنصور عمن اخذت العلم قال عن اصحاب عمر وعن
اصحاب علي عن علي وعن اصحاب ابن مسعود فقال له المنصور لقد استوثقت وكان يقول اذا جاء الحديث
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين وعن اصحابه اخذنا ببعض اقوالهم ولم نخرج عنها
او عن التابعين فزاحمناهم فهم رجال ونحن رجال وذكر الامام الاسفرايني باسناده الى علي بن
مديني وهو من اساتذة البخاري وهو الذي طعن في حديث القلتين سمعت عبد الرزاق يقول
قال معمر ما عرفت احدا بعد الحسن البصري يتكلم في الفقه احسن معرفة من ابي حنيفة وتحمل الكلام في
مرام هذا المقام ان تقليد الافضل افضل باتفاق علماء الاعلام وقيل بل يتعين وهو ضعيف
لعموم قوله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقوله عليه السلام اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
ولذا قيل من تبع عالما لقي الله سالما ثم تقليد الاقدم في الاستنباط اولى واتم فالامام الاعظم
والهمام الاقدم هو ابو حنيفة فانه افضل زمانا واكمل شانا فانه من التابعين دون سائر
المجتهدين ثم انه اقدم برهانا واتم بيانا لتقدمه واختصاصه بتدوين الفقه اصلا وفرعا فانه
صور المسائل واجاب عنها واوضح الاسباب والعلل منها وبنى ما يتفرع عليها فهو الذي اخذ الناس
من عين المآخذ وعض عليها بالنواجذ وغيره انما التقط من اقلامه ما سقط ومع هذا ينبغي ان لا
يعتقد من ان اصحابنا مصيبون قطعا وان مخالفيهم مخطئون جزما فان المجتهد يخطئ ويصيب والحق
عند الله واحد ما ذكر في المصفى وشرح البزدوي ولا يتمكن للمجتهد من اصابة الحق قطعا بل على
غلبة الظن حتى انا سئلنا عن مذهبنا ومذهب مخالفنا في الفروع يجيب بان مذهبنا صواب
يحتمل الخطاء ومذهب مخالفنا خطاء يحتمل الصواب على ما في جواهر الفقه وغيره وهذا لا
ينافي قولنا الاجمالي ان مذاهب الاربعة حق لاتفاقهم على مآخذهم من الكتاب والسنة واما
قول بعضهم يجب ان يجيب بما قدمنا فليس في محله ان لم يظهر دليل وجوبه نعم ينبغي ان يقول كذا
بناء على غلبة ظنه في الاصول نقول نحن على الحق ومخالفنا على الباطل كالمعتزلة وامثالهم من
من اهل البدعة لنابذتهم ظواهر الكتاب والسنة وكان يقوم كل الليل بعد ان كان يحيي نصفه
فاشار اليه انسان وهو يمشي فقال هذا هو الذي يحيي الليل كله فلم يزل بعده يقوم الليل كله و
قال انا استحيي من ان اوصف بعبادة ليست في تحرزا من دخوله في قوله تعالى يحبون ان
يحمدوا بما لم يفعلوا وقال بعضهم ما رأيت اصبر على الطواف والصلوة والفتيا بمكة من ابي حـ

انما

انما كان كل الليل والنهار في طلب الآخرة ذكره ابن حجر وقال ابن عز ومن مناقبه انه صلى الفجر بوضوء
العشاء اربعين سنة فقيل له ما الذي قواك على هذا فقال دعوة الله باسمائه على حروف
المعجم وهي مجموعة في كل من الآيتين محمد رسول الله الى آخر سورة الفتح والثانية ثم انزل عليكم
من بعد الغم امنة نعاسا يغشى طائفة منكم الآية في سورة آل عمران وانه كان يختم في رمضان
ستين ختمة ختم بالليل وختم بالنهار وسمع هاتفا اي في المنام كما قاله ابن الحجر او بين النوم و
اليقظة كالالهام في الكعبة اي بعد ان ختم القرآن في الركعتين ان يا ابا حنيفة اخلصت خدمتي
واحسنت معرفتي فقد غفرت لك ولمن تبعك الى قيام الساعة ذكر في آخر خزانة المفتين انه
حكي ان ابا حنيفة لما حج حجة الوداع دخل الكعبة وقام بين العمودين على رجله اليمنى حتى قرأ
نصف القرآن وركع وسجد ثم قام على رجله اليسرى وقد وضع قدمه اليمنى على ظهر رجله
اليسرى حتى ختم القرآن فلما سلم بكى وناجى وقال الهي ما عبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك
لكن عرفك حق معرفتك فهب نقصان عبادته بكمال معرفته فهتف هاتف من جانب البيت قد
عرفت واخلصت المعرفة وخدمت واحسنت الخدمة وقد غفرنا لك ولمن تبعك وكان على مذهبك
الى قيام الساعة انتهى ولا يخفى ان الصلوة على قدم واحدة مكروهة فلعل فعله هذا قبل ان
يتبين له هذه المسئلة او الكراهة مختصة بالفريضة فان امر النوافل مبني على التوسعة وهذا اشكال
آخر حيث قال الامام عرفنا حق معرفتك والمشهور على السنة سائر الاعلام ما عرفناك حق معرفتك
والجواب انه اراد من حق المعرفة قدر ما اوجبه الله تعالى عليه بحسب الوسعة والطاقة وانهم
ارادوا نهاية المعرفة وغاية العلم المعبر عنها بالاحاطة وقد قال الله تعالى ولا يحيطون به علما و
قال وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء واما العبادة حق العبادة
المعبر عنها بالتقوى حق تقاته المفسر بان يطاع ولا يعصى ويذكر ولا ينسى فكل احد عاجز عن
ذلك كما اخبر الله به عنه بقوله كلا لما يقض ما امره فالانسان محل النسيان والمخلوق في مقام النقصان
والله المستعان وتلمذ له كبار من مشايخ مثل ابراهيم بن ادهم وفضيل بن عياض وداود الطائي
وابن المبارك والليث بن سعد والامام مالك على ما ذكره ابن حجر وغيرهم لكن لا يخفى ان تلمذ
مالك لابي حنيفة غير ظاهر نعم قد يكون كل منهما اخذ عن صاحبه والله اعلم بحقيقة منصبهما
واما مشايخه فقد ذكر الكردري ان ابا حنيفة ادرك الامام محمد بن علي بن ابي طالب رضي الله
عنهم ويسمى محمدا الباقر لتبقره في العلوم وتبحره وكذا ادرك ولده الامام جعفر الصادق
وكذا زيد بن اسلم مولى امير المؤمنين عمر بن الخطاب وكذا شعبة الرائي شيخ الامام مالك وكذا
شعبة بن الحجاج الذي يقال له امير المؤمنين في الحديث ومنهم الامام الاوزاعي امام اهل الشام

وكان من جلالته ان مالكا والثوري احدهما يقود حماره والاخر يسوقه ومنهم عطا بن ابي رباح
المكي كان جعدا لشعر اسود افطس اشل اعور ثم عمي بعد ذلك قال ابو حنيفة ما رايت افقه من
حماد ولا اجمع من عطاء ومنهم ابو بكر بن عاصم بن ابي النجود بفتح النون وضم الجيم الامام في
القراءة تابعي جليل القدر ومنهم عامر بن شراحيل الشعبي قال ادركت خمسمائة من اصحاب
النبي م وكان يعجبه هذا البيت شعر ليست الاحلام في حين النهى ۰ انما الاحلام في حين
الغضب ۰ قلت وهو مقتبس من قوله م الصبر عند الصدمة الاولى وفي الجملة بلغ عدد
مشايخ امامنا اربعة آلاف واما اصحابه فلا يعد ولا يحصى بلا خلاف وقد نظم بعضهم
هذا المعنى محسينا للمبنى ۰ غدا مذهب النعمان خير المذاهب ۰ كالقمر الوضاح خير الكواكب ۰ تفقه
في خير القرون مع التقى ۰ فمشربه لا شك خير المشارب ۰ ثلاثة آلاف والف شيوخه ۰ واصحابه
مثل النجوم الثواقب ۰ وتحمل لتقلد القضاء بان يكون قاضي قضاة جميع الدنيا وكذا التولية مفاتيح
خزاين بيت المال شرقا وغربا وعجما وعربا ما تحمل اي من الضرب والحبس والشتم ايثارا لعذاب الدنيا
على عقاب العقبى من كمال التقوى وعن الامام الاحمد انه ذكر اباه فقال كان زاهدا ورعا ضرب
على القضاء احدى وعشرين سوطا فابى وعن سهل بن مزاحم بذلت له الدنيا فردها وضرب عليها بالسياط
فلم يقبلها من قليلها وكثيرها وما خالط الظلمة اي باختياره وما قبل منهم شيئا لكمال
اقتداره فعن النضر بن محمد المروزي قال المعيشة ببغداد وانا اريد الكوفة فقال لابني حماد
قوتي في الشهر درهمان من سويق وقد حبسته عني فعجله الي وكان في ذلك اليوم
حبسه المنصور للقضاء ببغداد وروي ان المنصور كان يريد ان يقرب الامام فيقول
الامام لا اتلك ان قربتني فتنتني وان ابعدتني احزنتني وليس عندك ما ارجوك
له وليس عندي ما اخافك عليه وانا غني بمن اغناك فلن اغشاك فيمن يغشاك و مثله
ذكر عن الامام محمد بن الحسن انه قال لعيسى بن موسى والي الكوفة وزاد في اخره مما انشا
قائلا وكسرة خبز وقعب ماء وفرد ثوب مع السلامة خير من العيش في نعيم يكون من
بعده ندامة ثم ماذكرنا من افعال المنصور بالامام فعل يزيد بن هبيرة والي الكوفة به مثله
انضا في زمان المروانية كما رواه العسكري وغيره عن يحيى بن اكثم عن ابي داود وقال اراد
ابن هبيرة ان يولي الامام قضاء الكوفة فابى فحلف ابن هبيرة ان لم يقبله يضربه بالسياط
على راسه ويحبسه فحلف الامام على انه لا يلي منه فقيل له انه حلف على ان يضربك قال
ضربه في الدنيا اهون من معالجة مقامع الحديد في العقبى والله لا افعل ولو قتلني فقيل له
انه حلف ان لا يخليك وانه يريد بناء قصر فتولى له عد اللبن فقال لو سالني ان اعد له ابواب

المسجد ما فعلت فذكر للامير فقال ابلغ قدره انه ما رضي في اليمين فدعاه فشافهه و حلف
ان لم يقبل يضربه على راسه عشرين سوطا فقال مقامك بين يدي الله تعالى فانه اذل
من مقامي هذا ولا تتهددني فاني اقول لا اله الا الله محمد رسول الله والله يسالك عني
حيث لا يقبل منك الجواب الا بالحق فاومي الى الجلاد ان امسك وبات في السجن وقد
انتفخ وجهه وراسه من الضرب وعن ابن المبارك ان الرجال في الاثم سواء حتى يقع في
البلوى فقد ضرب ابو حنيفة على راسه في السجن حتى يدخل في الحكم فصبر على الذل والضرب في الحبس
طلبا للسلامة في دينه وعن ابي عبد الله ابن حفص الكبير البخاري ان الفتنة لما ظهرت بخراسان
دعا ابن هبيرة العلماء كابن ابي ليلى وابن شبرمة وداود بن هند وولى كل واحد منهم شيئا
من عمله وعرض على ابي حنيفة ان يكون الخاتم في يده لا ينفذ كتابا الا من تحت امره فابى
فحلف الامير انه ان لم يله نضربه في كل جمعة سبعة اسواط فقال الفقهاء لابي حنيفة انا اخوانك
ننا شدك على ان تهلك نفسك وكنا نكره عمله ولكن لم نجد بدا منه فقال لو ارادني ان
اعد ابواب مسجد واسط لم اعدله فكيف وهو يريد مني ان تكتب في يد رجل واختم له والله
لا ادخل في ذلك فقال ابن ابي ليلى دعوه فانه مصيب فحبسه الشرطي جمعتين وضربه
اربعة عشر سوطا ثم اجتمع مع الامير فقال الا ناصح لهذا ان يستمهلني فاستمهله
وقال استشاور اخواني فخلاه فهرب الى مكة في سنة مائة وثلثين الى ان صارت الخلافة
للعباسية اقام بها فقدم الكوفة في زمن المنصور فعظمه وامر له بجايزة عشرة الاف درهم
وجارية ولم يقبلهما وروي انه يتمثل كثيرا ۰ عطاء ذي العرش خير من عطائكم ۰ وسيبه واسع
يرجى وينتظر ۰ انتم يكدر ما تعطون منكم ۰ والله يعطي فلا من ولا كدر ۰ وروي انه
لما ارسل اليه ابو جعفر المنصور بعشرة الاف على يد الحسن بن قحطبة ولم يمكنه ردها اوصى ابنه
حمادا انه اذا مات ودفن يردها للحسن ففعل فقال رحمة الله على ابيك لقد كان شحيحا على
دينه وما اشتغل بالدعوة الى بدعوة الناس الى مذهبه الا باشارة النبوية في المنام اليه
ليدعوهم الى مذهبه بعدما قصد الانزواء الى الاستخفاء عن الانام وحكاية رؤيا الامام
مشهورة بانه ينبش قبره عم ويؤلف العظام الكرام ويضع بعضها الى موضع مناسب للمقام
فعبر ابن سيرين من اجلاء التابعين للمنام ان صاحبها رجل يحيي به الله سنن الاسلام مما
اميتت فيما بين الانام والا ظهر ان يقال مما تفرقت بين الصحابة الكرام والتابعين لعظام
لجمعها الامام ورتبها اصولا وفروعا يلتئم بها الاحكام على وجه الاحكام وما استظل
بحايط المديون حين اتاه متقاضيا اي طالبا لقضاء دينه فعن يزيد بن هارون رايته يوما

بفناء دار غريم له قد قام في الشمس فانكرت فقال لي علي ما لكه مال اخاف ان اجلس في ظله ومثله عن يحيى بن زائدة الا انه قال حلفته بالله العلي العظيم عن مانع الاستظلال فقال اخاف ان يكون قضا جر منفعة قال وما اراه على الناس لكن على العالم ان يأخذ بعلمه اكثر مما يدعو اليه والمعنى انه ينبغي له ان يعمل بالتقوى لا بظاهر الفتوى كما يشير اليه قوله عم استفت قلبك وان افتاك المفتون وقد اغرب شمس الائمة حيث رد هذا في كتاب الصرف وقال انه من التكلف لا من التزهد انتهى وهذا جرأة عظيمة منه وجرعة جسيمة عنه و مما يرد عليه ما ذكر في صفات الصالحين ان امرأة سالت الامام احمد ان شموع الطاهر تعبر من محلتنا وتغزل في ضوئه ونحن على السطوح طاقة او طاقتين فهل يحل لنا ثمن ذلك الغزل فقال الامام احمد من انت فقالت اخت بشر الحافي قال لها ان هذا الورع الصافي خرج من آل بشر فعلم بهذا ان دقائق الورع مما لا غاية لها ولا نهاية فلا يقاس الملوك بالحدادين وتصدق بجميع ما اتى به وكيله لما اختلط به ثوب معيب بيع مخفيا كان حفص بن عبد الرحمن شريك الامام فبعثه الى التجارة وقال له في ثوب كذا عيب فباع بلا بيانه وجاء بربح فتصدق بحصته وفاسخ الشركة قال المرغيناني وكان الربح خمسة وثلثين الف درهم وعن ابي المليح انه قال الامام ما ملكت اكثر من اربعة الاف درهم منذ اكثر من اربعين سنة الا اخرجتها وانما امسكتها لقول علي ربعة آلاف درهم وما دونها نفقة ولولا اني اخاف ان الجئ الى هؤلاء ما تركت واحدا منها وانا عالم برد غبنه لمشتريه ويسترده كانه للجهل بالمشترى مع اليأس بجمله او لانه راى في هذا انفع المشترى في الدنيا وراى نفع نفسه في العقبى وعن ابن المبارك ان الامام اراد شراء امة فمكث عشرين سنة يستخير ويشاور ثم اي شئ يشترى وترك لحم الغنم اي اكله لما فقدت شاة في الكوفة وعن ابن المبارك وقعت اغنام من الغارة في الكوفة فسال العزمة حياة الغنم فقيل سبع سنين وهذه المذكورات بعض مناقبه ونبذة يسيرة من جملة مراتبه منضمة الى مناقب اي كثير يعسر تعدادها اي ان قصد استيفاء ارادها وقد لخصت مناقبه العلية ومناقب اصحابه الجلية وذيلته بطبقات اتباعه الحنيفية وسميته بالاثمار الجنية في الاسماء الحنفية واختصرت على مناقب الامام هنا تبعا للمختصر او وقد اوردت مناقب الائمة الاربعة في المرقات شرح المشكاة استكثارا الباب الاول في الورد اصل الورد قصد الماء ومنه قوله تعالى ولما ورد ماء مدين والماء المرتفع المعد المهيأ للورود ومنه قوله تعالى بئس الورد المورود وسمي كل قول وفعل ياتيه الانسان في وقت معين على وجه مبين وردا وهو المراد هنا واما ما حدث صاحب الورد ملعون وتارك الورد ملعون فباطل

لا اصل له ورد اي في قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليعرفون فيعبدوني او ليعبدوني فيعرفوني كما هو شان المراد والمريد في مسالك المسالك المعبر عنهما بالمجذوب والسالك وهي اي العبادة المأخوذة من يعبدون انواع اي اصناف ستة منها الصلوة وهي افضلها واكملها واشملها واجملها فورد ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد اي الايمان بالله ورسوله احب الي من الصلوة كذا في الاحياء مع زيادة ولو كان شئ احب اليه منها تعبد به الملائكة فمنهم راكع ومنهم ساجد وقائم وقاعد وقال العراقي لم اجده هكذا وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر البزار من حديث ابي الدرداء باسناد فيه مقال ذكره العراقي وفي رواية الطبراني عن ابن عباس من ترك صلوة لقي الله وهو عليه غضبان وفي الاوسط عن انس من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر جهارا اي قارب الكفر لان المعاصي بريدة يقال دخل البلدة لمن قاربها فالمراد به المعنى المجازي المعبر عنه بالمشارف خلافا للخوارج ومن تبعهم في حمله على الكفر الحقيقي او معناه كفر نعمة الله بترك عبادة مولاه او عمل عمل الكفرة او كفر في عاقبة امره او محمول على مستحل تاركه او منكر فرضيته وفي رواية احمد والبيهقي من حديث ام ايمن ورجال اسناده ثقات من ترك صلوة متعمدا فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام وفي رواية الطبراني في الاوسط من حديث انس اول ما يحاسب به العبد الصلوة فان فسدت فسد سائر عمله والاحاديث في هذا الباب كثيرة شهيرة وناهيك في شرفها قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وحقها اي حق الصلوة الذي يقوم بها ان تطهر الظاهر اي ظاهره عن الحدث اي النجس الحكمي من الاصغر والاكبر بدنا والنجس اي الحقيقي المسمى بالخبث بدنا وثوبا والنجس بالفتح عين النجاسة وبالكسر المتنجس والجوارح عن الجريمة اي اعضاءه عن اكتساب الاعمال الظاهرة الذميمة والقلب عن الذميمة اي الاخلاق الباطلة الدنية والاحوال الواردة الردية و السر اي الذي لا يطلع عليه الا الله عما سواه اي يظهره عن حضور غير الله وخطوره لاستهلاك غيره في جنب تجلي نوره والغاية القصوى في عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله بالحقيقة بالسر ما لم يرتحل ما سوى الله تعالى عنه ولذا قال الله عز وجل قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون لانهما لا يجتمعان في قلب واحد وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه واما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته في العقايد الحسنية السنية وبالشمائل البهية الرضية ولم يتصف بها ما لم يتنظف من نقايضهما من العقايد الفاسدة والاخلاق الكاسدة فتطهيرها احد الشطرين وهو الشطر الاول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعنى وكذا تطهير الجوارح عن المناهي والملاهي احد الشطرين وعمارتها بالطاعات الشطر الثاني وخلاصته ان التخلية نصف الايمان والتحلية نصف الايقان وبهما كمال العرفان فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة من طبقات الاتقان ولن ينال العبد الطبقة العالية

الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة
ما لم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذمومة وعمارته بالخلق المحمودة ولن يصل الى ذلك ما لم يفرغ
عن طهارة الظواهر عن المناهي وعمارتها بالطاعة كما هي وكلما عز المطلوب وشرف المحبوب صعب مسلكه و
طال طريقه وكثرت عقباته فلا يظن ان هذا الامر يدرك بالمنى وينال بالهوينا قال تعالى ليس بامانيكم
ولا اماني اهل الكتاب الآية هذا اى المذكور من طهارة في كل رتبة نصف اى نصف صحة عمل الصلوة و
الاجزاء النصف الثاني هو العمارة بالطاعة ظاهرا وباطنا اى عمارة الجوارح و الجوانح بالعبادة المختلفة
من القيام و القراءة والركوع والسجود والقعود وسائر الاحوال المؤتلفة فورد الطهور بفتح الطاء
وضمها بمعنى المصدر وما يطهر به نصف الايمان احمد ومسلم والترمذي عن ابي مالك الاشعري في حديث
طويل والمعنى ان الايمان يطهر نجاسة الباطن والطهور يطهر نجاسة الظاهر كذا في النهاية وقيل
المراد بالايمان الصلوة كما قال تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اى صلوتكم الى البيت المقدس فيراد بنصفها
شطرها وبعضها فانه اقوى شرطها والاصل اى في التطهير الذي عليه مدار العمل طهارة الباطن
لانه محل النظر الالهي حيث ورد ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم واعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واحوالكم
فهذا اى الصحابة كانوا بالغوا فيها اى طهارة الباطن ويساهلون في الظاهر اى يتسامحون في طهارة الظاهر
حتى كانوا اى احيانا يمشون حفاة اى بلا نعل في الطين اى طين الازقة ويجلسون عليها ويصلون معه
اى من غير غسله ويأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب وتبول عليه ولا يحترزون عن
عرق الابل والخيل والحمير مع كثرة تمرغها في النجاسات وقد انتهت النوبة الآن الى طائفة تمعن احدهم في
الطهارة الظاهرة ويستقصي في مجاريها ويستوعب جميع اوقاتها في الاستنجاء وغسل الثياب و
تنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وخيل العقل ان الطهارة المطلوبة
المشرفة هي هذه فقط وجهالة سيرة الاولين واستغرقهم جميع الهم والفكر في تطهير القلب وتساهلهم
في امر الظاهر حتى ان عمر رضي الله عنه مع علو منصبه توضأ من ماء في جرة نصرانية وحتى انهم ما كانوا
يغسلون اليد من الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون اصابعهم باخمص اقدامهم وعدوا الاشنان وهو
من الغسول والصابون من البدع المحدثة وكانوا يقتصرون على الحجارة في الاستنجاء وصلى عليه السلام متنعلا
اى لابسا نعليه مرة فاخبر اى اخبره جبرئيل عم بتلطخها اى باصابة نجاسة فنزع اى نعله بعمل قليل
واتم صلوته من غير استيناف ولا اعادة والحديث رواه ابو داود والحاكم وصححه من حديث ابي سعيد
الخدري وتلك قال بعضهم الصلوة في النعلين افضل اذ لما نزع رسول الله صلى الله عم نعليه باخبار
جبرئيل عم له ان عليها نجاسة وخلع الناس نعالهم قال صلى الله عم لم خلعتم نعالكم قالوا رايناك
خلعت فخلعنا نعالنا وقال النخعي في الذين يخلعون نعالهم وددت لو ان محتاجا جاء فاخذها منكر

منكر الخلع النعال واما اهل زماننا فلو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر او مشى على الارض
حافيا او صلى على الارض على بوار المسجد من غير سجادة مفروشة او مشى على الفرش من غير غلاف
للقدم من ادم ونحوه او توضأ من آنية عجوز او رجل متقشف اقاموا عليه النكير ولقبوه
بالقذير واستنكفوا عن مواكلته واستكبروا عن مخالطته فسموا البذاذة التي هي من الايمان
قذارة والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين
رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه ولم يبق الا رسمه ووسمه ولكن للظاهر اى لطهارته ايضا اثر
في تنوير الباطن للارتباط الذي بينهما ولذا قيل الظاهر عنوان الباطن حتى ان الجامع في حال
مباشرته لو ادمن النظر الى بياض مشرق او حمرة قانية الى ان غلب تلك الصورة على نفسه مال لون
المولود الى ذلك اللون الذي غلب عليه وان الجنين اذا تحرك في البطن وكانت الام مشاهدة
في تلك الحال لصورة حسنة من الجمال بحيث غلبت تلك الصورة على نفسها في عالم الخيال
من باطنها نزعت صورة ذلك الجنين الى تلك الصورة الحسنة التي شاهدتها امه فعلم من
هاتين الصورتين ان للظاهر اثرا في عالم الباطن كما يصادف اى يوجد اثره عند اسباغ
الوضوء بفتح الواو وضمها اى اكماله واسباغه وسائر الاعمال الظاهرة اى حيث تتأثر بها
الاحوال الباطنة لارتباط الملك اى عالم الظاهر السفلي بالملكوت وهو عالم الباطن العلوي
فاذا كان شخص يرشح كل يوم بالماء جانب جداره البراني فلا شك ان اثر ذلك الترشح يظهر
في الجدار من جانب الطرف الداخلاني وقد ورد مثل الصلوات كمثل نهر جار عذب على باب
احدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات فما يبقى ذلك من الدرن احمد ومسلم وجابر في الاحياء انه
ان الانسان اذا اسبغ الوضوء واستتر نظافة ظاهره وجد في قلبه صفاء وانشراحا لم يكن
يصادفه قبله وذلك النظافة العلاقة التي بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فان ظاهر
الانسان من عالم الملك والشهادة وقلبه من عالم الملكوت والغيب فان كنت لا تصادف
بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئا من الصفاء الذي وصفناه فاعلم ان الخبث الذي استولى
على قلبك من كدورات شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كلال حس القلب فصار لا يحس
باللطائف والاشياء الخفية ولم يبق في قوته الا ادراك الامور الجلية فاشتغل بجلاء قلبك
وتصفيته بالطبك فان ذلك اوجب عليك من كل شيء انت فيه ومن ثمة اى ومن اجل ارتباط
الملك بالملكوت تصدق رؤيا من اعتاد الصدق اى وتكذب رؤيا من اعتاد الكذب كما قيل
كل اناء يترشح بما فيه فيدا وم تفريع على قوله لكن للظاهر اثر في تنوير الباطن والمعنى اذا كان
كذلك فيواظب على الوضوء فقد ورد دم على الطهارة يوسع عليك الرزق بل ينبغي ان يجدد

الطهارة بكل صلوة كما كان يفعله ع م نظرا الى ظاهر الاية و انما صلى عام الفتح خمس صلوات بوضوء
واحد فسأله عمر عن ذلك فقال عمدا صنعت يا عمر يعني ليعرف انه ليس بفرض فتقدير الاية اذا
قمتم الى الصلوة وانتم محدثون لان الاصل في الامر ان يكون للوجوب والحديث من توضاء على طهر
كتب الله له عشر حسنات ابو داود والترمذي وابن ماجة من حديث عمر باسناد ضعيف والضعيف
يعمل به في فضائل الاعمال اتفاقا مع ان كثرة الطرق ترقي الضعيف حسنا وفا قالم اجد له
اصلا وتعقبه العسقلاني بقوله رواه رزين في مسنده وهو حديث ضعيف وينبغي ان يستنجي
لمقعدته بثلثة احجار فان انقى بها كفى والا استعمل رابعة فان انقى بها والا استعمل خامسة
لان الانقاء والايتار مستحب قال ع م من استجمر فليوتر متفق عليه من حديث ابي هريرة فياخذ
الحجر بيساره ويضعها على مقدم المقعد قبل موضع النجاسة ويمرها بالمسح والادارة
الى المؤخرة ويأخذ الثانية ويضعها على المؤخرة وكذا يمرها الى المقدمة ويأخذ الثالثة
فيديرها حول المسربة ادارة ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه
ويحرك اليسار فيمسح ثلثا في ثلثة مواضع او في ثلثة احجار او من ثلث مواضع من جدار
جاز له ذلك الى ان لا يرى الرطوبة في محل المسح ثم ينتقل من ذلك الموضع الى موضع آخر ويستنجي
بالماء بان يفيضه على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى له اثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك
الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس لاكثر الناس ويقول عند دخوله
في المطهر بسم الله اللهم اني اعوذ بك من الخبث والخبائث واذا فرغ عن ذلك الحمد لله الذي
اذهب عني ما يوذيني وابقى ما ينفعني واذا فرغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن
فرجي من الفواحش والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روي انه لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون
ان يتطهروا والله يحب المطهرين قال رسول الله صلعم لاهل قبا ما هذه الطهارة التي
اثنى بها الله عليكم فقالوا كنا نجمع بين الماء والحجر كذا في الاحياء وقال العراقي الحديث في اهل قبا
وجمعهم بين الماء والحجر البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن ماجة والحاكم وصححه
من حديث ابي ايوب وجابر وانس بعضهم في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر فقول النووي تبعا
لابن الصلاح ان الجمع بين الماء والحجر في اهل قبا لا يعرف مردود بما تقدم والله اعلم ويتوضاء
بعد نحو الغيبة وهو بكسر الغين ان تذكر اخاك بما يكرهه في غيبته وقد ورد الغيبة تنقض الوضوء
والصلوة رواه الديلمي في مسند الفردوس عن ابن عمر وفي معناها الكذب والنميمة وساير احوال
الذميمة بل قال بعض المشايخ اذا ذكرت الدنيا توضأ واذا ذكرت الاخرة اغتسل يعني ان الدنيا
هي الشهوة الصغرى والعقبى هي الكبرى وكل منهما مانع عن كمال التوجه الى حضرة المولى

واما حديث الوضوء على الوضوء نور على نور فقال العراقي لم

وفي شرح السنة والمستحب ان يتوضاء لكل صلوة وان كان على طهارة لانه ربما جرى على لسانه
كذب او غيبة او سيئة بها ثم قلبه فينبغي ان يجدد الوضوء لدفع ذلك كما يتوضاء لرفع الحدث
الظاهر فان كان لا يمكنه الوضوء فانه يتيمم وينوي بتيممه دفع الاثم وفي العوارف تجديد الوضوء
مستحب بشرط ان يصلي بالوضوء ما تيسر والا فمكروه والقهقهة وان لم تكن في الصلوة اي
في انها اذا كانت في الصلوة فينقض الوضوء عندنا ولكل صلوة قبل الوقت عملا بقوله تعالى وسارعوا
الى مغفرة من ربكم الاية في شرح السنة من المستحب اذا فرغ من البول والغائط ان يتيمم الى ان يبلغ الماء
فيتوضاء هكذا روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ففي الاحياء في بيان طول الامل وقصره انه ع م
كان يتيمم مع القدرة على الماء قبل مضي ساعة وقال لعلي لا ابلغه وحكي عن ذي النون المصري
انه كان على شط النيل يتيمم ويقول اخاف ان يدركني الموت قبل ان اتوضاء وفي شرح السنة ويملأ
الاناء للاوقية اي استعدادا للصلوة الآتية ويكره ان يستخلصها لنفسه كذا في السراجية ويطيل الغرة
والتحجيل عند غسل وجهه ويديه ومرفقيه والغرة بياض الجبهة والحجل بياض في قوائم الفرس وهو
وقد ورد ان هذه الامة يحشرون يوم القيمة غرا محجلين من آثار الوضوء وقال ع م من استطاع منكم
ان يطيل غرته فليفعل متفق عليه من حديث ابي هريرة وروي تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء
اخرجه مسلم من حديثه ويستقبل القبلة اي حين الوضوء وورد اشرف المجالس ما استقبل به القبلة
الطبراني عن ابن عباس ولا يستعين بغيره اي مهما امكن فانه افضل اذ الاجر على قدر المشقة ولا يتكلم بكلام
الدنيا والبشر اي في اثناء الوضوء وفي الفتاوى الحجة التكلم في اثناء الوضوء مكروه وفي الاغتسال
اشد كراهة وفي العوارف ادب الصوفية في الوضوء حضور القلب في غسل الاعضاء سمعت بعض الصالحين
يقول اذا حضر القلب في الوضوء يحضر في الصلوة واذا دخل السهو فيه دخلت الوسوسة في الصلوة وينوي
رفع الحدث او استباحة الصلوة او القربة الى الله سبحانه ويبدأ بتسمية الله تعالى فقد ورد لا وضوء
لمن لم يسم الله الترمذي وابن ماجة من حديث سعيد بن زيد احد العشرة والتسمية في اول الوضوء
سنة عند الجمهور واجب عند احمد بهذا الحديث ويستحب ان يقدم على البسملة التعوذ فيقول اعوذ
بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون بسم الله العظيم والحمد لله على دين الاسلام
ويغسل يديه ثلثا قبل ان يدخلهما الاناء لقوله ع م اذا استيقظ احدكم من منامه فلا يغمس يده
في الاناء حتى يغسلها ثلثا فان احدكم لا يدري اين باتت يده مالك والشافعي واحمد والشيخان والاربعة
عن ابي هريرة ويقول عند غسل يديه اللهم اني اسألك اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة
ثم يتمضمض ثلاثا ويبالغ فيه الا ان يكون صائما كما ورد به الخبر ويقول اللهم اعني على ذكرك وشكرك
وتلاوة كتابك ويستنشق ثلاثا ويقول اللهم ارحني رايحة الجنة مع الابرار واغذني بك من

ادعيه وضوء

روايح اهل النار ويستنشر ثلثا فورد اذا استيقظ احدكم من منامه فتوضا فليستنثر
ثلث مرات فان الشيطان يبيت على خياشيمه عن ابي هريرة ويغسل وجهه ثلثا ويقول
اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود وجوه
اعدائك ويفتح العين اي عند غسل الوجه هو غير معروف بل قيل انه فيه خطر العمى فهو حرج
مدفوع عنه ثم يدخل الاصبع في محاجر العينين موضع الرمص ومجمع الكحل وينقيهما و
قد ورد انه عم فعل ذلك اخرج احمد من حديث ابي امامة كان يتعاهد الماقين وروى
الدارقطني من حديث ابي هريرة باسناد ضعيف اشربوا الماء اعينكم اي حوليهما لا تقيم والله
اعلم ويغسل اللحية اللطيفة والكثيفة ويخللها فقد خللوا اللحاكم وقصوا اظفاركم فان الشيطا
ان يجري بين اللحم والظفر الخطيب في الجامع وابن عساكر عن جابر ويجب ايصال الماء الى منابت
اللحية الخفيفة يعني ما يقبل من الوجه واما الكثيفة فلا بل يفيض الماء على ظاهر ما استرسل
من اللحية وقد ورد كان عليه السلام اذا توضا خلل لحيته بالماء رواه احمد والحاكم عن
عايشة وفي رواية ابي داود والحاكم عن انس كان اذا توضا اخذ كفا من ماء فادخله تحت حنكه
فخلل به لحيته وقال هكذا امرني ربي وفي رواية ابن ماجة عن ابن عمر كان اذا توضا عرك عارضيه
بعض العرك ثم شبك لحيته باصابعه من تحتها والعرك المعالجة والدلك ثم يغسل
يديه مع مرفقيه ثلثا فورد انه عم اذا توضا ادار الماء على مرفقيه الدارقطني عن
جابر وفي رواية ابن ماجة عن ابي رافع كان اذا توضا حرك خاتمه ويبدا باليمنى ويقول
اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا وعند اليسرى اللهم اعوذ بك ان يعطيني
كتابي بشمالي او من وراء ظهري ثم يستوعب راسه بالمسح ويقول اللهم غشني برحمتك
وانزل علي من بركاتك واظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظلك ثم يمسح اذنيه ظاهرهما
وباطنهما ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني منادي
الجنة ثم يمسح الرقبة لقوله عم مسح الرقبة امان من الغل يوم القيمة ابو منصور الديلمي في مسند
الفردوس من حديث ابن عمر وهو ضعيف ويقول اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك من
السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلثا ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم
تزل فيه الاقدام ويقول عند غسل اليسرى اللهم اعوذ بك ان تزل قدمي على الصراط يوم تزل
اقدام المنافقين في النار ويخلل باليد اليسرى من اصابع رجل اليمنى ويبدا بالخنصر من الرجل
اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى وقد ورد خلل اصابع يديك ورجليك احمد عن ابن
عباس وفي رواية الدارقطني عن ابي هريرة خللوا بين اصابعكم لا يخللها الله يوم القيمة بالنار

وفي رواية الطبراني عن واثلة من لم يخلل اصابعه بالماء خللها الله بالنار يوم القيمة ويسمي في كل
عضو وقيل ويصلي ايضا على النبي عم ويتشهد فيه اي في كل عضو ففي المحيط من الادب ان يقول
عند كل عضو اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله وبعد فراغ اي ويتشهد
بعد فراغ الوضوء ايضا فقد ورد من توضا فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال
دعاء بعد الوضوء
اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم و
بحمدك لا اله الا انت عملت سوءا وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك
انت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصا
لحين
واجعلني عبدا شكورا واجعلني اذكرك ذكرا كثيرا واسبحك بكرة واصيلا يقال ان من قال
هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله ويقدسه ويكتب له ثواب
ذلك الى يوم القيمة كذا في الاحياء وقال العراقي حديث من توضا فاحسن الوضوء ثم رفع طرفه
الى السماء فقال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له
ابواب الجنة الثمانية يدخل من ايها شاء ابو داود من حديث عقبة بن عامر وهو عند مسلم دون
قوله ثم رفع ويشرب بقية الماء اي فضل الوضوء كله او بعضه قائما مستقبلا لما ورد في اثر
على موقوفا ومرفوعا فعن شمس الائمة الحلواني وان شاء قائما وان شاء قاعدا وذكر شيخ الاسلام
المعروف بخواهر زاده انه يشرب ذلك قائما ولا يشرب قائما الا في موضعين احدهما هذا والثاني عند
زمزم والله اعلم ويسرح اللحية بعده اي بعد فراغ الوضوء الترمذي في الشمائل من حديث انس
كان يكثر دهن راسه وتسريح لحيته وفي الشمائل ايضا بلفظ وحسن انه عم كان يترجل غبا وعند
ابي داود والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن مغفل النهي عن الترجل الا غبا باسناد صحيح وفي الخبر
المشهور انه عم كان لا يفارقه المشط والمدرى والمراة في سفر ولا حضر وهي سنة العرب كذا
مشط مع مرآة
في الاحياء والمدرى العرب يقال الادرى راسه حكه قال العراقي حديث كان لا يفارقه المشط والمدرى
في سفر ولا حضر ابن طاهر في كتاب صفة التصوف من حديث ابي سعيد كان لا يفارق مصلاه
سواكه ومشطه ورواه الطبراني في الاوسط من حديث عايشة واسنادهما ضعيف قال العراقي
وفي حديث غريب انه كان يسرح لحيته في اليوم مرتين قال العراقي تقدم حديث انس كان يكثر تسريح
لحيته وللخطيب في الجامع من حديث الحاكم مرسلا كان يسرح لحيته بالمشط وكان عم كث اللحية قد
ملات ما بين منكبيه وكذلك كان ابو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان علي عريض اللحية
قد ملات ما بين منكبيه ذكره في الاحياء وقال العراقي حديث كان كث اللحية الترمذي في الشمائل
من حديث هند بن هالة وابو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي واصله عند الترمذي قال وفي حديث

اعزب منه قالت عائشة رضها اجتمع قوم الى باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فرأيته
تطلع في الجب يسوي من رأسه ولحيته قلت او تفعل ذلك يا رسول الله فقال نعم ان الله يحب من عبده
ان يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم قال العراقي ابن عدي وقال الحديث منكر هذا وقيل كذا ود الطائي
لم لا تسرح لحيتك قال اني اذا لفارغ وفي قوت القلوب قال السبري في اللحية شرك اذ كان تسريحها
لاجل الناس وتركها لاجل اظهار الزهد رياء وقال لو دخل علي داخل فمسحت لحيتي لاجله لظننت
اني مشرك وتحقيقه ما قال الحجة ان الجاهل ربما يظن ان فعله عم ذلك من حب التزين للانام
قياسا على اخلاق غيره في الدين وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان رسول الله صلى الله عليه
وسلم مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه ان يسعى في تعظيم امر نفسه في قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم
وفي تحسين صورته في اعينهم كيلا يستصغره اعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك
في تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم يتصدى لدعوة الخلق الى الحق وهو ان يراعي من ظاهره
ما لا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد في مثل هذه الامور على النية فانها في نفسها اعمال
يكتسبها وصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث باللحية اظهار الزهد
وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو اهم منه محبوب ومشكور وهذه احوال باطنة
بين العبد وبين الله تعالى والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه
الامور التفاتا الى الخلق وهو يلبس على نفسه وغيره ويزعم ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء
يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون ان قصدهم ارغام المبتدعة والمخالفين والتقرب الى رب العالمين
وهذا امر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعث ما في القبور ويحصل ما في الصدور فعند
ذلك يتميز السبيكة الخالص من البهرج فنعوذ بالله من الخزي يوم الفزع الاكبر وفي اللحية عشر خصال
مكروهة ستأتي في محلها هذا وفي الشرعة وفي الحديث تسريح اللحية عقيب الوضوء ينفي الفقر وروي
من امتشط قائما ركبه الدين ويجتنب اناء ينفر عنه الملائكة كالصفر ومثله النحاس بتبع
الاحياء لكن وردانه عم كان يحب ان يتوضأ من مخضب من صفر ابن سعد عن زينب بنت جحش
لكن يؤيدهما ما في شرح السنة من الادب ان يتوضأ من اناء الخزف ولا يتوضأ من النحاس و
الصفر لان العضو به منهي عنه وفيه ايضا روي عن ابن عمر انه كره الوضوء في اناء صفر وفي
الشرعة لا يتوضأ من اناء نحاس وصفر فان الملائكة ينفرون من ريحهما والماء المشمس اي و
يجتنبه لانه يورث البرص اذا كان في اناء من الصفر في بلاد حارة وهذا في الاواني دون الحياض
وفي الاحياء ويكره ان يتوضأ في اناء صفر وان يتوضأ بالمشمس وذلك من جهة الطب وروي
عن ابن عمر وابي هريرة كراهية الاناء الصفر وقال بعضهم اخرجت لشعبة ماء في اناء صفر فابى

الشعث بفتحتين مصدر الاشعث وهو متغبر الراس نخ

ان

ان يتوضأ منه ولعل الكراهية ذلك عن ابن عمر انتهى وفي الشرعة لا يتوضأ بالماء المسخن بالشمس
وفي حد البجود ولا يكره الوضوء بالماء المسخن بالنجاسات وبه قال ابو حنيفة خلافا لمالك واحمد
ولا بماء زمزم وبه قال ابو حنيفة ومالك خلافا لاحمد ولا بأس بالمشمس في البرك والبحار والانهار
وفاقا ولا اسراف في الماء قال تعالى لا تسرفوا انه لا يحب المسرفين وتوضأ عم ثلثا وقال من زاد
فقد ظلم واساء ابو داود والنسائي واللفظ له وابن ماجة من رواية عمرو بن شعيب عن جده
وقال عم سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور ابو داود وابن حبان
والحاكم من حديث عبد الله بن مغفل وفي شرح السنة انه عم مر على رجل من اصحابه وكان يسرف
في صب الماء فقال عم لا تسرف فقال او في الوضوء سرف قال عم نعم ولو كنت على ضفة نهر جار
وكذا في الجامع الصغير في الفقه وقيل يوزن يوم القيمة ماء الوضوء فان اسرف يعاقب في الضرب
به اي يجتنب لطم وجهه بالماء ونشفه على وجهه اي قول فهو يوزن اي مخبرا ان العمل دون
وجه اي في لاخر فهو مودي في الاحيا كره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قال سعيد بن
المسيب والزهري لكن روى معاذ انه عم مسح وجهه بطرف ثوبه وروت عائشة انه كانت له منشفة
ولكن طعن هذه الرواية عن عائشة قال العراقي حديث معاذ الترمذي وقال غريب واسناده ضعيف
وحديث عائشة الترمذي وقال ليس بالقائم قال ولا يصح عن النبي عم في هذا الباب شيء ونفض اليد
اي ويجتنبه في الاحيا ويكره ان ينفض اليد فيرش الماء ويواظب على السواك اي استعماله اولى
الاستياك من الاراك اي خصوصا وهو الافضل للوارد ولانه يجوز من كل شجرة مرة لانه اطيب
لنكهة الفم واقطع للبلغم وانقى للصدر واوفق للمعدة واهضم للطعام وليكن رطبا مستويا
قليل العقد طول الشبر وغلظ الخنصر ولا يقوم الاصبع مقام الخشبة عند وجودها طولا و
عرضا وان اقتصر فرضا في كل صلوة حتى عند بعض ائمتنا ايضا ووضوءا اي في كل وضوء اتفاقا ومحله ابتداء
الوضوء كما في الاحياء او حال المضمضة لانه من تكميلها وقد قال عم صلوة على اثر سواك افضل من
خمس وسبعين صلوة بغير سواك ابو نعيم في كتاب السواك من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه احمد
والحاكم وصححه البيهقي وضعفه من حديث عائشة بلفظ من سبعين صلوة وقال لولا ان اشق على
امتي لامرتهم بالسواك عند كل صلوة متفق عليه من حديث ابي هريرة وفي رواية لامرتهم بالسواك
مع كل وضوء مالك والشافعي والبيهقي عن ابي هريرة وفي رواية احمد والنسائي عن ابي هريرة لامرتهم
عند كل صلوة بوضوء ومع كل وضوء بسواك وفي رواية الحاكم عن ابن عباس لفرضت عليهم السواك
عند كل صلوة كما فرضت عليهم الوضوء وفي رواية الحاكم والبيهقي عن ابي هريرة لفرضت عليهم السواك
مع الوضوء وفي رواية ابي يعلى عن مكحول مرسلا لامرتهم بالسواك والطيب عند كل صلوة وفي

رواية ابي نعيم عن ابن عمر لامرتهم ان يستاكوا بالاسحار وعند قراءة القرآن فقد ورد ان افواهكم
طرق القرآن فليطيبوها بالسواك ابو نعيم في الحلية من حديث علي ورواه ابن ماجة موقوفا
على علي وكلاهما ضعيف ورواه البزار مرفوعا واسناده جيد وتغير الفم نحو الجوع والنوم
ونحوهما من طول الصمت واكل ما يكره رائحته فورد ما لي اراكم تدخلون علي قلحا استاكوا والقلح محركة
صفرة الاسنان البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب واحمد والبغوي من حديث تمام
ابن العباس والبيهقي من حديث ابن عباس وهو مضطرب وكان عم يستاك في الليلة مرارا
مسلم من حديث ابن عباس وهذا يدل على ان السواك سنة مستقلة غير مختص بالوضوء والصلوة
وعن ابن عباس انه قال لم يزل صلى الله عم يامر بالسواك حتى ظننا انه سينزل عليه فيه شيء رواه
احمد وقال عم عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب البخاري تعليقا مجزوما من حديث
عائشة والنسائي وابن خزيمة موصولا وقال علي السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم وكان
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يروحون والسواك على اذانهم الخطيب في كتاب اسماء من
روى عن مالك وعن ابي داود والترمذي وصححه ان زيد ابن خالد كان يشهد الصلوة و
سواكه على اذنه موضع القلم من اذن الكاتب وفي شرح السنة اما كيفية استياكه فينبغي
ان يبدا بالجانب الايمن من الاعلى والاسفل ثم بالايسر كذلك ثم فيما بين ذلك ويستاك
بالوتر لان الله تعالى وتر يحب الوتر وفي الخلاصة كيفية ان يعالج المسواك بعرضه لكي يمان
الظاهر وبطوله لغيرها وبيده للعليا من جانبه الايمن وللسفلى من جانبيها ثم للعليا من
جانب الايسر ثم للسفلى من جانبها وفي شرح السنة واما المنهي فيه فينبغي ان لا يستاك
قائما ولا بين القوم ولا في الحمام ويكره عند الشافعية بالعشي للصائم وتحقيقه في غير هذا
المقام وفي الخانية عن ابن المبارك لو انكر اهل بلدة السواك لقاتلهم كما يقاتل المرتدين و
يحافظ الجماعة عطف على يداوم الوضوء اي ويراعي صلوة الجماعة فورد صلوة الجماعة تفضل
صلوة الفذ بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر في اقرب المساجد الا ان
يكون في الابعد نية صالحة للعدول عن الاقرب كحضور عالم او شيخ واعظ وكونه اقدم المشاهد
او عمر بالمال الحلال ونحوه من الاحوال ففي الكبرى مسجدان يصلي الرجل في اقدمهما بناء لان له
زيادة حرمة فان كانا سواء ففي اقربهما وان استويا فهو مخير لانه ترجيح لاحدهما وان كان
قوم احدهما اكثر فان كان هو فقيها يذهب الى الذي قومه اقل ليكثر الناس بذهابه الى ذلك
المسجد وان لم يكن يذهب حيث احب رجل في محلته مسجد فحضر المسجد الجامع لكثرة جماعة
فالصلوة في مسجده افضل قل اهل مسجده او كثر لان لمسجده حقا عليه وليس لذلك المسجد

المنهي في السواك

حق عليه فلم يقع الترجيح بكثرة الجمع وفي الخانية اذا كان امام الحي زانيا او اكل الربا له
ان يتحول الى مسجد اخر ساعيا اليه اي حال كونه ماشيا الى المسجد مطلقا لقوله تعالى
فاسعوا الى ذكر الله بنية اجابة النداء اي نداء الداعي الى عبادة رب السماء قال الله تعالى
ومن احسن قولا ممن دعا الى الله الاية فقد قال ابن عباس من سمع النداء ثم لم يجب لم يرد
خيرا ولم يرد به وقال ابو هريرة لان يملأ اذن ابن ادم رصاصا مذابا خير له من ان
يسمع النداء ثم لا يجيبه خاشعا اي خاضعا متواضعا متذللا في طريقه غير متخطي رقبة
اي عند دخوله ولا مار بين يدي مصل فقد ورد لو يعلم المار بين يدي المصلي ماذا عليه
لكان ان يقف اربعين خيرا له من ان يمر بين يديه مالك واصحاب الكتب الستة عن ابي
جهيم وفي ابن ابي شيبة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن مرسلا لو يعلم المار بين يدي المصلي
لاحب ان ينكسر فخذه ولا يمر بين يديه وفي المختار ان المرور حرام اذا وقع بين المصلي و
مسجده سواء كان له سترة او لا ويحمل عليه ما روي الطحاوي عن ان المرور بين يدي المصلي
بحضرة الكعبة يجوز او يحمل على انه في وقت غير قيام المفروض واعتدال صفة بان يصلي في
طريق الطائفين فانه لا حرمة له حينئذ واما اذا كان بينهما فرجة فلا باس لما روى ابو
داود والنسائي وابن ماجة عن المطلب بن ابي وداعة قال رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يصلي في المسجد الحرام مما يلي باب بني سهم والناس يطوفون بينه وبين القبلة مما بين يديه
ليس بينه وبينها سترة ولا متكلم فيه بكلام الدنيا فروي في الاثر او في الخبر الحديث في المسجد
ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش كذا في الاحياء وقال العراقي لم اقف له على
اصل قلت ومعناه صحيح اذ قد ورد ياتي في آخر الزمان ناس من امتي ياتون المساجد فيقعدون
فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحبهم الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة ابن حبان من حديث
ابن مسعود والحاكم من حديث انس وقد قال صحيح الاسناد ويؤدي في الصف الاول فانه الافضل
بازاء الامام اي بحذائه فهو الافضل لاخذه الحظ من الجانبين او عن يمينه وقد يكون يساره
افضل اذا كان الناس هناك اقل ويتم الاركان اي بحد الامكان ويراعي السنن اي الرواتب
او سنن الصلوة والاداب اي المستحبات في جميع الابواب فورد في الكل اي في كل ما ذكر فضائل
اما في الصف الاول فقوله عم لو تعلمون ما في الصف الاول ما كانت الا قرعة مسلم وابن ماجة
عن ابي هريرة واما في اتمام الاركان فقوله اتموا الركوع والسجود فوالذي نفسي بيده اني
لاراكم من وراء ظهري اذا ركعتم واذا سجدتم احمد والشيخان عن انس واما في السنن
فقوله من صلى في اليوم والليلة اثني عشر ركعة تطوعا بنى الله له بيتا في الجنة مسلم

وغيره عن ام حبيبة وتفصيله ما ورد في الحديث ركعتان قبل الفجر وبعد الظهر والمغرب و
العشاء واربع بعد الظهر ولا يدافع الامامة فانه من امارة القيمة فقد ورد عن سلامة بنت
الحر قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من اشراط الساعة ان يتدافع اهل المسجد لا يجدون
اماما يصلي بهم احمد وابو داود وابن ماجة وروى عبد الرزاق في مسنده حديثا بلفظ تنازع
ثلثة في الامامة فخسف بهم ومحله اذا علم من نفسه القيام بشروطها والقوم لا يكرهونه
وليس وراءه احد هو افضل منه وكان زهدا فيها اي مدافعة بعض الصحابة منه وهي التقوى
لا ايثار الاولى اي بذلك المقام الاعلى او خوفا للسهو في المبنى والتشويش اي تشويش الخاطر
في حضور المعنى واحتياجه الى اخلاصه في تطويل الصلوة وتحسينها لاسيما اذا لم تكن له عادة
الامامة وكان مستحبيا في تلك الاقامة وهي اي الامامة افضل من الاذان فهو عليه السلام
وخلفاؤه اي اصحابه الكرام اختاروها اي من بين الانام وما ورد اي كما رواه البخاري في التاريخ
والعقيلي في الضعفاء والطبراني في الاوسط عن ابن عباس باسناد ضعيف انه عم قال
له رجل يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة فقال كن مؤذنا فان لم تستطع فكن اماما وفي
رواية فقال لا استطيع فقال كن اماما فقال لا استطيع فقال صل بازاء الامام فلعله
محمول على ان القوم كانوا لا يرضون امامته اذا الاذان اليه والامامة الى الجماعة وتقديمهم
لها ثم بعد ذلك توهم انما تقدم عليها فورد فيه ان لا تجاوز الصلوة الراس واصل الحديث هذا
من ام قوما وهم له كارهون فان صلوته لا تجاوز ترقوته اي حلقه وراسه رواه الطبراني
عن جنادة وفي رواية العقيلي عن ابن عمر من ام قوما وفيهم من هو اقرأ منه بكتاب الله و
الله اعلم لم يزل في سفال الى يوم القيمة ويراعي الاعمال الباطنة فانها اهم ونفعها اتم وهي
ستة الحضور اي مع الرب وهو استغراق القلب بما هو فيه اي بالركن الذي شرع فيه والافراغ
اي تفريغ القلب وتخليصه من غيره اي غير ما هو بصدده مما يوافقه او ينافيه وهو اي
الافراغ انما يكون بصرف الهمة اي الاهتمام اليه اي الى ذلك الركن الواجب عليه فهي اي
الهمة تستتبع القلب في صرفه الى ذكر الرب وهو اي صرف الهمة بذكر منافعها اي فوائد الصلوة
ومرافقها كالقربة تعالى ورضاه اي بالمقام الاعلى والمكاشفة اي المعاينة بالمشاهدة التي
هي المرتبة الاجلى عاجلا اي في الدنيا والفوز بالسعادة الابدية اي والسيادة السرمدية
والنظر الى وجهه الكريم الذي اعلى مراتب النعم اجلا اي في العقبى وخسة الدنيا ومهانتها
اي وبذكر كثافتها وانقلاباتها فانها كثيرة العناء قليلة الغناء دنية الشركاء سريعة
الفناء عديمة البقاء والفهم اي الادراك لمعنى الكلام وهو امر وراء حضور القلب فربما

المؤذن اولى من الامام

يكون القلب حاضرا مع اللفظ والمبنى فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي
اريد بالتفهيم وهذا معنى قوله وهو اشتماله اي القلب على المعنى وهو اي اشتماله بتوجيه
الذهن الى الذكر من الثناء والحمد والقراءة والتسبيح والدعاء ونحوها ومداومة الفكر
اي في لفظ الذكر ومبناه ليفهم معناه ودفع الخواطر اي المانعة عن فهم مقتضاه وهذا
مقام يتفاوت الناس في ادناه واقصاه فكم من معان لطيفة ومعارف شريفة يفهمها
المصلي في اثناء صلوته وذكره ولم يكن خطر ذلك قبله بباله وفكره ومن هذا الوجه
كانت الصلوة ناهية عن الفحشاء وماحية عن المنكر فان تفهم تلك الامور تمنع عن
الفحشاء لا محالة فقد ورد من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا
بعدا الطبراني وابن ابي حاتم في تفسيره من حديث عمران بن حصين وابن جرير في تفسيره من
حديث ابن مسعود ومن مرسل الحسن واحمد في الزهد عن ابن مسعود موقوفا والتعظيم اي عرفان
المرتبة وعنوان المنزلة المرتبة على المحبة وهو بذكر عظمته تعالى مع دفعه الجلالة وحقارة
النفس اي مع رداءتها وكمالها في الرذالة والسفالة والجهالة وهو امر وراء الحضور و
الفهم اذا الرجل يخاطب غيره بكلام هو حاضر القلب في مبناه ومتفهم بمعناه ولا يكون معظما
له فالتعظيم امر زائد عليهما والهيبة وهي خوف نشاء عن التعظيم كما روى انه عم من راه فجاءة
هابه ومن خالطه احبه وهو اي الخوف المسمى بالهيبة بذكر نفاذ قدرته تعالى وفوق مشيته و
حكمه وقهره مع عدم المبالاة بجميع من في يد قبضته كما ورد خلقت هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت
هؤلاء للنار ولا ابالي وتحقيقه ان من لا يخافه لا يسمى هائبا والمخافة من العقوب وسوء
خلق العبد وما يجري مجراه من الاسباب الخسيسة لا يسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم
يسمى مهابة فالهيبة خوف مصدره من الاجلال والرجاء اي الامل وهو اي الوثوق بذكر عموم رحمته
اي شمول رفعته ورافته وسبقها غضبه كما ورد سبقت رحمتي غضبي وفي لفظ غلبت وصدق
مواعيده اي عدم تخلف اخباره لعباده من وعده ووعيده لقوله تعالى ان الله لا يخلف الميعاد
ولا شك انه امر زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه اذ يخاف سطوته ولكن لا يرجو مدته
والعبد ينبغي ان يكون راجيا لصلوته ثواب الله كما انه يخاف بتقصيره عقاب الله ومنه قوله
تعالى يدعوننا رغبا ورهبا وادعوه خوفا وطمعا والحياء وهو انكسار النفس من الخجالة
وظهور التقصير عند بعض الصوفية استتار من مشاهدة شدة الذنوب وهو بذكر العجز
والتقصير عن شكره تعالى فان العجز عن درك الادراك ادراك كما قاله الصديق رض وفق
قوله عم سبحانك لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وهو زائد على الجملة

لان مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب وبتصور التعظيم والرجا من غير حياء حيث
لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب صغير او كبير فان تعسر المراعاة بانه لم يتيسر مراعاة
اعمال الباطنة المذكورة وما يتعلق بها من ظهور الحقايق يجتهد في قطع العلايق اى التعلقات
ودفع العلايق المستعلات المتعلقة بالخلايق ليتخلص له حضور القلب مع الخلايق فظاهرا
بتسعة اشياء بضم العين اى في النوافل دون الفرايض وانما ذكره في الفرايض دون النوافل
مع ان التعميم لدفع الشواغل لانه مبنى النوافل على الرغبة والنشاط والرخصة وكذا جوز
اداؤها قاعدا او راكبا من غير عذر فيها والاداء في بيت مظلم قريب الجدار ومنه الخلاوى
الصوفية الابرار حتى لا يتسع مسافة بصر النظار والاحتراز عن البيت المنقش اى بانواع
الزينة والكتابة والابنية والفراش المصبوغ اى بالالوان والاشكال وكذا لا يترك بين
يديه ما يشغل حسه لديه وكان ابن عمر لا يدع في موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا نزعه
ولا كتابا الا محاه ومسحه وقد قال عم لعثمان بن ابى شيبة انى نسيت ان اقول لك تخمر القرنين الذين
في البيت فانه لا ينبغى ان يكون في البيت شئ يشغل الناس عن صلوتهم كذا في الاحياء وتعقبه
العراقى بان الحديث رواه ابو داود من حديث عثمان الحجبى وهو عثمان بن طلحة كما في مسند
احمد فقوله لعثمان بن ابى شيبة وهم وكونه حاقنا اى محبوس البول لحديث ابن ماجة من حديث
ابى امامة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى ان يصلى الرجل وهو حاقن ولابى داود من حديث
ابى هريرة لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر ان يصلى وهو حاقن ولابى داود والترمذى
وحسنه هو من حديث ثوبان وحاقبا بالموحدة محبوس الغايط او الريح لحديث مسلم عن
عايشة لا صلوة بحضرة طعام وهو يدافعه الاخبثان واما حديث النهى عن صلوة الحاقب
ففى الاحياء وقال العراقى لم اجده بهذا اللفظ وحازقا ضيق الخف وفى معناه الكسر والوقد
ورد النهى عن صلوة الحازق وعزاه الى الترمذى لكن قال العراقى لم اجده عنده والذى ذكره
صاحب الغريب بحديث لا راى لحازق وهو صاحب الخف الضيق وجايعا لحديث اذا حضر العشاء
والعشاء واقيمت الصلوة فابدؤا بالعشاء متفق عليه وفى معناه اذا كان عطشانا وآهس
منهما ان يكون شبعانا وغضوبا اى ممتلى الغضب لحديث لا يدخل احدكم وهو مقطب لا يصلين احدكم
وهو غضبان كذا في الاحياء وقال العراقى لم اجده ونحوها اى من كل فعل خط المصلى ان يفعل بعد
الصلوة ويفعله قبلها ان امكن وباطنا بخمسة اشياء بذكر الآخرة وتصور مواقفها واحوالها
وشدايد اهوالها وتفاوت مالها في امالها وموقف المناجاة اى مع قاضى الحاجات فورد المصلى
يناجى ربه وخطر المقام اى بين يدى الملك العلام المذكر يوم الدين يوم يقوم الناس لرب

٢٩

العالمين ودفع الخواطر اى المشغلة للسرائر والضماير وصرف النفس الى الفهم اى ودفعها عن
خطرات الوهم ويبالغ فيه اى في دفع العوايق عن عمل الباطن ومراعاته وكانوا اى السلف
يبالغون اى في تحسين حالاته وتزيين مقاماته حتى كان يشغلهم ذكر ما لا عن فكر حال يتصدقون
به تكفيرا وان كان اى المال خطرا اى عظيما كثيرا فروى ان ابا طلحة الانصارى رضى الله عنه
صلى في حايط له فيه شجرة فاعجبه دبسى طار في الشجرة يلتمس مخرجا فاتبعه بصره ساعة ثم
لم يدر كم صلى فذكر ذلك لرسول الله عم وما اصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة
فضعه حيث شئت رواه مالك عن عبد الله ابن ابى بكر وعن رجل آخر انه صلى في حايط له والنخل
مطوقة بثمرها فنظر اليه فاعجبه فلم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان وقال هو صدقة فاجعله في
سبيل الله فباعه عثمان بخمسين الفا وكانوا يفعلون ذلك قطعا لمواد الفكر به وكفارة
لما جرى من نقصان الصلوة بسببه فاذا ارادت الخلاص من الآفات فاقلع شجرة الشهوات فانها
اذا تنزهت باغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار فلا تطمعن ان تصفو
لك لذة المناجات في الصلوة مع تلك الشهوات فالاصل في مراتب العبادة عمل الباطن لانه
النافع في مقام الزيادة للسعادة فورد اقم الصلوة لذكرى اى لاجل ذكركم اياى او لاجل
ذكرى اياكم ولذكر الله اكبر فاذكرونى اذكركم او وقت ذكركم صلوتى وفكركم صلوتى وفى
الاحيا ظاهر الامر للوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلوته كيف يكون مقيما
للصلوة لذكره وقوله تع ولا تكن من الغافلين نهى وظاهره التحريم ولا تقربوا الصلوة وانتم
سكارى اى من حب الدنيا او حيارى في غير ذكر المولى او من كثرة الهموم في الامر المهموم وقد
ورد من جعل الهموم هما واحدا هم الدين كفاه الله هم الدنيا والآخرة وقوله تع حتى تعلموا
ما تقولون تعليل لنهى السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وافكار
الدنيا واشغال الناس ولا ينظر الله الى صلوة اى نظر قبول ورحمة او نظر رعاية وعناية
ولا يحضر الرجل قلبه فيها مع بدنه اى عند عبادة ربه لم اجد له اصلا بهذا اللفظ قاله
العراقى ان العبد ليصلى الصلوة وانما يكتب ما عقل منها وفى الاحيا ليس للعبد من صلوته
الا ما عقل منها قال العراقى لم اجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزى في كتاب الصلوة من رواية
عثمان بن ابى دهرش مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه ابو
منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث ابى بن كعب ولابن المبارك في الزهد
موقوفا على عمار لا يكتب للرجل من صلوته ما سها عنه والتحقيق فيه ان المصلى يناجى
ربه متفق عليه والكلام مع الغفلة ليس بمناجات البتة فحق يكون في قوله اهدنا الصراط

المستقيم داعيا وسائلا اذا كان قلبه ساهيا وغافلا وورد كم من قائم حظه من صلوته
التعب والنصب وما اراد به الا الغافل كذا في الاحياء وقال العراقي رواه النسائي
وابن ماجه من حديث ابي هريرة رب قائم ليس له من قيامه الا السهر ولاحمد رب قائم حظه
من صلوته السهر واسناده حسن هذا اي خذ هذا او الامر هذا وانما يكون القول كالقراءة ونحوها
والفعل كالركوع والسجود عبادة للمعنى في القول والتعظيم في الفعل دون اللفظ اي غير تلفظ
الانسان باللسان والحركة اي التحرك بالجوارح والاركان فقد قال بعض اهل الشان في
معرض هذا البيان ان الكلام لفي الفؤاد وانما جعل اللسان على الفؤاد دليلا قيل ما سمع الجنيد
هذا اعاد صلوة ثلثين سنة صلاها بلا حضور الجنان وفي الاحياء لو حلف انسان
والله لاشكرن فلانا ولاثنين عليه ولاسألنه حاجة ثم جرت هذه الالفاظ الدالة على
هذه المعاني على لسانه لم يبر في يمينه وكذا لو جرى على لسانه في ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو
لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا في يمينه اذ لا يكون كلامه ونطقا معه ما لم يكن حاضرا في
قلبه ولو كانت تجري هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر في بياض النهار الا انه غافل لكونه
مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه لا يصير بارا في
يمينه ولا شك في ان المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء
والمخاطب هو الله تعالى وقلبه بحجاب الغفلة محجوب منه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن
المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة وما ابعد هذا عن المقصود بالصلوة التي شرعت لتصقيل
القلب وتجديد ذكر الرب ورسوخ عقد الايمان به وهذا مما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور
القلب مع الرب فان قلت فعلى هذا الذي ذكرته من جعل القول والفعل للمعنى والتعظيم تبطل
الصلوة دون الحضور اي عند عدم حضور القلب حيث جعلته شرطا في صحتها وهو خلاف الاجماع
اي اتفاق الفقهاء لما سيأتي من مخالفة بعض العلماء فالمراد اتفاق الجمهور فانهم لم يشترطوا
حضور القلب في صحتها الا عند التكبيرة الاولى المقرونة بالنية الا على قلت انه اي ادعاء الاجماع
ممنوع والاتفاق مدفوع لبطلانها عند سفيان اي الثوري في رواية اي مما نقل بشر بن الحارث
فيما روى عنه ابو طالب المكي عن الثوري انه قال من لم يخشع قلبه في صلوته فسدت صلوته قلت
ويؤيده قوله تعالى قد افلح المؤمنون الذين هم في صلوتهم خاشعون وعن الحسن اي البصري انها اي الصلوة
بلا حضور القلب توجب العقوبة قلت واي عقوبة اقوى من الغفلة وقد قيل الحجاب اشد العذاب
قال الله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون وفي الاحياء روى عن الحسن انه قال كل صلوة لا يحضر فيها
القلب فهي الى العقوبة اسرع وفيه ان الصلوة يشترط فيها النية ولا تحصل النية الا بحضور

الطوية واما استيعاب الحضور فغير مفهوم من كلامه ومن كلام غيره فيمكن الجمع بين قولها
المذكور وبين قول الجمهور وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال من عرف من على يمينه وشماله متعمدا
وهو في الصلوة فلا صلوة له اي كاملة وروي ايضا مسندا كذا في الاحيا وسكت عنه العراقي
وقال عم ان العبد ليصلي الصلوة لا يكتب له منها سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من
صلوته ما عقل منها ابو داود والنسائي وابن حبان من حديث عمار بن ياسر بنحوه وان كلامنا في
المنفعة الاخروية هذا جواب اخر وبيانه ان الفقهاء لا يتصرفون في الباطن ولا مطلع لهم على
ما في القلوب ولا يتكلمون في طريق الاخرة بل يبنون ظاهر احكام الدنيا على ظاهر اعمال الجوارح
فظاهر الاعمال كاف لسقوط تعزير السلطان فاما انه هل ينفع في الاخرة فليس هذا من
حدود الفقه وعن عبد الواحد بن زيد رح وقوع الاجماع على عدم النفع اي النفع الكامل
قال الحجة فنقله اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الاخرة اكثر من
ان يحصى والحق الرجوع الى ادلة الشرع والآيات والاخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط
وهذا معنى قوله وان اشتراط الشرع اياه اي الحضور ظاهر غير ان مقام الفتوى في تكليف الظاهر
على حسب قصور الخلق بفتح الخاء والسين اي يتقيد بقدره فلو اشترط اي الحضور الجوازي اي لصحة
الصلوة لوقعوا اي الجمهور في حرج اي عظيم تؤدي الى الخطور لعجزهم عن كمال الحضور وادى اي ولادى
اشتراطه الى تركها راسا وهو المحذور وهو التحقيق اي في مقام التدقيق فانه لا يمكن ان يشترط على
الناس كلهم احضار القلب في جميع الصلوة فان ذلك يعجز عن كل البشر الا الاقلين واذ لم يمكن اشتراط
الاستيعاب للضرورة فلا مرد له الا ان يشترط فيه ما ينطلق عليه الاسم ولو كان في لحظة واحدة
واولى اللحظات به اول الصلوة فاقتصر على التكليف لذلك ومع ذلك نرجو ان لا يكون حال الغافل
في جميع صلوته مثل حال تارك الصلوة بالكلية فانه بالجملة اقدم على الفعل ظاهرا فاحضر القلب
لحظة فكيف لا والذي يصلي مع الحدث ناسيا فصلوته باطلة عند الله تعالى ولكن له اجر ما بحسب
فعله وعلى قدر قصوره وعذره وعلى هذا الرجاء فقد يخشى ان يكون حال الغافل اشد من حال
التارك وكيف لا والذي يحضر للخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر
اشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة ويتهاون بالحضرة فاذا تعارض اسباب الخوف والرجاء
صار الامر مخطرا في نفسه فاليك الخيرة بعده في ترك الاحتياط او التساهل ومع هذا فلا مطمع
لاحد في مخالفة الفقهاء فيما افتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى التي
من عموم البلوى هذا وقد روى من احب غير الله لا تقبل له صلوة من الخواطر المذمومة فان
من احب شيئا اكثر ذكره كما ورد في الخبر فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فتدبر فخذ ما صفا

ودع ما كدر ثم منا من اشبع النظر واسبغ الفكر فيما ورد ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر
وانما الصلوة تمسكن وتواضع وتضرع حيث جاء بصيغة الحصر رواه الترمذى والنسائى من
حديث الفضل بن عباس باسناد مضطرب علم انها اى الصلوة هو الحضور اى كمال الشعور والا
فصلوة الغافل لا تمنعه عن الفحشاء وقد انقسم الناس الى غافل يتم صلوته ولم يحضر قلبه فى
لحظة منها والى من يتمها ولم يغب قلبه فى لحظة عنها بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما
يجرى بين يديه ومن هنا لم يحس مسلمة بن يسار اسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم حضر
الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه وشماله وكان وجيب قلب ابراهيم عم يسمع من ميلين
وجماعة كان تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم هذا مضى هنا او حضر هنا والاولياء انما كانوا يعرفون
فيها اى فى الصلوة مع حضورها ودوام نورها لا سيما فى السجود فانه اقرب مقام الى واجب
الوجود وصاحب الكرم والجود على حسب صفائها اى على تفاوت درجات ارباب الوفاء ومن هنا قال
بعض الصحابة يحشر الناس يوم القيمة على مثل هيئاتهم فى الصلوة من طمانينة والهدو ومن وجود
النعيم واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على ما مات عليه ويموت على ما عاش عليه وقد قيل كما مطلب
تعيشون تموتون وكما تموتون تحشرون ثم اعلم ان كل ما يشغله عن صلوته فهو ضد دينه
فليتخلص منه باخراجه عن طينته ليقوم فى مرتبة يقينه كما روى عنه عم لما لبس الخميصة التى
اتاه بها ابو الجهم وعليها علم وصلى فيها نزعها بعد صلوته وقال اذهبوا بها الى ابى الجهم فانها
الهتنى عن صلوتى وأتونى بانبجانية ابى جهم متفق عليه من حديث عائشة اذ كان جديدا
فامر ان ينزع عنها ويرد الشراك الخلق منها ابن المبارك فى الزهد من حديث ابى النضر مرسلا باسناد
صحيح وكان عم قد احتذى نعلا فاعجبه حسنها فسجد فقال تواضعت لربى كيلا يمقتنى ثم خرج
بها فدفعها الى اول سائل لقيه ثم امر عليا ان يشترى له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما ابو
عبد الله بن خفيف فى شرف الفقراء من حديث عائشة باسناد ضعيف كان فى يده خاتم ذهب قبل
التحريم وكان على المنبر فرماه وقال شغلنى هذا نظرة اليه ونظرة اليكم كذا فى الاحيا وقال
العراقى اخرجه النسائى من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان ان الخاتم كان ذهبا ولا فضة
انما هو مطلق والحاصل ان الاكابر اجتهدوا ان يصلوا ركعتين ولا يحدثون انفسهم فيها بشئ
من امور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذا لا مطمع لامثالنا فى خلاف ما هنالك وليته سلم من الصلوة
شطرها او ثلثها من الوسواس والخواطر المتقلبة بالراس فيكون ممن خلطوا عملا صالحا وآخر
سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملو فيه
خل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج من الخل منه لا محالة فلا يجتمعان والله المستعان

ومنها

ومنها اى من انواع الورد قراءة القرآن فور خيركم من تعلم القرآن وعلمه البخارى من حديث عثمان
رضى الله عنه ومن قرأ القرآن ثم رأى ان احدا افضل مما اوتى فقد استصغر ما عظم الله
الطبرانى من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف ولعله مقتبس من قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من
المثانى والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ومن هنا قال الفضيل ينبغى
لحامل القرآن ان لا يكون له الى احد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم ويؤيده حديث من لم يتغن
بالقرآن فليس منا اى من لم يستغن به عن غيره من شغله القرآن عن ذكرى ومسئلتى اعطيته
افضل ما اعطى السائلين الترمذى من حديث ابى سعيد وقال حسن غريب افضل عبادة امتى
القرآن ابو نعيم من حديث النعمان بن بشير اهل القرآن اهل الله وخاصته النسائى وابن ماجه و
الحاكم من حديث انس باسناد حسن وحقها اى القراءة ان ينسى ايناس وحشة الدنيا اى بذكر
العقبى والدرجات الحسنى وقضاء حق الشوق الى المولى لان المناجاة والمكالمة معه تعالى
منه ينتهى الى الشوق وزيادة الذوق الى قربه الاعلى وضبط احكام العبودية بحفظه حقوق
مقام الربوبية ويتوضأ اى يتطهر ويتطيب باى طيب كان ويتنظف فى جميع الاركان و
يتأدب فى بقعة الامكان ويجوز الاضطجاع لورود الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم قال على رض من قرأ القرآن وهو قائم فى الصلوة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأ
وهو جالس فى الصلوة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ فى غير الصلوة وهو على وضوء فخمس و
عشرون ومن قرأ على غير وضوء فعشر حسنات وعن على اقرأ القرآن على كل حال الا وانت جنب ابو
الحسن بن صخر فى فوائده والافضل فى الليل لانه اقرب الى الميل فالقلب فيه افرغ قال تعالى ان
ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا وان لك فى النهار سبحا طويلا اى شغلا كثيرا وفى
المصحف افضل فهو يضعف الاجر لاعمال الجوارح اى من اللسان والعين والاذن والمعنى لزيادة
لحظ النظر من الحواس وافادة نقص الوسواس من اشغال الناس ومع هذا لابد من حضور
القلب وشعوره بكلام الرب وقد قيل الختمة فى المصحف بسبع وقد خرق عثمان رض مصحفين
لكثرة قرائته فيهما وكان كثير من الصحابة يقرؤن القرآن من المصحف ويكرهون ان يخرج يوم
ولم ينظروا فى المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعى فى السحر وبين يديه المصحف فقال
شغلكم الفقه عن القرآن انى لاصلى العتمة واضع المصحف بين يدى فلا اطبقه حتى اصبح و
قد ورد اعطوا اعينكم حظها من العبادة النظر فى المصحف والتفكر فيه والاعتبار عند
عجائبه الحكيم الترمذى والبيهقى عن ابى سعيد ويستظهره اى وحقها اى يحفظه غيبا ويضبطه
قلبا كما كان عليه النبى عم واصحابه رعاية لقوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون

وقد قيل كن حافظا نقيا لا مصحفيا تقيا فورد فيه اى فى الاستظهار تخفيف العذاب عن الوالدين
وان كانا مشركين لم اجده وقد روى ابو داود عن سهل بن معاذ عن النبى صلى الله عليه وسلم
من قراء القران وعمل بما فيه البس والداه تاجا يوم القيمة ضوؤه احسن من ضوء الشمس فى
بيوت الدنيا لو كانت فيكم فما ظنكم بالذى عمل بما فيه وفى رواية البس والداه حلة لا يقوم
له الدنيا وما فيها وورد اقرؤا القران فان الله تعالى لا يعذب قلبا وعى القران تمام فى فوائده
عن ابى امامة مرفوعا لو كان القران فى اهاب ما مسته النار احمد والدارمى والطبرانى ولا
ينساه فورد انه بذنب اى ذنب كبير فهو خبران وزيدت الباء فيه لان الكلام فى قوة ليس نسيان
القران بذنب ونظيره قوله تعالى اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض ولم يعى
بخلقهن بقادر وقد يقال انه اطلق المصدر واراد به الفاعل على طريقة رجل عدل اى
فورد انه مذنب وفى نسخة بذنب اى بصير ذا ذنب عظيم وروى من اعظم الذنوب ان يتعلم الرجل
اية من القران ثم ينساه قيل ونزل قوله تعالى فى حقه ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا
ونحشره يوم القيمة اعمى قال رب لم حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا
فنسيتها وكذلك اليوم تنسى مع ان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ونسيانه عندنا محمول
على انه لم يقدر ان يقراء نظرا وعند الشافعى ومن تبعه ان ينسى غالبه حفظا وهو كبيرة اتفاقا
ولا يختم فى اقل من ثلثة ايام فورد انه لم يمنع التفقه ولفظ الحديث من قراء القران فى اقل من ثلث
لم يفقهه رواه اصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه الترمذى وذلك لان الزيادة عليه
تمنع الترتيل وتدفع ادراك ما فى التنزيل وقد قالت عائشة رض لما سمعت رجلا يهذ القران
هذا ان هذا ما قراء ولا سكت وجاء فى اربعين وهو يناسب الاربعينات الصوفية الصفية وقد
ورد اقرؤا القران فى اربعين الترمذى عن ابن عمرو ومنهم من يختم فى الشهر مرة يقراء كل يوم جزءا من
ثلثين اجزاء وورد اقرؤا القران فى كل شهر اقراه فى عشرين ليلة اقراه فى عشر اقراه فى سبع ولا
تزد على ذلك رواه الشيخان وابو داود عن ابن عمرو وفى رواية الطبرانى عنه اقرؤا القران فى خمس
وبعضهم قراءه فى كل يوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وبعضهم الى الثلث وفى اسبوع وقد امر
النبى م عبد الله بن عمرو ان يختم القران فى كل سبع متفق عليه من حديثه وكان جماعة من الصحابة
يختمون القران فى كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابى بن كعب ففى الختم اربع درجات
الختم فى كل شهر والختم فى يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم فى كل شهر وكانه مبالغة فى الاقتصاد
كما ان الاول مبالغة فى الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان احداهما الابرار احديهما فى الاسبوع
مرة وهى الاولى والاخرى والثانية فى الاسبوع مرتين تقريبا من الثلث وهو الرخصة فى الكثرة

والاحزاب المروية سبعة اى الاوراد المأثورة سبعة اقسام ثلث سور وهى بعد الفاتحة
البقرة وال عمران والنساء ثم خمس وهى المائدة والانعام والاعراف والانفال والتوبة ثم
سبع وهى يونس وهود ويوسف والرعد وابراهيم والحجر والنحل ثم تسع وهى بنى اسرائيل والكهف
ومريم وطه والانبياء والحج والمؤمنون والنور والفرقان ثم احدى عشرة وهى الشعراء والنمل
والقصص والعنكبوت والروم ولقمان والسجدة والاحزاب وسبا وفاطر ويس ثم
ثلث عشرة وهى والصافات وص والزمر وحواميم السبع والقتال والفتح والحجرات ففى كل
مرتبة بزيادة سورتين ثم الباقى وهى قاف الى الناس وينسب الى على رض انه اشار الى هذا الترتيب
ايهما بطريق الرمز والايماء حيث قال فمى بشوق فالفاء فاتحة والميم مائدة والياء يونس
والباء بنى اسرائيل والشين الشعراء والواو والصافات والقاف ق وقيل للعراقى تحزيب
القران على سبعة احزاب رواه ابو داود وابن ماجة من حديث اوس بن حذيفة قال اوس
فسئلت اصحاب رسول الله عليه السلام كيف تحزبون القران قالوا ثلث وخمس وسبع وتسع و
احدى عشرة وثلث عشرة وحزب المفصل وفى رواية الطبرانى فسئلنا اصحاب رسول الله م كيف
كان رسول الله م يجزى القران فقالوا كان يجزيه ثلثا فذكره مرفوعا باسناد حسن وكان عثمان
رض يبتدى ليلة الجمعة فانها فى الليالى افضل والقراءة بالليل امثل ويتم المائدة اى فى ليلة
او بقية يوم جمعة ثم هود اى يتبديه فى ليلة السبت او نهاره ثم مريم ثم طس ثم ص ثم الرحمن
ثم الباقى وهو يحتمل ان يكون باجتهاده حيث لم يبلغه ما يتبع مرفوعا وهو رواية اخرى عنه م
وان كان فى الظاهر موقوفا وهذا اى التحزيب بهذا الترتيب للعامل ظاهرا فى مقام التهذيب
من الصوم والصلوة والتلاوة والاذكار ان صاحب الباطن اى المراعى لاحوال القلب وحضوره
مع الرب فعلى حسب حاله مما يقتضيه من الكثرة والقلة فى قراءته كنشاطه وفتاله فانه ان
كان من العابدين السالكين بطريق العمل فلا ينبغى ان ينقص عن ختمتين فى الاسبوع وان كان
من السالكين باعمال القلب وضروب الفكر او من المشغولين بنشر العلم فلا باس ان يقتصر فى الاسبوع
على مرة وان كان نافذ الفكر من معانى القران وفى مبانى الفرقان فقد يكتفى فى الشهر بمرة
لحاجة الى كثرة الترديد والتامل فى الوعد والوعيد ويرتل اى يترسل ويتمهل بتوقيف
التدبير وقد قال عز وجل كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا اياته وليتذكر اولوا الالباب
وكونه اقرب الى التعظيم والتاثير اى تعظيم الرب وتاثير القلب قال تعالى ورتل القران ترتيلا و
هو المستحب فى قراءته وقال عز وجل الذين اتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته وهو الترتيل فقد
نعتت ام سلمة رض قراءة رسول الله م قراءة مفسرة حرفا حرفا ابو داود والنسائى والترمذى

وقال الحسن صحيح وقال ابن عباس لان اقرأ البقرة وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرأ القرآن
كله هذرمة وقال ايضا لان اقرأ اذا زلزلت والقارعة اتدبرهما احب الي من ان اقرأ البقرة
وآل عمران هذرمة ويبكي فانه مستحب قال تعالى حكاية عن الانبياء والاصفياء اذا تتلى عليهم آيات
الرحمن خروا سجدا وبكيا وقال تعالى ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان
يبكون ويزيدهم خشوعا ومن هنا قال ابن عباس اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا
فان لم تبك عين احدكم فليبك قلبه قلت وكذا اذا قرئ سجدة مريم فلا بد من البكاء او التباكي
او الحزن على فقدهما وورد اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ابن ماجه من حديث سعد بن
ابي وقاص باسناد جيد فاذا قرأتموه فتحازنوا واصل الحديث ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا
ابو يعلى وابو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف ويقويه حديث ان الله يحب كل حزين الطبراني
والقضاعي بسندهما الى ابي الدرداء مرفوعا ويؤيده قوله تعالى ان الله لا يحب الفرحين ويعضده حديث
اقرؤا القرآن بالحزن فانه نزل بالحزن رواه ابو يعلى وابو نعيم في الحلية والطبراني في الاوسط عن
بريدة وعن الحسن والله ما اصبح اليوم عبد يتلو هذا القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر
بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه ومشغلته وقلت راحته وبطالته وقال عم لابن مسعود اقرأ علي قال
فافتتحت سورة النساء فلما بلغت فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا
رايت عيناه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الآن وهو ي وجه احضار الحزن انما يحصل بالتأمل
في مواعيده من التهديد والوعيد ومواثيقه من العهد الاكيد والتقصير فيها اي في لوازمها من الاوامر
والزواجر فيحزن له لا محالة ويبكي والا اي وان لم يحضر حزن وبكاء كما يحضر ارباب القلوب الصافية
والصدور الوافية فيبكي على فقدان بكائه اي فليبك على فقد حزنه وبكائه فهو اعظم المصائب في مقام
بلائه ويتعوذ في الافتتاح اي ابتداء القراءة مطلقا فقد ورد فاذا قرأت القرآن اي اردت قراءته
وقيل بعد فراغه ولا منع من الجمع فاستعذ بالله اي من الشيطان الرجيم والامر للاستحباب عند الجمهور وقيل
للايجاب ويفتتح اي يبتدئ ختمة اخرى عند الختم اي الختمة الاولى رغما للشيطان اي ورضاء للرحمن
ولقوله تعالى فاذا فرغت اي عن عبادة فانصب اي فاتعب في الاخرى وللآخرة خير لك من الاولى فهو
مأثور بل مروي مشهور فعن زرارة بن اوفى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل اي الاعمال
افضل فقال عم الحال المرتحل اي عمله فقيل ما الحال المرتحل فقال الخاتم المفتتح وفي رواية فتح القرآن
وختمه صاحب القرآن يضرب من اوله الى آخره ومن آخره الى اوله كلما احل ارتحل رواه البيهقي في
شعب الايمان بسنده مرفوعا ولفظه عليكم بالحال المرتحل ووافقه الطبراني في سنده فينبغي انه اذا قرأ
سورة الناس ان يقرأ سورة الفاتحة وصدر سورة البقرة الى المفلحون ويدعو بما كان يقول عم

عند

دعاء ختم

عند ختم القرآن اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه
ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل والنهار واجعله حجة لي يا رب
العالمين ابو منصور المظفر بن حسين الارجاني في فضائل القرآن وابو بكر بن الضحاك في الشمائل كلاهما
من طريق ابي ذر الهروي من رواية داود بن قيس معضلا ويسأل امر رجاء امر عليه ويتعوذ عن خوف
اي اذا وصل اليه او مرّ لديه ويوافق ذكرا اي فيذكر نبذة وكذا يوافق تسبيحا وتكبيرا كما اذا
قرأ يا ايها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا فيذكر ثلث مرات او اكثر ويسبح
كذلك او دعاء دعا كما اذا قرأ ادعوني استجب لكم واجيب دعوة الداع اذا دعان وكذا استغفر
في مقام يليق به كقوله تعالى واستغفروا ربكم انه كان غفارا فالكل مأثور بل مروي مذكور قال
حذيفة صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فابتدأ سورة البقرة فكان لا يمر بآية عذاب
الا استعاذ ولا بآية رحمة الا سأل ولا بآية تسبيح الا سبح رواه مسلم باختلاف لفظ ويسر اي
يخفي القرآن ان خاف الرياء اي على نفسه او تشويش مصل في محضره والا يجوز الجهر به لتلذذ
الاذن بسببه وحصول الاستماع لغيره فورد بفضل عمل السر على العلانية سبعين ضعفا البيهقي
في الشعب من حديث عائشة وفضل القراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على
صدقة العلانية وفي لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة
ابو داود والنسائي والترمذي وحسنه من حديث عقبة بن عامر وخير الرزق ما يكفي وخير الذكر
الخفي احمد وابن حبان من حديث سعد بن ابي وقاص وفي الخبر لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين
المغرب والعشاء كذا في الاحياء وقال العراقي رواه ابو داود من حديث البياضي دون قوله بين المغرب
والعشاء وللبيهقي في الشعب من حديث علي قبل العشاء وبعدها وفيه الحارث الاعور وهو ضعيف
وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد النبي عم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلوته وكان
حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلي فقل له يخفض من صوته فقال الغلام ان
المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا ايها المصلي ان كنت تريد الله
عز وجل بصلوتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت
عمر وخفف فلما سلم اخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ امير المدينة والا وان لم يكن خوف رياء ولا
تشويش مصل فيجهر اي جوازا او استحبابا فهو ينبه القلب اي يوقظ قلب القاري ويجمع الهمة
في ذكر الرب الباري ويصرف السمع اليه اي فيتلذذ باستماعه لديه ويزيد في النشاط اي نشاط
النفس له ويوقظ الراقد اي في اول الليل وآخره فيكون هو سبب احيائه وباعث ذكره
ودعائه ويرغب في العبادة اي من سمعه من اهل الطاعة والسعادة فورد ان الملائكة صدر

الحديث اذا قام احدكم من الليل يصلي فليجهر بقرأته فان الملائكة اي الحفظة وعمار الدار بضم العين وتشديد الميم جمع عامر اي ساكنوها من مسلمي الجن يسمعون قرائته ويصلون بصلوته
رواه بنحوه بزيادة فيه ابو بكر البزار ونصر المقدسي في المواعظ من حديث معاذ بن جبل
وهو حديث منكر ومنقطع والمتعدي اي العمل الذي يتعدى ثوابه الى الغير افضل من العمل
اللازم القاصر على صاحبه وتضاعف النية يضاعف الاجر فيهما حضور شيء
من النيات المتقدمة فالجهر افضل واذا جمعت النيات المتعددة يتضاعف الاجور
المثوبة وبكثرة النيات في العبادات تزكوا عمل الابرار ويزيد الدرجات والاحب في كسر
والجهر النظر الى صلاح القلب اي في حضوره مع الرب فصوب عليه السلام ابا بكر في
الاسرار وعمر في الجهر رضي الله عنهما بعد الحمل على النية روى انه عليه السلام مر على ثلثة
نفر من اصحابه مختلفي الاحوال فمر على ابي بكر وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه
هو يسمعني ومر على عمر وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان وازجر الشيطان
ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله فقال اخلط
الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن ابو داود من حديث ابي هريرة باسناد صحيح نحوه وفي
رواية انه عم قال لابي بكر لم خفضت صوتك فقال اسمعت من ناجيت وقال لعمر لم رفعت
صوتك قال اوقظ الوسنان واطرد الشيطان فقال لابي بكر ارفع قليلا وقال لعمر اخفض
قليلا وهو المناسب دليلا لقوله تعالى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك
سبيلا ولعله عم دعاهما المقام جمع الجمع فان الصديق كان في جمع كصرف والفاروق في منع
التفرقة وقيل لئلا يكون كل منهما عاملا الا بمتابعته في جميع حالته وحسن الصوت اي بترديد الصوت
من غير تمطيط مفرط يغير النظم به اي بالقرآن فورد ما اذن الله لشيء اي ما سمع وقبل واقبل
اذنه بفتحتين منصوب بالنبي اي من المسموعات اي مثل سماعه وقبوله واقباله لحسن الصوت بالقرآن
متفق عليه من حديث ابي هريرة بلفظ ما اذن الله لشيء ما اذن لنبي يتغنى بالقرآن زاد مسلم
لنبي حسن الصوت وفي رواية كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن وقال عم زينوا القرآن باصواتكم ابو داود
والنسائي وابن ماجة والحاكم وصححه من حديث البراء بن عازب وقال من لم يتغن بالقرآن فليس
منا اي من لم يترنم وهو اقرب لغة من معنى الاستغنا وروى ان رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان ليلة ينتظر عائشة رض فابطات عليه فقال لها ما حبسك قالت يا رسول الله كنت
اسمع قراءة رجل ما سمعت احسن صوتا منه فقام عم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال
هذا سالم مولى ابي حذيفة الحمد لله الذي جعل في امتي مثله ابن ماجة من حديث عائشة

رض ورجال اسناده ثقات واستمع عم ايضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
ومعه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال من اراد ان يقرأ القرآن غضا كما انزل
فليقرأ على قراءة ابن ام عبد احمد والنسائي في الكبرى من حديث عمر وللترمذي وابن ماجة من حديث
ابن مسعود ان ابا بكر وعمر بشراه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من احب ان يقرأ القرآن الحديث
قال الترمذي حسن صحيح وقال عم لابن مسعود رضي الله عنه اقرأ علي فقال يا رسول الله اقرأ عليك
وعليك انزل فقال اني احب ان اسمعه من غيري فكان يقرأ ورسول الله عم عيناه تفيضان
متفق عليه من حديث ابن مسعود واستمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قراءة ابي موسى فقال
لقد اوتي هذا مزمارا من مزامير داود متفق عليه من حديث ابي موسى وفي الخبر كان اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اجتمعوا امروا احدهم ان يقرأ سورة من القرآن وقال عم من استمع
الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت نورا يوم القيمة احمد من حديث ابي
هريرة مكتفيا بالترغيب اي على قدر الرغبة والتأثر عن تأثير النسبة فورد اقرؤا القرآن ما ائتلفت
عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه
كذا في الاحياء وقال العراقي متفق عليه من حديث جندب ابن عبد الله البجلي باللفظ الثاني دون قوله
ولانت جلودكم قلت ولعل الحديث مقتبس من قوله تعالى نزل احسن الحديث كتابا متشابها مثاني
تقشعر منه الجلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وورد ان من احسن الصوت
بالقرآن الذي اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى ابن ماجة من حديث جابر بسند ضعيف ولا تسمع
القرآن من احد اشهى منه ممن يخشى الله تعالى الحاكم ابو عبد الله غير مغير نظمه اي مبناه بتغيير مخارج
حروفه وصفاتها وتبديل حركاتها وسكناتها وزيادة في مداتها وكيفياتها ولا مراعاة قواعد
الموسيقي في نغماتها المذموم في الشريعة المنسوب الى المبتدعة بل الى الكفرة الفجرة كما يشير اليه قوله
تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون اي مغنون او هامدون وخامدون
ولا مشتغل عن التدبر اي في اية والاية وقصص رسله وانبيائه وانواع بلائه لاهل ولائه ثم
اهلاك اعدائه وانجاء احبائه والتأمل في احكامه من اوامره وزواجره والتفكر في مبدء
امره ومنتهى عمره ومواقف القيمة واهوالها ودرجات الجنة وحسن امالها ومنالها ودركات النار
واختلاف احوالها ويعظمه اي كما كان عكرمة بن ابي جهل اذا نشر المصحف غشي عليه هو كلام ربي
هو كلام ربي نحو لو انزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتمام
الاية وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون ومن قرأ القرآن فرأى ان احدا اوتي افضل
مما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله اي واستعظم ما صغره الله وقد سبق الكلام على مبناه ومعناه

ويحضر القلب في التلاوة لما سبق في حق الصلوة انه الاصل في معرفة الرب وبه فسر ما ورد في
التنزيل بما هي خذ الكتاب بقوة اى بقوة القلب واحضاره في مكتب الرب وتدبر فورد
في التنزيل ليدبروا آياته تمامه وليتذكر اولوا الالباب فالتدبر سبب التذكر وكان اهتمامهم
بالتفقه اى الدراية دون اللقلقة اى كثرة القراءة والرواية قال علي لا خير في عبادة لا
فقه فيها ولا قراءة لا تدبر فيها وكان بعضهم يقول كل آية لا افهمها ولا يكون قلبي
فيها لا اعد لها ثوابا وقد روى عن عامر بن قيس انه قال الوسواس يعتريني في الصلوة فقيل له افي
امر الدنيا فقال لان تختلف في الاسنة احب الي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي
واين اذهب وكيف انصرف قال الحجة فانظر كيف عد ذلك وسواسا وهو كذلك لانه يشغلهم
عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا ان يشغله بمهم ديني ولكنه يمنعه عن الافضل
ولما ذكر ذلك للحسن فقال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا هذا وقد كثر اعتناء
الصحابة بالقرآن من حيث معناه دون حفظ مبناه حتى لم يستظهره اى لم يحفظ جميعه الا بضعة
عشر صحابيا من اكابر الصحابة واجلاؤهم في القراءة كالخلفاء الاربعة وابي بن كعب وابن مسعود
وزيد بن ثابت وسالم مولى ابي حذيفة وفي الاحيا مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين مولى ابي حذيفة نه
الفا من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم الا ستة اختلف منهم في اثنين قال العراقي قوله
مات عن عشرين الفا من الصحابة ولعله اراد بالمدينة والا فقد روينا عن ابي زرعة الرازي انه
قال قبض عن مائة الف واربعة عشر الفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى واما من
حفظ القرآن في عهده ففي الصحيحين من حديث انس قال جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم اربعة كلهم من الانصار ابي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وابو زيد قلت من
ابو زيد قال احد عمومتي وزاد ابن ابي شيبة في المصنف من رواية الشعبي مرسلا
وابو الدرداء وسعيد بن عبيد وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقرؤا القرآن من
اربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى ابي حذيفة ومعاذ بن جبل وابي بن كعب بل الكثير منهم
لم يحفظ الا سورة كالبقرة او سورتين كالزهراوين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام
من علمائهم وروى ابن الانباري بسنده الى عمر قال كان الفاضل من اصحاب النبي عم في صدر هذه
الامة من يحفظ من القرآن السورة او نحوها الحديث وسنده ضعيف وللترمذي وحسنه من
حديث ابي هريرة قال بعث رسول الله عم بعثا وهم ذو عدد فاستقرأهم كل رجل ما معه
من القرآن فاتى على رجل من احدثهم سنا فقال ما معك يا فلان قال معي كذا وكذا وسورة
البقرة فقال امعك سورة البقرة قال اذهب فانت اميرهم الحديث ثم ويردده مرارا الى من خير قراءة

ان يكرر المقروء مرة بعد مرة فقد قام عليه السلام الليلة باية واحدة يرددها وهي
ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم النسائي وابن ماجة
بسند صحيح عن ابي ذر وقرأ عم آية بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة ابو ذر الهروي
في معجمه عن ابي هريرة بسند ضعيف وقام تميم الداري ليلة بهذه الآية ام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد
هذه الآية وامتازوا اليوم ايها المجرمون ويتفهم بان يتكلف ضبط مبانيه وفهم معانيه
ويستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر ذات الله وصفاته وافعاله و
مصنوعاته وذكر احوال انبيائه واوليائه وبيان مآل اعدائه وذكر اوامره وزواجره و
بيان درجات جنته ودركات ناره وهو يتفاوت بحسب صفاء الباطن وانواره وظهور
المكاشفة للقلب واسراره فورد ان للقرآن ظهرا وبطنا تمامه وحدا ومطلعا ابن حبان
في صحيحه من حديث ابن مسعود وروى عن ابن مسعود مرفوعا ايضا ان القرآن انزل على سبعة احرف
لكل آية منها ظهر وبطن ولكل حرف حد ومطلع فالظاهر تلاوة المبنى والباطن تفهم
المعنى والحد احكام الاحكام والمطلع ما ينكشف من المرام بعد هذا المقام واخرج النسائي
من رواية ابي جحيفة قال سألنا عليا رض فقلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم
شئ سوى القرآن فقال لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة الا ان يعطي الله عبدا فهما في كتابه
الحديث وهو عند البخاري بلفظ اهل عندكم شئ ما ليس في القرآن وقال مرة ما ليس عند الناس
لا يفقه العبد اى كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة قال ابو الدرداء رض لا يفقه
الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وعن الامام جعفر الصادق ان كتاب الله على اربعة اشياء
العبارة والاشارة واللطائف والحقائق فالعبارة للعوام والاشارة للخواص واللطائف
للاولياء والحقائق للانبياء اقول وفي الحقيقة لا يعرف حقائق كلامه ودقائق مرامه غيره
سبحانه بتمامه لان كلامه الازلي من نعت العلي وكما لا نهاية لذاته ولا غاية لصفاته فان
تحت كل حرف من حروفه بحرا من بحار الاسرار ونهرا من انهار الانوار وقد قال العز من قائل ايما
العجز معرفة من سواه ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت
كلمات الله اى طرائف مبانيها ولطائف معانيها ومن هنا قال علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت
سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل ما يريد ويعرف منه
النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد وفي الخبر لولا ان الشياطين يحومون على قلوب
بني آدم لنظروا الى الملكوت ومبان القرآن من جملة الحديث رواه احمد عن ابي هريرة اقرؤا القرآن

والتمسوا غرائبه ابن ابي شيبة في مصنفه وابو يعلى الموصلي والبيهقي في شعبه من حديث ابي
هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف وعن ابن مسعود رضي من اراد علم الاولين والاخرين
فليثور القراءن هذا وقد شرط الله عز وجل الانابة في الفهم والتذكر في العلم فقال تبصرة
وذكرى لكل عبد منيب وقال وما يتذكر الا من ينيب وقال انما يتذكر اولوا الالباب والذي
آثر غرور الدنيا على سرور العقبى فليس من ذوي الالباب فلذا لا ينكشف له اسرار الكتاب
وانوار الخطاب وقد ورد اذا عظمت امتي الدينار والدرهم نزعت منها هيبة الاسلام واذا تركوا
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي قال الفضيل يعني حرموا فهم القرآن كذا في
الاحياء وقال العراقي رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الامر بالمعروف معضلا من حديث الفضيل
ابن عياض قال ذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال تعالى واوحي الي هذا القرآن لانذركم
ومن بلغ قال محمد بن الكعب القرظي من بلغه القرآن فكانما كلمه الرحمن وقال بعض اهل الفضل
هذا القرآن رسائل اتتنا من قبل ربنا بعهود لنتدبرها في الصلوات فنقف عليها في الخلوات و
ننفذها في الطاعات بالسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ماذا زرع القرآن في قلوبكم يا
اهل القرآن ان القرآن ربيع المؤمن كما ان الغيث ربيع الارض وقالت قتادة لم يجالس
هذا القرآن احد الا قام بزيادة او نقصان قال الله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولذا قيل من لم يكن متصفا باخلاق القرآن فاذا قرء القرآن ناداه
الله تعالى ما لك ولكلامي وانت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي ومما يدل على ان مدار
القرآن على فهمه والعمل بامره والنهي بما رواه ابو داود والنسائي في الكبرى وابن حبان والحاكم
وصححه من حديث عبد الله بن عمرو قال اتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرئني يا رسول الله
فاقرءه اذا زلزلت الارض حتى فرغ منها فقال الرجل والذي بعثك بالحق لا ازيد عليها
ابدا ثم ادبر الرجل فقال عم افلح الرويجل ولاحمد والنسائي في الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق
انه صاحب القضية وقال حسبي لا ابالي ان لا اسمع غيرها هذه وعن جعفر الصادق والله لقد
تجلى الله سبحانه لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال ايضا وقد سألوه عن حالة لحقته في
الصلوة حتى خر مغشيا عليه فلما سري عنه قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الاية في قلبي حتى
سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته وكان رضي الله عنه تصور ان الله تعالى جعل لسانه بمنزلة
شجرة موسى عم وانه نودي في شانه ما صدر من الكلام فذلك المقام وفق المرام ومن هنا قال
بعض الحكماء كنت اقرء القرآن فلم اجد له حلاوة حتى تلوته كاني اسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتلوه على اصحابه ثم دفعت الى مقام فوقه وكنت اتلوه كاني اسمعه من جبريل يلقيه على رسول الله

عم جاء الله بمنزلة اخرى فانا الان اسمعه المتكلم به سبحانه فعندها وجدت له لذة ونعيما
لا اصبر عنه وقال عثمان وحذيفة لو طهرت القلوب لم تشبع من تلاوة القرآن وعن ثابت البناني
كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ما سواه يكون العبد
ممتثلا لقوله تعالى ففروا الى الله قيل ليوسف بن اسباط اذا قرءت القرآن بما تدعو فقال بما اذا ادعوا
استغفروا الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة فنستغفر الله مما سواه ولا نعبد الا اياه ولا نقصد في الدارين
ما عداه واما ما ورد من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار اي فليهيئ مكانه من نار جهنم
رواه الترمذي من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند ابي داود في رواية ابن العبد وعند النسائي
في الكبرى فمحمول اي وعيده على القطع على مراده تعالى اي اذا لم يعلم انه مراده كما في الآيات المتشابهات
والالفاظ المشتركة في اللغات والا فمن المعلوم ان قوله تعالى اقيموا الصلوة وآتوا الزكوة اراد
الله بهما العبادتين احدهما بدنية والاخرى مالية خلافا لبعض الملاحدة من الصوفية حيث
قالوا المراد بالصلوة وصل الصلة وبالزكوة طهارة القلب عن الكائنات والاحتجاج لاثبات
الهوى بان يكون له في الشيء رأي واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على مقتضاه ليحتج على
تصحيح غرضه ومدعاه ولو لم يكن له ذلك الرأي والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك
المعنى دون الاستنباط اي لا يحمل على استنباط المعاني من مدارك المباني في الآيات المحتملات
لفقد السماع اي لعدم سماع جميع المعاني من رسول الله صلى الله عليه وسلم في تفسير السبع المثاني الا
في بعض آيات تعددت في وقعات واختلفوا فيهم اي والاختلاف الصحابة والمفسرين على اقوال مختلفة
يمتنع التوفيق بينهما اي لا يمكن الجمع بينهما لتناقض مبانيها وتعارض معانيها فنعلم على القطع
ان كل مفسر قال في المعنى ما ظهر له باستنباط في المعنى حتى قالوا في الحروف التي هي اوائل السور
سبعة اقاويل مختلفة بل سبعين قولا غير مؤتلفة وورد لعلمه الذين يستنبطونه منهم الاية
والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فاثبت لاهل العلم استنباطها ومعلوم انه وراء
السماع فجاز لكل واحد ان يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله بشروط يذكر في محله الا ما يليق
به ومن ذلك استخراج ابو بكر رضي الله عنه موت عليه السلام من قوله سبحانه وتعالى اليوم اكملت
لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي فان الكمال يشير الى الزوال كوصول الشمس الى وسط السماء فهو
استخراج للمعنى لا يفهم من ظاهر المبنى اللهم فقهه اي ابن عباس في الدين وعلمه التأويل
البخاري من حديث ابن عباس فلو كان التأويل مسموعا كالتنزيل فما معنى تخصيصه بذلك ثم اذا
كان الاستنباط ممنوعا فينبغي ان لا يقبل ما يقوله ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من قبل انفسهم
على قدر فهمهم ويقال هو تفسير بالرأي لانهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس

كذلك فافهم فان كنز القرآن ما تبين الا بقوله عم ثم تبيين باقوال الاصحاب الكرام واتباعهم العظام من
العلماء الاعلام ويتخلى عن الموانع ويجتنب عن موانع الفهم كتحقيق المخارج اى مخارج الحروف وترقيق
صفاتها واداء اللفظ من ترقيق وتغليظ وروم واشمام ومد وقصر وتفخيم اعاتها بالمبالغة
فى تحسين حالاتها والا فهما من الواجبات المتعلقة بالقراءة وقواعد الموسيقى اى ويتخلى عنها بان لا يلحن فى
القراءة لحنا جليا كما لا ينبغى ان يلحن فيها لحنا خفيا فى مقدمة الجزرية • والاخذ بالتجويد حتم لازم • من
لم يجود القرآن آثم • لانه به الاله انزلا • وهكذا منه الينا وصلا • والاصرار على الذنب اى ويتخلى
عن الاصرار على الكبائر والصغائر لانه لا صغيرة مع الاصرار كما لا كبيرة مع الاستغفار وقد قال تعالى
والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله
ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون والاتصاف بالذميمة اى من الاخلاق الردية والاحوال الدنية
فورد اى فى نعت القرآن تبصرة وذكرى اى تذكرة لكل عبد منيب والانابة هى الرجوع من الغفلة الى اليقظة
كما ان التوبة الرجوع من المعصية الى الطاعة فهى الاوبة اخص من التوبة ولذا جاء فى وصف الانبياء و
الاولياء انه اواب فاستغفر ربه وخر راكعا واناب ويقدر اى يعرض القارئ ويقرر انه المراد فى كل
خطاب من الامر والنهى وغيرهما كالوعد والوعيد فى كلام البارى فورد فى التنزيل واوحى الى هذا القرآن
لانذركم به وقد سبق الكلام عليه وما بينا سبب المرام لديه اقرؤا القرآن ما نهاك اى ما دام نهاك عن
الكسل والغفلة ونحوهما من المذمة وتمام الحديث واذا لم ينهك فلست تقرؤه الطبرانى من حديث عبد الله
ابن عمر بسند ضعيف وقصة اى ويقدر انه المراد فى كل قصة مشتملة على محنه ونعمه او محنه وعقبه
فهى للتنبيه فورد فى التنزيل وكلا اى كل ما يحتاج اليه ونصفه بقوله نقص عليك من انباء الرسل ما
نثبت به فؤادك بدل كل من كل واذا كان قلبه الاعلى يحتاج الى التثبيت فغيره اولى وورد اللهم
يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ويتأثر اى القارئ باختلاف حال القلب اى تقلبه بحسب المعنى
اى بتفاوت معنى كلام ربه فيفرح ويشتاق ويخاف كلها لف ونشرها المرتب عند آية رحمة وجنة و
عذاب ونحوها من التوبيخ والتهديد والوعد والوعيد والانذار والابشار ويترقى فيه اى فى مراتب
التأثير من المقام الادنى الى المقام الاعلى فالادنى اى فمقام الترقى تقديرا انه يقراه بين
يديه تعالى اى كما يقرا بين يدى معلمه قال تعالى الرحمن علم القرآن فيعتقد انه سبحانه ناظر اليه و
سامع لما يبديه ولديه ويجرى عليه فيفيد هذا الحال التملق والسؤال والتضرع والابتهال ثم
انه تعالى اى يعتقد انه تعالى يخاطبه اى من وراء الحجاب فيورثه الهيبة والعظمة وحقارة نفسه ان
يكون متكلما بكتابه او مستمعا لخطابه او واقفا بجنابه ومتعلقا ببابه فيفيد التأدب بادابه
ثم رؤية المتكلم بان قرأه اسماء الذات كاسم الله والحق وصفاته كاسم الحى والعليم والسميع

والبصير والمريد والقدير وافعاله اى كاسماء افعاله مما آثره محسوس فى مخلوقاته كالمحيى
والخالق والرازق والمصور والوهاب والاولان اى من الاحوال لاصحاب اليمين اى
المطيعين من المسلمين وغيرهما اى المراتب المذكورة من انواع حالات الترقى للغافلين وقد نقل
تحقيق حصول الاحوال الكاملة للعلماء العاملين وبركاتى ينبغى ان يرى السالك ولو كان فى
اعلى المسالك دخوله فى العاصين المقصرين دون المقربين وذوى اليمين اى المعتبرين
فى امر الدين **ومنها** اى من انواع الورد الصلوة عليه اى على النبى صلى الله عليه وسلم ففيه
وعد صحبته اى رفقته فى منزلته وشفاعته لاهل محبته اما دليل الاول فقوله عم اولى الناس
بى اى بقربى فى العقبى اكثرهم على صلوة اى فى الدنيا الترمذى وابن حبان عن ابن مسعود ويؤيده
رواية البيهقى باسناد حسن عن ابى امامة فمن كان اكثرهم على صلوة كان اقربهم منى منزلة واما
الثانى فورد اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ثم سلوا الله لى الوسيلة فمن
سال لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة وورد شفاعتى لاهل الكبائر من امتى الترمذى وحسنه
البيهقى وصححه وورد انها صدقة رواه ابو يعلى من حديث ابى هريرة بلفظ اكثروا الصلوة على
فانها زكوة لكم اى بمنزلة زكوة وصدقة لفقرائكم واغنيائكم ومن صلى على فى كتاب لم تزل الملئكة
تستغفر له ما دام اسمى فى ذلك الكتاب الطبرانى فى الاوسط وابو الشيخ فى الثواب والمستغفرى
فى الدعوات من حديث ابى هريرة بسند ضعيف وفى رواية ابن ابى عاصم عن انس مرفوعا صلوا على فان
الصلوة كفارة لكم فمن صلى على واحدا صلى الله عليه عشرا وفى رواية ايضا عن ابى كاهل من
صلى على كل يوم ثلث مرات وكل ليلة ثلث مرات حبا لى وشوقا الى كان حقا على الله ان يغفر له ذنوب
تلك الليلة وذلك اليوم وحقها ان يقرنه اى الصلوة بالسلام فورد صلوا عليه وسلموا تسليما
وظاهره الجمع بينهما فى كل موضع لكن لا يجب كما توهم النووى اذ الواو لمطلق الجمع فاذا صلى فى وقت
وسلم فى آخر فقد خرج عن عهدة الامرين كما فى قوله تعالى واقيموا الصلوة وآتوا الزكوة وقد جعلت
فى المسئلة رسالة مستقلة والصلوة بالخفض ويقرب بالصلوة على الانبياء او بالرفع اى ومن
حق الصلوة على النبى عم الصلوة على سائر الانبياء وكذا الملائكة المقربين اصالة واهل البيت
والصحابة تبعا فهو المأثور عليه الجمهور وقيل بجمع الصلوة والسلام لنبينا ويقتصر على السلام
فى الانبياء والملائكة ولا تذكر عند العطسة فيه خلاف والذبح وهو مكروه قال صاحب المحيط
لان فيه ايهام الاهلال له والتعجب اى رؤية ما يستغرب فانه ممنوع وفى فتاوى قاضيخان رجل يقرء
القرآن وسمع اسم النبى عم ذكر الناطفى انه لا يجب عليه الصلوة لان قراءة القرآن على النظم و
التأليف افضل من الصلوة ولو فيها من التشريف فاذا فرغ من القراءة ان صلى عليه كان حسنا و

ان لم يصل لم يأثم والله سبحانه اعلم والظاهر انه يستثنى ما اذا قراء او سمع آية يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما فانه يجب عليه الصلوة والسلام ح ولو فى الصلوة كما صرحوا بذلك
فى حال الخطبة وقد ورد من ذكرت عنده فليصل على النسائى والطبرانى فى الاوسط وابو يعلى
وابن السنى و رواه احمد وابن حبان والحاكم وصححه من ذكرنى فليصل على ابو يعلى عن انس فالظاهر
ان الامر للوجوب لكن قال الطحاوى انه يتداخل فى المجلس كسجدة التلاوة ومما يدل على الايجاب حديث
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل على اى ذل فى الباب ولصق بالتراب وابتلى بالحجاب رواه الترمذى
وابن حبان والبزار والطبرانى من حديث ابى هريرة وحسنه الترمذى البخيل من ذكرت عنده فلم يصل
على الترمذى والنسائى عن على وابن حبان والحاكم عن حسين بن على رضى الله عنهما والاخبار فى
هذا كثيرة والآثار شهيرة وقد ذكرت نبذة يسيرة فى شرح الصلوات المحمدية والصلوات الاحمدية
ومنها اى من جملة الاوراد بل اجمل ورد للعباد والعباد فى جميع البلاد الاذكار ككلمة التوحيد
والتمجيد واسماء الله والتسبيح والتحميد المروية فى الاخبار المرضية الوارد فيها الفضائل اى الكثيرة
الشهيرة فى الكتاب والسنة المصطفوية اما الكتاب فقوله تعالى فاذكرونى اذكركم قال ثابت البنانى
انى اعلم متى يذكرنى ربى سبحانه وتعالى ففزعوا منه قالوا كيف تعلم ذلك قال اذا ذكرته ذكرنى وقوله
اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وقوله حكاية كى نسبحك كثيرا ونذكرك كثيرا وقوله
والذاكرين الله كثيرا والذاكرات اعد الله لهم مغفرة واجرا عظيما وقوله فاذا قضيتم الصلوة فاذكروا الله
قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس اى بالليل والنهار والبر والبحر والسفر والحضر والغنا
والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقوله فى ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا قليلا وقوله
واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين
وقوله ولذكر الله اكبر قال ابن عباس له وجهان احدهما ان ذكر الله لكم اكبر من ذكركم اياه والآخر ان ذكر الله
اكبر من كل عبادة سواه واما السنة فقوله عليه السلام ذاكر الله فى الغافلين بمنزلة الصابرين
الغازين رواه البزار والطبرانى فى الاوسط عن ابن مسعود وقوله تعالى انا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى
شفتاه ابن ماجة وابن حبان من حديث ابى هريرة والحاكم من حديث ابى الدرداء وقال صحيح الاسناد
وقوله من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن ابى شيبة فى مصنفه والطبرانى من
حديث معاذ وقوله لما سئل اى الاعمال افضل ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله ابن حبان والطبرانى
فى الدعا والبيهقى فى الشعب من حديث معاذ وقوله عز وجل اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى واذا
ذكرنى فى ملاء ذكرته فى ملاء خير منه واذا تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا واذا تقرب الى
ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الى هرولت اليه يعنى بالهرولة سرعة الاجابة لربه والحديث

متفق عليه من حديث ابى هريرة وقوله عز وعلا من شغله ذكرى عن مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى
السائلين البخارى فى التاريخ والبزار فى المسند والبيهقى فى شعب الايمان من حديث عمر بن الخطاب
وقوله عليه السلام لو ان رجلا فى حجره دراهم يقسمها واخر يذكر الله تعالى كان الذاكر لله افضل
الطبرانى فى الكبير عن ابى موسى وقوله مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحى والميت رواه
الشيخان عن ابى موسى الاشعرى وقوله اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا يا رسول الله ما رياض
الجنة قال حلق الذكر رواه احمد والترمذى والبيهقى عن انس واخرج الترمذى من حديث ابى هريرة
مرفوعا اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قلت وما رياض الجنة قال المساجد وما الرتع قال
سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقوله ليس يتحسر اهل الجنة الا على ساعة مرت
بهم ولم يذكروا الله تعالى فيها رواه الطبرانى وابن السنى عن معاذ وقوله اكثروا ذكر الله حتى
يقولوا مجنون احمد وابن حبان وابن ابى يعلى وابن السنى والحاكم والبيهقى من حديث ابى سعيد الخدرى رضى الله
عنه **ومنها** اى من اصناف الورد الدعاء فورد الدعاء مخ العبادة الترمذى من حديث انس والدعاء
هو العبادة اصحاب السنن الاربعة والحاكم وقال صحيح الاسناد وقال الترمذى حسن صحيح ليس شئ
اكرم عند الله من الدعاء الترمذى وقال غريب وابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد ما من مسلم
ينصب وجهه لله فى مسئلة الا اعطاها اياه اما ان يعجلها له واما ان يدخرها له احمد عن ابى هريرة
الدعاء سلاح المؤمن ابو يعلى والحاكم عن على رضى الله عنه من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب
فليكثر الدعاء فى الرخاء الترمذى والحاكم عن ابى هريرة وقال صحيح الاسناد من لم يدع الله غضب عليه
ابن ابى شيبة فى مصنفه من حديث ابى هريرة ونعم ما قيل الله يغضب ان تركت سؤاله • وابناء آدم حين
تسال تغضب • واختلف هل الافضل هو الدعاء او السكوت تحت جريان القضاء مع ان الدعاء
لا ينافى الرضاء فقيل الاول لحديث الدعاء مخ العبادة وقيل الثانى اكمل لقوله عم من شغله
ذكرى عن مسئلتى اعطيته افضل ما اعطى السائلين ويؤيده قول الخليل علمه بحالى يغنى عن سؤالى
وقيل تختلف باختلاف الاوقات من البسط والقبض والخوف والرجاء ونحوها من الحالات وقيل ما كان
لنفسه فالسكوت اولى وما كان لغيره فالدعاء احرى وحقه اى الدعاء ان يترصد اى ينتظر شرائف
الاوقات لما ورد فيه فضيلة من يوم كيوم عرفة ويوم الجمعة وليلة كليلة الجمع وليلة القدر
وسحر وهو قبيل الصبح على ما ذكره الجوهرى والسدس الاخير على ما قاله الزمخشرى والثلث
الاخير على ما يفهم من كلام الغزالى لقوله عم ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث
الليل الاخير فيقول من يدعونى فاستجيب له من يسألنى فاعطيه من يستغفرنى فاغفر له وقيل
ان يعقوب عم انما قال لبنيه سوف استغفر لكم ربى ليدعو فى وقت السحر فقيل انه قام فى وقت

السحر يدعوا ولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله عزوجل اليه قد غفرت لهم وجعلتهم انبياء وعن
عائشة رضي الله عنها ما الفى رسول الله صلى الله وسلم السحر الاعلى في بيتي او عندي الا نائما متفق
عليه ولم يقل البخاري الاعلى وجوف الليل اي وسطه او اثناؤه كله او نصفه وعند الزوال
اي الاستواء فانه بمنزلة نصف الليل ولانهما غالبان وقت الغفلة او بعد الزوال لما ورد فيه
من فتح ابواب السماء وصعود الامام يوم الجمعة وفي جلسة الخطيب اي على المنبر وغروب الشمس فيها اي
وعنده في الجمعة اقوال في ساعة الجمعة وقد بيناها مع غيرها من الاقوال وما ورد فيما سبق من اوقات
في شرح حصن الحصين وبين الاذان والاقامة اي يوم الجمعة او مطلقا فورد الدعاء بين الاذان
والاقامة لا يرد وقد جعله صاحب الحصن في الاحوال والحديث رواه ابو داود والترمذي و
النسائي وابن حبان عن انس وزاد الترمذي قالوا فما نقول يا رسول الله قال سلوا الله العافية
في الدنيا والآخرة وبين الظهر والعصر يوم الاربعاء لم اجده وكان حقه ان يذكر رمضان في
اوقات الاجابة فروى البزار والطبراني عن عبادة ابن الصامت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال يوما وحضر رمضان اتاكم رمضان شهر بركة يغشاكم الله فيه وتنزل الرحمة وتحط الخطايا
ويستجيب الدعاء الحديث والاحوال اي وان يترصد شرايف الاحوال كالغزو ونزول المطر رواه
الشافعي في الام مرسلا وقال قد حفظت عن واحد جرب الاجابة عنده واداء الفرض ظاهره
بعد ادائه ويحتمل وقوعه في اثنائه قال ابو هريرة ان ابواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل
الله وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوة المكتوبة وروى ابو داود والحاكم عن سهل بن
سعد الساعدي رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثنتان لا تردان او قلما تردان
الدعاء عند النداء وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضا وفي رواية عنه ايضا مرفوعا قال
ووقت المطر اي وتحت المطر وختم القران فله دعوة مستجابة الطبراني في الكبير وعن الحكم بن
عتبة قال مجاهد وعبدة بن ابي لبابة واناس يعرضون المصاحف فلما كان اليوم الذي
ارادوا ان يختموا ارسلوا الي والى سلمة بن كهيل فقالوا انا كنا نعرض المصاحف فاردنا
ان نختم اليوم فاحببنا ان تشهدونا انه كان يقال اذا ختم القران نزلت الرحمة
عند خاتمته رواه ابن ابي شيبة في مصنفه وابو بكر ابن ابي داود في كتاب المصاحف سنده
صحيح والمشي الى المسجد فورد انه عم اذا خرج للصلوة قال اللهم اجعل في قلبي نورا
وفي بصري نورا وفي سمعي نورا وعن يميني نورا وعن شمالي نورا وخلفي نورا الشيخان وغيرهما عن
ابن عباس وفي رواية كان يقول اللهم اني سائلك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي
اليك فاني لم اخرج اشرا ولا بطرا ولا رياء واني خرجت ابتغاء مرضاتك واتقاء سخطك

ان تعتقني من النار وان تدخلني في الجنة مع الابرار والصوم اي حاله فورد ان للصائم
لا ترد دعوته الترمذي وحسنه وابن ماجة من حديث ابي هريرة والافطار اي وقته
فورد ان للصائم عند فطره لدعوة ما ترد ابن ماجة والحاكم عن ابن عمرو والسجدة اي حال
السجود فورد اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء رواه مسلم والرقة
اي رقة القلب ودمعة العين بذكر الرب والتيقظ بجلال الله تعالى فانهما من علامات الاجابة
والمرض فقد ورد اذا مرض العبد ثلثة ايام خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ابو الشيخ عن
انس وعن عمر مرفوعا اذا دخلت على مريض فمره يدعو لك فان دعاءه كدعاء الملئكة كذا في
المشكوة والغربة فقد روى البزار عن ابي هريرة ثلث حق على الله ان لا يرد لهم دعوة الصائم
حتى يفطر والمظلوم حتى ينتصر والمسافر حتى يرجع وقراءة الاخلاص لم اجده والكون في الجماعة
تبلغ مائة ذكر في الحصن في احوال الاجابة اجتماع المسلمين وقال رواه الجماعة عن ام عطية
الانصارية والوقوف بعرفات فورد خير الدعاء دعاء يوم عرفة الترمذي عن عمرو بن شعيب عن
ابيه عن جده والملتزم وكذا رؤية الكعبة وعند زمزم وعند قبره عليه السلام وكذا في
مساجده ومشاهده والكل مأثور والبعض مشهور وفي الحصن زيادات عليه وقد شرحنا لديه
من بيان اماكن الاجابة والذين ترجى لهم الاجابة وقد خلط المص بين الاحوال والرجال و
الامكنة والازمنة ويستقبل القبلة ويرفع يديه لما روى مسلم عن جابر انه عم اتى الموقف
بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وفي النسائي من حديث اسامة بن زيد كنت
ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات حتى يرى ما تحت ابطيه منهما كفيه جاعلا بطنهما
نحو السماء فهو مروي اي عن انس كان عليه السلام يرفع يديه حتى يرى بياض ابطيه في الدعاء متفق عليه
لكنه مقيد بالاستسقاء وعن ابن عباس كان عم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلي وجهه
الطبراني في الكبير بسند ضعيف وعن عمر كان عم اذا مد يديه في الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه
الترمذي وقال غريب والحاكم في المستدرك وسكت عليه وورد ان الله تعالى يستحيي ان يردهما
صفرا بكسر الصاد اي خاليا ففي سلمان رضي الله عنه ان ربكم حيي كريم يستحيي من عبده اذا رفع يديه ان يردهما
صفرا ابو داود والترمذي وحسنه ابن ماجة والحاكم وقال اسناده صحيح على شرطهما دون
العين اي لا يرفعهما الى السماء حال الدعاء فهو منهي عنه ففي ابي هريرة مرفوعا لينتهين اقوام
عن رفع ابصارهم الى السماء عند الدعاء او ليخطفن ابصارهم رواه مسلم ولا يبالغ في رفع
صوته لما روى ابو موسى الاشعري قال قدمنا مع النبي عم فلما دنونا من المدينة كبر وكبر
الناس ورفعوا اصواتهم فقال يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غائب ان الذي

تدعون بينكم وبين اعناق ركابكم كذا في الاحياء وقال العراقي حديث ابي موسى يا ايها الناس ان الذي تدعون ليس باصم ولا غائب متفق عليه مع اختلاف في اللفظ الذي ذكره المص لابي داود وعن عبد الله بن مغفل مرفوعا سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي رواية والطهور ابو داود وابن ماجة وابن حبان والحاكم ويؤيده قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين وورد اذا احب الله عبدا ابتلاه الله حتى يسمع تضرعه وفي لفظ صوته ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث انس فالاخفاء في الدعاء افضل لتلك الاية و لقوله تعالى ثناء على زكريا اذ نادى ربه نداء خفيا ويفتتح اي يبتدئ الدعاء بالتحميد كما في سورة الفاتحة وتقع الثناء قبل الدعاء وقال سلمة بن الاكوع ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربي العلي الاعلى الوهاب احمد والحاكم وقال صحيح الاسناد والصلوة اي على النبي عليه السلام فورد من حديث فضالة ابن عبيد قال سمع رسول الله عم رجلا يدعو في صلوته لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله عم فقال عم عجل هذا ثم دعاه فقال اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء ثم صلى على النبي عم ثم يدعو بما شاء رواه الجماعة وورد فاذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلوة علي فان الله تعالى اكرم من ان يسأل حاجتين فيقضي احدهما ويرد الاخرى رواه ابو طالب المكي كذا في الاحياء وقال العراقي لم اجده مرفوعا وانما هو موقوف على ابي الدرداء ويختم اي الدعاء بهما اي بالحمد لقوله تعالى وآخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وبالصلوة لكونهما مقبولين فلا ترد حاجة في البين قال ابو سليمان الداراني من اراد ان يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلوة على النبي عليه السلام ثم يسأل حاجته ثم يختم بالصلوة عليه فان الله تعالى يقبل الصلوتين وهو اكرم ان يدع بينهما و يقدم على دعائه ربنا اي يا ربنا خمسا فورد فيه اي في حق تقديم ربنا خمسا قوله تعالى ربنا ما خلقت هذا باطلا الى قوله فاستجاب لهم ربهم وحاجة الآخرة اي ويقدمها على حاجة الدنيا لقوله عم لا تجعل الدنيا اكبر همنا لتسارع النجاح اي الفوز والفلاح ويجتنب الجهر والمخافتة اي بل يجعل دعاءه وسط الحالة فورد فلا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها اي بدعائك كما قالت عائشة رضي الله عنه وهو متفق عليه وتمام الاية وابتغ بين ذلك سبيلا لكن الظاهر ان المراد بصلوتك بقراءتك فيها كما تقدم وهو اما في التهجد والمعنى لا تجهر بصلوتك على الدوام ولا تخافت بها في تمام الاية وابتغ بين سبيلا بان تجعل بعض الصلوة جهرية كالصبح والعشائين والجمعة والتراويح وبعضها سرية كالظهر و العصر وسائر النوافل وكان عم اذا قرأ من الليل رفع طورا وخفض طورا ابو يعلى عن ابي هريرة

ولا

ولا يتكلف بالسجع في الدعاء فان حال الداعي ينبغي ان يكون حال المتضرع والتكلف لا يناسبه فورد اياكم والسجع في الدعاء وتمامه بحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وهو غريب بهذا السياق والبخاري عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه لا يفعلون الا ذلك اي عدم تكلف السجع ثم المنع انما هو التكليف في السجع فخلو ما اذا ورد على مقتضى الطبع ولا في الادعية المأثورة على لسان صاحب الشرع جاءت كلمات متوازنة مؤتلفة الا انها غير متكلفة كقوله عم اللهم ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسألك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانت تفعل ما تريد الترمذي من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلوته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال الحديث غريب وكقوله اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع احمد وابن حبان والحاكم عن انس وزيد في رواية ومن هؤلاء الاربع وكقوله اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا احمد في مسنده عن ابي سعيد مرفوعا والاولى ان يقتصر على المأثور لئلا يسأل ما لا صلاح منه فانه اذا جاوزه قد يعتدي فيسأل ما لا يقتضيه مصلحته فما كل احد يحسن في دعوته ولذا روي عن معاذ ان العلماء محتاج اليهم في الجنة اذ يقال لاهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا الدعاء من العلماء ولانه عم تعليما للامة الكرام ما ترك شيئا مرغوبا الا دعا الله وطلبه ولا امرا مرهوبا الا سأل الله وتعوذه وقد جمعنا الدعوات المصطفوية مع الدعوات القرآنية وسميته بالحزب الاعظم والورد الافخم ويتضرع اي بالاستكانة والتذلل عنده ويخفي الدعاء عن غيره فورد ادعوا ربكم تضرعا وخفية والقياس على الذكر ولانه احد انواعه وقد ورد واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول وفي الحديث خير الذكر الخفي ويحقق الاجابة اي في اجابة الدعاء لحديث لا يقل احدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسألة فانه لا مكره له متفق عليه من حديث ابي هريرة ولحديث اذا دعا احدكم فليعظم الرغبة فان الله تعالى لا يتعاظمه شيء رواه مسلم من حديث ابي هريرة فورد ادعوا الله وانتم موقنون بالاجابة تمامه واعلموا ان الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل الترمذي من حديث ابي هريرة وقال غريب والحاكم وقال مستقيم الاسناد وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن احدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل اجاب دعاء شر الخلق ابليس اذ قال رب انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين وما احسن من قال من اهل الحال لو كان فيه خير لقال انظرني الى مكان

انظرني ويلح اى يكثر الدعاء فورد ان الله يحب الملحين في الدعاء الحكيم وابن عدي والبيهقي
عن عايشة واما ما ورد من حديث ان الله يبغض السائل الملحف فمحمول على مسائل الخلق لمخالفته
كلام الحق في مدح الصحابة لا يسألون الناس الحافا واقله التثليث فعن ابن مسعود كان عليه السلام
اذا دعا دعا ثلاثا واذا سال سال ثلثا رواه مسلم واصله متفق عليه ولا يستعجل باب
يستبطى الاجابة فورد يستجاب لاحدكم ما لم يعجل تمامه فيقول قد دعوت فلم يستجب لي متفق عليه
من حديث ابي هريرة وقال بعضهم اني اسال الله تعالى منذ عشرين سنة حاجة وما اجابني وانا ارجو
الاجابة سالت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني وقد ورد اذا سال احدكم ربه مسئلة فتعرف
الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن ابطاء عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله
على كل حال البيهقي في الدعوات من حديث ابي هريرة وللحاكم نحوه من حديث عايشة رضي الله عنها مختصرا
باسناد ضعيف وللبيهقي في كتاب الصفات من حديث حبيب بن ابي ثابت قال ثنا شيخ لنا ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان اذا جاءه بشيء يكرهه قال الحمد لله على كل حال واذا جاءه شيء يعجبه
قال الحمد لله المنعم المتفضل الذي بنعمته تتم الصالحات ولا يذكر الطاعة اى طاعته السابقة
عند الدعوة فهو يورث العجب والمقام يقتضي المذلة وفيه نظر اذ جعله صاحب الحصن من آداب
الدعاء تقديم عمل صالح كما في حديث ابي بكر رضي الله عنه في صلوة التوبة رواه الاربعة وكذا ذكر عمل
صالح عند الشدة ويدل عليه حديث الشيخين عن ابن عمر مرفوعا قال بينما ثلثة نفر يتماشون اخذهم
المطر فمالوا الى غار في الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فاطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض
انظروا اعمالا عملتموها لله تعالى صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال احدهم الحديث الطويل
ولا المعصية اى ولا يذكرها فهو ينفي الايقان اى بالاجابة ولو كان في حيز الامكان والاولى
ان يذكرها ويتوب منها ويستغفر عنها ليكون ادعى الى الاجابة كما سيأتي اليه الاشارة و
قد تقدم ايضا في طي العبارة وجاء النذر اى في الكتاب والسنة فجاز ان يقول مثلا ان استجاب
الله دعائي فلله على ان اصلي كذا او اصوم كذا وهو هذا القصة المريم رضي الله عنها حيث
قالت امها حنة امراة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع
العليم الآيات وحيث قالت مريم اني نذرت للرحمن صوما فلن اكلم اليوم انسيا ولقوله تعالى
في وصف الابرار يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا ويطعمون الطعام على
حبه مسكينا ويتيما واسيرا الآيات والاضطرار عطف على الرجاء ويحقق الاضطرار
وهو اظهار كمال الاحتياج والافتقار فورد امن يجيب المضطر اذا دعاه وهو يعم الكفار و
الاصل اى في قبول الاجابة التوبة اى حصولها بان يجتنب الحرام في ماكله ومشربه وملبسه

ومكسبه

ومكسبه لما رواه والترمذي عن ابي هريرة يرفعه انه ذكر الرجل يطيل السفر اشعث اغبر
يمد يديه الى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام فاني يستجاب
لذلك ورد المظالم فانه من اركان التوبة وقال سفيان الثوري بلغني ان بني اسرائيل قحطوا
سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال
يبكون ويتضرعون فاوحى الله عز وجل الى انبيائهم لو مشيتم الي باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ
ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم عن الدعاء فاني لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتى
تردوا المظالم الى اهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وتوجيه الهمة اليه اى تخليص قصد القلب الى
جانب الرب وعدم الالتفات الى ما سواه في المطلب فان همة الرجال تهدم الجبال بل هو من اركان
الدعاء قال تعالى فادعوا الله مخلصين له الدين وقال تعالى فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله
مخلصين له الدين فالنافع اى من الدعاء ولو كان من الماثور هو الحضور اى مع الله في مجلس الانس و
الشهود اذ المقصود من الدعاء الانس به تعالى الموجب للتوفي الصدور واما الحدود والقصود وساير
انواع الجهود فلالتفات اليها نوع من التقصير والقصور وبه اى بالانس في حضرة القدس يرجى خير
الخاتمة اى اللاحقة التي مدارها على العناية السابقة كما يشير اليه قوله سبحانه وتعالى ان الذين
سبقت لهم منا الحسنى ويلازمه اى يلازم مطلق الدعاء في الرخاء اى في حالة النعماء والآلاء ليقيه في
البلاء اى في البأساء والضراء فورد من سره ان يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء في
الرخاء الترمذي عن ابي هريرة والحاكم عن سلمان وقال صحيح الاسناد وروى البيهقي والخطيب عن جابر مرفوعا
لقد بارك الله في حاجة اكثر الدعاء فيها اعطيها او منعها ويرغب دعاء ذي فضيلة دينية من العلماء
الاعلام والمشايخ الكرام والامام العادل للانام فورد ثلثة لا ترد دعوتهم الامام العادل
والصائم حين يفطر ودعوة المظلوم وللبيهقي عن ابي هريرة ثلثة لا يرد الله دعوتهم الذاكر الله
كثيرا والمظلوم والامام المقسط وقد ثبت انه عم قال لعمر حين اعتمر شاركني في دعائك يا اخي
وروى مسلم من حديث عمر انه قال لاويس القرني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يأتي
عليكم اويس بن عامر مع امداد اهل اليمن من مراد ثم من قرن كان فيه برص فبرئ منه الا موضع
درهم له والدة هو بها بر لو اقسم على الله لابره فلو استطعت ان يستغفر لك فافعل
فاستغفر لي فاستغفر له ويتقي دعاء المظلوم فورد اتقوا دعوة المظلوم فانها تحمل على
الغمام يقول الله عز وجل وعزتي وجلالي لانصرنك ولو بعد حين الطبراني في الكبير والضياء عن
خزيمة بن ثابت والحاكم عن ابن عمر اتقوا دعوة المظلوم فانها تصعد الى السماء كانها شرارة
واحمد والطيالسي من حديث ابي هريرة دعوة المظلوم مستجابة وان كان فاجرا ففجوره

على نفسه واسناده حسن والظاهر ان المراد بالفاجر الفاسق ويحتمل ان يكون المراد به الكافر
لما في رواية ولو كان كافرا رواه احمد وابو يعلى والضياء عن انس اتقوا دعوة المظلوم وان
كان كافرا فانه ليس دونها حجاب ولابن حبان من حديث ابي ذر الغفاري قلت يا رسول الله ما كانت
صحف ابراهيم قال كانت امثالا كلها ايها الملك المسلط المبتلى المغرور اني لم ابعثك لتجمع الدنيا
بعضها الى بعض ولكن بعثتك لترد عني دعوة المظلوم فاني لا اردها وان كانت من كافر ولا
يدعو على احد لئلا يهلك بسبب دعائه احد ولو كان ظالما لقوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله
فالكل ما نور اي وعامله في الكل ما جور **ومنها** اي من جملة الاوراد التفكر فورد ويتفكرون
في خلق السموات والارض اي في مخلوقاتهما وفي كيفية ايجادهما وابقائهما بامدادهما وعنه عم
ويل لمن قرا هذه الاية ولم يتفكر تفكر ساعة خير من عبادة سنة ذكره الفاكهاني من
كلام السري السقطي وقال قال ابن عباس وابو الدرداء فكر ساعة خير من قيام ليلة انتهى
واخرجه الديلمي عن انس في الجامع الصغير للسيوطي فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة ابو
الشيخ في العظمة عن ابي هريرة فقيل هو الذي ينقل من المكاره الى المحاب ومن الرغبة والرهبة
الى الزهد والقناعة وقيل هو الذي يحدث مشاهدة فانها نتيجة المراقبة وهو اي التفكر طلب
المعرفة بنظر الفكر اوله التذكر اي اول التفكر تذكر ما نسي من جهة الغفلة وهو اي التذكر
احضار القلب من اضافة المصدر الى فاعله المعارف اي معرفة نعمه الظاهرة والباطنة واعلم
ان المواظبة على الاوراد هو طريق الى الله للعباد وخواصهم من الزهاد والعباد لان الناظرين
بنور البصيرة علموا انه لا نجاة الا في لقاء الله عز وجل وانه لا سبيل الى اللقاء الا بان يموت
العبد محبا لله وعارفا بمولاه وان المحبة والانس لا يحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة
على فكر المطلوب وان المعرفة لا يحصل الا بدوام الذكر والفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس
في الوجود سوى ذاته وصفاته وافعاله في مصنوعاته ثم لم يتيسر دوام الذكر والفكر الا بتوديع الدنيا
وشهواتها والاكتفاء منها على قدر البلغة وضروراتها وكل ذلك لا يتم الا باستغراق اوقات
الليل وساعات النهار في وظايف الاذكار ولطايف الافكار والنفس لما جبلت عليه
من السامة والملالة لا تصبر على فن واحد من الاسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت
الى نمط واحد من الافعال والاحوال اظهرت الملال والاستثقال وقد عرفت بان الله تعالى لا يمل
حتى يملوا فمن ضرورة اللطف بها ان تروح بالتنقل من فن الى فن ومن نوع الى نوع بحسب كل
وقت من اصل وفرع لتكثر بالانتقال لذتها وتغزر باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة
مواظبتها ولله در القائل من ذوي الفضائل • لا يصلح النفس اذا كانت مدبرة • الا التنقل من حال

الى

الى حال • وهذا طبع البشر فاصله امتلائه لا يتغير واما الملائكة فهم لا يسأمون فكل جمع منهم
على طاعة مستمرون وكذا يقسم الاوراد بقسمة مختلفة لاوقاتها وحالاتها والذكر والفكر
ينبغي ان يستغرقا جميع الاوقات واكثر الحالات فان النفس بطبعها تميل الى ملاذ الدنيا والبطالة
فان صرف العبد شطر اوقاته مثلا الى تدبيرات الدنيا وشهواتها والشطر الاخر الى العبادات
وحسن حالاتها ترجح جانب الميل الى الدنيا لموافقتها في الطبع والهوى اذ الوقتان متساويان
فالى متقاومان فالطبع لاحدهما مرجح لا محالة اذ الظاهر والباطن يتساعدان على امور الدنيا و
يتباعدان عن طريق العقبى فمن اراد ان يدخل الجنة بغير المحاسبة فليستغرق اوقاته في الطاعة وقال
تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون و
ورد حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وقال تعالى كفى بنفسك اليوم حسيبا ومن اراد ان يترجح كفة
حسناته ويثقل ميزان خيراته فليستوعب في الطاعة اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا واخر سيئا
فامره مخطر ومنقطع ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر متوقع فعسى الله ان يغفر له بجوده
وكرمه ولطفه وحلمه وجد والعلم اي ثمرة الفكر وفائدته ونتيجته ثلثة مرتبة وهي العلم والحال
والعمل فهذا معنى قوله وهو اي العلم حصول المعرفة المثمر للحال وهو اي الحال تاثر القلب المثمر للعمل وهو اي
العمل خدمة الجوارح اي الاعضاء في الطاعة وتوضيحه ان ثمرة الفكر ثلثة العلم والحال والعمل ولكن
ثمرته الخاصة هي العلم نعم اذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب واذا تغير حال القلب تغير عمل الجوارح
فالعمل تابع للحال والحال تابع للعلم والعلم تابع للفكر فالفكر اذا هو المبدا والمفتاح للخيرات
وهذا يكشف لك عن فضيلة الفكر وانه خير من الذكر لان الفكر فيه ذكر وزيادة وذكر القلب خير من
عمل الاركان ومجراه اي مجرى التفكر ومسراه شيئان اما المعاملة وهو مبدا السلوك في طريق
المجاملة وحقه اي حق التفكر في المعاملة الظاهرة ان يبدا اي يبتدي بالنظر والتامل في معاصيه
الظاهرة واحدا بعد واحد ويتفكر في كل هل هذا محظور اي حرام او مكروه ثم هل يوجد فيه اي
المحظور المذكور ثم التدبير في دفعه بالسعي المشكور ثم في طاعته اي وبعد ذلك يتفكر في انواع
طاعته الظاهرة ويتامل في كل فرد منها هل هذا مندوب اي مستحب او سنة مؤكدة او واجب او فرض
محتم ثم هل هذا مقدور اي مقصور له بانه مستطيع في تحصيله من الزكوة والحج ونحوهما المستغني
عن تفصيله ثم في الباطن كذلك اي بعد ذلك يتفكر في المعاصي الباطنية من الاخلاق الردية
والاحوال الدنية هل شيء منها يوجد فيه وما علاجه واخراجه حيث يدفع المقصود ويناقيه
وكذا في الطاعات الباطنية من الشمائل الرضية والفضائل البهية نفيا واثباتا واما المكاشفة
عطف على المعاملة اي ومجراه الاعلى الامور المكاشفة المتعلقة بالمولى فهو اي التفكر الموجب

للمكاشفة انما هو في الاسماء الحسنى وصفاته العلى الواردة في الكتاب والسنة وملكوت السموات
والارض اى وبواطنهما المملوة من العجايب والغرايب في الطول والعرض اما الذات المقدس
فلا سبيل اليه الا بالذكر لقوله تعالى ولا يحيطون به علما وقال كل ما خطر ببالك فالله وراء ذلك
وقال عز وعلا ليس كمثله شئ وقال بعضهم كل اسم للتخلق الا اسم الله فانه للتعلق فورد لا تفكروا
في ذات الله ابن ابي شيبة في كتاب العرش عن ابن عباس موقوفا وابو نعيم في الحلية عنه مرفوعا تفكروا
في خلق الله ولا تتفكروا في الله ذكره الزركشي وفي رواية تفكروا في كل شئ ولا تفكروا في ذات الله
وهو موقوف على ابن عباس وسنده جيد ذكره العسقلاني في فتح الباري في كتاب التوحيد وفي الجامع الصغير
للسيوطي تفكروا في كل شئ ولا تفكروا في ذات الله فان بين السماء السابعة الى كرسيه سبعة الاف
نور وهو فوق ذلك ابو الشيخ في العظمة عن ابن عباس وفي رواية له عن ذر بلفظ تفكروا في خلق الله
ولا تفكروا في الله فتهلكوا وله ايضا عن ابن عباس تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم
لا تقدرون قدره ايماء الى قوله تعالى وما قدروا الله حق قدره اى ما عرفوه حق معرفته وما عظموه
حق عظمته وفي رواية تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله ابو الشيخ والطبراني في الاوسط وابن
عدى والبيهقي عن ابن عمر وابو نعيم في الحلية عن ابن عباس ولفظه تفكروا في خلق الله ولا تفكروا
في الله والعقل يعجز عنه اى عن ادراك ذاته سبحانه عجز الخفاش عن ضوء النهار اى لضعف بصر الخفاش
وقوة نور الشمس فهو عز وجل من غاية نوره مختفي عن ظهوره ومن هنا قيل العجز عن درك الادراك
ادراك وحقايق الصفات كذلك اى لا يدرك كنهها هنالك فلا يطيقه الا الخواص من الانبياء
وكمل الاولياء احيانا في اعلى مراتب مقامهم ولا يذكرون للعوام الا على قدر افهامهم لتقييدهم
بتصورات اشكالهم وامثالهم في عقولهم واوهامهم فعلى العبد اى اذا عرفت انواع العبادة
السالك طريق الارادة ان يديم العبادة بالصلوة والتلاوة ظاهرا وباطنا بالذكر والفكر و
بترك المالوف والعادة ليتحصل محبته تعالى اذ هي اهم من المطلوبات واتم من المقصودات وقد قال تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الايات وعن عائشة رض من عوده الله عبادة فتركها
ملالا مقته الله رواه ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفا عليها قال الغزالي وتحقيق هذا
الخبر انه مقت الله فتركه ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت عليه الملالة ففي النهار
يشتغل بالاذكار والافكار بعد الفجر اى ظهور الصبح والاسفار الى الاشراق اى طلوع الشمس
وضوء النهار لقوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق لانه زمان كانه وعلو زمان شانه الا ان يحتاج
الرياء في عبادة ربه تعالى والتشويش اى تشويش الخاطر من الخلق المانع من الحضور مع الخلوة
هنالك فيرجع ويلزم زاوية اى معدة لذلك فكانوا اى السلف يبالغون في رعايته اى

مراعاة

مراعاة هذا الوقت ويعيبون المتكلم فيه اى بكلام الدنيا ويخوفونه بالمقت وورد انه
اى احياءه احب من عتق اربع رقاب من ولد اسمعيل بفتح الواو واللام وبضم فسكون اى اولاده
واحفاده من العرب وبعد العصر الى المغرب كذلك اى ويشتغل بعد اداء العصر الى غروب الشمس
كما ذكر هنالك واصل الحديث لان اقعد مع قوم يذكرون الله من صلوة الغدوة حتى تطلع
الشمس احب الى من ان اعتق اربعة من ولد اسمعيل ولان اقعد مع قوم يذكرون من صلوة العصر الى
ان تغرب الشمس احب الى من ان اعتق اربعة ابو داود بسند حسن عن انس وفي رواية له لان اقعد
في مجلس اذكر الله فيه من صلوة الغدوة الى طلوع الشمس احب الى من ان اعتق اربعة رقاب وروى
احمد ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجة عن جابر بن سمرة انه عم كان اذا صلى الغداة جلس في
مصلاه حتى تطلع الشمس وفي رواية للترمذي عن انس من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى
تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت كاجر حجة وعمرة تامة تامة تامة وكان تعظيمهم اى السلف اياه
اى بعد العصر اكثر من تعظيم ما بعد الفجر اذ هو وقت الغفلة وبعد وجود المعصية والحديث الاعمال
بالخواتيم فينبغي قيامه بالاستغفار ودوامه بالاذكار والافكار ومحاسبة ما جرى له من اعمال
النهار فعن الحسن كانوا اشد تعظيما للعشي منهم لاول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون اول
النهار للدنيا وآخره للعقبى فليشكر الله على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره فليشتغل بتدارك تقصيره
في امره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له انتهاء تغرب فيه شمس الحيوة ولا يكون له بعدها طلوع وابتداء
وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا اياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها
بانقضاء احادها المحدودة وورد في تخصيص فضل هذين الوقتين واذكر اسم ربك بكرة واصيلا
اى صباحا وعشيا وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب وقال تعالى واذكر ربك كثيرا
وسبح بالعشي والابكار اى اطراف النهار يا ابن آدم اذكرني بعد صلوة الفجر وبعد صلوة
العصر ساعة اكفك مؤنة ما بينهما ابن المبارك في الزهد هكذا مرسلا عن الحسن ويقرأ المسبعات
عشر فانه المسبعات العشر في الوقتين المذكورين ففيه فضل كثير كما ذكره في الاحياء لكن
قال العراقي حديث كرز بن وبرة عن رجل من اهل الشام عن ابرهيم التيمي ان الخضر علمه المسبعات
العشرة وقال في آخرها اعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له اصل ولم يصح في حديث قط
اجتماع الخضر بالنبي عم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا مماته انتهى والعشرة هي الفاتحة و
الكافرون والاخلاص والمعوذتين وآية الكرسي والصلوة على النبي عم واللهم اغفر لي ولوالدي
وللمؤمنين والمؤمنات وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا
بالله العلي العظيم واللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما انت

المسبعات العشرة

له اهل ولا تفعل بنا وبهم يا مولينا ما نحن له اهل انك غفور حليم جواد كريم رؤف رحيم كل واحدة
من العشرة يقرأها سبع مرات وكذلك اى يشتغل بالعبادة ما بين الاشراق وهو اول طلوع الشمس
والضحى وهو الضحوة الكبرى وهو اول ربع النهار بالتخمين الاخرى ثم فيه تفصيل بالنسبة الى اهل الارادة ان كان
متجردا لها اى للعبادة يشتغل بما سبق من العبادات يعني التلاوة والذكر والفكر والصلوة ونحوها
من الطاعات يشتغل بها حال او بدل اشتمال او بيان انتقال من نوع عبادة الى اخرى على حسب صلاح قلبه فيما يراه
ح اولى واحرى في الدنيا والاخرى وانما ينتقل في تلك الحالة قطعا للملالة ودفعا للكسالة ودفعا
للبطالة فورد عليكم من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا الطبراني عن عمران بن حصين فقد كان
في الصحابة من ورده في اليوم اثنى عشر الف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلثون الفا وكان فيهم من ورده
ثلثمائة ركعة الى ستمائة والى الف ركعة واقل ما نقل عن اورادهم في الصلوة مائة ركعة في اليوم والليلة
وكان بعضهم اكثر ورده القران فيختم في اليوم مرتين او مرة وكان بعضهم يقضي اليوم والليلة في التفكر
في اية واحدة وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة ويطوف في كل يوم سبعين اسبوعا وفي كل ليلة سبعين اسبوعا
وكان مع ذلك يختم القران في اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل اسبوع
ركعتان فذلك مائتان وثمانون ركعة وختمتان والافضل قراءة القران في قيام الصلوة اى ليلا
ونهارا ففيه اى بجمعها يحصل الصلوة والتلاوة والتعلم اى تفهم المبنى وتصور المعنى والخضوع مع المولى
والذكر اى انواع الذكر واصناف الفكر في الهيئات المختلفة والحالات المؤتلفة وهذا في حق المنتهي واما
المبتدي ففي حقه دوام الذكر المجرد افضل والقراءة بالنسبة الى المتوسط امثل على ما قاله عارف السهروردي
في المعارف وبغيره اى يشتغل بغير ما سبق ايضا من الحسنات كعيادة المريض لا سيما الفقير والغريب
وتشييع الجنازة خصوصا للعلماء والاولياء واعانة المسلم واغاثته في الامر المهم وكان يفعلونها ما بين
الاشراق والضحى اى في غالب احيانهم وعرف اهل زمانهم وان لم يكن اى السالك متجردا للعبادة
فالعالم والمتعلم بالعلم اى يشتغلان بتعليمه وتعلمه فورد انه اى الاشتغال بالعلم افضل من صلوة
الف ركعة وشهود الف جنازة وعيادة الف مريض وقراءة القران وتقدم ان هذا الحديث لا يصح
فالاولى ان يستدل بنحو فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم ثم قراءة القران انما تعد من
العبادة اذا كانت بمجرد التلاوة اما تعلمه وما يتعلق به من انواع القراءة فهو من افضل العلوم
فان شرف العلم بشرف المعلوم غير ان المراد اى المقصود هنا بالعلم علم الاخرة اى علم ينفع في الاخرة
كالكتاب والسنة الفاخرة لما سبق في المقدمة من تقسيم علماء الدنيا وعلماء الاخرة وان علم الاخرة
يقتضي العمل فضلا عن حصول الثواب ووصول القرب فيتفكر اى كل من العالم والمتعلم في حل المشكل بعد
الاشراق او قبله بعد اداء الفجر فانه افضل بالاتفاق فالقلب فيه اى في صدر النهار اصفى اى

ابعد من الاكدار لكونه بعد الذكر اى بعد وقوع الصلوة والاذكار وقبل عمل الدنيا وما يتعلق
بهذه الدار المشتملة على انواع من الاوزار وقد ورد اللهم بارك لامتي في بكورها والمشتغل
بامور الناس اى عموم المسلمين كالقاضي والوالي وهو الامام والمتولي وكذا المدرس والمفتي او
امور نفسه كالكاسب ونحوه يشتغل بتلك الامور مراعيا بشروطها كما هو المشهور وقد قيل لا ينبغي
ان يوجد المؤمن الا في ثلثة مواطن مسجد يعمره او بيت يستره او كسب لا بد منه فيحضره ذاكرا في
اثنائها لقوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية محضرا قلبه مراعيا ربه قاصرا
كسبه على الحاجة اى قدر الضرورة له من امر المعيشة من النفقة الا اى لكنه يجوز له الزيادة للصدقة
اى لاجل ان يتصدق على ذى الحاجة فقيل هو اى الكسب للتصدق احب من الذكر لانه اى نفعه
التصدق متعد للغير والذكر قاصر ثوابه على الذاكر وقيل الذكر هو الافضل من التصدق وهذا
هو الظاهر فقد ورد لو ان رجلا يقسم دراهم واخر يذكر لكان الذاكر لله افضل ولقول
عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا للبر تركك للدنيا ابر وقد اتفق المشايخ على ان الفقير
الصابر افضل من الغني الشاكر والاولى النظر الى صلاح القلب اى والهام الرب فقد يصلح
للواحد الكسب للتصدق فيكون اولى في حقه من الذكر وقد يصلح الذكر للاخر فيكون اولى
من الكسب للتصدق ويشير اليه قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده
خبيرا بصيرا وحديث ان من عبادي من لا يصلحه الا الغنى ولو افقرته لافسده له وان من عبادي
من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله ومن هنا قال عمر رض الفقر والغنى مطيتان
لا ابالي ايهما اركب لكن الفقر اسلم والله اعلم ويديم الورد فورد احب الاعمال ادومها وان قل
متفق عليه من حديث عائشة بل يزيد اى المريد في الورد ان كان من اهل المزيد كمية او كيفية فورد
لا بورك لي في يوم لا ازداد فيه خيرا اى علما وعملا والحديث كذا في الاحياء قال العراقي ورد
علما بدل خيرا قلت واصل الحديث على ما في الجامع الصغير اذا اتى على يوم لا ازداد فيه علما يقربني الى الله
فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم الطبراني في الاوسط وابن عدي وابو نعيم في الحلية عن عائشة رض
ويجمع في يوم واحد الصوم والصدقة والعيادة والتشييع فورد من جمعها في يوم غفر له او
ادخله الجنة شك من الراوي قال العراقي حديث من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض
وشهود جنازة غفر له وفي رواية دخل الجنة مسلم من حديث ابي هريرة ما اجتمعن في امرئ
الا دخل الجنة انتهى وفي الجامع الكبير للسيوطي عن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذات يوم من اصبح اليوم منكم صائما قال ابو بكر انا قال من عاد منكم اليوم مريضا قال ابو بكر
انا قال من شيع منكم اليوم جنازة قال ابو بكر انا قال وجبت لك الجنة رواه ابن عدي والبخاري وليس

فيه ذكر الصدقة ولعله في رواية اخرى او سقط من الكتاب وفي الجامع الصغير من اصبح يوم
الجمعة صائما وعاد مريضا وشهد جنازة وتصدق بصدقة فقد اوجب البيهقي عن ابي هريرة
وفي رواية له ولابن عدي و البخاري في تاريخه من جابر من اصبح يوم الجمعة صائما وعاد مريضا
واطعم مسكينا وشيع جنازة لم يتبعه ذنب اربعين سنة اما في الليل اي في وروده فالاحوط
ان يوتر اي يصلي الوتر قبل النوم فيحتمل ان لا يستيقظ اذ النوم اخ الموت او يستيقظ ويكره
القيام لاستثقال المنام فيتركه ولو ادركه الموت لذهب اي بالوتر فيكون آثما في الفوت وفيه
اي وفي تقديم العمل قصر الامل في التأخير آفات لاحتمال قرب الاجل قال ابو هريرة اوصاني خليلي ان اوتر
قبل ان انام متفق عليه والاقوى اي الافضل والاولى ان يؤخر الوتر لمن يألف اي يعتاد ويثق
بالقيام بعد المنام وقد قالت عائشة رض اوتر عليه السلام اول الليل واوسط وآخره وانتهى
في وتره الى السحر متفق عليه ويقرأ يس في كل ليلة والافضل في التهجد فلابن حبان من حديث جندب
من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجه الله غفر له ولابي منصور الغزنوي من حديث علي يا علي اكثر من قراءة
يس الحديث وسجدة الاولى والسجدة فللترمذي من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة
وتبارك الذي بيده الملك ولقمان لم اجده وكذا في الاحياء لم يذكره والدخان فللترمذي من حديث
ابي هريرة رضي الله عنه من قرأ حم الدخان في ليلة اصبح يستغفر له سبعون الف ملك والملك
وقد سبق ولابي الشيخ في الثواب من حديث عائشة من قرأ في ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذي
بيده الملك واقتربت كن له نورا الحديث والزمر فللترمذي من حديث عائشة كان لا ينام حتى
يقرأ بني اسرائيل والزمر وقال حسن غريب والواقعة فللحارث بن ابي اسامة من حديث ابن مسعود من قرأ
سورة الواقعة في كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا والمسبحات اي السور المصدرة بالتسبيح وهي
الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن والاعلى وقال الحزو ابي داود والنسائي في الكبرى من
حديث عرباض بن سارية كان يقرأ المسبحات في كل ليلة ويقول فيهن آية افضل من الف آية وينام
اي بعد القيام عند الغلبة اي غلبة النوم فهو المأثور فقد روى ابو داود والنسائي من
حديث عائشة ما من امرئ يكون له صلوة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب له اجر صلوته و
كان نومه صدقة عليه وفي رواية للنسائي وابن ماجة من حديث ابي الدرداء بسند صحيح من اتى
فراشه وهو ينوي ان يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه
صدقة عليه من الله وورد كانوا قليلا من الليل اي من زمانه ما يهجعون اي يرقدون فيه وكانوا زائدة صح
ما يرقدون قليلا من الليل فاخر مراعاة للفواصل او كانوا قليلا منصوبا دنا ما يرقدون من الليل
اي بعضه او كله وقيل ما يهجعون خبر كان وقليلا ظرف اي لا ينامون في زمن يسير من الليل ويقومون اكثره

و

والآيات والاخبار والآثار في احياء الليل كثيرة شهيرة منها سورة مزمل وقوله تعالى تتجافى
جنوبهم عن المضاجع الآيات وفي الحديث عليكم بقيام الليل فانه داب الصالحين قبلكم الترمذي
من حديث بلال والطبراني والبيهقي من حديث ابي امامة بسند حسن وعن المغيرة بن شعبة قام النبي
صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه فقيل له يا رسول الله قد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تاخر
فقال افلا اكون عبدا شكورا للترمذي في الشمائل واصله في الصحيحين وذكر عنده رجل نام حتى
اصبح فقال ذاك بال الشيطان في اذنه متفق عليه حديث ابن مسعود ولا يصلي بعدها اي بعد غلبة
النوم فورا حين قيل ان فلانة تصلي من الليل فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل ليصل احدكم من الليل
ما تيسر فاذا غلبه النوم فليرقد فقد ورد قيامه عم اول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه
قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان كذا في الاحياء قال العراقي رواه
ابو داود والترمذي وصححه وابن ماجة من حديث ام سلمة كان يصلي وينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر
ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح وللبخاري من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جاء وصلى اربع ركعات
ثم نام ثم قام انتهى وفي الشمائل عن عائشة رض كان اذا لم يصل بالليل منعه من ذلك النوم او غلبته
عيناه صلى من النهار اثنتي عشر ركعة وفي مسلم عنها انه عم كان اذا نام من الليل من وجع او غيره
فلم يقم من الليل صلى ثنتي عشرة ركعة في النهار اي تداركا لما فاته من التهجد لقوله تعالى وهو الذي جعل
الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر او اراد شكورا وفي صحيح مسلم عن عمر رضي الله عنه قال قال
رسول الله عم من نام عن حزبه من الليل او عن شيء منه فقرأه ما بين صلوة الفجر وصلوة الظهر كان
كمن قرأه من الليل لا تكابدوا الليل اي لا تغالبوه فورد ان الدين يسر ولن يشاد الدين احد الا غلبه
فسددوا وقاربوا وابشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة البخاري والنسائي
عن ابي هريرة عليكم هديا قاصدا فانه من يشاد هذا الدين يغلبه احمد والحاكم والبيهقي وفيه اي
في التهجد بعد غلبة النوم التعبد على ملال وجاء اي في ذمه اثمه اكبر من نفعه اذ ربما يجري على
لسانه موجب ذمه واثمه وتحمل ما لا يطاق اي وفيه تكليف ما لا يستطيع وقد قال تعالى ولا تحملنا ما لا
طاقة لنا به ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وورد تكلفوا من الدين اي الاعمال ما تطيقون فعن عمران
ابن حصين عليكم من الاعمال ما تطيقون فان الله لا يمل حتى تملوا الطبراني ويبغض العبادة اي ويوجب
ابغاضها الى النفس وابغاضها وفي نسخة بالنون والضاد المهملة اي عن بغضها اليها في شدة تكريرها
وورد لا تبغض بالوجهين اليك عبادة الله ام اجره ويوافقه ما سبق معنى ويجتهد في القيام
بعد المنام فورد في نعت عباد الرحمن والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما صل من الليل ولو
قدر حلب شاة رواه ابن ابي علي من حديث ابن عباس في صلوة الليل مرفوعا نصفه ثلثه ربعه فواق

عليكم هديا قاصدا صح

حلب ناقة فواق حلب شاة ولابي الوليد ابن المغيث من رواية اياس بن معاوية مرسلا لابد من صلوة
الليل ولو حلبة ناقة او حلبة شاة فالاولى ان يقوم كل الليل اى ان قدر عليه وفيه انه بظاهره
خلاف الكتاب والسنة ومناف لما يقتضيه الحكمة ففى القرآن قم الليل الا قليلا ومن الليل فتهجد وفى
السنة انى انام واقوم وافطر واصوم ولم يحفظ عنه عم انه سهر ليلة كاملة فى جميع الايام واما الحكمة
فقد جعل الله النوم سباتا اى راحة للابدان ومن عليه على الانسان حيث قال ومن رحمته جعل لكم
الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا ولعلكم تشكرون وهو اى احيا الليل كله لمن تجرد له الى قيامه
ومنع النفس عن منامه وجعل النوم فى نهاره بدلا عن قيامه فى فراشه وقوى يقينه اى وصلح دينه
فيتلذذ به ويتغذى اى روحه بسببه فيهون عليه شدة امره ويحلو عليه مرارة صبره ومن الاسباب
المعينة على سهره خوف يغلب على قلبه مع قصر امله يحثه على تكثير عمله او رجاء يحمله على تكلفه و
تحمله كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين ويقابله ان ذكر الجنة طير نوم الراقدين
كما قال بعضهم اذا ذكرت النار اشتد خوفى واذا ذكرت الجنة اشتد شوقى ولذى النون المصرى
شعر منع القرآن بوعده ووعيده • مقل العيون بليلها ان تهجعا • فهموا عن الملك الجليل كلامه •
فرقاب هم ذلت اليه تخضعا • ومن اشرف البواعث الحب لله فانه فى قيامه لا يتكلم بحرف من كلامه
الا وهو مناج به حضرة ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما خطر بقلبه فاذا كمل فى محبة ربه احب
لا محالة الخلوة وتلذذ له المناجاة بسببه فحمله تلك اللذة على طول القيام ودفع المنام وقال
بعض الاعلام ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم اهل الجنة الا ما يجده اهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة
المناجاة وقال آخر لذة المناجاة ليست من الدنيا وانما هى من الجنة اظهرها الله لاوليائه لا يجدها
سواهم وقال على بن بكار منذ اربعين سنة ما احزنني شيء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل اذا غربت
الشمس فرحت بالظلام لخلوتى بربى واذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال ابو سليمان اهل
الليل فى ليلهم الذ من اهل اللهو فى لهوهم ولولا الليل ما احببت البقاء فى الدنيا وقد كان ذلك
طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء ومنهم ابو حنيفة امام الفقهاء وهو
اى قيام الليل كله محكى عن اربعين منهم اى من التابعين قال ابو طالب المكى ان ذلك حكى عن سبيل التواتر
والاشتهار عن اربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه اربعين سنة منهم سعيد ابن
المسيب وفضيل وطاوس ووهب بن منبه والربيع ابن خيثم وسليمان الدارانى والخواص ومالك
ابن دينار وسليمان التيمى ويزيد الرقاشى ويحيى البكاء ومحمد بن المنكدر وكهمس بن المنهال وكان
يختم القرآن فى الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وهذا كاد ان يكون من قبيل خرق العادة
من طى اللسان او بسط الزمان والمستعان ثم النصف اى يقوم نصف الليل وواظب عليه اى قيام

النصف منه كما حكى عن السلف ثم الثلث ثم السدس فعن عائشة رض كان يقوم اذا سمع الصارخ
يعنى الديك وهذا يكون السدس فما دونه والحديث متفق عليه وفى الجملة ع كان عم
يقوم نصف الليل او ثلثه او سدسه ففى الصحيحين من حديث ابن عباس نام رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى انتصف الليل او قبله بقليل او بعده بقليل استيقظ الحديث وهو المطابق لقوله تعالى
قم الليل الا قليلا نصفه او انقص منه قليلا او زد عليه والموافق لقوله تعالى ان ربك يعلم انك
تقوم ادنى من ثلثى الليل ونصفه وثلثه فما ثبت انه قام الثلثين ولابى داود نام حتى اذا ذهب
ثلث الليل او نصفه استيقظ الحديث ولمسلم من حديث عائشة فيبعثه الله ما شاء ان يبعثه من الليل
والاحب ان يجعل اى سهره فى الجوف اى اوساط الليل فورد ركعتان فى جوف الليل خير من الدنيا وما فيها
ولولا ان اشق على امتى لفرضتهما ادم بن ابى اياس فى الثواب ومحمد بن نصر المروزى فى كتاب قيام
الليل من رواية حسان ابن عطية مرسلا ووصله ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث
ابن عمر قال العراقى ولا يصح قلت والضعيف يعمل به فى الفضائل اتفاقا ثم اى بعد السدس ركعتان او اربع
وكان الاولى ان يقول اربع ركعات او ركعتان ولو قعودا فقد ثبت انه عم ما مات حتى كان اكثر
صلوته من النوافل جلوسا ثم احياء ما بين العشائين فقيل نزل فيه قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع
وعن محمد بن المنكدر من صلى ما بين المغرب والعشاء فانها صلوة الاوابين وعن ابى هريرة من صلى بعد
المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتى عشرة سنة الترمذى و
ابن ماجة وفى مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى اربع ركعات بعد المغرب قبل ان يتكلم احدا
رفعت له فى عليين وكان كمن ادرك ليلة القدر فى المسجد الاقصى ولعل الجمع بين الروايتين ان الاربع
يراد به المستحب بعد الركعتين من المؤكدة وورد من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى له
قصر فى الجنة فقال عمر اذا تكثر قصورنا يا رسول الله فقال عم الله اكثر رواه ابن المبارك فى الزهد
من رواية عبد الكريم بن الحارث مرسلا وقال الاسود ما اتيت ابن مسعود فى هذا الوقت الا ورايته
يصلى فسألته فقال نعم هى صلوة الغفلة وقال احمد ابن ابى الحوارى قلت لابى سليمان الدارانى اصوم
النهار واتعشى ما بين المغرب والعشاء احب اليك او افطر بالنهار واحيى ما بينهما فقال
اجمع بينهما فقلت ان لم يتيسر فقال افطر وصل ما بينهما والقيام قبل الصبح اى ليدرك احيا بعض
الليل من اوله وآخره فقد ورد من صلى العشاء فى جماعة فكانما قام نصف ليله ومن صلى الصبح
فى جماعة فكانما صلى الليل كله احمد ومسلم عن عثمان ورويكى فى الحديث المنام كلما غلب والقيام
كلما استيقظ وهو افضل مما ذكر من التقديرات لانه اشق والحديث فيه قد سبق والمعين عليه
اى على القيام تسعة اشياء ان لا يكثر الاكل فهو سبب كثرة الشرب العائد الى كثرة النوم

وقد كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة لزيادة الفائدة في امر الدين ويقول يا معشر المريدين لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا ولا يتكلف بالنهار في امور تعني بالنون من العناء او بالياء من الاعياء اي يتعب الاعضاء وتضعف الاعصاب الاجزاء ويقيل بفتح اوله من القيلولة فانها من السنن المنقولة والمراد فيها الاستراحة نصف النهار وان لم يكن معها نوم فورد قيلوا فان الشياطين لا تقيل الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الطب عن انس وكان الحسن اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم ولهوهم يقول اظن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون ولا يذنب اي في النهار فهو اي الذنب والعصيان سبب الحرمان فينبغي ان يجتنب الاوزار بالنهار حتى يقوم بالليل مع الابرار قال رجل للحسن يا ابا سعيد اني ابيت معافا واحب قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم قال ذنوبك قيدتك وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة اشهر بذنب اذنبته قيل وما هو ذلك الذنب قال رايت رجلا يبكي فقلت هذا مراء وقال ابو سليمان الداراني لا يفوت احد صلوة جماعة الا بذنب قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد يجر الى الكثير فكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وكذلك الفحشاء تنهى عن الصلوة بل هذا هو الاكثر وهذه الامور المذكورة من الاسباب الظاهرة التي بها يتيسر قيام الليل واما الاسباب الباطنة فقوله ويفرغ القلب عن هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام بامر العقبى وان قام في بعض الاوقات فلا يتفكر في صلوته الا في تفاريق مهماته وفي مثل ذلك يقال شعر وانت اذا استيقظت ايضا نائم ؛ بخلاف العالم فانه نومه عبادة ويقظته افادة وزيادة وكذا نوم الظالم عبادة ويلازم الخوف منه تعالى اي من مناقشة حسابه ومن اليم عقابه وحجابه من بابه ويقصر الامل بان ينتظر الاجل ليكثر العمل ويذكر ما ورد في فضيلته اي فضيلة القيام من الآيات والاخبار عنه عم وما وعد عليه اي الله سبحانه من القربة اليه والمثوبة لديه والاصل اي الذي عليه مدار الاسباب محبته تعالى والاقبال على المولى والزهد في الدنيا والاستعداد للعقبى واستحكام الايمان اي بالعرفان والايقان فيكون متغذيا به في جميع الازمان وكما للاشباح غذاء وعشاء فكذلك للارواح غذاء ودواء فمن ايقن بنزول رحمته وحصول مغفرته في وقت السحر ونحوه لا يفوته قيام الليل ولا في سفره فقد روى النسائي عن حميد بن عبد الرحمن ان رجلا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال قلت وانا في سفر مع رسول الله صلى الله عم والله لارقبن رسول الله عم فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد وفي رواية الى آخر السورة ثم استل من فراشه سواكا

ويتوضاء

ويتوضاء وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام وفي رواية اخذ سواكه من موخرة الرحل وهذا صريح في انه كان في سفر ويراعى فيه افضل الليالي كالاوتار من العشر الاواخر من رمضان اذ فيها تطلب ليلة القدر كما في الاخبار الكثيرة والآثار الشهيرة لا سيما السبع والعشرين فان عليه اكثر الصحابة والتابعين والسابعة عشر منه فعن ابن الزبير انها ليلة القدر وهي صبيحة يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر والاولى من المحرم فانه الشهر المكرم ومبداء العام المفخم فاسرار البداية تدل على انوار النهاية والعاشرة منه اي من المحرم وهي ليلة عاشوراء والاولى من الرجب وقد كان عم اذا رأى هلال رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان وبلغني انه شهر الغفران ويقال فيه سبعين مرة استغفر الله ذا الجلال والاكرام من جميع الذنوب والآثام ثم رايت المنوفي قال وقد افاد صاحب ترغيب الطالب في اشرف المطالب انه راى بخط الشيخ الحافظ كمال الدين الدميري عن ابن عباس مرفوعا من قال في شهر رجب وشعبان استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم واتوب اليه توبة عبد ظالم لنفسه لا يملك لنفسه موتا ولا حيوة ولا نشورا سبع مرات اوحى الله تعالى الى الملكين الموكلين به ان حرقا صحيفة ذنوبه ويكفينا في ثبوت وروده اعتناء الحافظ الدميري بنقله بخطه ساكتا عليه ولو كان موضوعا لبينه فانه امام في هذا الفن و اقل مراتبه ان يكون ضعيفا والضعيف يعمل به في فضائل الاعمال اتفاقا والخامسة عشر وهي ليلة النصف منه والسابعة عشر والعشرين منه وفي الاحيا وليلة سبع وعشرين منه قال وهي ليلة المعراج وفيها صلوة ماثورة فورد للعامل في هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى اثنى عشر ركعة يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد في كل ركعتين ويسلم في آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر مائة مرة ويستغفر الله مائة مرة ويصلي على النبي عم مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من امر دنياه واخراه ويصبح صائما فان الله يستجيب له دعاءه كله الا ان يدعو في معصية قال العراقي ذكره ابو موسى المديني في كتاب فضائل الليالي والايام انا ابا محمد الخبازي رواه من طريق الحاكم ابي عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن ابان عن انس مرفوعا ومحمد ابن الفضل وابان ضعيفان جدا والحديث منكر ومن جملتها حديث ابي هريرة رض من صام يوما لسبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذي هبط فيه جبرئيل لمحمد عم ابو موسى المديني من رواية شهر بن حوشب عنه والخامسة عشر من شعبان وفي الاحيا واما ليلة النصف من شعبان فيصلي فيها مائة ركعة في كل ركعة سورة الاخلاص عشر مرات وفاتحة الكتاب كانوا لا يتركونها فقال العراقي حديث باطل نعم لابن ماجة من حديث علي اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها وفي الاثر عن عمر رضي الله عنه انه كان يقول في ليلة

النصف من شعبان اللهم ان كنت كتبتني من السعداء فاثبتني وان كنت كتبتني من الاشقياء فامح
واكتبني في السعداء فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك ام الكتاب وليلة عرفة لم اجد له اصلا
والعيد اي وليلتي العيد فقد ورد من احيى ليلتي العيد لم تمت قلبه يوم تموت القلوب ابن ماجة
باسناد ضعيف من حديث ابي امامة والايام اي ويراعي فضائل الايام كالعيد اي يومي العيدين
والتشريق اي ايامها ولو لم يكن في منى وما يجي اي في آخر الباب الثالث من الصوم ان شاء الله
تعالى والافضل يوم الجمعة وليلته وهو سيد الايام عند الملائكة كما ورد يوم المزيد في الآخرة لزيادة
حظوظ اللقاء فيه لاهل الولاء وورد خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة مسلم عن ابي هريرة و
ان لله في كل جمعة ستمائة الف عتيق من النار ابن عدي وابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب
من حديث انس وقيل يوم عرفة افضل وقيل يوم الجمعة افضل ايام الاسبوع ويوم عرفة افضل ايام
السنة وقد ورد من مات يوم الجمعة كتب له اجر شهيد ووقي فتنة القبر ابو نعيم في الحلية من حديث
جابر وللترمذي نحوه من حديث عبد الله ابن عمرو والحكيم في النوادر وعن عائشة رضي الله عنها مرفوعا
اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة ابن حبان في الضعفاء وابو نعيم
وهو ضعيف فلا يعطل اي من الطاعة عصر الخميس فهو مبترك اي بقربه ليلة الجمعة وكذا اوله
متبرك فغدوا ابن ماجة عن ابي هريرة والطبراني في الاوسط عن عائشة مرفوعا اللهم بارك لامتي
في بكورها يوم الخميس وفي رواية انه قال عليه السلام اغدوا في طلب العلم فاني سئلت ربي ان يبارك
لامتي في بكورها يوم الخميس واما ما اشتهر فهذا اللهم لامتي في سبتها وخميسها فباطل لا اصل له
ويستعد لصلوة الجمعة بغسل الثياب اي في اول النهار او في يوم الخميس وهو الاولى ليقدر على البكر
الاعلى والاغتسال وهو سنة موكدة للصلوة على الاصح وتشديده ما ورد من شهد الجمعة من الرجال
والنساء فليغتسلوا ابن حبان والبيهقي من حديث ابن عمر وقيل بوجوبه وهو ظاهر حديث غسل الجمعة
واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث ابي سعيد وعن نافع عن ابن عمر من اتى الجمعة فليغتسل
الشيخان وابن حبان وقد قال عمر لعثمان رضي الله عنهما لما دخل يخطب اهذه الساعة منكرا عليه
ترك البكور فقال ما زدت بعد ان سمعت الاذان على ان توضأت وخرجت فقال والوضوء وقد
علمت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يامر بالغسل متفق عليه من حديث ابي هريرة وقد علم جواز
ترك الغسل بما ورد من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل افضل ابو داود
والترمذي وحسنه والنسائي من حديث سمرة وكان ع م ربما اغتسل يوم الجمعة وربما تركه احيانا
الطبراني عن ابن عباس وورد رحم الله من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر اصحاب السنن
وحسنه الترمذي وابن حبان والحاكم وصححه من حديث اوس بن اوس والتطيب اي استعمال الطيب

المناسبة له فورد طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفي لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه ابو
داود والترمذي وحسنه والنسائي من حديث ابي هريرة وقال الشافعي من نظف ثوبه قل همه
ومن طاب ريحه زاد عقله وورد حقا على المسلمين ان يغتسلوا يوم الجمعة وليمس احدهم من طيب
اهله فان لم يجد فالماء له طيب الترمذي عن البراء وتفريغ القلب عن الشواغل كما يشير اليه قوله تعالى اذا
نودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع وفي معناه كل شاغل عنها ظاهرا
وباطنا ومن ثمة جاء اي ومن اجل تفريغ القلب ورد ان يأتي اهله اي يجامع قاصد الجمعة امرأته او
امته وحمل عليه رواية من غسل بالتشديد اي حمل اهله على الغسل قال الغزالي ومن اغتسل غسل
الجنابة فليفض الماء على بدنه مرة اخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد اجزأه وحصل له
الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة في الجنابة انتهى ولا يخفى ان تكرار الغسل من غير فصل بعبادة
يعد من الاسراف فالاولى ان يغتسل واحدا وينويهما وفي الاحياء ومن اغتسل ثم احدث توضأ
ولم يبطل غسله والاحب ان يحترز عن ذلك انتهى ولا يخفى ان هذا محمول لان الغسل لليوم لا للصلوة
ويقلم الاظفار اي في اول يوم الجمعة فعن ابن مسعود من قلم اظفاره يوم الجمعة اخرج الله منه داء وعن
ابي هريرة انه ع م كان يقلم اظفاره ويقص شاربه يوم الجمعة قبل ان يروح الى الصلوة البيهقي
في الشعب وله ايضا من مرسل ابي جعفر الباقر قال كان رسول الله ع م يستحب ان ياخذ من اظفاره وشاربه
يوم الجمعة او يوم الخميس اذا اراد التكبير وسئل احمد عنه فقال يسن يوم الجمعة قبل الزوال وعنه يوم
الخميس وعنه يتخير قال العسقلاني وهذا هو المعتمد انه يستحب كيف ما احتاج اليه وورد قصوا
اظافيركم فان الشيطان يجري ما بين اللحم والظفر الخطيب في الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر وقد جاء
الامر بتنظيف ما تحت الاظفار ففي رواية الطبراني من حديث وابصة ابن سعيد سألت النبي ع م عن كل شيء
حتى سألته عن الوسخ الذي يكون في الاظفار فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وسنده ضعيف
وورد انه ع م استبطأ الوحي فقيل له يا رسول الله ابطاء عنك جبرئيل فقال ولم لا يبطئ عني
وانتم لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم ولا تغسلون براجمكم
احمد من حديث ابن عباس والرواجب رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ والبراجم معاطف
ظهور الانامل قال الغزالي ولم ار في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روي
عنه ع م انه بدأ بالمسبحة اليمنى وختم بابهام اليمنى وابتداء في اليسرى بالخنصر الى الابهام وتعقبه
العراقي بقوله لم اجد له اصلا وقد انكره ابو عبد الله المازري في الرد على الغزالي وشنع عليه به
قلت لا تشنيع عليه حيث انه بنى على ما ثبت لديه مع انه نفى وجود رواية خبر مسند اليه والحاصل
ان التقليم من باب التنظيف فهو وغيره من قص الشوارب ونتف الابط وحلق العانة يقدم على الغسل

ويستحب فعن ابي الدرداء ان الله وملائكته يصلون على اصحاب العمائم يوم الجمعة الطبراني وابن
عدي وعن ابن عمر مرفوعا صلوة بعمامة تعدل خمسا وعشرين وجمعة بعمامة تعدل سبعين جمعة
وعن انس مرفوعا الصلوة في العمامة بعشرة آلاف حسنة الديلمي وحكم بعض الحفاظ بضعفه بل بوضعه
لكن في الجامع الصغير للسيوطي وقد التزم فيه ان لا يورده موضوعا وعن ابن عمر في رواية ابن عساكر
صلوة تطوع او فريضة بعمامة تعدل خمسا وعشرين صلوة بلا عمامة وجمعة تعدل سبعين
جمعة بلا عمامة ولا يركب لانه اقرب الى حسن الادب والتواضع مع الرب والظاهر قوله تعالى
فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع ولانه اشق والاجر على قدر المشقة والقياس على طريق الحج
والعمرة ويبالغ في التبكير ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وقيل بالاستواء فهو المأثور راى
فضل البكور وقد ورد من راح الى الجمعة في الساعة الاولى فكانما قرب بدنة ومن راح في الساعة
الثانية فكانما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكانما قرب كبشا ومن راح في الساعة
الرابعة فكانما اهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكانما اهدى بيضة فاذا خرج الامام
طويت الصحف ورفعت الاقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك
فانما جاء لحق الصلوة ليس له من الفضل شيء متفق عليه من حديث ابي هريرة الا ان قوله ورفعت الاقلام
عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وذكر ابن مردويه في التفسير من حديث علي باسناد ضعيف
اذا كان يوم الجمعة نزل جبرئيل عليهم فركز لواءه بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة الى المساجد التي
يجمع فيها يوم الجمعة واقلاما من ذهب وصحفا من فضة يكتبون الاول فالاول على مراتبهم وورد
ان الملائكة تفتقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه ما فعل
فلان وما الذي اخره وقته فيقولون اللهم ان اخره فقر فاغنه وان كان اخره مرض فاشفه
وان كان اخره شغل فافرغه لعبادتك وان كان اخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك البيهقي
من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده بسند حسن ومن فوائد البكور عدم تخطي رقاب اهل
الحضور فقد ورد من تخطى رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا الى جهنم الترمذي وابن ماجة
من حديث معاذ بن انس وروى ابن جريج مرسلا ان النبي صلى الله ع م بينما هو يخطب يوم
الجمعة اذ راى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي ع م صلاته عارض الرجل
حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك ان تجمع معنا اليوم فقال يا نبي الله قد جمعت فقال
اولم ارك ان تتخطى رقاب الناس ابن المبارك في الرقائق وفيه اشارة الى ان الله تعالى
احبط عمله ونقص امله وفي حديث مسند انه قال ما منعك ان تصلي معنا قال اولم ترني قال
رايتك انيت واذيت اي تاخرت عن البكور واذيت الحضور والحديث رواه ابو داود

والنسائي

والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث عبد الله بن بسر مختصرا وقيل لبشر بن الحارث تراك
تبكر وتصلي في آخر الصفوف فقال انما يراد قرب القلوب لا قرب الاجساد فاشار به الى ان
ذلك اسلم لقلبه وقيل لسفيان الثوري اليس في الخبر اذن فاستمع فقال ويحك ذلك للخلفاء
الراشدين فاما هؤلاء فكلمات بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان اقرب الى الله تعالى وروي عن علي
وعثمان رضي الله عنهما من استمع وانصت فله اجران ومن لم يستمع وانصت فله اجر ومن
سمع ولغا فعليه وزر ومن لم يستمع ولغا فعليه وزران وورد حديث ابي هريرة اذا قلت
لصاحبك يوم الجمعة انصت والامام يخطب فقد لغوت متفق عليه ولابي داود من حديث
علي رضي الله عنه من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له ولاحمد من حديث ابن عباس والذي
يقول له انصت ليس له جمعة وفي حديث ابي ذر لما سأل ابيا والنبي ع م يخطب وقال متى انزلت
هذه السورة فاومى اليه ان اسكت فلما نزل النبي ع م قال له ابي اذهب فلا جمعة لك فشكا
ابو ذر الى النبي ع م فقال صدق ابي واطع ابيا البيهقي وقال في المعرفة اسناده صحيح ولابن
ماجة من حديث جابر ان السائل له ابو الدرداء وابو ذر ولاحمد من حديث ابي الدرداء انه سال
ابيا ولابن حبان من حديث جابر ان السائل عبد الله بن مسعود ولابي يعلى من حديث جابر قال قال سعد بن
ابي وقاص لرجل لا جمعة لك فقال له النبي ع م لم يا سعد قال لانه كان يتكلم وانت تخطب فقال صدق
سعد ويصلي قبل الجلوس في الجامع اربعا بالاخلاص اي منضم بقراءة الاخلاص خمسين مرة بعد الفاتحة
في كل ركعة فقد نقل عن رسول الله ع م ان من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة او يرى له كذا في
الاحياء وقال العراقي في حديث دخل المسجد يوم الجمعة فصلى اربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله احد
مائتي مرة الحديث رواه الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا وفي نسخة بعد الحديث
دعاء بعد الجمعة
الدارقطني في غرائب مالك وقال لا يصح ففي الكل جميع ما سبق من غسل الى هنا فضائل الاداب
الشمائل واذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل ان يتكلم وقل هو الله احد سبعا والمعوذتين
سبعا سبعا وروي عن بعض السلف ان من فعله عصم من الجمعة الى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان
كذا في الاحيا وسكت عنه العراقي وقد رايت الحديث في الجامع الصغير مسندا الى ابن السني عن
عائشة بلفظ من قرأ بعد صلوة الجمعة قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس
سبع مرات اعاذه الله بها من السوء الى الجمعة الاخرى ويستحب ان يقول بعد صلوة الجمعة اللهم
يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك
فقال من داوم على هذا الدعاء اغناه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة
ست ركعات فقد روي ابن عمر رضي الله عنه انه كان ع م يصلي بعد الجمعة ركعتين متفق عليه

وروى ابو هريرة اربعا رواه مسلم وروى على وعبد الله ستا البيهقي موقوفا على على وله موقوفا على ابن مسعود اربعا ولابي داود من حديث ابن عمر كان اذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا والكل صحيح في احوال مختلفة والاكثر افضل ويشتغل بعد الاقامة اى بعد فراغ اقامة صلوة الجمعة بصلوة جنازة او تعلم لعلوم شرعية او زيارة في الله اخ اى في جنبه تعالى شانه فيها اى بمثلها فسر ما ورد وابتغوا من فضل الله وقد قال انس رضي الله عنه في قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله اما انه ليس ابتغاء المعاش لطلب الدنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة او تعلم علم او زيارة اخ في الله لا باستماع القصص اى من الاخباريين في التواريخ فهو بدعة وكانوا اى الصحابة يخرجون القصاص من المسجد وقد حضر ابن عمر رض في المسجد الى مجلسه فاذا قاص يقص في موضعه فقال له قم عن مجلسي فقال لا اقوم فقد جلست وسبقتك اليه فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فاقامه من مجلسه ولو كان ذلك من السنة لم يستحل اقامته فقد قال عم كما في الصحيحين لا يقيمن احدكم اخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن يقول تفسحوا او توسعوا وكان ابن عمر اذا قام له الرجل من مجلسه لم يجلس فيه حتى يعود اليه وروى ان قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة فارسلت الى ابن عمران هذا قد اذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده ويراقب الساعة المرجوة الموعود فيها اى في تلك الساعة الاجابة اى غالبا ففي الخبر المشهور ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسئل الله تعالى فيها شيئا الا اعطاه اياه الترمذي وحسنه وابن ماجة من حديث ابن عمرو ابن عوف المزني وفي خبر آخر لا يصادفها عبد يصلي متفق عليه من حديث ابي هريرة واختلف فيها اى بتعيين تلك الساعة على طلوع الشمس اى على اقوال فقيل عند طلوع الشمس والزوال اى عنده او بعده وقيل بعد الاذان الاول وصعود الامام اى على المنبر وقعوده والقيام للصلوة اى صلوة الجمعة كما بينا ادلتها في شرح الحصن ومنتهى الاستجابة في العصر اى اوله او آخره و الغروب اى وقته فقيل هي آخر ساعة من يوم الجمعة وقيل ما بين العصر الى الغروب وروى فيه اى في حين الغروب اى فيما ذكر من ما بين العصر والغروب والاول انسب لقوله رعاية فاطمة رضي الله عنها وكانت ترويه عن ابيها وكانت توكل الخادم لتفقد هذا الوقت لتقوم في طلب المرام وفي رواية تأمر خادمها ان ينظر الى الشمس فاذا تدلى جناحها الاسفل يؤذنها بسقوطها فتاخذ فاطمة رضي الله عنها في الدعاء والاستغفار الى غروبها قال العراقي حديث فاطمة في ساعة الجمعة رواه الدارقطني في العلل والبيهقي في الشعب وعلته الاختلاف وروايتها اى رواية رعايتها تؤيد ما روى لا يوافقها اى الساعة وفي رواية لا يصادفها عبد

اى

اى مسلم يصلي اى يدعو بحرمته قوله الا استجيب له وقد قال كعب الاحبار انها في آخر ساعة في يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال ابو هريرة كيف يكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله صلى الله عم يقول لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلوة قال كعب الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قعد منتظرا للصلوة فهو في الصلوة قال بلى قال فذلك صلوة فسكت ابو هريرة وكان كعب يقول الا ان هذه رحمة من الله تعالى للقائمين بحق اليوم وان ارسالها بعد الفراغ من اتمام العمل كذا في الاحياء وتعقبه العراقي بان كعبا هو القائل ليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام واما كعب فانما قال انها في كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن حبان من حديث ابي هريرة ولابن ماجة نحوه من حديث عبد الله بن سلام انتهى وروى البيهقي في الشعب عن فاطمة مرفوعا ان في الجمعة لساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا اعطاه اياه اذا تدلى نصف الشمس للغروب هكذا رايت في هامش نسخة والله اعلم والمبهمة كليلة القدر وكالصلوة الوسطى والاسم الاعظم فيستغرق اليوم لرعايته اى لمراعاة ادراكها وهو اى الابهام اصوب وفي الاحياء قيل انها تنتقل في ساعة الجمعة كتنقل ليلة القدر وهو الاشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره لكن ينبغي ان يصدق بما قال عم ان لربكم في ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الايام فينبغي ان يكون العبد في جميع نهاره متعرضا له باحضار القلب وملازمة ذكر الرب والنزوع عن وساوس الدنيا وهو اخرج النفس والهوى فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات انتهى والحديث رواه الترمذي الحكيم في النوادر والطبراني في الاوسط من حديث محمد ابن مسلمة ولابن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث انس ورواه ابن ابي الدنيا في كتاب الفرج من حديث ابي هريرة ويكثر الصلوة عليه السلام اى في يوم الجمعة وليلتها فقد ورد اكثروا الصلوة علي في الليلة الغراء واليوم الازهر فان صلوتكم تعرض علي البيهقي عن ابي هريرة وابن عدي عن انس وفي رواية البيهقي عن انس اكثروا من الصلوة علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة فمن فعل ذلك كنت له شهيدا وشافعا يوم القيمة وفي رواية ابن ماجة عن ابي الدرداء اكثروا من الصلوة علي يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احدا لن يصلي علي الا عرضت علي صلوته حين يفرغ منها وفي رواية للبيهقي عن ابي امامة اكثروا من الصلوة علي في كل جمعة فان صلوة امتي تعرض علي في كل جمعة فمن كان اكثرهم علي صلوة كان اقربهم مني منزلة وكانوا يصلون على النبي عم الف مرة ويقولون سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر الف مرة وورد من صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفر له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلوة عليك قال تقول اللهم صل على عبدك ونبيك ورسولك النبي الامي وتعقد واحدة الدارقطني من رواية

ابن المسيب قال اظنه عن ابي هريرة وقال الحديث غريب وقال ابن النعمان حديث حسن وفي
الاحياء وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلوة تكون لك رضا ولحقه اداء واعطه
الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو اهله واجزه افضل ما جزيت
نبيا عن امته وصل عليه وعلى جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا ارحم الراحمين تقول
هذا سبع مرات فقد قيل من قالها سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته وان
اراد ان يزيد اتى بالصلوة المأثورة فيقول اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك و
شرايف زكواتك ورافتك ورحمتك وتحيتك على محمد رسولك سيد المرسلين وامام
المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين وقائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد
الامة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون و
الآخرون اللهم اعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة
والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم اعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله اول
شافع واول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وافلج حجته وارفع في اعلى درجات
المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من اهل شفاعته واحينا وتوفنا على ملته
واوردنا حوضه واسقنا بكاسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين
ولا مفتونين امين يا رب العالمين • ابن ابي هاشم في كتاب الصلوة على النبي م من حديث ابن مسعود
بسند ضعيف ووقفه ابن ماجة على ابن مسعود وقراءة القرآن اي يكثرها فيه فيقرأ سورة
الكهف خاصة فعن ابي سعيد من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة او يوم الجمعة اعطي نورا
من حيث يقرأ الى مكة وغفر له من الجمعة الى الجمعة وفضل ثلثة ايام وصلى عليه سبعون الف
ملك حتى يصبح او يمسي وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والجذام والبرص وفتنة
الدجال رواه البيهقي ويتصدق اي يوم الجمعة في غير الجامع او لغير السائل فيه فقد قال ابن
مسعود اذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق ان لا يعطى بشيئين مختلفين كدرهم ودينار وثوب
وقرص وخبز وادام وفاكهتين مختلفتين فعن كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق
بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع وركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما
ثم يقول اللهم اني اسئلك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله الذي لا اله الا هو
الحي القيوم لا تأخذه سنة لم يسأل الله شيئا الا اعطاه وفي رواية ابن حبان عن ابي هريرة
مرفوعا من انفق زوجين من شيء من الاشياء في سبيل الله دعي من ابواب الجنة هذا خير و
للجنة ابواب الحديث رواه الخطيب عن انس بلفظ ما من مسلم ينفق زوجين في سبيل الله

تعالى الا دعته الجنة هلم هلم ولا يخفى ان المتبادر من الزوجين ان يكون الشيئان متفقين
لا مختلفين كدرهمين ودينارين وثوبين وعن بعض السلف من اطعم مسكينا يوم الجمعة
ثم غدا وابتكر ولم يؤذ احدا ثم يقول حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم اسئلك
ان تغفر لي وترحمني وان تعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له ويصلي اي يوم الجمعة صلوة
التسبيح وقد بسطت الكلام عليه في شرح الحصن رواية ودراية وعلما وعملا وقد علمه ع م
لعمه العباس لا يدع هذه الصلوة يوم الجمعة بعد الزوال وفي الكل اي جميع ما تقدم فضائل اي
واردة عن اصحاب الشمائل وجاء قراءة يس والسجدة والدخان والملك اي في ليلة الجمعة
وقد سبق بيانها وبرهانها والمسبحات الست اي المتقدم شانها والاكتفا بالاخلاص اي
بقراءة سورة الاخلاص فقراءتها الفمرة في عشر ركعات او عشرين افضل من الختم اي
ختم القرآن بدونها او في غير الصلوة وهذا لم اجده مرويا لكن ورد من قرأ قل هو الله احد الف
مرة فقد اشترى نفسه من الله تعالى الخيارجي في فوائده عن حذيفة واما حديث قل هو الله احد تعدل
ثلث القرآن فرواه مالك واحمد والبخاري وابو داود والنسائي عن ابي سعيد وجماعة عن
جماعة كاد ان يكون متواترا وفي الاحياء الاحسن ان يجعل وقته للصلوة الى الزوال وبعد
الجمعة الى العصر لاستماع العلم وبعد العصر الى المغرب للتسبيح والاستغفار وسائر الاذكار
وينبغي ان يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان وقف الى المغرب فهو افضل وقيل من صلى العصر
في الجامع كان له ثواب حجة ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان لم يأمن التصنع ودخول آفة
عليه من نظر الخلق الى اعتكافه او خاف الخوض فيما لا يعني فالافضل ان يرجع الى بيته ذاكرا الله
تعالى متفكرا في آلائه شاكرا الله على نعمائه من جملتها توفيقه للطاعة خائفا من تقصيره مراقبا
لقلبه ولسانه الى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة فلا ينبغي ان يتكلم في الجامع وغيره
من المساجد بحديث الدنيا فانه ع م قال يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم
بامور دنياهم ليس لله عز وجل فيهم حاجة فلا تجالسوهم البيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلا
واسنده الحاكم من حديث انس وصححه ولابن حبان من حديث ابن مسعود نحوه ولا يخصه بالصوم
وقيام الليل فهو اي التخصيص منهي عنه روى مسلم عن ابي هريرة لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من
بين الليالي ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الايام الا ان يكون في صوم يصومه احدكم
وفي رواية احمد عن ابي هريرة لا تصوموا يوم الجمعة الا وقبله يوم او بعده يوم ويحافظ
الرواتب اي السنن المؤكدة بعد الفرايض وقبلها وسائر السنن اي المستحبة كالتهجد في
الليل والضحى في النهار ركعتين او اربعا او ستا او ثمانيا او اثني عشر فورد انه ع م كان

وقال له صلها في كل جمعة الحديث ابو داود وابن ماجة وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وكان ابن عباس صح

اذا اشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين واذا انبسطت وكانت في ربع النهار من
جانب المشرق صلى اربعا الترمذي والنسائي وابن ماجة من حديث علي واحياء ما بين العشائين
اي بالعبادة مطلقا او بعشرين ركعة او بست ركعات مطلقا ففي الكل فضائل وبعضها تقدم
والعيد اي ويراعيه فطرا او ضحى بالتكبير ونحوه ويستعد له كالجمعة من الغسل والتزيين والتطيب
ويرجع عن المصلى اي مصلى العيد حال الاياب في غير طريق الذهاب فهو مروي عن فعله عم
رواه مسلم والتراويح اي يراعيها وهي عشرون ركعة واداؤها سنة مؤكدة ويختم فيه فهو
مأثور اي عن الصحابة ويختار الانفراد عن الجماعة ان خاف الرياء والجماعة اي ويختارها ان
خاف الكسل وقيل الانفراد افضل لقوله عم فضل صلوة التطوع في بيته على صلوته في المسجد كفضل
صلوة المكتوبة في المسجد على صلوته في البيت ادم ابن اياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب
مرسلا رواه ابن ابي شيبة في المصنف فجعله عن ضمرة ابن حبيب عن رجل من اصحاب النبي عم موقوفا وفي
سنن ابي داود باسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلوة المرء في بيته افضل من صلوته في مسجدي
هذا الا المكتوبة وعن انس صلوة في مسجدي تعدل بعشرة آلاف صلوة وصلوة في المسجد الحرام تعدل
بمائة الف صلوة والصلوات بارض الرباط تعدل بالفي الف صلوة واكثر من ذلك كله الركعتان
يصليهما العبد في جوف الليل لا يريد بهما الا ما عند الله عز وجل ابو الشيخ في الثواب وذكره ابو
الوليد الصفار في كتاب الصلوة تعليقا من حديث الاوزاعي قال دخلت على يحيى فاسند لي حديثا
وهو صلوة في مسجدي هذا افضل من الف صلوة في غيره وصلوة في المسجد الحرام افضل من مائة الف
صلوة في مسجدي وافضل هذا كله رجل يصلي ركعتين في زاوية بيته لا يعلمها الا الله وقيل
ان الجماعة افضل لفعل عمر رضي الله عنه فانه عليه السلام قد خرج فيها ليلتين او ثلثا
للجماعة ثم لم يخرج وقال خشيت ان تفرض عليكم متفق عليه من حديث عائشة رض وجمع عمر الناس
عليها في الجماعة حيث امن الوجوب بانقطاع الوحي ويخير اي في صلوة التراويح منفردا ومع
جماعة ان امنهما اي الرياء والكسل وانما يخير لتضمين الجماعة البركة المشتملة على السرور
والانفراد قوة الحضور المتضمن لكثرة النور والحاصل ان هذه السنة ليست من شعائر كا
لعيدين فالحاقها بصلوة الضحى وتحية المسجد اولى ولم يشرع فيها جماعة نعم صلى عم التراويح
بالجماعة ثم تركها خشية ان تكتب على الامة ثم كان الناس يصلون فرادى وجماعات مختلفة
فجمعهم عمر على امام واحد وقال نعمت البدعة اي الحسنة وهي الجماعة المجتمعة المشيرة الى الفة
الامة والكسوف اي ويراعي صلوة الكسوف وكذا الخسوف وتفصيلهما في كتب الفقه وقد ورد
ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينخسفان لموت احد ولا لحيوته فاذا رايتم ذلك فافزعوا

الى

صلوة الرغائب
وليلة النصف من شعبان

الى ذكر الله تعالى والى الصلوة قاله لما مات ولده ابراهيم عم وخسفت الشمس فقال الناس انما
كسفت لموته متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة وكل ما ورد اي ويراعي جميع ما ورد من
السنة فيه فضيلة كصلوة الرغائب وهي اول ليلة جمعة من رجب يصلي اثني عشر ركعة
بست تسليمات يقرا في كل ركعة بعد الفاتحة سورة القدر ثلثا والاخلاص اثني عشر وبعد
الفراغ يصلي على النبي عم سبعين مرة ويدعو بما شاء وهي بدعة منكرة كما صرح به النووي
وغيره وكذا حديث ما من احد يصوم اول خميس من رجب الحديث في صلوة الرغائب اورده رزين
في كتابه وهو موضوع كما قاله العراقي وليلة النصف من شعبان وهي اي صلوتها مائة ركعة
بالاخلاص مائة مرة وكانوا اي بعض سلف يواظبون عليها قال العراقي حديث باطل ولابن ماجة
من حديث علي اذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها واسناده
ضعيف والاستخارة اي ويراعي صلوة الاستخارة ودعائها بعدها وكان عم يعلمها كتعليم سورة
من القرآن البخاري من حديث جابر وبسطنا الكلام عليه في شرح الحصن وركعتي الدخول في المنزل
والخروج اي وركعتيه منه من المنزل فعن ابي هريرة قال عم اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين
يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء البيهقي في الشعب
والخرائطي في مكارم الاخلاق وابن عدي الكامل وفي الحديث ايماء الى قوله تعالى وقل رب ادخلني
مدخل صدق واخرجني مخرج صدق الآية وركعتي دفع النفاق في السر اي بالخفية بان يصلي
ركعتين يقرا في الاولى بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية قل هو الله احد ثم يقول
اللهم اني اعوذ بك من النفاق والشقاق وسوء الاخلاق ولم اجد مرويا وتحية الوضوء المسمى
بشكر الوضوء وهي قبل جفاف اعضائه والمسجد اي اول دخوله قبل جلوسه فتحية الوضوء مستحبة
لان الوضوء قربة مقصودها الصلوة ونحوها والاحداث عارضة بعدها وربما يطرء الحدث قبل الصلوة
فالمبادرة الى ركعتين استبقاء لمقصود الوضوء قبل الفوت وتضييع السعي قبل الموت وعرف ذلك
بحديث بلال اذ قال عم دخلت الجنة فرايت بلالا فيها فقلت بلالا بما سبقتني الى الجنة فقال
بلال لا اعرف شيئا الا اني لا احدث وضوءا الا صليت عقبه ركعتين او كما قال متفق عليه من
حديث ابي هريرة وتحية المسجد سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط في مذهب الشافعي وان كان الخطيب
في الخطبة يوم الجمعة مع تاكد وجوب الاصغاء الى الخطيب وقد ورد اذا دخل احدكم المسجد
فلا يجلس حتى يصلي ركعتين ابن عدي والبيهقي عن ابي هريرة ولا يتعين لها التطوع لحصول المقصود
في غيره اي غير التطوع وهو اي المقصود صون الوضوء والدخول عن التعطل اي البطالة عن
الطاعة بل الفرض افضل من النوافل فان ثوابه اكمل ولا ينوي الصلوة للوضوء اي لا يقول نويت

ان اصلي ركعتين للوضوء بل يطلق اي ينوي صلوة مطلقة لان الوضوء للصلوة دون
العكس اذ ليست الصلوة للوضوء وكن لو نوى شكرا لتوفيق الوضوء لا يبعد ويحترز عن النافلة
في الاوقات المكروهة اي مطلقا عندنا خلافا للشافعي حيث يجيز اداء صلوة لها سبب متقدم
كتحية المسجد واستثنى الحرم ايضا وشكر وضوء فيها تعبد الاوقات اي وهنها مضاهاة عبدة
الشمس وسائر النيران وينتشر الشيطان اي ويكثر الوساوس للانسان وقد ورد ان الشمس
لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها واذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها
فاذا زالت تضيف للغروب قارنها فاذا غربت فارقها النسائي من حديث عبد الله الصنابحي
وهو مرسل ومالك وهو الذي يقول عبد الله الصنابحي ووهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير
النبي صلى الله عليه وسلم وفي الكف اي الامتناع عن الصلوة في الاوقات المكروهة وهي بعد طلوع الفجر
الى طلوع الشمس وبعد صلوة العصر الى غروبها تجدد الشوق الى العبادة ويرتفع عند نوع
من الملالة وقد كره دخول المسجد على غير وضوء او تيمم وان دخل لعبور ضرورة او جلس في
اوقات مكروهة فليقل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر يقولها اربع مرات
فيقال انها عدل ركعتين في الفضل ولعله ماخوذ مما ورد اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا
وفسر الرياض بالمساجد والرتع بالكلمات المذكورة على ما تقدم والله سبحانه اعلم تم هذه
الاوراد لانواع السالكين من الزهاد والعباد في استعداد زاد المعاد واما العارف
المستغرق همه فيه اي في فرد محبته وورود الحضور في حضرته فورده الحضور اي حضور
القلب في ذكر الرب في جميع المراتب بعد الفرائض والرواتب ويعرف اي هذا العارف في علو
المناقب بان لا يهم بمعصية اي لا يقصدها ولا يفتر بطاعة اي لا يكسلها ولا ينزعج
بمصيبة اي لا يتزلزل ولا يجزع ولا يفزع بموت الاولاد والاحفاد وسائر الاقارب
من الاخوان والخلان وذهاب الاموال وتغير الاحوال من الامراض وسائر الشدائد
الاهوال ولا ينقلب اي من حاله ومقامه بامر عظيم كالقحط وفتنة البلاء وسائر البلايا
العامة للعباد وهو الكريم الرحمن الرحيم **الباب الثاني في الانفاق والقناعة**
بسم الله الرحمن الرحيم انفق في الطاعة واعتق في القناعة فيما قسم لي الى قيام الساعة
وورد في التنزيل ومن يوق شح نفسه اي يحفظ ويصان بخلها فيما يجب عليها الاية وهي فاولئك
هم المفلحون اي الناجون من النار الفائزون بالجنة ادما نعوا الزكوة هم الظالمون اي الواضعون
الاشياء في غير موضعها والذين يكنزون الذهب والفضة اي يجمعونها ولا ينفقونها في سبيل الله
اي وزكوتها لا يخرجونها الاية اي فبشرهم بعذاب اليم وفيه تهكم عظيم يوم يحمى عليها في نار جهنم

وبعد غروبها قبل اداء المغرب واما الاوقات
المحرمة فهي عند طلوع الشمس واستوائها
وعند غروبها صح

فتكوى بها جباههم لتعبسهم على الفقراء وجنوبهم لتكبرهم على الضعفاء وظهورهم لاعراضهم
عن العلماء والصلحاء ويقال لهم بلسان القال او بيان الحال هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما
كنتم تكنزون قال الاحنف بن قيس كنت في نفر من قريش فمر بنا ابو ذر فقال بشر الكانزين بكي في
ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكي من قبل اقفائهم يخرج من جباههم وعن ابي ذر قال انتهيت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو جالس في ظل الكعبة فلما راني قال هم الاخسرون ورب الكعبة فقلت من هم فقال الاكثرون
اموالا الا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ما
هم متفق عليه السخي قريب من الله والبخيل بعيد من الله تعالى روى الترمذي عن ابي هريرة والبيهقي عن
جابر والطبراني في الاوسط عن عائشة بلفظ السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة
بعيد من النار والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار تعس عبد الدينار
وعبد الدرهم اي هلك والحديث كذا في صحيح البخاري وفي رواية الترمذي عن ابي هريرة بلفظ لعن
والفقه اي الحكمة والسر في تشريع الانفاق الابتلاء في دعوى حبه تعالى وترك الدنيا اي محبتها فانها
لا تجتمع مع محبة المولى فان المحبة لا تقبل الشركة ولا البقاء للجنة وانما يمتحن درجة الحب بمفارقة المحبوبات
والاموال محبوبة عند الخلق لانها آلة تمتعهم بالدنيا وشهواتها وبسببها ينسون بهذا العالم
الدنيوي ولهواتها وينفرون عن الموت مع لقاء المحبوب في الجنة وسائر لذاتها فامتحنوا بتصديق
دعواهم واستنزلوا عن المال الذي هو معشوقهم ومهواهم ولذا قال الله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين
انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وذلك بالجهاد وهو مساعة بالمهجة شوقا الى لقاء المولى
والمساحة بالمال اهون فبذله اولى وظهور المراتب فيها اي في دعوى المحبة فقد قيل ما ايسر
الدعوى وما اعسر المعنى فالسابق كالصديق حيث ما ابقى شيئا اي لا درهما ولا دينارا وتبعه
جماعة من اهل التوفيق في ابائهم ان يتربصوا لوجوب الزكوة عليهم بل فرقوا جميع ما لديهم لئلا يحسب
حب غيره سبحانه اليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكوة في مائتي درهم فقال اما على العوام
في حكم ظاهر الشرع فخمسة دراهم واما نحن فيجب علينا بذل الجميع والمقتصد كالفاروق حيث
ابقى النصف اي واعطى النصف واصل الحديث جاء ابو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله فقال
عليه السلام لعمر ماذا ابقيت لاهلك فقال مثله وقال لابي بكر ماذا ابقيت لاهلك فقال الله
ورسوله رواه ابو داود والترمذي والحاكم وصححاه من حديث عمر وفي رواية يونس عن الحسن انه قال
بينهما ما بين صدقتيكما كما بين كلاميكما والقاصر هو المقتصر على الواجب اي على اعطاء وقدره من غير
زيادة في اجره وفي كلام المص تلويح الى قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم
ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير فيحتمل ان

يقال للمقاص المقصر انه الظالم على نفسه وغيره او الظالم هو مانع الزكوة ونحوه والعوام اقتصروا
على قدر الواجب لبخلهم بالمال وضعف حبهم بالمولى وشدة ميلهم الى الدنيا قال الله تعالى ان يسألكموها
فيحفكم تبخلوا ويخرج اضغانكم ومعنى يحفكم يستقصي عليكم فكم ما بين عبد اشترى منه نفسه وماله
بان له الجنة وبين عبد لا يستقصي عليه لاجل بخله وهناك درجة اخرى دون الدرجتين الاوليين
وهم الممسكون اموالهم بعد اخراج الواجبات المراقبون لاوقات الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم
في الادخار الانفاق على قدر الحاجة والقناعة دون التنعم والرفاهة وصرف الفاضل عن الحاجة الى
وجوه المبرة وطرق المسرة وقد ذهب جماعة من التابعين الى ان في المال حقوقا سوى الزكوة كالنخعي
والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد ان قيل له هل في المال حق سوى الزكوة قال نعم اما سمعت
قوله سبحانه وتعالى وآتى المال على حبه الاية تمامها ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل
والسائلين وفي الرقاب واقام الصلوة وآتى الزكوة حيث عطف آتى الزكوة على آتى المال وقد روى
الترمذي عن فاطمة بنت قيس مرفوعا ان في المال حقا سوى الزكوة واستدلوا بقوله تعالى ومما رزقناهم
ينفقون وبقوله تعالى وانفقوا مما رزقناكم وزعموا ان ذلك غير منسوخ بآية الزكوة بل داخل في حق
المسلم على المسلم ومعناه انه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا ان يزيل حاجته فضلا عن مال الزكوة
ولا يبعد حمله على صدقة الفطر والاضحية ونفقة ذوي الرحم المحرم والله سبحانه اعلم وتنقية الباطن
اي ومن جملة الحكمة في الانفاق تنظيف القلب وتخليته عن البخل فورد ثلث مهلكات شح مطاع وهوى
متبع واعجاب المرء بنفسه الطبراني في الاوسط عن انس وتحليته اي تزيين الباطن وتحسينه بالشكر
اي بشكر النعمة وقد قال تعالى لئن شكرتم لازيدنكم وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو كما ذكر من
التنقية والتحلية او الانفاق انما يحصل بقلع اسباب الحرص لحب عين المال لا لغرض يحصل منه وهو
اي حب عين المال مرض مزمن اي لا دواء له في الزمن حيث لا ينفقه ولو فاته اغراض واعواض من المنى
والشهوات وكحب سائر الشهوات كما اشار اليه قوله تعالى زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين و
القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا
والله عنده حسن المآب وطول الامل عطف على حب اي وكطول الامل بتوهم طول الاجل فانه يورث
الملل عن العمل قال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وخوف الفقر قال تعالى الشيطان
يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم وقلة الوثوق
بمجيء الرزق وقد قال سبحانه وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم و
قد ورد لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا احمد
والترمذي وابن ماجة والحاكم عن عمر وهم الولد فورد الولد مبخلة تمامه مجبنة ابو يعلى في مسنده

عن

عن ابي سعيد وابن ماجة من حديث عبد الله بن سالم والحاكم وصححه ومعنى مبخلة انه مظنة لابويه على
البخل فيدعوهما اليه فيبخلان لاجله ومعنى مجبنة ان يحمل اباه على ان يجبن عن الحرب باستبقاء لنفسه
من اجله وطريقه اي طريق المحمود في الانفاق احد عشر او طريق قلع اسباب الحرص هو التوسط في النفقات
قال الله تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما فالقصد اي الاقتصاد و
التوسط واعتدال الحال في الفقر والغنى عد من المنجيات وورد ما عال من اقتصد الديلمي عن
ابي امامة مرفوعا وللبيهقي في الشعب عن ابن عمر مرفوعا الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة وتقليل الشهوات
اي الموجب لتقليل النفقات وهو المعبر عنه بالقناعة في بعض العبارات والوثوق باصابة الرزق
المقدر فقد قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الدنيا وقل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا وورد في حديث
مشهور واعلم ان ما اخطأك لم يكن ليصيبك وما اصابك لم يكن ليخطئك ومعرفة عز القناعة فورد
القناعة كنز لا ينفد وفي رواية مال لا ينفد وفي اخرى كنز لا يفنى القضاعي عن انس والطبراني في الاوسط
من حديث جابر ولفظه القناعة مال لا ينفد وكنز لا يفنى وقد قيل من قنع شبع وفي القناعة احاديث
لا تحصى منها قوله تعالى ابن آدم عندك ما يكفيك وانت تطلب ما يطغيك ابن آدم لا بقليل تقنع
ولا بكثير تشبع ابن آدم اذا اصبحت معافا في جسدك امنا في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا
العفا اي التراب ابن عدي والبيهقي عن ابن عمر وفي رواية لهما عن ابي هريرة اذا اشتد كلب الجوع فعليك برغيف
وجرعة من ماء القراح وقل على الدنيا واهلها الدمار وروى ابن المبارك عن الاوزاعي معضلا ما الى ما
رددت به عني الجوع وما احسن ما قال بعض اهل الحال شعر وما هي الا جوعة قد سددتها • وكل
طعام جنبي واحد وعن سمرة مرفوعا ارض من الدنيا القوت فان القوت لمن يموت كثير العسكري ولله در
الناظم • عزيز النفس من لزم القناعة • ولم يكشف لمخلوق قناعه • وفي الحديث اللهم قنعني بما رزقتني
وبارك لي فيه وفسر قوله فلنحيينه حيوة طيبة بالقناعة والقيام بالطاعة وقوله قد افلح من اسلم ورزق
كفافا وقنعه الله بما آتاه احمد ومسلم والترمذي وابن ماجة عن ابن عمر رض وقوله ما قل وكفى خير مما
كثر والهى ابو يعلى والضياء عن ابي سعيد وقوله خيار امتي القانع وشرارهم الطامع القضاعي
وذل الطمع اي ومعرفته وهو الاحتياج الى الغير من غير ضرورة وقد ورد لا يحل للمؤمن ان يذل
نفسه قال الله تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وهو ينشأ من عدم القناعة وورد عن
عمر رض ان الطمع فقر وان اليأس غنى وان المرء اذا ايس عن شيء استغنى عنه احمد في الزهد
وابن ابي الدنيا في القناعة والعسكري في المواعظ وروى ان رجلا من الانصار قال يا رسول الله
اوصني واوجز لي قال عليك باليأس مما في ايدي الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر ابو نعيم
والتأمل في ذم البخيل ومدح السخي اذ هما في جبلة كل احد من العالي والداني وما ورد فيهما

اى من احاديث النبي كقوله دم السخا شجرة من اشجار الجنة اغصانها متدليات في الدنيا فمن اخذ
بغصن منها قاده ذلك الغصن الى الجنة والبخل شجرة من اشجار النار اغصانها متدليات في الدنيا
فمن اخذ بغصن من اغصانها قاده ذلك الغصن الى النار الدار قطني في الافراد والبيهقي عن علي
والاربعة عن ابي هريرة وكقوله خلقان يحبهما الله وخلقان يبغضهما الله تعالى فاما اللذان يحبهما
الله تعالى فالسخاء والسماحة واما اللذان يبغضهما الله تعالى فسوء الخلق والبخل البيهقي عن ابن عمر
وكقوله ما من العباد يصبح الا وملكان ينزلان فيه فيقول احدهما اللهم اعط منفقا خلفا و
يقول الآخر اللهم اعط ممسكا تلفا ولحوال الانبياء والاولياء اى وفي احوالهم واحوال سائر الجلاء و
الاسخياء واختيار التشبه بهم اى بالاصفياء فمن تشبه بقوم فهو منهم لا بالمتنعمين من الكفار والحمقى اى من
الجهلة والفجار وقد قال تعالى انهم كانوا قبل ذلك مترفين اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا وورد
اشبعكم في الدنيا اجوعكم في العقبى والتسخي اى تكلف السخاوة والتشبه بجنس السخي وخداع النفس
بالصيت اى بحسن الثناء عند الناس والجاه والوجاهة في مقام الايناس والمكافات اى حصول المكافاة
وورد تهادوا تحابوا ثم ازالة الريا بعد الاعتياد اى بعد تعوده بالسخاء فان الريا في الابتداء قنطرة
الاخلاص في الانتهاء كما ان المجاز قنطرة الحقيقة في الانتهاء ومن هنا قالوا طلبنا العلم لغير الله فابى
ان يكون الا لله وكثرة ذكر الموت فانه يهون السخاوة قبل الفوت والاعتبار بالسالفين اى الانقياء
بالسابقين من اهل الاموال في تركهم الدنيا عند الموت وكذا حكم اللاحقين وقد قال تعالى ولقد علمنا
المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين حكي ان ذا القرنين اتى على امة من الامم ليس في ايديهم
شيء مما يستمتع به الناس من دنياهم قد احتفروا قبورهم فاذا اصبحوا تعهدوا تلك القبور و
كنسوها من الغبور فصلوا عندها بالخضوع ورعوا البقل كما ترعى البهائم وقد قيض لهم في ذلك معاش
من نبات الارض فارسل ذو القرنين الى ملكهم فقال له اجب الملك ذا القرنين فقال ما لي حاجة اليه
فاقبل اليه ذو القرنين فقال ارسلت اليك لتأتيني فابيت فها انا جئت فقال لو كان لي اليك
حاجة لاتيتك فقال ذو القرنين ما لي اراكم على الحالة لم ار احدا من الامم عليها قالوا وما ذاك قال
ليس لكم دنيا ولا شيء من النبات ولا اتخذتم الذهب والفضة فاستمتعتم بها قالوا انما كرهناها لان احد
لم يعط شيئا منها الا تاقت نفسه ودعته الى ما هو افضل منه فقال ما لكم احتفرتم قبورا فاذا اصبحتم
تعهدتموها فكنستموها وصليتم عندها قالوا اردنا اذا نظرنا اليها واملتنا الدنيا منعتنا قبورنا من
الامل قال وارى لكم لا طعام لكم الا البقل من الارض افلا اتخذتم البهائم من الانعام فاحتلبتموها وركبتموها
واستمتعتم بها فقالوا كرهنا ان نجعل بطوننا قبورا لها ورأينا نبات الارض بلاغا وانما يكفي ابن آدم
ادنى العيش من الطعام وانما جاوز الحنك لم يجد له طعاما كائنا ما كان من الطعام ثم بسط

حكاية ذي القرنين

ملك تلك الارض بيده فتناول جمجمة فقال يا ذا القرنين اتدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا
ملك من ملوك الارض اعطاه الله سلطانا على اهلها فغشم وظلم وعتى فلما راى الله ذلك منه
قصمه بالموت فصار كالحجر الملقى قد احصى الله عليه عمله حتى يجزيه به في الآخرة ثم تناول جمجمة اخرى
بالية فقال يا ذا القرنين هل تدري من هذا قال لا ومن هو قال هذا ملك ملك بعده قد كان يرى
ما يصنع الذي قبله بالناس من الغشم والظلم والتجبر فتواضع لله وامر بالعدل في اهل مملكته
فصار كما ترى وقد احصى الله عمله في دنياه حتى يجزيه في اخراه ثم اهوى الى جمجمة ذي القرنين فقال
هذه الجمجمة قد كانت كهاتين فانظر يا ذا القرنين ما انت صانع فقال له ذو القرنين هل لك في
صحبتي فاتخذك اخا ووزيرا وشريكا ومشيرا فقال ما اصلح انا وانت في مكان قال ولم قال
من اجل ان الناس كلهم لك عدو ولي صديق قال ولم قال يعادونك لما في يديك
من الملك والمال ولا احد يعاديني لما عندي من الحاجة وقلة الشيء والفاقة فانصرف عنه ذو
القرنين متعجبا ومتعظا وزيارة القبور فانها تذكر العقبى وتزهد في الدنيا وفيها عبرة لارباب
وروى اذا تحيرتم في الامور فاستعينوا باهل القبور والاصل فيه اى في طريق الانفاق من
توسط المحمود بالانفاق الصبر عن المستلذات الفانية وقصر الامل اى باستعداد زاد الدار الباقية
وورد عن علي رض قال انما اخشى عليكم من اثنين طول الامل واتباع الهوى فان طول الامل ينسي
الاخرة وان اتباع الهوى يصد عن الحق وان الدنيا قد ارتحلت مدبرة والاخرة مقبلة ولكل
واحدة منهما بنون فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب
وغدا حساب ولا عمل ابن المبارك واحمد في الزهد والعلم بآفات المال اى وتغيراته في المآل وآياته نقلا و
في سوء الحال فقد روي عن جرير عن ليث قال صحب رجل عيسى عم فقال اكون معك واصحبك فانطلقا
فانتهيا الى شاطئ نهر فجلسا يتغديان ومعهما ثلثة ارغفة فاكلا رغيفين وبقي رغيف فقام عيسى
عليه السلام الى النهر فشرب ثم رجع ولم يجد الرغيف فقال للرجل من اخذ الرغيف فقال لا ادري
قال فانطلق ومعه صاحبه وراى ظبية معها خشفان لها فدعا احدهما فاتاه فذبحه فاشتوى منه
فاكل هو وذلك الرجل ثم قال للخشف قم باذن الله فذهب فقال اسئلك بالذي اراك هذه الاية من اخذ
الرغيف قال لا ادري ثم انتهيا الى وادي ماء فاخذ عيسى عم بيد الرجل فمشيا على الماء فلما جاوزا
قال اسئلك بالذي اراك هذه الاية من اخذ الرغيف قال لا ادري فانتهيا الى مغارة فجلسا فاخذ عيسى عم
ترابا فقال كن ذهبا باذن الله فصار ذهبا فقسمه ثلث اثلاث له فقال ثلث لي وثلث لك وثلث
لمن اخذ الرغيف قال فانا اخذت الرغيف قال فكله لك ففارقه عيسى عم فانتهى اليه رجلان في المغارة
ومعه المال فارادا ان ياخذاه منه ويقتلاه فقال هو بيننا اثلاثا قال فابعثوا احدكم الى القرية حتى

حكاية عيسى عليه السلام

يشترى طعاما فجعلوا احدهم فقال الذى بعث لاى شئ اقاسم هؤلاء فى هذا المال ولكن اصنع فى
الطعام سما فاقتلهما قال ففعل ذلك وقال هؤلاء ولاى شئ نجعل لهذا ثلث المال ولكن اذا رجع الينا
قتلناه واقتسمناه بيننا قال فلما رجع اليهما قتلاه واكلوا الطعام فماتوا فبقى ذلك المال فى المفازة
واولئك الثلثة قتلى عنده فمر بهم عيسى عم فى تلك الحال فقال لاصحابه هذه الدنيا وهذا المال
فاحذروها ولا يفتنكم فى المال وهى اى افات المال من البليات الافضا الى المهلكات اى ايصال
الى مهلكات الاخلاق كالكبر فانه يغلب على ارباب الاموال والكذب اى فى معاملتهم وسائر الاحوال
والعداوة اى الناشئة من كثرة القيل والقال وحب الدنيا وهو رأس كل خطيئة كما رواه البيهقى فى
الشعب باسناد حسن الى الحسن البصرى رحمه الله رفعه مرسلا واقتحام الشهوة وفى نسخة الشبهة اى
ودخوله من غير ملاحظة لحصوله فى الامور المضرة من غير وصول المسرة والحاجة الى الناس اى لضرورة
الغنى من معاشرة الخلق وفى مباشرة امره بخلاف الفقير فانه غنى بربه عن غيره والشغل عن الطاعة
بالكسب اى والاشتغال عن العبادة بسبب الكسب كما هو العادة بخلاف المتوكلين من ارباب الارادة
والحفظ اى وبسبب حفظ الاموال فانه يضيع به ضبط الاحوال ودفع الحساد اى وبدفعهم لما فيهم
من انواع الفساد مع احتمال المشاق فى جمعه ومنعه بالانفاق اذ حلال الدنيا فيه الحساب وحرامها
فيه العذاب بل الحجاب الذى هو اشد العذاب وفوائده اى والعلم بفوائد المال وهو الانفاق على
النفس للقيام بالطاعة فيما لا بد له منه على طريق القناعة كالمطعم وكذا المشرب والملبس وكذا
المسكن وما يحتاج اليه اى الى الانفاق الزائد عليه كالحج وكذا العمرة والغزو وكذا طلب العلم وتحصيل
الصلة وعلى الغير من الزوجة والخادم ونحوهما من الاجانب والمحارم فورد افضل الدنانير دينار
ينفقه على عياله رواه مسلم وكفى بالمرء اثما ان يضيع من يقوت ابو داود وعند مسلم معناه وهو
اى الانفاق صدقة للفقير اى باى طريقة مع حصول النية ومروة اى فتوة للغنى فى بعض الاحوال
المرضية كما بينه بقوله من الضيافة فانها من الشمائل السنية فورد الضيافة على اهل الوبر وليست على اهل
المدر القضاعى عن ابن عمر الضيافة ثلثة ايام فما زاد فهو صدقة احمد وابو يعلى عن ابى سعيد الضيف
يأتى برزقه ويرتحل بذنوب القوم الطبرانى عن طارق بن شيم ضاف ضيف رجلا من بنى اسرائيل
وفى داره كلبة مجح بالحاء المهملة المشددة بعد الجيم اى قريبة الولادة فقالت الكلبة والله لا انبح ضيف
اهلى فعوى جراؤها فى بطنها قيل ما هذا فاوحى الله الى رجل منهم هذا مثل امة تكون من بعدكم
يقهر سفهاؤها علماؤها والهدية فانها من الفضائل البهية وقد ورد الهدية تذهب بالقلب
والسمع والبصر الطبرانى عن عصمة بن مالك الهدية تعور عين الحكيم الديلمى عن ابن عباس هدية الله
الى المؤمن السائل على بابه الخطيب فى رواة مالك عن ابن عمر والاعانة وكذا الاغاثة قال تعالى و

تعاونوا



تعاونوا على البر والتقوى وفى الخبر المشهور من كان فى عون اخيه المؤمن كان الله فى عونه وورد
من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلثا وسبعين مغفرة واحدة منها صلاح امره كله وثنتان وسبعون
درجات يوم القيمة البخارى فى تاريخه والبيهقى عن انس فهو اى المروة فضل الاخوة اى فى الدين
والدنيا وورد كيتو باخيه ابن ابى الدنيا عن سهل بن سعد والمرء مع من احب وله ما اكتسب الترمذى
عن انس والمرء على دين خليله فلينظر من يخالل والسخاء لارباب الصفاء واصحاب الوفاء والفتوة و
كمال الرجولية وجمال الانسانية وورد فيها اى فى المروة وما يتعلق بها الاخبار فانها من اعمال
الابرار فورد من المروة ان ينصت الاخ لاخيه اذا حدثه ومن حسن المماشاة ان يقف الاخ
لاخيه اذا انقطع شسع نعله الخطيب عن انس المروة اصلاح المال الديلمى عن ابان عن انس ليس من
المروة الربح على الاخوان ابن عساكر عن ابن عمر ووقاية عطف على صدقة اى محافظة لدفع الشر اى من
اهل الشر فهو اى الانفاق على الغير لدفع الشر ينبغى الغيبة باللسان والعداوة فى الجنان فورد
انها اى وقاية صدقة قال عم ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة العسكرى والقضاعى من حديث
جابر واستخدام اى اخذ خادم بالشراء او الكراء لتدبير المعاش فهو اى الخادم يفرغ للعبادة التى
هى زاد المعاد وفى نحو المسجد اى والانفاق فى عمارة المسجد وترميمها وتنويرها والجسر اى معبر
العامة والخاصة فوق البحر والنهر والرباط اى الخانات فى البعد عن العمارات او القلاع دفعا
للكفرة وارباب الغارات والحوض والبئر فى البلدات والفلوات والكل من الخيرات والمبرات
فهو اى الانفاق فى نحو المسجد يبقى الذكر اى الثناء الحسن بعد فناء العمر ويحصل بركة الدعاء اى دعوة
العامة وكل منها اى من فوائد المال عبادة مستقلة لا سيما عمارة المساجد فقد قال تعالى انما يعمر
مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الاية وورد من بنى لله مسجدا بنى الله له بيتا فى الجنة ابن ماجة
عن على زاد الطبرانى عن ابى امامة اوسع منه وفى رواية احمد عن ابن عباس من بنى لله مسجدا ولو
كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتا فى الجنة وفى معنى المسجد المدارس للعلماء والزوايا للصلحاء فعن
ابو هريرة من بنى بيتا يعبد الله فيه من حلال بنى الله له بيتا فى الجنة من در وياقوت الطبرانى فى الاوسط
ثم السخى فى عرف العلماء من لا يمنع ما يجب شرعا ومروة اى طبعا وضده البخيل وهو ما يمنعها وما فى
الشرع اى موجبه اجل من مانع المروة والسخاوة تفارق الايثار وهو اختيار الغير بالبر بانه
اى الايثار بذل مع الاحتياج اى مع غاية الافتقار اليه والسخاوة مع عدمه فافترقا وهو اى
الايثار الافضل اى افضل من السخاء فهو من ثلث خصال يستكمل به الايمان والخصلة الثانية ان يحب
لنفسه والثانية ان يأمن جاره بوائقه وورد فى مدح الانصار ويؤثرون على انفسهم تمامه
ولو كان بهم خصاصة اى شدة حاجة وفاقة او مجاعة وضرورة الى ما يؤثرون وفى البخارى

عن ابي هريرة ان رجلا اتى النبي عم فاستضافه فبعث الى نسائه فقلن ما معنا الا الماء فقال عم
من يضيف هذا فقال رجل من الانصار انا فانطلق به الى امرأته فقال اكرمي ضيف رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقالت ما عندنا الا القوت للصبيان فقال هيئي طعامك واصبحي سراجك ونومي صبيانك
اذا ارادوا عشيا فهيأت طعامها واصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كانها تصلح
السراج فاطفأته فجعلا يريانه انهما ياكلان فباتا طاويين فلما اصبح غدا الى رسول الله عم
فقال ضحك الله الليلة او عجب من فعالكما فانزل الله عز وجل ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة
واخرج الحاكم عن ابن عمر قال اهدي لرجل من الصحابة رأس شاة فقال ان اخي فلان وعياله احوج الى
هذا منا فبعث اليه فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى تناول سبعة ابيات حتى رجع الى الاول
فنزلت الاية وعن بعض المتعبدات انها وقفت على حبان ابن هلال وهو جالس مع اصحابه فقالت
هل فيكم من اسأله عن مسئلة فاشاروا الى حبان فقالت ما السخاء عندكم قالوا العطاء والبذل
والايثار قالت هو السخاء في الدنيا فما السخاء في الدين قال ان نعبد الله تعالى متبرعة سخية بها
انفسنا غير مكرهة قالت افتريدون على ذلك اجرا قالوا نعم قالت لم قالوا لان الله تعالى وعدنا بالحسنة
عشرة امثالها قالت سبحان الله اذا اعطيتم واحدة واخذتم عشرة فباي شيء تسخيتم عليه
قالوا فما معنى السخاء عندك يرحمك الله قالت السخاء عندي ان تعبد الله متنعمين متلذذين بطاعته
غير كارهين لعبادته لا تريدون على ذلك اجرا حتى يكون مولاكم يفعل ما يشاء بكم في اولاكم واخراكم
الا تستحيون من الله ان يطلع على قلوبكم فيعلم فيها انكم تريدون شيئا بشيء ان هذا في الدنيا لقبيح
وقال المحاسبي السخاوة في الدنيا ان تسخو بنفسك في محبة ربك وتسخو قلبك ببذل مهجتك
واهراق دمك عن سماحة دون كراهة ابتغاء لوجهه غير مريد بذلك عوضا وغرضا
عاجلا ولا آجلا وان كنت غير مستغن عن الثواب لان مولاك اختار لك ما لا يحسن ان تختار
لنفسك في دنياك وآخرتك وفيه تلميح الى قوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم
بان لهم الجنة الاية والتبذير اي السخاوة تفارق التبذير بانه حيث يجب الامساك اي المنع
من بذله لكونه اسرافا او في غير محله اللائق به وهو حرام لقوله تعالى وآت ذا القربى حقه والمسكين
وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين اي اولياؤهم وكان
الشيطان لربه كفورا اي جحودا نفورا والمعنى لا تنفق مالك في المعصية قال مجاهد لو انفق
انسان ماله كله في الحق ما كان تبذيرا ولو انفق مدا في الباطل كان تبذيرا وكذا قيل لا سرف
في خير ولا خير في سرف وقال شعبة كنت امشي مع ابي اسحق في طريق الكوفة فاتى على جدار بني
بجص وآجر فقال هذا التبذير لكن البخل اخس من التبذير لان البخل مطلقا يلزمه زيادة

الكرم والشح اي ويفارق السخاوة والشح بانه مع الكراهة اي بالطبع والجبلة بخلاف السخاوة
فانها لا يكون الا مع طيبة النفس والمحبة والمروة اي تفارقها السخاوة بترك المضايقة وكان
حقه ان يقال بالمضايقة ليكون على منوال المضايقة وفي نسخة والمروة بالرفع وجرى ترك
المضايقة بالمحقرات فتختلف المضايقة باختلاف الاشخاص اي الذوات الذين يصدر منهم المضايقة
او معهم المضايقة وايضا تختلف باختلاف ما به المضايقة وتفاوت الازمنة والحالات كالغنى
والفقر فان ترك المروة في الغنى اقبح من تركها في الفقير والقريب والاجنبي فان ترك المروة في حق
الاقارب اقبح من تركها في حق الاجانب والجار والاهل اي من الزوجة والخادم والضيف والميت في
امر تكفينه وتجهيزه وتدفينه وكذا في حال الغلاء والرخاء والسراء والضراء وكذا يختلف باختلاف
الشيخ والصبي والشاب والمراة والرجل والعاقل والجاهل فما يستقبح في احدهما اي الشخصين
او الحالين لا يستقبح من الاخر لتفاوت الامرين والاولى في الانفاق التوسط المحمود في جميع الاخلاق
بان يكون متوسطا بين البذل والبخل فيمسك حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب العطاء وانما كان ذلك
اولى لان التفريط الذي هو البخل مذموم كالافراط الذي هو التبذير والايثار وان حسنا لكن المداومة
عليه ربما تؤدي الى الحجر فكان الاولى هو التوسط فورد لا تجعل يدك مغلولة الى عنقك اي لا تمسك يدك
عن نفقة في الحق كالمغلولة يده لا يقدر على مدها ولا تبسطها اي بالعطا كل البسط فتعطي جميع ما عندك
فتقعد ملوما محسورا او الملوم الذي اتى ما يلوم نفسه وما يلومه غيره ومحسورا اي منقطعا بك لا شيء
عندك وما في المعالم قال جابر اتى صبي فقال يا رسول الله ان امي تستكسيك درعا ولم يكن لرسول الله
صلى الله عم الا قميصه فقال للصبي من ساعة الى ساعة يظهر فعد وقتا آخر فعاد الى امه فقالت له
قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل عليه السلام داره ونزع قميصه فاعطاه اياه وقعد عريانا
فاذن بلال بالصلوة فانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب اصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عريانا فانزل الله تعالى
الاية وحق العطا لا سيما اذا كان فرضا ان يعجل قبل الوجوب وهو حولان الحول في الزكوة ودخول
عيد رمضان في صدقة الفطر مبادرة الى الايتمار الى قبول الامر لقوله تعالى وسارعوا الى مغفرة من ربكم
واسرار المؤمن فقد قيل ادخال السرور على قلب المؤمن افضل من عبادة الثقلين وعن جابر افضل
سرور تدخله على مسلم ابن عدي وعن ابن عمر ما من شيء احب الى الله تعالى من ادخال السرور على قلب
اخيك المسلم ابن النجار وتحينا اي تحافظا عن طروق الافات اي حدوث طرق الافات الدنيوية الانسانية
والوساوس الشيطانية وتعيين وقتا فاضلا او زمانا كاملا ليكون ذلك سببا لنماء قربته و
تضاعف صدقته كشهر رمضان فعن انس افضل الصدقة في رمضان الدارمي في خبر وقد كان صلى الله
عم اجود الخلق واجود ما يكون في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيئا كما في الصحيحين عن ابن عباس

وذي الحجة فانه شهر حرام وفيه الحج ومواسم الخيرات والمبرات والايام المعلومات وهي العشر الاول
والايام المعدودات وهي ايام التشريق وقد قالوا افضل ايام شهر رمضان العشر الاواخر وافضل
ايام ذي الحجة العشر الاول وسرا اي مخفيا العطاء ان خاف الرياء فورد ان العبد ليعمل سرا فيكتب سرا
وان اظهر لغيره بعد سره نقل الى العلانية اي ديوانها فان تحدث به اي ثانيا نقل به الى الرياء الخطيب
في التاريخ من حديث انس نحوه باسناد ضعيف والديلمي عن ابي الدرداء ولفظه ان الرجل ليعمل عمل سر فيكتبه
الله عنده سرا فلا يزال به الشيطان حتى يتكلم به فيمحى من السر ويكتب علانية فان عاد وتكلم الثانية
محي من السر والعلانية وكتب رياء وورد ثلث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة ابو نعيم من حديث
ابن عباس وصدقة السر تطفئ غضب الرب الطبراني من حديث ابي امامة وسبعة يظلهم الله في ظله يوم
لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم يعلم شماله بما يعمل يمينه متفق عليه من حديث ابي هريرة
وكانوا اي السلف يبالغون فيه اي في اخفاء الاعطاء بحيث لا يعرفهم القابض تحاميا عن السمعة
والرياء وتحافظا عن المن والاذى فكان بعضهم يلقيه في يد الاعمى وبعضهم كان يصر في ثوب الفقير
وهو نائم وبعضهم كان يوصل الى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط
بشانه ويوصيه بان لا يفشيه في زمانه ويظهر اي الاعطاء ان سلم فيه اي في الاعطاء معتصما عنه اي
محفوظا عن الرياء او امنه اي امن من سمعة والرياء لاختصاصه بمقام الخواص في الاخلاص وقصد الترغيب
لغيره في باب الاعطاء من الاقتداء فورد ان تبدوا الصدقات اي تظهروها فنعما هي اي فنعمت الخصلة
ابداؤها اي اظهار اعطائها وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم اي الاخفاء بالاعطاء فهو
خير لكم اي من الابداء بالاعطاء وانفقوا بصيغة الماضي مما رزقناهم سرا وعلانية اي باختلاف
الاحوال من الترهيب والترغيب وتفاوت النية واختلاف الطوية او السر مختص بالنوافل والاعلان
بالفرائض او تارة وتارة بحسب ما يليق بالاشخاص والاوقات والاحوال كما يشير اليه قوله تعالى
ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
روى مجاهد عن ابن عباس قال نزلت هذه الآية في علي بن ابي طالب رض كانت عنده اربعة دراهم
لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية ولم يستر القابض اي لم يكتم
ما اخذه بل يظهره ويتحدث به ويدعو لصاحبه فقد ورد من صنع اليكم معروفا فكافئوه فان لم
تستطيعوا فادعوا له حتى تروا انكم قد كافأتموه ابو داود والنسائي من حديث ابن عمر باسناد صحيح
ومن صنع اليه معروف فقال لفاعله جزاك الله خيرا فقد ابلغ في الثناء الترمذي وابن حبان و
النسائي عن اسامة ومن صنع الى احد من اهل بيتي يدا كافيته عليها يوم القيامة ابن عساكر عن علي
تحاميا عن الهتك اي احترازا عن انتهاك حرمة شكر النعمة فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله الترمذي

وحسنه في رواية عبد الله ابن احمد عن النعمان بن بشير من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس
لم يشكر الله والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر ويجتنب المن اي الامتنان في الاعطاء والاحسان
والاذى باليد او باللسان فورد لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى اي بكل منهما وهما اي المن والاذى
على طريق اللف والنشر المرتب الذكر بالقلب اي ذكر الصدقة بقلبه والاظهار لها باللسان في غيبته
او وجهه والاستخدام للفقير بالعطاء والتقريع بالفقر اي تعييره بانه من الفقراء او التكبر بالعطاء
اي لانه من الاغنياء والتشديد بالقول اي بان ينهره ويوبخه بانه من الفقراء والاقرب اي الى الصواب اى حنا المن مو
من بين الاقوال ان يقال المن ان يراه اي المعطي محسنا اليه ومنعما عليه وحقه ان يرى الفقير محسنا
لديه بقبول حق الله تعالى منه الذي هو طهرة وبدء من النار نجاة وانه لو لم يقبله لبقي مرتهنا به فحقه ان
يتقلد منه منة الفقير في قبضه واخذه بيد لطفه ولذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير و
يمتثل عنده قائما يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو
رده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير فيكون يد الفقير هي العليا ويعرف اي المن بقوة استبعاد
جناية القابض بعد العطاء اي بترك الخدمة وعدم التعظيم والحرمة والتقديم في المحافل والمتابعة
في المجالس والمعاهد فلو جنى القابض على المعطي فزاد استنكاره علم ان صدقته لم تخل عن شائبة المنة لانه
توقع بسببها هنالك ما لم يكن توقعه قبل ذلك والمحسن اي في الحقيقة هو القابض اي للصدقة لايصاله اي
المحسن الى الثواب والانجاء اي اخلاصه عن العقاب وكونه اي وكونه نائبا عنه تعالى فيه اي في القبض فورد
انها تقع اولا بيده تعالى ولفظ الحديث ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان تقع في يد السائل الدارقطني في الافراد
من حديث ابن عباس والبيهقي في الشعب وكونها اي وكون الصدقة حقا له تعالى اي خاصة اذ ليس له شريك
في ملكه ولا ملكه احال عليه الفقير على سبيل الرفق انجازا لما وعده من الرزق اي وقدره اذ يكون بين الخلق
فليتحقق الغني انه مسلم الى الله سبحانه حقه والفقير اخذ من الله تعالى رزقه بعد مصيره ورده مسلما الى الله
ولو كان عليه دين لانسان فاحال به عليه صاحب العين عبده او خادمه الذي هو متكفل برزقه
لكان اعتقاد مؤدي الدين كون القابض تحت منة سفها وجهلا فان المنة للمحال اليه المتكفل برزقه
واما هو فقائم بقضاء الدين الذي لزمه بشراء ما احبه فهو ساع في حق نفسه فلم يمن به على غيره
والاذى اي والاقرب ان حد الاذى التعيير والتوبيخ عطف تفسير او احدهما مختص بالغيبة والآخر
بالمشاهدة والقول السيء كالذم والشتم والكلام والقطوب وهو عبوسة الوجه وهتك الستر
اي بيان اعطائه في الملا وحوله والاستخفاف اي بقوله والاستحقار بفعله والسبب اي الباعث على
المن والاذى استكثار العطاء واستثقاله وهو حمق لان من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي
الفا فهو شديد الجهل ومعلوم انه يبذل المال لطلب رضاء المولى وللثواب في دار العقبى فلا وجه

للكراهية اصلا والتكبر على القابض الناسئان من الجهل الحاصلان الحادثان من جهله باستقلال

رضائه تعالى على حسيس فانه اى فى اصل بنائه كما تقدم ونسيان فضل الفقير او من نسيان فضله

لانه لو عرف فضل الفقير على الغنى وعرف خطر الاغنياء وحظ الفقراء لما استحقر الفقير بل تبرك

بخدمته ويتمنى ان يكون فى درجته فصلحاء الاغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام فقد

ورد فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام الترمذى عن ابى سعيد والمراد اى

بالبطلان فى قوله تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى عدم كون ذلك الاعطاء صدقة اى مقبوله نافعة

كل المنفعة او صدقة مضاعفة بان يكون كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة لا

الابطال الحقيقى فلا يكون له ثواب الصدقة بالكلية ولا حبة كما تقول المعتزلة وعلى الاول فيكون له ثواب

الاحسان لانه احسن الى احد من الاخوان فهو اى الابطال من جميع الاحوال ممتنع فى صحيح الاقوال ويستصغر

اى ومن حق المعطى ان يستحقر الاعطاء ليعظم عنده تعالى فيصير حبة مثل جبل احد وقيل ان الطاعة كلما

استصغرت كبرت وكلما استعظمت صغرت وهو اى الاستصغار انما يحصل بذكر التوفيق بان يتامل بعين

التحقيق انه من اين له المال والى ماذا يصرفه فى المآل فالمال لله وله المنة اذا اعطاه اياه ثم وفقه لبذله

وصانه عن بخله فلم يستعظم فى حق الله ما هو عين بعض حقه وهذا ان دنى الى الدرجة العليا بان يكون

بذله فى محبة المولى والثواب اى وبالاجر والمثوبة ان كان مقامه يقتضى ان ينظر الى الاخرة ومثوبة العقبى

فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه اضعافه مع انه بخل باعطائه بعض ماله فكان ينبغى ان يخجل فى اعماله من

نقصان كماله باعتبار ماله وهذا معنى قوله ويؤدى مستحييا منه تعالى فهو عطف بالمعنى على بذكر التوفيق

فالتقدير وهو بان يذكر التوفيق وان يؤدى مستحييا منه سبحانه فى مقام التحقيق للبخل الحامل على الحفظ

اى على امساك بقية ماله من عرصات ما ملكه اجود المال مفعول يؤدى اى يعطى احسن المال وابعده من

الشبهة اى واقربه الى الحلال فقد ورد انفقوا من طيبات ما كسبتم تمامه ومما اخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا

الخبيث منه تنفقون ولستم باخذيه الا ان تغمضوا فيه اى ما لا تاخذونه الا مع كراهة وحياء وفى الخبر

سبق درهم مائة الف درهم النسائى وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة وذلك بان يخرج

من احل ماله واجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح ببذله وقد يخرج مائة الف درهم مما يكره من

ماله فيدل ذلك على انه ليس يؤثر الله عز وجل لشىء مما يحبه كذا فى الاحياء ويحتمل ان يكون معناه

ان لاحد درهمين فاخرج درهما ولاخر سبعمائة الف درهم فاخرج الف درهم فتصدق عليه

انه غلب درهم مائة الف درهم بحسب الرتبة فى مقام الكرم والله سبحانه اعلم ثم رأيت فى رواية

للنسائى عن ابى ذر سبق درهم مائة الف درهم رجل له درهمان اخذ احدهما فتصدق به ورجل

له مال كثير فاخذ من عرضه مائة الف فتصدق بها وفى رواية الطبرانى عن ابى مالك الاشجعى ثلثة

نفر كان لاحدهم عشرة دنانير فتصدق بدينار وكان لاخر عشرة اواق فتصدق منها باوقية

وكان لاخر مائة اوقية فتصدق منها بعشرة اواق فهم فى الاجر سواء كل تصدق بعشر ماله حتى تنفقوا

مما تحبون فى قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فينبغى ان ينتقى من ماله اجوده واحبه واحله

واطيبه فقد ورد ان الله طيب لا يقبل الا طيبا اخرجه مسلم عن ابى هريرة وطوبى لعبد انفق مالا اكتسبه من

غير معصية ابن عدى والبزار ولانه تعالى يأخذها فقد ورد يأخذ الصدقات اى فى قوله تعالى وهو الذى يقبل

التوبة من عباده ويأخذ الصدقات فلا يدخل تفريع لقوله يؤدى اجود المال الحقير لا يدخل فى المال فيما ورد

من ذم الكفار ويجعلون لله ما يكرهون اى البنات حيث قالوا الملائكة بنات الله وتمامه وتصف

السنتهم الكذب ان لهم الحسنى وهى الصبيان من يكثر متعلق بيؤدى اى يخص عطاءه لمن يكثر اعطاءه الاجر بكونه

متقيا والاتقياء هم المعرضون عن الدنيا المتجردون للتجارة العقبى فقد قال تعالى ان اكرمكم عند الله اتقيكم

وورد لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى ابو داود والترمذى من حديث ابى سعيد الخدرى

وهذا لان التقى يستعين به على التقوى فيكون شريكا له فى طاعة المولى وعالما فان ذلك اعانة له على

العلم والعلم اشرف العبادات فقد ورد وتعاونوا على البر والتقوى وورد اجب بطعامك من يحبه الله

وفى لفظ من يحبه الله ابن المبارك ابى جويبر عن الضحاك مرسلا وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه اهل

العلم فقيل له لو عممت فقال انى اعرف بعد مقام النبوة افضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب

احدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعليم فتفريغهم للعلم افضل وكان بعضهم يؤثر فقراء

الصوفية بالعطاء دون غيرهم فقيل لو عممت بمعروفك جميع الفقراء كان افضل فقال هؤلاء قوم

همهم الله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت همهم فلان ارد همة واحد منهم الى الله تعالى

احب الى من اعطاء الف ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولى من اولياء

الله ما سمعت مذ زمان كلاما احسن من هذا وهذا معنى قول المص وصادقا اى فى تقواه وعلمه

بتوحيد مولاه حال كونه يرى النعمة منه تعالى ولم ينظر الى الواسطة ويكون همة الله لا ما سواه

ففى وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر

غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم وسلطانه ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله

اياه اذ سلطه الله عليه دواعى الفعل ويسر له الاسباب فاعطى وهو مقهور ولو اراد تركه لم

يقدر عليه بعد ان القى الله تعالى فى قلبه بان صلاح دينه ودنياه فى فعله فمن تيقن هذا لم يكن له

نظر الى مسبب الاسباب ويقين مثل هذا العبد انفع للمعطى من ثناء غيره وشكره وذلك حركة فى

اللسان يقل جدواه فى اكثر الزمان واعانة مثل هذا الموحد لا يضيع ولا يقع فى مقام النقصان

واما الذى يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الاباء من الاعطاء فاحواله

متفاوتة فى السراء والضراء وفى هذا المقام قال عم لرجل تب فقال اتوب الى الله تعالى ولا اتوب
الى محمد عم فقال عم عرف الحق لاهله احمد والطبرانى من حديث الاسود بن سريع بسند ضعيف ولما
نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الافك قال ابو بكر قومى فقبلى رأس رسول الله عم
فقالت لا والله لا افعل ولا احمد الا الله عز وجل فقال عم دعها يا ابا بكر وفى لفظ آخر انها قالت
لابى بكر بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ان الوحى وصل
اليها على لسان رسول الله صلى الله عم كذا فى الاحيا وقال العراقى رواه ابو داود من حديث عائشة بلفظ
فقال ابواى قومى فقبلى رسول الله عم فقلت احمد الله لا اياكما وللبخارى تعليقا فقال ابواى قومى
فقلت لا والله لا اقوم اليه ولا احمد الا الله وللطبرانى فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك وله من حديث
ابن عمر فقال ابو بكر قومى فاختضنى رسول الله صلى الله عم فقالت لا والله لا ادنو منه الحديث وفيه
انها قالت للنبى صلى الله عم بحمد الله لا بحمدك ثم اعلم ان رؤية الاشياء من غير الله تعالى وصف
للكافرين واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه
اذا هم يستبشرون ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط الا من حيث انهم وسائط فكانه لم
ينفك عن شرك الخفى سره فليتق الله سبحانه فى تصفية توحيده فى مراتبه عن كدورة الشرك الخفى
وشوائبه ومع هذا من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر من يرى الواسطة اصلا
وهذا رتبة جمع الجمع فى التحقيق والله ولى التوفيق وسائر الحاجة اى ومخفيا الفاقة لا يكثر البث و
الشكوى فى مضيق حاله فورد يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تمامه تعرفهم بسيماهم لا يسألون
الناس الحافا اى الحاحا وتصريحا بل تعريضا وتلويحا او لا يسألون اصلا فالمعنى منصب على القيد
والمقيد كقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع حيث لا شفيع لهم اصلا وقطعا وذلك
لانهم اغنياء بيقينهم واعزة صبرهم وعكينهم فورد ليس الغنى من كثرة العرض انما الغنى غنى النفس
متفق عليه من حديث ابى هريرة ومعيلا بضم الميم اى عاجزا عن نفقة اهله ومريضا اى محبوسا المرض
مانع له من كسبه فورد للفقراء اى خصوا صدقاتكم للفقراء الذين احصروا فى سبيل الله اى حبسوا
فى طريق الآخرة لعيلة او ضيق معيشة او صلاح قلب فى علم وعبادة تمامه لا يستطيعون ضربا فى
الارض اى سيرا فيها للتجارة والزراعة والاجارة ونحوها فبهذه الاسباب كان عمر بن الخطاب
رض يعطى اهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان عم يعطى العطاء على قدر العيلة
كذا فى الاحيا قال العراقى لم اجد له اصلا لكن لابى داود من حديث عوف بن مالك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم كان اذا اتى الفىء قسمه فى يومه ويعطى الآهل حظين ويعطى العزب حظا وقال احمد حديث حسن
فكان الغزالى نقل بمعناه لعدم استحضار مبناه او اطلع على ما لم يجده غيره بعده وورد ان المعونة

ولا احمدكما ولا احمدكما ولكن احمد الله وله ولمسلم فقالت لى امى قومى اليه فقلت والله لا اقوم اليه صح

تاتى من الله للعبد على قدر المعونة وان الصبر ياتى من الله على قدر المصيبة الحاكم والحكيم والبزار والبيهقى
عن ابى هريرة وسئل عمر رض عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال وضعيف الحال والاقاربات
الكمال لو كان الخلق كلهم عياله ولم تنزل قطرة ولم تنبت حبة لما له ما ابالى فان خالفتهم دارهم او
ميتهم وصادقهم وذا رحم فجاء ان الصلة اى صلة الرحم بدرهم احب من ان تصدق بعشرين الى الاجنبى
فمن على لان اصل اخا من اخوانى بدرهم احب الى من ان اتصدق بعشرين درهما ولان اصل بعشرين
درهما احب الى من ان اتصدق بمائة درهم ولان اصله بمائة درهم احب الى من ان اعتق رقبة و
اما الاصدقاء واخوان الخير فيقدمون على المعارف كما تقدم الاقارب على الاجانب وقد ذكر السيوطى
فى خاصية ثواب الصدقة خمسة انواع واحدة بعشرة وهى على صحيح الجسم وواحدة بتسعين وهى
على الاعمى والمبتلى وواحدة بتسع مائة على ذى قرابة محتاج وواحدة بمائة الف على الابوين و
واحدة بتسعمائة الف على عالم او فقيه والاولى طلب الجامع اياه اى طلبه لمن اجتمع فيه الصفات المذكورة
والحالات المسطورة او اكثرها لان ما لا يدرك كله لا يترك كله ويقدر ما يتعين يحصل له ما يتمنى
فان وجد من جمع هذه المراتب فى اعلى المناقب فهى الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى وتصدق كل يوم اى
ليكتب فى المتصدقين وقد ورد باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة الطبرانى
فى الاوسط عن على والبيهقى عن انس ولا ترد سائلا فورد ردوا السائل ولو بظلف محرق مالك
واحمد والبخارى فى تاريخه والنسائى عن حوا بنت السكن وفى رواية العقيلى عن عائشة ردوا مذمة
السائل اى بغية وشهوته ولو بمثل رأس الذباب العقيلى عن عائشة ولعله مقتبس من قوله تعالى
فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره فيسكت ان لم يقدر على العطا وهو المأثور فعن محمد بن الحنفية مرسلا انه
عليه السلام كان لا يكاد يقول لشئ لا فاذا هو سئل فاراد ان يفعل قال نعم وان لم يرد ان يفعل
سكت رواه ابن سعد ورواه الحاكم عن انس كان عم لا يسأل شيئا الا اعطاه او سكت الا بلطف
وهو المشهور عن الجمهور فورد قول معروف اى كلام حسن ورد على السائل مستحسن وقيل عدة حسنة
وقيل دعوة صالحة ومغفرة اى ستر حاله او سد فاقته او رفع حاجته خير من صدقة يتبعها
اليه حالكونه يتبعها اذى اى يعقبها به لديه او من عليه والاولى ان يستدل بقوله تعالى واما تعرضن
عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا اى ذا يسر ولين وهى العداوة اى فعدهم
وعدا جميلا وقيل ادع لهم دعاء جميلا نحو رزقنا الله واياك واعطانا الله واعطاك فلا
ينهر ومن حق العطاء انه لا يزجر ولا يقهر ويرهن فقوله تعالى واما السائل فلا تنهر اى اذا سألك فاما
ان تطعمه طعاما لينا واما ان ترده ردا هينا فاوعد فيها لعذاب الانعام فى النار لم اعرف له
اصلا ويغتنم السؤال بالمصلى اى سؤال الفقير على بابه فانه هدية من الله تعالى اليه بالجنابة كما ورد فيما تقدم

ويحتمل ان يكون السؤال على وزن الجهال جمع سائل ففي ابراهيم بن ادهم نعم القوم السؤال يحملون
زادنا الى الآخرة وعن ابن عمر مرفوعا هدية الى المؤمن السائل على بابه رواه الخطيب في رواية مالك
وليحسن الظن بنفسه عند فقده اي عند عدم السائل في باب انسه ولا يتوقع اي لا يطمع من فقير
حين اعطاه عطاء ان يجازيه جزاء ودعاء وشكرا وثناء قال تعالى حكاية عن الابرار ويطعمون
الطعام على حبه مسكينا ويتيما واسيرا انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ويكافئ
بالهمزة اي يجازي المعطي بمثله بنظير دعاء الفقير ان دعا له بالخير ونحوه من الجزاء او اثنى عليه
بان مدح في مقابلة العطاء وكانت عائشة رضي الله عنها ام المؤمنين كثيرة للخيرات والمبرات قال
عروة بن الزبير لقد تصدقت بخمسين الفا وان درعها لمرقع وكانت هي وام سلمة اذا ارسلتا
معروفا الى فقير قالتا للرسول احفظ لما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا
بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لانه يشبه المكافاة وهكذا فعل عمر وابنه
رضي الله عنهما ويجعلها اي ثواب صدقته لوالديه الماضيين اي المتوفيين فانهما ينتظران دعوة
تلحقهما او صدقة تصيبهما فعن عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ما على احدكم اذا اراد ان يتصدق
ان يجعلها لوالديه اذا كانا مسلمين فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما من غير ان ينقص
من اجورهما شيء ابن النجار فالكل ماثور وفي كتب الحديث مسطور ويقدم نفقة النفس والعيال
فهو اي تقديمهما فرض وقد ورد ابدأ بمن تعول متفق عليه ابدأ بنفسك فتصدق عليها فان
فضل شيء فلاهلك فان فضل عن اهلك شيء فلذي قرابتك فان فضل من ذي قرابتك شيء فهكذا النسائي
وفي الطبراني من حديث جابر بن سمرة اذا انعم الله على عبده نعمة فليبدأ بنفسه واهل بيته وقدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم نفقة الولد على الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم ابو داود من حديث
ابي هريرة بسند صحيح وابن حبان والحاكم وصححه ورواه النسائي وابن حبان ايضا بتقديم الزوجة
على الولد وجمع بين الحديثين بان الولد صغير في الاول وكبير في الثاني وقال صلى الله عليه وسلم يوما
لاصحابه تصدقوا فقال رجل عندي دينار فقال انفقه على نفسك قال ان عندي آخر قال انفقه على
زوجتك قال ان عندي آخر قال انفقه على ولدك قال عندي آخر قال انفقه على خادمك قال ان
عندي آخر قال انت ابصر به ابو داود والنسائي واللفظ له وابن حبان والحاكم من حديث ابي هريرة ويباكر
اي يخرج الصدقة اول النهار ليدخل في قوله ويسارعون في الخيرات ليبادر بها اي بالصدقة البلاء
اي دفعه من ورد الصدقات بالغدوات يذهبن بالعاهات الديلمي عن انس وفي رواية البيهقي عنه
والطبراني في الاوسط عن علي باكروا بالصدقة فان البلاء لا يتخطى الصدقة وورد الصدقة تمنع
سبعين نوعا من البلاء اهونها الجذام والبرص الخطيب عن انس الصدقة تمنع ميتة السوء كقضاعي

عن ابي هريرة ويغتنم الصدقة على من رق له القلب لانه من علامة انه رحمة الرب فهو اي
رقة القلب علامة صدق السائل وقد ورد لو صدق السائل ما افلح من رده العقيلي في
الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة وللطبراني نحوه من حديث ابي امامة وللبيهقي
عن عائشة لولا ان السؤال يكذبون ما قدس من ردهم لا تردوا السائل ولو بشق تمرة ولا
يحتقر ما عنده لقوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه
اجرا عظيما ولقوله تعالى حكاية عن لقمان يا بني انها ان تك مثقال حبة من خردل الآية قال يحيى بن
معاذ ما اعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة ولقوله سبحانه وتعالى ما عندكم ينفد
وما عند الله باق فربما يكون حقيرا عنده حقيرا ويصير عنده سبحانه عظيما وكبيرا فورد ما من عبد
مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا الطيب الا كان الله ياخذه بيمينه فيربيها
له كما يربي احدكم فصيله او فلوه حتى تبلغ التمرة مثل احد البخاري تعليقا ومسلم والترمذي والنسائي
في الكبرى واللفظ له وابن ماجه من حديث ابي هريرة واتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم يجدوا
فبكلمة طيبة متفق عليه من حديث عدي بن حاتم وتصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة
كما يطفئ الماء النار ابن المبارك في الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولاحمد من حديث عائشة
بسند حسن اشتري نفسك من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان وللبزار
وابي يعلى من حديث ابي بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقيم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع
من الجائع موقعها من الشبعان وقال عليه السلام لابي ذر اذا طبخت مرقة فاكثر ماءها ثم انظر الى اهل
بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف رواه مسلم وفي رواية العقيلي ردوا مذمة السائل
ولو بمثل رأس ذباب ويقال ان الحسن مر بنخاس ومعه جارية فقال اترضى في ثمنها الدرهم والدرهمين
قال لا قال فاذهب فان الله رضي بالحور العين بالفلس والفلسين واللقمة واللقمتين وعن علي
كرم الله وجهه ما كان مهرها الا قبضة من حنطة ومثلها من تمر العقيلي عن ابن عمر وكان عليه السلام
لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره بيده وكان يناول المسكين بيده الدار
قطني من حديث انس باسناد ضعيف وابن المبارك في البر مرسلا ويحصل انواعها اي
ويجتهد في تحصيل انواع الصدقة حقيقة وهو ظاهر وحكما كارشاد الضال اي دلالته
على صاحبه او رده الى بابه فروى الترمذي وغيره عن ابي ذر مرفوعا تبسمك في وجه
اخيك صدقة وامرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وارشادك الرجل في
ارض الضلال صدقة الحديث او هدايته الى زقاقه فلاحمد والترمذي وصححه من حديث
البراء من منح منحة ورق او منحة لبن او هدى زقاقا فهو كعتاق نسمة او دلالته

عن جهالته وضلالته فرد دلالة لأن يهدي الله بك رجلا خير لك من حمر النعم اي من صدقتها و
قربان المراءة اي جماعها للتعفف من اجله او من اجلها فروى ابو داود عن ابي ذر يصبح على كل
سلامى من ابن آدم صدقة تسليمه على من لقي صدقة وامره بالمعروف صدقة واماطة الاذى
عن طريق صدقة وبضع اهله صدقة ويجزى عن ذلك ركعتان من الضحى قالوا يا رسول الله
احدنا يقضي شهوته ويكون له صدقة قال ارايت لو وضعها في غير حلها لم يكن يأثم وفي رواية
النسائي وابن حبان وغيرهما عن ابي ذر ايضا ولك في جماع زوجتك اجر ارايت لو كان
لك ولد فادرك ورجوت اجره فمات اكنت تحتسب به قال نعم قال فانت خلقته وانت
هديته فانت رزقته قال لا قال فضعه في حلاله وجنبه حرامه فان شاء الله احياه وان شاء
اماته ولك اجر والعدل بين الاثنين من الزوجين وغيرهما فعن ابي هريرة كل سلامى من الناس
عليه صدقة كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين الاثنين صدقة وتعيين الرجل على دابته فيحمل عليها
او يرفع عليها متاعه الحديث احمد والشيخان والحمل على الدابة لما سبق من الحديث والمعنى حمل
الغير او متاعه على دابته او دابة نفسه وطيب الكلام فعن ابن عباس الكلمة الطيبة يتكلم بها
الرجل صدقة الطبراني وفي رواية لمسلم والنسائي عن ابي ذر فكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة
صدقة وكل تهليلة صدقة وكل تكبيرة صدقة الحديث وتقدم حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فان
لم تجدوا فبكلمة طيبة والخطوة الى الصلوة فعن ابي هريرة برواية احمد والشيخين وكل خطوة
يخطوها الى الصلوة صدقة والانفاق على العيال فعن جابر ما انفق المسلم من نفقة على نفسه
واهله كتب له بها صدقة الحديث ابن عساكر والحاكم في مستدركه عن انس ان نفقتك على اهلك
وخادمك صدقة وفي رواية الخطيب عنه كل معروف صنعته الى غني او فقير فهو صدقة وفي
رواية احمد وغيره عن ابي امامة ما اطعمت زوجتك فهو لك صدقة وما اطعمت ولدك
فهو لك صدقة وما اطعمت خادمك فهو لك صدقة وما اطعمت نفسك فهو لك صدقة والتبسم في
وجه اخيه وقد تقدم حديث وتبسمك في وجه اخيك صدقة وفي رواية احمد وغيره عن جابر
كل معروف صدقة وان من المعروف ان تلقى اخاك ووجهك اليه منبسط وفي رواية
عن ابي ذر لا تحقرن من المعروف شيئا ولو ان تلقى اخاك بوجه طلق واطراق
الفحل اي من الابل والخيل يعني اعارته للضراب وهو نزوه على الانثى ففي مسند احمد والترمذي
عن ابي امامة افضل الصدقات ظل فسطاط في سبيل الله عز وجل او منيحة خادم في سبيل
الله واعادة الدلو اي ونحوها الداخلة في ذم منعها حيث قال تعالى ويمنعون الماعون
وقد روى البخاري في تاريخه عن ابي ذر وافراغك من دلوك في دلو اخيك لك صدقة

وفي رواية دلو ان تفرغ من دلوك في اناء المستقي والنفع بالعلم اي تعليمه فعن ابي هريرة
افضل الصدقة ان يتعلم المرء المسلم علما ثم يعلمه اخاه المسلم ابن ماجة وغرس فعن ابي
الدرداء رضي الله عنه من غرس غرسا لم يأكل منه ادمي ولا خلق من خلق الله الا كان له
صدقة احمد وزرع فعن خلاد ابن السائب من زرع زرعا فاكل منه طير او عافية كان
له صدقة احمد والعافية السبع ونهر وبئر ومصحف وتخليف ولد يستغفر له فعن
ابي هريرة اذا مات الانسان انقطع عمله الا من ثلث صدقة جارية او علم ينتفع به
او ولد صالح يدعو له مسلم وغيره وافضلها اي افضل الصدقات ان يكون في الصحة اي
حال العافية ففي الصحيحين عن ابي هريرة افضل الصدقة وانت صحيح شحيح تامل العيش
وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا الا وقد
كان لفلان كذا وللمحتاج فدرهم منه اي من اجله مثل سبعين اي درهما من اجل غير
المحتاج ويتفرع عليه قوله والقرض افضل منها اي من الصدقة فهو اي القرض بثمانية عشر
اي درجة زائدة على الصدقة التي درجتها عشرة لوقوعه في كف المحتاج كما ورد دخلت
الجنة فرأيت الصدقة على بابها بعشرة والقرض بثمانية عشرة فقلت يا جبريل كيف
صارت الصدقة بعشرة والقرض بثمانية قال لان الصدقة يقع في يد الغني والفقير و
القرض لا يقع الا في يد من يحتاج اليه الطبراني عن ابي امامة ولا ينذر اي الاولى ان لا
ينذر فيجب عليه فلعله لا يفي بنذره او يفي ولكن مع كرهه ونهي عنه ففي الصحيحين
عن ابن عمر انه عليه السلام نهى عن النذر وحمله على انه من فعل البخلاء اذ السخي اذا اراد
ان يتقرب الى الله تعالى استعجل فيه واتى به في الحال ولم يتركه الى الاستقبال وفي مسلم والترمذي
والنسائي عن ابي هريرة مرفوعا لا تنذروا فان النذر لا يغني عن القدر شيئا وانما يستخرج
به من البخيل وورد قال الله تعالى لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم اكن قدرته ولكن يلقيه
النذر الى القدر وقد قدرته له استخرج به من البخيل فهو يؤتي عليه ولم يكن يؤتي عليه
من قبل احمد والبخاري والنسائي عن ابي هريرة واما ما مر من اداب الدعاء من الترغيب في النذر
فمحمول على ما اذا كان في الاعمال الصالحة والنهي عن النذر ههنا محمول على النذر في المال
لمظنة عدم الوفاء في المال بخلاف النذر في الاعمال فالغالب فيه الوفاء في الاستقبال
ثم اعلم انه ينبغي امور منها ان يعلم ان الله سبحانه اوجب صرف الزكوة ونحوها الى الفقير
ليكفي همومه ويجعلها هما واحدا هم دينه وقد اكثر الله عز وجل الاموال ووضعها في ايدي
عباده من العمال والابطال ليكون الة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم الى طاعاتهم

فمنهم من ابتلاه بالمال وجعله عليه فتنة وبلية فاقحمه في مهاوي الخطر ومنهم من حجبه
وحماه الدنيا وما يتعلق بها من الحذر كما يحمي الشفيق مريضه ما في اكله من الضرر فزوى
عنه فضولها وقدر له ضروريها وساق اليه قدر حاجته على يد الاغنياء ليكون الكسب
والتعب في الجمع والحفظ عليهم مع غاية من العناء وفائدته منصبة الى الفقراء مع نهاية
من الهناء ليتجرد والعبادة المولى والاستعداد لزاد المعاد الى العقبى فلا يصرف عنهم
فضول الدنيا حتى الفقير ان يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق ان فضل الله عليه فيما زواه
اكثر مما اعطاه فليأخذ ما يأخذ من الله سبحانه رزقا له وعونا على الطاعة فان استعان
به على المعصية كان كافرا للنعمة مستحقا للطرد واللعنة ومنها ان ينظر فيما يأخذه فان لم يكن
من حل تورع عنه لقوله سبحانه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
فلا يأخذ من اموال من اكثر كسبه الحرام الا اذا ضاق عليه الامر وكان ما يسلم اليه لا
يعرف له مالكا معينا فله ان يأخذ بقدر الحاجة ومنها ان يتوقى مواقع الريبة والشبهة في
مقدار ما يأخذه ولا يأخذه الا اذا تحقق انه موصوف بصفة الاستحقاق وحد ما يأخذ ما
يتم به كفايته من وقت اخذه الى سنة فهذا اقصى ما يرخص فيه من حيث ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم ادخر لعياله قوت سنة متفق عليه من حديث عمر كان يعزل نفقة اهله سنة وللطبراني
في الاوسط من حديث انس كان اذا ادخر لاهله قوت سنة تصدق بما بقي فاذا اقتصر على حاجة
شهر او يوم فهو اقرب للتقوى في حق الاقوياء ومذاهب العلماء في قدر الماخوذ بحكم الزكوة
والصدقة مختلفة فمن يبالغ في التقليل الى حد اوجب الاقتصار على قوت يومه وليلته
وتمسك بما روى سهل الحنظلية انه عليه السلام نهى عن السؤال مع الغنى فقال غداؤه وعشاؤه
ابو داود وابن حبان وهو محمول عند الجمهور على السؤال لا في جميع الاحوال لان لفظ الحديث
من سأل وله ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم وقال آخرون يأخذ الى حد الغنى وحد الغنى
نصاب الزكوة اذ لم يوجب الله عز وجل الا على الاغنياء فقالوا له ان يأخذ لنفسه ولكل واحد
من عياله نصاب زكوة وبالغ آخرون في التوسع فقالوا له ان يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة
فيستغني بها طول عمره او يهيئ بضاعة ليتجر فيها ويستغني لان هذا هو الغنى حتى ذهب قوم
الى ان من افتقر فله ان يأخذ ما يعود به الى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم الا اذا خرج
عن حد الاعتدال والله اعلم بالاحوال وقد ورد ما المعطي من سعة بافضل اجرا من الذي
يقبل من حاجة ابن حبان والطبراني من حديث انس ومنها انه يأخذ ما يعطى له حال الخلاء
ولا يأخذ في الملاء فقد دفع رجل الى بعض العلماء شيئا ظاهرا فرده اليه ودفع آخر اليه

شيئا سرا فقبله فقيل له ذلك فقال ان هذا عمل بالادب فقبلته وذلك اساء ادبه في عمله
فرددته واعطى رجل بعض الصوفية شيئا في الملاء فرده فقال لم ترد على الله تعالى ما اعطاك
فقال انك اشركت غير الله حيث لم تقنع بعين الله فرددت عليك شركك فقيل لبعض العارفين
في السر شيئا كان رده في العلانية فقيل له في ذلك قال عصيت الله في الجهر فلم اكن لك عونا
على المعصية واطعته في الاخفاء فاعنتك على بركه وقال الثوري لو علمت ان احدهم لا يذكر صلته
ولا يتحدث بها لقبلتها وايضا في اظهار الاخذ ذل وامتهان وليس للمؤمن ان يذل نفسه و
ايضا للاحتراز عن شبهة الشركة فورد من اهدى اليه هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها
العقيلي وابن حبان في الضعفاء والطبراني في الاوسط والبيهقي من حديث ابن عباس قال الفضيل
لا يصح في هذا المتن حديث اما العارف ولا نظر له الا الى الله عز وجل والسر والعلانية في حقه
واحد واختلاف الحال شرك في التوحيد والتوفيق منه سبحانه والتأييد **الباب
الثالث في الصوم وكسر الشهوة** بسم الله الرحمن الرحيم الذي هو
مراد القوم وورد الصوم اي فرضه ونفله لي اي مختص لاجلي لا يتصور كونه لغيري وانا
اجزي به بصيغة الفاعل وقيل بالمفعول ففي الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وفي رواية
لهما عنه كل حسنة بعشر امثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لي وانا اجزي به وانما قال
وانا اجزي به مع ان جزاء كل العبادات منه تعالى اشارة الى عظم ذلك الاجر لان الكريم اذا
تولى بنفسه اقتضى ذلك سعة الجزاء وكانه لم يذكر ما يجزي لكثرته ويومي اليه قوله تعالى انما يوفى
الصابرون اجرهم بغير حساب وقد ورد الصوم نصف الصبر اخرجه الترمذي وحسنه والصبر
نصف الايمان ابو نعيم في الحلية من حديث ابن مسعود بسند حسن اي جزاؤه بلقائي اي رؤيتي
في العقبى او معرفتي اي في الدنيا ولا منع من الجمع وانما خص الصوم بالاضافة اي اللامية
مع ان كل عبادة مختصة له تعالى لانه اي من العبادات خلق صمدي فان الاستغناء من
الاكل والشرب والجماع من الصفات الصمدية والنعوت الاحدية وكان الصائم متخلقا
بذلك الخلق من اخلاق الله تعالى وروي تخلقوا باخلاق الله وقد قالوا كل اسم من اسمائه
تعالى للتخلق الا اسم الجلالة فانه للتعلق فالاضافة تشريفية كناقة الله وبيت الله
وانما قال وانا اجزي به مع ان اجزاء العبادات منه سبحانه تعالى اشارة الى عظم ذلك الاجر
به لان الكريم اذا وعد ان يتولى شيئا بنفسه اقتضى عظمته وكانه لم يذكر ما يجزى به لكثرته
او نفاسته كما يشير اليه قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون

من اخفاء الاعمال وحديث اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر وعمل سري فانه قصد قلبي مع ترك المفطر الصوري والملئكة
الكتبة لا يطلعون على ما لا عمل فيه فهو سر بين العبد وربه بحيث لا يطلع عليه غيره او
قهر النفس والشيطان الذي هو اي قهرهما اصل المعاملة فانه مدار المعاملة على مخالفتهما
وموافقة الله ورسوله في حكمهما وايضا كان النفس والشيطان مقهوران مغلوبان في قبضة
الله سبحانه وتعالى يكونان مقهورين مغلوبين ايضا في قبضة الصائم فصار الصائم متخلقا
بخلق الحق في الجملة ولو كان وصفه سبحانه بنعت الدوام ومن هنا ورد نوم الصائم عبادة
ابو نعيم في الحلية عن ابن عباس ولخلوف فم الصائم اطيب عند الله من ريح المسك يقول الله تعالى انما
يدع شهوته وطعامه وشرابه من اجلي فالصيام لي وانا اجزي به متفق عليه من حديث ابي هريرة
وهو موعود بلقائه سبحانه في جزاء اذ ورد للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند
لقاء ربه متفق عليه ايضا وفي الاحياء ان الصوم قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان
الشهوات المشغلة عن العبادات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب وسائر اللذات وكذا قال عم
ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وادنى رتبة اي مرتبة الصوم
وهو الجواز اعم من ان يكون مقبولا ام لا ناقصا او كاملا وهو مقام العوام الكف عن الشهوتين
اي الامتناع عن شهوتي البطن والفرج في وقته مقرونا بالنية المعتبرة المذكورة في محله
وهو مناط الجواز اي متعلق جواز الصوم في ظاهر شرع الدنيا وهو صوم العموم ثم كف الجوارح
اي منع الاعضاء من العين والاذن واللسان وسائر الاعضاء والاركان عن الاثم اي
مطلق العصيان وهو مناط القبول لقوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين وهو صوم الخصوص
فورد خمس اي خصال يفطرن الصائم بتشديد الطاء اي يجعلن مفطرا حكميا لا حقيقيا الكذب
والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة والازدي في الضعفاء من رواية جابان
عن انس وقول الحجة في الاحياء جابر تصحيف وقال ابو حاتم الرازي هذا كذب اقول لكن
يقويه رواية الديلمي في مسند الفردوس عن انس ثم اعلم ان حفظ اللسان عن الهذيان والزامه
السكوت او شغله بالذكر وتلاوة القرآن هو كمال صوم الانسان عند الاعيان وقد روى
ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصوم الغيبة والكذب وقال سفيان الغيبة تفسد
الصوم وورد انما الصوم جنة فاذا كان احدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل فان امرؤ
قاتله او شاتمه فليقل اني صائم متفق عليه من حديث ابي هريرة وجاء في الخبر ان امرأتين
صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار

حتى

حتى كادتا ان تتلفا فبعثتا الى رسول الله عم في الافطار فارسل اليهما قدحا وقال
عليه السلام قل لهما قيئا فيه ما اكلتما فقاءت احديهما مضغة دما عبيطا ولحما
عريضا وقاءت الاخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فتعجب الناس من ذلك فقال عم هاتان
صامتا عما احل الله سبحانه لهما وافطرتا على ما حرم الله عليهما قعدت احديهما على الاخرى
فجعلتا تغتابان الناس فهذا ما اكلتا من لحومهما احمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بسند فيه مجهول وكذا حكم غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر الى كل ما
يعرف وينكر والى كل ما يشغل القلب ويلهي عن ذكر الرب فورد النظرة سهم مسموم من سهام
ابليس فمن تركها خوفا من الله تعالى اتاه الله سبحانه وتعالى ايمانا يجد حلاوته في قلبه الحاكم و
صحح اسناده من حديث حذيفة وكذا حكم كف السمع عن الاصغاء الى كل ما يكره من لغو و
لهو وقد ورد والذين هم عن اللغو معرضون والمغتاب والمستمع شريكان في الاثم كذا في
الاحياء وهو غريب نعم الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله
عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة كم من صائم ليس له الا الجوع والعطش
النسائي وابن ماجه من حديث ابي هريرة وهو المفطر بالحرام وفعل المرتكب للاثم كالكذب
والغيبة وسائر الآثام ثم كف القلب عما سواه تعالى اي عما عدا ذكر الرب وما يتعلق به وهو
اي هذا النوع من الصوم للانبياء والاولياء وهو خصوص الخصوص ونصوص النصوص و
توضيحه ان يصوم قلبه ولبه عن الهمم الدنية والافكار الدنيوية ويكفه عما سوى الله بالكلية
ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر في غير صفات الله وآياته ومصنوعاته واليوم الآخر
ومقاماته بالفكر في امر الدنيا وشهواته ولهواته الا دنيا تراد للدين وضروريته فان ذلك
زاد الآخرة ومقدماته حتى قال ارباب القلوب من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير
ما يستعمله في افطاره كتبت عليه خطيئة مثل وزره فان ذلك من قلة الوثوق بفضل
الله وكرمه وقلة اليقين برزقه ووعده فينبغي ان يكون حال الصدق ان يقال في حقه قال الله
ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وحقه اي الصوم على الصائم ان يخاف الرد ويرجو القبول فيكون
قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدري ايقبل صومه فهو من المقربين
او يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها وروي عن الحسن
ابن ابي الحسن انه مر بقوم يوم العيد وهم يضحكون فقال ان الله جعل شهر رمضان مضمار
الخلقة يستبقون فيه لطاعته فسبق اقوام ففازوا وتخلف اقوام فخابوا فالعجب كل العجب
للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون المسارعون وخاب فيه المبطلون

المدعون اما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن بطاعته واحسانه والمسيء باسائته
وعصيانه اي كان سرور المقبول يشغله عن التعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك
وعن الاحنف بن قيس انه قيل له انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك قال اني اعده لسير
طويل والصبر على طاعة الله سبحانه وفي بابه اهون من الصبر على عذاب الله وحجابه فعلماء الظاهر
يعنون بصحة الجواز والحصول وعلماء الآخرة يعنون بها القبول وبالقبول الوصول الى
المقصود والمأمول ومن هنا قال ابو الدرداء رضي الله عنه يا حبذا نوم الاكياس وفطرهم
كيف يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من عبادة ذوي التقوى واليقين ارجح من امثال
الجبال من عبادة المغترين وكذا قال العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم فالمفطر
الصائم هو الذي حفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب من الحلال دون الحرام والصائم
المفطر هو الذي يجوع ويعطش في الايام ويطلق جوارحه في الآثام ويقول اي في جنانه او
بلسانه لمن قاتل اي جادله او ضاربه او خاصمه او شاتمه اني صائم اي فانا ممسك عما لا يليق
به من الاحكام وفيه تنبيه نبيه على ان الشخص اذا علم من صاحبه عمل الصيام ان لا يتعرض له من
كلام الخصام ويشير اليه قوله فاما ترين من البشر احدا فقولي اني نذرت للرحمن صوما فلن
اكلم اليوم انسيا فهو مأثور كما تقدم وقد ورد انما الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته
الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود والامانة في الصوم واسناده حسن
ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات
الى اهلها وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة كذا في الاحياء قال
العراقي اخرجه ابو داود من حديث ابي هريرة دون قوله السمع امانة ثم لولا ان الصوم
امانة لما قال عليه السلام فليقل اني صائم اي اني اودعت لساني لاحفظه عن الاشتغال
بك فكيف اطلقه بجوابك ولا يسأل بصيغة المجهول عنه اي عن صومه او عن حاله
بان يقال انك صائم ام لا فانه يوجب على كل تقدير اشكالا لان المسئول ان اظهره
وربما يتفرع عليه الرياء وان انكر كذب وهو اعظم البلاء وان سكت استحقر اي المسئول
للسائل بسؤاله فيما استحقر وترتب عليه الجفاء وان احتال للمدافعة تعب اي فيما تفكر
وتدبر ووقع في العناء وورد لا يكذب الكاذب الا من مهانة نفسه عليه الديلمي عن ابي هريرة
مرفوعا ولا يكثر الاكل اي حال الافطار بحيث يمتلئ فما وعاء ابغض الى الله من بطن ملئ من
الحلال فقد ورد ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم اكلات يقمن صلبه
فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه احمد والترمذي وابن ماجة

والحاكم

والحاكم عن مقداد بن معدي كرب واكلات بضمتين لقيمات كما في رواية تحاميا عن الكسل
اي في الطاعة وقد ورد اعوذ بك من الكسل لاسيما في التهجد لما تقدم من انه اذا اكثر الاكل
اكثر الشرب واذا اكثر الشرب اكثر النوم واذا اكثر النوم ضيع عمره وفسد امره وينبغي
ان لا يكثر النوم في النهار ايضا ليحس اثر الجوع والعطش والا فيقل نتيجته وثمرته
لاسيما مع وجود غفلته وعن بعض الحكماء خمسة من الاشياء ابتلي الناس بها وكان هلاكهم
فيها اولها حب الشبع وفيه قساوة القلب والثاني حب النوم وفيه نقصان العمر والثالث
حب الراحة وفيه الافلاس والرابع حب المال وفيه الحساب الطويل في المآل والخامس البناء
وفيه ذهاب الثواب وابطال الاعمال وبطلان سره اي وتحاميا عن بطلان فائدة الصوم
ومنفعة امره وهو قهر النفس اي اذلالها للانقياد وفيما خلقت لاجله فكيف يستفاد من الصوم
قهر الشيطان وكسر النفس وتقليل الشهوة اذا تدارك الصائم عند افطاره ما فاته من
نهاره ومن جعل بين قلبه وبين ربه مخلاة من الطعام فهو محجوب عن شهود المقام ولطيف
المرام وطريقه اي طريق تحصيل الصوم في مذهب القوم معرفة فوائد الجوع فقد قيل الجوع عز كله
والشبع ذل كله وورد صمت الصائم تسبيح ونومه عبادة ودعاؤه مستجاب وعمله
مضاعف الديلمي عن ابن عمر وقال بعضهم اخترت صوم الدهر لما سئلت ستة نفر عن ستة اشياء
فاجابوا بجواب واحد سئلت الاطباء عن اشفى الادوية فقالوا الجوع وقلة الاكل وسئلت
الحكماء عن اعون الاشياء على طلب الحكمة فقالوا الجوع وقلة الاكل وسئلت العباد عن
انفع الاشياء في العبادة قالوا الجوع وقلة الاكل وسئلت الزهاد عن اقوى الاشياء على
الزهد قالوا الجوع وقلة الاكل وسئلت العلماء عن افضل الاشياء على حفظ العلم وفهمه
قالوا الجوع وقلة الاكل وسئلت الملوك عن اطيب الادام والذ الطعام قالوا الجوع وقلة
الاكل وهي اي فوائده ثلاثة عشر صفاء القلب اي ضياؤه وبهاؤه وقبوله لدوام ذكر
الرب فورد من جاع بطنه عظمت فكرته وفطن قلبه اي وكبرت همته وقلت شهوته وعدمت
نهمته والحديث لم اجده مرفوعا وانما قال لقمان لابنه يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة
وخرست الحكمة وقعدت الاعضاء عن العبادة وقد ورد ان من السرف ان تأكل كلما اشتهيت
ابن ماجة عن انس وفي رواية البيهقي عن عائشة اكثر من اكلة كل يوم سرف وعن سلمان ان
اكثر الناس شبعا في الدنيا اطولهم جوعا يوم القيمة ابن ماجة والحاكم وعن ابن عباس
ان اهل الشبع في الدنيا هم اهل الجوع في الآخرة الطبراني وعن يحيى بن معاذ يا معشر الصديقين
جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام على قدر الجوع ورقته اي رقة القلب

وتاثيره بذكر الرب فورد من نجع ونام فسا قلبه لم اعرفه بهذا اللفظ نعم ورد اذيبوا طعامكم بالصلوة والذكر ولا تناموا عليه فتقسوا قلوبكم ابو نعيم وغيره ثم يتواخذ بالمفهوم فيفيدان من جاع وسهر رق قلبه والاستلذاذ بالطاعة اى التلذذ بالعبادة كما يعرفه اهل الارادة والانكسار اى الذل الحاصل من مقام الافتقار فالبطر بسبب المعصية والغفلة والفقر باعث التوبة والرجوع الى الحضرة وقد ورد عليكم بالصوم فانه محشاة للعروق ومذهبة للاشر ابو نعيم فى الطب عن شداد ابن اوس وذكر عطش العرصات اى موقف القيمة بحيث يكون الشمس قريب رأسه قدر القامة والخبر يوضع للصائمين مائدة يوم القيمة من ذهب ياكلون منها والناس ينظرون ابو الشيخ والديلمى عن ابن عباس وجوع الجحيم كما قال تعالى ليس لهم طعام الا من ضريع لا يسمن ولا يغنى من جوع وقد ورد الصوم يبعد من حر السعير الطبرانى عن انس وكسر شهوة الفرج فاستيلاؤها بالشبع ولذا ورد من استطاع منكم ان يتزوج فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء متفق عليه من حديث ابن مسعود ودفع النوم اى فى الجملة فهوى النوم الكثير يكل الطبع اى يجعله كالا فى فهم الكلام ويضيع العمر بقدر المنام ويفوت القيام بمقاصد المرام ومراصد القيام والتهجد وهو القيام والناس نيام وتيسر المواظبة على الطاعة لخفة البدن المستلزمة للمواظبة على العبادة كما يعرفه ارباب السعادة والفراغ عن الاهتمام بالتحصيل اى تحصيل الكثير فان امر القليل يسير والاعداد اى تهيئة ما يحتاج الى الاكل من نحو الطبخ والنفخ والاكل اى نفسه من الفضل والفراغ بالخلاء والفراغ عن اشتغال من قضاء الحاجة الانسانية ودفع الامراض الشاغلة عنها اى عن العبادة الكاملة فورد المعدة بفتح وكسر وبكسر فسكون بيت كل داء اخرج الخلاد من حديث عائشة مرفوعا بلفظ الازم دواء والمعدة بيت الداء وعودوا بدنا ما اعتاد ذكره السيوطى والازم الحمية واخرج ابن ابى الدنيا فى كتاب الصمت وعن وهب بن منبه قال اجمعت الاطباء على ان راس الطب الحمية قلت واجمعت الحكما على ان راس الحكمة الصمت وخفة المونة فانها مطلوبة فى مقام المونة والاكتفاء بالقليل فان الكثير قل ان يكون حلالا وفى الحديث قليل يكفيك خير من كثير يطغيك فطلب الزيادة تورث المذلة اى كسبها وتحصيل الحرام بسببها والشبهة بلا شبهة فى جمعها وامكان الايثار بالفاضل اى الزائد عن قدر كفايته وفق قناعته ليكون فى ظله اى ظل ما ينفقه فى سبيل الله يوم القيمة فروى ان الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس القضاعى عن عقبة بن عامر ان ظل المؤمن يوم القيمة صدقته ابن زنجويه عن بعض الصحابة ثم التقليل بالتدريج

الى ما يحصل به القوام وهو طريق رياضة المشايخ الكرام وعن بعضهم ان مما يعين على الجوع يا صمد من غير شبيه ولا شىء كمثله ثلثمائة وستين مرة وهو عجيب مجرب غريب وان لم تطلق اى التقليل وهو الانسب وما يحصل به القوام وهو الاقرب فالاكل بعد صدق الشهوة اى تحقيق الرغبة ويعرف الصدق بان لا ينتظر الادام بعد حضور الخبز فى المقام او لا يقع الذباب على البزاق فانه علامة عدم بقاء مادة الطعام فى معدته بالاتفاق واما اذا كان يشتهى خبزا مخصوصا او مع الادام فهو كاذب فى جوعه واما الجوع المفرط فمفسد للفكرة ومعقد للخيالات المنكرة والترك بالرفع اى وترك الاكل مع بقائه اى مع بقاء الميل فى اثنائه والاصوب اى الاقرب الى الصواب فى هذا الباب الاكتفاء بما يقوى على العبادة فانها هى المقصودة من اولى الالباب فهو المأثور عن الجمهور وهو اى ما يقوى يختلف بحسب الاحوال وكذا يتفاوت اوجه الرجال اما الوقت اى قدر زمن الجوع والتقليل وكانوا اى بعض اهل السلف يطوون يومين فصاعدا اى ثلثة الى خمسين يوما وهذا درجة ارباب كمال الاجتهاد والاقتصاد فى الاكل بحسب الوقت المناسب لاكثر العباد من الزهاد والعباد هو الاكلة فى اليوم ان لم يكن صائما والليلة حين الافطار وهو الاوسط المروى عنه عليه السلام اى بعض المقام ففى الخبر اذا تغدى لم يتعش واذا تعشى لم يتغد ابو نعيم فى الحلية عن ابى سعيد فورد ان اكلتين فى يوم من سرف وقد تقدم ما اخرجه البيهقى وضعفه عن عائشة قالت رأنى النبى عليه السلام وقد اكلت فى اليوم مرتين فقال يا عائشة اما تحبين ان يكون لك شغل الا جوفك الاكل فى اليوم مرتين من الاسراف والله لا يحب المسرفين وفى رواية له ايضا يا عائشة اتخذت الدنيا بطنك اكثر من اكلة كل يوم سرف والله لا يحب المسرفين الا ان المعروف فى شمائله انه ع م كان غالبا ياكل مرتين المعبر عنه بالغداء والعشاء وفى الصوم الفطور والسحور المسمى بالغداء المبارك فى الحديث المشهور وهو المذكور فى قوله سبحانه وتعالى فى حق اهل الجنة ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وهو الطريقة الحنيفية السهلة فالحديث محمول على اكلتين مشبعتين او على اكلتين فى نهار واكلة فى ليلة والا حب السحر بها اى بتلك الاكلة ان كان يكتفى بها فهو اولى من اول الليلة ليتهجد على فراغ المعدة ويتقوى على الصوم وهو المروى اى مع انضمام الاكلة اول الليلة ففى الخبر تسحروا فان السحور بركة متفق عليه منه حديث واستعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل ابن ماجة والحاكم عن ابن عباس وقيل المروى هو ما ورد فى حديث عائشة كان ع م

يواصل الى السحر وفي حديث عاصم بن كليب عن ابيه عن ابي هريرة قال ما واصل ع م وصالكم هذا قط غير انه اخر الاكل الى السحر وان منع اى الجوع الحضور بالطاعة من التهجد وغيره يفطر بنصف اى من قرصه او من قدر عادته في حال شبعه ويتسحر باجزا استعانة على الطاعتين اى طاعة الباطن وهو الحضور في مقام السرور وطاعة الظاهر وهي الطاعة بالجوارح فيبقى نور على نور فالجوع الشاغل عنه تعالى مذموم كما ان الشبع الشاغل عنه سبحانه مشوم وقد ورد اللهم اني اعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع وقد اشار صاحب البردة الى هذه الزبدة بقوله فرب مخمصة شر من التخم واما الجنس اى جنس الماكول فالاعلى من الخبز البر المنخول وفيه سعة ثم الشعير المنخول وفيه رخصة والبر الغير المنخول فهو توسط ثم الشعير الغير المنخول وهو سنة وعن ابن عباس انه ع م كان يبيت الليالي المتتابعة طاويا واهله لا يجدون عشاء وكان اكثر خبزهم الشعير احمد والترمذي وابن ماجة وفي الشمائل عن عائشة انها قالت ما شبع ال محمد صلى الله عليه وسلم من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي شمائل الترمذي عن سهل بن سعد انه قيل له اكل عليه السلام النقي يعني الحوارى فقال سهل ما راى ع م النقي حتى لقي الله عز وجل فقيل هل كانت لكم مناخل على عهده عليه السلام قال ما كانت لنا مناخل فقيل كيف يصنعون بالشعير قال ينفخه فيطير ما طار ثم نعجنه لا يقال النخل بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانا نقول ليس كل ما ابتدع منهيا عنه بل المنهي عنه ابداع بدعة مضادة سنة ثابتة فقد يكون بدعة حسنة وقد يكون واجبة وقد يكون مباحة ومنها المنخل فان المقصود منه تطييب الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط قال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق اى المستلذات للخلق ومن الادام اى والاعلى من الادام اللحم وقد ورد سيد طعام اهل الدنيا واهل الجنة اللحم رواه ابن ماجة وابن ابي الدنيا من حديث ابي الدرداء مرفوعا وسنده ضعيف لكن له شواهد منها عن علي رضي الله عنه رفعه بلفظه سيد طعام الدنيا اللحم ثم الارز اخرجه ابو نعيم في الطب النبوي وعن صهيب بلفظ سيد الطعام في الدنيا والاخرة اللحم ثم الارز اخرجه الديلمي من جهة الحاكم وعن بريدة ايضا مرفوعا سيد الادام في الدنيا والاخرة اللحم وسيد الشراب في الدنيا والاخرة الماء وسيد الرياحين في الدنيا والاخرة الفاغية رواه الطبراني وكذا ابو نعيم لكن بلفظ اخر ومما يقويه حديث عائشة على سائر النساء كفضل الثريد على سائر الطعام اخرجه الترمذي وغيره وفي الشمائل انه ع م اكل الدجاج ولحم حبارى

وجنبا مشويا وكان يحب الذراع ويقول ان اطيب اللحم لحم الظهر وفي الاحياء عن علي كرم الله وجهه من ترك اللحم اربعين يوما ساء خلقه ومن داوم عليه اربعين يوما قسا قلبه والحلواء من التمر وغيره فعن عائشة رضي الله عنها كان عليه السلام يحب الحلواء والعسل رواه اصحاب كتب السنة وكان يعجبه الحلو البارد كما في الشمائل واما حديث حلوى والكافر حمري فقال ابن حجر العسقلاني باطل لا اصل له وكان يحب الدباء كما في الشمائل وغيره عن انس وكان يحب القثاء كما رواه الطبراني عن ربيع بنت معوذ ثم الدهن وما في معناه السمن فقد ورد كلوا الزيت وادهنوا به فانه من شجرة مباركة وفي لفظ فانه مبارك احمد والترمذي وابن ماجة عن عمر وصححه الحاكم على شرطهما ثم الملح فعن انس مرفوعا سيد ادامكم الملح ابن ماجة وابو يعلى والطبراني والخل فعن عائشة انه ع م قال نعم الادام الخل الترمذي ورواه مسلم عن جابر بن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال اهله الادام فقالوا ما عندنا الا الخل فدعا به فجعل ياكل وهو يقول نعم الادام الخل وعن ابن سعد مرفوعا نعم الادام الخل اللهم بارك في الخل وفي رواية فانه كان ادام الانبياء من قبلي وفي حديث لم يفقر بيت فيه خل رواه ابن ماجة واما حديث خير خلكم خل خمركم فرواه البيهقي في المعرفة عن جابر مرفوعا وقال انه ليس بالقوي والمحمود الوسط فالطرفان اى الاعلى والادنى شاغلان عن العبادة للمتجرد الزاهد واما العارف فكل حلال له طيب قال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون وورد الذين اذا انفقوا لم يسرفوا اى لم يبذروا ولم يقتروا اى لم يبخلوا وكان بين ذلك قواما ولا شك ان قوام كل قوم بحسب ما يقوم عندهم خير الامور اوسطها رواه البيهقي عن عمرو بن الحارث بلاغا ولعله ماخوذ من قوله تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا وقوله كنتم خير امة والاولى ان لا يواظب عليه اى على الادام في جميع الليالي والايام وبترك المشتهي اى وان يترك ما يشتهيه النفس قطعا للانس بالدنيا وطمعا للمجلس القدس في العقبى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين وورد اللهم لا عيش الا عيش الاخرة فان عيشها عيشة راضية فاخرة وورد اى في توبيخ الكفار اذهبتم طيباتكم اى مستلذاتكم في حياتكم الدنيا والظاهر انها محمولة على الحرمة اذ الاية في الملحدة او مخصصة بالكفار لكن قد يقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيتناول الفجار حيث صرفوا نعم الله سبحانه في المعصية دون الابرار فانهم استعانوا بنعمه على الطاعة شرار امتي الذين غذوا بصيغة المجهول من الغذاء بالمعجمتين اى تربوا بالنعيم من غير فرق

مطلب

بين الحلال والحرام ونبت عليه اجسامهم وكل جسد نبت من اكل الحرام فالنار اولى به كما
في رواية وانما همهم انواع الطعام واللباس اي من غير فرق بين الجواز وعدمه فان مخط
نظرهم ما يرون من فعل عامة الناس والحديث رواه ابن عدي في الكامل ومن طريقه
البيهقي في شعب الايمان من حديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى
من حديث فاطمة بنت الحسين مرسلا قال الدارقطني في العلل هو اشبه بالصواب ورواه
ابو نعيم في الحلية من حديث عائشة باسناد لا بأس به ولا يجمع بين الشهوتين اي المشتهاتين
كاللحم والفاكهة او الفاكهتين قضاء اي اداء شهوة النفس ومرادها فيجوز ان يجمع بينه
ادراك خاطر المضيف وغيره وقد ثبت في الشمائل انه اكل اللحم مرتين وجمع بين اللحم والرطب
وبين البطيخ والرطب وفي رواية بين الخربز والرطب وفي اخرى بين القثاء والرطب
وقابردهذا بحرهذا ولا بين الشبع والنوم فهما غفلتان وفي كثرتهما حسرتان وخسارتان
ورد اذيبوا طعامكم اي هضموه بالصلوة والذكر واعلاه التلاوة ولا تناموا عليه
اي على الشبع من غير طاعة ربكم فتقسوا قلوبكم ابو نعيم وغيره عن انس ويكتفي بالتمر تحرزا
عن التفكه اي التنعم فعن النعمان بن بشير رأيته صلى الله عليه وسلم وما يجد من الدقل ما يملأ
بطنه الترمذي في شمائله وقيل معنى الاكتفاء بالتمر عن التفكه ان ياكل التمر بدلا من الخبز و
كذا يكتفي بكل فاكهة اشتهت نفسه عن الطعام فياكلها بدلا عنه ليكون قوتا ولا يكون تفكها
لان التفكه انما يكون اذا شبع من طعام ثم اكل الفاكهة اما اذا اكتفى بالفاكهة
بدلا عن الطعام فلا يكون ذلك تفكها بل يكون قوتا ويناسبه ما حكي عن بعضهم انه نظر الى
رجل ياكل خبزا وتمرا فقال له ابتدا بالتمر فان قامت به كفايتك والا اخذت من الخبز
بعده حاجتك ويولم النفس اي يوذيها ويهذبها في ابتداء الرياضة قال تعالى والذين
جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا فكان عليه السلام يحب العسل اي والحلواء وغيرهما
ويستعملهما لانه كان في مرتبة العرفان وايضا اراد ان يقتدي به جميع افراد الانسان
وعمر رضي الله عنه يجتنبه اي العسل او الادام تركا للذة واختيارا للرياضة وعملا
بالافضل كما هو شان الاكمل ويامر ابنه اي عبد الله على ما هو الظاهر بأكل الخبز يوما مع
اللحم ثم اللبن اي يوما ثم الدهن اي دهن الزيت ونحوه او السمن ويؤيد قوله ثم الزيت
اللهم الا ان يقال المراد به الزيتون مجازا وفيه وفيه ان الزيت والزيتون كلاهما
كان عزيزا في المدينة ثم الملح ثم وحده اي الخبز من غير ادام معه ولا ياكل في الخلاء
ما يترك اي شيئا او قدرا يتركه في الملاء فانه من باب السمعة والرياء وكذا لا يعيد في

الملاء ما يتركه في الخلاء فانه من اخلاق اهل النفاق فانه شرك خفي وقد قال سبحانه وتعالى
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا وفي الحديث
القدسي انا اغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا اشرك فيه معي غيري تركته وشركه مسلم
وابن ماجة عن ابي هريرة ولا يريد اي ينبغي ان لا يريد ان يعرف بين الناس بالتقليل اي
بتقليل الاكل وكذا بتكثير العلم والعمل فهو اي التقليل رياء اخفى اي اقبح من الاكثار
مطلقا فانه جمع ترك شهوة الحلال واختار شهوة الحرام ويؤخر السحور وهو بفتح السين
ما يتسحر به وبالضم التسحر وهو الاكل في السحر وهو السدس الاخير من الليل ويعجل الافطار
ففي كل منهما ورد الاثار فعن ام حكيم عجلوا الافطار واخروا السحور[2] ابن عدي وعن ابن
عباس رضي الله عنهما انا معشر الانبياء امرنا ان نعجل افطارنا ونؤخر سحورنا ونضع ايماننا
على شمائلنا في الصلوة الطيالسي وعن ابي ذر لا تزال امتي بخير ما عجلوا الافطار واخروا
السحور رواه احمد ويبتدي بالتمر او الرطب افضل والماء عند عدمهما وزمزم افضل ولا
منع من الجمع وعن انس كان عليه السلام يفطر على رطبات قبل ان يصلي فان لم يكن الرطبات فتمرات
وان لم يكن تمرات حسا حسوات من ماء ويفطر صائما ولو اقله واحد فورد من فطر صائما
كان له مثل اجره غير انه لا ينقص من اجر الصائم شيئا احمد والترمذي وابن حبان عن زيد بن
خالد فالكل ماثور وفي ضمن الشرح مسطور ويستعد في شعبان لاستقبال رمضان بالتوبة
اي الاستغفار والندامة ورد المظالم اي مظالم العباد وكذا اداء حقوق الله وترك
الشواغل اي الموانع عن الصيام والقيام من العمارة والسفر للتجارة والكسب الزائد عن الحاجة
ويخص رمضان بالصدقة اي بزيادتها فانها اقرب الى القبول والغفران والتلاوة اي قرائتها
او مدارستها فانه شهر نزل فيه القرآن والاعتكاف اي في المسجد قال الله تعالى وانتم عاكفون
في المساجد لا سيما العشر الاواخر فالاعتكاف فيه سنة مؤكدة وفي غيرها مستحبة فهو عليه السلام
واظب عليه اي على الاعتكاف في العشر الاخير ففي الصحيحين عن عائشة كان عليه السلام اذا دخل العشر الاواخر
احيى الليل وايقظ اهله وجد وشد المئزر وكان لا يخرج الا لحاجة وفي رواية ابي
داود بزيادة ولا يسأل عن المريض الا مارا وامرنا بالتماس ليلة القدر فيها اي في العشر
الاواخر واوتارها اشبه والجمهور على انها ليلة السابع والعشرين ويراعي سائر الايام
الفاضلة اي بالصوم فيها قدر طاقته واستطاعته في تكثير طاعته كالاشهر الحرم وهي رجب
وذو القعدة وذو الحجة والمحرم اما المحرم فورد ان كنت صائما بعد شهر رمضان فصم المحرم
فانه شهر الله الحديث رواه النسائي عن علي رضي الله عنه ولانه ابتداء السنة فبناؤه على الخير

[2] الطبراني وعن انس بكروا بالافطار واخروا السحور صح

احب وارجى لدوام البركة وفي المعجم للطبراني من حديث ابن عباس من صام يوما من
المحرم فله بكل يوم ثلثون حسنة وعن انس من صام ثلثة ايام من شهر حرام الخميس والجمعة
والسبت كتب الله عز وجل له عبادة تسعمائة سنة الازدي في الضعفاء وفي رواية ابن شاهين
في ترغيبه وابن عساكر عن انس كتب له عبادة سبعمائة سنة وفي رواية الطبراني في الاوسط
عن انس عبادة سنتين واما رجب فورد فيه صوم اول يوم من رجب كفارة ثلث سنين
والثاني كفارة سنتين والثالث كفارة سنة ثم كل يوم شهر رواه ابو محمد الخلال عن
ابن عباس لا سيما عرفة اي يوم عرفة فورد من صام يوم عرفة غفر الله له سنتين سنة امامه
وسنة خلفه ابن ماجة بسند حسن عن قتادة بن النعمان واذا كان بعرفات ان لم يضعف
عن العبادة ولم يسئ خلقه فالصوم افضل والا فالافطار وقد ثبت انه عم افطر
بعرفة في حجة الوداع وكانه تهوين على الامة منشاؤه الشفقة والمرحمة بل ورد انه عم
نهى عن صوم يوم عرفة بعرفة احمد وابو داود وابن ماجة والحاكم عن ابي هريرة وعاشوراء
والافضل ضم تاسوعاء والعشرين بالفتحتين اي العشر الاول من ذي الحجة ومن المحرم
فورد ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله من ايام عشر ذي الحجة اي صوم يوم منه
يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه يعدل قيام ليلة القدر الترمذي وابن ماجة من حديث
ابي هريرة وعند البخاري من حديث ابن عباس ما العمل في ايام افضل من العمل في هذا العشر قالوا
ولا الجهاد قال ولا الجهاد الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشئ وشعبان كله او
اكثره وكان عم يكثر صيام شعبان حتى كان يظن انه من رمضان متفق عليه من حديث عائشة
رضي الله عنها والايام البيض اي التي لياليها البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر
على الاشهر من الاقوال والايام التي تبيض جسم آدم عم بصومه لما خرج من الجنة وكان
قد اسود من جهة الخطيئة وعن ابن عباس رضي الله عنه كان عم لا يدع صوم ايام البيض
في سفر ولا حضر الطبراني والجمعة والافضل ان لا يصوم فيها مفردا لما ورد عن جنادة الازدي
لا تصوموا يوم الجمعة مفردا احمد والنسائي والحاكم وفي رواية لاحمد عن ابي هريرة لا تصوموا
يوم الجمعة الا وقبله يوم او بعده يوم والخميس والاثنين لانهما يومان متبركان وورد كان
يصوم يوم الاثنين والخميس فقيل له فقال الاعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر لكل مسلم الا
المتهاجرين فيقول اخروهما احمد عن ابي هريرة ويفطر في آخر شعبان استعانة على صوم
رمضان واستعدادا على التقدم في الزمان وورد اذا كان النصف من شعبان فلا صوم
حتى رمضان الاربعة من حديث ابي هريرة وصححه الترمذي وفي رواية اذا انتصف شعبان

فلا صوم حتى رمضان احمد والدارمي والاربعة وصححه ابن حبان وابو عوانة وغيرهما مرفوعا
فان وصل شعبان برمضان فجائز كذلك فقال رسول الله صلعم كما رواه الاربعة من حديث ام سلمة
لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصله برمضان ولابي داود والنسائي نحوه من حديث عائشة
وفضل مراد كثيرة كما رواه ابو داود من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من
هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلثين يوما ثم صام واخرجه الدارقطني وقال
اسناد صحيح والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين كذا ذكره الحجة ومخرجه ولا يخفى عدم دلالة الحديث
على المدعى ثم السر فيما ورد من حديث عبد الله بن عمرو في الصحيحين افضل الصيام صيام اخي داود انه
كان يصوم يوما ويفطر يوما شدة انكسار النفس وما لها من زيادة بنقض العادة فانه لب العبادة
ومن ذلك ما ورد في الصحيحين ايضا من منازلته عم لعبد الله بن عمرو في الصيام وهو يقول اريد
افضل من ذلك فقال عليه السلام صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من ذلك فقال عليه السلام
لا افضل من ذلك لانه اشد على النفس والهوى وفي قمع قهرها اقوى ولان العبد فيه بين صبر
يوم وشكر يوم فقد قال عليه السلام عرضت علي مفاتيح خزاين الدنيا وكنوز الارض وقلت اجوع يوما
واشبع يوما احمدك اذا شبعت واتضرع اليك اذا جعت الترمذي من حديث ابي امامة وحسنه وفيه تنبيه
على ان الكمال هو التربية من تجلي صفتي الجمال والجلال وقد ورد ايضا الايمان نصفان نصفه الصبر
ونصفه الشكر وقال عز وعلا ان في ذلك لايات لكل صبار شكور بخلاف صوم الدهر فانه تصيير
العبادة له كالعادة على انه شامل الكل مع الزيادة وللسالكين طرق هنالك فمنهم من كره ذلك
اذ وردت فيه اخبار كثيرة تدل على كراهية منها من صام الابد اي الدهر فلا صام ولا افطر
احمد والنسائي والحاكم وابن ماجة عن عبد الله بن الشخير وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو لا صام
من صام الابد ولمسلم من حديث ابي قتادة قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا
افطر وللنسائي من حديث عبد الله بن عمرو وعمران بن حصين وفي الاحياء الصحيح انما يكره لشيئين احدهما
ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق وهو الدهر كله وثانيهما ان يرغب عن السنة في الافطار
ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله سبحانه وتعالى يحب ان يعطي رخصه كما يحب ان يؤتى عزايمه
واذا لم يكن شئ من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر هنالك فليفعل وقد فعله جماعة من
الصحابة والتابعين وقال عليه السلام فيما رواه ابو موسى الاشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه
جهنم وعقد تسعين معناه لم يبق له فيها موضع والحديث رواه احمد والنسائي في الكبرى وابن
حبان وحسنه ابو علي الطوسي قيل يجتهد ان يصوم نصف السنة وهو صوم داود ويمكن ان يكون
غيره او ثلثها فاذا صام ثلثة ايام من اول الشهر وثلثة من وسطه وثلثة من آخره فهو ثلث

بانفراده واما مع رعاية الايام الفاضلة بان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب
من النصف وقيل لا يفطر الا اربعة ايام متواليات اعتبارا بايام النحر والتشريق وفي الاحياء
كره بعض العلماء ان يوالي بين الافطار اكثر من اربعة ايام تقديرا بيوم العيد وايام التشريق و
ذكروا ان ذلك يقسي القلب ويولد ردي العادات ويفتح ابواب الشهوات قال ولعمري هو كذلك
في حق اكثر الخلق لا سيما من ياكل في اليوم مرتين والاصل العمل بحسب صلاح الباطن اي اذا صلح
باطنه بالصوم صام واذا صلح باطنه بالفطر افطر لان المقصود صلاح القلب للحضور بين
يدي الرب فتارة يقتضي دوام الصوم واخرى دوام الفطر واخرى مزجه وهو الانسب
فكان ع م يصوم اي النفل متتابعا حتى يقال وفي رواية حتى نقول بالنون والغيبة والخطاب
لا يفطر اي ابدا وكذا يفطر اي مواظبا حتى يقال لا يصوم بعد هذا اصلا ويقوم اي في الليل
متواليا حتى يقال لا ينام وينام اي كثيرا حتى يقال لا يقوم كذا في الاحياء قال العراقي حديث
كان يصوم حتى يقال لا يفطر الحديث اخرجاه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام
والنوم وللبخاري عن حديث انس كان يفطر من الشهر حتى يظن انه لا يصوم فيه ويصوم
حتى يظن انه لا يفطر منه شيئا وكان لا تشاء تراه من الليل مصليا الا رايته ولا نائما
الا رايته قلت والحديث ايضا في شمائل الترمذية وقد شرحته وكان ذلك المقام له عليه
السلام بحسب ما ينكشف بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات واختلاف الحالات

الباب الرابع في السفر والحج والغزو

تخصيص بعد التعميم للتتميم بسم الله
الرحمن الرحيم المعين للمسافر والمقيم السفر اعم من كونه شرعيا واللغوي اي ما دينيا وهو على قصد
التعلم من علماء الشريعة او من المشايخ الطريقة فيستفيد من معارفهم في الحقيقة فورد
اي برواية الترمذي والضياء عن انس من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله اي الجهاد
مع اعداء مولاه او في طريق رضاه حتى يرجع من سفره الى حضره قال المظهر وجه مشابهة
طلب العلم بالمجاهدة في سبيل الله انه احياء الدين وفيه ارضاء الرحمن واذلال الشيطان وعن
انس طالب العلم افضل عند الله من المجاهد في سبيل الله الديلمي وعن جابر بن عبد الله انه
رحل من المدينة الى مصر لحديث بلغه ان عبد الله بن انيس يحدث به عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل في تفسير قوله تعالى السائحون انهم طلاب العلم المسافرون وعن ابي هارون
قال كنا ناتي ابا سعيد فيقول مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول الناس لكم تبع وان الرجال
ياتونكم من اقطار الارض يتفقهون في الدين فاذا اتوكم فاستوصوا بهم خيرا وعن كثير بن قيس
قال كنت جالسا مع ابي الدرداء في مسجد دمشق فجاءه رجل فقال يا ابا الدرداء اني جئتك

من مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم لحديث بلغني انك تحدثه عن رسول الله عليه السلام ما جئت
لحاجة اي غيره اي اسمع منك الحديث قال فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله طريقا من طرق الجنة وان الملائكة لتضع اجنحتها
رضاء لطالب العلم وان العالم يستغفر له من في السموات ومن في الارض والحيتان في جوف
الماء وان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وان العلماء
ورثة الانبياء وان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم
فمن اخذه اخذ بحظ وافر رواه احمد والترمذي وابو داود وابن ماجة والدارمي والحديث
في المشكوة وشرحه في المرقات والتجارب اي وقصد التجربة في اماكن الشدة لاصلاح
الاخلاق اي المستحسنة في حكم الخلاق فهو مهم والسالك بسيره متمم ومنه قوله عليه السلام
اخبر تقله ابن عدي من حديث ابي الدرداء مرفوعا وفي رواية له وجدت الناس اخبر تقله
اخرجه الطبراني وابو يعلى وابو نعيم وفي النهاية اي جرب الناس فانك اذا جربتهم قليتهم
وتركتهم لما يظهر لك من بواطن سرائرهم لفظه امر ومعناه خبر اي جربتهم واخبرتهم
ابغضتهم والهاء في تقله للسكت ومعنى نظم الحديث وجدت الناس مقولا فيهم هذا القول
قيل ويضرب هذا مثلا في قلة توقع الخير عند الناس والسفر سمي به لانه يسفر عنها اي يكشف
عن الاخلاق الرضية والدنية في اختلاف الحالات للبعد عن المالوفات وعدم وجود المعروفات
والتكون في لطائف افعاله تعالى في مصنوعاته وعظيم صفاته اي الدالة على عظمة ذاته
كما يشير اليه قوله تعالى قل سيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم فهو
اما بسير الباطن او بانضمام سير الظاهر وقوله عز وجل سنريهم اياتنا في الافاق
وفي انفسهم وقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء ولاختلاف
احوال الصوفية في سلوك سير السالك فمنهم من سافر في بدايته واقام في نهايته وهو الاظهر
ومنهم من اقام ولم يسافر وهو الاكثر ومنهم من استدام على السفر والحج فورد ولله على
الناس حج البيت الاية اي من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين
من حج البيت ولم يرفث اي لم يجامع في الحرام ولم يذكر النساء في مجامعهن ولم يفسق
خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه احمد والبخاري والنسائي وابن ماجة عن ابي هريرة بلفظ
من حج لله فلم يرفث الحديث ومن مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا ابن ولم يحج بيانه
عدي من حديث ابي هريرة والترمذي من حديث علي وقال غريب وفي اسناده مقال ومن خرج من بيته
حاجا او معتمرا فمات اجرى الله له اجر الحاج والمعتمر كل سنة الى يوم القيامة البيهقي في الشعب

والجهاد مع الكفار فورد لغدوة في سبيل الله او روحة خير من الدنيا وما فيها احمد والشيخان والترمذي وابن ماجة عن انس وزيارة المدينة في الخبر من زار قبري وجبت له شفاعتي ابن عدي والبيهقي وابن ابي الدنيا والطبراني والدارقطني عن ابن عمر وهو في صحيح ابن خزيمة وللطيالسي عن عمر مرفوعا من زار قبري كنت له شفيعا او شهيدا قال الذهبي طرقها كلها لينة لكن يقوي بعضها بعضا لان ما في رواتها متهم بالكذب قال ومن اجودها اسنادا حديث حاطب من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي اخرجه ابن عساكر وغيره قلت وحديث من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي رواه ابن عدي والطبراني والدارقطني والبيهقي من حديث ابن عمر ومن جاءني زائرا لا يهمه الا زيارتي كان حقا على الله ان اكون له شفيعا الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن ومن وجد سعة ولم يغد الي فقد جفاني ابن عدي والدارقطني وابن حبان والخطيب من حديث ابن عمر وفي رواية من حج ولم يزرني فقد جفاني وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث انس ما من احد من امتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر وبيت المقدس فعن ابن عمر ان سليمان بن داود عليهما السلام لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل خلالا ثلثة سأل الله حكما يصادف حكمه فاوتيه وسأل الله ملكا لا ينبغي لاحد من بعده فاوتيه وسأل الله حين فرغ من المسجد ان لا يأتيه احد لا ينهزه الا الصلوة فيه ان يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه اما اثنتان فقد اعطيهما وارجو ان يكون قد اعطي الثالثة احمد والنسائي وابن ماجة وابن حبان والحاكم وقد صح انه عم صلى فيه ورحل ابن عمر اليه ودخل عليه وصلى ركعتين ثم رجع وعن ميمونة مرفوعا من لم يات بيت المقدس يصلي فيه فليبعث بزيت يسرج فيه البيهقي فورد اي في الصحيحين وغيرهما من حديث ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما لا تشد الرحال اي لا تطلب بركة البقاع بالسفر اليها الا الى مسجدي هذا والمسجد الحرام والمسجد الاقصى ولا يمنع هذا زيارة قبور الانبيا والاولياء لان الحصر في المسجد دون سائر المشاهد ومسجد قبا ونحوه في المدينة من منازل الكرام داخل في جنس مسجده عم ثم لفظ الحديث على ما هو المشهور عند المحدثين الاعلام لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى وهذا هو الترتيب المناسب لتفاوت المساجد في الفضيلة مضاعفة الصلوة فيها فعن جابر صلوة في المسجد الحرام مائة الف صلوة وصلوة في مسجدي الف صلوة وفي بيت المقدس خمسمائة صلوة البيهقي وملاقات الكبراء من المشايخ والعلماء وهم احياء للاستفادة من مشاهدة الاحوال ومعاينة الاقوال وقد ورد اولياء الذين اذا رءوا ذكر الله حكيم عن ابن عباس فقد ينفعه لحظة الرجال ما لا ينفعه لفظ الرجال ومن هنا قيل من لم ينفعك لحظه لم ينفعك لفظه وهذا القول

له معنيان احدهما ان الرجل الصديق يكلم الصادقين بلسان فعله اكثر مما يكلمهم بلسان قوله فاذا نظر الصادق الى تصاريفه في مورده ومصدره وخلوته وجلوته وكلامه وسكوته ينتفع به لنظر اليه فهو نفع اللحظ عليه ومن لم يكن افعاله هكذا فلفظه ايضا لا ينفع لانه يتكلم بهواه ونورانية القول على قدر نورانية القلب ونورانية القلب بحسب استقامته في طاعة الرب المعبر عنها بالشريعة في الاعمال الظاهرة وبالطريقة في الاخلاق الباهرة وبالحقيقة في الاحوال الفاخرة المستمرة حتى في الدار الاخرة والثاني ان نظر العلماء الراسخين والرجال البالغين ترياق نافع ينظر احدهم الى الرجل الصادق فيستنشق بنفوذ بصيرته حسن استعداد الصادق واستهالة المواهب لله تعالى الخاصة للموافق فيقع في قلبه محبة المريد الصادق و ينظر اليه نظرة محبة عن بصيرة فيكتسب بنظره احوال السنية ويرى اثارا رضية وماذا ينكر المنكر من قدرة الله تعالى ان يجعل هذه الخاصية في نظر بعض خواصه من عباده كما جعل في بعض الافاعي من الخاصية انه اذا نظر الى انسان يهلكه ومما يدل على تاثير الصحبة واكسير نظر الاثير ما حصل لاجلاف العرب حيث كان احدهم ممن يبول على عقبيه فنظر اليه عم وآمن به فصار في لحظة واحدة من كمل الاولياء والاصفياء حيث لم يبلغه احد من المشايخ والعلماء وابلغ من هذا قضية كلب اصحاب الكهف حتى وصل مرتبة الى ذكره الله تعالى في كتابه القديم مرات بنعت التعظيم و التكريم وقد وقع تاثير نظر الشيخ نجم الدين الكبير للكلب كان يجول الفقرا وذكر صاحب العوارف المعارف الشيخ شهاب الدين السهروردي عن عمه الشيخ نجيب الدين صاحب آداب المريدين انه كان يطوف في مسجد خيف بمنى يتصفح وجوه الناس ههنا فقيل له في ذلك فقال ان لله عبادا اذا نظروا الى شخص كسبوه السيادة فانا اطلب تلك السعادة وحكاية الشيخين مع الشيخ عبد القادر مشهورة وفي غير هذا المحل مسطورة وزيارة قبور اي الكبراء فانهم بمنزلة الشهداء لا يموتون ولكن ينتقلون من دار الفناء الى دار البقا وقد ورد كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروا القبور فانها تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة ابن ماجة عن ابن مسعود وفي رواية الحاكم عن انس كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الاخرة الحديث والفراغ عما يشوش العبادة او ينقصها او يمنعها كالجاه اي الوسيع والمال اي الكثير وعن سفيان الثوري هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان ينتقل الرجل من قرية الى قرية ليفر بدينه من الفتنة ومن افضلها الهجرة من الدار الكفر الى دار الاسلام ومن دار البدعة الى دار السنة ومن دار المعصية الى دار الطاعة ففي الصحيح من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته الى الدنيا يصيبها

الزاجرة بيتج

اوامراة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه فالمدار على تصحيح النية وتخليص الطوية في جميع اعمال
الدينية والدنيوية ليصير وسائل في رفعة الدرجات الاخروية واما الدنيوي كالفرار من الفتنة
الدنيوية كالقحط ونحوه من الغلاء وسائر البلية ولا حرج فيه اي في هذا النوع بل
هو مباح او مستحب فقد قال ابو النعيم رايت سفيان الثوري وقد جعل جرابه على كتفه وقلته
بيده فقلت الى اين يا ابا عبد الله فقال الى بلد فيها جراب بدرهم وفي حكاية اخرى بلغني خبر قرية
فيها رخص اقيم فيها فقلت تفعل هذا يا ابا عبد الله فقال نعم اذا سمعت برخص في بلدة فاقصده فانه
اسلم لدينك واقل لهمك فالاولى للمريد اذا كان طالبا للمزيد ان يلزم مكانه ويحفظ شانه عما شان
اذا لم يكن قصده من سفر استفادة العلم مهما سلم له حاله في وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع
ما هو اقرب الى الخمول واسلم للدين وافرغ للقلب وايسر لعبادة الرب فهو افضل المواضع له
قال تعالى يا عبادي ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون وورد البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاي موضع
رايت فيه رفقا فاقم واحمد الله احمد والطبراني من حديث الزبير بسند ضعيف وفي الخبر من رزق
من شيء فليلزمه ابن ماجة من حديث انس بسند حسن واذا سبب الله لاحدكم رزقا من وجه فلا يدعه
حتى يتغير له او يتنكر له ابن ماجة من حديث عائشة بسند فيه جهالة واحمد بسند حسن الا عن الطاعون
فهو اي الفرار منه منهي عنه بلفظ اذا سمعتم بالطاعون بارض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وانتم بارض
فلا تخرجوا منها فرارا منه احمد والشيخان والنسائي عن اسامة بن زيد او طلب المال اي وكطلبه و
نحوه من النكاح وغيره من المباحات فينوي فيه اي الخيرات والمبرات نحو التعفف عن السؤال في طلب
المال والتعفف عن العيال في النكاح ليصير عبادة لان تصحيح النيات تجعل العادات عبادات
كما حقق في شرح حديث انما الاعمال بالنيات ومن هنا ورد نية المؤمن خير من عمله ثم ان كان اي السفر
واجبا اي فرض عين كالحج وطلب العلم فيتعين اي فعله والا اي وان لم يكن واجبا فالاستفتاء من القلب
متعين في فعله وتركه بحسب صلاح الحال وفساده في الحضور مع الرب فالفوائد اي المنافع والآفات
اي المضار متعارضة في امر السفر وغيره من الحالات والمقصود الاعلى هو المعرفة والانس به تعالى في جميع
المقامات والمعين في بداية السفر للتعلم ان لم يجد العلماء في بلده او لم يقدر على تحصيله لشغله
باهله وفي النهاية الاقامة لا سيما مع الكبر فانه لا يتحمل مع الضرر ففيه اي في السفر شواغل عن الذكر
والفكر من النظر الى المالوفات وحفظ النفس والمتاع من الآفات واحتمال الشدائد والهموم
باختلاف الحالات وتفاوت الاوقات وتباين المقامات ومن هذا ورد السفر قطعة من
العذاب يمنع احدكم طعامه وشرابه ونومه فاذا قضى احدكم نهمته من وجهة اي حاجته من
جهته فليعجل الرجوع الى اهله مالك واحمد والشيخان وابن ماجة عن ابي هريرة وحقه اي

المسافر ان يتوب عن الذنوب من الصغائر والكبائر في الظواهر والضمائر ويؤدي حق الله من
فوات صوم وصلوة ونحوهما ويرد المظالم اي حقوق العباد او يتحلل من اصحابها ويقضي الديون
ويدفع الامانات الى اربابها في القنية رجل عليه حق وغاب عن صاحبه بحيث لا يعلم مكانه ولا
احي ام ميت لا يجب عليه طلبه في البلاد وفيه ايضا رجل عليه ديون لاناس لا يعرفهم من غصوب
ومظالم وجنايات يتصدق بقدرها على الفقراء بنية القضاء ان وجدهم مع التوبة الى الله
فيعذر وفي فتاوى قاضيخان رجل له خصم فمات ولا وارث له يتصدق عن صاحب الحق بقدر
ماله ليكون وديعة عند الله يوصله الى خصمائه يوم القيمة ويؤدي النفقات اي كل من تلزمه
نفقته الى حين رجعته ويأخذ الزاد من المال الحلال لذهابه وايابه من غير تقدير وتعيين في
بابه بل وجه يمكنه مع التوسع في الزاد مع الرفقاء والرفق بالضعفاء والفقراء قيل وبذل الزاد
في طريق الحج صدقة في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة قال ابن عمر من كرم الرجل طيب زاده
في سفره وكان يقول افضل الحاج اخلصهم لله وازكاهم نفقة واحسنهم يقينا وورد الحج المبرور
ليس له جزاء الا الجنة فقيل يا رسول الله وما بر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام وذكر ابن
الحاج ان من يخرج للحج بغير زاد ولا مركب يطرا عليه امور عديدة منها عدم القدرة على اداء
الصلوة وهو متعد في ذلك ومنها عدم القوة والقدرة على تحمل المشقة فيها فيكلف الناس
ان يقوموا بقوته وسقيه وربما آل امره الى الموت وهو الغالب فيجدهم في اثناء الطريق مرضى
مرميين او طرحى ميتين بعد ان خالفوا امر الله في حق انفسهم واوقعوا اخوانهم ممن علم بحالهم
من اهل الركب في اثمهم وكذلك كل يأثم من اعانهم بشيء لا يكفيهم في اول امرهم او يسعى لهم فيه من
غيرهم اللهم الا ان يعلم ان غيره يعينهم بشيء يتم به كفايتهم في الذهاب والاياب فلا باس
فان لم يعلم بذلك حرم عليه الاعطاء لهم لان ذلك سبب لدخولهم فيما لا قدرة لهم من العطش و
غيره والافضاء الى الموت ونحوه فيكون شريكا لهم فيما وقع بهم وهذا بخلاف ما اذا كانوا في
الطريق على هذه الحالة فانه يتعين على من علم بحالهم من اعانتهم بما تيسر له ولو بالشربة والتشبين
واللقمة والتمرتين ويعرفهم ان ما ارتكبوه يحرم عليهم لا يجوز لهم ان يعودوا لمثله ويطلب
الرفيق المعين على الخير المجرب في الخير والشر والسفر والحضر فقد قيل الرفيق ثم الطريق
والله ولي التوفيق ووصف الرفيق بانه ان نسي الخير ذكره وان ذكره اعانه وان جبن شجعه
وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره وسلاه وكونه من الاجانب اولى من الاقارب عند بعض
الصالحين ليتباعد عن ساحة الوحشة الموجبة للقطيعة ويجتنب صحبة المتكبرين والجهال
ويتصدق قبل الخروج ولو بشيء قليل فان الصدقة تدفع البلاء ويصلي ركعتين للموادعة

اوللاستخارة ويستخير في غير الواجب وغيره والتحقيق ان يستخير في الواجب ايضا لا انه
لا في فعله وتركه بل يستشير ويستخير في متعلقاته من خروجه في هذا الوقت او غيره او في شراء
الدابة وكرائها ونحوه ويودع الاخوان ويقول لهم استودع الله دينكم وامانتكم وخواتيم
عملكم كما رواه ابو داود والترمذي وصححه والنسائي من حديث ابن عمر ويرغب في دعائهم ويستحب
لهم ان يقولوا له في حضرته زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير اينما توجهت كما رواه
الطبراني في الدعاء من حديث انس وهو عند الترمذي وحسنه وفي غيبته اللهم اطو له البعد
وهون عليه السفر وفي الخبر اذا اراد احدكم سفرا فليسلم على اخوانه فانهم يزيدونه بدعائهم الى
دعائه خيرا الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة ويعرض الاشياء اي جميعها على المكري بضم
الميم اي المكاري ولو كان قدر مكتوب ونحوه فقد قال رجل لابن المبارك احمل لي هذا الكتاب معك
لتوصله فقال استأمر الجمال فاني قد اكتريت منه قال الحجة فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب
لا وزن له وهو طريق الحزم في الورع فانه اذا انفتح باب اليسير انجر الى الكثير اولا ولا يبعد
ان يراد بالكتاب ما له وزن فيجب التوقف على الاذن ويرضيه بجمله ان كان زيادة على معتاد
ويخرج في بكور الخميس فورد انه عم كان يستحب ان يسافر يوم الخميس الطبراني عن ام سلمة والسبت
فورد في دعائه عم فيهما اي في الخميس والسبت اما في مطلق البكور فبقوله عم اللهم بارك لامتي في
بكورها اخرجه الاربعة وحسنه الترمذي وصححه ابن حبان من حديث صخر بن وداعة الغامدي
مرفوعا به واما في خصوص الخميس فلابن ماجة عن ابي هريرة والطبراني في الاوسط عن عائشة
مرفوعا اللهم بارك لامتي في بكورها يوم الخميس وفي رواية قال اغدوا في طلب العلم فاني سألت
ربي ان يبارك لامتي في بكورها يوم الخميس وعن ام سلمة كان يحب ان يسافر يوم الخميس الطبراني
واما السبت في اللهم بارك لامتي في سبتها وخميسها واللهم بارك لامتي في بكورها واجعل
ذلك والاثنين اي ويخرج في الاثنين وهو ايضا مأثور فقد ثبت انه عم هاجر من مكة
يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وولد يوم الاثنين وبعث يوم الاثنين ومات
يوم الاثنين ويكثر السير في الليل اي ينبغي ان يكون اكثر سيره بالليل فورد عليكم
بالدلجة بضم فسكون وهي السير في اول الليل وقيل في اخره وهو الاظهر لما في جميع
المناسك ويستحب السير اخر الليل وكره بعضهم سيره اول الليل انتهى ولا يخفى ان
ذلك مختلف باختلاف البلاد والعباد فان الارض تطوى بالليل ما لا يطوى بالنهار
ابو داود والحاكم والبيهقي عن انس بدون ما لا تطوى بالنهار وهذه الزيادة في
الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا ولا ينزل اي في المنزل ما لم يصر اليوم حارا

فان السير في البرد ايسر ويصلي استحبابا عند الركوب من المنزل والنزول فيه قياسا على
الركعتين عند دخول بيته وخروجه منه وقد اخرج الطبراني عن فضالة بن عبيد انه عم
كان اذا نزل منزلا في سفر او دخل بيته لم يجلس حتى يركع ركعتين وللبيهقي عن انس كان
عليه السلام اذا نزل منزلا لم يرتحل حتى يصلي فيه ركعتين ويقول عند نزوله رب انزلني منزلا
مباركا وانت خير المنزلين وعند سيره بسم الله التكلان على الله لا حول ولا قوة الا بالله
كما رواه احمد والحاكم وابن السني عن ابي هريرة وفي دعاء الطبراني عن ابي سعيد بسم الله توكلت
على الله الحديث ويكبر في كل صعود يصعد عليه من شرف فاظهار الكبرياء وعلو مكانته وارتفاع
شانه ويسبح في كل هبوط اي محل يهبط اليه بان نزل من علو الى سفل تنزيها له سبحانه عن الزوال
والنزول فقد ورد اذا علا ثنية كبر واذا هبط سبح البخاري والنسائي عن جابر وابو داود
عن ابن عمر وفي رواية لاصحاب الكتب الستة عن ابي موسى الاشعري اذا اشرف على واد هلل وكبر اي
قال لا اله الا الله والله اكبر وفي رواية لاحمد وابي يعلى وابن السني عن انس اذا اشرف على مكان
مرتفع قال اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال اي لك العلو على كل عال كما قال تعالى
وهو القاهر فوق عباده وله الكبرياء في السموات والارض وحلقت وحشة اي يسبح عند ظهور
وحشة من خوف ومحنة ولم اره مأثورا وانما ورد اذا خاف قوما قال اللهم انا نجعلك في
نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ابو داود والنسائي وابن حبان والحاكم عن ابو موسى الاشعري وفي
الفردوس للديلمي عن شداد بن اوس مرفوعا حسبي الله ونعم الوكيل امان لكل خائف ويؤمر احد
اي يجعله اميرا اذا كان المسافر متعددا لانتظام الرأي وعدم التنازع في الامر وليكن الامير
احسنهم خلقا بضمتين اي اكثرهم علما واظهرهم حلما ومواساة اي وسعهم موافقة ومداراة
وهو بان يكون ازهدهم في الدنيا واشهرهم في التقوى واصبرهم في البلوى واشكرهم في النعمى
واتمهم مروءة واعمهم شفقة واقويهم حرمة فقد نقل عبد الله المروزي ان ابا علي الرباطي صحبه
فقال عبد الله على ان تكون انت الامير او انا فقال ابو علي بل انت فحمل الزاد لنفسه ولابي علي ظهره
وامطرت السماء ذات ليلة فبات عبد الله طول الليلة على رأس رفيقه يغطيه بكسائه
عن المطر وكلما قال لا تفعل يقول الست الامير وعليك الانقياد والطاعة وورد اذا كنتم
ثلثة في السفر فامروا والحاكم عن ابي سعيد اذا كانوا ثلثة فليؤمهم احدهم واحقهم بالامامة
اقرؤهم احمد ومسلم والنسائي ولعل قيد الثلثة للاشعار بانه اقل الكمال في الجماعة والرفقة ويعين
اي الامير الرفقة بضم فسكون اي رفقاءه بما يقدر عليه من اللطف والرفق ويواسي عليهم
بالاحسان وسعة الرزق ويرافق الراحلة اي الدابة بان لا يحملها ما لا طاقة لها ولا يرتدف

بان صاحبها ايضا حملها فوق طاقتها في عرفها وعادتها قال ابو الدرداء رضي الله عنه لبعير له
عند الموت يا ايها البعير لا تخاصمني الى ربك فاني لم اكن احملك وعلى الجملة في كل كبد حرا اجر فيراعي
حق الدابة وحق المكاري جميعا وينزل احيانا ففيه اقامة السنة اذ كان عم ينزل احيانا عن
الدابة ففي الاوسط للطبراني من حديث انس باسناد جيد انه عم كان اذا صلى الفجر في السفر مشى
ورواه البيهقي في الادب وقال مشى قليلا وناقته تقاد قال علماؤنا ويستحب ان يريح الدابة
بالنزول عنها غدوة وعشية وعند عقبة اذا اطاق وقال الطرابلسي يجب اذا كانت الدابة مستاجرة
في المواضع التي جرت العادة مثله بالنزول فيها الا ان يرضى صاحبها وكانت الدابة مطيقة
ولا يحل له ان يستلقي على ظهر الدابة ولا يتكئ عليها بل يكون راكبا على العرف والعادة
في مثلها ذكره صاحب السراج الوهاج وترفيه للدابة اي تهوين لها عن دوام المشقة واسرار
للمكاري حيث يفرح بالخفة ورياضة النفس اي تهذيب لها ليعرف قدر النعمة وتحرز عن ضعف
الاعصاب وما يترتب على دوام الركوب من اليبوسة ولا ينام عليها الا نومة خفيفة اذا حصلت
ضرورة اذ النوم عليها يؤذيها ويثقل عليها وكان اهل الورع لا ينامون على الدواب
الا غفوة عن قعود ولا يتوقف راكبا عليها زمانا طويلا فقد ورد لا تتخذوا ظهورها كراسي
والحديث رواه احمد من حديث سهل بن معاذ وقد رواه ابن حبان والحاكم وصححه من رواية معاذ
ابن انس عن ابيه مثل كراسي في دوام القعود عليها ولعله محمول على محمولة مثقلة بخلاف الخيل
والناقة التي غير مزملة وعلى كل تقدير فيستثنى عشية عرفة في الوقوف فانه يستحب الوقوف على
الدابة ولا ينفرد عن الرفقة اي لا يمشي منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال او ينقطع وكذا
لا ينفرد عنهم في المنزل ويحرس متاعه وامتعة اصحابه بالنوبة فاذا نام احدهم حرس الآخر
فهو السنة اخرج البيهقي من طريق ابن اسحق من حديث جابر في حديث فيه فقال الانصاري للمهاجرين
اي الليل احب اليك ان اكفيكه اوله او آخره فقال لا بل اكفني اوله فاضطجع المهاجرين والحديث
عند ابي داود ايضا لكن ليس فيه قول الانصاري للمهاجرين بل فيه تنا وب الرفيقين في الحراسة
فاذا نام احدهما حرس الآخر فهو السنة وينام في اول الليل جاعلا راسه على العضد بان افترش
ذراعه وفي آخره اي الليل على الكف ويقيم العضد بان نصب ذراعه نصبا وجعل وجعل راسه
في كفه لئلا يشتد النوم فيفوت صلاة الصبح فهو ماثور وقد رواه احمد والترمذي في الشمائل
من حديث ابي قتادة باسناد صحيح وكذا ابن حبان والحاكم عنه بلفظ كان اذا عرس وعليه
ليل توسد يمينه واذا عرس قبيل الصبح وضع راسه على كفه اليمنى واقام ساعده والتعريس
النزول في الليل قال العراقي وعزاه ابو مسعود الدمشقي والحميدي الى مسلم ولم اره فيه ولا

يصحب جرسا لقوله عم لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس احمد ومسلم وابو داود و
الترمذي عن ابي هريرة ولقوله عم الجرس مزامير الشيطان احمد ومسلم وابو داود عن ابي هريرة
وفي رواية لابي داود عنه لا تدخل الملائكة بيتا فيه جرس ولا شاعرا من شعراء الجاهلية
الذين قال تعالى في حقهم والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون
ما لا يفعلون الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من
بعد ما ظلموا والحاصل ان الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح يستوي فيه السفر والحضر ولا
ساحرا فانه اما ان يكون فاجرا او كافرا ولا كاهنا وهو من يدعي علم الغيب بواسطة
الجن او غيره فقد ورد من اتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد برئ مما انزل على محمد احمد و
الاربعة عن ابي هريرة وفي رواية الطبراني عن واثلة من اتى كاهنا فساله عن شيء حجبت عنه
التوبة اربعين يوما فان صدقه بما قال كفر ومن اتى عرافا فساله عن شيء فصدقه لم يقبل له
صلاة اربعين يوما رواه مسلم عن بعض امهات المؤمنين وللحاكم واحمد عن ابي هريرة من
اتى عرافا او كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم وفسر
العراف بمن يدعي معرفة السارق ومكان الضالة فهو اخص من الكاهن وفي معناه المنجم
والرمال وسائر اصحاب الفال ولا جلالة وهو دابة تاكل النجاسة فان الملائكة تتنفرون
من رائحتها واخرج الدولابي في الكنى وابن منده والطبراني وابن عساكر عن ابي رابطة بن
كرامة الدجحي قال كنا مع رسول الله عم فقال القوم سفر لا يصحبنكم جلال من هذه النعم ولا
يضمن احدكم ضالة ولا يرذن ساالا ان كنتم تريدون الربح والسلامة ولا يصحبنكم من
الناس ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ساحر ولا ساحرة ولا كاهن ولا كاهنة
ولا منجم ولا منجمة ولا شاعر ولا شاعرة الحديث ولا كلبا لما تقدم ويؤذن ان ضل الطريق
او غاب عن الرفيق او راى اشياء منكرة او تخيلت له خيالات مستنكرة او تلونت له اجسام
مكروهة مزورة فقد ورد اذا تغولت الغيلان نادى بالاذان رواه مسلم عن ابي هريرة
فان الجن والشياطين يفرون من الاذان ويحضره الملائكة والابدال في الاعيان فاذا
انفلتت دابته فلينادِ اعينوني يا عباد الله اعينوني يا عباد الله رواه ابن ابي شيبة من قول ابن
عباس موقوفا وان اراد عونا فليقل يا عباد الله اعينوني يا عباد الله اعينوني يا عباد الله
اعينوني رواه الطبراني عن زيد بن علي عن عتبة بن غزوان عن نبي الله صلى الله عم انه قال
اذا اضل احدكم شيئا واراد عونا وهو بارض ليس بها انيس فليقل يا عباد الله اعينوني
يا عباد الله اعينوني فان لله عبادا لا نريهم وورد اذا اختلف عليكم الطريق فعليكم بذات

اليمين اي تيمنا وتحاميا فان فيها ملكا يسمى هاديا لم اعرف له راويا ولا يدخل بلدة ليس فيها
سلطان اي خليفة او نائبه من امير او قاض ولا سايس اي شحنة وحاكم سياسة لانه عند عدمها
يكثر الفتنة وتعدي الظلمة وفي الخبر اذا مررتم ببلدة ليس فيها سلطان فلا تدخلوها انما السلطان
ظل الله ورمحه في الارض البيهقي عن انس وما فيها اي لا يدخل بلدة فيها طاعون لما تقدم وروى بعض الصحابة
ان رسول الله صلى الله ع م نزل منزلا في بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما
هذا يا رسول الله فقال ان الناقة تقحمت بي اي رمت بي او هزت بي والحديث رواه الطبراني في الاوسط
من حديث عمر بسند ضعيف ويصاحب المراة بكسر الميم ومثلها المرآة آلة الرؤية وكان ع م اذا نظر الى
وجهه في المراة قال اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي وحرم وجهي على النار البزار عن عائشة والمكحلة
محل الكحل ومروده فانه ع م كان يكتحل كل ليلة ثلثا في كل عين كما في شمائل الترمذي وغيره والسواك
للوضوء والصلوة كما تقدم والمشط اي لتسريح شعر اللحية والراس والمقلم وهو المقص والسكين
فانه بهما يقلم الظفر ويقص الشارب والموسى لحلق الراس والعانة والركوة اي الدلو ونحوها
من المطهرة والحبل فانهما من ضرورة الشرب والطهارة والابرة وخيطها لترقيع ثوب يستر العورة
ويجتنب الغرة بكسر المعجمة وتشديد الراء اي يحترس من ان يغتر احدا او يغره احد بالمكر والحيلة
فهو يذهب البركة او المعنى لا يصاحب شخصا لا يعرفه ولا يسلك طريقا لا يعرفه ولا يترك السلاح
مواضع المخافة اغترارا على شجاعته ولا يأكل من ثمار البراري التي ما عهد اكله في عادته و
يتبرك بزيارة الاحياء من العلماء والاولياء والاموات من الانبياء والاصفياء ويعجل
الاوبة اي الرجعة بعد قضاء الحاجة اسرارا لقلب اهله واظهارا لطيب محله وفي نسخة زيادة
وورد من كان مسافرا اذا قضى نحبه فليرجع الى اهله لم اجده لكن تقدم ما يدل على اصله و
ورد اذا قضى احدكم حجه فليعجل الرجوع الى اهله فانه اعظم لاجره الحاكم والبيهقي عن عائشة ويأتي
بالتحفة اي بالهدية لاهل البيت والاقارب حقيقة وحكما فقد ورد اذا قدم احدكم من سفر
فليقدم معه بهدية ولو يلقي في مخلاته حجرا ابن عساكر عن ابي الدرداء قيل زاد حجر الزناد وفي
رواية البيهقي عن عائشة اذا قدم احدكم على اهله من سفر فليهد لاهله فليطرفهم ولو كان
حجارة ولا يقدم من سفره على اهله بغتة اي فجاءة ففي الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله
صلى الله ع م في غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال امهلوا حتى ندخل ليلا اي عشاء
كي تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة ولاحمد من حديث ابن عمر بسند جيد انه ع م قال قبل دخول المدينة
لا تطرقوا اهلكم ليلا فخالفه رجلان فسعيا الى منزلهما فرأى كل واحد في منزلها ما يكره ولا
ليلا لانه وقت الوحشة فقد ورد اذا طال احدكم الغيبة فلا يطرق اهله ليلا احمد والشيخان

و

والاحب وقت الضحى لكمال الظهور وجمال النور وجلال الشهود ويدخل المسجد اي في مسجد بلده
اولا ويصلي ركعتين تحية المسجد شكرا لله سبحانه فعن ابي ثعلبة كان ع م اذا قدم من سفر بدا
بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم يثني بفاطمة ثم يأتي ازواجه فالكل مأثور وفي كتب الحديث مسطور
ويقدم اي من سائر الافعال له اي لقدومه الضحي بفتح وكسر فتشديد اي طعام الضحى ولو شاة او
طبخ لحم ومرقة وكان ع م اذا قدم نحر جزورا او بعيرا او بقرة لم يحضرني الآن مخرجه وحق الحج اي
اداء كمال الحج ان يخلص النية ويحسن الطوية بان يتبرا من الرياء والسمعة ولا يقصد التجارة
والنزهة فقد روي في خبر من اهل البيت اذا كان آخر الزمان خرج للحج اصناف اربعة سلاطينهم
للنزهة واغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسألة وقراؤهم للسمعة الخطيب من حديث انس قال علماؤنا
من اتى بعبادة لغرض دنيوي بحيث لو فقد تركها فليست بعبادة بل معصية وان وجد عليها
باعث الدين والدنيا فان كان باعث الدنيا اقوى او هما متساويان فهي باطلة وان كان باعث
الدين اقوى فذهب بعضهم الى انها باطلة وجماعة الى انها صحيحة وهو الاظهر لقوله تعالى ليس عليكم
جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم اي تبتغوا عطاء ورزقا منه يريد الربح بالتجارة على ما ذكره
البيضاوي وغيره ثم من حقه ان يعجله بعد الاستطاعة ففي التاخير آفات مانعة عن الطاعة
على ان المسألة خلافية في ان الفرضية على التراخي او فورية ففي الفورية اذا اخره عن اولى سني
الامكان سقطت عدالته وعد من الفساق الى ان يحج ثم لو حج في آخر عمره سقط عنه اجماعا و[illegible]
اثمه اتفاقا وان مات قبل الحج لقي الله عاصيا بترك حجه وكان الحج في ذمته عندنا فيجب عليه وصيته
وعند الشافعي في تركته فيحج عنه وان لم يوص فيه كسائر ديونه ومن مات ولم يحج مع اليسار فامره
شديد وفي خطره ورد وعيد اكيد منه قوله تعالى ومن كفر فان الله غني عن العالمين حيث وضع من
كفر موضع من لم يحج ووضع العالمين موضع عنه للمبالغة عن غنائه سبحانه واستغنائه عن ترك
الحج وادائه لان منفعته راجع الى عباده وامائه وقد ورد من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا
وان شاء نصرانيا رواه الترمذي وغيره عن ابي هريرة مرفوعا وقيل في تفسير قوله تعالى لاقعدن لهم
صراطك المستقيم انه طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس من الوصول اليها وقال عمر
رضي الله عنه وهو يومئذ امير المدينة لقد هممت ان اكتب الى الولاة في الامصار ان تضرب الجزية
على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد بن جبير رض وابراهيم النخعي وطاوس ومجاهد
رحمهم الله لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر
فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس رض يقول من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة
الى الدنيا وقرأ قوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت وكذا ورد عنه ايضا في قوله

تعالى وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتى احدكم الموت الآية ويحتال فى دفع تسليم الضريبة اى
الامور المعينة لقطاع الطريق اى من الاعراب وغيرهم ويرجع عن طريق الحج ان لم يقدر على
الاحتيال فى النفل لا فى الفرض فلا اعانة على العدوان اى الظلم والعصيان الحق من الرجوع عن طريق
الحج اذا لم يكن من فروض الاعيان واما فى الفرض فلا يرجع اذ الاثم فى مثله على الآخذ لا المعطى على
ما عرف من تقسيم الرشوة فى كتاب القضاء ولكون المعصية منهم ولا يترك الفرض لمعصية عاص
وهذا التفصيل حسن خلافا لمن اطلق جواز اعطائه للضرورة ولمن اسقط الحج ووجوبه اذا كان
فى الطريق يؤخذ ماله ظلما وفى الاحياء ولا تعاون اعداء الله بتسليم المكس وهم الصادون عن
المسجد الحرام من امراء مكة والاعراب المترصدين فى الطريق والابواب فان فى تسليم المال
اليهم تيسير اسباب الظلم عليهم ويمشى راجلا اى ويذهب فى طريق الحج ماشيا ان قدر على المشى
فانه افضل قال تعالى واذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا اى مشاة فقدمهم سبحانه على قوله وعلى كل ضامر
اى وركبانا على بعير مهزول وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحاج اذا قدموا مكة تلقتهم
الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا واوصى عبد الله
ابن عباس بنيه عند موته فقال يا بنى حجوا مشاة فان للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة
حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة الف والا اى وان لم يقدر
على المشى او يسوء خلقه به او لم يبق له حضور الذكر بسببه فالركوب فى حقه افضل بل هو متعين
فتامل وقيل هو الافضل اى مطلقا لفعله عم واصحابه الكرام ويجاب عن اختيارهم الركوب
للشفقة على ضعفاء الامة فذهبوا مذهب اضعف القوم فى الهمة كما هو شأن الائمة ففيه مؤنة
الانفاق اى زيادته وفيه انه يمكن للماشى ان ينفقه فى سبيل الله ومرضاته فقد سئل بعض
العلماء عن العمرة المشى فيها افضل او يكترى حمارا فقال ان كان وزن الدرهم اشد
عليه فالكراء افضل من المشى وان كان المشى اشد عليه كالاغنياء فالمشى افضل وكأنه ذهب فيه
الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن ما قدمناه اولى فى مقام الجمع كما لا يخفى والبعد
عن تشويش الهموم اى غموم الخواطر الردية الناشئة من اتعاب الاعضاء البدنية والقرب من السلامة
من غير الملامة والا تمام لخطر الماشى ان يمنعه مانع عن تحصيل المرام ولهذا كان بعض الكرام
يمشون ويتقاددون دوابهم مع الخدام ويمشى اشعث اغبر اى ويذهب حال كونه اشعث الشعر اغبر
البدن لكنهما مختصان بحال الاحرام لما ورد انه عم سئل اى الحج افضل فقال الشعث التفل
مع ان المسافر لا يخلو عن نوع شعث شعر وغبار بدن خصوصا اذا كان من الفقراء فورد
رب اشعث اغبر ذى طمرين لا يؤبه به لو اقسم على الله لابره غير مزين فى نفسه ولا فى دابته

ولا مائلا الى الكبر ترى فى نعمته والتفاخر فى حشمه لخدمته فهو عليه السلام فعل ذلك اى
ترك الزينة فانه عم حج على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها اربعة دراهم
وكان عم فى سفر فنزل اصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى اكسية حمر على الاقتاب فقال ارى
هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها فنزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل ابو داود
من حديث رافع ابن خديج وفيه رجل لم يسم واخبر اى النبى عم عن مباهاته تعالى به اى بالحاج
الشعث الاغبر ففى الحديث انما الحاج الشعث التفل يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتى قد
جاؤنى شعثا غبرا من كل فج عميق الترمذى وابن ماجة من حديث ابن عمر ويتقرب باراقة الدم
وان لم يجب اى وان لم يكن واجبا عليه فورد ومن يعظم شعائر الله اى الهدايا التى تذبح فى الحرم
وهى جمع شعيرة وهى ما يشعر به تعظيم بيت الله ويعلم به تكريم حرم الله الآية اى فانها من تقوى
القلوب وفسر تعظيمها بتحسين البدن وتسمينها وسئل عم ما بر الحج فقال العج والثج والعج هو رفع
الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن الترمذى واستغربه وابن ماجة والحاكم وصححه والبزار
واللفظ له من حديث ابى بكر وقال الباقون اى الحج افضل وعن عائشة انه عم قال ما عمل ابن
آدم يوم النحر احب الى الله سبحانه من هراقة دما وانها لتأتى يوم القيمة بقرونها واظلافها
فان الدم يقع من الله عز وجل بمكان قبل ان يقع فى الارض فطيبوا بها نفسا الترمذى وحسنه
وابن ماجة وابن حبان وابن خزيمة والخبر لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها
حسنة وانها لتوضع فى الميزان فابشروا ابن ماجة والحاكم وصححه والبيهقى من حديث زيد ابن ارقم
وروى ابو الشيخ فى كتاب الضحايا عن على ما انها يجاء بها يوم القيمة بلحومها ودمائها حتى
توضع فى ميزانك بقوله عم لفاطمة وفى رواية له من حديث ابى سعيد فان لك باول
قطرة تقطر من دمها ان يغفر لك ما سلف من ذنوبك بقوله لفاطمة ولا يماكس اى لا يضايق
بل يسامح فى شراء الهدى والاضحية اى ونحوهما مما يكون للتقرب اليه بصحة النية فقد كان السلف
لا يماكسون فى ثلث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والاضحية والرقبة فان افضل ذلك اغلاه
ثمنا وانفسه عند الله ثمنا وروى ان عمر اهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل
رسول الله صلى الله عم ان يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها اخرجه
ابو داود وقال انحرها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفى ثلثمائة دينار قيمة
ثلثين بدنة وفيه تكثير اللحم وليس هو المراد فالمقصود الاصلى من الذبح هو تزكية النفس اى تطهيرها
وتخليصها عن رذيلة البخل وتحليتها بالحاء المهملة ويحتمل الجيم اى تصفيتها وتزيينها بتعظيمه
تعالى فانه الفضل فى مقام الفضل فورد لن ينال الله لحومها ولا دماؤها الآية اى ولكن

ينا له التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثرة العدد ام قل فتامل
وينوى فى الذبح اى اذا كان تطوعا فداء نفسه اقتداء بالذبيح عليه السلام وهو اسمعيل
او اسحق على خلاف طويل بين الاعلام قال تعالى وفديناه بذبح عظيم وينفق فى الطريق اى طريق
الحج ومكة اى وفى مكة مدة الاقامة ما استطاع ويكون طيب النفس بما انفقه من
نفقة وبما اصابه من خسارة ومصيبة ان اصابه ذلك فانه من باب الضيافة من
الله تعالى لعبده حال الزيارة وان ذلك من دلائل قبول حجه هنالك فمن علامات القبول
اى قبول الحج وبره طيب الكلام اى واطعام الطعام وكتمان طاعة عن الانام وعدم
الاغتمام به اى بالانفاق فى ذلك المرام وبما اصيب من ضياع وسرقة فى المال وكذا
المصيبة فى البدن وباقى الحال فدرهم منه اى من مال المصطفى او من الانفاق فى الحج لا لاحتساب
يعدل سبعمائة ينفق فى سبيله والله سبحانه يضاعف لمن يشاء من فضله وترك معاص
كان يرتكبها قبل حجه وتبديل اخاء الفساق اى مواخاة السفهاء والجهلاء بالصلحاء
من العلماء والاولياء ومجالس اللهو اى وتبديلها بالذكر اى بمجالس الذكر ومحافل اهل
اليقظة والفكر ويلازم الخشوع وهو غاية الخضوع فى آداب المناسك فانه من ادب
السالك فهو الاصل اى المدار عليه فى جميع المسالك لا سيما فى الطواف فانه بمنزلة الصلوة
هنالك والوقوف بعرفات فانه بمنزلة الوقوف بين يدى رب العالمين يوم اجتماع
خلق الاولين والاخرين فيما ذكرناه اى الحج باتفاق المجتهدين ويشرب من ماء زمزم
فقد ورد ماء زمزم لما شرب له ابن ماجة باسناد جيد من حديث جابر مرفوعا والحاكم
وصححه وقد بسطنا الكلام عليه فى فضائل المشاعر الحرام وكذا فى الحرز الثمين شرح حصن
الحصين مستشفيا اى طالبا شفاء ظاهرا وباطنا قائلا اللهم انى اسئلك رزقا واسعا و
علما نافعا وشفاء من كل داء ويتضلع منه فورد اية ما بيننا وبين المنافقين انهم
لا يتضلعون من ماء زمزم البخارى فى تاريخه وابن والحاكم عن ابن عباس ويستقى بيده ويشرب
من مائه فقال عم لولا ان تغلبوا لنزعت منكم ويصب على رأسه وجسده متبركا به وقد ثبت
مثل هذا عن فعله عم ومستنجيا اوطاره اى قاضيا حاجاته ويغتنم الموت فى طريقه
فيكتب له اجره اى ثواب الحج على تلك الطاعة الى قيام الساعة قال تعالى ومن يخرج من بيته
مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع اجره على الله وورد من خرج
من بيته حاجا او معتمرا اجرى له اجر الحاج المعتمر الى يوم القيمة البيهقى فى الشعب من
حديث ابى هريرة ومن مات محرما حشر ملبيا الخطيب عن ابن عباس ومن مات فى احد

الحرمين استوجب شفاعتى وكان يوم القيمة من الامنين الطبرانى والبيهقى عن
سلمان وفى رواية لهما من حديث عائشة من مات فى احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب
وقيل له ادخل الجنة ويلتقى الحاج بالترحيب اى بالتعظيم والتكريم مع التسليم المقرون
بقوله مرحبا بمن جاء من زيارة بيت الله العظيم ونبيه الكريم ويصافحهم متبركا اى
باكفهم التى اصابت المنازل الشريفة والمحافل المنيفة منها الحجر الاسود الذى فى حقه ورد
انه يمين الله فى ارضه يصافح بها عباده فهذه المصافحة الثابتة واما المصافحة التى
يذكرها بعض عن مشايخهم بطريق التسلسل اليه صلى الله عم فلا اصل له ولا فى الكيفية التى
ذكرها بعض الصوفية نعم ورد فى فضل المصافحة عند الملاقات اخبار كثيرة وآثار شهيرة وليس
هذا المقام موضع بسط الكلام ويروح الى المدينة الطيبة السكينة قبل دخول مكة
الامينة او بعد وصولها وكمال حصولها مكثرا اى فى طريقه الصلوة عليه عليه السلام فانه كلما كان
اقرب اليه كان بالاجابة انسب يديه ويزور قبره عليه السلام فانه من شعائر الاسلام
بل من واجبات الاحكام وقد تقدم فى فضله بعض الكلام وقد ورد انه عم ان الله تعالى وكل
بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف من فارق اهله
ووطنه وقطع البوادى شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشاهده الكريمة اذ فاته مشاهدة
مشاهد طلعته العظيمة وقد قال تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر
لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما وورد ان من توضأ واتى الروضة وصلى واتى القبر
الشريف وقال اللهم انى اسئلك اتوجه اليك بنبينا محمد نبى الرحمة يا محمد انى توجهت بك الى
ربى فى حاجتى لتقضى لى اللهم فشفعه فى وسأل حاجته قضيت باذن الله تعالى كذا فى الحصن ويزور
الصحابة لا سيما الشيخين الضجيعين واهل البيت كفاطمة وعائشة وسائر ازواجه امهات
المؤمنين وصفية عمته واولاده وبناته اخوات المؤمنين وعمه العباس والحسن بن
على وعلى بن حسين ومحمد بن على الباقر وجعفر بن محمد الصادق فى القبة الشريفة والمنزل المنيفة
وسائر مشاهدها من سائر اهل البقيع واجلهم عثمان بن عفان رضهم ويزور سيد الشهداء
حمزة ومن معه وورد احد جبل يحبنا ونحبه البخارى عن انس وغيره عن جماعة وفى رواية
زيادة فاذا جئتموه فكلوا من شجره ولو كان من عضاهه ويصلى فى مساجدها واجلها
المسجد النبوى مع ما فيه من الروضة والمنبر واسطواناته فورد ما بين قبرى ومنبرى روضة
من رياض الجنة ومنبرى على حوضى متفق عليه من حديث ابى هريرة وعبد الله بن زيد ثم مسجد
قبا ومسجد الجمعة وذى القبلتين والمساجد الاربع ونحوها وقد ورد انه عم كان يأتى مسجد

قبا كل سبت ماشيا وراكبا وقال من خرج من بيته حتى يأتي مسجد قبا ويصلي فيه كان كعدل
عمرة النسائي وابن ماجة من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح وقد ذكرنا آداب الزيارة في رسالة
مستقلة وسائر ما فيها من اسباب الفضيلة ويتبرك بآبارها اي التي كان عم يتوضا ويغتسل
ويشرب منها وهي سبعة آبار مشهورة بئر اريس وبئر حاء وبئر رومه وبئر غرس وبئر
بضاعه وبئر البصة وبئر السقيا او العهن او بئر جمل ولله در ناظمها في قوله
اذا رمت آبار النبي بطيبة فعدتها سبع مقالا بلا وهن اريس وغرس رومه وبضاعة
كذا بصة قل بئر حاء مع العهن ومواضعها معروفة وعند اهل المدينة مكشوفة فحديث بئر
اريس بفتح فكسر رواه مسلم من حديث ابي موسى الاشعري رض في حديث منه حتى دخل بئر اريس
قال فجلست عند بابها وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضا منها
وحديث بئر حاء متفق عليه من حديث انس قال ابو طلحة اكثر انصاري بالمدينة نخلا وكان احب امواله
اليه بئر حاء وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عم يدخلها ويشرب من ماء
فيها طيب الحديث وحديث بئر رومه بضم الراء رواه الترمذي والنسائي من حديث عثمان انه قال انشد
بالله والاسلام هل تعلمون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير
بئر رومة فقال من يشتري بئر رومه يجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال الترمذي
حديث حسن وفي رواية من يشتريها لشرب رواء في الجنة وفي رواية لهما هل تعلمون ان رومة
لم تكن يشرب منها احد الا بثمن فابتعتها وجعلتها للغني والفقير وابن السبيل الحديث وقال
حسن صحيح وروى البغوي والطبراني من حديث بشر الاسلمي قال لما قدم المدينة استنكروا
الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال له رومة وكان يبيع منها القربة بمد الحديث
قيل انه اشتراها بمائة بكرة ثم تعطلت منافع النصف الثاني على صاحبها فباعه ايضا
من عثمان بثمن يسير لانه كان يبيع ماءها فاستكفى الناس بوقف عثمان وهي قديمة قيل
شرب منها تبع وحددت سنة سبعمائة وخمسين وحديث بئر غرس بضم المعجمة وبفتح رواه
ابن حبان في الثقات من حديث انس انه قال ائتوني بماء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله
صلى الله عم يشرب منها ويتوضا ولابن ماجة باسنادٍ جيد من حديث علي مرفوعا اذا انا مت
فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس وفي تاريخ المدينة لابن النجار انه عم توضا منها
وبزق فيها وغسل منها حتى توفي وفي رواية تشرب منها وتوضا وكب فيها بقية الدلو
واهدي له عسل فصبه فيها وقال اني رأيت الليلة اني اصبحت على بئر من الجنة فاصبح عليها
وقال يا علي اذا انا مت فاغسلني من بئري بئر غرس بسبع قرب لم تحلل وكيتهن ففعل كذلك

جددت سنة خمس وخمسين وسبعمائة وحديث بئر بضاعة بضم الموحدة رواه اصحاب السنن
من حديث ابي سعيد الخدري انه قيل لرسول الله صلى الله عم انتوضا من بئر بضاعة وفي
رواية انه يستقى لك من بئر بضاعة فقال الخلق الله الماء طهورا لا ينجسه الا ما غير طعمه او
لونه او ريحه الحديث قال يحيى بن معين انه جيد وقال الترمذي حسن وللطبراني من حديث
ابي سعيد بصق النبي صلى الله عم في بئر بضاعة وفي رواية شرب منها وبصق فيها وبرك ودعا
لها وكان اذا مرض المريض غسلوه بماء منها فكانما نشط من عقال وحديث بئر البصة بضم الموحدة
وتشديد المهملة رواه ابن عدي من حديث ابي سعيد الخدري ان رسول الله صلى الله عم جاء يوما
فقال هل عندكم من سدر اغسل به رأسي فان اليوم الجمعة قال نعم فاخرج له سدرا وخرج معه الى
البصة فغسل رسول الله عم غسالة رأسه ومراقة شعره في البصة وحديث بئر السقيا رواه
ابو داود من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له من بيوت السقيا زاد
البزار في سنده او من بئر السقيا واحمد من حديث علي خرجنا مع رسول الله صلى الله عم حتى
اذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد بن ابي وقاص قال رسول الله صلى الله عم ائتوني بوضوء فلما توضا
قام الحديث واما بئر جمل ففي الصحيحين من حديث ابي الجهم اقبل رسول الله صلى الله عم من نحو بئر جمل
الحديث وصله البخاري وعلقه مسلم قيل وهو بئر العهن بالعالية وروي انها اليسيرة سماها
عليه السلام بعد ان كان اسمها العسيرة توضا منها وبصق فيها وبرك وعاد لها والمشهور
ان آبار المدينة سبعة وقيل عشرون وقد روى الدارمي من حديث عائشة ان النبي صلى الله عم
قال في مرضه صبوا علي من سبع قرب من آبار شتى الحديث ويتصدق بالمدينة على سكانها ويعظم
جيرانها ويستحب الاقامة بمكة حال كونه مراعيا حقوقها من القيام بالجماعة والجمعة وملازمة
الطواف ومداومة الحرمة وعدم الملالة والسآمة مع السلامة من اكل الحرام والشبهة والا
فالاقامة بها حرام او مكروه فورد ينزل على هذا البيت في كل يوم مائة وعشرون رحمة اي
من رحمته الخاصة ستون للطائفين لزيادة طوافهم على المصلين والناظرين واربعون
للمصلين لاشتمال صلوتهم على حال الناظرين وعشرون للناظرين اي المكتفين بالنظر من
المعتكفين العاجزين الواقفين في مقام الشهود وقد قال تعالى ان طهرا بيتي للطائفين و
العاكفين والركع السجود ففي تقديم الطائفين ايماء الى ما تقدم واشعار الى ان الطواف
تحية هذا المسجد المحترم والله سبحانه اعلم والحديث رواه ابن حبان في الضعفاء و
البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وله شواهد وانك يا مكة لخير ارض الله لكونها
منشاء حبيبه وفيها قبلة خلقه قريبه وبعيده واحب بلاده اليه لكونها مهبط وحيه ومربطة

وصله واما حديث حب الوطن من الايمان فلا اصل له فلولا انى اخرجت منك اى امرت
بالخروج والهجرة عنك لما خرجت باختيار فان الخروج منها شقاوة والدخول فيها
سعادة حيث يضاعف فيها العبادة وتضعف للنفس فيها الشهوة والارادة والحديث
رواه الترمذى وصححه النسائى فى الكبرى وابن ماجه وابن حبان من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء
بلفظ انك لخير ارض الله واحب بلاده الى الله ولو انى اخرجت منك لما خرجت وقد
ورد من صبر على حر مكة ساعة تباعد من نار جهنم مائتى سنة اخرجه العقيلى فى الضعفاء عن
ابن عباس وبالمدينة اى ويستحب ايضا الاقامة بها مع القيام بآدابها فورد فى الصبر على
لاوائها اى شدة عنائها ومشقة بلائها وفى الموت بها شفاعته عم الخاصة لاهل الاسلام
وشهادته يوم القيمة اى بانه من اهل الاكرام فورد لا يصبر على لاوائها وشدتها احد الا
كنت له شفيعا يوم القيمة مسلم من حديث ابى هريرة وابن عمر وابى سعيد ومن استطاع ان يموت
بالمدينة فليمت بها فانه لا يموت بها احد الا كنت له شفيعا او شهيدا يوم القيمة الترمذى
وابن ماجه من حديث ابن عمر وقال الترمذى حسن صحيح وما نقل من رجاع عمر رضى الله عنه اى ردة
وامره بالرجوع الحجيج بعد الفراغ من الحج والزيارة الى المساكن اى مساكنهم الاصلية
حيث كان يقول لهم يا اهل اليمن يمنكم ويا اهل الشام شامكم ويا اهل العراق عراقكم تحاميا
اى للاحتراز والاحتراس عن السامة اى الملالة فى الاقامة وارتكاب الذنب من لم يكن من اهل
الاستقامة فان الاثم فيه اى فى حرم مكة متضاعف فى العقاب كيفية لا كمية لئلا يناقض قوله
تعالى ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها تضاعف الثواب اى كتضاعفه فى الكيفية والكمية
للفضل فى هذا الباب والعدل على ما فى الكتاب وانما يضاعف العذاب او العقاب حيث علق
العذاب بمجرد القصد للمذنب فى ذلك الجناب فيما ورد فى نص الكتاب ومن يرد فيه بالحاد اى بميل
من الجادة فى العصيان والباء صلة فى مقام البيان الاية اى تمامها بظلم اى عدوان بدل
تفسير وبيان نذقه من عذاب اليم اى مولم فى مقام الهجران حتى قيل منه الاحتكار اى قصد
حبس طعام ليقل ويبيع غاليا ويتضرر به الانام وقيل الكذب اى قصده الحاد ايضا وقيل شتم
الخادم والحاصل ان ما يكون صغيرة فى غيره يصير كبيرة فى حرمه لكمال القضية المجاور وحرمه
وعدم العمل بعلمه وتجديد الاشتياق عطفا على تحاميا اى لتحصيل حدة الشوق وشدة
الذوق الى وصال الحرمين بعد مرارة حرارة الفراق والاولى الاستغناء من القلب فى اقامته
ورحلته والتوطن فى موضع اقرب من الحق فانه انسب لحصول الاصول وفيه الراحة من مصاحبة
اهل الفضول وابعد من الشهرة فان فيها الآفات بكثرة وسلامة الدين لانها لم يوجد مع مسامحة

اهل

اهل الدنيا فقيل كن وسطا وامش جانبا وفراغ القلب اى للذكر والخضوع مع الرب وتيسر
العبادة اى سهولتها لاهل الارادة قال تعالى يا عبادى ان ارضى واسعة فاياى فاعبدون
فورد البلاد بلاد الله والخلق عباد الله فاى موضع رايت فيه رفقا اى مصلحة وسهولة
للعبادة فانه مقام السعادة فاقم اى فاختر الاقامة فيها واحمد الله تعالى على ثباتك عليها
والحديث رواه احمد والطبرانى من حديث ابن الزبير وحق الجهاد اى القتال مع الكفار لنية
نصرة الدين ومعاونة الابرار قال الله تعالى ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم وبذل النفس
فى رضائه تعالى قال تعالى ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة الاية فورد افضل
الجهاد ان يعقر جوادك اى يقتل فرسك او يهلك ويهراق دمك اى يصب ويخرج روحك الطبرانى
واحمد وجماعة عن جابر والطبرانى عن ابى امامة افضل الشهداء من سفك دمه وعقر جواده
وهو فرض عين ان هجم الكفار فيخرج المراة والعبد بلا اذن وفرض كفاية بدءا وتخرج له اى للجهاد
يوم الخميس فعن كعب بن مالك انه عم كان يحب ان يخرج اذا غزا يوم الخميس احمد والبخارى ولا يغتم بما
يصيب اى فى طريق الجهاد من نقص من ماله او جرح فى جسده او فزع فى قلبه وتشويش فى حاله
ففى الكل اجر عظيم وثواب جسيم وقد قال تعالى ولنبلونكم بشىء من الخوف والجوع ونقص من الاموال
والانفس الاية وورد اذا رجف قلب المؤمن فى سبيل الله تحاتت خطاياه كما يتحات عذق
النخلة الطبرانى وابو نعيم فى الحلية عن سلمان ومن راح روحة فى سبيل الله كان له بمثل ما اصابه
من الغبار مسكا يوم القيمة ابن ماجه والضياء عن انس وما من مجروح يجرح فى سبيل الله والله
اعلم بمن يجرح فى سبيله الا جاء يوم القيمة وجرحه كهيئته يوم جرح اللون لون دم والريح ريح
مسك ابن ماجه عن ابى هريرة حتى يكون علف دابته وروثها وبولها ونومه ويقظته
فى ميزان حسناته ففى مسند احمد وصحيح البخارى وسنن النسائى عن ابى هريرة مرفوعا من احتبس فرسا
فى سبيل الله ايمانا بالله وتصديقا وتصديقا بوعده كان شبعه وريه وروثه وبوله حسنات
فى ميزانه وفى رواية لابن ماجه وابن حبان عن تميم الدارى من ارتبط فرسا فى سبيل الله ثم عالج
علفه بيده كان له بكل حبة حسنة وتجنب فى فرسا مخالفا صدق قوائمه الثلثة من القوائم الاربعة فقد احمد ومسلم
والاربعة عن ابى هريرة انه عم كان يكره الشكال قال ابو داود والترمذى اى محجل اليد اليمنى
او الرجل اليسرى او العكس وقال النسائى محجل ثلثة قوائم مطلق واحدة او العكس وليس الشكال
الا فى الرجل ويؤيده ما رواه الطبرانى والحاكم والبيهقى عن عقبة بن عامر اذا اردت ان تغزو
فاشتر فرسا اغر محجلا مطلق اليد اليمنى فانك تسلم وتغنم وفى رواية احمد والترمذى وابن ماجه
والحاكم عن ابى قتادة خير الخيل الادهم الاقرح الارثم المحجل ثلث مطلق اليمنى فان لم يكن ادهم

فكميت على هذه الشية وفي النهاية ان الادهم الاسود والاقرح بالقاف الذي في جبهته بياض
يسير دون الغرة والارثم الذي انفه ابيض وشفته العليا والمحجل هو الذي يرتفع البياض
في قوايمه في موضع القيد ويجاوز الارساغ ولا يجاوز الركبتين لانها مواضع الاحجال
وهي الخلاخيل والقيود والكميت بضم الكاف هو الذي لونه بين السواد والحمرة يستوي فيه
الذكر والانثى ولا يتمناه اي الجهاد والعافية اوسع لاكثر العباد ويسئل الثبات
اي عند وجوبه او وجوده فورد لا تتمنوا لقاء العدو وفي رواية زيادة وسلوا الله العافية
وفي اخرى فانكم لا تدرون ما تبتلون به وقال عز وجل في مقام التوبيخ ولقد كنتم تمنون
الموت من قبل ان تلقوه فقد رايتموه وانتم تنظرون فان لقيتموه فاثبتوا وفي رواية
زيادة واكثروا ذكر الله وفي اخرى زيادة فان اجلبوا وضجوا فعليكم بالصمت النسائي
والحاكم والطبراني عن ابن عمر وفي رواية للحاكم عن جابر فاذا لقيتموهم فقولوا اللهم انت ربنا
وربهم ونواصينا ونواصيهم بيدك وانما تقتلهم انت ثم الزموا الارض جلوسا فاذا
غشوكم فانهضوا وكبروا ويكثر ذكره تعالى لقوله سبحانه تعالى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم
فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون وقد قال تعالى في الحديث القدسي ان عبدي
كل عبد الذي يذكرني وهو ملاق قرنه ويكف عن ذكر النساء اي ويمتنع عن تذكرهن و
الاولاد والاموال والاوطان وسائر تدبرهن وتفكرهن فهو يغيره اي يجبنه ويضعف
همته عما هو بصدده ومن هنا ورد الولد مجبنة ويغتنم الشهادة في سبيل الله فانه
من اكبر السعادة عند مولاه فورد ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا الاية اي بل
احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتيهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم
من خلفهم الا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع
اجر المؤمنين ان ارواح الشهداء في حواصل الطير اي اجوف طيور خضر تسرح اي تسير
وتاكل من الجنة حيث تشاء من غير منع لها وتاوي الى قناديل معلقة بالعرش ومع لها تعلق
بجسدها في القبر وامور الاخرة كلها مبنية على خرق العادة فلا ينبغي ان يستغربها اهل
الارادة والحديث رواه مسلم والترمذي عن ابن مسعود بزيادة فاطلع اليهم ربهم اطلاعة
فقال هل تشتهون شيئا قالوا اي شيء نشتهي ونحن نسرح في الجنة حيث شئنا فيفعل بهم ذلك
ثلث مرات فلما راوا انهم لم يتركوا ان يسئلوا قالوا يا رب نريد ان ترد ارواحنا في
اجسادنا حتى نرجع الى دار الدنيا فنقتل في سبيلك مرة اخرى فلما راى ان ليس لهم حاجة
تركوا وهذا معنى قوله ويودون الرجوع اي يتمنونه العود الى الدنيا لا لاستنهاء مرة

بعد

بعد اخرى وورد ما من احد يدخل الجنة يحب ان يرجع الى الدنيا الا الشهيد فانه يحب
ان يقتل مرة اخرى ابن حبان عن انس وفي رواية له عنه فانه يتمنى ان يرجع الى الدنيا فيقتل عشر
مرات لما يرى من الكرامة ويتمناها اي ويتمنى السالك الشهادة ولو كان في موطن العبادة
فهو سبب نيل منزلتهم اي حصول مرتبتهم وان مات اي المتمني على الفراش لان نية المؤمن خير من
عمله فعن معاذ من سال الله الشهادة مخلصا اعطاه الله تعالى اجر شهيد وان مات على فراشه
ولا يخرج المشتغل بتعهد الاهل اي العيال لاشتغال البال فلا يحصل معه الكمال في الحال و
لضيعة الاهل بمعيشة من تحصيل المال وقد ورد اذا احرم احدكم الزوجة والولد فعليه بالجهاد
الطبراني عن محمد بن حاطب وعن ابن المبارك وهو مع اخوانه في الغزو وتعلمون عملا افضل مما
نحن فيه قالوا لا نعلم ذلك قال انا اعلم ذلك رجل متعفف ذو عائلة قام من الليل فنظر الى
صبيانه نياما منكشفين فسترهم وغطاهم فعمله افضل مما نحن فيه وخدمة الابوين فهي مقدم
اي على الجهاد اذا لم يكن فرض عين فعن ابن عمر اذا كان الجهاد على باب احدكم فلا يخرج الا باذن
ابويه رواه ابن عدي ويخدم الغزاة اي يطبخ طعامهم ويغسل ثيابهم ويحفظ دوابهم و
لو كلبهم وهذا صادق على من يخدمهم وهو معهم كما ورد سيد القوم خادمهم ابن ماجة عن
ابي قتادة والخطيب عن ابن عباس ودى الحاكم في تاريخه والبيهقي عن سهل بن سعد ولفظه
سيد القوم في السفر خادمهم فمن سبقهم بخدمة لم يسبقوه بعمل الا الشهادة وفي رواية للطبراني
عن ابي هريرة افضل الغزاة في سبيل الله خادمهم الذي ياتيهم بالاخبار واخصهم عند الله
منزلة الصائم او يخلفهم ويخدم اهلهم ففي صحيح مسلم وابي داود عن ابي سعيد ايكم خلف
الخارج في اهله وماله بخير كان له مثل نصف اجر الخارج ويجهزهم اي يهيئ اسباب سفرهم
فورد من جهز غازيا حتى يستقل كان له مثل اجره حتى يموت او يرجع ابن ماجة عن عمر
ويعظم افراسهم جمع فرس فقد ورد الخيل معقود بنواصيها الخير الى يوم القيمة الاجر والمغنم
احمد والشيخان وغيرهما مما كاد ان يكون متواترا وفي رواية لاحمد عن جابر زيادة واهلها
معانون عليها فامسحوا بنواصيها وادعوا لها بالبركة وقلدوها ولا تقلدوها الاوتار
ويقودها بضم فكسر فتشديد اي يربطها ليوم اللقاء اي لوقت ملاقاة الاعداء قال تعالى واعدوا
لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم الاية ففي الكل
فضائل لارباب الشمائل ويتعلم الفروسية والمسابقة لامتحان الكرم اي الطبع المكرم في
المجاهدة والملاحقة فقد ورد احب اللهو الى الله تعالى اجراء الخيل والرمي ابن عدي عن ابن
عمر وقيل المراد بالكرم كرم النفس بان يكون كريم الطرفين اركبوا وانتضلوا وان تنتضلوا

احب الى الحديث الطبراني في الاوسط عن ابي هريرة لا سبق الا في خف او حافر او نصل احمد والاربعة عن ابي هريرة فالمراد بالخف الابل وبالحافر الفرس والبغل والحمار وبالنصل الرمي وفي رواية كانت المسابقة بين الصحابة بالخيل والابل والرجل والرمي ونحوه وبتعلمه فهو سنة وعن عقبة بن عامر مرفوعا الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي الا ان القوة الرمي احمد ومسلم وابو داود وابن ماجة ان الله تعالى يدخل بالسهم الواحد ثلثة نفر الجنة صانعه يحتسب به في صنعته الخير والرامي به ومنبله احمد والثلثة عن عقبة بن عامر من رمى بسهم في سبيل الله كان كمن اعتق رقبة ابن حبان عن كعب بن مرة وفي رواية النسائي عنه من بلغ العدو بسهم رفعه الله به درجة اما انها ليست كعتبة امك ولكن بين الدرجتين مائة عام ولا يترك اي الرمي لئلا ينسى فورد من ترك الرمي بعد علمه اي رغبة عنه كما في رواية فانما هي نعمة كفرها الطبراني وجماعة عن عقبة بن عامر وفي رواية ابن ماجة عنه فقد عصاني وفي رواية مسلم عنه فليس منا وفي رواية احمد والترمذي والبيهقي عنه فقد كفر الذي علمه وعن ابي هريرة رضي الله عنه من تعلم الرمي ثم نسيه فهي نعمة جحدها ابن النجار

الباب الخامس في التزوج والتخلي

اي التجرد عنه والتبري عنه اختيارا للتخلي واستيثارا للتخلي اعلم ان العلماء اختلفوا في فضل النكاح فبعضهم بالغ فيه حتى زعم انه افضل من التخلي لعبادة الله تعالى وعكس جماعة وقال الاخرون الافضل تركه في زماننا وقال بعضهم افضل من الجهاد لان الجهاد سبب اعدام الكافر والتزوج موجب ايجاد مؤمن وهذا كله اذا لم يكن هناك توقان النفس بتشوش الحال واما اذا كان فيتعين تحمل العيال والتوكل على الله المتعال في الاستقبال بسم الله الرحمن الرحيم الذي هو رحمته شاملة للتخصيص والتعميم في النكاح فوائد كثيرة ومنافع شهيرة ذكر ههنا احد عشر حفظ النفس من الشيطان اي صيانتها عن وسوسته واغوائه فورد من تزوج فقد احرز شطر دينه تمامه فليتق الله في الشطر الثاني وفي رواية في الشطر الاخر ابن جوزي في العلل من حديث انس بسند ضعيف وهو عند الطبراني بلفظ استكمل نصف الايمان وفي المستدرك وصحح اسناد بلفظ من رزقه الله امراة صالحة فقد اعانه على شطر دينه وهذا لان حفظ اصل الدين غالبا يتعلق نصفه بقضاء شهوة البطن ونصفه بقضاء شهوة الفرج وقال ابن عباس لا يتم نسك الناسك حتى تزوج وكان ابن مسعود يقول لو لم يبق من عمري الا عشرة ايام لاحببت ان اتزوج لكيلا القى الله عزبا وماتت امراتان لمعاذ بن جبل في الطاعون وكان هو ايضا مطعونا فقال زوجوني فاني اكره ان القى الله عزبا وعن ابي هريرة مرفوعا شراركم عزابكم

وركعتان من متاهل خير من سبعين ركعة من غير متاهل ابن عدي ورواه احمد عن ابي ذر شراركم عزابكم واراذل موتاكم عزابكم وقد تزوج يحيى ع م ولم يجامع قيل انما فعل ذلك لينال الفضيلة من اقامة السنة وقيل بغض البصر وخوف الفتنة واما عيسى ع م فانه سينكح اذا نزل الى الارض ويولد له كذا في الاحياء والحاصل غلبة الشهوة محنة عامة قل ان يتخلص منها احد قال قتادة في قوله تعالى ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ان ذلك مع الغلبة وهي غلبة الشهوة وعن عكرمة ومجاهد انهما قالا في قوله تعالى وخلق الانسان ضعيفا انه لا يصبر على النساء وقيل في قوله تعالى وان تصبروا خير لكم ان الصبر على النساء ايسر من الصبر عليهن والصبر عليهن ايسر من الصبر على النار وقال ابن نجيح اذا قام ذكر الرجل ذهب ثلثا عقله وبعضهم يقول ذهب ثلث دينه وفي نوادر التفسير عن ابن عباس ومن شر غاسق اذا وقب قيام الذكر وفي دعائه ع م اللهم اني اعوذ بك من شر سمعي وبصري وقلبي ومنيي ابو داود والنسائي والترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث شكل بن حميد وقال اسئلك ان تطهر قلبي وتحفظ فرجي البيهقي في الدعوات من حديث ام سلمة وقد امر رسول الله صلى الله ع م كل من وقع بصره على امراة فتاقت اليها نفسه ان يجامع اهله لان ذلك يدفع الوسواس عنه رواه احمد من حديث ابي كبشة الانماري حين مرت به امراة فوقع في قلبه شهوة النساء فدخل فاتى بعض ازواجه وقال وكذلك فافعلوا فانه من اماثل اعمالكم اتيان الحلال واسناده جيد وفي رواية جابر انه ع م رأى امراة فدخل على زينب فقضى حاجته وخرج وقال ان المراة اذا اقبلت اقبلت في صورة شيطان واذا ادبرت ادبرت في صورة شيطان فاذا رأى احدكم امراة فاعجبته فليأت اهله فان معها مثل الذي معها رواه مسلم والترمذي واللفظ له وقال حسن صحيح وروي انه انصرف الناس يوما عن مجلس ابن عباس وبقي شاب لم يبرح فقال هل لك من حاجة قال نعم اردت ان اسأل عن مسئلة فاستحييت من الناس وانا الان اهابك واجلك فقال ابن عباس ان العالم بمنزلة الاب فما افضت به الى ابيك فافض به الي فقال اني شاب لا زوجة لي وربما خشيت العنت على نفسي فربما استمنيت بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس ثم قال اف وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا ويزيد الى الاربع ان لم يعتصم بواحدة وكان الاولى ان يقول ان لم يعتصم بالاقل وهذا لقوله تعالى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع والواو بمعنى او اي اثنين اثنين او ثلثة ثلثة او اربعا اربعا وعن ابن عباس خير هذه الامة اكثرها نساء يعني النبي ع م رواه البخاري وقال سفيان ابن عيينة كثرة النساء ليست من الدنيا لان عليا رض كان ازهد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له اربع نسوة وسبع عشرة سرية وقد نكح بعد فاطمة رض بسبع ليال

ويحكى عن ابن عمر وكان من زهاد الصحابة وعلمائهم انه كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما
جامع قبل ان يصلي المغرب ثم يغتسل ويصلي وروي انه جامع ثلثا من جواريه قبل العشاء في رمضان
قبل العشاء الاخيرة ويبذل باخرى ان تنفر الطبع فان المقصود هو الاعتصام بالشرع ويقال كان الحسن
ابن علي كان منكاحا نكح زيادة على مائتي امراءة وكان ربما عقد على اربع في عقد وربما طلق اربعا
في وقت واحد واستبدل بهن وزيادة الرغبة في لذة الجنة فلذات الموت انموذج بضم الهمزة
والميم معرب نمونه اي عينة تدل على صفة بينة وقد اكثر الله تعالى في كتابه مدح الحور عين والازواج
المطهرة في ذلك المكان الامين وقطع الملالة الحاصلة من دوام العبادة وذلك بترويح
النفس وايناسها بالمجالسة والنظر والملاعبة والمؤانسة ولذا قال تعالى ليسكن اليها فالنفس اذا
كلفت المداومة بالاكراه على المخالفة جمحت وتأبت واذا روحت باللذات في بعض الاوقات قويت
ونشطت ومنه كلميني يا حميرا وعن علي رضي الله عنه روحوا القلوب عن الذكر فانها اذا ذكرت عميت
ففي الاستيناس بالنساء من بين الناس من الاستراحة عن الوسواس ما يزيل الكرب ويفرج القلب و
ينشط لذكر الرب فينبغي ان يكون لنفوس ارباب العبادات استراحات الى المباحات وفي الخبر على العاقل
ان يكون له ثلث ساعات ساعة يناجي فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها للمطعم
والمشرب اي وما يقتضيه انسه والحديث رواه ابن حبان من حديث ابي ذر في حديث طويل انه ذلك في صحف
ابراهيم وفي لفظ آخر لا يكون العاقل العامل ظاعنا الا في ثلث تزود لمعاد او مرمة لمعاش
او لذة في غير محرم رواه ابن حبان في حديث ابي ذر طويل ان ذلك في صحف ابراهيم فورد لكل شرة
بكسر معجمة وتشديد راء اي كد وجد في طاعة ونشاط ورغبة في حاجة فترة اي كسل وملالة
وغفلة ونفرة ووقفة للاستراحة فمن كان فترته من الفرض الى سنتي فقد اهتدى احمد والطبراني
من حديث عبد الله ابن عمرو رواه البيهقي ومن كانت الى غير ذلك فقد هلك وللترمذي نحوه
من حديث ابي هريرة وقال حسن صحيح ولفظه لكل عامل شرة ولكل شرة فترة الحديث وللترمذي عن ابي هريرة
ان لكل شيء شرة ولكل شرة فترة فان صاحبها سدد وقارب فارجوه وان اشير اليه بالاصابع
فلا تعدوه والحاصل ان لكل نشاط في العبادة ابتداء يكون كسلا فيها انتهاء او اثناء فينبغي
للسالك ان يصرف تلك الفترة الى عبادة اخرى او شهوة مباحة موافقة للسنة من النساء و
غيرها ولذا قال وهو اي قطع الملالة بمصاحبة النساء لا يعم لجميع السالكين لانقطاعها اي
الملالة للبعض اي بعض العاملين بالماء اي الجاري والبستان اي المشتمل على الخضرة فعن ابن عمر مرفوعا
ثلث يجلين البصر النظر الى الخضرة والى الماء الجاري والى الوجه الحسن اخرجه الديلمي وعن علي ايضا
بمعناه وعن ابن عباس انه عم كان يعجبه النظر الى الخضرة والماء الجاري ابو نعيم وابن السني وفي روايتهما

عن علي كان يعجبه النظر الى الاترج والى الحمام الاحمر وللترمذي عن معاذ انه عم كان يستحب الصلوة
في الحيطان اي البساتين المشيرة الى الجنان وفراغ القلب اي لذكر الرب من تدبير البيت للعبادة
كما هو جار في العادة من شغل الطبخ والكنس والفرش للمباني وتنظيف الاواني وتهيئة الاسباب
المعيشة المعينة للمعاني وفي الحديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ وقد فسر
قوله تعالى ربنا آتنا في الدنيا حسنة في الدنيا بالمراءة الصالحة وفي الآخرة حسنة بالحور عين وقنا
عذاب النار بالمراءة السليطة وقيل في تفسير قوله تعالى فلنحيينه حيوة طيبة اي بزوجة صالحة
وعنه عم ليتخذ احدكم قلبا شاكرا ولسانا ذاكرا او زوجة صالحة مؤمنة تعينه على آخرته
الترمذي وحسنه وابن ماجة من حديث ثوبان فورد زوجاتي اعواني على الطاعة الخطيب في التاريخ
من حديث ابن عمر ولفظه فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته عونا له على المعصية وازواجي
اعوان لي على الطاعة وكان شيطانه كافرا وشيطاني مسلم لا يأمر الا بخير وهو اي الفراغ المذكور
يخص لمن يدبر فيه اي في البيت بنفسه لعجزه ولا يشوشه حق الزوجية في امره وكثرة العشرة ليدفع بهم الشر
اي ضرر اهل الفساد ومنازعة اهل العناد فيسلم اي فارغ القلب في طلب الخير ولذا قيل ذل من
لا ناصر له والرياضة اي تهذيب النفس بالقيام بحقوقهن اي من نفقتهن وكسوتهن واحتمال
جفائهن من اذائهن وبلائهن والصبر على سوء اخلاقهن والسعي في اصلاح احوالهن وارشاد
هن الى طريق الدين واكمالهن والقيام بتربية الاولاد وصيانتهم عن الفساد وفي كل هذه الاحوال
فضائل عظيمة وشمائل وسيمة فانها رعاية وولاية وحماية وقد ورد كلكم راع وكلكم مسئول
عن رعيته متفق عليه من حديث ابن عمر ويوم من وال عادل افضل من عبادة سبعين سنة الطبراني
والبيهقي من حديث ابن عباس فورد فيمن احتملها كان معي في الجنة لم ار مخرجه وفي بعض الحواشي
من تحمل كلمات جفاء اهله فله ثواب سبعين شهيدا وفي رواية من تحمل من امراته كلمة واحدة
اعطاه ثواب الف شهيد ودفع عنه ظلمة قبره وضيقه وذكر في الاحياء ان في اخبار الانبياء
ان قوما دخلوا على يونس فاضافهم فكان يدخل في منزله ويخرج فتؤذيه امراته فتستطيل عليه
وهو ساكت فتعجبوا من ذلك فقال لا تعجبوا فاني سألت الله فقلت ما انت معاقبي في الآخرة
فعجله في الدنيا فقيل ان عقوبتك بنت فلان فتزوج بها وانا صابر على ما ترون منها
وهو اي الارتياض يخص بالمبتدي لاحتياجه الى الرياضة اي تهذيب النفس عن الاخلاق
الذميمة وبظاهر العمل اي ويخص ايضا بالذي من اهل العمل الظاهر فالانفاق اولى في حقه
لانه متعد اي نفعه والعمل الظاهر نفعه قاصر ومن هنا قال عم ما انفق الرجل على اهله فهو
صدقة الشيخان عن ابن مسعود وان الرجل ليوجر في رفع اللقمة الى في امرأته الشيخان عن سعد

ابن ابي وقاص بخلاف عمل الباطن فعمله اشرف لانه علم ومعرفة وحال العصوص مع الرب و
هو مقام حال ولكنه نادر بين الرجال ولذا ورد اكثر الاحاديث في مدح الاعمال منها قوله
عم ان الله يحب الفقير المتعفف ابا العيال ابن ماجة من حديث عمران بن حصين وقوله اذا كثرت
ذنوب العبد ابتلاه الله بالحزن ليكفرها احمد من حديث عائشة وقوله من الذنوب ذنوب لا يكفرها
الا الهم لطلب المعيشة الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية من حديث ابي هريرة وقال بعض
العلماء عمل الابدال كسب الحلال والنفقة على العيال والولد وهو المقصود الاصلي من هذا الحكم
الشرعي ففيه اي ففي تحصيل الولد بالنكاح اربعة امور محبة تعالى اي محبة بتحصيل حكمة وهي بقاء
جنس الانس في مملكته وفي ارادته والتحرز عن تعطيل الاعضاء من المقاصد التي خلقت لتلك
الاشياء فكل عضو من بني آدم صالح لطاعة فاللسان للذكر والقلب للفكر والاذن للاستماع
والعين للنظر واليد للبطش والرجل للسعي وفي الاحياء هذا ادق الوجوه وابعدها عن افهام
الجماهير واقواها عند ذوي البصائر النافذة في عجائب صنع الله تعالى ومجاري حكمته وبيانه
ان السيد سلم الى عبده البذر وآلات الحرث وهيأ له ارضا مهيأة للحراثة وكان العبد قادرا
على الحراثة ووكل به من يتقاضاه عليه فان تكاسل العبد وعطل آلة الحرث وترك البذر ضايعا
حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من الحيل كان مستحقا للمقت والعتاب عن سيده فالله سبحانه
خلق الزوجين وخلق النطفة في الفقار وهيأ له في الانثيين عروقا ومجاري وخلق الرحم
قرارا ومستودعا للنطفة وسلط تقاضي الشهوة على كل واحدة من الذكر والانثى فهذه الافعال
والآلات تشهد بلسان ذلق في الاعراب عن مراد خالقها وتنادي ارباب الالباب لتعريف ما اعد له هذه
الاسباب هذا ان لو لم يصرح الخالق على لسان رسوله عم بالمراد فكيف وقد صرح بالامر فكل ممتنع
عن النكاح معرض عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل لما خلق الله تعالى من الآلة المعدة وجان على مقصود
الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء بخط الهي ليس برقم حروف
واصوات يقرؤها كل من له بصيرة ربانية نافذة في ادراك دقائق الحكمة الازلية انتهى
ولا يخفى ما ورد من امر الشارع حيث قال تعالى وانكحوا الايامى منكم والصالحين من عبادكم
وامائكم وورد من استطاع منكم الباءة فليتزوج فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن
لا يستطع فان الصوم له وجاء متفق عليه من حديث ابن مسعود من كان ذا طول فليتزوج
ابن ماجة من حديث عائشة من ترك التزويج مخافة العيلة فليس منا الديلمي من حديث ابي سعيد
وللدارمي في مسنده والبغوي في معجمه ولعله مقتبس من قوله تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله
من فضله والله واسع عليم وقد ورد التمسوا الرزق بالنكاح الديلمي وغيره عن ابن عباس

مرفوعا

مرفوعا وللثعلبي عن ابن عجلان ان رجلا اتى النبي صلى الله عم فشكى اليه الحاجة والفقر فقال
له عليك بالباءة اي النكاح والله تعالى يقول في كتابه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله
واما الذي يدور على السنة العوام تزوجوا فقراء يغنكم الله فانما هو معناه وروى
الديلمي والبزار والدارقطني في العلل والحاكم وابن مردويه من حديث عائشة تزوجوا النساء
فانهن يأتين بالمال وعن الحسن بن علي رض رايت الغنى في النكاح والطلاق اما النكاح فقوله
تعالى ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله واما الطلاق فقوله تعالى وان يتفرقا يغن الله كلا
من سعته وقد قيل في حق بشر انه تارك للسنة فقال انا مشغول بالفرض عن السنة فعوتب عنه
اخرى فقال ما يمنعني عن التزوج الا قوله تعالى ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف ومحبته عم
بالاستنان اي بالعمل بالسنة فورد النكاح سنتي تمامه فمن احب فطرتي فليستن بسنتي ابو يعلى
من حديث ابن عباس بسند حسن وفي رواية الشيخين عن انس فمن رغب عن سنتي فليس مني و
تكثير الامة التي يكثر فيهم الائمة فورد تناكحوا تكثروا فاني اباهي بكم الامم اي في الكثرة يوم
القيمة ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عمر وعبد الرزاق في جامعه عن سعيد بن ابي هلال
مرسلا وفي رواية تناكحوا تناسلوا اباهي بكم يوم القيمة وفي رواية ابي داود والنسائي والبيهقي
وغيرهم من حديث معقل بن يسار مرفوعا تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم و
لاحمد والبيهقي وصححه ابن حبان والحاكم عن انس كان رسول الله صلى الله عم يامر بالباءة وينهى عن
التبتل نهيا شديدا ويقول تزوجوا الودود الولود فاني مكاثر بكم الامم يوم القيمة ولو
بالسقط وهو الولد الذي خلق بعضه وقد ذكر البيهقي هذه الزيادة في المعرفة عن الشافعي انه
بالغه وبركة الدعاء ان بقي اي الولد بعده اي بعد والده فعده عم من العمل الباقي
بعد الموت حيث قال كل عمل ابن آدم ينقطع الا من ثلثة فذكر فيه ولد صالح يدعو له رواه
مسلم من حديث ابي هريرة والشفاعة اي وبركة الشفاعة ان مات الولد قبله اي قبل والده فقد
قيل نعم الولد ان عاش نفع وان مات شفع فورد ان الطفل يجر بابويه الى الجنة ابن ماجة من
حديث علي وقال السقط بدل الطفل وله من حديث معاذ ان الطفل ليجر امه بسرره الى
الجنة وفي صحيح مسلم من حديث ابي هريرة يأخذ بثوبه كما ان الان آخذ بثوبك وورد ان ايضا
ان المولود يقال له ادخل الجنة فيقف على باب الجنة فيظل محبنطا اي ممتلئا غيظا وغضبا و
يقول لا ادخل الجنة الا وابواي معي فيقال ادخلوا ابويه معه الجنة ابن حبان في الضعفاء
من رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن جده وللنسائي من حديث ابي هريرة يقال لهم ادخلوا الجنة فيقولون
حتى يدخل اباؤنا فيقال ادخلوا الجنة انتم واباؤكم واسناده جيد وقد قيل في تفسير قوله

تعالى نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم وقدموا لانفسكم تقديم الاطفال للآخرة و آفات اى كثيرة ذكر منها ثلث كسب الحرام فالمعيل يضطر اليه اى الى كسبه واكله للتوسع فى المطعم وورد فيه اى فى حق كسب الحرام لعياله انه هو الذى اكل عياله حسناته قال فى الاحياء فى الخبر ان العبد ليوقف عند الميزان وله من الحسنات امثال الجبال فيسأل عن رعاية عياله والقيام بهم وعن ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه حتى يستفرغ بتلك المطالبات كل اعماله فلا يبقى له حسنة فتنادى الملائكة هذا الذى اكل عياله حسناته فى الدنيا وارتهن اليوم بعمله قال العراقى لم اجد له اصلا وقال بعض السلف اذا اراد الله بعبد شرا اسلط عليه فى الدنيا انيابا تنهشه يعنى العيال وفوات الحقوق اى الزوجية بالقصور عن القيام بحقوقهن وعدم الصبر على اخلاقهن وعدم احتمال الاذى عنهن فوزر كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول ابو داود والنسائى بلفظ من يقوت وهو عند مسلم بلفظ آخر وروى ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الآبق لا يقبل الله له صلوة ولا صياما حتى يرجع اليهم ومن يقصر عن القيام بحقهن وان كان حاضرا فهو هارب عنهن وقال تعالى قوا انفسكم واهليكم نارا امرنا ان نقيهم النار كما نقى انفسنا والانسان قد يعجز عن القيام بحق نفسه فاذا تزوج تضاعف عليه الحق وانضاف اليه نفس اخرى والنفس امارة بالسوء واذا كثرت كثر السوء غالبا ولذلك اعتذر بعضهم عن التزوج فقال انا مبتلى بنفسى فكيف اضيف اليها نفسا اخرى • شعر •

لم تسع الفارة فى جحرها • علقت المنكس فى دبرها • وكان نفسينا نعو شر • يا حبذا الغربة والمتاح • ومسكن تخرقه الرياح • لا صخب فيه ولا صياح •

والشغل عنه تعالى بتدبير المعيشة ومنه قوله تعالى شغلتنا اموالنا واهلونا فاستغفر لنا وجمع المال فى الحال والادخار للاستقبال والتفاخر بالتكاثر بالاموال والاولاد بين الرجال وكلما شغل عن الله تعالى فهو مذموم فى الحال والمآل ومن هنا قال بعض الفضلاء ضاع العلم فى افخاذ النساء وقال ابن ادهم من تعود افخاذ النساء لم يجئ منه شئ اى من مقامات الاولياء وقال ابو سليمان من تزوج ركن الى الدنيا اى واشتغل عن المولى وعن زاد العقبى والاستغراق بالتمتع اى الانتفاع بالنساء والموانسة اى بالاجتماع معهن فى المكالمة والمجالسة اذا عرفت ذلك مترتب بين الفوائد والآفات هنالك فان تحققت الفائدة بجميع افرادها وانتفت الآفة بتمام موادها يتعين النكاح لمن قدر عليه بان كان له مال حلال وخلق حسن وجد فى الدين بان لا يشغله النكاح عن الله تعالى وهو مع ذلك شاب يحتاج الى تسكين الشهوة ومنفرد يحتاج الى تدبير المنزل والمعيشة وان العكس بان انتفت الفائدة وتحققت الآفة يتعين التجرد فلا يميل اليه وان تقابلا اى الجنسان من الفوائد والآفات يأخذ بالراجح من الحالات ففوات الشغل به تعالى وطيب اللقمة اخف من فوات الولد بترك النكاح

وصورته ان شخصا اذا تزوج يفوته الشغل بالمولى ويقع فى لقمة الحرام من كسب الدنيا لكن يحتمل انه يحصل الولد له فينفعه فى العقبى فالراجح عدم التزوج لانه اى وجود الولد على الفرض والتقدير لا يجبرهما اى لا يفى بمقابلة فوت الشغل وطيب اللقمة ولانه اى الولد موهوم وجوده وهما اى فوتهما ناجزان اى نقد كل واحد فى مرتبة شهوده وكذا الزنا اى وقوعه اخف من كسب الحرام وصورته ان شخصا اذا تزوج وقع فى كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع فى الزنا فالراجح التزوج لانه اى الزنا قتل حكمى بتحصيل الولد ليس من يقوم بحقه لان ولد الزنا كل احد يكرهه ولا اعتبار لنسبه وحسبه ولانه اى الزنا حرام لعينه اى لذاته مع عدم ملاحظة سائر جهاته والكسب اى لان كسب الحرام حرام لغيره اى لا لذاته بل لاجل انه تعلق به حق غيره والحاصل ان كسب الحرام اهون الشرين فى هذا المقام بخلاف النظر والهم اى القصد لفعل الزنا وصورته ان شخصا اذا تزوج وقع فى كسب الحرام واذا لم يتزوج وقع فى النظر والهم فالراجح عدم التزوج فيهما ليسا اخف من كسب الحرام بل هو اخف منهما لدوام الكسب اى بخلاف النظر والهم ولان كسب الحرام كبيرة وكل من النظر والهم صغيرة وسراية شره اى شر كسب الحرام الى الغير من الزوجة والولد ونحوهما وايضا النظرة زنا العين ولكن اذا لم يصدقه الفرج فهو اقرب الى العفو من اكل الحرام الا ان يخاف من افضاء النظر الى معصية الفرج فرجع ذلك الى خوف العنت بخلاف النظر والهم حيث لا يتعدى شرهما الى الغير فاذا ثبت هذا فالحالة الثالثة وهو ان يقوى على غض البصر لكن لا يقوى على دفع الافكار الشاغلة للقلب فالاولى ترك النكاح لان عمل القلب الى العفو اقرب فانما يراد فراغ القلب لعبادة الرب ولا يتم العبادة مع كسب الحرام واكله واطعامه فى العادة وعند الامن من الآفات فالاولى الجمع بينه اى بين التزوج وبين العبادة فانه اكمل الحالات وافضل المقامات وهو اى الجمع عند عظم القوة فى الدين كقوة النبوة والولاية فمن قويت شوكة همته وعلت صولة نهمته فلا يشغله شاغل عن ذكر الرب والتوجه الى حضرته كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته وان لم يقدر اى على الجمع بينهما فالنكاح لصاحب الظاهر اى لمن يشتغل بالعمل الظاهر اولى ومنهم ارباب العبادة والعزوبة لصاحب الباطن اى علمه ومنهم اصحاب المعرفة اولى كالمسيح عليه السلام وتحقيقه ما قال حجة الاسلام ان نبينا عليه السلام مع تنزهه عن الشهوة كان متخليا للعبادة ومتخليا لتجلى الحضرة فكان قضاء الوطر بالنكاح فى حقه عم غير مانع له من المرام كما لا يكون قضاء الحاجة فى حق العوام من المشغولين بتدبيرات الدنيا مانعا لهم من تدبيرهم حتى انهم يشتغلون فى الظاهر بقضاء حاجاتهم وقلوبهم مستغرقة بهم غير غافلة من مهماتهم فكانه عم لعلو ماله من الدرجة فى المقام

لا يمنعه اي هذا العالم عن حضور القلب مع الرب فكان ينزل عليه الوحي وهو في فراش امرأته
وحتى يسلم مثل هذا المنصب لغيره في حالته فلا ينبغي ان يقاس عليه من لا مناسبة له اليه واما عيسى
عليه السلام فانه بالجزم في طاعته لا بالقوة في حالته ولعل حالته كانت حالة يؤثر فيها الاشتغال
بالاهل والعيال او يتعذر منهم طلب الحلال ولا يتيسر له الجمع بين النكاح والتخلي للعبادة على
وجه الكمال فاثر التخلي للعبادة في عموم الاحوال وهم اعلم باسرار احوالهم واحكام اعصارهم في طلب
انوارهم فسبحان من اقام العباد فيما اراد ثم الاصل اي الذي عليه مدار العمل في النكاح والعزوبة
ونحوها ترك الشاغل عنه تعالى فقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر
الله ومن يفعل ذلك فاولئك هم الخاسرون فينظر اي يتفكر ويتأمل ويختار ما هو الاولى من النكاح
وتركه بحسب الباطن اي صفائه وصلاح القلب اي وضيائه ويجتهد للتخلي اي التجرد للعبادة
وباختيار العزبة في ترك الاغذية جمع غذاء وهي ما يتغذى به من غداء وعشاء تحرك الشهوة
اي تقويها من هريسة ونحوها وقطعها بالصوم الدائم فانه لها وجاء اي دواء كما تقدم
واصل الوجاء رض الخصيتين والاقتصاد اي وبالاختصار عند الافطار على التوسط
في الاكل وغض البصر عن المحرمات وهو بالاعتزال يحصل على وجه الكمال والا فيتعسر في جميع الاحوال
وورد وقل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم تمامه ويحفظوا فروجهم في عطف الجملة
الثانية اشارة الى ان مدارها على الاولى في المحافظة وجعل عليه السلام لكل عضو زنا فعن ابن
مسعود رض العينان تزنيان واليدان تزنيان والرجلان تزنيان والفرج يزني احمد والطبراني
هذا اي ضعف هذا او هذا مضى والنظر يهيج الوساوس اي فيفضي ذلك التعلق اي يبعثها
ويحرك الهواجس وربما يتعلق القلب بالمنظور اليه ويتعذر الوصول عما لديه فيفضي ذلك
التعلق الى التعب الشديد بما يستوفي القلب من التعلق بالمطلب ويمنعه بالكلية عن ذكر الرب
فعن عيسى عليه السلام انه قال اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب الشهوة كفى بها لصاحبه فتنة ولقد
احسن القائل من اهل الفضائل حيث قال شعر • وانت اذا ارسلت طرفك رائدا • اي قاصدا •
لقلبك يوما اتعبتك المناظر • رأيت الذي لا كله انت قادر • عليه ولا عن بعضه انت صابر.
وايضا كل عضو يصلح لنعمة اخروية فالرجل للمشي في رياض الجنة وقصورها واليد لكاس الشراب
من طهورها وتناول ثمارها وحورها فالعين للقائه تعالى تحقيق ان تصان اي تحفظ عما ليس
في رضائه تعالى ولله در القائل • كيف ترى ليلى بعين ترى بها • سواها وما طهرتها بالمدامع •
ويلتذ منها بالكلام وقد جرى • حديث سواها في حروف المسامع • ثم الصواب اي الطريق الاعدل
للمتخلي في الكف اي كف النظر وامتناع البصر ان قدر على ذلك والا فالنجاء اي الفرار عما

هالك

هالك ولا اثم ان فقد القصد في النظر فورد اي انه عليه السلام قال لعلي لك الاولى وعليك
الثانية اي لك النظرة الاولى مباحة من غير قصد وعليك ضرر الثانية اذا كانت عن
قصد والضرر اي ضرر النظر في الامرد الرشد اي اقوى من المرأة لامتناع الوصول في الشرع وزيادة
القبح في العرف والفرع ويراعي المتزوج الاعتدال في الوقاع اي الجماع وهو في كل اربع
من الايام والليالي كما سيأتي فالافراط يقهر العقل اي يغلبه بصرف الهمة اي تمامها الى
التمتع بالشهوة ونظامها ويحرم عن المقصود الذي هو القيام بالعبادة ويفضي الى تناول
الاشياء المقوية للشهوة من المعاجين والادوية المركبة والمفردة وهواي [illegible]
السبع الضاري اي الصائل على من يقربه والراحة البعد عنه او القرب اليه مع نومه والعشق
اي ويفضي اليه وهو اي العشق المعبر عنه بفرط المحبة يجعله اضل من الانعام حيث لا يفرق بين
الحلال والحرام وربما يصير مجنونا فيما بين الانام وانما قال اضل منها لانها تقضي بعضا
شهوتها في اي محل كان من نهمتها وهذا الضيق عقله لا يرضى الا في غير محله ويحصر موضع قصده
ولا يميل ابدا الى غيره ويبلغ عطف على يراعي اي ويوصل الخطبة بالكسر اي الرسالة باظهار الرغبة
لكن لا في حال عدة المرادة ولا في حال سبق غيره بالخطبة اذ نهى عن الخطبة على الخطبة في الصحيحين
من حديث ابن عمر ولا يخطب على خطبة اخيه حتى يترك الخاطب قبله او يأذن له وان كان تزوجها
للولي بان كانت صغيرة وينظرها اي يرى وجه المخطوبة قبله اي قبل العقد تقريبا للالفة فيستحب
النظر اليها فانه احرى ان يؤلف بينهما ففي الخبر اذا اوقع الله في نفس احدكم من امرأة فلينظر اليها
ابن ماجة بسند ضعيف من حديث محمد بن سلمة وللترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة من حديث
المغيرة بن شعبة انه خطب امرأة فقال له النبي عليه السلام انظر اليها فانه احرى ان يؤدم بينكما وفي
صحيح مسلم من حديث ابي هريرة ان في اعين الانصار شيئا فاذا اراد احدكم ان يتزوج منهن فلينظر
اليهن قيل كان في اعينهن عمش وقيل صغر او صفرة وكان من الورعين من لا ينكح كريمته الا
بعد النظر احترازا من الغرور وعملا بالخبر وقال الاعمش كل تزويج يقع على نظر فاخره هم وغم
ولعل وجه الاكتفاء بالنظر لان الغالب اجتماع حسن الخلق والخلق فان الظاهر عنوان الباطن
وللنسائي من حديث ابي هريرة بسند صحيح خير نسائكم التي اذا نظر اليها زوجها سرته واذا امرها
اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسه وماله وفي رواية ولا تخالفه في نفسها ولا في مالها
ويعقد في المسجد مع احضار جمع من اهل الصلاح في المشهد فورد اجعلوه اي عقد النكاح
في المساجد رواه ابن ماجة عن عائشة مرفوعا بسند حسن وابن حبان من حديث عمرو بن امية الضمري
بلفظ اعلنوا النكاح واجعلوه في المساجد واضربوا عليه بالدف وفي شوال فقد تبادر

قوله من شوال ان عطف على في المساجد فيكون الامر به واردا وليس كذلك بل هو عطف
على في المساجد اي ويعقد في شوال ردا على من كره العقد بين العيدين ففيه اي في شوال
كان نكاح عائشة رضي الله عنها اي عقدها وزفافها اي وصولها ففي صحيح مسلم عن عائشة
تزوجني رسول الله صلى الله عم في شوال وبنى بي في شوال ويقدم الخطبة بالضم التي هي المعروفة
في السنة وهي الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن
سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له واشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله يا ايها الناس اتقوا ربكم
الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا
الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا
سديدا يصلح لكم اعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما رواه
الاربعة والحاكم وابو عوانة عن ابن مسعود والتحميد والصلوة اي على النبي عم في كل من الايجاب
والقبول فيقول المزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله زوجتك ابنتي فلانة
على صداق كذا فيقول الزوج الحمد لله والصلوة على رسول الله قبلت نكاحها لنفسي على
على هذا الصداق ولا تزوج اي امراة لعزها اي جاهها ومالها وجمالها فورد تنكح المراة
لمالها وجمالها وحسبها ودينها فعليك بذات الدين متفق عليه من حديث ابي هريرة ففيه وعيد
وهو من نكح المراة لمالها وجمالها حرم مالها وجمالها ومن نكحها لدينها رزقه الله مالها
وجمالها كذا في الاحيا ورواه الطبراني في الاوسط من حديث انس من تزوج امراة لعزها لم يزده
الله الا ذلا ومن تزوجها لمالها لم يزده الله الا فقرا ومن تزوجها لحسبها لم يزده الله الا دناءة و
من تزوج امراة لم يرد بها الا ان يغض بصره ويحصن فرجه او يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك
لها فيه ورواه ابن حبان في الضعفاء ولا تنكح المراة لجمالها فلعل جمالها يرديها ابن ماجة من حديث
عبد الله بن عمرو بسند ضعيف ويختار المتدينة لئلا تفسد الدين على زوجها فورد عليك بذات
الدين كما تقدم والحسنة الخلق بضم اي السيرة فانها احسن من الحسنة الخلق بالفتح وهو الصورة ليحصل
الفراغ اي فراغ الخاطر وهذا اصل مهم في الدين والدنيا بحسب الباطن والظاهر والجميلة اي
الحسنة الصورة فالصيانة فيها اي فهذا النوع اكثر والقناعة فيه اظهر وقد اخرج الحكيم الترمذي في نوادره
ان زكريا عم تزوج فتاة جميلة رايعة قد اشرق لها البيت حسنا فقيل له في ذلك فقال اكف بها بصري
واحفظ بها فرجي والممنوع على ما تقدم هو الاكتفاء بالجمال مع قطع النظر عن صلاح الدين والكمال

الا ان يكون استثناء من قوله ويختار الجميلة زاهدا اي غير راغب في لذات الدنيا فيعرض عنه لانه
من الدنيا بل اكبر لهواتها واعظم شهواتها ولانه يقل مؤنة غير الجميلة وافاتها وكان مالك بن دينار
يقول يترك احدكم ان يتزوج يتيمة فقيرة فيوجر فيها ان اطعمها وكساها وتكون خفيفة المؤنة
ترضى باليسير ويتزوج بنت فلان وفلان يعني ابناء الدنيا فتشتهي عليه الشهوات فتقول اكسني كذا وكذا
وقال ابو سليمان الداراني الزهد في كل شيء حتى في المراة تزوج الرجل العجوز ايثارا للزهد في الدنيا واختار
احمد بن حنبل عوراء على اختها وكانت اختها جميلة فسال عن اعقلها فقيل العوراء فقال زوجوني اياها
وقليلة المهر فورد خير النساء ارخصهن مهورا ابن حبان من حديث ابن عباس ولفظه خيرهن ايسرهن
صداقا وعن المراة خفة مهرها ويسر نكاحها ابن حبان من حديث عائشة يمن المراة تسهيل امرها وقلة
صداقها اي مهرها وقد جعل صداق فاطمة اربعمائة درهم وهي افضل النساء من جهة النسب
والحسب اجماعا وحسن خلقها بضم الضم والفتح وهو اظهر لما روى ابو عمرو النوقاني ان اعظم النساء
بركة اصبحهن وجوها واقلهن مهورا ولفظ الاحيا ارخصهن مهورا واحسنهن وجوها
ولاحمد والبيهقي ان اعظم النساء بركة ايسرهن صداقا واسناده جيد وفي لفظهما من حديث عائشة من
يمن المراة ان تتيسر خطبتها وان يتيسر صداقها وان تتيسر رحمها قال عروة يعني للولادة واسناده جيد
وورد انه عم تزوج بعض نسائه على عشرة دراهم واثاث بيت وكان رحى يد وجرة ووسادة من ادم
حشوها ليف كذا في الاحيا وقال العراقي رواه ابو داود والطيالسي والبزار من حديث انس تزوج رسول
الله صلى الله عم ام سلمة على متاع قيمته عشرة دراهم قال البزار وراينه في مواضع اخر تزوجها
على متاع بيت ورحى قيمتها اربعون درهما ورواه الطبراني في الاوسط ولاحمد من حديث على لما زوج
فاطمة بعث معها بخميلة ووسادة ادم حشوها ليف ورحيين وسقاء وجرتين ورواه ابن
حبان والحاكم وصحح اسناده وابن حبان مختصرا وكان عمر ينهى عن المغالاة ويقول ما تزوج رسول
الله ولا زوج بناته باكثر من اربعمائة درهم رواه اصحاب السنن الاربعة وصححه الترمذي
وقد تزوج عبد الرحمن بن عوف على وزن نواة من ذهب وتقويمها خمسة دراهم واصل الحديث
متفق عليه من حديث انس وزوج سعيد بن المسيب ابنته عبد الله بن وداعة على درهمين ثم
حملها هو اليه ليلا فادخلها من الباب ثم انصرف فجاء بعد سبعة ايام يسلم اليها والولود
لان الولد هو المقصود اي الاعظم من النكاح وهو التناسل كما تقدم وورد عليكم بالولود رواه
ابو داود والنسائي من حديث معقل بن يسار تزوجوا الولود واسناده صحيح وللبيهقي
باسناد صحيح عن سعيد بن يسار مرسلا وحينئذ فحكم الولود الولود ولابن حبان
من حديث بهز بن حكيم سوداء ولود خير من حسناء لا تلد وعن عمر لحصير في ناحية البيت خير

من امراة لم تلد والبكر فورد هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك متفق عليه من حديث جابر و
قد نكح ثيبا وفيها شدة المحبة والالفة لما فيهما من عدم الخلطة والكلفة والثيب ببعض
صفات في الزوج الثاني تخالف ما الوفاتها وتباين ما كانت تلقى من ازواجها من معروفاتها وبميل
طبعها الى الاول كما قيل شعر ما الحب الا للحبيب الاول ولذا قيل المراة التي تزوجت بمتعدد تكون
في الجنة مع الاول وقيل مع الثاني وقيل مع احسنهما خلقا وهو الاظهر ويشغل الزوج الثاني
لو ذكرته اي الزوج الاول ببعض محاسنه كما في العكس والنسيبة الكاشية من اهل الدين كبنات العلما
والاشراف والصلحاء دون الظلمة والامراء وسائر الاغنياء ليسري الصلاح الى الولد فان
الولد سرابيه فورد ايكم وخضراء الدمن وتمامه فقيل وما خضراء الدمن قال المراة الحسنا
في المنبت السو الدارقطني في الافراد من حديث ابي سعيد الخدري فقوله اي الحسنا من منبت السو من اصل
الحديث لا من تفسير المص فذكر صاحب التحفة العروس عن عمر مرفوعا ولفظه ايكم وخضراء الدمن
فانها تلد مثل اصلها وعليكم بذات الاعراق فانها تلد مثل ابيها وعمها واخيها والدمن جمع
دمنة بكسر الدال المهملة وهي البعر شبهت المراة الحسناء الفاسدة بالنبات ينبت على البعر
في الموضع الخبيث فان ظاهره حسن وباطنه فاسد والاعراق جمع عرق والمراد به الاصل وقد
ورد تخيروا النطفكم ابن ماجة من حديث عائشة مختصرا والديلمي في مسند الفردوس من حديث
انس تزوجوا في الحجر الصالح فان العرق دساس وغير الغرابة الغريبة فهي تنقص الشهوة لان
ميل النفس غالبا الى الغريبة ولذا يضعف الشهوة بالنسبة الى القريبة ويقوى عند رؤية الاجنبية
فضعف الشهوة يستلزم الهزال في الولد وهذا معنى قوله ونهي عنه معللا بان الولد يخلق مهزولا
فعن عمر انه قال لال السائب قد اضويتم فانكحوا في النزائع رواه ابراهيم الحربي في غريب
الحديث وقال معناه تزوجوا الغرائب وقال اغتربوا لا تضووا وللطبراني من طلحة بن
عبيد الله الناكح في قومه كالمعشب في داره وفي اسناده سليمان بن ايوب بن سليمان الطلحي
قال ابن عدي عامة احاديثه لا يتابع عليها صدوروا يعقوب بن شيبة في مسنده وقال
احاديثه عندي صحاح ورجحها الضياء المقدسي في المختار ويجب الاجتناب عن الطويلة
المهزولة والقصيرة الذميمة بالمهملة اي القبيحة وبالمعجمة اي المذمومة والمسنة اي العجوز
الكبيرة والمكثارة اي الكثيرة الكلام وذات ولد اي من غيره ففي مسند الامام احمد عن حماد
عن ابراهيم قال اخبرني شيخ من اهل المدينة عن زيد بن ثابت انه جاء الى النبي عم فقال
له هل تزوجت يا زيد قال لا قال تزوج تستعف مع عفتك ولا تزوجن خمسا قال
ماهن قال لا تزوجن شهبرة ولا نهبرة ولا لهبرة ولا هيدرة ولا لفوتا قال زيد يا رسول الله

لا اعرف شيئا مما قلت قال بلى اما الشهبرة فالزرقاء البذية واما النهبرة فالطويلة
المهزولة واما اللهبرة فالعجوز المدبرة واما الهيدرة فالقصيرة الذميمة واما اللفوت
فذات الولد عن غيرك قال الشيباني فضحك ابو ح من هذا الحديث طويلا قلت والحديث رواه
الديلمي عن ابي هريرة وقال بعض العرب لا تنكح من النساء ستا لا امنانة ولا حنانة ولا براقة
ولا حداقة ولا شداقة فالانانة التي تكثر الانين والمنانة التي تمن على زوجها بخدمتها
او مالها والحنانة التي تحن الى زوج آخر او ولدها من زوج آخر والحداقة التي ترمي
كل شيء بحدقها فتشتهيه وتكلف الزوج بشرائه مما لا طاقة له فيه والبراقة التي تكون طول
نهارها في تصقيل وجهها وتزيين بدنها والشداقة الكثيرة الكلام ويحكى ان السايح الازدي
لقي الياس عم في سياحة فامره بالتزوج ونهاه عن التبتل وقال لا تنكح اربعا المختلعة والمبارية
والعاهرة والناشزة فالمختلعة هي التي تطلب الخلع في كل ساعة من غير سبب وعلة والمبارية
المباهية لغيرها المفاخرة بمالها والعاهرة الفاسقة والناشزة المرتفعة بنفسها على زوجها
والمخالفة في امرها ونهيها ثم رعاية تلك الاوصاف في الزوج اولى فان الطلاق بيد من
له الساق فالوقوع في تصرفه اوفى كما الحنفي وعن عائشة واسما بنتي الصديق رضي الله عنهم النكاح
رق فلينظر احدكم اين يضع كريمته قال البيهقي روى ذلك مرفوعا والموقوف اصح وورد من
تزوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها ابن حبان في الضعفاء من حديث انس ورواه الثقات
من قول الشعبي باسناد صحيح وروى ان بلالا وصهيبا اتيا اهل بيت من العرب فخطبا اليهم
فقيل لهما من انتما فقال بلال انا بلال وهذا اخي صهيب كنا ضالين فهدينا الله وكنا مملوكين
فاعتقنا الله وكنا عائلين فاغنانا الله فان تزوجونا فالحمد لله وان رددتمونا فسبحان الله
فقالوا بل تزوجان والحمد لله فقال صهيب لبلال لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله
فقد اسكت فقد صدقت فانكحك الصدق وكما يكره المغالاة في المهر من جهة المراة يكره
سؤال الرجل ايضا عن مالها قال الثوري اذا تزوج الرجل وقال اي شيء للمراة فاعلم انه لص
وقال رجل للحسن قد خطبت ابنتي جماعة فممن ازوجها قال ممن يتقي الله فانه ان احبها اكرمها
وان ابغضها لم يظلمها وعن علي رضي الله عنه شر خصال الرجل خير خصال النساء البخل والزهو
والجبن فان المراة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا كانت مزهوة استنكفت
ان تكلم كل احد بكلام لين مريب في عرضها وان كانت جبانة فرقت من كل شيء فلم تخرج من بيتها
قيل واذا كانت المراة حسناء خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء
اللون محبة لزوجها قاصرة الطرف عليه فهي على صورة الحور العين فان الله عز وجل وصف نساء

الجنة بهذه الصفات في قوله خيرات حسان اراد بالحسان حسن الاخلاق وفي قوله تعالى قاصرات
الطرف وفي قوله عربا اترابا فالعروب هي العاشقة لزوجها المشتهية للوقاع وبذلك
تتم اللذة والحور البيض والحوراء شديدة البياض العين شديدة سوادها في سواد الشعر و
العيناء الواسعة العين هذا وفي الحديث لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر بكم الامم
الطبراني والحاكم عن عياض بن غنم وللترمذي عليكم بشواب النساء فانهن اطيب افواها و
انتق بطونا اي ارحاما واسخن اقبالا ويهادي اي كل منهما صاحبه قبل التزوج او الرجل
لانه اولى ان يكون في هذا الفعل هو البادي فورد تهادوا تحابوا البخاري في كتاب الادب المفرد
والبيهقي من حديث ابي هريرة بسند جيد واذا اهدى شيئا فلا ينبغي ان يهدي ليضطرهم الى المقابلة
باكثر منه وكذا اذا اهدوا اليه فنيته طالب الزيادة فاسدة كما يشير اليه قوله تعالى ولا تمنن
تستكثر اي لا تعطي لتطلب اكثر ويولم اي يضع الوليمة وهي طعام العرس للنعماء الكريمة فهي
مروي عنه عم قولا وهو قوله عم لابن عوف اولم ولو بشاة مالك والجماعة عن انس والبخاري
عن ابن عوف وفعلا ففي البخاري من حديث عائشة اولم على بعض نسائه بمدين من شعير وفي السنن
الاربعة من حديث انس اولم على صفية بسويق وتمر ولمسلم فجعل الرجل يجيء بفضل التمر و
فضل السويق وفي الصحيحين التمر والاقط والسمن ويجعل بها في اليوم الاول سنة اي مؤكدة قريبة
الى الواجب وفي الثاني متعارف اي استحباب وفي الثالثة رياء اي وسمعة في ابي داود عن ابن مسعود
مرفوعا طعام اول يوم حق وطعام الثاني سنة وطعام الثالث سمعة للترمذي والمعنى اذا احدث
الله تعالى نعمة لعبد حق له ان يحدث شكرا واستحب ذلك في الثاني جبرا لما يقع من نقصان في اليوم فان
السنة مكملة للواجب واما اليوم الثالث فليس الا رياء وسمعة ومن هنا قالوا يجب الاجابة على المدعو
في الاول ويستحب في الثاني ويحرم في الثالث ثم يستحب التهنئة له بان يقول بارك الله لك وعليك
وجمع بينكما بخير كما رواه ابو داود والترمذي وصححه وابن ماجة عن ابي هريرة ولا يخطب
على خطبة اخيه وقد تقدم ما ورد من نهيه عم فهو ايذاء اي للمؤمن وهو حرام قال تعالى
والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا وورد
من آذى مسلما فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله تعالى الطبراني في الاوسط عن انس ويعلن اي
خطبة النكاح فان الخطبة يستحب اسرارها فورد اعلنوا النكاح تمامه واجعلوه في المساجد
واضربوا عليه بالدف الترمذي من حديث عائشة رض وحسنه وفي صحيح البخاري عن الربيع بنت
معوذ جاء رسول الله صلى الله عم فدخل علي غداة بني بي فجلس على فراشي وجويريات لنا
يضربن بدفوفهن ويندبن من قتل من آبائي الى ان قالت احديهن وفينا نبي يعلم ما في غد فقال

لها

لها اسكتي عن هذا وقولي ما كنت تقولين قبلها وللترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة من
حديث محمد بن حاطب فصل ما بين الحلال والحرام الدف والصوت اي فرق بينهما بحسب الظاهر
عند العامة فان العقد بحضرة الشهود غالبا يكون في كسر مع الخاصة وقال الفقهاء
المراد بالدف ما لا جلاجل له اذ وقع على خلاف القياس فيقتصر على مورده اذ لم يكن في
دف زمانه عم جلاجل وايضا في زيادة مستغنى عنها لحصول المقصود بدونها وينثر السكر
واللوز على رأسها وينتهب القوم فهو سنة فقد اخرج ابو جعفر الطحاوي بسنده وكذا البيهقي
عن معاذ بن جبل ان رسول الله صلى الله عم حضر املاك رجل من الانصار فجاءت الجواري معهن
الاطباق عليها اللوز والسكر فامسك القوم ايديهم فقال عليه السلام لم لا تنتهبون قالوا
انك نهيت عن النهبة قال اما العرسان فلا قال فرأيت رسول الله صلى الله عم يجاذبهم و
يجاذبونه واحتج به الطحاوي على ان النثار غير مكروه كما ذهب اليه ابو حنيفة ومضى به على الاحاديث
التي فيها النهي عن النهبة ويغسل الزوج رجليها ويرمي الماء في زوايا البيت ليحصل له البركة
لم اجد له اصلا وانما اخرج احمد في المناقب من حديث ابي يزيد المدني وقال فارسل النبي
الى علي اي بعد عقد فاطمة لا تحدث شيئا حتى آتيك فجاء النبي عم فدعا بماء فقال ما شاء الله ان يقول
ثم نضح منه على وجهه ثم دعا فاطمة فقامت اليه تعثر في ثوبها وربما قال في مرطها من الحياء
فنضح عليها ايضا وفي رواية ابن حبان عن انس انه عم لما زوج عليا فاطمة دخل البيت فقال
لفاطمة ائتني بماء فقامت الى قعب في البيت فاتت فيه بماء فاخذه ومج فيه ثم قال لها تقدمي
فتقدمت فنضح بين ثدييها وعلى رأسها وقال اللهم اني اعيذها بك وذريتها من الشيطان
الرجيم ثم قال لها ادبري فادبرت فصب بين كتفيها وقال مثل ما قال اولا ثم قال لعلي ائتني بماء
فاتي به فنضح بين ثدييه ثم قال اللهم اني اعيذه بك وذريته من الشيطان الرجيم ثم قال ادبر
فادبر فصب بين كتفيه ودعا بما تقدم ثم قال له ادخل باهلك بسم الله والبركة وينوي في
المباشرة اي الجامعة تحصين الفرج وكذا العين لقوله تعالى قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم
ويحفظوا فروجهم وتفريغ القلب اي عما يشغله عن ذكر الرب ويسمي في ابتداء الوقاع اي قبل
الجماع ويقرأ الاخلاص لم اجده الا في الاحيا من غير بيان الانباء ويسأله تعالى الذرية
الطيبة اقتداء بزكريا عم حيث قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء
ومجانبة الشيطان فهو مأمور به فروى الجماعة عن ابن عباس انه اذا اراد الجماع قال بسم الله
اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا فانه لو قضي بينهما ولد لم يضره وفي رواية
للبخاري لم يضره شيطان ابدا ولابن ابي شيبة عن ابن مسعود موقوفا قال واذا انزل قال اللهم

لا تجعل للشيطان فيما رزقتني سبيلا ومن آدابه ان ينحرف عن القبلة اكراما لها ويغطي نفسه
واهله بثوب فقد قال عم اذا جامع احدكم فلا يتجرد تجرد العيرين ابن ماجة من حديث عقبة بن
عبد بسند ضعيف ويقدم المكالمة والملاعبة والقبلة فالديلمي من حديث انس لا يقعن احدكم
على امرأته كما يقع البهيمة وليكن بينهما رسول قيل وما الرسول يا رسول الله قال القبلة و
الكلام ويجتنب الليل الاول والآخر من الشهر والوسط فهو في نسخة وهي اوقات حضور الشيطان
ويقال ان الشياطين يحضرون الجماع في هذه الليالي ويقال ان الشياطين يجامعون فيها وروي
كراهية ذلك عن علي ومعاوية وابي هريرة كذا في الاحيا واول الليلة اي اول كل ليلة ليكون
النوم على طهارة فانه اولى من ان يكون نومه على جنابة وان جامع فيها فينبغي ان يغتسل
او يتوضأ او يتيمم ثم يرقد ففي حديث عمر قلت للنبي صلى الله عم اينام احدنا وهو جنب قال
نعم اذا توضأ متفق عليه عن عائشة كان ينام جنبا لم يمس ماء ابو داود والترمذي وابن ماجة
ويلبث بعد الفراغ اي ويمكث الرجل بعد فراغه منه لتفرغ اي المرأة من انزالها فان انزالها
ربما يتأخر فتهيج شهوتها ثم القعود عنها يكون ايذاء لها ويباشر كل اربع ليال فهو
الاعدل اسند لاباحة الاربع فقد روي ان امرأة جاءت الى عمر رض وعنده كعب
ابن سور فقالت يا امير المؤمنين ان زوجي يصوم النهار ويقوم الليل وانا اكره ان اشكوه
فقال عمر نعم الرجل زوجك فرددت كلامها وعمر لا يزيدها على ذلك فقال كعب يا امير المؤمنين
انها تشكو زوجها في هجرة فراشها فقال له عمر كما فهمت اشارتها فاحكم بينهما فارسل
الى زوجها فجاء فقال لها كعب ما تقولين فقالت شعر يا ايها القاضي الحكيم ارشده ؛
الهى خليلي عن فراشي مسجده ؛ زهده في مضجعي تعبده ؛ نهاره وليله ما يرقده ؛ ولست
في امر النساء احمده ؛ فقال لزوجها ما تقول فقال شعر ؛ زهدني في فراشها وفي الكلل ؛ انني
امرؤ اذهلني ما قد نزل ؛ في سورة النجم وفي السبع الطول ؛ فقال له كعب شعر ؛ ان لها عليك
حقا يا رجل ؛ نصيبها في اربع لمن عقل ؛ فاعطها ذاك ودع عنك العلل ؛ فقال له عمر من اين
لك هذا قال لان الله تعالى اباح للحر اربع زوجات فلكل واحدة يوم وليلة فاعجب ذلك
عمر وجعله قاضي البصرة كذا في التمني لشرح النقاية مختصر الوقاية وهو ولي الهداية في البداية
والنهاية ويزيد لحاجتها وكذا الحاجة فتحصينها واجب كذا تحصينه بل واجب في مقام دينه
وحال الفتنة ويتخذ كل منهما خرقة اي نظيفة لازالة الاذى وهو المني لانه نجس عندنا وعلى
القول بطهارته كما هو مذهب الشافعي فلا يخرج عن كراهة الطبيعة مع ان الخروج عن
الخلاف مستحب بالاجماع علماء الشريعة ويضاجع الحائض اي يرقد معها ولا يجتنب عن ان يعانقها

و

ويؤاكلها ويشاربها مخالفة لليهود واخوانهم من الروافض المجوس ولا يأتيها جانب
الدبر فهو وفي نسخة فهي اللواطة الصغرى ولو جانب لفظ الجانب لكان احسن في تعيين المراد
فانه تعالى قال نساؤكم حرث لكم فاتوا حرثكم انى شئتم اي مقبلات ومدبرات ومستلقيات و[illegible]
عن ابن عباس وقال حسن صحيح ان عمر جاء الى رسول الله صلى الله عم فقال يا رسول الله هلكت قال
وما الذي اهلكك حولت رحلي البارحة فلم يرد عليه شيء واوحى اليه نساؤكم حرث لكم فاتوا
حرثكم انى شئتم يقول اقبل وادبر واتق الدبر والحيضة كذا في المعالم وفي الصحيحين ان قوله
نساؤكم حرث لكم الآية نزلت ردا لليهود كانت تقول في الذي يأتي المرأة من دبرها في قبلها ان
يكون احول ثم المراد بالحرث موضع الزراعة ومنبت الولد واما الدبر فهو محل الروث والفرث
وانما قال اللواطة الصغرى فان الكبرى انما هي مع الرجال ولا خلاف بين السلف والخلف ان
غشيان المرأة والجارية في دبرها ملعون فاعله ونص مالك بحرمته فما نقل عنه افتراء ليس فيه
امتراء كيف وغشيان الحائض حرام لكونه اذى واذى الدبر اشد واقوى وقد ورد
عن احمد في المسند وابي داود عن ابي هريرة مرفوعا ملعون من اتى امرأة في دبرها وفي رواية
لاحمد واصحاب السنن الاربعة عنه ايضا من اتى كاهنا وصدقه بما يقول او اتى امرأة حائضا
او اتى امرأة في دبرها فقد برئ مما انزل على محمد صلى الله عم ولا يداوم على ترك الوطي فهو
يضعف القوة اي على قواعد اهل الحكمة ولعل هذا بالنسبة الى كثير الشهوة ولا يباشر بعد
مباشرة الا ان يغسل نفسه اي ذكره او يبول فانهما يقطعان المني فاذا خرج بعدهما شيء يكون
مذيا ولا يعزل والمعتمد ان يستأمر الحرة في العزل دون الامة فكره جماعة العزل مطلقا
ورد من قوله عم هو الواد الخفي كما في مسلم من حديث جذامة بنت وهب فانه القتل الحكمي فهو
اي العزل كالجلوس في المسجد بلا عبادة لانه طاعة في موضع ليس فيه اثر فائدة سعادة
والاقامة بمكة بلا حج اي في كل سنة وكذا بلا طواف في كل يوم وليلة فالمراد بالكراهة
ترك الاولى والفضيلة ويغاير العزل الواد الجلي بان الثاني جناية على موجود او مشهود
ولذا قال علي رض لا يكون موؤدة الا بعد سبعين اي اطوار وتلى الآية الواردة الخلقة
وهو قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين الى قوله
تعالى ثم انشأناه خلقا آخر اي نفخنا فيه الروح ولا يأثم به اي بالعزل ان نوى استبقاء الملك
في الجارية بترك الاعتاق اذ قطع اسبابه ليس منهيا عنه والحسن والسمانة اي للتمتع واستبقاء
جمال المرأة وسمنها لدوام التمتع بها والحياة اي واستبقاء الحياة بالتحرز عن المخاض
وهو وجع النفاس حال الطلاق وهذا ايضا ليس منهيا عنه والخوف اي وان نوى المخافة

من الافضاء الى كسب الحرام بسبب كثرة الاولاد ومايترتب عليه من كثرة الحرج في البلاد
ودخول مداخل السوء ومحافل الفساد ومشاركة اهل العناد ومباعدة الزهاد
والعباد وهذا ايضا ليس بمنهي عنه فكانوا اي الصحابة يعزلون وما نهوا عنه ففي الصحيحين
عن جابر كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل زاد مسلم فبلغ ذلك نبي الله
فلم ينهنا وفي رواية مسلم من حديث ابي سعيد انهم سألوه عن العزل فقال لا عليكم ان لا تفعلوا ورواه
النسائي من حديث ابي حرمة وفي مسلم عن جابر ان رجلا اتى النبي عم فقال ان لي جارية وهي خادمنا و
سانيتنا في النخل وانا اطوف عليها واكره ان تحمل فقال اعزل عنها ان شئت فانه سيأتيها ما قدر
لها فلبث الرجل ثم اتاه فقال ان الجارية قد حبلت فقال قد اخبرتكم انه سيأتيها ما قدر لها وفي الصحيحين
عن حديث ابي سعيد ما من نسمة قد ذكرها الا وهي كائنة وان كان فيه اي في العزل خوفا من الافضاء الى
كسب الحرام ترك الفضيلة وهو التوكل والضمان بنفقة الله تعالى حيث قال وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها فورد من ترك النكاح مخافة العيلة فليس منا اي من اخلاقنا وقد سبق
الكلام عليه ويأثم ان خاف ولادة البنت لما في تزويجهن من المعرة فهو اي خوفها عادة الجاهلية
في قتلهم البنات ووادهن في حال الحيوة كما اخبر الله تعالى عنهم في الكتاب واذا بشر احدهم
بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ايمسكه على هون ام
يدسه في التراب واراد به المبالغة في النظافة بتعززها وكمال تحرزها من الطلق والنفاس
والرضاع ومايتبعها فيأثم بالعزل اذ نواها فهو اي العزل بهذا القصد بدعة لانها عادة
الخوارج لمبالغتهن في استعمال المياه حتى كن يقضين صلوة ايام الحيض ولا يدخلن الخلاء الا عراة
فهذه بدعة تخالف السنة فهي نية فاسدة وقد استأذنت واحدة منهن على عائشة رض لما قدمت
البصرة فلم تأذن لها ويفرح بالمولود فانه المقصود في ميدان الوجود وايوان الشهود فورد انه
نور اي للعين في الدنيا وسرور للقلب في الآخرة اي عند شفاعته في العقبى ولم اجد له اصلا
وقد قيل الولد اذا عاش نفع واذا مات شفع وقد ورد الولد ثمرة القلب وانه مجبنة مبخلة
محزنة ابو يعلى الموصلي عن ابي سعيد وفي رواية الحكيم عن خولة بنت حكيم الترمذي الولد من ريحان
الجنة وفي الجملة هو هبة من الله تعالى كما يشير اليه قوله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور
ولا يغتم بالبنت لان الصلاح مستور اذ قد يكون الابن صالحا والبنت بخلافه وقد يكون الامر
بالعكس او يراد بالصلاح النفع والنجاح وهو ايضا مبهم كما يشير اليه قوله تعالى اباؤكم وابناؤكم
لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا ويزداد فرحا اي لولادة البنت اي بالتكلف فيه باظهاره مخالفا
للجاهلية حيث قال تعالى واذا بشر احدهم بما ضرب للرحمن مثلا ظل وجهه مسودا وهو كظيم و

ورد

ورد من خرج الى سوق من اسواق المسلمين فاشترى شيئا فحمله الى بيته فخص به الاناث دون الذكور
نظر الله اليه ومن نظر الله اليه لم يعذبه الخرائطي بسند ضعيف وفي رواية له فيبدأ بالاناث قبل
الذكور وورد بركة المرأة تبكيرها اي اول ولادتها بالبنات الديلمي عن عائشة وواثلة كلاهما
مرفوعا بلفظ من بركة المرأة تبكيرها بالاناث وحكاه ابن عطية عن الثعلبي موقوفا على واثلة
بلفظ من يمن المرأة تبكيرها بالانثى قبل الذكر لان الله تعالى بدأ بالاناث يعني في قوله تعالى يهب لمن
يشاء اناثا وعن ابن عباس مرفوعا ان رجلا دعا على بناته بالموت فقال صلى الله عليه وسلم لا تدع
فان البركة في البنات ذكره السخاوي من ابتلي منهن اي من البنات بشيء اي قليلا او كثيرا فاحسن
اليهن بالتربية كن له سترا من النار اي حجابا احمد والشيخان والترمذي عن عائشة بلفظ
من ابتلي بهذه البنات الحديث وعن ابن عباس ما من احد يدرك ابنتين فيحسن اليهما ما صحبتاه
الا ادخلتاه الجنة ابن ماجة والحاكم وقال صحيح الاسناد وعن انس من كان له ابنتان او اختان
فاحسن اليهما ما صحبتا كنت انا وهو في الجنة كهاتين الخرائطي في مكارم الاخلاق بسند ضعيف
ورواه الترمذي بلفظ من عال جاريتين وقال حديث حسن غريب وعن ابن مسعود من كانت له ابنة
فادبها فاحسن ادبها وغذاها فاحسن غذاءها واسبغ عليها من النعم التي اسبغ الله عليه
كانت له ميمنة ميسرة من النار الى الجنة الطبراني في الكبير والخرائطي في مكارم الاخلاق وعن
ابي هريرة من كانت له ثلث بنات او اخوات فصبر على لأوائهن وجزائهن ادخله الله الجنة بفضل رحمته
اياهن فقال واثنتان يا رسول الله قال واثنتان فقال رجل او واحدة فقال او واحدة الخرائطي
واللفظ له والحاكم ولم يقل والاخوات وقال صحيح الاسناد ويؤذن في اذنه اليمنى اي في اول ما
يلد ليكون اول ما يقرع سمعه ذكر الله عز وجل ودعوة الداعي الى طاعته وعبادته ويقيم في اليسرى
فيكون سببا لحضوره في المسجد واداء الصلوة وعن ابي رافع رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم اذن في
اذن الحسين حين ولدته فاطمة احمد واللفظ له وابو داود والترمذي وصححه الا انهما قالا الحسن
مكبر فورد فيه اي فيما ذكر من الاذان والاقامة او في جمعهما دفعت عنه ام الصبيان فانها من جنس
الشيطان وهم يبعدون عن الاذان لكمال العدوان وعن الحسين بن علي من ولد له مولود فاذن في اذنه
اليمنى واقام في اذنه اليسرى دفعت عنه ام الصبيان ابو يعلى الموصلي وابن السني في اليوم والليلة
والبيهقي في شعب الايمان ويقطع سرته ويميط الاذى اي يزيله وهو الدم ونحوه عن بدنه لما سيأتي
وترضعه الام اي ولو مرة فانه اول تربيته فيختص باشفق الناس وارحمها وليعتمد على امه ما قال
تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلثون شهرا ولتخرج عن عهدة ظاهر الامر في
قوله تعالى والوالدات يرضعن اولادهن حولين الاية وقوله فهو سنة لم اجد لها اصلا ولا تسام

اى لا تمل الام وفى نسخة ولا تسأم بصيغة المعلوم للمؤنث او المجهول للمذكر ولا تتبرم ولا
تتضجر لاحد ببكائه فهو ذكر كما جاء عن ابن عمر مرفوعا بكاء الصبى الى شهرين شهادة ان
لا اله الا الله والى اربعة اشهر الثقة بالله والى ثمانية اشهر الصلوة على النبى عم و
لسنتين استغفار لوالديه اخرجه الديلمى بسند ضعيف وفى لفظ لغيره بكاء الصبى فى المهد
اربعة اشهر توحيد واربعة اشهر صلوة على نبيكم واربعة اشهر استغفار لوالديه ذكره
السخاوى فى القول البديع وجاء الختان فى اليوم السابع فانه مهما كان صغيرا يبقى القطع يسيرا
وقد روى الطبرانى فى الصغير من حديث جابر بسند ضعيف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عق
عن الحسن والحسين وختنهما لسبعة ايام ورواه الحاكم وصحح اسناده والبيهقى من حديث
عائشة وقيل يؤخر عنه اى حتى يصير كبيرا مخالفة لليهود فانهم يعجلون فى هذا الامر وتحاميا
عن الخطر اى خطر المولود عن الموت فان الخطر فى حال الصغر اكثر من زمان الكبر ووقته اى
وقت غاية تأخيره سبع سنين او عشر سنين او ما يطاق الالم فيه وقد اختتن ابراهيم عم
وهو ابن ثمانين وذلك لانه امر حج فهو اول من اختتن ويترك لو ولد شبيها بالمختون
وتختن الانثى اى البنت فورد انه مكرمة اى سبب كرامة عند ازواجهن عن ابن عباس
الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء الطبرانى وهو اى ختان الانثى ينضر الوجه اى يحسنه ويفتر
الشهوة اى يسكنها ويلذ الوقاع اى الجماع ويحببها الى الزوج وهو سبب محبة الزوجة ولا
يبالغ بصيغة المجهول فيه اى فى الختان او فى ختانها بالخصوص ويحسن الاسم اى اسم ولده فانه
من جملة حقوقه على والده فورد حسنوا اسماء اولادكم ابو داود من حديث ابى الدرداء قال
النووى باسناد جيد وقال البيهقى انه مرسل ولفظه انكم تدعون يوم القيمة باسمائكم واسماء
آبائكم فاحسنوا اسمائكم وورد حق الولد على والده ان يحسن اسمه ويزوجه اذا ادرك ويعلمه
الكتابة ابو نعيم والديلمى عن ابى هريرة وفى رواية زيادة والسباحة والرماية والتعبيد
اى اضافة العبد الى اسماء الرب احب اى افضل فورد اذا سميتم اى اردتم ان تسموا اولادكم
فعبدوا الطبرانى من حديث عبد الملك بن ابى زهير عن ابيه واحب الاسماء الى الله عبد الله وعبد الرحمن
مسلم من حديث ابن عمر ولا يجمع بين اسمه عم وكنيته فهو اى الجمع بينهما منهى عنه لحديث سموا باسمى
ولا تكنوا بكنيتى متفق عليه من حديث جابر وعن لفظ تسموا فقيل النهى عن التكنية وحدها وكان
هذا المنع فى عصره اذ كان ينادى يا ابا القاسم فلا بأس بعده نعم لا يجمع بين اسمه وكنيته لما
رواه احمد وابن حبان من حديث جابر من تسمى باسمى فلا يكتنى بكنيتى ومن يكتنى بكنيتى فلا يتسمى باسمى
وقيل كان ذلك اى النهى عن الجمع بينهما فى عهده عم اى فى زمانه لعلة الالتباس واما اليوم فلا

ويبدل

ويبدل الاسم السئ اى يغيره بغيره من الاسم الحسن فبدل عم اسم العاص بعبد الله وبرة بفتح
الموحدة بزينب وقال باستفهام مقدر انكارا تزكى نفسها فان برة مبالغة بارة وهى عاملة
البر بالكسر رواه الشيخان عن ابى هريرة بنحوه ونهى عم عن افلح اى عن التسمية بافلح ونافع وبركة
رواه مسلم من حديث سمرة بن جندب الا انه جعل مكان بركة رباحا تحاميا عما قيل اى يقال ليس
فى الدار بركة يعنى او نافعا وافلح وامثال ذلك ويسمى السقط وان جهل صفته اى من
الذكورة والانوثة فيما اى فيسمى باسم يصلح للذكر والانثى بان يكون فى آخره تاء كحمزة وطلحة
فعن عبد الرحمن بن يزيد بن معاوية قال بلغنى ان السقط يوم القيمة وراء والده يقول
ضيعتنى انت تركتنى لا اسم لى فقال عمر بن عبد العزيز كيف وقد لا يرى انه غلام او جارية فقال
عبد الرحمن من الاسماء ما يجمعهما كحمزة وعمارة وطلحة وعتبة وعنبة ولا يكنى بابى عيسى اذ
لا اب له اى لعيسى عم ونهى عنه اى عن التكنى المذكور لما يوهم من خلاف المرام فى سمع
العوام ففى الاحياء سمى رجل بابى عيسى فقال عم ان عيسى لا اب له فكره ذلك انتهى ولم يتعرض له
مخرجه ويعق من الابن بشاتين وعن البنت بشاة ولا بأس بالشاة ذكرا كان او انثى وفى
رواية البيهقى عن ابى هريرة مرفوعا ان اليهود يعق عن الغلام ولا يعق عن الجارية فعقوا عن
الغلام بشاتين وعن الجارية بشاة فى اليوم السابع من الولادة فهو مأمور به دون ما عن عائشة
انه عم امر فى الغلام بشاتين مكافيتين وفى الجارية بشاة الترمذى وصححه وعق عن الحسن
بشاة واحدة وهذا رخصة فى الاقتصار على شاة واحدة والحديث رواه الترمذى من حديث على
وقال ليس اسناده بمتصل ووصله الحاكم وصححه الا انه قال حسين ورواه ابو داود من حديث
ابن عباس الا انه قال كبشا وللبخارى من حديث سلمان بن عامر الضبى مع الغلام عقيقة فاهريقوا
عنه دما واميطوا عنه الاذى وعن عائشة لا يكسر للعقيقة عظم كذا فى الاحياء ولعل وجهه تفاؤلا
بصحة الاعضاء وقال قتادة اذا ذبحت العقيقة اخذ صوفة منها فاستقبل بها اوداجها
ثم توضع على يافوخ الصبى حتى يسيل منه مثل الخيط ثم يغسل رأسه ويحلق بعده كذا فى الاحياء
ويحلق رأسه فى السابع لما سيأتى او فى الاربعين كما عليه عمل اهل الحرمين ويتصدق على وزن
شعره ذهبا او فضة وهو المعروف كما سيأتى فامرت به فاطمة فى الحسين فى اليوم السابع قال العراقى
فى حديث ام فاطمة يوم سابع حسين ان تحلق شعره وتتصدق بزنة شعره فضة الحاكم وصححه من حديث
على وهو عند الترمذى منقطع بلفظ حسن ورواه احمد من حديث ابى رافع ويطلى السكر اى يلطخه
ان تيسر او العسل او التمر الممضوغ فى لهاته بفتح اللام اى اقصى حلقه من حنكه ففعله عم لعبد الله
ابن الزبير حين جاءت به امه اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهم ففى الصحيحين عن اسماء ولدت عبد الله

ابن الزبير يقبا ثم اتت به رسول الله صلى الله عم فوضعه في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم
تفل في فيه فكان اول شيء دخل جوفه ريق رسول الله صلى الله عم ثم حنكه بتمرة ثم دعا
له وبرك عليه فكان اول مولود ولد في الاسلام ففرحوا به فرحا شديدا لانهم قيل لهم ان
اليهود قد سحرتكم فلا يولد لكم ونفقة حقوق الولد ذكرت في باب الصحبة الباب
السادس في الكسب والورع اي المترتب عليه بقطع الطمع ولبعض الكبار في قوام
الدنيا العلم والكسب فمن رفضهما وقال ابتغي الزهد لا العلم والتوكل لا الكسب وقع في الجهل
والطمع كذا في ربيع الابرار للزمخشري بسم الله الرحمن الرحيم وبه استعين في كل امر كريم
قال تعالى وجعلنا النهار معاشا وابتغوا من فضل الله اي رزقه وانفقوا من طيبات ما كسبتم
الاية وورد من طلب الدنيا حلالا اي حال كونه المطلوب حلالا تعففا عن المسئلة اي
لاجل عفة نفسه عن سؤال مخلوق مثله وسعيا على عياله من زوجته واطفاله وتعطفا اي
ترحما وتلطفا على جاره من الفقراء في حاله وتزيين ماله لقي الله يوم القيمة في مآله
ووجهه كالقمر ليلة البدر من حسن حاله وكمال مناله ومن طلب الدنيا مفاخرا اي حال كونه متفاخرا
لتحصيل ماله مكاثرا على اقرانه وامثاله لقي الله وهو عليه غضبان والله المستعان والحديث رواه
ابو الشيخ في كتاب الثواب وابو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الايمان من حديث ابي هريرة ومن الذنوب
ذنوب لا يكفرها الا الهم لطلب المعيشة الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية وعن لقمان الحكيم
لابنه استعن بالكسب الحلال عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلث خصال رقة في
دينه وضعف في عقله وذهاب مروته واعظم هذه الثلث استخفاف الناس به وكان عمر
يقول لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السما لا تمطر ذهبا
ولا فضة وكان زيد بن مسلمة يغرس في ارضه فقال عمر اصبت استغن عن الناس يكن اصون لدينك
واكرم لوجهك كيف قال صاحبك احيحة شعر فلن ازال على الزوراء اعمرها ان الكريم على
الاخوان ذو المال فالكسب سنة الانبياء منهم داود لقوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم واول
من زرع آدم عم واول من تجر نوح عم ويقال اول من خط ادريس عم والاولياء فمنهم
اكثر الصلحاء وفيه اي في الكسب ستر الحال اي مما فيه من العلم والاعمال فيكون من الاتقياء
الاصفياء وممن قال عز وجل فيهم رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله الاية وهو اي الكسب
اولى لظاهر العمل اي للمشتغل بالاعمال الظاهرة من التلاوة والعبادة فالكسب في حقه
احرى من الاخذ بالسؤال وبغيره كالطمع في اموال الرجال فالفارغ من الكسب لتحصيل
الحلال سائل بلسان الحال اي وان لم يكن سائلا ببيان المقال ورب لسان الحال اكشف

في

في تحصيل المال ومن هنا ورد ان الله تعالى يحب ان يرى عبده تعبا في طلب الحلال الديلمي عن علي
وفي رواية ابن عدي عن ابن عمر ان الله يحب المؤمن المحترف وورد من فتح على نفسه بابا من السؤال
فتح الله عليه سبعين بابا من الفقر الترمذي من حديث ابي كبشة الانماري وقال حسن صحيح وعن ابن مسعود
اني لاكره ان ارى الرجل فارغا لا في امر دينه ولا في امر دنياه وجاءت ريح عاصف في البحر
فقال اهل السفينة لابراهيم بن ادهم اما ترى هذه الشدة فقال هذه شدة انما الحاجة
الى الناس وقيل لاحمد ما تقول فيمن جلس في بيته او في مسجده وقال لا اعمل شيئا حتى ياتيني رزقي
فقال احمد هذا رجل جهل العلم اما سمع قوله عم ان الله جعل رزقي تحت ظل رمحي واسناده
صحيح واما سمع قوله عم حين ذكر الطير فقال تغدو خماصا وتروح بطانا فذكر انها تغدو
في طلب الرزق وكان اصحاب رسول الله صلى الله عم يتجرون في البر والبحر ويعملون في نخيلهم
ثم قال احمد والقدوة بهم والحديث الثاني رواه الترمذي وابن ماجة من حديث ابن عمر وقال
الترمذي حسن صحيح واما صاحب الباطن وهو العارف بالله المراقب لفيض مولاه المعرض عما سواه
والعالم النافع للناس افتاء وتصنيفا وتدريسا والمشتغل بمصالحهم كالقاضي و
الخليفة والمؤذن والامام وفقيه الايتام فان اعطوا الكفاية من بيت المال اي من وجه
الحلال او من ايدي الناس من صدقات اخذوها واشتغلوا بما هو فضل في حقهم من الاشتغال
بكسب المال فهو غاية الكمال والا اي وان لم يعطوا يقابل كل منهم فضائل الكسب اي الاحاديث التي
وردت في فضائله بما فيه اي من فضائل العلم والحكومة ومنافع الرجال جميعا اي حال كونهم بالغا
في تمييز ما فيه الفلاح ويعمل بحسب الصلاح فان فيه النجاح وقد اشار الصحابة على ابي بكر بترك
التجارة لما ولي الخلافة اذ كان ذلك يشغله عن المصالح وكان يأخذ كفايته من مال المصالح
ورأى ذلك اولى ثم لما توفي اوصى برده الى بيت المال والحاصل انه ان كان الصلاح في الكسب
اختاره وترك ما هو لغيره وان كان الصلاح فيما هو فيه من الامر المهم اشتغل به وتوكل على
الله في امر رزقه وحقه اي حق الكسب على ما ذكره ثلثة ان ينوي التعفف اي عفة نفسه عن المسئلة
والتعطف اي الترحم على غيره بزيادة النفقة لما تقدم ولما روي ان عيسى عم رأى رجلا فقال
ما تصنع فقال اتعبد قال من يعولك قال اخي قال اخوك اعبد منك واقامة فرض الكفاية
اي ينويها في صناعات يتوقف عليها العيش اي المعيشة كالزراعة والتجارة والحياطة والنجارة
فعن الخبر تسعة اعشار الرزق في التجارة الحربي في الغريب من حديث نعيم بن عبد الرحمن وتعلم نفع
الزراعة وروى احمد من حديث ابي هريرة خير الكسب كسب العامل اذا نصح واسناده حسن بياكر اي
يسعى في اول النهار فان في الغدو بركة ونجاحا وصلاحا اي فوزا وفلاحا وظفرا بالمراد والحديث رواه

الطبراني في الاوسط وابن عدي عن عائشة باكروا في طلب الرزق والحوائج فان الغدو بركة
ونجاح وقد ورد اللهم بارك لامتي في بكورها وروى الطبراني في معاجمه الثلاثة من حديث
كعب بن عجرة انه عم كان جالسا مع اصحابه ذات يوم فنظر الى شاب ذي جلد وقوة وقد
بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان جلده في سبيل الله فقال عم لا تقولوا هذا فانه كان يسعى على
نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله تعالى وان كان يسعى على ابوين
ضعيفين او ذرية ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وان كان يسعى تفاخرا وتكاثرا
فهو في سبيل الشيطان ويجتنب اي من صنايع ما يضر الناس كالاحتكار فبايع الطعام يدخره
منتظرا غلاء السعر وهو ظلم عام وصاحبه مذموم شرعا وعرفا فورد الجالب مرزوق
والمحتكر ملعون الحاكم في صحيحه وابن ماجه في سننه عن عمر ومن احتكر الطعام اربعين يوما ثم تصدق
به لم يكن صدقته كفارة لاحتكاره ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي والخطيب
في التاريخ من حديث انس وروى احمد والحاكم بسند جيد من حديث ابن عمر من احتكر الطعام اربعين
يوما فقد برئ من الله وبرئ الله منه وعن علي انه احرق طعام محتكر بالنار كذا في الاحيا وفي
حديث مسلم لا يحتكر الا خاطئ ولابن ماجه الجالب مرزوق والمحتكر ملعون قيل ومدته اربعون
لما رواه ابن عساكر عن معاذ انه من احتكر طعاما على امتي اربعين يوما وتصدق به لم يقبل منه
وفي رواية لاحمد وابن ماجه عن عمر من احتكر على المسلمين طعامهم ضربه الله بالجذام والافلاس
وفي رواية له وللحاكم عن ابي هريرة من احتكر حكرة يريد ان يغلي بها على المسلمين فهو خاطئ وقد
برئت منه ذمة الله ورسوله وقوله خاطئ بالهمزة وفي رواية فهو ملعون واستدل به مالك بعموم الحديث
على ان الاحتكار حرام في المطعوم وغيره وهو رواية عن ابي يوسف والجمهور على ان الاحتكار مختص
بالاقوات وحملوا الحديث عليها والله اعلم وروى ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن مسعود ما من
جالب يجلب طعاما الى بلد من بلدان المسلمين فيبيعه بسعر يومه الا كانت منزلته عند الله منزلة الشهيد
وبالجملة التجارة في الاقوات مما لا يستحب ولذا اوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك
في بيعتين ولا في صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس واما الصنعتان
فان يكون جزارا فانها صنعة تقسي القلب او صواغا فانه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة وهذا
معنى قوله ويلوث الباطن اي ويجتنب ما يلوث باطنه ولو لم يلوث ظاهره كالجزر وهو صنعة الجزار
ويقال القصاب فهو يقسي القلب والصياغة فهو تزيين الدنيا فهو مبغوضة الرب وايضا يكره كسر الدرهم
الصحيح والدينار الا عند شك في جودته او حال ضرورته فقد قال احمد بن حنبل رح ورد نهي عن رسول
الله صلى الله عم واصحابه في الصياغة وانا اكره الكسر وقال يشتري بالدنانير دراهم ثم يشتري بالدراهم

ذهبا ويصوغه حتى وجاء عن الربا وحديث النهي عن كسر الدنانير والدراهم رواه ابو داود والترمذي وابن
ماجه والحاكم من رواية علقمة بن عبد الله عن ابيه قال نهى رسول الله صلى الله عم ان يكسر سكة المسلمين
الجائزة بينهم الا من باس زاد الحاكم ان يكسر الدرهم فيجعل فضة ويكسر الدينار فيجعل ذهبا وضعفه
ابن حبان والظاهر اي ويجتنب ما يلوث ظاهره ولو لم يلوث باطنه كالحجامة والدباغة و
في معناهما الكناسة فان تلوث الظاهر يؤدي الى تلوث الباطن كما ان طهارة الظاهر تورث
طهارة البدن وقد نهى عم عن كسب الحجام رواه ابن ماجه بسند حسن عن ابن مسعود وحمل على نهي التنزيه
لانه عم احتجم واعطى الحجام اجرته ولو كان حراما لما اعطاه وكيف لا والحجامة من الصنايع التي
عدت من فروض الكفاية فلا بد من قيام بعض هذه الصناعة لئلا يقع الناس في ضياعة اذ لو تركت
التجارات والصناعات لبطلت المعائش وضاعت الحالات فانتظام امر الكل بمعاونة الكل
وتكفل كل فريق بعمل له يليق ولو اقبلوا كلهم على صنعة لتعطلت البواقي برمة وعلى هذا
حمل بعضهم قوله عم اختلاف امتي رحمة اي اختلاف هممهم في الصناعات وسبحان من اقام
العباد فيما اراد وكل حزب بما لديهم فرحون وقال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا
ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون ولله
در القائل • رضينا قسمة الجبار فينا • لنا علم وللاعداء مال • فان المال يفنى عن قريب • وان العلم
يبقى لا يزال • وما يعسر اي ويجتنب ما يصعب فيه رعاية الاحتياط كالصرف لان الاحتراز فيه
عن دقايق الربا عسير علما وعملا ولانه طلب لدقايق الصفات فيما لا يقصد من اعيانها وانما يقصد
رواجها وقل ما يتم للصيرفي ربح الا باعتبار جهالة معامليه بدقايق النقد فقل ما يسلم الصيرفي
من الربا وان راعى غاية الاحتياط وفي الجملة يجب على الصيرفي ان يجتنب من الفضل في المجانسين
ومن النسيئة مطلقا وورد لو اتجر اهل الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا في الصرف
الديلمي من حديث ابي سعيد وابو يعلى الشطر الاول من حديث ابي بكر والدلالة بالفتح وبكسر وقد كره ابن
سيرين الدلالة وكره قتادة اجرة الدلال ولعل السبب فيه قلة استغناء الدلال عن الكذب
فقد قيل راس مال الدلال الكذب والافراط في الثناء على السلعة لترويجها ولان العمل لا يتقدر
وقد يقل ويكثر ولا ينظر في مقدار الاجرة الى عمل بل الى قيمة قدر الثوب وهذا هو العادة
وهو ظلم بل ينبغي ان ينظر الى قدر التعب فان الاجر على قدر المشقة كذا في الاحيا وما يكره اي
ويجتنب ما يكره فيه قضاؤه تعالى كشراء الحيوان اي العبيد وغيره لاجل التجارة فان المشتري
يكره قضاء الله تعالى فيه وهو الموت الذي هو بصدده ولا محالة خلق لاجله وسلومة الناس
اي ويجتنب فيه ما يكره فيه عافية الناس كبيع الكفن على ما تقدم وفي معناه حفر القبر وغسل

الموتى وحملهم بالاجرة وتشييع الفقراء واعلامهم واذكارهم من غير اذكارهم وما يحرم اى
ويجتنب ما يحرم استعماله كقباء ابريشيم اى الحرير وهو ثوب الرجال دون النساء وفى الخبر من لبس الحرير
فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة رواه الشيخان وغيرهما عن انس وفى رواية احمد عن جويرية من لبس الحرير
فى الدنيا البسه الله تعالى يوم القيمة ثوبا من نار وانية الذهب والفضة فانهما تحرم مطلقا وفى الخبر
ان الذى يأكل ويشرب فى انية الفضة انما يجرجر فى بطنه نار جهنم رواه مسلم عن ام سلمة زاد الطبرانى
الا ان يتوب والمزمار فانه حرام باتفاق الاربعة كسائر الاوتار وانما خالف الرافعى من الشافعية
فى القضيب ورفع البناء اى زيادة على قدر الحاجة فانه يقال له الى اين يا افسق الفاسقين وذلك لانه
عمل شداد فى بناء قصره وعمل فرعون فى بناء صرحه وتزيينه بالجص وكذا بالنورة والطين فانهما
مكروهان او حرامان لاسراف المال وتضييع الحال وروى الدارقطنى عن ابى الدرداء انه عم سئل
ان يكحل المسجد اى بالنورة وغيرها فقال لا عرش كعريش موسى ويعامل عطفا على يجتنب متدينا
يستر حاله اى فى التدين فيكون ظاهر الديانة اعانة على البر لا فاسقا وكذا لا ظالما ولا احدا من
انواعه لئلا يعين على الاثم فقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان وقد دخل سفيان الثورى على المهدى وبيده درج ابيض فقال يا سفيان اعطنى الدواة
حتى اكتب فقال اخبرنى اى شئ تكتب فان كان حقا اعطيتك ولا يبالغ فى مدح المبيع ان كان بايعا
وذم المشترى اى المشترى ان كان وان صدق اى ولو كان صادقا فى مدحه وذمه فالمبالغة فيهما
مذموم لانه مما لا يعنيه فهو به ملوم ومذموم وقد قال تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد
وقال عز وجل والذين هم عن اللغو معرضون وورد من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه ولا يحلف ولو
كان صادقا فى يمينه من غير ضرورة فى امر دينه فهو جعله تعالى اى جعل الحالف اسمه تعالى فى هذا الحلف عرضة
للايمان اى كالغرضة التى اعدها العقلاء لازالة ما يتلوث به يديه او كالهدف الذى يرمى الرامى فى كل
ساعة سهمه اليه لترويج الدنيا الخسيسة باسمه الذى من الاشياء النفيسة واما قوله تعالى ولا
تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس فمعناه لا تجعلوا الحلف بالله سببا
مانعا لكم من البر والتقوى بان يدعى احدكم الى بر فيقول حلفت ان لا افعله بل ينبغى ان يفعله و
يكفر عن يمينه وورد كما فى صحيح مسلم لا ينظر الله الى منفق بتشديد الفاء المكسورة سلعته اى مروجها
بيمينه اى حلفه فانه ان كان كاذبا فقد جاء باليمين الغموس وهى من الكبائر التى تترك الديار بلاقع
وان كان صادقا فقد اساء فيه اذ الدنيا اخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله من غير ضرورة
وفى الخبر ويل للتاجر من بلى والله ولا والله وويل للصانع من بعد وغد وكذا فى الاحياء ذكره صاحب
مسند الفردوس من حديث انس بغير اسناده نحوه وفى الخبر اليمين الكاذبة منفقة للسلعة ممحقة

للكسب

للكسب متفق عليه ويظهر عيب المبيع اى فى نفسه خفية وجلية وقدره اى ويظهر قدره من الطول والعرض
ونحوه وسعر الوقت اى قيمة مثله فقد نهى عم عن تلقى الركبان متفق عليه من حديث ابن عباس
وابى هريرة وفى رواية من تلقى البيوع كما فى الترمذى وابن ماجة عن ابن مسعود وفى رواية ابن ماجة عن
ابن عمر نهى عن تلقى الجلب وهو ان يستقبل الرفقة ويتلقى الامتعة ويكذب فى سعر الازمنة وقد ورد
لا تلقوا الركبان فصاحب السلعة بالخيار بعد ان يقدم السوق وما سومح اى ويظهر ما سامح
بايعه الاول مع الثانى فى الصفقة الاولى وهى تكون فى بيع التولية وصورته ان يبيع شيئا بما قام
عليه فيظهر ما سوهل به الشئ معه من تأجيل ثمنه مع نقصان فى قدره ووصفه فالاخفاء خيانة
كما ان الابداء ديانة وفى واثلة لا يحل لاحد يبيع بيعا الا بين ما فيه ولا يحل لمن يعلم ذلك الا
بينه البيهقى والحاكم وقال صحيح الاسناد وورد من غشنا فليس منا الترمذى عن ابى هريرة بسند
صحيح وزاد الطبرانى وابو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود والمكر والخداع فى النار ومن المكر والخديعة
عرض الثياب فى موضع الظلمة وفى صحيح مسلم من حديث ابى هريرة انه عم مر برجل يبيع طعاما
فاعجبه فادخل يده فيه فراى بللا فقال ما هذا فقال اصابته السماء قال فهلا جعلته فوق الطعام
ليراه الناس من غشنا فليس منا وويل للمطففين اى الهلاك لاهل التطفيف فى الكيل والوزن وهو كنقصان
التخفيف فى الميزان والمكيال فكيف الحال فى اخذ الاعمال من اموال النساء والرجال الاية وهى الذين
اذا اكتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم او وزنوهم يخسرون الا يظن اولئك انهم مبعوثون
ليوم عظيم يوم يقوم الناس لرب العالمين وفيه وعيد فى غاية التهديد لقد كان بعضهم
يقول لا اشترى الويل من الله بحبة فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطى زاد حبة ويقول
ويل لمن يبيع بحبة جنة عرضها السموات والارض ويؤيده انه عم اشترى شيئا وقال للوزان
زن وارجح كما رواه اصحاب السنن الاربعة وقال الترمذى حسن صحيح وقد قيل كل مكلف فهو صاحب موازين
فى افعاله واقواله وخطرات احواله فويل له ان عدل عن العدل ومال عن الاستقامة فى مقام الفصل
ولا يروج الزيف وهو ما لا نقرة فيه اصلا بل هو مموه عمدا او ما لا ذهب فيه من الدنيا اما ما فيه نقرة
فان كان مخلوطا بالنحاس وهو نقد البلد فقد اختلف العلماء فى المعاملة عليه قال الغزالى وقد
راينا الرخصة فيه اذ كان كذلك نقد البلد لم يجز الا اذا علم قدر النقرة فان كان فى ماله قطعة
نقرتها ناقصة عن نقد البلد فعليه ان يخبر به معامله وان لا يعامل به الا من لا يستحل الترويج
فى جملة النقد بطريق التلبيس فاما من يستحل ذلك فتسليمه اليه تسليط له على الفساد واعانة
عليه كبيع العنب ممن يعلم انه يتخذ الخمر وذلك محظور وفيه اعانة على الشر بل الحقيه فى البئر فقد
قال بعضهم انفاق درهم زائف اشد من سرقة مائة درهم لان السرقة معصية واحدة وقد تمت

وانقطعت وانفاق الزائف بدعة اظهرها فى الدين وسنة سيئة يعمل بها من بعده فيكون عليه
وزرها بعد موته الى مائة سنة او مائتى سنة الى ان يفنى ذلك الدرهم ويكون عليه ما فسد
ونقص من اموال الناس بسببه فطوبى لمن اذا مات ماتت معه ذنوبه والويل كل الويل لمن
يموت ويبقى ذنوبه ففى صحيح مسلم عن جرير بن عبد الله مرفوعا من سن سنة سيئة فعمل بها من بعده
كان عليه وزرها ومثل وزر من عمل بها لا ينقص من اوزارهم شئ وبالجملة التجارة محك الرجال
وبها يتبين مقام دينهم فى الاحوال وقد قال بعضهم شعر لا يغرنك من المرء قميص رقعه او ازار
فوق كعب الساق منه رفعه او جبين لاح فيه اثر قد قلعه فلذى الدرهم فانظر عنه او ورعه
ولا يخلط التراب ونحوه من التبن وغير الجنس بالطعام اى الحبوبات ولا يعتاد اى خلطه باللحم كالدم
والغدة والجلد الرقيق وكذا لحم الماعز بالضان والضعيف بالسمين فهو اى ما ذكر وامثاله كخلط
الماء باللبن والدهن بالسمن والدبس بالعسل حرام لانه ظلم فى حق الانام ولا يقدم على شئ اى سوم
شئ لا يريده اى لا يقصد شراءه بما فوق ثمنه ترغيبا للمشترى فانه النجش المنهى عنه فى المتفق عن
ابن عمر والاصل ان لا يريد لغيره ما لا يريد لنفسه كما ورد لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب
لنفسه اخرجه الشيخان وغيرهما وفى رواية وحتى لا يكره لاخيه ما يكره لنفسه وهو اى حصول هذا المقام
انما يكون باعتقاد ان الخيانة لا تزيد فى الرزق والديانة اى الموجبة للامانة لا تنقص فى الرزق
فاذن لا يزيد مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة صادرة عن امانة وديانة ومن لا يعرف الزيادة
والنقصان الا بالميزان فهو لم يصدق بهذا الحديث وهو فى غاية من الخسران ومن عرف ان
الدرهم الواحد قد يبارك فيه حتى يكون سببا لسعادة الانسان فى الدين والدنيا وان
الالاف المؤلفة قد ينزع الله البركة منها حتى يكون سببا لهلاك مالكها فى الدنيا والاخرى
صدق بقولنا ان الخيانة لا تزيد فى المال والصدقة لا تنقص منه فى المال وقد قال تعالى يمحق
الله الربا ويربى الصدقات وورد الامانة تجر الرزق والخيانة تجر الفقر القضاعى عن على رضى
وان الاخرة اى وباعتقاد ان العقبى اولى من الدنيا كما قال تعالى والاخرة خير وابقى فيختار نفع العقبى
على نفع الدنيا ايثارا للمابقى على ما يفنى فورد لا يزال لا اله الا الله يدفع عن الخلق سخط الله
اى ايثار غضبه ما لم يؤثروا اى مدة لم يختاروا صفقة دنياهم على اخرتهم اى عقدا يوجب جلب
الدنيا على عقد يورث نفع العقبى والحديث رواه ابو يعلى والبيهقى فى الشعب عن انس وفى رواية
للحكيم الترمذى فى النوادر حتى نزلوا بالمنزل الذى لا يبالون ما نقص من دينهم اذا سلمت لهم
دنياهم وللطبرانى فى الاوسط نحوه من حديث عائشة والكل ضعيف الا انه يقوى بعضها ببعض و
يؤيده حديث من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة قيل وما اخلاصها قال الحجزة عما حرم الله

الطبرانى من حديث زيد ابن ارقم باسناد حسن ويحسن اى البايع فى المعاملة ويعنى بالاحسان
فعل ما ينتفع به المعامل وهو غير واجب عليه ولكنه تفضل منه فان الواجب يدخل فى باب العدل
وترك الظلم وقد قال تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان فالعدل سبب النجاة والاحسان موجب
لنيل الدرجات ويدرك الاحسان الكاملة بستة امور بان لا يغبن اى المشترى غبنا غير معتاد سواء
يكون فحشا ام لا وان اعطى المشترى اى ولو دفع ثمنه مع زيادة لرغبة اى زائدة او حاجة
اى ملجئة لقوله تعالى واحسن كما احسن الله اليك وفى الاحياء قد ذهب بعض العلماء ان الغبن
بما يزيد على الثلث يوجب الخيار ولسنا نرى ذلك ولكن من الاحسان ان يحط ذلك الغبن وفى
الخبر غبن المسترسل حرام الطبرانى من حديث ابى امامة بسند ضعيف وللبيهقى من حديث جابر بسند
جيد وقال ربا بدل حرام وقال الزبير بن عدى ادركت ثمانية عشر من الصحابة ما منهم من احد
يحسن يشترى لحما بدرهم فغبن هؤلاء المسترسلين حرام وعدوان وان كان من غير تلبيس فهو
من ترك احسان ويحتمله اى وبان يتحمل الغبن من ضعيف بايع او مشتر بان يكون مريضا او على الكسب
عاجزا او فقيرا اى ظاهر الفقر بان لم يكن صاحب نصاب فيكون به محسنا واما ما ورد من ان الكمال
ان لا يغبن ولا يغبن فهو محمول على غير محل الاحتمال وهذا معنى وصف بعضهم عمر بانه كان اكرم من
ان يخدع واعقل من ان يخدع وكان اياس بن معاوية قاضى البصرة وكان من عقلاء التابعين
يقول لست بخب والخب لا يغبن ولا يغبن ابن سيرين ولكن يغبن الحسن ويغبن ابو يعلى يغبن معاوية
ابن قرة قلت ومقام الحسن ايضا حسن لقوله عم المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم ابو داود و
الترمذى والحاكم عن ابى هريرة وكان الحسن والحسين وغيرهما من الصحابة يستقصون فى الشراء ثم يهبون
مع ذلك الجزيل من المال فقيل لبعضهم تستقصى فى شرائك على اليسير ثم تهب الكثير فقال ان الواهب
يهب فضله وان المغبون يغبن عقله وقد قال بعضهم انما اغبن عقلى وبصيرتى فلا امكن الغابن
منه فاذا وهبت فاعطى لله ولا استكثر له شيئا فورد للبخارى عن جابر مرفوعا رحم الله امرأ
سهل البيع وسهل الشراء وتمامه سهل القضاء الاقتضاء او من غنى اى لا يحتمل الغبن من غنى تاجر
يطلب الربح زيادة على تجارته فاحتمال الغبن هنا ليس محل لانه تضييع للمال وتاسف فى المال
اذ لا اجر فى العقبى ولا حمد فى الدنيا فقد ورد فى حديث من طريق اهل البيت ان المغبون لا محمود ولا ماجور
الترمذى الحكيم فى النوادر من رواية عبيد الله بن الحسن عن ابيه عن جده وابو يعلى من حديث الحسين بن
على يرفعه ويسامح فى قبض الثمن والدين اى وفى قبضه بنقص بعض من الثمن والدين وترك طلب
نقد احسن وامهال وقبول حوالة فورد رحم الله امرأ سهل القضاء سهل الاقتضاء وهو
تتمة الحديث المتقدم فليغتنم دعاءه عم وقد ورد ايضا فى هذا المقام اسمح يسمح لك الطبرانى من

حديث ابن عباس ورجاله ثقات من انظر معسرا اى امهله او ترك له اى اسقط عنه كله او بعضه ولو
حقيرا حاسبه اى الله تعالى يوم القيمة حسابا يسيرا وفي لفظ آخر اظله الله تحت ظله يوم لا ظل الا ظله
احمد ومسلم باللفظ الثاني من حديث ابي اليسر وهو كعب بن عمرو وفي رواية الطبراني عن ابن عباس
انظره بذنبه الى توبته وفي رواية لاحمد وابن ماجة والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين عن بريدة
من انظر معسرا فله بكل يوم مثله صدقة قبل ان يحل الدين فاذا حل الدين فانظره فله بكل يوم مثلاه
صدقة واصله قوله تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا بكله او بعضه خير لكم
ان كنتم تعلمون والتصدق سنة هنا افضل من الانظار الذي هو فرض وذكر ع م رجلا كان مسرفا
على نفسه حوسب فلم يوجد له حسنة فقيل له هل عملت خيرا قط فقال لا الا اني كنت رجلا اداين الناس
واقول لفتياني سامحوا الموسر وانظروا المعسر وفي لفظ اخر تجاوزوا عن المعسر فقال الله تعالى نحن
احق بذلك منك فتجاوزوا عنه وغفر له رواه مسلم من حديث ابي مسعود الانصاري وهو متفق عليه بنحوه
من حديث حذيفة ويبادر في اعطاء الاجرة ففي الخبر اعطوا الاجير اجره قبل ان يجف عرقه ابن ماجة
عن ابن عمر وقضاء الدين قبل الاجل اى قبل حلوله فانه يعد من احسان العمل ويطلق لا الامل باحسن
ما شرط اى في العقد الاول بان يؤدي الجيد وكان الشرط رديا فانه يوجب معروفا وتقتضي
كون صاحبه مالوفا فورد خيركم احسنكم قضاء متفق عليه من حديث ابي هريرة وينوي القضاء
كذلك اى باحسن ما شرط ان عجز عنهما قدر فورد ان الملائكة يدعون له اى لمن ينوي القضاء بان
يقدر الله له حتى يقضيه والحديث في الاحيا بلفظ من ادان دينا وهو ينوي قضاءه وكل به ملائكة
يحفظونه ويدعون له حتى يقضيه ورواه احمد عن عائشة ما من عبد كانت له نية في اداء دينه
الا كان معه من الله عون وحافظ وفي رواية له لم يزل معه من الله حارس وفي رواية للطبراني
في الاوسط الا معه عون من الله عليه حتى يقضيه وفي الاحيا كان جماعة من السلف يستقرضون
من غير حاجة لهذا الخبر قلت وفي جوازه لهذا الاخر من النظر لما فيه من نوع الغرر وصنف الخطر اللهم
الا ان يحمل على شراء شيء الى الاجل المقرر فتدبر ويستدين اى يستقرض ويتدين في ضعف قوة
في سبيله تعالى بان يكون في حج او غزوة وفني زاده او مات مركوبه ويكفن ميت مقل او فقير
قريبا كان او بعيدا او نكاح يتعفف به اى يطلب عفة نفسه عن الزنا بسببه عليه تعالى او متوكلا
عليه ومستندا اليه محسنا للظن لديه ان يرزقه ما يقتضيه فهو يقضيها اى جميع ما عليه من
الديون الثلثة بكرمه اما في الدنيا واما برضى صاحبه في العقبى ويقيل من الاقالة اى يرد البيعة
اى نادم البايع على شرائها وكذا حكم المشتري وغيره فالعبارة الحسنة الجامعة ما في الاحياء
ويقيل من يستقيله فانه لا يستقيل الا متندم يستضر بالبيع ونحوه فلا ينبغي ان يرضى لنفسه

ان يكون سبب استضرار غيره فورد عليه اى على اقالة النادم اقاله تعالى اى عفوه يوم القيمة
عثرته اى ذنوبه وزلته وكان الاولى ان يقول فورد من اقال نادما صفقته اقال الله
عثرته يوم القيمة ابو داود والحاكم من حديث ابي هريرة وقال صحيح على شرط مسلم ويعامل الفقير
نسيئة اى صبرا عليه على عزم التوكل اى ترك المطالبة او الاخذ ان لم يظهر غناه بان يحقق
فقره اليه فيكون في هذا محسنا اليه فانه لا ينبغي للتاجر ان يشغله معاشه عن زاد معاده فيكون
عمره ضايعا وصفقته خاسرة اذ ما يفوته من الربح في العقبى لا يفي به ما يناله في الدنيا فيكون
ممن اشترى الحيوة الدنيا بالاخرة بل العاقل ينبغي ان يشفق على نفسه وغيره وشفقته على نفسه
بحفظ رأس ماله وصلاح شانه وحاله ورأس ماله حفظ دينه وتجارته فيه صدق نيته
قال بعض السلف اولى الاشياء بالعاقل احوجه اليه في العاجل واحوج شيء اليه في العاجل
احمده عاقبة في الاجل وقال تعالى ولا تنس نصيبك من الدنيا اى لا تنس نصيبك في الدنيا
نصيبك منها للعقبى فان الدنيا مزرعة الاخرة والاخرة مخزنة الذخيرة الفاخرة ويكيل
الطعام اى الحبوب اخذا واعطاء اى حال اخذ وحال اعطاء ففيه البركة وفي الخبر كيلوا طعامكم
يبارك لكم فيه احمد والبخاري عن المقدام وفي رواية ابن النجار عن علي كيلوا طعامكم فان البركة
في الطعام المكيل وروى البزار عن ابي هريرة انه ع م نهى عن بيع الطعام حتى يجري فيه صاعان
صاع البايع وصاع المشتري فيكون لصاحبه الزيادة وعليه النقصان وتحقيق هذه
المسئلة وما فيها من الرعاية في شرحنا للنقاية مختصر الوقاية والله ولي الهداية ويختار حرف
السلف وكان غالب اعمال الاخيار من السلف عشر صنايع الخرز والتجارة والخياطة و
القصارة وعمل الخفاف وعمل الحديد وعمل المغازل ومعالجة صيد البر والبحر والوراقة
كالحرث وهي الزراعة وهي صنعة ادم ع م اولا وقد قال ع م التمسوا الرزق في خبايا الارض
والمراد الزرع انشدوا شعر تتبع خبايا الارض وادع مليكها لعلك يوما ان تجاب و
فترزقا ويشير الى هذا المعنى قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها و
كلوا من رزقه واليه النشور ولا يبعد ان يراد بالاية والحديث المعنى الشامل للزراعة والتجارة
والله سبحانه اعلم والحمل اى حمل الامتعة من محل الى محل باجرة معينة وبنان الحمال كان من اهل
الكمال والنجر اى النجارة وفي مسند احمد وصحيح مسلم وابن ماجة عن ابي هريرة كان زكريا نجارا
والخياطة قيل انه من صنعة ادريس ع م والقصر وهو غسل الثياب ومنه الحواريون والخصف
اى خرز النعل والقربة ونحوها وصح انه ع م كان يخصف نعله والرعي اى رعي الغنم والابل ونحوها
وهو من صنعة الانبياء والاولياء والكتابة فهي حرفة العلماء والمشايخ الاصفياء لا سيما

كتابة المصحف القديم وحديث نبي الكريم ففيها بقاء الدين القويم والمنهج المستقيم قال عبد الوهاب
الوراق قال لي احمد بن حنبل ما صنعتك قلت الوراقة فقال كسب طيب لو كنت صانعا بيدي
لصنعت صنعتك وهو يحتمل ان يكون معناها الكتابة كشغل المداد فانه آلة الكتابة وقد
ورد يوزن مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء فورد خير تجارتكم البز و
خير صناعتكم الخرز الديلمي عن علي تعليقا ويقال اربعة من الصنايع موسومة عند الناس بضعف
الراي الحاكة اي القطالون والمغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النسوان
والصبيان ومخالطة ضعفاء العقول يضعف العقل كما ان مخالطة العلماء يزيد في العقل فان
الصحبة تؤثر فورد المرء على دين خليله فلينظر من يخالل وعن مجاهد ان مريم ع م مرت في طلبها لعيسى
عليه السلام بحاكة فظلت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت اللهم انزع البركة من كسبهم و
امتهم فقراء وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاؤها وكره السلف اخذ الاجرة على كل ما هو
من قبيل العبادات في فروض الكفايات كغسل الاموات وحفر القبور ودفنهم وكذا الاذان والامامة
وتعليم القرآن والفقه وان حكم المتأخرون بجواز ذلك اذ لم يوجد من يقوم بهذه الامور احتسابا
هنالك ويلزم ما رزق فيه اي من انواع الصناعة واصناف التجارة فلا ينتقل منها الى غيرها
ففي الخبر من رزق في شيء فليلزمه البيهقي عن انس وفي رواية ابن ماجة من حديث انس وعائشة من بورك
له في شيء فليلزمه وفي رواية له عن انس بلفظ من اصاب منه شيء فليلزمه ويترك ما تجر فيه ثلثا
اي ثلث مرات فلم يرزق اي لم يربح فيه فان علامة الاجازة تيسير الامور وتعسيرها وفي الخبر اليسر يمن
والعسر شوم الديلمي عن جابر وينتقل الى غيره فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا وفي الخبر لن
يغلب عسر يسرين وفيه تحقيق وتدقيق ليس هذا محله الذي ذكره يليق ويتخذ الغنم ففي مسند
الفردوس للديلمي عن ابي هريرة الغنم اموال الانبيا وفي رواية الخطيب عن ابي هريرة الغنم من دواب
الجنة فامسحوا رغامها وصلوا في مرابضها وفي رواية ابي يعلى عن البراء الغنم بركة والدجاج
ونحوها كالناقة والبقر والفرس والبط والحمام للدر اي اللبن والنسل اي النتاج ففيها عشر
الرزق اي يسر الرفق وروي وفي التجارة تسعة اعشار الرزق وفي سنن ابن ماجة ان النبي
ع م امر الاغنياء باتخاذ الغنم وامر الفقراء باتخاذ الدجاج وقال عند اتخاذ الاغنياء الدجاج
باذن الله بهلاك القرى وقد بينا وجهه في بهجة الانسان في مهجة الحيوان فكان له ع م بعران
بضم اوله جمع بعير وغنم من لبنها قوت اهله وفي المواهب اللدنية كانت له لقحة واربعون
لقحة ارسل بها اليه سعد بن عبادة وكانت له مائة شاة وكانت له سبعة اعنز منائح ترعاها
ام ايمن وورد خذ الحبة من الحب والشاة من الغنم والبعير من الابل والبقرة من البقر ابو داود

وابن ماجة والحاكم عن معاذ ويختار اي من الغنم صنفا اي نوعا مجمعا فيه السود والبيض
كما كان في غنم شعيب ع م ورعى الكليم في ذلك المقام ولا يحرص على تحصيل الدنيا و
تعطيل العقبى فلا يباكر بالسوق ونحوها فورد شر البقاع السوق لانه محل الغفلة
والعصيان ولو بالخطاء والنسيان وموضع راية الشيطان وجنود اعداء الانسان
وشر اهله اولهم دخولا وآخرهم خروجا رواه ابو نعيم من حديث ابن عباس بلفظ ابغض
البقاع الى الله الاسواق وابغض اهلها الى الله سبحانه اولهم دخولا واخرهم خروجا
وقد تقدم حديث شر البقاع الاسواق وخير البقاع المساجد فينبغي ان لا يمنعه سوق الدنيا
عن سوق العقبى واسواق الآخرة المساجد ونحوها من المدارس والمعابد والمشاهد
وكان عمر يقول للتجار اجعلوا اول نهاركم لآخرتكم وما بعده لدنياكم وكان صالحو السلف
يجعلون اول النهار وآخره للآخرة والوسط للتجارة فلم يكن يبيع الهريسة والرؤوس
بكرة الا الصبيان واهل الذمة لانهم كانوا في المساجد بعد وفي الخبر ان الملائكة اذا
صعدت لصحيفة العبد في اول النهار وآخره ذكر وخير كفر الله ما بينهما من سيئ الاعمال
ابو يعلى من حديث انس بسند ضعيف ويقويه قوله تعالى وسبح باسم ربك بالعشي والابكار
ويؤيده حديث تلتقي ملائكة الليل وملائكة النهار عند طلوع الفجر وعند صلوة العصر
فيقول الله وهو اعلم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم يصلون وجئنا وهم يصلون فيقول الله
اشهدكم اني قد غفرت لهم متفق عليه من حديث ابي هريرة وقد جاء في تفسير قوله تعالى رجال
لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله انهم كانوا حدادين وخرازين فكان احدهم اذا رفع
المطرقة او غرز الاشفار فسمع الاذان لم يخرج الاشفار المغروز ولم يوقع المطرقة
ورمى بها وقام الى الصلوة وقد قيل من احب الآخرة عاش ومن احب الدنيا طاش
والاحمق يغدو ويروح في لاش والعاقل في دينه فتاش ولا يركب البحر الا لحج او عمرة او غزو
رواه ابو داود من حديث عبد الله ابن عمر فكان حقه ان يقول وورد ويقال لمن ركب البحر للتجارة
فقد استقصى في طلب الرزق والمعنى انه يدل على كمال حرصه وعدم القناعة في امره فكان من السلف
من اذا ربح دانقا انصرف قناعة به وكان فيهم من ينصرف بعد الظهر ومنهم بعد العصر ومنهم
من لا يعمل في الاسبوع الا يوما او يومين ويتورع اي عن الشبهات ولا يكتفي بالتحرز عن
المحرمات وقد حمل الى رسول الله صلى الله ع م لبن فقال من اين لكم هذا فقيل من هذه الشاة فقال
ومن اين لكم هذه الشاة فقيل من موضع كذا فشرب منه ثم قال انا معاشر الانبياء امرنا ان
لا ناكل الا طيبا ولا نعمل الا صالحا الطبراني ام عبد الله اخت شداد ابن اوس بسند ضعيف

ويقويه قوله تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا ويؤيده قوله ع م ان الله امر
المؤمنين بما امر به المرسلين فقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم وعن
ابي هريرة كان اذا اتي بطعام من غير اهله سال عنه الحديث رواه احمد من حديث ابي هريرة
باسناد جيد وله من حديث جابر ان رسول الله صلى الله و م واصحابه مروا بامراة فذبحت
لهم شاة الحديث وفيه فاخذ رسول الله صلى الله ع م لقمة فلم يستطع ان يسيغها فقال هذه
شاة ذبحت بغير اذن اهلها الحديث واسناده جيد والحاصل انه ع م كان لا يسال عن كل ما يحمل اليه
الا اذا ظهر له ما يدل على ريبة لديه وفي البخاري من حديث عائشة كان لابي بكر غلام يخرج
له الخراج وكان يأكل ابو بكر من خراجه فجاء يوما بشئ فاكل منه ابو بكر فقال الغلام اتدري ما
ما هذا فقال وما هو قال كنت تكهنت لانسان في الجاهلية فاعطوني فادخل اصبعه في
فيه وجعل يقئ وفي بعض الاخبار انه ع م لما اخبر بذلك قال اوما علمتم ان الصديق لا يدخل
جوفه الا طيبا ويتورع اي يطلب الورع من نفسه ويبالغ في تركه حظه فان الورع اصل الدين
كما ان الطمع فساده في مقام المجتهدين فورد الوعون فاستحي ان احاسبهم اي فانهم حاسبوا
انفسهم قبل ان يحاسبوا والحديث لم اعرفه وادنى رتبة اي مراتبا الورع الاحتراز عن
الحرام وهو الورع المخصوص به في عرف الاعلام ثم عن الشهوة اي شهوة النفس وهواها وكان
الظاهر ان يقول ثم عن الشبهة ولعله سهو في النسخة وهو التقوى اي كمالها وجمالها فورد
دع ما يريبك اي ما يوقعك في الريبة والشبهة الى ما لا يريبك النسائي والترمذي والحاكم
وصححاه من حديث الحسن بن علي وهو اي المريب كما في نسخة كما اختلف فيه عند العلماء بالحل
والحرمة او الكراهة والحلو عنها كاكل الضب ونحوها والاخذ بالرفع والخفض اي ثم الورع
عن الاخذ والمريب كالاخذ ممن علم اي ظن ظنا غالبا ان ماله حراما بان يكون اكثره حراما
او عليه اي او ان على نفسه علامة عدم المبالاة في المعاملة فكل منسوب الى ظلم وخيانة
او سرقة او ربا فلا تعامله وكذا الاجناد والظلمة من الامراء والوزراء واصحابهم و
اعوانهم من العلماء وفي الخبر من لم يبال من اين اكتسب المال لم يبال الله عز وجل من اين ادخله النار
الديلمي عن انس ض وصلة السلطان اي ثم الورع من اخذها او كصلته واعطائه اذا اشتبهت
المال اي التبس مال الحرام بالحلال واستحقاق للاخذ اي اخذه في تلك الحال وهو يحتمل المصدر
واسم الفاعل ويؤيد الاول قوله او قدره اي من جملة المال والاولى في مثله اي في مثل ما ذكر
من مواضع الاشتباه والسؤال عن الغير اي من اهل الانتباه فان راى العليل عليل والنفس
بالطبع الى هواها تميل والتعلل اي والاولى في مثله حال الامتناع اظهار

الاعتدال كي لا يتاذى اي صاحبه في الاسرار فاسرار المؤمن اي ادخال السرور في قلبه بقبول
ما لو شبهه في حاله اهم من الورع في اظهار رفعاله فعن ابن عمر ما من شئ احب الى الله من ادخال
السرور على اخيك المسلم ابن النجار اما الوهم الغير الناشئ عن دليل اي عما يشعر بعلة شبهة وريبة
كالاحتراز عن الصيد اي مطلقا لاحتمال كونه ملكا للغير اي مسيبا ولا اثر عليه اي على الصيد من
علامة دالة على انه للغير فوسوسة وسمي الشبهة الشبهة وينبغي على الورع فيه على ظاهر الحال
اي حال المسلم لما ورد نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر وهو اعلم بالضمائر تحسينا للظن
اي بأخيه المؤمن فوران بعض الظن اثم وهو الذي لا علامة فيه مما يوافقه او ينافيه واما
ما ورد من ان الحزم سوء الظن فمحمول على ما يوجد فيه امارة وفي الاية ايضا الى هذا المفهوم
اشارة وعن سلمان اذا كان صديق عامل او تاجر يقارف الربا فدعاك الى طعام او نحوه او
اعطاك شيئا فاقبل فان المهنا لك وعليه الوزر فاذا ثبت هذا في المرابي فالظالم في معناه
ثم اي ثم الورع عما لا باس به مخافة ما به باس ففي سنن ابن ماجة لا يبلغ العبد درجة المتقين
حتى يدع ما لا باس به مخافة ما به باس وهو اي اصل في التقوى اي المسمى به ومنه انه ع م
ارق ليلة فقال له بعض نسائه ارقت يا رسول الله فقال اجل وجدت تمرة فاكلتها فخشيت
ان تكون من الصدقة احمد من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده باسناد حسن كترك الغرب
الشبع اي المفرط والعطر اي الطيب الكثير وهما مما لا باس بهما لتحريكهما الشهوة التي بها باس
فتكون باعثة له على الريبة والشبهة ثم اي ثم الورع عما ليس لله تعالى اي خالصا لوجهه وان كان
مباحا في اصل امره وهو الصدق المطلق وصاحبه الصديق المحقق كترك خطوة او لقمة وكذا
ترك نظرة وخطرة وسكون وحركة ليس فيهما اي وفي امثالها نية عبادة وقصد سعادة
فهم اي هذا المقام وهم الصديقون كانوا يقتفرون على لقيمات يقوون على العبادة ابدانهم و
روى عن عمر انه كان ياكل سبع لقم او تسع وقد اشير اليه بقوله لقيمات فانه اقل جمع القلة
وهو ما دون العشرة وفي هذا بيان الكمية وفي تصغيرها ايماء الى تقليلها والتحقيق انه
كلما شدد في الاحتياط يكون سببا للتخفيف اي لتخفيف الحساب وتقليل العذاب والاصل
الاستفتاء من القلب والاستخارة في كل امر من الرب فورد واستفت قلبك وان افتاك
المفتون وما خاب من استخار ثم اعلم ان اغلب اموال السلاطين حرام في هذه الاعصار والحلال
في ايديهم معدوم او عزيز في الديار وقد اختلف الناس في هذا فقال قوم كل ما لا يتيقن انه
حلال فلا يحل شبهة اصلا ولا عدل ان الحكم للاغلب فاذا كان حراما حرم واذا كان حلالا
نعم حله وحكم الورع بتركه الا ان هذا الزمان لم يوجد الا الشبهات لفقد الخالص من الحلالات

الطيبات ولهذا صح من جوز اموال السلاطين اذا كان فيه حلال وحرام مهما يتحقق ان عين المأخوذ حرام بما روى عن جماعة من الصحابة انهم ادركوا ايام الائمة الظلمة واخذوا الاموال منهم كابي هريرة وابي سعيد الخدري وزيد بن ثابت وابي ايوب الانصاري وجرير بن عبد الله وجابر وانس والمسور بن مخرمة فاخذ ابو سعيد وابو هريرة من مروان ويزيد بن عبد الملك واخذ ابن عمر وابن عباس من الحجاج واخذ كثير من التابعين منهم كالشعبي وابراهيم والحسن وابن ابي ليلى واخذ الشافعي من هرون الرشيد الف دينار في دفعة واخذ مالك من الخلفا اموالا جمة وقال علي كرم الله وجهه خذ ما اعطاك السلطان فانما يعطيك من الحلال وما ياخذه من الحلال اكثر وانما ترك من ترك منهم العطا تورعا الا ترى قول ابي ذر للاحنف بن قيس خذ العطا ما كان نحلة فاذا كان اثمان دينكم فدعوه وقال ابو هريرة اذا اعطينا قبلنا واذا منعنا لم نسال وعن سعيد ابن المسيب عن ابي هريرة انه كان اذا اعطاه معاوية سكت وان منعه وقع فيه وروى نافع عن ابن عمر ان المختار كان يبعث اليه المال فيقبله ثم يقول لا اسأل احدا ولا ارد ما رزقني الله وعن نافع انه بعث ابن معمر الى ابن عمر بستين الفا فقسمها على الناس ثم جاءه سائل فاستقرض من بعض ما اعطاه واعطى السائل ولما قدم الحسن بن علي على معاوية فقال لا اخبرك بجائزة لم اجزها احدا من العرب قبلك ولا اجيزها بعدك من العرب قال فاعطاه اربعمائة الف فاخذها وعن جعفر عن ابيه ان الحسن والحسين كانا يقبلان من جوائز معاوية وقال الحكيم بن جبير مررنا على سعيد بن جبير وقد جعل عاشرا من اسفل الفرات فارسل الى العشارين اطعمونا مما عندكم فارسلوا بطعام فاكل منه واكلنا معه وزعمت هذه الفرقة انما نقل من امتناع جماعة من السلف من العطاء لا يدل على التحريم بل على الورع كالخلفاء الراشدين وابي ذر وغيرهم من الزهاد فانهم امتنعوا من الحلال المطلق زهدا ومن الحلال الذي يخاف افضاؤه الى محذور ورعا وما نقل عن سعيد بن المسيب انه ترك عطاءه في بيت المال حتى اجتمع بضعا وثلثين الفا وما نقل عن الحسن انه قال لا اتوضا من ماء صيرفي وان ضاق وقت الصلوة لاني لا ادري اصل ماله كل ذلك ورع لا ينكر ومن هذا القبيل ان ابا بكر حسب جميع ما كان اخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فغرمها لبيت المال وان عمر كان يقسم مال بيت المال فدخلت ابنة له واخذت درهما من المال فنهض عمر في طلبها حتى سقطت الملحفة عن احد منكبيه ودخلت الصبية الى بيت اهلها تبكي وجعلت الدرهم في فيها فادخل عمر اصبعه فاخرجه من فيها وطرحه على الخراج وقال ايها الناس ليس لعمر ولا لآل عمر الا ما للمسلمين قريبهم وبعيدهم وكسح ابو موسى الاشعري بيت المال فوجد درهما فمر بني لعمر فاعطاه اياه فرآه عمر في يد الغلام فقال اعطانيه ابو موسى فقال يا ابا موسى ما كان

في اهل المدينة بيت اهون عليك من آل عمر اردت ان لا يبقى احد من امة محمد الا طلبنا بمظلمة ورد الدرهم الى بيت المال وقال عمر اني لم اجد نفسي في مال بيت المال الا كولي مال اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف وعن ابن عمر انه قال في ايام الحجاج ما شبعت من الطعام منذ انتهبت الدار الى يومي هذا وروي عن علي رض انه كان له سويق في اناء مختوم يشرب منه فقيل له اتفعل هذا بالعراق مع كثرة طعامه فقال اما اني لا اختمه بخلا فيه ولكن اكره ان يجعل فيه ما ليس منه واكره ان يدخل بطني غير طيب وعن ابن المبارك ان الذين ياخذون الجوائز اليوم ويحتجون بابن عمر وعائشة ما يقتدون به لان كلا منهما كان يفرق ما ياخذه من مجلسه وكذا جابر بن زيد قبل وتصدق به وكان يقول رايت ان اخذ منهم واتصدق احب الي من ان ادعها في ايديهم وهكذا فعل الشافعي بما قبله من هارون الرشيد فانه فرقه على قرب حتى لم يمسك لنفسه حبة واحدة فمن استولى على اموالهم وشبه نفسه بالصحابة والتابعين والائمة المجتهدين فقد قاس الملوك بالحدادين ثم اعلم ان الغني الذي لا مصلحة فيه فلا يجوز صرف مال بيت المال اليه هذا هو الصحيح وان كان العلماء قد اختلفوا فيه وفي كلام عمر يدل على ان لكل مسلم حقا في مال بيت المال لكونه مسلما مكثرا جمع المسلمين ولكنه مع هذا ما كان يقسم المال على المسلمين كافة بل على مخصوصين بصفات فاذا ثبت هذا فكل من يتولى امرا يقوم به وتتعدى مصلحته الى المسلمين ولو اشتغل بالكسب لتعطل عليه ما هو فيه فله في بيت المال حق الكفاية ويدخل فيه العلماء كلهم اعني العلوم التي تتعلق بمصالح الدين من علم الفقه والحديث والتفسير والقراءة حتى يدخل فيه المعلمون والمؤذنون وكذا طلبة هذه العلوم فيه يدخلون ويدخل فيه العمال وهم الذين ترتبط مصالح الدنيا باعمالهم وهم الاجناد والمرتزقة وهم الذين يحرسون المملكة بالسيوف والسهام من اعداء الاسلام ويدخل فيهم الكتاب والحساب والعمال على اموال الحلال وليس يشترط في هؤلاء الحاجة بل يجوز ان يعطوا مع وجود الغنى فان الخلفاء الراشدين كانوا يعطون المهاجرين والانصار ولم يعرفوا بالحاجة والافتقار وليس يتقدر ايضا بالمقدار بل هو الى اجتهاد الامام في الاختيار فله ان يوسع بالغناية وينقص على الكفاية بحسب ما يقتضيه الحال وسعة المال فقد كان يعطى الجماعة لكل واحد اثني عشر الفا نقرة في السنة واثبت لعائشة وجماعة في هذه الجريدة لكل واحد عشرة آلاف وجماعة ستة آلاف وهكذا اعطى عائشة في جريدة اخرى اثني عشر الفا وزينب عشرة آلاف وجويرية ستة آلاف وكذا صفية وسوى ابو بكر رض في زمانه فراجعه عمر فقال انما فضلهم عند الله وانما الدنيا بلاغ فالسلطان اذا لم يعم بالعطاء كل مستحق كما في زماننا فهل يجوز للواحد ان ياخذ منه فهذا مما اختلف العلماء فيه على اربع مراتب فغلا بعضهم وقال كلما ياخذه فالمسلمون فيه شركاء ولا

يدرى ان حصته منه درهم او دانق او حبة فليترك الكل وقيل له ان يأخذ قوت يومه فقط فان هذا القدر يستحقه لحاجته على المسلمين وقيل له ان يأخذ قوت سنة فان اخذ الكفاية كل يوم عسير وهو ذو حق فى هذا المال فكيف يتركه وقيل انه يأخذ ما يعطى والمظلوم هم الباقون وهذا هو القياس لان المال ليس مشتركا بين المسلمين كالغنيمة بين الغانمين ولا كالميراث بين الاقربين لان ذلك صار ملكا لهم وهذا لو لم تتفق قسمة حتى مات هؤلاء لم يجب التوزيع على ورثتهم بحكم الميراث بل هذا الحق غير متعين وانما يتعين بالقبض بل هو كالصدقات ومهما اعطى الفقراء حصتهم من الصدقات وقع ذلك ملكا لهم ولم يمتنع لظلم المالك بقية الاصناف لمنع حقهم وقد وقع الاطناب فى هذا الباب لانه مهم لذوى الالباب فى معرفة الخطاء والثواب

الباب السابع فى الاتساع فى المعيشة

اى لاجل المعاش فى خزائن الدنيا واخذ زاد المعاد فى العقبى وهذا الباب مشتمل على انواع من الادب كالاكل والشرب واللبس والمنام والكلام ومما لا يستغنى عنه الانام بسم الله الرحمن الرحيم مفتاح كل كتاب كريم ورد ان كنتم تحبون الله اى تبتغون رضاه فاتبعونى فى كل ما قدره وقضاه وامره ونهاه بتمامه يحببكم اى يثيبكم فيما خلقه من دنياه واخراه ويغفر لكم ذنوبكم فى عقباه والله غفور رحيم لمن عصاه ثم اتقاه وما اتاكم الرسول فخذوه اى من اوامره بتمامه وما نهيكم عنه فانتهوا من زواجره فالاصل اى الذى بنى عليه نظام الاحكام اتباعه عليه السلام فى جميع الامور من احوال الانام لانه اى اتباعه يصير العادة عبادة وينور الباطن ونوره يوجب سعادة ويذكر العبودية التى هى القيام بحقوق الربوبية ويقرب الى الارتياض اى تهذيب الاخلاق عن الاوصاف الذمايم فالمسترسل فى اتباع الهوى يشبه البهايم كما اشار اليه قوله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل لانها ليس لها استعداد الانام ويأكلون كما تأكل الانعام حيث لم يفرق بين الحلال والحرام هذا اى خذ هذا الكلام وانما عدله عم من مباح الى اخر لاطلاعه بنور النبوة على فائدة فيه دون الآخر انتقالا وفوق انتفاع الهدى لا استرسالا فى اتباع الهوى فتركه اى ترك الاتباع للتكذيب كفر بالاجماع ودونه اى تركه بدون التكذيب حمق اى جهالة وضلالة من غير النزاع وحقه اى حق اتباعه عم فى انتفاعه بالطعام الذى هو اصل معاش الانام ان يغسل اليدين الى الرسغين فغسل اليد الواحدة والاصابع غير كاف للقيام بالسنة كما هو مصرح فى العوارف والغنية قبل الاكل وبعده فهما سنتان كما فى السراجية ولو غسل يديه للطعام وعنده يصير الماء مستعملا لاقامة السنة بخلاف ما لو قصد غسلهما من الوسخ كما فى الجامع الصغير الخانى تنظيفا اى تطهيرا عن التلوث نظرا الى الثانى وتعظيما للنعمة نظرا الى الاول ففى الكلام لف ونشر مشوش وورد الوضوء المراد به

اللغوى وقيل الشرعى قبل الطعام ينفى الفقر لاستقبال النعمة بالطهارة والنظافة وبعده ينفى اللمم اى اصابة الجنون من فقد العقل وظهور الغم او اصابة لحس ذوات السم وقيل صغائر الذنوب ومنه قوله تعالى الا اللمم وقوله عم ان تغفر اللهم فاغفر جما واى عبد لك لا الما وفى نسخة من الاحيا ينفى الهم قال وفى رواية ينفى الفقر قبل الطعام وبعده قال المخرج رواه القضاعى فى مسند الشهاب من رواية موسى الرضا عن ابائه متصلا باللفظ الاول وللطبرانى فى الاوسط من حديث ابن عباس الوضوء قبل الطعام وبعده مما ينفى الفقر وهو من سنن المرسلين ولابى داود والترمذى من حديث سلمان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده انتهى ورواه احمد والحاكم فى مستدركه وفى رواية الحاكم فى تاريخه عن عائشة الوضوء قبل الطعام حسنة وبعده حسنتان واغرب سفيان الثورى فى قوله يكره غسل اليدين قبل الطعام ولعله محمول على انهما اذا كانت نظيفة بلا ريبة ولذا قيل بيد المصلى طاهرة فى غسلهما اسراف ولا يبعد ان يكون ماخذه ما رواه الترمذى فى الشمائل عن ابن عباس انه عم خرج من الخلاء فقرب اليه الطعام فقالوا الا نأتيك بوضوء قال انما امرت بالوضوء اذا قمتم الى الصلوة وروى ايضا فيها انه عم اصلى فاتوضاء فاخذ بظاهره مالك وسفيان فيكرهان الوضوء قبل الطعام والشافعى استحب تركه والتحقيق ان المراد من الوضوء المنفى هو الوضوء الشرعى فلا ينافى الوضوء اللغوى العرفى من غسل اليدين مع انه عليه السلام اراد بيان جواز تركه والتصريح بعدم وجوبه كما فى الترمذى عن سلمان قال قرأت فى التورية ان بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده انتهى فهو عم بعث لاتمام مكارم الاخلاق الانام ثم مسح اليدين بعد الطعام مستحب ولا يمسح يديه بالمنديل ونحوه قبل الطعام بل يتركه حتى يجف فيكون اثر الغسل قائما عند الاكل كذا فى الخانية ويفتح اى يبتدئ بعد التسمية بالملح اى الخالص ويختم به ففيه اى فيما ذكر من الافتتاح والاختتام به مغفرة الذنوب اى الصغائر ودفع سبعين بلاء اى عن الظواهر او الضمائر وهذا لم اجد له اصلا ويأكل على السفرة اى من الجلد او الخرقة الموضوعة على الارض فهو اقرب الى ادبه عم وتواضعه لمقام الانعام فورد انه كان اذا اتى بطعام وضعه على الارض احمد فى كتاب الزهد عن الحسن مرسلا والبزار من حديث ابى هريرة نحوه وفى البخارى عن انس ما اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا فى سكرجة فقيل فعلى ما ذا كنتم تأكلون فقال على السفر وهى جمع السفرة الدالة على السفر المذكر لسفر الاخرة وزاد متاعها الفاخرة فالخوان اى استعمال الموائد والمنخل والاشنان والشبع من البدع وان لم يكن احد منهم يكره هذه البدع الاربع مذمومات غير الشبع فانه مذموم بالشرع والطبع قال البعض الحكماء

ثلثة يبغضهم الناس البخيل والمتكبر والاكول وقال ابو سليمان الداراني من شبع دخل عليه ست
آفات فقد حلاوة العبادة وقصور حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لانه اذا شبع
ظن ان الخلق كلهم شباع ويثقل الطاعة وان يدور المؤمنون حول المساجد والمحافل وهو
يدور حول المطاهر والمزابل ويقال في قلة الاكل منافع كثيرة منها ان يكون اصح جسما و
اجود حفظا واذكى فهما واقل نوما واطيب نفسا واخف بدنا والطف حسنا وفي كثرة
الاكل مضار كثيرة وهي اضداد ما تقدم ويتولد منها الامراض المختلفة ويقال اذا كانت
العلة من قلة الاكل صلحت بمؤنة القليلة واذا كانت من كثرة الاكل تحتاج الى مؤنة كثيرة
يدفعها ثم ليس كلما ابتدع منهيا عنه بل المنهي عنه ابداع بدعة تضاد سنة قال الحجة وليس
في المائدة الا رفع الطعام عن الارض لتيسير الاكل وامثال ذلك مما لا كراهة فيه اقول وانما
الكراهة من حيث انه مخالف للسنة وشعار اهل النعمة وطريق اهل الكبر والنخوة قال والاربع
التي ذكرنا انها مبتدعة ليست متساوية بل الاشنان حسن لما فيه من النظافة فان الغسل مستحب
والاشنان اتم في التنظيف وكانوا لا يستعملونه لانه ربما كان لا يعتاد عندهم او لا يتيسر
وكانوا مشغولين بامور هي اهم من المبالغة في النظافة وقد كانوا لا يغسلون الايدي ايضا
وكانت مناديلهم اخمص اقدامهم وذلك لا يمنع كون الغسل مستحبا قلت ثبت الغسل بالاخبار
فلا ينافي ما فعلوه احيانا في حال الاضطرار وفي الجملة ليست المبالغة في النظافة من عمل السلف
الاخيار وفي الخانية عن ابي ح وابي يوسف لا باس بغسل اليد بعد الاكل بالنخالة والدقيق فيما عنده
الاشنان وهو قول محمد وبالعسل والصابون ونحوهما اولى فان النظافة بها انقى وفي الازهار
شرح المصابيح قال العلماء ورد عنه ع م انه غسل قبل الطعام وبعده وترك الغسل في الحالين
وورد مسح اليدين بالمنديل والحصباء الا ان يريد اكل شيء رطب وقد انتقض طهارته فيكره
ومن هنا قيل يد المصلي طاهرة واختلاف الروايات لتفاوت الاطعمة والحالات واكثر احواله
الغسل قبل الطعام وبعده او الاكتفاء في آخره والله اعلم قالوا واما المنخل فالمقصود منه تطييب
الطعام وذلك مباح ما لم ينته الى التنعم المفرط واما الشبع فهو اشد هذه الاربعة فانه يدعو
الى تهييج الشهوات والاهواء وتحريك الادواء في الاعضاء متادبا اي ياكل حال كونه متادبا
في هيئة جلوسه فورد لا اكل متكئا اي متمكنا في مقعده سواء يكون مستندا او متكئا على احد
شقيه او متربعا او مضطجعا والحديث رواه البخاري من حديث ابي جحيفة وفي السراجية لا باس
بالاكل متكئا اذا لم يكن عن تكبر انما انا عبد آكل كما ياكل العبد البزار من حديث ابن عمر وزاد
احمد في الزهد من حديث عطا بن ابي رباح ومن حديث الحسن مرسلا واجلس كما يجلس العبد وورد

بسند ضعيف انه ع م زجر ان يعتمد الرجل بيده اليسرى عند الاكل الا الفاكهة استثناء من
من قوله لا ياكل متكئا على سبيل التفكه اي التنقل من الجواب فيجوز متكئا ومضطجعا ويجلس
على الرجل اليسرى وينصب اليمنى فهو مسنون روى ابو الحسن المقري في الشمائل من حديث انس
كان اذا قعد على الطعام استوفز على ركبته اليسرى واقام اليمنى ثم قال انما انا عبد آكل كما ياكل
العبد وافعل كما يفعل العبد وفيه تنبيه نبيه على ان الاكل على المائدة مكروه وربما جثا على
ركبتيه للاكل وجلس على ظهر قدميه فقد روى ابو داود من حديث عبد الله بن بسر في اثناء حديث
اتوا بتلك القصعة فالتفوا عليها فلما كثروا جثا رسول الله صلى الله ع م الحديث وله وللنسائي
من حديث انس رايته ياكل وهو مقع من الجوع وفي القاموس اقعى في جلوسه تساند الى ما وراءه
وروى عن علي رض انه اكل كعكا على ترس وهو مضطجع ويقال منبطح على بطنه والعرب قد تفعل
ذلك اذا لم يكن مانع هنالك واما ما ورد من نهيه ع م عن اكل الرجل وهو منبطح على بطنه كما رواه
ابو داود وابن ماجة والحاكم فهو محمول على التنزيه وكذا يكره الاكل قائما وينوي به اي بالاكل
القوة على الطاعة دون التلذذ وقصد الشهوة ومن دعاء السلف بعد الاكل اللهم
اجعل عونا على طاعتك ولا تجعله عونا على معصيتك ومن ضرورة هذه النية تقليل الاكل
في القصعة وفي الخبر ما ملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه حسب ابن ادم لقيمات يقمن صلبه فان
لم يفعل فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس الترمذي وقال حسن والنسائي وابن ماجة
من حديث المقدام بن معدي كرب ويقدمه اي الاكل على الصلوة ان امن فوتها اي بخروج وقتها
وانما يقدمه لئلا يرد اذا قعد لديه ولا يلتفت القلب اليه فالاكل المخلوط بالصلوة خير من
الصلوة المخلوطة بالطعام وورد اذا حضر العشاء بفتح العين اي طعام الليل والعشاء
بكسرها اي صلوته فابدؤا بالعشاء وهو يشمل العشائين وكذا اتفق وقت العصر وهكذا
حكم الغداء عند الظهر نظرا الى العلة وهي الشاغلة والحديث كذا في الاحياء قال العراقي في شرح
الترمذي لا اصل له في كتب الحديث بهذا اللفظ واصل الحديث في المتفق عليه بلفظ اذا وضع
العشاء واقيمت الصلوة فابدؤا بالعشاء والجمهور على ان الامر للندب فقيل انه مقيد
بمن كان محتاجا الى الاكل وهو المشهور وقيل على اطلاقه واليه ذهب ابن عمر ولقد كان ربما
يسمع قراءة الامام فلا يقوم من عشائه وقيل المراد به صلوة المغرب لرواية فابدؤا به
قبل ان تصلوا المغرب ولرواية اذا وضع العشاء واحدكم صائم وقيل وهو الاظهر ينبغي
حملها على العموم نظرا الى العلة وهي التشوق المفضي الى ترك الخشوع وذكر المغرب لا يقتضي
الحصر فيها لان الجائع غير الصائم قد يكون اشوق الى الاكل من الصائم ثم الحمل على العموم

انما هو بالنظر الى المعنى اللاحق الجائع بالصائم لا بالنظر الى اللفظ الوارد كذا في الفتح
الباري شرح البخاري ومكثر الايدي اي على الطعام ولو من اهله وولده والخدام
فورد اجتمعوا على طعامكم يبارك لكم فيه بصيغة المجهول ابو داود وابن ماجة من حديث
وحشي بن حرب بلفظنا وحين قيل الاكل مع العيال افضل من الاكل وحده والاكل مع
الغير افضل من الاكل مع العيال وكان عم يأكل وحده الخ الطبراني في مكارم الاخلاق
عن انس ومنه تقليل الاكل اي غالبا والانفاق اي الايثار لحديث الاتفاق والجمع في
القصعة الواحدة احب الى الله تعالى فعنه عم خير الطعام ما كثرت عليه الايدي
كذا في الاحياء وسكت عنه مخرجه وعن عمر مرفوعا كلوا جميعا ولا تفرقوا فان البركة
مع الجماعة ابن ماجة ويجتنب القصعة الصغيرة فلا بركة فيها لعدم اتساع الايدي
ونحو الصفر والنحاس اي ويجتنب الاكل فيهما فالمسنون الخشب والخزف واما الصيني
فهو في غاية التنعم ولم يكن يستعمله السلف ويسمي في الابتداء فهو سنة موكدة ففي
عائشة رض اذا اكل احدكم طعاما فليذكر اسم الله فان نسي ان يذكر اسم الله في اوله فليقل
بسم الله على اوله وآخره ابو داود والنسائي والحاكم وقيل التسمية واجب ويحمد في الانتهاء
فانه مستحب والاحب في كل لقمة ان يسمي في اولها ويحمد في آخرها وفي الاحياء يقول مع
اللقمة الاولى بسم الله ومع الثانية بسم الله الرحمن ومع الثالثة بسم الله الرحمن الرحيم فعلى
هذا يقول مع الاولى الحمد لله ومع الثانية زيادة رب العالمين ومع الثالثة زيادة
الرحمن الرحيم ويجهر اي بالتسمية تذكيرا للغير وحرضا له على الخير ولا يعيب ماكولا من المباح
فهو المأثور اي المتفق عليه من حديث ابي هريرة انه عم كان لا يعيب ماكولا ان اعجبه
اكله والا تركه فذهب بعضهم الى ان العيب ان كان من جهة الخلقة كره وان كان من جهة
الصنعة فلا يكره وقال العسقلاني والذي يظهر التعميم فان فيه كسر قلب الصانع قلت لكن قد يراد
به التنبيه والتعليم ومن الادب ان يأكل بيمينه ولا يتجاوز عما يليه فورد كل مما يليك متفق
عليه من حديث عمرو بن ابي سلمة وهو ربيبه عم انه قال ادن وسم الله وكل بيمينك مما يليك
الا في الثمار اي الفواكه فهو اي استثناؤه مروي معللا بانه ليس نوعا واحدا اذ يوجد
فيه ما هو ني ومنضوج وبين ذلك وايضا اذا كان في الطبق انواع من الثمار ففي كل نوع
له حظ فلا يكره ان يأكل من غير ما يليه والحديث رواه الترمذي وابن ماجة وابن حبان من حديث
عكراش بن ذويب وفيه وجالت يد رسول الله صلى الله عم في الطبق فقال يا عكراش كل من
حيث شئت فانه غير لون واحد ولا يأكل من ذروة القصعة اي اعلاها ولا من وسطها اي

ولو

ولو لم يكن مرتفعا بل من جوانبها ففي ابن عباس كلوا في القصعة من جوانبها ولا تاكلوا من وسطها
فان البركة تنزل في وسطها احمد والبيهقي وفي رواية ابي داود وابن ماجة عن عبد الله بن بسر
كلوا من جوانبها وذروا ذروتها يبارك فيها وفي رواية لابن ماجة عن واثلة كلوا
بسم الله من جوانبها واعفوا رأسها فان البركة تأتيها من فوقها ووسط الخبز اي ولا من
وسط الخبز بل يأكل من استدارة الرغيف فيا ساعد القصعة الا اذا قل الخبز فيكسر الخبز
ولا باصبعين اي الا اذا كان الى الثالثة فهو تكبر وكذا باصبع فان الاكل بها مع انه فعل
المتكبرين لا يستلذ به الآكل ولا يستمري به لضعف ما يناله منه كل مرة فهو كمن اخرجه
حبة حبة ولا باربع فهو شره اي حرص على الطعام الا اذا احتاج به فقد قيل انه عم
ربما كان يستعين في الاكل برابع اصابعه وكان لا يأكل باصبعين وقال الشيطان يأكل بهما
والسنة اي المعروفة والعادة المألوفة له عليه السلام بثلث ففي الشمائل للترمذي عن كعب
ابن مالك انه عم يأكل باصابعه الثلث وقد قال العلماء يستحب الاكل بثلث اصابع ولا يضم
اليها الرابعة والخامسة الا لضرورة واما اخرجه سعد بن منصور من مرسل ابن شهاب ان
النبي عم كان اذا اكل اكل بخمس فيحمل على القليل النادر لبيان الجواز او على المايع ولا
بالشمال اي لا يأكل بها فان الشيطان يأكل به اي بهذا العضو فعن جابر لا تاكلوا بالشمائل
فان الشيطان يأكل بالشمال ابن ماجة وعند الضرورات تبيح المحظورات ولا يقطع الخبز
واللحم بالسكين فهو منهي عنه للتشبه بالعجم في الترفع اي التكبر والتنعم في ازمنة جاهليتهم
اما النهي عن قطع الخبز بالسكين فرواه ابن حبان في الضعفاء عن ابي هريرة وابن حبان من
حديث ام سلمة وهو ايضا مناف للكرامة كما سيأتي بيانه في مقامه واما حديث النهي عن قطع
اللحم بالسكين فرواه ابو داود والبيهقي في شعب الايمان من حديث عائشة مرفوعا لا تقطعوا
اللحم بالسكين فانه من صنيع الاعاجم وانهشوه فانه اهنأ وامرأ وللترمذي واحمد والحاكم
من حديث صفوان ابن امية وقال انهشوا اللحم نهشا فانه اشهى واهنأ وامرأ وفيه ايماء
الى جواز القطع ففي الشمائل عن المغيرة بن شعبة قال ضفت مع رسول الله صلى الله عم
ذات ليلة فاتي بجنب مشوي ثم اخذ الشفرة فجعل يحز لي بها منه وفي الصحيحين انه عم احتز من
كتف شاة فدعي الى الصلوة فالقيها والسكين التي يحتز بها ثم قام يصلي ويتوضا وفي
البيهقي اي النهي عن قطع اللحم بالسكين في لحم قد تكامل نضجه هذا وقد ورد اخلعوا
نعالكم عند الطعام فانها سنة جميلة رواه الحاكم عن انس وفي رواية له ولغيره فانه
اروح لاقدامكم ويحضر البقل اي يجعله حاضرا في السفرة فهو يحضر الملائكة اي اذا لم يكن

له رايحة خبيثة ويطرد الشياطين لانهم ما يجتمعون مع الملائكة في محل واحد
ولكن لم اعرف له اصلا وفي الاحياء يقال ان الملائكة تحضر المائدة اذا كان عليها
بقل وفي الخبر ان المائدة التي انزلت على بني اسرائيل كان عليها كل البقول الا الكراث وكان
عليها سمكة عند راسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة ارغفة على كل رغيف زيتون وحب
رمان وعن علي رض من ابتدا غذاؤه بالملح اذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء ومن اكل
كل يوم سبع تمرات عجوة قتلت كل دابة في بطنه ومن اكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة
حمراء لم ير في جسده شيا يكرهه واللحم ينبت اللحم والثريد طعام العرب والسفاذجات تعظم
البطن وترخي الاليتين ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء والشحم يخرج مثله من
الداء ولن تداوى الناس بشيء مثل السمن ولن تستشفي النفساء بشيء افضل من الرطب
والسمك يذيب شحم الجسد والقراءة والسواك يذهبان البلغم ومن اراد البقاء ولا بقاء
فليباكر بالغداء وليقل من العشاء وليلبس الحذاء اي النعل وليقل غشيان النساء
وليخفف الرداء وهو الدين اي من الغرماء ولو كانوا من الكرماء والخل اي يحضر فهو
ينفي الفقر فقد ورد ما افتقر من ادم بيت فيه خل الطبراني وابو نعيم عن عائشة ويغطي
الحار اي يستره لئلا يقع فيه شيء ولا يلتفت اليه نظر حتى يبرد اي يسهل اكله فهو اعظم
بركة وهو السنة اي تابعا لقوله عم ابردوا بالطعام فان الحار لا بركة فيه رواه
رواه الحاكم وغيره ولا ينفخ في الطعام الحار فهو منهي عنه بل يصبر الى يسهل اكله والحديث
عند احمد عن ابن عباس وهو عند ابي داود والترمذي وصححه ابن ماجة الا انهم قالوا
في الاناء وللترمذي وصححه من حديث ابي سعيد نهى عن النفخ في الشراب لئلا ينفصل من ريقه
شيء ويقع فيه فيتنفر الطبع منه ويكرم الخبز فورد اكرموا الخبز اخرجه الحاكم في مستدركه
عن عائشة وفي رواية فان الله تعالى اكرمه فمن اكرم الخبز فقد اكرمه الله تعالى وفي رواية
فان الله انزله من بركات السماء اخرجه البغوي في معجم الصحابة بكماله من حديث عبد الله بن
زبير مرفوعا والطبراني من حديث ابي سكينة وفي رواية زيادة واخرجه من بركات الارض
رواه الحكيم فلا يمسح به اليد ولا السكين لانه نوع اهانة ولا يضع عليه قصعة ولا مملحة
لانه قلبا للموضوع ولا ينتظر الادام لانه العيش به تمام في مقام النظام فطلب الزيادة
حرص من خصال اللئام ولله در القائل من الكرام * وما هي الا جوعة قد سددتها *
وكل طعام بين جنبي واحد * ويكسر باليدين ولا بيد واحدة كالمتكبرين ويقدم
المكسور على الصحيح اي في اكله ولا يلتفت يمينا وشمالا لانه يوجب اختيالا ويصغر اللقمة

ايماء الى القناعة كما يشير اليه حديث بحسب ابن ادم لقيمات بصيغة التصغير ويجود المضغ
فانه يعين على سرعة الهضم وما لم يبتلعها فلا يمد يده الى غيرها اشعارا بعدم الشره
وطول الامل واحتمال قرب الاجل واما حديث الامر بتصغير اللقمة وتدقيق المضغة فقال
النووي لا يصح وكره والزركشي وكذا حديث صغروا الخبز واكثروا عدده يبارك لكم فيه
ضعفه ابن حبان رواه الديلمي بسند عن عائشة مرفوعا ويستعين باليسرى اي من اليدين
عند الحاجة اي الحاجة اليها ففي الطبراني عن عبد الله بن جعفر قال رايت في يمين رسول الله
صلى الله عم قثاء وفي شماله رطبا وهو ياكل من ذا مرة ومن ذا مرة ولا يجمع بين الادامين
فانه نوع من الترفه فالنهي للتنزيه وكذا ما في تحفة الملوك من ان الجمع بين الاطعمة حرام
اي ممنوع منع تنزيه عند السلف الكرام والا فقد قال الله تعالى قل من حرم زينة الله التي
اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقد ورد انه جمع بين التمر والقثاء كما رواه النسائي
واخرج ابو داود وابن ماجة قدم الينا رسول الله صلى الله عم فقدمنا له زبدا وتمرا وكان
يحب الزبد والتمر فالكل مأثور وعند اهل الاثر مشهور والعامل به ماجور ويلعق الاصابع
اي الثلث ويبتدي بالوسطى فلا يدري في اي جزء منه البركة ففي صحيح مسلم من حديث انس وجابر
ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق اصابعه فانه لا يدري في اي طعامه البركة والقصعة اي
ويلحسها فهو كعتق رقبة ففي الاحيا يقال من لعق القصعة وغسلها وشرب ماءها كان
له عتق رقبة ففي الطبراني عن العرباض من لعق الصحفة ولعق اصابعه اشبعه الله في الدنيا
والاخرة ويأكل السواقط جمع الساقطة ومنه قولهم لكل ساقطة لاقطة فهو مأثور ففي صحيح مسلم
اذا وقعت لقمة احدكم فليأخذها فليمط ما كان بها من اذى ولا يدعها للشيطان و
ورد اكرموا الخبز فانه من بركات السماء والارض ومن اكل ما سقط من السفرة غفر له الطبراني
وورد فهو مهور الحور ففي الاحيا يقال التقاط مهور الحور العين وسبب سعة العيش اي الرزق
في الدنيا حيث عظم نعمة المولى والعافية في الولد اي ذريته من العقر والبلاء ففي الاحياء
من اكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي في ولده قال المخرج رواه ابو الشيخ
في كتاب الثواب من حديث جابر بلفظ امن من الفقر والبرص والجذام وصرف عن ولده الحمق
وفي رواية اعطي سعة من الرزق ووقي الحمق في ولده وولد ولده ويخلل الاسنان اي
تنظيفا ويخرج بالخلال ما بقي منه اي ولا يبلعه الا اذا تخلل بلسانه ويمضمض بعد التخلل
مبالغة في النظافة واللطافة فالكل مأثور وبعضه فيما قدمنا مذكور وفي الاحياء
ففيه اثر من اهل البيت ويحمد الله تعالى بان يقول الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه كما

يحب ربنا ويرضى والحمد لله الذي اطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين والحمد لله الذي اطعمني
هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة وامثال هذا مما ورد في السنة او عري
اي خلي الطعام عن البشهة اي القوية ولا يستغفر ويندم ويغتم حزنا على ما اكل منه فورد
كل لحم نبت من سحت فالنار اولى به البيهقي في شعب الايمان من حديث كعب بن عجرة ويبكي
وليس من ياكل ويبكي كمن ياكل ويلهو ويقول الحمد لله على كل حال ويقرا الاخلاص اي سورة
قل هو الله احد والقريش صوابه قريش اي سورة لايلاف قريش كذا في الاحيا ولعل الاولى
ايماء الى توحيد الذات وتفريد الصفات لاسيما النفتا الصمدي بالوصف الاحدي الابدي
والثانية للاشعار الى تذكار وصفه سبحانه بنعت الاحسان والامتنان حيث قال
فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وآمنهم من خوف واولى القراءة سورة
الفاتحة المشتملة على الحمد والدعاء بالاستقامة الفاتحة كما هو المتعارف بين العامة
مستحسن خلافا لمن منعه ولا يقوم اي عن السفرة قبل الرفع اي الطعام الا اذا كان عادة
ذلك المقام ويدعو الصاحبه ان اكل طعام الغير فيقول اللهم بارك له فيما رزقته واغفر
له وارحمه وان افطر عند قوم قال افطر عندكم الصائمون واكل طعامكم الابرار و
صلت عليكم الملائكة ويقدم الافضل اي في السن او الرتبة كالعالم والسيد في غسل
اي في غسل اليد اخرا ويؤخره اولا مراعاة الحسنة فيهما ففي السراجية ان من السنة ان يبدا
بالشباب قبل الطعام ثم بالشيوخ وبعد الطعام بالعكس والاكل والشرب اي ويقدمه
فيهما مطلقا لقوله عم اذا وضع الطعام فليبدا امير القوم او صاحب الطعام او خير القوم
ابن عساكر عن ابي الدرداء سيد الخولاني مرسلا ويقبل اي الضيف الاكرام كتقديم الطست
من المضيف او غيره اصله الطسس ابدل من احدى السينين تاء وحكي بالشين المعجمة كذا
في القاموس والظاهر انه عجمة فالكرامة لا ترد بل تقبل وقد اجتمع انس بن مالك
وثابت البناني وهو تلميذه التابعي فقدم انس الطست اليه فامتنع ثابت فقال له
انس اذا اكرمك اخوك فاقبل كرامته فلا تردها فانما يكرم الله عز وجل وروي ان
هارون الرشيد دعا ابو معاوية الضرير فصب الرشيد على يده في الطست فلما فرغ
قال يا ابا معاوية اتدري من صب على يديك الماء فقال لا فقال صبه امير المؤمنين فقال يا امير
المؤمنين انما اكرمت العلم واجللته فاجلك الله واكرمك كما اجللت العلم واهله و
لا يطيل انتظار الجمع اي اذا كان هو المتبوع والمقتدى به فح ينبغي له ان لا يطول عليهم الانتظار
اذا اجتمعوا للاكل وتهيؤا له فورد في البستان جاء بعجل حنيذ اي مشوي وفيه انه لم يكن

هناك من ينتظر فان استدلال به فيه نظر ولا يسكت حين الاكل فهو سيرة العجم من المجوس لكن
لا يتكلم كثيرا فانه يوجب اللهو وهو سيرة العجم بل يتكلم بالمعروف ويتكلم بحكايات الصالحين
في الاطعمة وغيرها مما يناسب المقام ويوافق الرفيق بان يؤثره احسن الاطعمة ولا يقصد
ان ياكل زيادة على ما ياكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضى رفيقه مهما كان الطعام
مشتركا ويتعهده اي يتفقده في الجملة غير ملح اي في عزمه على الاكل فيقول له كل ولا يزيد
على ثلث اي ثلث مرات فهو من تحقق كان عم اذا خوطب في شيء ثلثا لم يراجع بعد ثلث
رواه احمد من حديث جابر واسناده حسن وفي البخاري من حديث انس كان يعيد الكلمة ثلثا و
لا يحلف بتشديد اللام معلوما ومجهولا لحفاء اي الحسن بن علي رض الطعام اهون من ان يحلف عليه
لان القسم انما يكون لامر صعب لديه ويهون عليه ولا يحوجه اي رفيقه او مضيفه الى التعهد
قال بعض الادباء احسن الاكلين اكلا مع الرفقاء من لا يحوج صاحبه الى تفقده في اكله
وحمله بعقله عن اخيه مؤنة قوله وكان ابن المبارك يقدم فاخر الرطب الى اخوانه فيقول من
اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان يعد النوى فيعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم
وذلك لزيادة النشاط في بساط الانبساط وقال جعفر بن محمد احب اخواني الى اكثرهم اكلا
واعظمهم لقمة واثقلهم على من يحوجني الى تعاهده في الاكل ويجمع ماء الغسل في طست ما امكن
اي مهما وسع فورد اجمعوا وضوءكم بالفتح اي ماء الوضوء وهو يشمل الوضوء اللغوي والشرعي
جمع الله شملكم اي تفرقكم والحديث رواه العقيلي من حديث ابي هريرة باسناد لا باس به وكان
حق المصنف ان ياتي بهذه الجملة قريبا مما سبق ليكون متعلق غسل اليد على طبق النسق
والحاصل ان الاجتماع على غسل الايدي في الطست الكبير لا باس به اذا كان في حالة واحدة
بل هو اقرب الى التواضع والانكسار وابعد عن طول الانتظار فان لم يفعلوا فلا ينبغي
ان يصب ماء كل واحد كما يفعل بعض المتكبرين من الاعجام لما تقدم ولقول ابن مسعود
اجتمعوا على غسل الايدي في طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم وكتب عمر بن عبد العزيز
الى الامصار لا ترفع طست بين يدي القوم الا مملوءة ولا تشبهوا بالعجم ويؤيده ما اخرجه
البيهقي والخطيب والديلمي عن ابن عمر مرفوعا اترعوا الطسوس وخالفوا المجوس وهو بالتاء
قبل الراء اي املؤها وللخادم الذي يصب الماء على الايدي كره بعضهم ان يكون قائما
واحب ان يكون جالسا اي باركا ليكون اقرب الى التواضع وكره بعضهم جلوسه واحب
قيامه وفي الطست آداب وهي ان لا يبزق فيه وان يقدم فيه المتبوع وان يقبل الاكرام
بالتقديم وان يدار يمينه وان يجتمع فيه جماعة وان يجمع الماء فيه وان يكون الخادم قائما

ماثلا وان يمج الماء فيه ويرسله من يديه برفق حتى لا يرش على الفراش وعلى اصحابه ويصب
صاحب المنزل بيده الماء على يد ضيفه كما فعل مالك بالشافعي في اول نزوله عليه فقال
لا يروعك مني ما رايته مني فخدمة الضيف فرض قلت ولعله ماخوذ من قوله تعالى وهل اتيك
حديث ضيف ابراهيم المكرمين وقوله عم من كان يؤمن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه
وقوله اذا جاءكم الزائر فاكرموه الخرايطي في مكارم الاخلاق من حديث انس ويخبر
عما يكره الرفيق قولا اي عملا لا يعجبه ويكون سببا لكدورة خاطره وفعلا كالنفخ اي
في الطعام او الشراب لما تقدم وكذا يشم الطعام فانه من عمل الانعام ولا ياكل في
الظلمة فهو منهي عنه وقائما او ماشيا لان فيه دناءة اذا جعله عادة والنظر
الى اكله اي فيستحي من عمله بل يشتغل بنفسه الا اذا اكل مع اكله ونفض اليد اي في
القصعة وتقريب الراس اي وتقديمه عند وضع اللقمة في فمه واخراج شيء من الفم
متوجها اي الى دفعه او طعامه واخذه باليمين فينبغي ان يخرج الشيء من الفم صارفا وجهه
واخذا بيساره وجعل اللقمة الممضوغة في القصعة فانه سبب لنفرة الطبيعة والدهن
في الخل اي ولا يغمس اللقمة الدسمة بالدهن وغيره في الخل والعكس اي ولا الخل في الدسم فقد
يكرهه غيره وكذا اللقمة التي قطعها بسنه فلا يغمس بقيتها في المرقة والخل ونحوهما والتكلم
بالقاذورات اي الخبيثة والمعنوية والاهوال اي الاحوال من المخوفات كذكر الموت وتذكر
الاموات والاستيذان اي طلب الاذن في التقديم اي تقديم الطعام بل يقدمه من غير
الاعلام كما يشير اليه قوله تعالى فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين اي ذهب اليهم بخفية قال
الثوري اذا زارك اخوك فلا تقل تاكل او اقدم اليك ولكن قدم فان اكل والا فارفع
والامتناع اي امتناع المضيف او الرفيق عن الاكل قبل امتناعه اي امتناع صاحبه
فلا يمسك قبل اخوانه اذا كانوا يحتشمون الاكل بعده بل ينبغي ان يمد يده ويقبضها
ويتناول قليلا قليلا الى ان يستوفوا فان كان قليل الاكل توقف في الابتداء وقلل
الاكل حتى اذا توسعوا في الطعام اكل معهم اخر وقد فعل ذلك كثير من الصحابة واذا
امتنع بسبب فليعتذر منهم دفعا للخجالة عنهم والرفع اي رفع الطعام قبل استيفائه
اي استيفاء الضيف غرضه في ذلك الطعام بل يغتنم اطالة المجلس مع الاصحاب الكرام
والاحباب الفخام فقد قال جعفر بن محمد اذا قعدتم مع الاخوان على الموائد فاطيلوا
الجلوس فانها ساعة لا تحتسب عليكم من اعماركم وقال الحسن كل نفقة ينفقها الرجل
على نفسه وابويه فمن دونهم يحاسب عليها العبد الا نفقة الرجل على اخوانه في طعام

فان الله يستحيي ان يساله عن ذلك ويؤيده حديث جابر عند الازدي في الضعفاء
ثلثة لا يسالون عن النعيم الصائم والمتسحر والرجل ياكل مع ضيفه ورواه الديلمي
من حديث ابي هريرة وقد ورد لا تزال الملائكة تصلي على احدكم ما دامت مائدته موضوعة
بين يديه حتى ترفع الطبراني في الاوسط من حديث عائشة وفي الاحياء روي عن بعض
علماء خراسان انه كان يقدم الى اخوانه طعاما كثيرا لا يقدرون على اكل جميعه وكان يقول
بلغنا عن رسول الله صلى الله عم انه قال ان الاخوان اذا رفعوا ايديهم عن الطعام لم
يحاسب من اكل فضل ذلك الطعام فانا احب ان استكثر مما اقدمه اليكم لنا خذ فضل ذلك
قال العراقي لم اقف للحديث على اصل وعن علي رض لان اجمع اخواني على صاع من طعام احب الي
من ان اعتق رقبة وقيل اجتماع الاخوان على الكفاية من الانس والالفة ليس هو من الدنيا
وقد ورد ان في الجنة غرفا يرى من باطنها ظاهرها وظاهرها من باطنها هي لمن الان الكلام
واطعم الطعام وصلى بالليل والناس نيام الترمذي من حديث علي وعنه عم من اطعم اخاه
حتى يشبعه وسقاه حتى يرويه بعده الله من الناس سبعة خنادق ما بين كل خندقين مسيرة
خمسمائة عام الطبراني من حديث ابن عمرو والتكلف اي تكلف المضيف للضيف كالاستقراض
ففي البخاري عن عمر نهينا عن التكلف وفي رواية البيهقي عن سلمان مرفوعا لا يتكلفن احد لضيفه
ما لا يقدر عليه والمعنى انه يقدم ما حضر من الطعام فان لم يحضره شيء ولم يملك شيئا فلا يستقرض
لاجله فيشق على نفسه وقال بعض السلف في تفسير التكلف ان تطعم اخاك ما لا تاكله انت
بل تقصد زيادة عليه في الجودة والقيمة وكان الفضيل يقول انما تقاطع الناس بالتكلف
يدعو احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه عن الرجوع اليه قال بعضهم ما ابالي من اتاني من
اخواني فاني لا اتكلف له وانما اقرب ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه وملالته وقال
قال بعضهم كنت ادخل على اخ لي فتكلف فقلت له انك لا تاكل وحدك هذا ولا انا فما بالنا
اذا اجتمعنا اكلناه فاما ان تقطع هذا التكلف او اقطع المجيء فقطع التكلف ودام اجتماعنا عنهما
بسبب ذلك وتقديم شيء يحتاج اليه العيال اي بان يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله و
يؤذي قلوبهم في ماله وروي ان رجلا دعا عليا رض فقال اجيبك على ثلث شرايط لا تدخل
من السوق شيئا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال او لا تسامح النفس به فانه جملة
التكلف فهو يورث الانقطاع الصحبة والالفة والاطعام والضيافة قال الثوري اذا
اردت ان لا تطعم عيالك مما تاكله فلا تحدثهم به ولا يرونه منك وعن بعضهم دخلت
على جابر بن عبد الله فقدم الينا خبزا وخلا وقال لولا انا نهينا عن التكلف لتكلفت

رواه احمد وقال بعضهم اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وان استزدت فلا تبقي ولا تذر
وعن سلمان امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا نتكلف للضيف ما ليس عندنا وان نقدم عليه ما حضرنا
ورروى ابو بكر بن لال في مكارم الاخلاق من حديث سلمان لا يتكلفن احد لضيفه ما لا يقدر عليه
وعن انس وغيره من الصحابة انهم كانوا يقدمون ما حضر من الكسر اليابسة وحشف التمر ويقولون
لا ندري ايهما اعظم وزرا الذي يحقر ما يقدم اليه او الذي يحقر ما عنده ان يقدمه و
يقدم اي المضيف ما يشتهي اي ما يحب لنفسه لقوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون او
ما يشتهيه الضيف اذا علم من حاله ففي الشمائل انه صلى الله عليه وسلم زار بعض اصحابه فذبح له شاة فقال علم انا نحب اللحم
ويستحسن ان يشتهي المزور اخاه الزائر ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه
طيبة بفعل ما يقترح قال ابو بكر الكتاني دخلت على السري فجاء بفتيت واحد فجعل نصفه في
القدح فقلت اي شيء تعمل انا اشربه لك كله في مرة فضحك فقال هذا افضل من حجة وورد
من صادف اي وافق كما في رواية من اخيه شهوة اي علمها وقدر عليها فقضاها اي فاطعمها اياه
غفر له البزار والطبراني من حديث ابي الدرداء ومما ينبغي للزائر ان لا يقترح بشيء بعينه
فربما يشق على المزور روى الاعمش عن ابي وائل انه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان
فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في الملح سعتر لكان اطيب فخرج
سلمان فرهن مطهرته واخذ سعترا فلما اكلنا قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا
فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا وان خير اخوه بين
طعامين فليتخير ايسرها عليه ففي الخبر ما خير عليه السلام بين شيئين الا اختار ايسرهما متفق
عليه من حديث عايشة ثم اذا علم الضيف فرح المضيف باقتراحه عليه وتيسره لديه
فلا بأس به بل يحصل زيادة الانبساط بسببه وقد فعل ذلك الشافعي مع الزعفراني
اذ كان نازلا عليه ببغداد وكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان
ويسلمها الى الجارية فاخذ الشافعي الرقعة في بعض الايام والحق فيها لونا اخر بخطه
فلما راى الزعفراني ذلك اللون انكره وقال ما امرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعي
ملحقا في الرقعة فلما وقعت عينه على خطه فرح به واعتق الجارية سرورا باقتراح الشافعي
عليه وذلك لانه يدل على صداقته كما يشير اليه قوله تعالى او صديقكم وقد قصد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر منزل ابي الهيثم بن التيهان كما في شمائل الترمذي وقال حسن
صحيح ومنزل ابي ايوب الانصاري كما رواه الطبراني في المعجم الصغير عن ابن عباس بسند
ضعيف لاجل طعام يأكلونه وكانوا جياعا والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك

المسلم

المسلم على حيازة الثواب وهي عادة السلف وكان عون بن عبد الله المسعودي له ثلثمائة
وستون صديقا يدور عليهم في السنة ولاخر ثلثون يدور عليهم في الشهر ولاخر سبعة
يدور عليهم في الجمعة ثم ان دخل ولم يجد صاحب الدار وكان واثقا بصداقته عالما
بفرحه من حسن حاله اذا اكل من ماله فله ان يأكل بغير اذنه اذ مدار الاذن على الرضاء
لا سيما في الاطعمة فامرها على السعة فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فاكل
طعامه مكروه ورب غائب لم يأذن فاكل طعامه محبوب وقد دخل عليه السلام دار بريرة واكل
طعامها وهي غائبة وكان الطعام من صدقة فقال بلغت الصدقة محلها وكان محمد بن واسع
واصحابه يدخلون منزل الحسن فيأكلون ما يجدون بغير اذن فكان الحسن يدخل ويرى ذلك
فيسر ويقول هكذا كنا وروى عن الحسن انه كان قائما يأكل من متاع بقال يأخذ من هذه
الجونة تينة ومن هذه عنبة فقال له هشام ما بدا لك يا ابا سعيد في الورع تأكل متاع
الرجل بغير اذنه فقال يا لكع اتل علي اية الاكل فتلا الى قوله تعالى او صديقكم فقال فمن الصديق
يا ابا سعيد قال من استروحت اليه النفس واطمأن اليه القلب وجاء قوم الى منزل سفيان
الثوري فلم يجدوه ففتحوا الباب ونزلوا السفرة وجعلوا يأكلون فدخل الثوري فجعل
يقول ذكرتموني اخلاق السلف هكذا كانوا وزار قوم من التابعين ولم يكن عنده ما يقدم
اليهم فذهب الى منزل بعض اخوانه فلم يصادفه في المنزل فدخل فنظر الى قدر قد طبخها والى
خبز قد خبزه وغير ذلك فحمله كله وقدمه الى اصحابه فقال كلوا فجاء رب المنزل فلم ير الطعام
فقيل قد اخذه فلان فقال قد احسن فلما التقيا قال يا اخي ان عادوا فعد هذا ومن
الخصال الذميمة ان تقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فتدخل وقت اكلهم لطعامهم فان
ذلك من الفضيحة حال الفجاءة فقد قال تعالى يا ايها الذين امنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا
ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه اي غير منتظرين حينه ومتربصين نضجه
وفي الخبر من مشى الى طعام لم يدع اليه مشى فاسقا واكل حراما البيهقي من حديث عائشة
ولابي داود من حديث ابن عمر من دخل على غير دعوة دخل سارقا وخرج مغيرا ويضيف
اي بما الله وحضر لديه وورد لا خير فيمن لا يضيف احمد من حديث عقبة بن عامر وقال انس
كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة ومر عليه السلام برجل له ابل كثيرة فلم يضفه ومر
بامرأة لها شويهات فذبحت له فقال عليه السلام انظروا اليها انما هذه الاخلاق بيد الله فمن
شاء ان يمنحه خلقا حسنا فعل رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من رواية ابي المنهال
مرسلا وقال ابو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل به عليه السلام ضيف فقال قل لفلان

اليهودى نزل بى ضيف فاسلفنى شيئا من الدقيق الى رجب فقال اليهودى والله لا اسلفه
الا برهان فاخبرته فقال عم والله انى لامين فى السماء امين فى الارض ولو اسلفنى
لاديته اذهب بدرعى اليه فارهنها عنده رواه ابن مردويه فى تفسيره واسحق بن راهويه
فى مسنده فان قلت قد تقدم المنع عن الاستقراض فكيف الجمع قلت محله اذا لم يكن له
ما يستكفه ويخلصه فيكون تكلفا زائدا لا محله هذا وكان ابراهيم الخليل عم اذا
اراد ان ياكل خرج ميلا يلتمس من يتغدى معه وكان يكنى ابا الضيفان ولصدق نيته
وحسن مقصده دامت ضيافته فى مشهده الى يومنا هذا فى بلده فلا ينقضى ليلة الا وياكل
عنده جماعة من ثلثة الى عشرة الى مائة ويقصد به اى باطعامه الاتقياء من الفقراء
اعانة على البر وزيادة الطاعة فقد ورد فى دعائه عم اكل طعامكم الابرار وفى قوله
لا ياكل طعامك الا تقى وقد تقدما دون الاغنياء ولو كانوا من الصلحاء فورد
انه اى عكسه شر الطعام يعنى به حديث شر الطعام الوليمة يدعى اليه الاغنياء دون الفقراء
متفق عليه من حديث ابى هريرة ولا يهمل الاقرباء اى لا يتركهم فى طلب لضيافة الغرباء
والاخوان اى الاحباب من الصلحاء لقوله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو
الا المتقين ولا بعض بعضهم بل يعمهم تحاميا عن الوحشة اى النفرة عن الصحبة وقطع
الرحم لا سيما اذا كان المدعوا ابعد فى النسبة وينوى اى بالضيافة استمالة القلوب اى
ميل قلوب الاخوان والاقارب اليه بالمحبة الدالة على محبته تعالى لديه وهو ينوى اكرام
اخيه المؤمن اتباعا لقوله عم من اكرم اخاه المؤمن فكانما يكرم الله وينوى ادخال
السرور على قلبه امتثالا لقوله عم من سر مؤمنا فقد سر الله عز وجل ابن حبان والعقيلى
فى الضعفاء من حديث ابى بكر الصديق رض واقامة السنة اى الطريقة الحسنة دون
المباهاة اى المفاخرة بكثرة النعمة ولا قصد الرياء والسمعة ولا ارادة العوض
وحمل المنة ولا يدعو من يستثقل الحضور اى حضور مجالس الضيافة ويحمل الجماعة لان الثقيل
يميل كالعليل ولا من يتاذى به الحاضرون كالمبروص وصاحب الجذام او من يكثر الفضول
والكلام ويبحث بالشدة مع العلماء الاعلام ولا الفاسق فانه اعانة على الاثم بل على
الاثام وقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
ويجيب دعوة الداعى الى وليمة ونحوها ان قدر ناويا اكرام المؤمن فورد من اكرم اخاه
المؤمن فانما يكرم الله لان المؤمن مرآة المؤمن والحديث رواه الاصفهانى فى الترغيب
والترهيب من حديث جابر والعقيلى من حديث ابى بكر واسراره اى تفريحه فورد من سر

مؤمنا

مؤمنا فقد سر الله وقد تقدم والحذر عن المعصية فورد من لم يجب الداعى فقد عصى الله
اى الله ورسوله كما فى المتفق عليه من حديث ابى هريرة واقامة السنة فهى مؤكدة اى قريبة
للوجوب اولا ولدليل قولى والاخر دليل فعلى فلا يميز الغنى بالاجابة عن الفقير فان
ذلك هو التكبر المنهى عنه وكذلك امتنع بعضهم عن اصل الاجابة وقال بعضهم انتظار
المرقة مذلة وقال اخر اذا وضعت يدى فى قصعة غيرى فقد ذلت له رقبتى فقيل هذا
خلاف السنة ودفع بان محله اذا كان الداعى لا يفرح بالاجابة ولا يتقلد بها المنة ولذا
قال بعض الصوفية لا يجب الا دعوة من يرى انك اكلت رزقك وانه يسلم اليك الوديعة
ويرى لك فى قبولها الفضل والمنة وقال سرى السقطى آه على لقمة ليس على الله فيها تبعة ولا
لمخلوق فيها منة ويتعلل اى ويعتذر ويأتى بنوع من العلة اذا لم يرد الاجابة وذلك
لاستقبال الداعى الاطعام وانما هو حيا من بعض الانام وقصده المباهاة اى والارادة
المفاخرة فليس من السنة اجابة من يطعم مباهاة او تكلف فروى ابو داود من حديث ابن
عباس انه عم نهى عن طعام المتبارين اى المتباهين كما فى رواية العقيلى والمتباريان
المتعارضان بفعلهما للمباهاة والرياء كما قاله ابو موسى المدينى والخطابى ونحو يتعلل ايضا
للاحتراز والاحتراس عن ارتكاب معصية اى ما يوجد عند الداعى ككون الشبهة اى القوية
فى الطعام والمنكر فى المجلس اى من مناكر الايام من فرش ديباج او انية فضة او تصوير
حيوان على حائط او سماع شئ من المزامير والملاهى او تشاغل بنوع من اللهو والهزل و
اللعب فكل ذلك مما يمنع من الاجابة واستحبابها ويوجب تحريمها او كراهتها وكذلك
اذا كان الداعى ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طالبا للمباهاة و
الرياء والسمعة فلا يجاب له الدعوة فالنية اى تصحيحها وتحسينها انما تؤثر فى المباح فتجعله
عبادة وتخرجه عن كونه عادة بخلاف المعصية فانها لا تؤثر فى تغييرها النية فلا يصح له
ان ينوى سرور اخوانه بمساعدتهم فى شرب الخمر او سماع المزامير ونحوها لا اى لا يتعلله
لنقصان الجاه اى فى المدعو ولا الفقر الداعى فهو اى كل منهما تكبر وكان عم مع كمال عزه
وجمال جاهه يجيب دعوة العبد والفقير وفى الاحيا المسكين بدل الفقير وكلاهما ليس فى
اصل الحديث الذى رواه الترمذى وابن ماجه من حديث انس وضعفه الترمذى وصححه الحاكم
وفى ذكر العبد غنية عنه ولقد اجاب دعوة خياط كما فى الشمائل ومر الحسن بن على رضى الله عنهما
بقوم من المساكين الذين يسألون الناس على قارعة الطريق وقد نثروا الكسر على الارض
وهم ياكلون وكان راكبا على بغلة فسلم عليهم فقالوا هلم الى الغداء يا ابن بنت رسول الله

صلى الله ع م فقال الغم ان الله لا يحب المتكبرين فنزل وقعد معهم على الارض واكل من
طعامهم ثم سلم عليهم وركب وقال اجبتكم فاجيبوني فقالوا نعم فوعدهم وقتا معلوما
فحضروا عنده فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس ياكل معهم ولا اى لا يتعلل لبعد المسافة
ان اعتيدت اى الدعوة اليه والاجابة لديه فورد اى في البخاري من حديث ابي هريرة لو دعيت
الى كراع الغميم لاجبت وتمامه ولو اهدي الي ذراع لقبلت والظاهر ان المراد كراع الشاة
لكن في المتن مقيد بكراع الغميم تبعا لما في الاحياء وهو بفتح المعجمة وكسر الميم واد بين الحرمين
على مرحلة من مكة وقيل اسم موضع قريب بالمدينة وانه تماتعينا د مسافتها بالخصوص
اليها في الاجابة اوار يد به كثرة غاية المبالغة الا ان العراقي قال ذكر الغميم ولا يعرف ورد
هذه الزيادة ما رواه الترمذي من حديث انس لو اهدي الي كراع لقبلت ولا للصوم اى ولا
يتعلل لاجل صومه فيفطر اذا كان نفلا وان الح اى قبل الزوال الفاسد المؤمن اى فرحه
بفطره يعدل الصوم مع ان الصوم له قضاء بخلاف كسر خاطر منزله وفاءه فانه جفاء وورد
تكلف لك اخوك اى بطبخ الطعام وتقول اني صائم قاله على سبيل التوبيخ على ترك الافطار
للضيف عند الالحاح والحديث رواه البيهقي من حديث ابي سعيد الخدري رض صنعت لرسول الله
صلى الله ع م طعاما فاتاني هو واصحابه فلما وضع الطعام قال رجل من القوم اني صائم
فقال ع م دعاكم اخوكم وتكلف لكم الحديث وكذا دارقطني من حديث جابر والا اى وان لم
يفطر فضيافته بالعطر اى الطيب المشام وطيب الكلام والاكتحال والادهان ونحوهما
من اصناف الاكرام ويجلس حيث يجلس فانه قد يكون رتب في مجلسه موضع كل واحد فمخالفته
لديه تشوش عليه وان اشار اليه بعض الضيفان بالارتفاع اكراما فلا يرتفع فهو
تواضع فقد ورد ان من التواضع لله الرضى بالدون من المجلس خ ايطي في مكارم الاخلاق
وابو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث طلحة بن عبد الله بسند حسن ثم يخص جنبيه بالسلام
والكلام ولا ينظر الى جانب ياتي منه الطعام فهو شره اى دال على حرص في الاكل ولا يطيل
اى الضيف الانتظار المضيف اذا دعاه فان الانتظار اشد من الموت خصوصا عند توهم
الفوت ولا يعجل اى الضيف في المجيء قبل الاستعداد اى استعداد المضيف الطعام وتهيئة
المقام ويغير منكرا اى ان قدر على تغييره بيده والا وان لم يقدر تغييره باليد ينكر باللسان
ويرجع اى ولا يقنع بانكار الجنان فان ذلك من ضعف الايمان حتى قال احمد بن حنبل
اذا راى مكحلة راسها مفضض فينبغي ان يخرج وكذا اذا راى على حيطان البيت ستورا
من ديباج كما تستر الكعبة ويبتدئ المضيف بالغسل اى بغسل الايدي تحاميا عن تنفر الساٰمة

قبل الاكل لانه داع فيكون كالمؤذن يتوضأ قبل اذانه فقد غسل مالك يده قبل الطعام
وقبل القوم وقال الغسل قبل الطعام لرب البيت اولى لانه يدعو الناس الى كرامته
انتهى ولا يخفى ان هذا عيب في عرف زماننا ان كان في المجلس فالاولى ان يغسل
قبل انعقاد المجلس وفي آخره تواضعا ويتاخر اى في غسل اليد بعده اى بعد فراغ الاكل
انتظارا للداخل اى عمن ياكل معه وتعظيما للضيف اى بالتاخر لانه تواضع معه في
محله ولهذا ينبغي ان يكون آخرهم اكلا فقد كان بعض الكرام يقدم الطعام فاذا قارب
القوم من التمام جثى على ركبتيه ومد يده الى الطعام بين يديه واكل وقال بسم الله
ساعدوني بارك الله عليكم وكان السلف يستحسنون ذلك منه ويقدم ما يكفي اى من
الطعام فالنقص عن قدر الكفاية ترك المروة اى مع وجود القدرة والزيادة على قدر
الحاجة رياء الا ان يحب الذهاب به اى بطيب نفسه باخذهما فضل من الطعام او نوى ان
يتبرك بفضلتهم وقد احضر ابراهيم بن ادهم طعاما كثيرا على مائدة فقال له سفيان
يا ابا اسحق اما تخاف ان يكون هذا سرفا فقال ابراهيم ليس في الطعام اسراف ولعل
ذلك لانه ليس فيه تضييع واتلاف ويؤيده قولهم لا خير في سرف ولا سرف في خير فهو من
قبيل المجاحاة والمذموم نية المباهاة فان لم يكن نية صحيحة فالتكثير تكلف وتصنع
قال ابن مسعود نهينا ان نجيب دعوة من يباهي بطعامه وكره جماعة من الصحابة اكل طعام
فيه المباهاة وهذا من ذلك وكان لا يرفع من بين يدي رسول الله صلى الله ع م
فضلة طعام قط لانهم كانوا لا يقومون الا قدر الحاجة ولا ياكلون تمام الشبع بل حد الكفاية
والقناعة ويميز اولا اى يفرز من الطعام ابتداء نصيب العيال تحاميا عن اهتمامهم اى
لئلا يكون اعينهم ملاحظة الى رجوع شيء منه فضلة لا يرجع فيضيق صدورهم وينطلق
في الضيفان السنتهم ويقوم شرورهم فيكون قد اطعم الضيفان مما يتبعه كراهة قوم وتلك
خيانة في حقهم ولا يرفعه اى ما بقي من الاطعمة فليس للضيفان اخذه وهو كذا تسميه الصوفية
الزلة لما فيه نوع من المزلة الا ان يعلم المضيف بقرينة الحال بسروره اى بفرح المضيف اذا
اخذه فرفعه حق وان كان نظن كراهة لذلك فلا ينبغي ان ياخذ شيئا هنالك الا اذا صرح
صاحب الطعام بالاذن فيه عن قلب راض به واذا علم رضاه فينبغي مراعاة العدل والنصفة
مع الرفقاء فلا ينبغي ان ياخذ كل واحد الا ما يخصه ويرضى به رفيقه عن طوع ورضاء لا عن
كراهة وحياء ويختار ايسر الطعامين اذا خير الضيف بينهما لانه ع م كان اذا خير بين امرين
اختار ايسرهما ولا يقترح الضيف على المضيف الا اذا علم فرحه بذلك كما فعله الشافعي

في بيت الزعفراني واذا بات اي اقام الضيف عنده في الليلة يريه القبلة اي يعلمه المضيف
اي جهة الكعبة والمتوضاء اي محل الطهارة هكذا فعل مالك بالشافعي وفيه اشارة الى قيام
الليل بالتهجد ونحوه وكناية عن قضاء الحاجة في وقته ويكرمه اي المضيف الضيف بما امكن
من انواع الاكرام فورد اي عنه عم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر اي بجميع ما يجب الايمان به
والكتفي بطرفي المؤمن فليكرم ضيفه متفق عليه من حديث ابي شريح وهو اي اكرامه اولا باظهار
الانبساط والسرور اي الفرح في مقام النشاط عند الدخول والخروج وعلى المائدة وسائر
اوقات الصحبة قيل للاوزاعي ما كرامة الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الحديث وقال زيد
ابن ابي زياد ما دخلنا على عبد الرحمن ابن ابي ليلى الا حدثنا حديثا حسنا واطعمنا طعاما حسنا
وثانيا بتعجيل الطعام فانه يقال السلام قبل الطعام والطعام قبل الكلام وهو احد
المعنيين في قوله تعالى هل اتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين انهم اكرموا بتعجيل الطعام اليهم و
دل عليه قوله سبحانه فما لبث ان جاء بعجل حنيذ اي مشوي وقوله فراغ الى اهله فجاء
بعجل سمين اي ذهب بسرعة او بخفية وقد جاء بفخذ من لحم وانما سمي عجلا لانه عجله كذا في
الاحياء والاظهر ان العجل على حقيقته عبارة ويؤخذ منه العجلة اشارة وقد ورد
الاناءة من الله والعجلة من الشيطان كما رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد الا ان ابا داود
روى من حديث سعد بن ابي وقاص التؤدة في كل شيء الا في عمل الآخرة قال الاعمش لا اعلم انه رفعه
وصب الماء اي ويكبه المضيف على اليد اي يد الضيف وهو احد المعنيين في الآية السابقة
وقد وفد النجاشي على رسول الله صلى الله عم فقام يخدمهم بنفسه فقال اصحابه نحن نكفيك
يا رسول الله انهم كانوا لاصحابي مكرمين وانا احب ان اكافيهم والتشييع الى الباب اي باب
الدار قال عم من السنة للضيف ان يشيع الى باب الدار كذا في الاحياء وسكت عنه مخرجه واخذ
الركاب اي ركاب الضيف للركوب فالكل مأثور والاخير مروي عن فعل ابن عباس بزيد بن ثابت
ويرجع اي الضيف فرحا اي في نفسه وان قصر في حقه اي ولو قصر المضيف في حق الضيف برضا
المضيف متعلق بيرجع فهو حسن الخلق اي في عشرة الخلق فقد ورد حديث حسن واسناده
حسن عن الحسن عن ابي الحسن عن جد الحسن ان احسن الحسن الخلق الحسن ولا يكون اي لا يثبت
الضيف ولا يقيم اكثر من ثلثة ايام تحرزا عن السآمة الموجبة للملام وورد
في الصحيحين من حديث ابي شريح الخزاعي الضيافة ثلثة ايام وما زاد صدقة يعني ان شاء
فعل وان شاء ترك الا ان يلح اي يبالغ المضيف على الضيف بالقعود عنده زيادة
على الثلثة ويعرف انه من صميم قلبه وطيب نفسه ويعد فراش الضيف اي يهيئه فان

رسول الله صلى الله عم قال فراش للرجل وفراش للمرأة وفراش للضيف والرابع
للشيطان مسلم من حديث جابر ويستأذن كل اي من الضيف والمضيف صاحبه
في صوم النفل فهو مأثور ويعتذر اذا كان فرضا من قضاء او نذر وعن عائشة
في رواية الترمذي من نزل على قوم فلا يصوم تطوعا الا باذنهم ويرسل الطعام
لاصحاب المصائب اي لبيوت الاقارب فامره عم به اي بارسال الطعام المسمى بالعرفة في
لسان العام لال حمزة اي عمه وجعفر اي ابن عمه وهو ابن ابي طالب من ابيه وامه في وقت
شهادتهما الا ان يكون اي هناك منكر كالنوح ولطم الوجه وخرق الثوب وكشف العورة
تحرزا عن الاعانة على الاثم اي المعصية وقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى و
لا تعاونوا على الاثم والعدوان والحديث معروف في جعفر ونحمزة روى ابو داود
والترمذي وابن ماجة من حديث عبد الله بن جعفر بسند حسن انه لما جاء نعي جعفر بن ابي طالب
قال عم ان آل جعفر شغلوا بميتهم عن طعامهم فاحملوا اليهم ما ياكلون ويجتنب طعام
السلطان اي اكله فانه لا بد فيه نصيب من الشيطان ويقبل اي طعامه لو اكره على قبوله
او اكله فقد ورد رفع عن امتي الخطاء والنسيان وما استكرهوا عليه ابن ماجة
وابن حبان والحاكم وصححه من ابن عباس واذا ابتلي به فليقلل من اكله ولا يقصد الاجود
اي الاطيب من الاطعمة هضما للنفس ومخالفة للهوى ومتابعة للكفاية والقناعة لا
سيما اذا كان الطعام فيه نوع من الشبهة فقد رد بعض المزكين شهادة من حضر طعام
سلطان فقال كنت مكرها فقال رأيتك تقصد الاطيب تكبر اللقمة وما كنت مكرها
على ذلك واجبر السلطان هذا المزكي على الاكل فقال اما اكل واخلي التزكية او ازكي ولا اكل
فلم يجدوا ابدا من تزكيته فتركوه وحكي ان ذا النون المصري حبس فلم ياكل اياما في السجن وكانت
له اخت في الله فبعثت اليه من غزلها طعاما على يد السجان فامتنع من اكله فعاتبته المرأة
بعد ذلك فقال كان حلالا ولكنه جاءني على طبق ظالم واشار به الى يد السجان وهذا غاية
الورع ونحو الثوم اي ويجتنبه والبصل والكراث وسائر البقول التي لها رائحة خبيثة
خصوصا اذا كان يريد دخول المسجد قبل زوال الرائحة الكريهة لا سيما يوم الجمعة لكثرة
الجماعة فهو منهي عنه لتنفر الملائكة والناس عن ريحه ولذا يستحب التطيب في خصوص
والاكل اي يجتنبه في السوق وفي معناه محضر جماعة من المسجد وغيره فهو دناءة اي دالة
على قلة مبالاة وعدم ديانة فقد حكي عن ابراهيم النخعي انه قال الاكل في السوق دناءة وفي الاحياء
واسند الى رسول الله صلى الله عم وهو غريب لكن قال مخرجه رواه الطبراني من حديث ابي امامة

وهو ضعيف ورواه ابن عدي في الكامل من حديثه وحديث ابي هريرة انتهى وبعد طرقه
تماير تقيه الى حسنه كما لا يخفى واما قوله في الاحيا فقد نقل ضده عن ابن عمر انه قال كنا ناكل
على عهد رسول الله صلى الله عم ونحن نمشي ونشرب ونحن قيام رواه الترمذي وصححه
فلا يظهر وجه الفساد اذ يمكن المشي والقيام ان يكونا في غير السوق واما قوله تعالى
مال هذا الرسول ياكل الطعام ويمشي في الاسواق فانكار منهم عليه كل منهما لا بالجمع بينهما
فمعنى قولهم ياكل الطعام انه ليس من الملائكة وقولهم يمشي في الاسواق لاحتياجه الى المبايعة
لا بنية التواضع وهضم النفس وفيه ان الكراهة لما فيه من الدلالة على الدناءة باكله
في نظر الجماعة فكيف يرتفع كراهة القضية بهذه النية وقد صرح الائمة بقدح ذلك
في الشهادة والاحتما اي ويجتنبه في الصحة فهو مضر اي في الصحة كتركه في المرض فان وجود
فيه الدوا فقيل من احتمى فهو يقين من المكروه وعلى شك من العوافي ومن اللطائف
انه راى رسول الله صلى الله عم صهيبا ياكل تمرا واحدى عينيه رمدة فقال اتاكل التمر
وانت ارمد فقال يا رسول الله انما امضغ بالشق الاخر يعني الجانب السليم فضحك رسول الله
صلى الله عم ابن ماجه من حديث صهيب كلنا دجيد ويمقل بضم القاف اي يغمس الذباب
الواقع في الشراب ثم ينقل اي يخرج الذباب ففي احد جناحيه داء والاخر دواء رواه
رواه البخاري وابن ماجه عن ابي هريرة مرفوعا اذا وقع الذباب في شراب احدكم فليغمسه
ثم لينزعه فان في احد جناحيه داء وفي الاخر شفاء ويذكر الجايع حال اكله ووقت شبعه
ويقول اللهم لا تواخذني بحق الجايعين وحساب يوم القيمة فان حلال الدنيا له حساب
وحرامها له عقاب يوجب الملامة والندامة ولا يواكل الاشرار ولا يشاربهم اي ولا
يصاحبهم ولا يقاربهم بل الاتقيا من الابرار والعلماء من الاخيار فهو يورث الحكمة
اي وانواعا من الاسرار المنضمة الى الانوار الجمة ولا يواظب على البر اي اكل عيش الحنطة
ثلثة ايام فهو المروي اي في الصحيحين عن ابي هريرة ما شبع ال محمد من طعام ثلثة ايام
تباعا حتى قبض وياكل الشعير فهو اكثر طعام الانبياء عليهم السلام وعن ابن عباس
قال كان رسول الله صلى الله عم يبيت الليالي المتتابعة واهله طاويا لا يجدون عشا
وكان خبزهم الشعير رواه الترمذي وصححه ويخلط البر به اي بالشعير في اكله فهو
سبب البركة وياكل من التمر الاوتار اما ثلثا واما خمسا واما سبعا فورد من يصبح بسبع
تمرات عجوة هو جنس من تمر المدينة اوغيرها لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر احمد و
الشيخان ابو داود عن سعيد ولا يجمع بين التمر والنوى في طبق اي مشترك بينه وبين رفيقه

وكف

وكف اي ولا في كف لتعذر صاحبه بل يجعله اي النوى من الفم في ظهر اليد لا في بطن الكف واصابعه
فيلقى اي في مكان يليق به وكذلك نحوه اي نحو التمر او نواه من الخوخ والعنب وكذا فضلات
التين والرطب في رواية عبدان وابي موسى عن اسحق انه عم نهى عن فتح التمرة وقشر الرطبة
ويقدم الثمار اي اكل الفاكهة الرطبة فورد اي في وصف ما في الجنة وفاكهة مما يتخيرون
اي يختارون ولحم طير مما يشتهون والاستدلال من حيث الترتيب الذكري بينهما وهو
ايضا اقرب الى قواعد الطب فانه اسرع استحالة فينبغي ان يقع في اسفل المعدة وفيه ايضا
اشارة الى تقديم الطف الالوان من الطعام حتى يستوفي منه من يريد ولا يكثر الاكل بعده بخلاف
عادة المترفهين من تقديم الغليظ من الاطعمة لتستانف حركة الشهوة لمصادفة اللطيف
بعده وذلك خلاف السنة لانه حيلة في استكثار الاكل والوسعة ثم الافضل بعد ما تقدم
الفاكهة اللحم والثريد وقد ورد سيد الادام اللحم وفضل عائشة على النسا كفضل الثريد
على سائر الطعام فان جمع اليه الحلاوة فقد جمع الطيبات لقوله تعالى في وصف الطيبات وانزلنا
عليكم المن والسلوى فالمن العسل والسلوى اللحم سمي سلوى لانه يتسلى به عن جميع الادام
ولا يقوم غيره مقامه في مقام المرام قال ابو سليمان الداراني اكل الطيبات يورث الرضاء
عن الله عز وجل من جميع الجهات وتمام هذه الطيبات بشرب الماء البارد فانه من اعظم اللذات
ولذا ورد في الدعاء النبوي اجعل حبك احب الي من الماء البارد وقال بعضهم اذا كان
خبزك جيدا وخلك حامضا وماؤك باردا فهو كفاية وقال الاخر الحلاوة بعد الطعام خير
من كثرة الالوان ويأكل ما اصاب اي من الثمار في مواسمها فهو المروي لانه سبحانه ما خلقها
في تلك الازمنة والامكنة الا لحكمة بالغة في منفعة الخلق بها والتلذذ بسببها والتذكر بها
على فواكه الجنة وكثرة انواعها وفي الاحيا ويأكل ما وجد من طعام الحلال ان وجد تمرا دون
خبز اكله وان وجد شواء اكله وان وجد خبز بر او شعير اكله وان وجد حلوا او عسلا
اكله وان وجد لبنا دون خبز اكتفى به وان وجد بطيخا اكله وان وجد رطبا اكله و
يجوع النفس اي يرتاضها ويهذبها بتقليل الاكل لوليمة الفردوس وذلك لان تلك الوليمة
للمتجردين في الدنيا الزاهدين فيها والمرتاضين بانواع الرياضة على انفسهم منها رضاء
للمولى ولله در القائل ● ويلهيك عن دار الخلود مطاعم ● ولذة نفس غبها غير نافع ●
فقد ورد اجوعكم في الدنيا اشبعكم في العقبى فكان عم يعقد الحجر اي يربطه على البطن اي بطنه
من الجوع اي من شدة ما به من الجوع وقد اشبعت الكلام عليه في جمع الوسائل لشرح الشمائل و
يجتنب الشرب في اثناء الاكل اي لمنع ارباب الحكمة الا لتعلق لقمة او وجد عطش اي كثرة حرارة

فقد يقال ان ذلك مستحب في الطب وانه دباغ المعدة من الغش ولا يشرب على الريق واذا
عطش ولم يقدر ان يصبر فليأكل لقمة ليوافق الحكمة ويشير اليه قوله تعالى كلوا واشربوا فان
الواو لمطلق الجمع فان التقديم الذكري قد يفيد الترتيب كما حقق في قوله تعالى ان الصفا والمروة
من شعائر الله وقوله عم ابدؤا بما بدأ الله سبحانه ولا يكثر اي من الشرب بعده فهو يقلل
الهضم لانه يبرد المعدة ويفسدها بل يصبر قدر ساعة ونحوها ويأخذ الكوز باليمين لما
ورد ان الشيطان يأكل بشماله كما في مسلم وغيره ويشرب في ثلثة انفاس كما في الصحيحين
وغيره عن انس انه عم كان اذا شرب تنفس ثلثا ويقول هو اهنأ وامرأ وابرأ وفي رواية
الترمذي وابن ماجة عن ابن عباس كان اذا شرب تنفس مرتين فيحمل القضيتان على مرتين
والاولى اكثر واظهر واشهر مفتتحا بالتسمية وهو القياس على الاكل وعن ابن مسعود انه عم
كان اذا شرب تنفس في الاناء ثلثا يسمي عند كل نفس ويشكر في آخره وعن ابن السني والطبراني
ويقول الحمد لله الذي سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا الطبراني في
الدعاء مرسلا من رواية ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين ومفتتحا بالتحميد في كل اي كل نفس وهو
السنة اي كمالها والا فالسنة المعروفة هو التسمية في اول الشرب والتحميد في آخره وورد
عن انس برواية الديلمي مرفوعا مصوا الماء مصا اي اشربوه قليلا قليلا يشبه مصا وفي
رواية ابو داود وعن عطاء ابن ابي رباح اذا شربتم فاشربوا مصا ولا تعبوه عبا اي ولا
تشربوه كثيرا يشبه صبا فان الكباد وهو بالضم وجع الكبد من العب اي من هذا النوع
في الشرب وفي رواية البيهقي عن ابن شهاب مرسلا انه عم نهى عن العب نفسا واحدا وقال ذلك
شرب الشيطان من آنية الخزف متعلق بيشرب اي من الكوز الفخار او من الخشب وهو القدح و
هو الانسب والى المشرب العرب اقرب ثم بيده اي الافضل ان يشرب بيده فهو افضل الكرع
اي من يشرب بفمه وغيره اي وغير ما ذكر كالشرب من آنية النحاس والصفر واما من آنية الذهب
والفضة فبالاجماع حرام على الذكور والنساء لا قائما كما في حديث مسلم عن انس وغيره وروي
عنه انه شرب قائما كما في الصحيحين عن ابن عباس وحمل على عذر وبيان جواز او اختصاص
بماء زمزم ولا مضطجعا لانه خلاف السنة والحكمة الا للضرورة وينظر فيه اي في الماء
او الكوز قبل الشرب اي قبل ان يشرب منه حتى اذا كان فيه اذى دفعه عنه ولا يتنفس فيه
اي في داخل الاناء بل يتنفس خارجه في الاثنا كما سبق به الايماء وورد في الشمائل و
غيره ويحفظ اسفله اي اسفل الكوز عن الترشح عليه اي على بدنه وثوبه وغيره مما يكون
مكروها لديه فالكل مأثور ويتبرك اي يطلب البركة بسور المسلمين فورد سؤر المؤمن

شفاء هكذا اشتهر على الالسنة ويستأنس له بقوله عم من التواضع ان يشرب الرجل
من سؤر اخيه رواه الدارقطني في الافراد عن ابن عباس وقال القاضي عياض في شرح
حديث ام زرع ويروى عن جرير بن عبد الله انه قال لبنيه اذا شربتم فاسئروا اي اتركوا
في الاناء سؤرا وهو بقية الشراب في حديث آخر فانه اجمل ويروى عن النبي صلى الله عم انه قال
لا خير في طعام وشراب ليس له سؤر وفي الحلية عن ابن عمر انه عم كان يبعث الى المطاهر
اي السقايات فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة ايدي المسلمين ونظيره ما وقع له عم عند
زمزم والله اعلم ولا يرد الماء اي ماء زمزم او مطلقا تعظيما للنعمة ولا يعرض اي الماء
على غيره تكثيرا للمنة ويدار الكوز وكذا القدح والمعلقة في الاكل والشرب والطست
في وقت غسل اليد بالايمن فقد شرب لبنا وابو بكر عن شماله واعرابي عن يمينه وعمر
ناحية فقال عمر اعط ابا بكر فناول الاعرابي وقال الايمن فالايمن مالك واحمد والجماعة
عن انس ويختار الثوب الابيض اي لبسه لا سيما يوم الجمعة واما يوم العيد فيختار ما فيه
القيمة اكثر والزينة اظهر فهو اي البياض احب الالوان اليه صلى الله عم كما في شمائل
الترمذي وغيره عن سمرة بن جندب مرفوعا البسوا البياض فانها اطهر واطيب وكفنوا
فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم وكان يلبس الثوب الاخضر اي احيانا كما في الشمائل والمراد
والمراد به البخت فانه من ثياب اهل الجنة او البرد الذي فيه خطوط خضر واما ما ورد
انه لبس الاحمر فمحمول على ما فيه خطوط حمر من البرد فقد ورد عن انس كان احب الثياب
الى رسول الله صلى الله عم يلبسه الحبرة وهي بوزن العنبة نوع من برود اليمن فيه
خطوط احمر او خضر او زرق والصوف اي في بعض الاحيان باي نوع كان من الالوان
وينوي فيه اي في اللبس ستر العورة اي بالازار والتزين للتودد للمسلمين اي
يلبس الرداء ونحوه من العمامة والقباء والعباء وقد قال تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم
عند كل مسجد ويبدأ بالايمن في لبس كل شيء من نحو القميص والخف والنعل وغيرها وبالايسر
في النزع اي في كل شيء كرامة لليمين فيهما فكان عم يحب التيامن ما استطاع في طهوره
وتنعله وترجله وفي شانه كله رواه الجماعة عن عائشة وفي الترمذي عن ابي هريرة كان
اذا لبس قميصا بدأ بميامنه ويفتتح اللبس بالتسمية ويختم اللبس بالتحميد كما هو معروف عن
شمائله عم ففي الشمائل عن ابي سعيد الخدري قال كان رسول الله صلى الله عم اذا استجد ثوبا
سماه باسمه عمامة او قميصا او رداء ثم يقول اي بعد التسمية والبسملة اللهم
لك الحمد كما كسوتنيه اسئلك خيره وخير ما صنع له واعوذ بك من شره وشر ما صنع له

وفي رواية ابي داود وغيره من لبس ثوبا فقال الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول
ولا قوة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ويلبس السراويل قاعدا اي كالخف كيلا تصيبه
آفة اي من جهة وقوعه على جانب او دابة ولا يسبله اي لا يسدل ثوبه من القميص والسراويل
والازار ونحوها الى ما تحت الكعب ففيه اي في اسباله الوعيد بالنار فقد ورد الاسبال
في الازار والقميص والعمامة من جر منها شيئا خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيمة ابو داود والنسائي
وابن ماجة عن ابن عمر بل يرفع الى نصف الساق فهو افضل بالاتفاق وفي رواية احمد عن انس
الازار الى نصف الساق او الى الكعبين لا خير في اسفل من ذلك وفي رواية ابن سعد عن يزيد بن
ابي حبيب مرسلا كان يرخي الازار من بين يديه ويرفع من ورائه وفي رواية الترمذي
في الشمائل ويقول لانه انقى واتقى وابقى ويبدأ بلبس القميص قبل كل شيء لانه استر حيث يقوم
مقام الازار والرداء ففي ام سلمة كان احب الثياب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ع م القميص رواه
الترمذي في الشمائل وفيه ايضا ان كمه عم كان الى الرسغ ويلبس الخشن اي الغليظ
من الثوب ازارا ورداء وغيرهما وهو السنة اي فعلا وقولا وفي رواية الترمذي والحاكم عن
معاذ بن انس من ترك اللباس تواضعا لله تعالى وهو يقدر عليه دعاه الله يوم القيمة على
رؤس الخلايق حتى يخيره من اي حلل الايمان شاء يلبسها وقد روي عن بعض السلف من رق
ثوبه اي لطف رق دينه اي ضعف فكانهما متلازمان كما يشير اليه حديث من احب آخرته اضر
بدنياه ومن احب دنياه اضر آخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وورد من لبس ثوب شهرة
البسه الله ثوب مذلة يوم القيمة رواه احمد وابو داود وابن ماجة بسند حسن عن ابن عمر
مرفوعا وفي رواية البيهقي عن ابي هريرة وزيد بن ثابت انه عم نهى عن الشهرتين رقة
الثياب وغلظها ولينها وخشونتها وطولها وقصرها ولكن سدادا فيما بين ذلك واقتصاد
ولا يتنوع اي ثوبه حتى يرقعه فهو السنة لانه عم كان يركب الحمار ويخصف النعل ويرقع القميص
ويلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتي فليس مني رواه ابن عساكر عن ابي ايوب ويكسوا
المنزوع فقيرا ليكون في حرزه تعالى ففي رواية احمد عن عمر من استجد قميصا فلبسه فقال حين
بلغ ترقوته الحمد لله الذي كساني ما اواري به عورتي واتجمل به في حياتي ثم عمد الى الثوب
اخلق وتصدق به كان في ذمة الله تعالى وفي جوار الله تعالى وفي كنف الله حيا وميتا ولا يتخذ
ثوبين اي من جنس واحد كازارين وردائين وقميصين زهدا في الدنيا ويتصدق باحدهما
لله احتماما ميلا الى ثواب العقبى واما حديث صاحب القميصين لا يجد حلاوة الايمان فلا اصل
له ويتعمم فالعمايم تيجان العرب اي انها بمنزلة التيجان للملوك لقلة العمايم فيهم ومنه

اي في لبس العمامة الوقار اي ظهور العظمة منهم ففي الفردوس للديلمي عن ابن عباس العمايم
تيجان العرب فاذا وضعوا العمايم وضعوا عزهم وفي رواية الباوردي عن ركانة العمامة
على القلنسوة فصل ما بيننا وبين المشركين يعطى يوم القيمة بكل كورة يدورها على رأسه
نورا ويرسل الذيل اي ذيل العمامة المسمى بالعذبة بين الكتفين ويجوز في احد الشقين مما
يلي الاذنين الى قدر الشبر او موضع القعود او نصف الظهر وهو وسط مرضي اي عند
المنصف والا فالاول اشهر واكثر واظهر والكل مروي وقد جمعته في رسالة مستقلة
ويستجد اي يلبس الجديد ليلة الجمعة او يومها وهو المعروف من حديث انس كان اذا استجد
ثوبا لبسه يوم الجمعة رواه ابن حبان ويلبس ما اصاب اي وجده من جديد او غيره من
غير تعلق بنوع منه او تقيد بصنف منه ما لم يرد نهي عنه كالحرير ولون الاحمر والاصفر
ما لم يكن من احدى الشهرتين فقد ورد من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة متفق
عليه وفي رواية لاحمد عن جويرية البسه الله يوم القيمة ثوبا من نار وفي رواية عبد الرزاق
عن الحسن مرسلا الحمرة من زينة الشيطان ابن ماجة عن ابي ذر من لبس ثوب شهرة اعرض
الله عنه حتى يضعه حتى وضعه وفي رواية ابي داود وابن ماجة بسند حسن عن ابن عمر من
لبس ثوب شهرة البسه الله يوم القيمة ثوبا مثله ثم يلهب فيه النار ونهى عم عن لبستين
المشهورة في حسنها والمشهورة في قبحها الطبراني عن ابن عمر وينفض الخف قبل اللبس اي
مخافة ان يكون فيه ما يؤذيه من دابة او غيرها ويقعد في لبسه ونزعه خوفا من وقوعه
ويحتفي احيانا تواضعا اي لله سبحانه لقوله والله جعل لكم الارض بساطا وقوله الم نجعل
الارض مهادا فهو اي الاحتفاء مأثور اي عن الصحابة وسلف الصالحين ومنهم بشر
الحافي ومن كرامته ان الدواب في سكك بغداد لم يكن يرمين الروث مدة حياته وبوجوده
فيها استدل على مماته ويلبس النعل الاصفر فهو يوجب السرور اخذ من قوله تعالى صفراء
فاقع لونها تسر الناظرين وورد من لبس نعلا صفراء قل همه ذكره الكشاف عن علي
ويروى عن ابن عباس مرفوعا بلفظ لم يزل في سرور ما دام يلبسها بدل قل همه ويتطيب
اي يستعمل الطيب وافضله المسك وماء الورد والعود ولا يرد الطيب كذا رواه
احمد والبخاري والترمذي والنسائي عن انس وفي صحيح مسلم وابي داود وغيرهم من
عرض عليه طيب فلا يرده فانه خفيف المحمل طيب الرائحة والترمذي عن ابن عمر مرفوعا
ثلثة لا ترد اللبن والوسادة والطيب فهو اي كل من التطيب وعدم رد الطيب
المروي اي عنه عم فروى ابن سعد عن ابراهيم مرسلا انه عم كان يعرف بريح طيب

اذا اقبل يعنى سواد تطيب ولم يتطيب كما حرر فى محله وانما كان تطيب لزيادة محبته
فى الطيب كما يدل عليه حديث حبب الى من دنياكم ثلث الطيب والنسا الحديث والاحب من
الطيب للرجال ما خفى لونه وظهر ريحه كماء الورد والمسك وللمراة ما ينعكس اى ما ظهر
لونه وخفى ريحه كالزعفران والصندل قيل وهذا اذا اراد الخروج والا فلا حرج عليهما فى
داخل بيتهما والحديث رواه الترمذى عن ابى هريرة والطبرانى والضيا عن انس مرفوعا بلفظ
طيب الرجال ما ظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ما ظهر لونه وخفى ريحه ويجتنب الحناء
اى الخضاب به فى يده ورجله فهو تشبه بالنساء لانه سنتهن اى عادتهن اولانه سنة فى
حقهن فقد ورد كان يكره ان يرى المراة ليس فى يدها اثر حناء او خضاب البيهقى عن عائشة
وفى رواية احمد وابى داود والترمذى وابن ماجه عن ابن عباس لعن الله المتشبهات من النساء
بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء والنمص وهو قلع الشعر بالخيط من وجه الغير والانتماص
قلعه من وجه نفسه او طلبه من غيره وفى النهاية النامصة التى تنتف الشعر من الجبين والمنتمصة
التى تامر من يفعل بها ذلك فهو اى ما ذكر من الفعلين منهى عنهما فقد ورد لعن الله الواشمة والمستوشمات
والمنتمصات والمفلجات للحسن المغيرات خلق الله احمد والستة عن ابن مسعود ولا يبنى اكثر من
سبعة اذرع فى الارتفاع لانه قدر الكفاية ويعد من الاسراف الزيادة وفى الخبر من بنى
بناء فوق ما يكفيه كلف يوم القيمة ان يحمله على عاتقه من سبع ارضين رواه البيهقى فى الشعب
وابو نعيم فى الحلية من حديث ابن مسعود مرفوعا وله شواهد فقد ورد فيه اى فيمن خالفه نودى
الى اين يا فاسق وفى رواية يا افسق الفاسقين لان بناء القصر والصرح ثبت عن شداد
وفرعون ذى الاوتاد وفى رواية ابى داود عن انس مرفوعا من بنى فوق عشرة اذرع نادى
مناد من السماء يا عدو الله الى اين تريد وعن الحسن كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ضربت بيدى الى السقف ويسوى فيه اى فى بنائه التعبد اى الموضع الذى يتعبد فيه
لربه ويعتزل عن غيره ودفع الحر والبرد ففى الخبر ثلث لا يحاسب بهن العبد ظل خص يستظل
به وكسرة يشد بها صلبه وثوب يوارى بها عورته احمد فى الزهد والبيهقى عن الحسن مرسلا
ولا يبالغ فيه اى فى استحكام بنائه بالجص والنورة فاول من بنى بالاجر فرعون وهامان
وقد قال تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة اى محكمة او مرتفعة ونظر عمر فى
طريق الشام الى صرح قد بنى بجص واجر كبير وقال ما كنت اظن ان يكون فى هذه الامة من
يبنى بنيان هامان لفرعون يعنى به قول فرعون فاوقد لى يا هامان على الطين اراد به الاجر
وورد لدوا للموت وابنوا للخراب البيهقى فى الشعب عن ابى هريرة والزبير مرفوعا وابو نعيم فى الحلية

عن

عن ابى ذر موقوفا واحمد فى الزهد عن عبد الواحد قال قال عيسى عم فذكره فلم يضع
عم لبنة بكسر اللام فتكون موحدة على لبنة ولا قصبة على قصبة اى وانما بنى الحجرات
من الجارات ولكن فى السير ذكر انه اشتغل اللبن وبنى به المسجد والبيوت للازواج
الطاهرات ويبدا يوم الاحد لانه سبحانه بدا فيه بخلق الارض والسموات كما
حقق فى تفسير قوله تعالى ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ويتخذ
موضعا للوضوء والغسل اى على حدة وموضعا للبول والغائط اى منفردا وكان
مقتضى الترتيب ان يعكس الموضعين لان القصد بهما قضاء الحاجة واداء النظافة
وموضعا للضيافة فقد ورد انه اى بناء موضع الضيافة زكوة البيت اى صدقته اى
زكوته وتمامه وضياؤه وبهاؤه وقد سبق لا خير فيمن لا يضيف وصح فراش للضيف
ولا يتوطن فى دار الحرب اى فى ديار الكافرين بفتح النون ولا يجوز كسرها واصله بينهم
ثم ادخل الظهر مقحما او اشعارا بانه مظاهرهم ثم زيدت الف ونون فى لفظ الظهر تاكيدا
وكان القياس كسر النون كما فى الربانى واللحيانى الا انه اريد ههنا به التشبيه ومعناه ا
ظهرانيهم امامه وظهرا وراءه فهو مكنوف من جانبيه وحواليه واذا بولغ قيل بين
اظهرهم ثم كثر حتى استعمل فى الاقامة بين القوم مطلقا ترا اى نارهما اى يترائ نار
المسلمين والمشركين من كمال قربهما وفيه تنبيه على عذر من سكن فيه لبعد ما بينهما وعدم قدرته
على الانتقال من ابعدهما الى اسعدهما فقد قال تعالى الذين تتوفيهم الملائكة ظالمى انفسهم قالوا
فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين فى الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها الاية
والحديث رواه ابو داود والترمذى من حديث جرير انا برئ من كل مسلم يقيم بين اظهر المشركين
قالوا يا رسول الله ولم قال لا ترائ نارهما والمعنى لا ينبغى لان يتقارب نارهما بل ينبغى ان يتباعد
دارهما واما قوله عم لا هجرة بعد الفتح فمعناه لا هجرة واجبة من مكة وغيرها الى المدينة بعد
فتح مكة واستقرار الاسلام وينظف اى البيت وما حوله من الملوثات والقاذورات ولا
يكسوا اى جدران البيت بالستارات ولا يزخرف بانواع الزينات فانها من الامور الفانية
المشغلة من الاحوال الباقية وقد نهى عم ان يستر الجدر رواه البيهقى عن على بن حسين مرسلا
وقال الله تعالى ولولا ان يكون الناس امة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا
من فضة ومعارج عليها يظهرون ولبيوتهم ابوابا وسررا عليها يتكؤن وزخرفا وان كل
ذلك لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين وقد ورد ولو كانت الدنيا
تعدل جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء الترمذى وغيره عن سهل بن سعد ويقرا عند

اى فى بلاد الكفر ورد انا برئ من كل مسلم
مقيم بين ظهرانى المشركين صح

الدخول آية الكرسي لانها آية الحفظ والاخلاص فانه اي قراءتها او قراءة كل منهما يورث الغنا
اي عن السور لاشتمالها على توحيد ذاته وتفريد صفاته وقراءة الفاتحة انسب فان فيها
رائحة الابتداء والحمد والشكر والثناء فايحة ويغلق الباب ليلا اي بعد المغرب او العشاء
مسميا لان الشيطان لا يفتح بابا اغلق عليه وسمي لديه ميامنا اي مبتديا برد المصراع الاول
اذا كان الباب ذا مصراعين ويوافقه هذا الغلق من غير القلق ويرخي الستر اي فيما لم يكن له
باب يغلق ويطفي النار ففي الصحيحين وغيرهما عن جابر مرفوعا اذا كان جنح الليل بكسر الجيم اي
اوله فكفوا صبيانكم فان الشياطين تنتشر فاذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم واغلقوا الابواب
واذكروا اسم الله فان الشيطان لا يفتح بابا مغلقا واوكوا قربكم واذكروا اسم الله وخمروا
انيتكم واذكروا اسم الله ولو ان تعرضوا عليها شيئا واطفئوا مصابيحكم وفي رواية الطبراني
والحاكم اذا نمتم فاطفئوا المصباح فان الفارة تأخذ الفتيلة فتحرق اهل البيت الحديث
وفي الصحيحين عن ابن عمر لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون ويتوضأ اي يتطهر للنوم ففي
الخبر اذا اتيت مضجعك فتوضأ وضوءك للصلوة رواه الستة عن البراء لتكون رؤياه
صادقة وذلك لما ورد من بات على طهارة بات معه ملك ويستاك اي عند النوم لانه
من كمال الطهارة والنظافة ولان النوم اخو الموت وسن للمحتضر ان يستاك كما فعله عم وبعد
الطهور بفتح الطاء اي يهيئ ما يتطهر به والسواك اي رأسه وينوي القيام اي للتهجد في وقته
فلكل امرئ ما نوى ونية المؤمن خير من عمله ويستاك كلما استيقظ كما كان بعض السلف يفعلونه
ويضع وصيته اي عماله وعليه مكتوبة تحت الراس قريبا منه خائفا من هجوم الموت اي مجيئه بغتة
دونها اي من غير وصية وقد ورد ما حق امرئ مسلم له شيء يريد ان يوصي فيه يبيت ليلتين
الا ووصيته مكتوبة عنده رواه الشيخان عن ابن عمر وروي من لم يوص لم يؤذن له في الكلام
مع الموتى وروي ترك الوصية عار في الدنيا ونار وشنار في العقبى ويتوب عن الذنوب فلعله
يكون آخر حياته فيصير صالحا عند مماته وينوي الخير للمسلمين اي بنومه ليستريحوا عن ايذائه
او لينفعهم عند انتباهه ولذا قيل نوم الظالم عبادة كما ورد نوم العالم عبادة ليغفر
له اي لسبب النية او التوبة ولا يبسط له الفراش النعيم اي اللين الناعم قطعا لغلبة
النوم والانس بالترفه اي بالتنعم الزائد ففي الشمائل سئلت عائشة ما كان فراش رسول
الله صلى الله عم قالت من ادم حشوه ليف وسئلت حفصة ما كان فراش رسول الله
صلى الله عم في بيتك قالت مسحا بكسر الميم اي فراشا خشنا من صوف نثنيه ثنيتين فينام عليه
فلما كان ذات ليلة قلت لو ثنيته اربع ثنيات كان اوطأ له فثنيناه باربع ثنيات

فلما

فلما اصبح قال ما فرشتموني الليلة قلنا هو فراشك الا انا ثنيناه باربع ثنيات
قلنا هو اوطأ لك قال ردوه لحالته الاولى فانه منعتني وطاءته صلوتي الليلة ولا
يواظب عليه اي لا يداوم بالنوم على مطلق الفراش بل ينبغي ان ينام تارة على الحصير
كما ورد في السنة وتارة على الارض كما ثبت عن ابي تراب فهو المروي اي عن النبي والولي
وينفضه اي فراشه قبل الاتيان اي قبل قعوده لئلا يلقى ما يؤذيه في حال رقوده ففي
صحيح مسلم فليأخذ داخلة ازاره فلينفض بها فراشه وفي اكثر الروايات قيده بثلث
مرات للمبالغة في الاحتراس عن المؤذيات ويستقبل القبلة وجهه واخمصه وفي
نسخة واخمصاه اي بواطن قدميه اليها فيكون هيئة الاستلقاء فقيل هو نوم الانبيا
وقيل هو اردى النوم ولا يضر الاستلقاء عليه للراحة من غير نوم واردء منه
ان ينام على وجهه منبطحا ففي سنن ابن ماجة انه عم مر برجل في المسجد منبطح على وجهه
فضربه برجله فقال قم واقعد فانه نومة جهنمية ولكن المعروف في كتب الحديث ما ذكره
بقوله ويكون كالملحود وهو بان يضع يده اليمنى تحت خده ويضطجع على شقه الايمن
كما في مسلم وغيره ويقول باسمك ربي وضعت جنبي وبك ارفعه ان امسكت نفسي فاغفر
لها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين رواه الستة ويقرأ آية
الكرسي لانها للحفظ عن شياطين الانس والجن وهو في صحيح البخاري وروى الطبراني عن ابن مسعود
من قرأ عشر آيات اربع من اول البقرة وآية الكرسي وآيتين بعدها وخواتيمها لم يدخل ذلك
البيت شيطان حتى يصبح وآيتين من آخر البقرة وروى الاربعة عن ابن مسعود الانصاري
مرفوعا من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه اي من قيام الليل او من كل
مكروه وقال النووي في الاذكار روى الامام الحافظ ابو بكر ابن ابي داود باسناده
عن علي رض قال كنت ارى احدا يعقل ينام قبل ان يقرأ الآيات الثلث الاواخر من
البقرة فالابتداء من قوله تعالى لله ما في السموات وما في الارض وشهد الله الى الاسلام
اي شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط لا اله الا هو
العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام والهكم اله واحد الى يعقلون اي لا اله الا
هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك
التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض
بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السما والارض
لآيات لقوم يعقلون وان ربكم الله الذي خلق السموات تمامه والارض وما بينهما في

ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية
انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان
رحمة الله قريب من المحسنين وقل ادعوا الله الاية اى او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله
الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل
الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل و
كبره تكبيرا وعشر في اول الكهف وهو بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي انزل على عبده
الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين
يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا
ما لهم به من علم ولا لابائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك
باخع نفسك على اثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة
لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا وعشر من اخرها وهي
افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادي من دوني اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين
نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم
يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بايات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم
يوم القيمة وزنا ذلك جزاؤهم بما كفروا واتخذوا اياتي ورسلي هزوا ان الذين
امنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها
حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا
بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد فمن كان يرجو لقاء
ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والمعوذتين بكسر الواو ونفخ بقرائتهما
اى اولا كما في رواية فينفث على اليدين بضم الفاء وبكسر اى ينفخ نفخا لطيفا عليهما بعد جمعهما
ووصل كفه اليمنى بكفه اليسرى وفي رواية البخاري والاربعة عن ابي هريرة جمع كفيه ثم
ينفث فيهما فيقرء قل هو الله احد وقل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس ويمسح
الوجه والبدن وفي رواية الصحيح ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده يبدء بهما على راسه
ووجهه وما اقبل من جسده يفعل ذلك ثلث مرات ففي الكل فضائل ويذكر الموت لان
الموت اخوه والنشور لانه قيام من القبر كالاستيقاظ من النوم ويشير اليه قوله ع م
عند المنام اللهم باسمك اموت واحيى وبعد القيام الحمد لله الذي احيانا بعد ما اماتنا

واليه

واليه البعث والنشور وفي الطبراني وليقرء قل يا ايها الكافرون ثم لينم على خاتمتها وفي
رواية احمد وغيره اذا اخذت مضجعك من الليل فاقرء قل يا ايها الكافرون ثم لينم
على خاتمتها فانها براءة من الشرك وفي رواية البزار عن انس اذا وضعت جنبك
على الفراش وقرات فاتحة الكتاب وقل هو الله احد فقد امنت من كل شيء الا الموت
وفي رواية احمد عن شداد ابن اوس ما من رجل ياوي الى فراشه فيقرء سورة من كتاب
الله الا بعث الله اليه ملكا يحفظه من كل شيء يوذيه حتى يهب من هبه وينام على جنبه
تعالى اى في قلبه غير مشارك ربه وذكره اى بلسانه مقرونا بجنانه وهكذا اى في جميع شانه
كلما يستيقظ وينام اى في زمانه فهو علامة حبه تعالى يحتمل اضافة المصدر الى فاعله و
مفعوله مع انهما متلازمان كما يشير اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه والعبرة بالعناية
السابقة المترتب عليها الرعاية اللاحقة وخير العاقبة اى وامارة حسن الخاتمة فان
النوم كالموت في الحالة السالمة ولا ينام وحده اى منفردا عن اهله فانه ع م كان ينام
مع نسائه والمعنى لا ينام وحده في بيت لم يكن فيه غيره ففي مسند احمد عن ابن عمر انه ع م
نهى عن الوحدة ان يبيت الرجل وحده الا لتقوى الحضور في القيام لان الحضور الكامل
انما هو في الغلبة عن مشاهدة الانام لكن كما قيل كن وسطا وامش جانبا وكن قريبا
عنها وكانما بائنا ففي ثوبان لو تسكن الكفور فان ساكن الكفور كساكن القبور البخاري
في تاريخه والبيهقي عن ثوبان والكفور بالضم ما بعد من الارض عن الناس ففيه النهي عن
الرهبانية والاعتزال عن الخلق بالكلية ولا على سطح غير محوط اى سترة لما ورد فيه من
النهي وورد من بات على ظهر بيت ليس عليه حجاب فقد برات منه الذمة رواه ابو داود
بسند حسن وفي رواية الترمذي عن جابر نهى ع م ان ينام الرجل على سطح ليس بمحجور عليه ولا
فيما لا باب له اى ولا ستارة فانها تقوم مقام الباب في هذا الباب عند بعض اولي الالباب
ولا بعد الصبح فالارض تشكى منه اليه تعالى حيث انه صرف وقته الشريف في غير العبادة
وضيعه في النوم وفق الطبيعة والعادة وقد ورد عن عثمان مرفوعا برواية البيهقي
وغيره الصبحة تمنع الرزق اى المعنوى وكذا الحسي لانه ع م قال بورك لامتي في بكورها
ولا بعد العصر لانه ايضا وقت شريف كما يشير اليه قوله تعالى يا ايها الذين امنوا اذكروا
الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة واصيلا وفي رواية ابي يعلى عن عائشة من نام بعد العصر
فاختلس عقله فلا يلومن الا نفسه وكان ع م اذا طال القيام اى بالصلوة بعد
المنام ينام نومة خفيفة قبيل الصبح او يضطجع ساعة لطيفة بعد ركعتي الصبح و

فيه تجدد الشوق الى اداء الفرايض وذهاب اثر القيام اى من صفرة عن الوجه واثر الكسل عن جميع البدن ويقيل بفتح اوله اى ينام وقت القيلولة فهى سنة مستحبة لفعله عم وحثه عليها بالكلام حيث قال قيلوا فان الشيطان لا يقيل ابو نعيم عن انس معينة على القيام كالسحور على الصيام وهو بفتح السين ما يتسحر به وبالضم اكل الطعام فى وقت السحر وهو السدس الاخير من الليل لقوله عم استعينوا بطعام السحر على صيام النهار وبالقيلولة على قيام الليل رواه ابن ماجة وغيره عن ابن عباس متضمنة للسلامة اى من ضعف الدماغ وهو مورث للملالة وموجب للسامة او للسلامة من مخالطة اهل العلاقة والتحدث معهم فى البطالة فمن الثورى كانوا يستحبون اذا تفرغوا ان يناموا طلبا للسلامة ولذا قيل النوم خير من النميمة ولكن النوم اى ليقع مجموعه ثلث الليلة واليوم اى والباقى وهو ثلثان مصروف الى اليقظة فيكون اكثر عمره للطاعة وينبغى ان ينتبه قبل الزوال لاستعداد الصلوة على وجه الكمال ولا يقص الرؤيا اى لا يحدثها اذا راى ما يحبها الا على عالم اى بتعبير الرؤيا ناصح للرائى بان يكون محبا ومشفقا عليه فان الرؤيا لا تستقر ما لم تعبر فاذا اعبرت سقطت فاذا كان العابر غير محب فقد يعبرها بما يكره فيحصل بذلك هم وغم وليس المراد ان يزيلها عما جعله الله عليه وقد يقع الرؤيا بقول اول عابر اذا كان خبيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا تأويلين او اكثر فعبرها من يعرف تعبيرها على وجه يحتملها فيقع على ما اولها فقد ان امراة اتت النبى عم وقالت رايت كان سارية بيتى اى عتبته قد انكسر فقال يرد الله عنك غائبك فرجع زوجها ثم غاب فرات مثل هذا فاتت النبى فلم تجده ووجدت ابا بكر فاخبرته فقال يموت زوجك فذكرت ذلك لرسول الله عم فقال هل قصصتها على احد قالت نعم قال هو كما قال هذا وما فى المتن رواية الترمذى عن ابى هريرة وفى الصحيحين اذا راى فى منامه ما يحب فليحمد الله عليها وليحدث بها ولا يحدث بها الا من يحب وفى رواية الحاكم عن انس ان الرؤيا تقع على ما يعبر ومثل ذلك مثل رجل رفع رجله فهو ينتظر متى يضعها فاذا راى احدكم رؤيا فلا يحدث بها الا ناصحا او عالما ولا يكل ما يرى اى ولا يحدث بجميع ما راها بما يحبها من الرؤيا لما سبق فان راى مكروها اى ما يكرهه كما فى الرواية يبزق عن يساره اى يبزق ثلثا كما رواه الستة ويتعوذ اى بالله من الشيطان ومن شرها اى شر الرؤيا التى يكرهها ثلثا كما رواه الستة ايضا ولا يذكرها لاحد فانها لا تضره كما فى الصحيحين وغيرهما ويتحول عن جنبه الذى كان عليه ويقوم ويصلى كما رواه مسلم

فيصلى ركعتين فانهما اقل ما يطلق عليه الصلوة للنهى عن البتيراء خلافا للشافعى فى تجويزه الركعة المفردة ويتصدق بشئ لان الصدقة تدفع البلاء ويرد المعبر الى احسن التاويل لان الرؤيا تقع بقول اول عابر اذا كان خبيرا بالرؤيا وربما احتملت الرؤيا تعبيرين او اكثر كما تقدم ولا يبعد ان يكون المعنى يعبر المعبر احسن تعبير من انواع العبارة فقد حكى ان لسلطان كان معبران وظيفة احدهما الف وللاخر نصفه مع انهما متساويان فى الفضائل وتحسين الشمائل فسئل السلطان عن موجب تفضيل احدهما على الاخر لان الحكيم لا يرجح الا لحكمة ومصلحة فقال رايت اسنانى وقعت قدامى فحكيت لهما فقال صاحب الالف فقال ابشر فان عمرك اطول من اعمار اقاربك وقال الاخر يموت جميع اقاربك قبلك فانظر ان مؤدى كلاميهما واحد كلاهما ومختلف حسن تعبيرهما ومقتضاهما عند فحواهما ولا يقتنى كلبا اى لا يحفظه ولا يمسكه عنده فالملائكة اى النازلة للرحمة تنفر عنه اى دون الحفظة لكنهم تتاذون ايضا عنه الا انهم لا بد لهم من العرب عنهم الا الماشية من غنم وابل وبقر ونحوها او صيدا اذا كان معلما او زرع لحفظه من الدواب وغيرها وفى الخبر من اقتنى كلبا الا كلب ماشية او ضاريا اى كلب معلم نقص من عمله كل يوم قيراطان رواه الشيخان عن ابن عمر والمراد بكلب الماشية ما يكون للحفظ فيشمل كلب الزرع ولذا اقتصر فى الحديث عليه ولا يستقبل الشمس اى فى قعوده فى وقت الشتاء فهو داء ويستدبرها فهو دواء اى للاستدفاء ونهى عم ان يقعد الرجل بين الظل والشمس الحاكم عن ابى هريرة وابن ماجة عن بريدة ويخرج اى من داره مسميا متعوذا فيقول بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله اللهم انى اعوذ بك من ان اذل او اذل او اضل او اضل او اجهل او يجهل على رواه ابن ماجة وغيره قاريا اية الكرسى اى للحفظ عن شياطين الانس والجن ويسرع فى المشى الى البيت عجلا كونه راجعا اليه ليكون اسرع من حال خروجه منه فان دخوله فيه احسن احواله لديه فالعود احمد عليه لان الزمان زمان البيوت ولزوم السكوت والقناعة بالقوت الى ان يموت ولا يمشى بين المرأتين فانه ابعد الى العصيان وقيل يورث النسيان ففى مسند ابى داود ومستدرك الحاكم عن ابن عمر انه عم نهى ان يمشى الرجل بين المرأتين وروى البيهقى عنه مرفوعا اذا استقبلتك المراتان فلا تمر بينهما خذ عنة او يسرة وهذا معنى قوله ويترك الطريق للنساء اى التى ليس لهن شئ من الحيا والا فلا يليق بهن ان يتركن الطريق للرجال ويلصقن بالجدران لستر الحال ويميط الاذى اى ويزيل ما فيه من الاذى كالشوك والحجر ونحوهما عن الطريق ومنه نفسه المؤذية للرفيق ففيه اجر جزيل وثناء جميل لاهل التوفيق فورد الايمان بضع وسبعون شعبة فافضلها قول لا اله

الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق رواه مسلم وغيره عن ابى هريرة وعن معقل بن
يسار مرفوعا من اماط اذى عن الطريق المسلمين كتب له حسنة ومن تقبلت منه حسنة دخل الجنة
رواه البخارى فى تاريخه ولا يختال ولا يتبختر ماشيا فورد ولا تمش فى الارض مرحا
تمامه انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها
وفى اية اخرى واقصد فى مشيك اى توسط وفى اخرى وعباد الرحمن الذين يمشون على
الارض هونا اى هينين لينين متواضعين متخاشعين من تعظم فى نفسه اى تكبر و
اختال فى مشيه اى تبختر لقى الله وهو عليه غضبان رواه احمد وغيره عن ابن عمر و
وكانه مقتبس من قوله تعالى ان الله لا يحب من كان مختالا فخورا ويأخذ العصا فى الكبر
وابتداوه من الاربعين فهو سنة اى للانبياء كما بينت فى رسالة الانبياء و
قد قال الحسن فى العصا ست خصال سنة الانبياء وزين الصلحاء وسلاح الاعداء
وعون الضعفاء والمساكين وزعم المنافقين ويقال اذا كان المومن مع العصا
هرب الشيطان منه وامتنع المنافق والفاجر عنه ويكون قبلته اذا صلى وقوته
اذا اعيى وفيه منافع كثيرة كما قال موسى عم ولى فيها مارب اخرى كذا فى البستان
واما ما اشتهر على الالسنة من وصل الاربعين فلم يمسك العصا فقد عصى فلا اصل
له ويبعد بضم اوله فى قضاء الحاجة الانسانية من البول والغائط عن الاعين اى
اعين الناظرين ان وجد وافى الصحراء كما ورد به السنة وان يستتر بشئ ان وجد
من شجر او حجر ولو استتر براحلته او ذيله جاز كما فى بعض الروايات واما فى البنيان
فالغالب ان يكون مستترا مكان الخلاء ولا يكشف العورة قبل الانتهاء الى موضعه
اى محل جلوس القضاء فى الخلوة والفضاء اذ ليس من الادب كشفها قبل الحاجة اليه و
لا يستقبل النيرين اى الشمس والقمر تعظيما للملائكة الذين يجرونهما او لانهما آيتان
عظيمتان وهو لا ينافى قوله عم شرقوا او غربوا كما لا يخفى على الاعلام ولا يستقبل
القبلة ولا يستدبرها فان فيهما تحقيرا لها سواء يكون فى الصحراء او فى البنيان وفى
رواية احمد وغيره انه عم نهى ان يستقبل القبلتين ببول او غائط وفى الصحيحين
اذا اتى احدكم الغائط فلا يستقبل القبلة ولا يولها ظهره شرقوا او غربوا وهذا
امر لاهل المدينة ومن كانت قبلته على ذلك السمت ممن هو فى جهتى الشمال او الجنوب
واما من كانت قبلته فى جهة الشرق او الغرب فلا يجوز له ان يشرق ولا يغرب وانما
يجنب او يشمل كذا فى النهاية ولا يبول فى الماء الراكد اى الواقف سواء كان ماؤه قليلا

او كثيرا وكذا لا ينبغى ان يبول فى الماء الجارى ولعله اقتصر على الاول لورود الحديث
فيه بناء على قلة الماء الجارى فى الحرمين ح ففى صحيح مسلم وغيره عن جابر انه عم نهى ان
يبال فى الماء الراكد وفى رواية الطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف عنه اذا نهى ان
يبال فى الماء الجارى وفى الاحيا قال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا باس به وقد
يقال اذا كان الراكد عشرا فى عشر فلا باس به والاولى الاعم لعموم النهى على ما لا يخفى ولا
تحت الشجرة المثمرة فروى ابن عدى عن ابن عمر انه عم نهى ان يتخلى الرجل تحت شجرة مثمرة
ونهى ان يتخلى على ضفة نهر جار اى حافته وهو بكسر اوله وفتحه وكذا لا ينبغى ان يتخلى
تحت شجرة مظلة يستظل تحتها الناس لان مدار النهى اذى المسلمين وكذا ورد
النهى ان يبال فى قبلة المساجد وابوابها كما رواه ابو داود فى مراسيله ولا فى الجحر
بضم الجيم وسكون المهملة اى ثقب الجدر والارض مخافة اذى الدابة فروى ابو
داود والحاكم فى مستدركه عن عبد الله بن سرجس انه عم نهى ان يبال فى الجحر وقد قالوا
لقتادة ما يكره من البول فى الجحر قال كان يقال انها مساكن الجن ولا فى موضع صلب
ولا فى مهب الريح اى فى حال الريح استنزاها من رشاشه فروى ابو داود والبيهقى عن
ابى موسى اذا اراد احدكم ان يبول فليرتد لبوله مكانا لينا اى ليطلبه وروى ابو يعلى
بسند مرفوعا اذا بال احدكم فلا يستقبل الريح ببوله فترده عليه ولا يستنجى بيمينه
ولا المغتسل اى ولا يبول فى مغتسله لانه يورث الوسوسة ويوجب الشبهة ولورود
النهى فى السنة ويتكى على الرجل اليسرى اى فى جلوسه ويقدمها داخلا فى الخلاء ويوخرها
خارجا عنه اذا كان فى مراعاة اليمين عكس دخول المسجد وخروجه ولا يبول قائما ففى
عائشة من حدثكم انه عم كان يبول قائما فلا تصدقوه الترمذى وغيره وقال عمر رانى
رسول الله صلى الله عم وانا ابول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما ابن ماجة باسناد ضعيف
وابن حبان من حديث ابن عمر وفيه رخصة اذ روى حذيفة انه عم بال قائما وهو اما
لعذر او بيان للجواز وكذا لا يبول فى المغتسل فانه عم قال عامة الوسواس منه
اصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل وقال ابن المبارك قد وسع فى البول فى المغتسل
اذا جرى الماء عليه ذكره الترمذى ولا يستصحب شيئا عليه اسمه تعالى او اسمه عم والظاهر
انه كذلك سائر اسماء الانبياء العظام ولا يدخل اى بيت الخلاء حاسر الرأس اى
كاشفه قيل فيغطيه بمنديل حياء من الله وملائكته فكان ابو بكر يفعله لذلك و
يتعوذ فى الدخول فيقول بسم الله اللهم انى اعوذ بك من الخبث والخبائث ويحمد بعد الخروج

غفرانك الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني وابقى علي ما ينفعني رواهما النسائي وغيرهما
وبعد البتل بضم نون وفتحها اى وبعد الحجر والمدر للاستنجاء قبل الجلوس فهو سنة و
الايتار مستحب وقيل واجب ولا يستنجي بالماء في موضعه اى محل الغائط والبول الا اذا
كان محفورا بحيث لا يصل اليه اثرهما فالكل ماثور وينبغي ان يستبرئ بالتنحنح والنتر
ثلثا وامرار اليد على اسفل القضيب ثم يستنجي فاذا وجد من بلل فيعد انه بقية الماء فان
كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى في نفسه ذلك ولا يتسلط الشيطان عليه
بالوسواس وفي الخبر انه رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله اعني رش الماء كذا في الاحيا وقال
مخرجه حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الانتضاح رواه ابو داود والنسائي وابن ماجة
وكان اخفهم استبراء افقههم فيدل الوسواس فيه على قلة الفقه وقد قدمنا كيفية الاستنجاء
في ابتداء آداب الوضوء اول الكتاب ويزيل وسخ الشعر اى شعر لحيته ورأسه ودوده
اى من القمل ونحوه بالادهان بتشديد الدال اى استعمال الدهن المطيب وغيره او بالادهان
جمع دهن والتسريح ففي شمائل الترمذي من حديث انس انه عم كان يكثر دهن رأسه وتسريح
لحيته وعند ابي داود والترمذي من حديث عبد الله بن مغفل باسناد صحيح انه عم نهى عن
الترجل الا غبا فورد ادهنوا بتشديد الدال وتخفيفها مع فتح الهاء غبا اى يوما بعد يوم
او وقتا دون وقت ومنه حديث زر غبا تزدد حبا اخرجه جماعة قيل الغب في الادهان
ان يكون في كل اسبوع مرة والحديث ذكره في الاحيا وقال ابن صلاح لم اجد له اصلا وقال
النووي غير معروف ذكره العراقي من كان له شعرة فليكرمها كذا في النسخ بتبع الاحيا ولا
للوحدة على ما لا يخفى فصوابه من كان له شعر فليكرمه كما هو رواية ابي داود عن ابي هريرة
وقد دخل عليه رجل ثائر الراس اشعث اللحية فقال اما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم
قال يدخل احدكم علي كانه شيطان ابو داود والنسائي وابن حبان من حديث جابر وقد سبق انه
عم كان لا يفارقه المشط في سفر ولا حضر وقد بسطت الكلام في رسالة سميتها بالتصريح
في التسريح وما في الانف اى وما يجتمع فيه من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها
بالاستنشاق والاستنثار والاذن وما يجتمع من الوسخ في معاطف الاذن والمسح يزيل ما
يظهر منه وما يجتمع في قعر صماخي اذنيه فينبغي ان ينظف برفق عند الخروج من الحمام ونحوه
من الاستحمام لئلا يصم فان كثرة ذلك ربما يضر بالسمع واما ما يجتمع على الاسنان واطراف
اللسان فيزيل بالخلال والمضمضة والاستياك وقد ورد ما لي اراكم تدخلون علي قلحا
استاكوا البزار والبيهقي من حديث العباس والقلح محركة صفرة الاسنان وتحت الاظفار

وفي

وفي الطبراني عن وابصة بن معبد سألت النبي عم عن كل شيء حتى سألته عن الوسخ
الذي يكون في الاظفار فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك وقد امر عم بغسل البراجم
والرواجب فروى الحكيم الترمذي في النوادر من حديث عبد الله بن بسر نقوا براجمكم
ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه غسل البراجم ولاحمد من حديث ابن عباس
انه قيل يا رسول الله لقد ابطأ عنك جبريل قال ولم لا يبطئ عني وانتم لا تستنون
ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم فالاول على ظهور
الانامل والثاني رؤس الانامل وقيل الاف وسخ الظفر والتف وسخ الظفر
وقوله تعالى ولا تقل لهما اف ولا تنهرهما اى لا تعبهما بما تحت الظفر من الوسخ ولا تتاذ بهما
كما تتاذى بما تحت الظفر من الوسخ واما الدرن الذي يجتمع على جميع البدن من الوسخ والعرق
وغبار الطريق فذلك يزيل بالحمام او بالاستحمام ويدخل الحمام اى يجوز دخوله فهم اى
السلف من الصحابة والتابعين دخلوه اى دخلوا حمامات الشام فعن ابن عباس
اتقوا بيتا يقال له الحمام فمن دخله فليستتر الطبراني والبيهقي والحاكم قال بعضهم نعم البيت
الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري و
قال بعضهم بئس البيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء وهذا بيان آفته وما يتعلق اظهار
فائدته فلا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته كما بينه بقوله ويصون عورته وهي
ما بين سرته وركبته عن نظره ونظره عن عورة الغير ولا يكشفها اى ولو لم يكن هناك غيره
الا لضرورة غسلها بالتصاق جدرانه في خلوة من خلواته ومن جملة الكشف رقة الازار
لا سيما عند بلته وتلصقه بجلدته وهذا ابيح في الامرد ونحوه كذا يصونها عن مس الغير
ولا يتعاطى امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى
العانة ثم من الواجبات ينهى عن كشف العورة لان النهي عن المنكرات واجب ولا يسقط
عنه وجوبه الا لخوف ضربا وشتم واما قوله اعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فليس بعذر
اذ لا يخلو قلب عن التأثر سماع الانكار وتقبيح الامر الا لاهل الجهل وعديم العقل
وفقد الحياء وقلة المبالاة بالعلماء والصلحاء ولمثل هذا اصار الحزم ترك دخول الحمام
في هذه الايام او تخليته عن الانام اذ لا يخلو من عورة مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الى
فوق العانة لاختلاف العلماء في كونها عورة بل الفخذ ونحوها كذلك وقد الحقها الشارع
بالعورة وجعلهما كالحريم لها وروى ابن عمر في الحمام ووجهه في الحائط وقد عصب عينيه بعصابة
وينوي بدخول الحمام التنظيف للصلوة لا العاجل الدنيا من اللذات ويعطي الاجرة

قبله اى قبل دخوله اسرار الحمامى بجذم انتظاره وتطييبا لنفسه واعلاما بالعوض لدفع
الجهالة من احد العوضين فانما يستوفيه مجهول وقد ورد اذا استاجر احدكم اجيرا فليعلمه
اجره الدار قطنى فى الافراد عن ابن مسعود ويتعوذ اى يقول بسم الله اعوذ بالله من الرجس
النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ويقدم رجله اليسرى عند دخوله ويتعوذ بالله من
شر حر النار بعد دخوله ولا يسلم اى على احد عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام
بل يسكت ان اجاب غيره ويدعو بالمعافات اى يقول عافاك الله لمن سلم اى عليه ولم يجب
عنه غيره ولا باس بالمبداءة به اى يقول عافاك الله ونحوه ولا بالمصافحة اى بان يجب عند غيره
يصافح الداخل احد اصحابه ولا يكثر الكلام بل ولا يبداء بالكلام كيلا يكثر الكلام فى
الحمام ولا يقرأ القرآن الا فى النفس اى سرا ولا باس باظهار التعوذ اى من الشيطان الرجيم
ومن الحميم فى دار الجحيم ويجتنبه اى دخول الحمام وقت الغروب اى قريب المغرب وبين العشائين
فهو وقت انتشار الشياطين وخصوصا فى الحمام ونحوه وعلى الريق فهو يورث الموت اى
سريعا فعن الشافعى عجبت لمن يدخل الحمام على الريق ثم يؤخر الاكل بعد ان خرج منه كيف
لا يموت انتهى ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق اولا ولا يسرف فى الماء اى لا يكثر
صب الماء عليه بل يقتصر على قدر الحاجة اليه فان الماذون فيه بقرينة الحال فالزيادة
على العادة لو علمه الحمامى لم يرض به لاسيما الماء الحار فله مؤنة وزيادة مشقة ولا باس
بالدلك اى من غيره فهو مروى اى عن بعض الصحابة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل منزلا
فى بعض اسفاره فنام على بطنه وعبد اسود يغمز ظهره فقلت ما هذا يا رسول الله
فقال ان الناقة تقحمت بى رواه الطبرانى فى الاوسط عن عمر بسند ضعيف ويذكر ظلمة
اللحد فى مكان ظلمه وحرارة جهنم عند حرارته ويحمد بعد الخروج فالماء الحار فى الشتاء
من نعيم يسال عنه يوم القيمة كالماء البارد فى الصيف وقال ابن عمر الحمام من النعيم
الذى احدثوه ولا تدخله المراءة اى النساء فورد لا يحل للرجل ان يدخل حليلته اى
زوجته او امته الحمام روى الترمذى وحسنه والنسائى والحاكم وصححه من حديث جابر من
كان يؤمن بالله واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم
الاخر فلا يدخل حليلته الحمام وللحاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء امتى وقال
صحيح اسناده ولابى داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر فلا يدخلها الرجال
الا بازار وامنعوها النساء الا مريضة او نفساء ويحلق الراس اى شعره ان اراد
التنظيف اى زيادته والاحتياط فى الغسل كما اختاره على رضى الله عنه حيث كان يكثر الاغتسال

وقد

وقد سمع النبى عليه السلام يقول تحت كل شعرة جنابة وكذا قال ومن ثمه عاديت رأسى فان ابقاء
الشعر على الرأس انفع للدماغ وادفع للبرد والحر وكذا اختاره عليه السلام وسائر اصحابه الكرام
فما حلقوا الا بعد الفراغ من احد النسكين وحيث قرره عليه السلام على فعل صار سنة مع انه قال
عليه السلام عليكم بسنتى وسنة خلفاء الراشدين فيستحب لمن يكرمه بدهنه وترجله الا اذا
ترك بعضه وحلق بعضه وجعله قزعا اى قطعا فهو رد اب اهل الشطارة ومنهى عنه للصغار
والكبار ولا عبرة بقول من يقول ان حلقه يورث الصداع فانه نوع من الجنون وتسويل
للشيطان فى مقام الخداع ولا يرسل اى شعر الذوائب بحيث يشتبه بالشريف فانه نوع
من التلبيس والتزييف ويقص الشارب اى فى كل جمعة فورد قصوا الشوارب وهذا لفظ
احمد من حديث ابى هريرة ولمسلم من حديث ابى هريرة جزوا اى اقطعوا وفى الصحيحين من حديث
ابن عمر احفوا الشوارب واعفوا اللحى فالاحفاء يشعر بالاستقصاء ومنه قوله تعالى فيحفكم تبخلوا
اى يستقصى عليكم وفى رواية حفوا اى اجعلوها حفاف الشفة وحولها ومنه قوله تعالى وترى
الملئكة حافين من حول العرش واما الحلق فلم يرد والاحفاء قريب من الحلق وقد نقل عن
الصحابة ونظر بعض التابعين رجلا احفى شاربه ويؤيده رواية الطبرانى عن الحكم بن عمير
مرفوعا قصوا الشوارب مع الشفاه فقال ذكرتنى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه ايماء
الى ان مختار التابعين عدم الاستقصاء واما قوله عليه السلام اعفوا اللحى اى كثروها ولا تنقصوها
وفى الخزانة اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء وراه بدعة ولا
باس بابقاء السبال اى اطراف الشارب فعل ذلك عمر وغيره كما فى الاحياء ولان ذلك لا يستر
الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام لعدم وصوله اليه لكن يشكل هذا بظاهر ما رواه احمد من حديث
ابى امامة قلنا يا رسول الله ان اهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال
قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا اهل الكتاب وفى صحيح ابن حبان من حديث
ابن عمر فى المجوس انهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم اللهم الا ان يراد بالسبال الشوارب
مجازا بقرينة مقابلته بالعثانين وهى جمع عثنون بمعنى اللحية وورد احفوا الشوارب واعفوا
اللحى وانتفوا الشعر الذى فى الاناف ابن عدى والبيهقى عن عمرو بن شعيب والقص يقوم
مقام النتف فى الانف ولا يؤخر حلق العانة ونتف الابط وتقليم الظفر اكثر من اربعين
يوما فهو المأثور اى المذكور فى صحيح مسلم من حديث انس انه عليه السلام وقت لنا فى قص الشارب
وتقليم الاظفار ونتف الابط وحلق العانة ان لا يترك اكثر من اربعين ليلة وورد قص الظفر ونتف
الابط وحلق العانة يوم الخميس والغسل والطيب واللباس يوم الجمعة الديلمى عن على

وحلق الابط ان لم يقدر على النتف باعتياده لئلا يجتمع الوسخ في خلاله والمقصود النظافة
في جميع حاله ويزيل العانة اي شعرها بالطلاء اي النورة ان اعتاد لحصول المقصود وهو فقد
الاذى الموجود والتحامي عن الايلام اي مع تحصيل المرام ويبتدي بتقديم مسبحة اليمنى
وخنصر اليسرى وخنصر الرجلين ولا مسبحة فيهما اي في الرجلين ويختم بالابهام في الكل اي
في جميع اليدين والرجلين فهو المروي قال العراقي لم اجد له اصلا وقد انكره ابو عبد الله
المازري في الرد على الغزالي وشنع عليه به قلت لا وجه للتشنيع عليه حيث قال ولم ار في الكتب
خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت انه روي عنه عم انه بدا بالمسبحة اليمنى وختم
بابهام اليمنى وابتدا في اليسرى بالخنصر الى الابهام ثم وجد هذا الترتيب بما وقع له من الالهام
كما بسط عليه الكلام هذا وفي حديث جابر قصوا اظافيركم فان الشيطان يجري ما بين اللحم
والظفر الخطيب في الجامع بسند ضعيف لكن روى احمد ومسلم والاربعة عن عائشة عشر من الفطرة
اي سنة الانبياء التي امرنا ان نقتدي بهم فيها قص الشوارب واعفاء اللحية والسواك
واستنشاق الماء وقص الاظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء
قال وكيع يعني الاستنجاء به قال مصعب ونسيت العاشرة الا ان تكون المضمضة وذكر عمار
ابن ياسر الاختتان في العاشرة ويكتحل اي في كل ليلة ثلثا اي ثلث مرات متوالية في كل عين
ويبتدي باليمنى فهو مروي اي في الشمائل وغيره من حديث ابن عباس وحسنه الترمذي وروى
اي من حديث ابن عمر باسناد ضعيف للطبراني ثنتان في اليسرى اي وثلث في اليمنى فالايتار
باعتبار العينين جميعا لا باعتبار كل واحدة منهما كما في الاول فتامل فانه الاولى قياسا
على غسل اليدين ثلثا ثلثا ثم الابتداء باليمنى لشرفها وكذا الزيادة لها في رواية لتعظيمها
فهي احق بها وان الله تعالى و ترجيح الوتر كما ورد وورد عليكم بالاثمد وهو حجر يكتحل به
اي الزموه ولا تتركوه عند مضجعكم اي مرقدكم بالليل فانه مما يزيد في البصر اي في قوته و
ينبت الشعر اي شعر الاجفان في طرف العين والحديث رواه ابو نعيم في الحلية عن ابن عباس
عليكم بالاثمد فانه يجلو البصر وينبت الشعر وفي رواية ابن ماجة والحاكم عن ابن عمر عليكم
بالاثمد عند النوم الحديث وفي رواية الطبراني وغيره عن علي عليكم بالاثمد فانه منبتة
للشعر مذهبة للقذى مصفاة للبصر وفي رواية احمد اكتحلوا بالاثمد المروح اي المطيب
بالمسك ولا يكثر التزين بالتسريح ونحوه والاكتحال والادهان فانه داب المترفهين
وقد نهى عم عن الترجل الا غبا ويقطع اللحية الطويلة اي زيادة على القبضة فانه يستحب
وقيل واجب فالمفرط منها في الطول او العرض يرى بصيغة المجهول اي يظهر سمجا بفتح وكسر

بجمع

بجميع اعفائها فانه يشوه الخلقة ويفتح باب الغيبة اي في الحضور والغيبة فلا باس بالاحتراز
عنه على هذه النية وسيجيء قدر القبضة فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي
وابن سيرين فهو الاوسط اي المتوسط المعتدل المحمود في كل شيء قال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل
اللحية لا ياخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين وقد قيل ما طالت اللحية الا وقد نقص العقل المسنون
فانه عم كان ياخذ من لحيته طولا وعرضا كما رواه الترمذي عن ابن عمرو وقيل يتبع بحالها وورد
اعفوا اللحى اي اتركوها وابقوا على حالها واختاره الحسن وقتادة وقالا تركها عافية
احب للحديث المتقدم ولا يجوز تصغيرها وتحميرها بالحنا وغيرها لاخفاء الشيب اي توهم
الا ان فيه العيب وهو نور ووقار وسرور الا في الغزو فان مبناه على مكر وغرور ومنه
الحديث الحرب خدعة وورد وهما خضاب المسلمين والمؤمنين لا فرق بين المسلم والمؤمن
في عرف الشرع وانما هو التفنن في العبارة كما وقع عليه الاشارة في قوله تعالى فاخرجنا من
كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين واما في اصل اللغة ففرق بينهما
حيث ان الاسلام انقياد الظاهر والايمان انقياد الباطن كما يدل عليه قوله تعالى قل
لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ويقويه حديث جبريل ان الاسلام
هو ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وتقيم الصلوة وتؤتي الزكوة
الخ والايمان ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله الخ ولما كان الانقياد الظاهر
لا ينفع بدون الانقياد الباطن كالمنافق ولا الانقياد الباطن بدون الانقياد
الظاهر كما في ابي طالب ونحوه فالمراد بالمؤمن والمسلم واحد وهو الجامع بين الانقيادين
في استحكام الاعتقادين وعبارة الماتن يحتمل ان يكون المراد بهما ان كل واحد من الحمرة و
الصفرة خضاب اهل الاسلام والايمان وان يكون لفا ونشرا مرتبا فيوافق ما ذكره
في الاحياء من قوله عم الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين بناء على الفرق
بينهما لغة واشعارا بان نعت الايمان اكمل فالحمرة افضل فانهم يخضبون بالحناء للحمرة
وبالخلوق والكتم للصفرة وحديث الاحياء رواه الطبراني والحاكم بلفظ الافراد من حديث
ابن عمر بنحوهما جائز ان تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه
النية بل للتشبه باهل الدين فهو مذموم ويكره تسويدها وورد هو خضاب اهل النار
كذا في الاحياء قال وفي لفظ خضاب الكفار قال مخرجه رواه الطبراني والحاكم من حديث
ابن عمر بلفظ الكافر وقيل واول من خضب بالسواد فرعون ذي الاوتاد وقد ورد
من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيمة الطبراني عن ابي الدرداء وتبييضها

بالكبريت اى ويكره ايضا اظهار الكبر اى كبر السن ترفعا على الشباب من اقرانه توصلا
الى التوقير عند اخوانه واستعجالا لقبول الشهادة بعلو شانه وتصديق الرواية عن
مشايخ الدراية ظنا منه بان كثرة الايام تعطيه فضلا بين الانام ولم يعرف ان الفضل
بقلة الاثام وامثال ذلك من الاغراض الفاسدة والاعواض الكاسدة كما بينتها فى
التصحيح لشرح التسريح ونتفها عبثا اى بلا منفعة وتشبيها بالمراد فهو منكر اى بدعة مستقبحة
فان اللحية زينة الرجال كما ان شعر الراس زينة النساء فى جميع الاحوال واستنكافا من
الشيبة فقد نهى عنه ع م عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن رواه ابو داود والترمذى
وحسنه والنسائى وابن ماجة من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده وتزيينها للناس
بالتدوير وهو تقصيصها كالنقبية طاقة على طاقة للتزوير والتسريح اى بالكثير و
قد قال بشر فى اللحية شركان تسريحها للناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد والزيادة اى و
بزيادة الشعر فى العارضين اى الخدين بارسال الصدغ بضم فسكون ما بين العين والاذن
والشعر المتدلى عليه وهو من شعر الراس المتجاوزة عن عظمها اى عظم اللحى المنتهية الى نصف
الخدود ذلك يباين هيئة اهل الصلاح وكثيرا ما يفعله بعض الاعجام ولا ياكل الجنب اى لا ينبغى
ان ياكل وهو جنب فاذا اراد ان ياكل فليغسل فمه اولا وكذا اذا اراد ان يشرب ولا ينام
اى الجنب دون وضوء اى وما يقوم مقامه من التيمم ففى عمر قلت للنبى ع م اينام احدنا وهو جنب
قال نعم اذا توضاء متفق عليه وهذا هو الاولى والا فلا باس به وقد كان ع م ينام وهو جنب
ولا يمس ماء كما رواه احمد وغيره عن عايشة وكان ذلك لبيان الجواز ورحمة على ضعفاء
الامة ولا ينقص من البدن اى لا يقطع الجنب شعرا ولا ظفرا ولا دما ما دام جنبا
فاجزاء البدن اى جميعها تعاد فى الاخرة اى كما كانت فى الدنيا قال تعالى كما بداكم
تعودون وقال تعالى ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة اى حفاة عراة غرلا
والمراد الجنب يكون كذلك وهو نقصان فى المرتبة هنالك وان كانت تزول عن المؤمنين
ما لا يحتاج اليها اذا اغتسلوا على حياض وانهار فى باب الجنة قبل الدخول عليها وقد
ورد انه ع م كان يامر بدفن الشعر والاظفار الطبرانى عن وائل ابن حجر وفى رواية الحكيم
عن عائشة كان يامر بدفن سبعة اشياء من الانسان الشعر والظفر والدم والحيضة
والسن والعلقة والمشيمة ويكنس المسجد اى ينظفه من القمامة فانه افضل انواع الاماطة
انواع الاماطة وقد قال تعالى وطهر بيتى وورد ابنوا المساجد واخرجوا القمامة
منها فمن بنى لله بيتا بنى الله له بيتا فى الجنة واخراج القمامة منها مهور الحور العين

رواه الطبرانى وغيره وينوره بالسرج ونحوها وقد قال انس ابن مالك من اسرج
فى المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام فى ذلك المسجد
ضوءه رواه الحارث بن ابى اسامة فى مسنده وغيره به مرفوعا وسنده ضعيف والحديث
الضعيف يعمل به فى فضائل الاعمال ويفرشه بالحصير وامثالها ففيها اى فى الثلثة فضائل
فانها كلها من عمارة المسجد وقد قال تعالى انما يعمر مساجد الله من امن بالله ولا يزخرفه اى لا
يبالغ فى زينته ولا ينقشه بحيث يشغل المصلى فى احدى هيئته ولا يصوره اى جدرانه و سقفه
فضلا عن قبلته فهو اى مجموع ما ذكر من البدع اى المستبشع ويتعهد النعل اى يتفقدها
ويتفحصها عند بابه رعاية لجنابه ويمسح ما به من اذى على اطرافه ويقدم الرجل يمنى
داخلا فيه ويقول بسم الله اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من
الشيطان الرجيم ويسلم على النبى ع م ويقول اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى ابواب رحمتك
رواه ابو داود وغيره واليسرى خارجا منه ويتعوذ ويقول اللهم اغفر لى ذنوبى و
افتح لى ابواب فضلك رواه الترمذى وغيره ولا يجلس حتى يصلى ركعتين كما فى الصحيحين
وتحية المسجد الحرام هى الطواف ان قدر عليه والا فالصلوة ان لم يكن وقت مكروه والا
فيقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر عملا بقوله ع م اذا مررتم برياض
الجنة فارتعوا ويجهر بالدعاء على من يجهر فيه او ينشد ضالة اى يطلبها برفع صوت
فورد اذا رايتم من يبيع او يبتاع فى المسجد فقولوا لا اربح الله تجارتك واذا رايتم فيه
من ينشد ضالة فقولوا لا ردها الله عليك رواه الترمذى والحاكم عن ابى هريرة مرفوعا
وينظفه اى جدرانه عن النخامة اى ماء الانف والبزاق اى ماء الفم ففى الخبر البزاق فى
المسجد سيئة ودفنه حسنة احمد والطبرانى وفى الصحيحين البزاق فى المسجد خطيئة وكفارتها
دفنها ولا يتخذه بيتا اى مسكنا الا اذا كان غريبا ولم يجد مكانا قريبا ولا معبرا اى
طريقا وممرا الا ضرورة داعية اليه او حاجة باعثة اليه فينبغى ان ينوى الاعتكاف
ولو ساعة لديه فالكل حرام ففى الطبرانى عن ابن عمر لا تتخذوا المساجد طرقا الا لذكر او
صلوة وان غلب النعاس يتحول عن موضعه ليطير اثر نومه وفى الخبر اذا نعس احدكم وهو فى
المسجد فليتحول من مجلسه ذلك الى غيره ابو داود والترمذى عن ابن عمر ويضرب باطراف اصابعه
جانب راسه الايمن ثلثا ثم يجلس فى موضع اخر ويستقبل القبلة فى الجلوس فهو عبادة اى
فى حد ذاته فضلا عن ان يكون فى حدود المسجد وجهاته وقد ورد اكرم المجالس ما استقبل
به القبلة اخرجه ابو يعلى وابن عدى والطبرانى فى الاوسط ورواه الحاكم وقال انه صحيح وقال

ابن حبان انه خبر موضوع وقد كانت احواله عم في مواضع الناس ان يخطبهم وهو مستدبر
القبلة قلت وفيه انه لمصلحة سماع الناس ولم يعكس ايثار الكثير فهو ايضا دليل على مدعانا
وفيه اى في الاستقبال قوة البصر لان وقوع القبلة بمنزلة الكعبة في النظر ويجلس موضعا
اقرب الى التواضع اى وابعد عن اهل التزايغ لابين الظل والشمس فهو مقعد الشياطين اى
يحبه ويحبه ان من يقع من الانسان وفي مستدرك الحاكم عن ابي هريرة وابن ماجة عن بريدة
انه عم نهى ان يقعد الرجل بين الظل والشمس وفي رواية احمد نهى ان يجلس بين الضح والظل
وقال المجلس الشيطان ولا يفرق بالجلوس بين اثنين اى مخصوصين كاب وابن واخوين ومتاحبين
فقد ورد انه عم نهى ان يجلس الرجل بين الرجلين الا باذنهما رواه البيهقي عن ابن عمر ولا يقيم
احدا عن موضع جلوسه فيجلس هو فيه ففي البخاري عن ابن عمر انه عم نهى ان يقام الرجل عن مقعده
ويجلس فيه اخر وان قام احد بنفسه حيا منه او تادبا معه لا يجلس فيه اما تواضعا او عملا
بظاهر النهى ويجلس حيث اصاب اى صادف محلا فارغا في الصف فهذا كان دابه عم في المجالس
كما في الشمائل وروى البغوي والبيهقي والطبراني عن ابي شيبة بن عثمان مرفوعا اذا انتهى
احدكم الى المجلس فان وسع له فليجلس والا فلينظر الى اوسع مكان يراه فيجلس فيه وخلف
الصف اى ويجلس ان لم يجد مكانا فيه ولا يعود كانه اخذ من حديث صحابي اقتدى به عم قبل ان
يصل الى الصف فقال له عم زادك الله حرصا ولا تعد فروى من العود اى لا ترجع الى مثل
هذا الفعل فانه مكروه بل امش حتى تصل الى الصف الذي يسعك فصل وروى من الاعادة
اى ولا تعد صلوتك فانها صحيحة حيث وقعت في المسجد فان شرط صحة الاقتداء ان يكون مقام
الامام والمقتدى بقعة واحدة وقال الامام احمد ببطلان صلوة المنفرد خلف الصف اذا
اقتدى بالامام واما ما رواه الطبراني عن وابصة انها لمصلى وحده الا وصلت الى الصف
فدخلت معهم او جررت اليك رجلا ان ضاق بك المكان فقام معك اعد صلوتك فانه
لا صلوة لك فمحمول على نفي الكمال عند الجمهور وعلى نفي الصحة عند الامام احمد وفي بعض
الحواشي اى ولا يعود الى بيته ح فهو تكبر لكن لا يخفى بعده ولا يتجاوز من سبق اى
لا يتخطى رقاب الناس فقد ورد فيه وعد شديد وهو ان يجعل جسرا يوم القيمة
يتخطاه الناس الا اذا وجد فرجة فانه ح يجوز له ان يتخطى ويصلي فيها فان التقصير
من غيره فيستحق التقدم عليه ويحيى اى يخص بالسلام والتحية من يقربه اى في ذلك
المقام وفي نسخة بقربه بصيغة المصدر ولا يمد الرجل اى قدام صاحبه فانه ترك
الادب وكان اكثر جلوسه عم ان ينصب الساقين ويجعل اليدين عليهما ويسمى

هيئة الاحتباء وكان عم يتربع احيانا ويقعد جلسة التشهد كثيرا وقد يرفع رجله
اليمنى بدون اليسرى ويلازم اى في قعوده الوقار اى السكينة والرزانة والتواضع اى
اهل المسكنة ويجتنب الجلوس على القدمين والركبة فهي هيئة الاقعاء ويسمى جلسة
الكلب لكن نهيه مقيد بالصلوة فروى الحاكم في مستدركه والبيهقي عن سمرة انه عم نهى
عن الاقعاء في الصلوة وفي النهاية هو ان يلصق الرجل اليته بالارض وينصب ساقيه
وفخذيه ويضع يديه على الارض واكثار النظر اى يجتنب تكثير نظره الى الكاهل بكسر
الهاء وهو ما بين الكتفين والعقب اى الى ورائه والالتفات اى واكثاره اى و
يجتنبه الى الجوانب فانه يعد من المعايب والعبث باللحية والاصابع فانه من اللغو
وضد حال ارباب الخشوع واصحاب الخضوع وقد راى عم رجلا يعبث بلحيته في صلوته
فقال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه وتخليل الاسنان وادخال الاصبع في الانف وهذا
كله مكروه في المجامع والمحافل لارباب الفضائل والفواضل واخراج البزاق من الفم
والنخامة من الانف والتثاوب في الوجوه اى مطلقا بل تباعد وان اراد بادها والجشاء
اى كذلك فورد اقصر جشاك عنا وهو بضم الجيم ممدود ابخار يخرج من الفم عند اكل
الكثير والاشارة باليد والعين بحيث يتوهم المصاحب ما لا يليق باهل المناقب
قال تعالى يعلم خائنة الاعين ونحوها اى ويجتنب امثال هذه المذكورات مما يكره الناس
اى في المحاورات والمحاضرات ويستغفر كفارة عند القيام اى من المجلس ففي المعالم عند قوله
تعالى وسبح بحمد ربك حين تقوم قال سعيد بن جبير وعطاء اى قل حين تقوم من مجلسك سبحانك
اللهم وبحمدك فان كان المجلس خيرا ازددت احسانا وان كان غير ذلك كان كفارة له و
روى البغوي باسناده الى ابي هريرة مرفوعا من جلس مجلسا فكثر فيه لغطه فقال قبل ان
يقوم سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت استغفرك واتوب اليك الا كان
كفارة لما بينهما وفي رواية ابي داود وابن حبان عن ابي هريرة كفارة المجلس ان يقول سبحانك
اللهم وبحمدك الخ ثلث مرات وزاد اعملت سوء وظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب
الا انت ولا يقعد في السوق بلا حاجة فانها ابغض البلاد الى الرحمن واحبها الى الشيطان
ولا في الطريق اى الجادة للعامة ويؤدى الحقوق اى حقوق الجلوس او حقوق الطريق
ان جلس وهي اماطة الاذى وارشاد الضال وقضاء حاجة الفقير والامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ونصرة المظلوم واغاثة الملهوف واعانة الضعيف ورد السلام
واعطاء السائل ولو بجميل الكلام وفي رواية الطبراني عن وحشي لعلكم ستفتحون بعدى

هد اين عظاما وتتخذ من في اسواقها مجالس فاذا كان ذلك فردوا السلام وغضوا
من ابصاركم واهدوا الاعمى واعينوا المظلوم ويفتح وفي نسخة ويفتتح اي يبتدي الكلام
في مجلس الكرام اذا كان ذا بال من المرام بالتسمية والتحميد والاستعاذة والانسب تقديم التعوذ
والصلوة عليه اي على النبي عم فورد كل امر ذي بال لم يبدا فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو
اقطع رواه الرهاوي في الاربعين عن ابي هريرة وفي رواية له عنه كل امر ذي بال لم يبدا
فيه بحمد الله والصلوة علي فهو اقطع ابتر ممحوق البركة ويختار العربية اي اللغة المنسوبة
الى العرب فقد ورد احبوا العرب لثلاث لاني عربي ولان كلام الله عربي ولسان اهل
الجنة في الجنة عربي وقد قيل العربية نصف العلوم النقلية ويخفض الصوت اي في كلامه
لقوله تعالى واغضض من صوتك ان انكر الاصوات لصوت الحمير ولا يكثر اي من الكلام فان
كثرة الكلام يميت قلب الانام ويهذب اللفظ اي ينقي مبانيه ويحسن ما فيه ويميز بين ما
يوافق المقام وينافيه ويبين الكلام بتعيين معانيه وتخلصه من الزوايد المخلة و
الفوايد المملة ويتفكر اي اولا في الحجة اي الادلة ثم يحتج بها ويستمسك بسببها ويسكت عند
الغضب لقوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب اخذ الالواح اي سكن كما في قراءة شاذة
ولهذا ورد النهي للقاضي ان يحكم وهو غضبان لانه ح لم يفرق بين الحق والباطل والطاعة
والعصيان ويذكره تعالى عند النسيان لقوله تعالى واذكر ربك اذا نسيت ويستثني اي
يقول ان شاء الله فيما بعده في مستقبله لقوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان
يشاء الله ولا يحلف عليه تعالى فهو اجتراء اي اظهار جراءة لديه فورد ان رجلا قال والله
لا يغفر الله لفلان قال الله تعالى من ذا الذي يتالى علي ان لا اغفر لفلان فاني قد غفرت
لفلان واحبطت عملك رواه مسلم عن جندب البجلي ويحترز عن القصص اي قصص الملوك وارباب
الشجاعة واصحاب البطالة بل عن قصص الانبياء وحكايات الاولياء اذا لم تكن ثابتة مروية
عن العلماء الاصفياء والحلف اي ويحترز عن كثرة اليمين ما امكن ولو كان صادقا اذ
فيه خطر الحنث ووجوب الكفارة وشبهة التهمة وان حلف اي على يمين ورأى غيرها خيرا
منها فليات به اي بذلك الغير الذي هو الخير وليكفر اي عن حنث يمينه ففي صحيح مسلم وغيره عن
ابي هريرة من حلف على يمين فراى غيرها خيرا منها فليات الذي هو خير وليكفر عن يمينه ويراعي
الادب اي مع الاصحاب والاحباب في قوله وفعله وسائر الابواب ويتكلم بالقصير الجامع
وهو الكلام الجامع المانع وقد ورد اعطيت جوامع الكلم رواه ابو يعلى عن عمر وهي التي
مبانيه يسيرة ومعانيه كثيرة وورد خير الكلام ما دل وقل ويتوقف بين كلامين اي مركبين

يعم

يعم السكوت على كل منهما ليحفظ السامع اي ليدركه ويفهمه ففي الصحيحين عن عائشة انه عم
كان يحدث حديثا لو عده العاد لاحصاه ولا يبحث مع الخصم قبل تمام الكلام اي في اثناء المرام
اذ قد يكون له تعلق في المقام يدفع المباحثة مع الخصام ويستاذن للسؤال اي تادبا مع ارباب
الكمال فالكل ماثور وفي الكتب المبسوطة مذكور ويكثر البكاء فورد حرمت النار على ثلثة
اعين عين بالجر على البدل او بالرفع اي منها واحدها عين سهرت في سبيل الله اي احتراسا
لاهل الله وعين غضت اي غمضت عن محارم الله اي ابتغاء لوجه الله وعين بكت من خشية الله
اي من خوف يوم يلقاه الطبراني والحاكم عن ابي ريحانة بلفظ حرمت النار على عين بكت من
خشية الله وحرمت النار على عين سهرت في سبيل الله وحرمت النار على عين غضت عن محارم الله
او عين فقئت في سبيل الله وفي رواية للحاكم عن ابي هريرة ثلثة اعين لا تمسها النار عين
فقئت في سبيل الله وعين حرست في سبيل الله وعين بكت من خشية الله دون الضحك
اي لا يكثر الضحك بل يقلله فهو يميت القلب ويذهب النور اي البهاء والضياء
وفي الخبر انه عم كان طويل الصمت قليل الضحك احمد عن جابر بن سمرة فورد فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا وهو امر معناه خبر اي يضحكون في الدنيا قليلا من الضحك او الزمان
ويبكون كثيرا من البكاء او الزمان اذا كان المراد به الخبر عن اهل الكفر في الدنيا و
العقبى واما ان كان المراد به الخبر عنهم في الدار الاخرى فالمراد من القلة العدم و
الله سبحانه اعلم فالمعنى من ضحك في الدنيا قليلا يبكي في الاخرة كثيرا فكيف حال من ضحك
في الدنيا كثيرا فانه لا يشك ان امره يكون عسيرا لا يسيرا ويخفض صوت العطاس
فالتصريح به اي بالصيحة عند الناس حمق اي حماقة وجهالة لمقام الاستينا وقد
ورد التثاوب الشديد والعطسة الشديدة من الشيطان ابن السني عن ام سلمة ويستر
اي فمه عند العطاس بثوبه او بكمه او منديله او يده اي بكفه فورد اذا عطس
احدكم فليضع كفيه على وجهه وليخفض صوته الحاكم والبيهقي عن ابي هريرة ويستر الفم
باليد في التثاوب او بالثوب لانه ايضا يحصل المقصود ولان الثوب ايضا لا يكون الا
بمساعدة الساعد ففي الصحيحين عن ابي هريرة التثاوب من الشيطان فاذا تثاوب
احدكم فليرده ما استطاع فان احدكم اذا قال ها ضحك منه الشيطان وفي رواية
الترمذي العطاس من الله والتثاوب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على
فيه فاذا قال آه آه فان الشيطان يضحك من جوفه وان الله عز وجل يحب العطاس و
يكره التثاوب ولعل وجهه ان العطاس يطرد النوم والكسل والتثاوب يوجب

التثاؤب والعطاس والنعاس والتثاؤب في الصلوة من
الشيطان فوجهه ان كلا منها مانع من القراءة ونحوها ويلقي البزاق اي ان لم يقدر على ابتلاعه
في اليسار ان لم يكن هناك احد من الابرار وتحت القدم اي اليسرى اذا لم يكن ارض مسجد
دون القبلة اي لا يلقي الى جهة القبلة مطلقا تعظيما للكعبة بيت الله الحرام ففي الصحيحين اذا
كان احدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه اذا صلى واليمين اي اصلا
سواء يكون فيه احد ام لا تعظيما لصاحب اليمين من الملائكة المقربين ولعل صاحب اليسار يتأخر
في جانبه فانه مأمور بالنسبة الى صاحب اليمين كما قرر في محله وفي رواية احمد واصحاب السنن الاربعة
عن طارق بن عبد الله المحاربي مرفوعا اذا صليت فلا تبزقن بين يديك ولا عن يمينك ولكن
ابزق تلقاء شمالك ان كان فارغا والا فتحت قدمك اليسرى وادلكه قال ابو يزيد لبعض
اصحابه قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذي قد اشتهر نفسه بالولاية وكان رجلا مشهورا
بالزهد والديانة فمضينا فلما خرج من بيته ودخل المسجد رمى ببزاقه تجاه القبلة فانصرف
ابو يزيد فلم يسلم عليه وقال هذا غير مأمون على ادب من اداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف
يكون مأمونا على ما يدعيه من الادب مع الرب ويتفأل بالكلمة صالحة اي بسماعها من غيره
نحو صلاح وفلاح ومنصور ومظفر فانه عليه السلام كان يعجبه الفال الحسن ويكره الطيرة ابن ماجه
عن ابي هريرة والحاكم عن عائشة فالكل مأثور اي منقول عن فعله عليه السلام مأمور به اي بما ورد عنه
من الكلام ولا يتطير اي لا يتشاءم بالفال القبيح واصل التطير بالسوانح والبوارح من الطير
وكان التطير يصدهم عن مقاصدهم في زمن الجاهلية فنفاه الشرع ونهى عنه واخبر انه لا تأثير له
في جلب نفع او دفع ضر ومثاله انه خرج لحاجة وسمع كلمة فاسدة دالة على عدم قضائها فان
رجع عنها بسببها كان ذلك تطيرا فهو منهي عنه رواه احمد عن عبد الله بن عمرو مرفوعا لا تطير
فان فعل فكفارته ان يقول اللهم لا خير الا خيرك ولا طير الا طيرك ولا اله غيرك ورواه
الطبراني عنه بلفظ من ردته الطيرة من حاجة فقد اشرك وكفارته ان يقول اللهم لا
خير الخ ورواه ابو داود ولفظه اذا رايتم من الطيرة شيئا تكرهونه فقولوا اللهم لا
ياتي بالحسنات الا انت ولا تذهب بالسيئات الا انت ولا حول ولا قوة الا بك و
في رواية ابن ابي شيبة الا بالله ويفتتح الكتاب اي اذا ابتدأ مكتوبا الى غيره بالتحميد
والصلوة بان يكتب الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله وتذكر اولا اي بعدهما
نفسه ثم المكتوب اليه ثم يحمد الله فليكتب مثلا من عبد الله فلان الى فلان عبد الله
السلام عليك فاني احمد الله اليك وهو مقتبس من قوله تعالى انه من سليمان اي الى بلقيس

تم المكتوب فظاهره المعروف في السنة
الابتداء باسمه صح

وانه

وانه بسم الله الرحمن الرحيم وقد كتب صلى الله عليه وسلم الى معاذ في ابن له يعزيه بسم الله
الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى معاذ سلام عليك فاني احمد اليك الله الذي لا اله
الا هو اما بعد فاعظم الله لك الاجر والهمك الصبر ورزقنا واياك الشكر الحديث
رواه ابن مردويه والحاكم عن معاذ فالواو في الاية لمطلق الجمع ويتربه بتشديد الراء اي
يلقي التراب على الكتاب فهو سبب النجاح اي وصوله الى الباب وقد ورد اذا كتب احدكم الى
انسان فليبدأ بنفسه واذا كتب فليترب كتابه فانه انجح الطبراني في الاوسط عن ابي الدرداء
والترمذي الجملة الثانية والطبراني الاولى ويتعفف اي يطلب العفة عن طلب الحاجة اي
بالمسئلة عن الخلق ما امكن اي مهما امكن التعفف ولم تلجئه الضرورة الى التكفف وفي دعاء
الامام اللهم كما صنت وجهي عن سجود غيرك فصن وجهي عن مسئلة غيرك وقد قال بعض
اهل التوفيق السؤال ذل ولو اين الطريق وحقه اي حق طلب الحاجة عند الضرورة من
الخليفة ان يتوضأ ويصلي ركعتين ويرفعها اليه تعالى اي اولا لانه غياث المستغيثين و
ارحم الراحمين واكرم الاكرمين وفي الخبر ليسال احدكم ربه حاجته حتى يسال الملح وحتى
يسال شسعه رواه الترمذي وغيره وقد ورد من كانت له حاجة الى الله او الى احد من
بني ادم فليتوضأ وليحسن الوضوء ثم ليصل ركعتين ثم ليثن على الله وليصل على النبي عليه السلام
وليقل لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب العرش العظيم الحمد لله رب العالمين
اسالك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والعصمة من كل ذنب والغنيمة من كل بر و
السلامة من كل اثم لا تدع لي ذنبا الا غفرته ولا هما الا فرجته ولا حاجة هي لك رضا
الا قضيتها يا ارحم الراحمين رواه الترمذي عن ابن ابي اوفى وفي رواية له ولغيره عن ابن
حنيف من كانت له ضرورة فليتوضأ وليحسن وضوءه ويصل ركعتين ثم يدعو اللهم اني
اسئلك واتوجه اليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه بك الى ربي في حاجتي هذه
لتقضى لي فشفعه في ويخرج اي ومن حقه ان يخرج في طلب الحاجة بكرة الخميس او بكرة غيره
فان البركة في البكرة كما تقدم بعد التحميد والصلوة اي على النبي عليه السلام وقراءة الفاتحة فان
فيها رائحة قضاء الحاجة فاتحة واية الكرسي فانها الدالة على العظمة والمحافظة واخر ال
عمران اي من قوله ان في خلق السموات والارض الى اخر السورة او من قوله لا يغرنك تقلب
الذين كفروا في البلاد او من قوله يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا
الله لعلكم تفلحون فقد روي بعض المجاذيب انه يخرج بطاقة من جيبه وينظر فيها ثم يردها
فاذا هو مات فراوا فيها اية واصبر لحكم ربك فانك باعيننا والقدر اي سورة القدر

تنبيها له على ان الاشياء كلها بالقضاء والقدر فلا يتبدل ولا يتغير ويقصد الاتقى
شرعا لان عطاءه انقى والاكرم طبعا لان سخاءه والاسمح اى الاسهل يدا فان الخير
منه ارجى والاحسن خلقا وخلقا فقد ورد اطلبوا الخير عند حسان الوجوه رواه
البخارى فى تاريخه عن عايشة وجماعة عن غيرها وفى رواية ابن عدى والبيهقى عن عبد الله
ابن جراد بلفظ اذا ابتغيتم المعروف عند حسان الوجوه وذلك لان الظاهر عنوان
الباطن فالغالب اجتماع الخلق وحسن الخلق ومن لوازم حسن الخلق الكرم مع الخلق والارحم
قلبا فعن ابى سعيد اطلبوا الحوايج الى ذوى الرحمة من امتى ترزقوا وتنجحوا فان الله تعالى
يقول رحمتى فى ذوى الرحمة من عبادى ولا تطلبوا الحوايج عند القاسية قلوبهم فلا ترزقوا
ولا تنجحوا فان الله تعالى يقول ان سخطى فيهم رواه العقيلى والطبرانى فى الاوسط ولا
يرتكب معصية فيه اى فى طلب الحاجة بان يكذب فى مقدار ما يحتاج اليه فى قوله وان لى
ميتا اريد دفنه او عندى نفساء او ما اكلت اياما كذا او معى عيال ونحو ذلك اذ لم يكن صادقا
هنالك ولا يلح اى فى طلب من الخلق قال تعالى لا يسئلون الناس الحافا اى الحاحا وورد ان الله
يبغض السائل الملحف ويحب الحى العفيف المتعفف رواه البيهقى عن ابى هريرة ويشاور
اى فى كل امر مشكل يقع له العاقل اى المجرب فى الامور العالم اى المعظم فى الصدور الصالح
اذ عنده الخير المستور الملايم ذلك الامر اى الذى وقع له فى الدهر ويحتاج فيه النصح
للشخص كالسخى فى المال اى فى امر يتعلق ببذل المال والشجاع فى الحرب لانه فى ذلك الامر من اهل الامر
الكمال وقد علم كل اناس مشربهم وعرف كل فريق مذهبهم فورد وشاورهم وامرهم شورى
بينهم ثم امراءته ان لم يجد احدا كما فى نسخة ويخالف اى رايها فورد فيه اى فى خلافها البركة
لقلة عقلها ونقصان دينها واخرج العسكرى فى الامثال عن عمر قال خالفوا النساء
فان فى خلافهن البركة وعن انس مرفوعا لا يفعلن احدكم امرا حتى يستشير فان لم يجد من
يستشير فليستشر امراءة ثم ليخالفها فان فى خلافها البركة رواه ابن لال وروى الديلمى
والعسكرى والقضاعى عن عايشة مرفوعا طاعة النساء ندامة وفى مسند احمد
هلكت الرجال عند طاعة النساء واخرجه الطبرانى والحاكم وصححه من حديث ابى بكرة مرفوعا
واخرج ابن عدى من حديث ام سعد بنت زيد بن ثابت عن ابيها مرفوعا طاعة المراءة
ندامة واخرج العسكرى عن معاوية قال عودوا النساء لا فانها ضعيفة ان اطعتها
اهلكتك وقال بعض الشعراء وترك خلافهن من الخلاف واما ما اشتهر على الالسنة
شاوروهن وخالفوهن فباطل لا اصل له فى مبناه لكن صح معناه فيما قدمناه ويقدم

الاستخارة

الاستخارة على الاستشارة والمراد دعاؤها مجملا بان يقول اللهم خر لى واختر لى ولا
تكلنى الى اختيارى وصلوتها ودعاؤها المشهور المذكور فى الحصن وشرطه المذكور
وقد ورد ما خاب من استخار وما ندم من استشار ولا عال من اقتصد الطبرانى فى الاوسط
عن انس ويختار اهون الامرين كالتدريس والفتوى فالتدريس اهون من الفتوى والفتوى
اهون من القضا والقضا اهون من الخلافة وايسرهما فروى عن بعض السلف الصبر عن
النساء ايسر من الصبر عليهن والصبر عليهن ايسر من الصبر على النار وقيل الفرق بين الاهون
والايسر باعتبار سهولته على النفس بعده عن الخطر ولا يحب المال اكثر من العرض بل يبذل المال
لحفظ العرض وحسن الحال ولا يبذل الدين بالدنيا لقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة
الدنيا بالاخرة فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ولا يركب بقرة ويجوز الحمل عليها ولا
يحث على حمار لانه خلق للحمل والركوب فالكل خلق لعمل اى على وفق العبادة كما فى الفرس
والجمل وقد ورد كل ميسر لما خلق له رواه الشيخان ويركب على ما اصاب اى صادف من الفرس
والحمار والبغل والبعير والفيل من غير تعلق وتقيد بواحد منها قال تعالى والخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون اى الفيل اذا كان الخطاب للعرب خاصة واما البعير فقال
تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس
ان ربكم لرؤف رحيم وقال عز وعلا وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا
على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا وما
كنا له مقرنين اى مطيقين وقال عز وجل اولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم
لها مالكون وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها ياكلون ولهم فيها منافع ومشارب افلا
يشكرون وقال عز شانه وعظم برهانه واية لهم انا حملنا ذريتهم فى الفلك المشحون وخلقنا
لهم من مثله ما يركبون فالبعير سفينة البر كما ان الفلك سفينة البحر ويردف الخادم اى وغيره
سواء كان المركوب جملا او فرسا او حمارا فالكل ماثور فقد اردف النبى عم الفضل و
اسامة فى عرفة عام حجة الوداع خلف ناقته واردف ابا هريرة على حمار فى طريق قبا
كما تقدم وكان عم لا يدخل البيت اى بيته حتى يتصدق بفاضل النفقة اى بما فضل من
النفقة فى يده او فى بيته ويسعى فى الحاجات اى فى قضائها بنفسه عند قدرته فاخرج احمد
عن انس انه عم كان يذبح اضحيته ويخصف النعل على خدصنعته ويخيط الثوب اى بقدر
معرفته فقد اخرج ابن عساكر عن ابى ايوب انه عم كان يخصف النعل ويرقع القميص و
يلبس الصوف ويقول من رغب عن سنتى فليس منى اى من تركها تكبرا فليس على طريقتى ويقطع

اللحم اي اذا كان نيا او غير نضيج وهو ثابت في السنة كما سبق وفي الشمائل عن جابر بن
طارق قال دخلت على النبي عم فرايت عنده دبا يقطع فقلت ما هذا قال نكثر به طعامنا
ويشتغل بامور البيت مع امهات المؤمنين فروى احمد عن عائشة كان يخيط ثوبه و
يخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم وروى ابن سعد عنها كان يعمل عمل البيت
واكثر ما يعمل الخياطة وفي رواية ابي يعلى عنها كان يفلي ثوبه ويحلب شاته ويخدم نفسه
ولا يتكلف اي وكان عم لا يتكلف في شيء من الكسوة والطعام والضيافة والوليمة ولا
يحبه اي التكلف من غيره بل يبغضه فاخرج الدارقطني بسند ضعيف انا والاتقياء من
امتي برءاء من التكلف وتقويه ما في مسند الفردوس من حديث زبير بن العوام الا اني
بريء من التكلف وصالحوا امتي واخرج ابن العساكر في تاريخه عنه بلفظ اللهم اني
وصالحي امتي براء من كل متكلف واخرج عن الزبير بن ابي هالة وهو ابن خديجة رض
زوج النبي عم بلفظ انا وامتي براء من التكلف ولا يصيد اي بنفسه ويحبه اي يحبه
من غيره ويقبل الهدية ويكافي عليها اي بمثلها او بازيد منها لقوله تع واذا حييتم بتحية
فحيوا باحسن منها او مثلها على قول وفي البخاري وغيره عن عائشة كان يقبل الهدية ويثيب
عليها ويرد المعونة بالمنة وان قلت اي الهدية او المنة فانها كثيرة المؤنة وثقيلة
المعونة ويغتنم العبد والجارية ايام الرق اي زمان العبودية مع القيام بحق الربوبية
لحسنة بعشرين اي فاجره مرتين كما في حديث ثم اقل الاجر في حسنة عشر كما قال تع من
جاء بالحسنة فله عشر امثالها فاذا كان له اجران فحسنة بعشرين حسنة وتلزم المراة
قعر البيت اي من الحزن ونحوه فلا ترتفع اي هي عليه اي على البيت والمعنى انها لا تسكن في
العوالي خصوصا اذا كان فيها شبابيك مشرفة على الحوالي ولا ينظر الى الخارج ولو
كانت ساكنة في الداخل فنظرهن الى الرجال فتنة اي في حقهن كما ان نظر الرجال اليهن
فتنة في حقهم قال تع قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات
يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن وامرت ام سلمة بالاحتجاب عن الاعمى
مع انها من الازواج الطاهرات ولا باس للمراة بالخروج في المهم اي الديني والاخروي
او الدنيوي الضروري في سوء هيئة اي اخشنها من اللباس الجمال واخلى طريق اي من الرجال
حال كونها متنكرة لمن يعرف اي نسبها وحسبها صيانة عن عرضها غير مسمعة صوتها اي اذا لم يكن
ضرورة لها ويتصدق اي الشخص عما بقي من طعام يستحيل اي يتغير ويفسد من اللحم المطبوخ واللبن
ونحوهما اذا ترك اي كثيرا فانه تضييع للمال وتفويت لمقام الكمال ويغتنم الصحيح بطول السلامة

فان فرعون مضى عليه من العمر اربعمائة سنة ولم يصبه صداع ولا حمى مقدار سنة فورد لا يخلو
المؤمن من علة اي مرض وضعف قوة وذلك ضد عزة بان يسلط عليه احد من الظلمة وقلة اي
فاقة وحاجة وقد يجتمع عليه اذ كان من اهل عناية ورعاية وحماية واذا كان خاليا عنها
في بعض الاوقات فلابد وان يبتلى في كل اربعين يوما بشيء ويسترجع اي يقول انا لله وانا
اليه راجعون في المصيبة اي الحادثة فهو مأثور اي مروي عنه عم وعن السلف الكرام ممدوح
في القران حيث قال تع وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه
راجعون الاية وفي الحديث ليسترجع احدكم في كل شيء حتى في شسع نعله فانها من المصائب
ابن السني عن ابي هريرة وقد ورد من اصيب بمصيبة فاحدث استرجاعا وان تقادم عهدها
كتب الله له من الاجر مثله يوم اصيب رواه ابن ماجة عن الحسن بن علي ويحترز عن الشق اي شق
الجيب والضرب اي على الوجه والصدر والحلق اي حلق راس شعر المراة ولحية الرجل والنوح و
هو صياح اهل الميت وهو اي جميعها منهي عنها اذ هي رسوم الجاهلية ففي الصحيحين عن ابن مسعود
ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية ولابي داود والنسائي عن ابي موسى
ليس منا من سلق ومن حلق ومن خرق فالسلق رفع الصوت عند المصيبة ومنه قوله تع سلقوكم
بالسنة حداد والحلق حلق الشعر والخرق خرق الثوب ويان المريض فورد المريض انينه تسبيح
وصياحه تكبير ونفسه صدقة ونومه عبادة ونقله من جنب الى جنب جهاد في سبيل الله
يقول الله تعالى لملائكته اكتبوا لعبدي احسن ما كان يعمل في صحته فاذا قام مشى كان كمن لا ذنب
له الخطيب والديلمي عن ابي هريرة وفيه رجاله معروفون بالثقة الا الحسين بن احمد البلخي فانه
مجهول انينا يخفف بعض ما به اي من ثقل الالم ذاكرا اي حال كونه ذاكرا الله تعالى فيما اعطا
من النعم والمنح ومستعينا به فيما ابتلاه من المحن ومستغيثا به في ايام الفتن ومستعيذا
به عن حلول النقم لا متأوها اي بطريق الضجر والفزع من كثرة الهم والغم والا فقد مدح
الله سبحانه سيدنا ابراهيم الخليل عم بقوله ان ابراهيم لحليم اواه منيب فاذا كان آه
او واه لله تع وفي تسليم امر مولاه ورضاه بقدره ووفق ما قضاه يكون جزاء له في دنياه
وعقباه ويعصب الراس اي شده بعصابة تبعا للسنة واظهارا للعجز ولانه يخفف
الصداع وينام على الفراش اي ولو كان ذا به ان لا ينام عليه استعانة على الصبر اي على
شدة المرض وحدة الامر وتوقيا اي احترازا او احترسا عن التشدد اي طلب شدة
الاجر باظهار التجلد في الابتلاء للبلاء ويستشفي اي يطلب الشفا بالذكر اي الجلي والخفي
بشفاء الظاهر والباطن فان ذكر الحبيب شكر الطبيب وشكر الطبيب والدعا فانه يرد

البلاء ويهون القضاء والدعوات المذكورة للشفاء هي اللهم عافني واعف عني
واشفني واسئلك العفو والعافية في الدنيا والآخرة والصلوة لقوله تعالى و
استعينوا بالصبر والصلوة اذ الصلوة على النبي صلعم لانه في ذكر الجليل شفاء العليل
والقرآن لانه شفاء اهل الايمان ودواء اهل الايقان وشفاء اهل الطغيان و
خسران اهل العدوان فقد قال تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا
يزيد الظالمين الا خسارا لا سيما الفاتحة لانها فاتحة كل خير ودافعة كل شر وضير
فورد انه اي فاتحة الكتاب شفاء من كل داء اخرجه البيهقي في الشعب من حديث عبد الله بن
جابر وروي عن القشيري آيات الشفاء وهي ويشف صدور قوم مؤمنين وشفاء لما في
الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين فيه شفاء للناس وننزل من القرآن ما هو شفاء و
رحمة للمؤمنين واذا مرضت فهو يشفين قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء يكتب ويغسل
ويشرب فانه مجرب والحمية اي حال الابتلاء خصوصا وقت الابتلاء فهو اي السلف امروا
به اي بالاحتماء وقيل الاحتماء رأس الدواء واخرج الخلال من حديث عائشة مرفوعا
الازم دواء والمعدة بيت الداء وعودوا ابدانا ما اعتادوا لازم بالزاء الحمية
واخرج ابن ابي الدنيا عن وهب بن منبه قال اجتمعت الاطباء على ان رأس الطب
الحمية فلا يبعد ان يكون التقدير فهم اي الحكماء امروا بالاحتماء ويداوى فانه لا ينافي
التوكل ولا ينافي فورد تداووا عباد الله اي اطلبوا دواء بعضكم من بعض يا عباد الله ما
من داء الا وله دواء الا السام اي الموت في مسند احمد والسنن الاربع وابن حبان والحاكم
عن اسامة بن شريك مرفوعا تداووا عباد الله فان الله تعالى لم يضع داء الا وضع له دواء
غير داء واحد الهرم ويستوهب مهر امرأته اي يطلب الهبة من بعض مهرها ويأكله ففيه
شفاء لقوله تعالى فان طبن لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا اي سائغا غير ضار او
لا تنغص فيه في الدنيا الا تبعة معه في الاخرى واستوهب على من امرأته اي من مهرها او
استقرض في العارضة اي العلة من مهرها شك من الراوي فاشترى به العسل لقوله تعالى فيه
شفاء للناس ومزجه اي خلطه بماء السماء اي المطر لقوله تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا
وشربه فصار سبب الشفاء اي حيث اجتمع فيه اسباب الدواء وهذا اي مضى او خذ هذا او اكله
السكنجبين الصفراء لا يفارق ارواء الماء اي كما قال الحكماء الا بالتعلق اي تعلق السكنجبين
في ازالة الصفراء بالنظر اي التأمل والتوقف على الشروط اي المعتبرة التي ذكرها الاطباء
فمن عرف المزاج وغلبة العلة وجوده الدواء ومقداره بحسب المزاج وامتداده لم يبق عنده

فرق

فرق بين ازالة السكنجبين الصفراء وبين ارواء الماء بخلاف من لم يعرف ذلك فانه
لا ينفعه هنالك وهذا سؤال جواب مقدر يرد على قوله صلعم ما من داء الحديث فان
السكنجبين ربما لا يوافق لدفع الصفراء ويؤدي الى عطش مفرط فيقوى استعماله موقوف
بالنظر الى احواله والتوقف الى شروط استعماله والحاصل ان الدواء سبب لدفع الداء
فمهما حصل السبب فيتلوه المسبب لا محالة في الاغلب كمعالجة الجوع بالطعام والعطش بالماء
الحلو البارد وانما يختلف نحو السكنجبين لتوقفه على شروط دقيقة يعرفها الاطباء
والحكماء بخلاف اشباع الطعام وارواء الماء وكل ذلك بتدبير مسبب الاسباب و
ترتيبه في الابواب بكمال قدرته وجمال حكمته فلا يضر المتوكل استعمال الدواء مع النظر الى مسبب
دون الطبيب والدواء ويحتجم اي اذا كان المرض موذيا او مطلقا لما ورد الحجامة تنفع
من كل داء الا فاحتجموا الديلمي عن ابي هريرة فورد ما مررت بملاء اي جمع عظيم يملاء العيون
من كثرتهم من الملائكة المقربين الا قالوا بشر امتك بالحجامة اي بالعافية والسلامة بسبب
الحجامة والاحب اي الاولى ان تنفع الحجامة في النصف الاخير من الشهر لما رواه ابن حبيب عن
عبد الكريم معضلا الحجامة تكره في اول الهلال ولا يرجى نفعها حتى تنقص الهلال ولا انسب في
سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين فهو مأثور لا سيما اي خصوصا اذا اتفق يوم
الثلاثاء سبع عشر من الشهر فورد هو اي الاحتجام سبع عشرة من كل شهر في يوم الثلاثاء دواء
من داء سنة رواه ابن سعد والطبراني وابن عدي عن معقل بن يسار ولفظه الحجامة يوم الثلثاء
سبع عشرة من الشهر دواء لداء سنة الا في القفا فانه يورث النسيان وروى الديلمي
عن انس مرفوعا الحجامة في نقرة الرأس تورث النسيان فتجنبوا ذلك وقد احتجم عليه السلام
في يافوخه من وجع كان به ذكره ابن الربيع ورواه ابن سعد عن انس الحجامة في الرأس هي
المغيثة امرني بها جبريل عم حين اكلت طعام اليهودية وفي رواية العقيلي عن ابن
عباس الحجامة في الرأس امان من الجنون والجذام والبرص والاضراس والنعاس ورواه الطبراني
وابو نعيم عن ابن عباس الحجامة في الرأس شفاء من سبع اذا ما نوى صاحبها الجنون والصداع
والجذام والبرص والنعاس ووجع الضرس وظلمة يجدها في عينيه وفي رواية ابن ماجة و
الحاكم وابن السني وابي نعيم عن ابن عمر الحجامة على الريق امثل وفيها شفاء وبركة وتزيد
في الحفظ وفي العقل فاحتجموا على بركة الله يوم الخميس واجتنبوا الحجامة يوم الجمعة والسبت ويوم
الاحد واحتجموا يوم الاثنين والثلثاء فانه اليوم الذي عافى الله فيه ايوب عم من البلاء
واجتنبوا الحجامة يوم الاربعاء فانه اليوم الذي ابتلي فيه ايوب ولا يبدو جذام ولا برص

الا في يوم الاربعاء او في ليلة الاربعاء ففي الصحيحين عن جابر مرفوعا ان كان في شيء
من ادويتكم خير ففي شرطة محجم او شربة من عسل او لذعة بنار توافق داء وما احب
ان اكتوي ويجتنب الكي نفيه خوف السراية اي سراية الم الكي الى الموت او سراية المرض
الى سائر الجسد والرقية اي ويجتنبها اذا لم يعرف معناها ومبناها ونهي عنهما اي عن
الكي والرقية فروى الترمذي والحاكم عن عمران انه ع م نهى عن الكي وفي الحلية عن
ابن عباس انه ع م كان يكره الكي وفي رواية البزار عن انس سبعون الفا من امتي
يدخلون الجنة بغير حساب هم الذين لا يكتوون ولا يكوون ولا يسترقون ولا يتطيرون
وعلى ربهم يتوكلون واما الرقية بالقران والادعية المأثورة فلا شك في جوازها
بل في استحبابها فكانه ع م يرقي اللديغ بالفاتحة سبع مرات رواه الترمذي وغيره
عن ابي سعيد وكان ايضا يرقي المعتوه بالفاتحة ثلثة ايام غدوة وعشية كلما ختمها
جمع بزاقه ثم تفله رواه ابو داود والنسائي وفي صحيح مسلم وغيره عن ابي سعيد
بسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك ومن شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك
بسم الله ارقيك وروى ابن ماجة والحاكم عن ابي هريرة الا ارقيك رقية جاءني بها جبرئيل
يقول بسم الله ارقيك والله يشفيك من كل داء ياتيك من شر النفاثات في العقد
ومن شر حاسد اذا حسد ترقي بها ثلث مرات واما قوله ع م لشفاء بنت عبد الله علمي
حفصة رقية النملة كما رواه ابو عبيدة في الغريب عن ابي بكر بن سليمان بن حثمة فقال
الجلال السيوطي في شرح ابي داود رقية النملة شيء كانت تستعمله النساء يعلم كل من سمعه
انه كلام لا يضر ولا ينفع ورقية النملة كانت تعرف بينهن ان يقال العروس تحتفل
وتنتعل وتختضب وتكتحل وكل شيء تفتعل غير ان لا تعصي الرجل فاراد ع م بهذا الكلام
تانيب حفصة وتوبيخها لانه القى اليها سرا فافشته ويوصي بثلث المال اي ويجوز ان
يوصي به ولو كان الافضل دونه ففي الصحيحين عن ابن عباس الثلث والثلث كثير و
فيهما عن سعد انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان تذرهم عالة يتكففون الناس
الحديث وارضاء الخصوم اي بالمال والاستحلال وقضاء الدين وطلب برائه وفدية الصلوة
والصوم اي وبمقدار ان يفدى به الصلوة والصيام الفائتة لكل فرض ووتر نصف
صاع وكذا لكل يوم صوم فمن مات دون الوصية اي الواجبة عليه وفي نسخة دونها
اي بغير الوصية لا يؤذن له التكلم مع الموتى في القبر الى يوم القيمة رواه ابو الشيخ في الوصايا
عن قيس ولفظه من لم يوص لم يؤذن له في الكلام مع الموتى وفي رواية ابن ماجة من مات

على

على وصية مات على سبيل وسنة ومات على تقى وشهادة ومات مغفورا له ويغتنم
الموت اي علامات حلوله وامارات نزوله ففي الخبر تحفة المؤمن الموت رواه
الطبراني باسناد جيد عن ابن عمر مرفوعا وذلك لانه وسيلة الى وصول مولاه و
حصول لقاه وفي الصحيحين عن ابي موسى مرفوعا من احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن
كره لقاء الله كره الله لقاءه ولا يشتغل اي المحتضر عنده اي عند حضور الموت بغيره تعالى
ظاهرا وباطنا كقوله تعالى ارجعي الى ربك راضية مرضية ويقرأ يس اي بنفسه او يقرأها
غيره فيسمعها ففي الخبر اقرؤا على موتاكم يس اي على من اشرف على الموت رواه احمد وغيره
عن معقل بن يسار ويحضر الصلحاء اي ليعينوه بالتلقين ويغيثوه بالدعاء في شدة البلاء
ولا يكره السكرات اي لانها من جملة المكفرات او من موجبات رفع الدرجات ويستحب ان
يقول اللهم اعني على غمرات الموت وسكرات الموت رواه الترمذي عن عائشة مرفوعا ويطيب
ما حول البيت اي وينظفه ويبخره وفي نسخة ما حول الميت وهو المحتضر او بعد تحقق
الموت فهو محضر الملائكة اي ملك الموت واعوانه او الملائكة المبشرة كقوله تعالى ان الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا
بالجنة التي كنتم توعدون نحن اولياؤكم في الحيوة الدنيا وفي الاخرة ولكم فيها ما
تشتهي انفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم ويجتهد في هدوء الجوارح اي
سكونها عن الاضطراب فقد روي موتوا قبل ان تموتوا في هذا الباب وينبغي ان يكثر
الحمد فعن ابن عباس المؤمن بخير على كل حال تنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمد الله تعالى
رواه النسائي وورد ارقبوا بضم القاف اي انظروا الامن والامان على المريض
وقت ظهور احوال تطرأ عليه في ذلك الزمان عند ثلث اي من علامات كل احد من
اهل الايمان والكفران كما فصله بقوله اذا رشح جبينه اي عرق وفي رواية ابي داود
والترمذي والنسائي عن بريدة وصححه ابن حبان المؤمن يموت بعرق الجبين وذرفت
عيناه اي سالت وذلك لان الدمعة علامة الرحمة ويبست شفتاه لانه من خوف
مولاه فهو اي ما ذكر من الخصال الثلث من رحمة الله قد نزلت به واذا غط اي وارقبوا
اذا غط غطيط المخنوق اي صوت كصوته وهو الصوت الذي يخرج من نفس النائم او حال
حنقه وصرعه واحمر لونه وازبدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به ومع هذا يحسن
الظن بشانه ويحكم بايمانه لان الدليل المذكور ظني في مقام برهانه ولعله محمول على
احيانه وكلمة التوحيد اي ويجتهد في اكثارها منه او من غيره تلقينا له ونيابة عنه

فورد انه من مات وهو يعلم ان لا اله الا الله اى وان محمدا رسول الله دخل الجنة
اى استحق دخولها ولا بد له من وصولها وفى الصحيحين عن ابن مسعود من مات لا يشرك
بالله شيئا دخل الجنة وفى مسند احمد وغيره عن معاذ من كان اخر كلامه لا اله الا الله
دخل الجنة وحسن الظن اى ويجتهد فى حسن ظنه بربه انه يرحمه ويعفو عن جرمه ففى
صحيح مسلم وغيره عن جابر لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله تعالى فورد فى الصحيحين
انا عند ظن عبدى بى اى فى معاملتى معه فى الدنيا والاخرى فليظن بى ما شاء اى من العفو
او العقوبة فان مصيره الى وحسابه على وان ما قضيت له من خير او شر فلا مرد له لدى
والخوف والرجا اى ويجتهد فى الجمع بينهما فورد لا يجتمعان فى قلب عبد اى مؤمن الا اعطاه
الذى يرجوه اى من العفو وامنه الذى يخاف منه اى من العقوبة حين فى اى ظرف وورد اى
فى زمان قال محتضر ارجو الله واخاف ذنوبى وفى رواية البيهقى عن سعيد بن المسيب مرسلا
ولفظه ما اجتمع الرجاء والخوف فى قلب مؤمن الا اعطاه الله عز وجل الرجاء وامنه
الخوف ويكره المخلط اى الذى خلطوا عملا صالحا واخر سيئا الفجاءة اى موت البغتة لقوله
تعالى عسى الله ان يتوب عليهم فموت الفجاءة تفوية واما رواية احمد عن عائشة مرفوعا
موت الفجاءة راحة للمؤمن واخذة اسف على الكافر فمحموله على المؤمن الصالح اذ الفاجر
فى حكم الكافر ولو من بعض الوجوه دون الطاعون اى لا يكره فجائته ففى الصحيحين عن انس
الطاعون شهادة لكل مسلم فورد من صبر فى ارض طاعون اى لم يخرج فرارا منه كان له مثل اجر
شهيد وفى مسند احمد وصحيح البخارى عن عائشة الطاعون كان عذابا يبعثه الله على من يشاء
وان الله جعله رحمة للمؤمنين ليس من احد يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابرا محتسبا يعلم
انه لا يصيبه الا ما كتب الله له الا كان له مثل اجر شهيد وفى رواية احمد عنها الطاعون غدة
كغدة البعير المقيم بها كالشهيد والفار عنها كالفار من الزحف وفى رواية الطبرانى فى الاوسط
عنها الطاعون شهادة لامتى وخز اعدائكم من الجن غدة كغدة الابل تخرج فى الاباط و
المراق من مات منه مات شهيدا ومن اقام فيه كان مثل المرابط فى سبيل الله ومن فر منه كالفار
من الزحف وفى مسند احمد الطاعون لا يدخل مكة والمدينة اى لما فيهما من نزول السكينة

الباب الثامن فى الصحبة

للصحبة تاثير بليغ فى المنفعة والمضرة وان كان الشخص قويا فى كمال
المرتبة قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وفى رواية النسائى عنه
ءم ما بال اقوام يصلون معنا لا يحسنون الطهور فانما يلبس القران علينا اولئك وفى رواية احمد
ومسلم عن ابى سعيد يا ايها الناس انها كانت ابينت لى ليلة القدر وانى خرجت لاخبركم بها فجاء

رجلان يحتقان معهما الشيطان فنسيتها فالتمسوها فى التاسعة والسابعة والخامسة وفى رواية احمد
والبيهقى عن ابن عباس انه قيل يا رسول الله ابطأ عنك جبريل فقال لم لا يبطئ عنى وانتم حولى
لا تستنون ولا تقلمون اظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم اى مفاصل
انا ملكم هذا والنظر الى اهل الدنيا مضر لاهل العقبى كما يشير اليه قوله تعالى لا تمدن
عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا وذلك لانه سبب الغفلة
عن المولى ومن هنا قال سعيد بن المسيب لا تنظروا الى الظلمة فيحبط اعمالكم الصالحة
بخلاف ما ورد النظر الى الكعبة عبادة كما رواه ابو الشيخ عن عائشة والنظر الى
على عبادة كما رواه الطبرانى والحاكم عن ابن مسعود وعن عمران بن حصين وذلك
لانهما وسيلتان الى ذكر الله وورد اولياء الله الذين اذا رأوا ذكر الله بسم الله الرحمن الرحيم
فهو اولى ما يصحب لانه الكريم الحليم ويستعان به على دفع الشيطان الرجيم وكصاحب اللئيم
وورد ان المتحابين بتشديد الموحدة فى الله اى فى سبيله لابتغاء رضائه على منابر من
من نور اى الهى موجب لانواع من سرور وتوضع المنابر حول العرش اى فى مكان المقربين
لباسهم نور اى مجرد او حرير يعلوه نور ووجوههم نور اى كنور شموس وبدور يغبطهم
النبيون والشهداء اى يطلبون مراتبهم مع انهم من اكابر السعداء وهذا مبالغة فى علو البهاء
والمعنى ان حالهم عند الله بمثابة لو غبط النبيون والشهداء يومئذ حال غيرهم مع جلالة قدرهم
لغبطوهم فى علو امرهم ولا يبعد ان يراد به النبيون والشهداء الذين لم يتيسر لهم التحابب
مع الاولياء والاصفياء ويؤيده ما فى الاحياء انه روى ان الله تعالى اوحى الى نبى من
الانبياء اما زهدك فى الدنيا فتعجلت به الراحة واما انقطاعك الى فقد تعززت بى و
لكن هل عاديت فى عدوا وهل واليت فى وليا والحديث رواه الطبرانى عن معاذ المتحابون فى الله
فى ظل العرش وفى رواية له عن ابى ايوب المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت حول العرش و
قال ابو ادريس الخولانى لمعاذ انى احبك فى الله فقال ابشر ثم ابشر فانى سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ينصب لطائفة من الناس كراسى حول العرش يوم القيمة وجوههم كالقمر ليلة البدر
يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس ولا يخافون وهم اولياء الله الذين لا خوف
عليهم ولا هم يحزنون فقيل من هؤلاء يا رسول الله فقال هم المتحابون فى الله كذا فى الاحياء وقال
مخرجه رواه احمد والحاكم فى حديث طويل ان ابا ادريس قال لمعاذ والله انى لاحبك فى الله قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان المتحابين بجلال الله فى ظل عرشه يوم لا ظل
الا ظله قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين وهو عند الترمذى من رواية ابى مسلم الخولانى عن معاذ

بلفظ المتحابون فى جلالى لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء وقال حسن صحيح ولاحمد من حديث
ابى مالك الاشعرى ان لله عبادا ليسوا بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء على
منازلهم وقربهم من الله الحديث وفيه تحابوا فى الله وتصافوا به يضع الله لهم يوم القيمة منابر من
نور فيجعل وجوههم نورا وثيابهم نورا يفزع الناس يوم القيمة ولا يفزعون وهم اولياء الله
الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وروى النسائى فى سننه الكبرى ورجاله ثقات من حديث
ابى هريرة ان حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بانبياء ولا
شهداء يغبطهم النبيون والشهداء فقالوا يا رسول الله صفهم لنا فقال هم المتحابون فى الله والمتجالسون
فى الله والمتزاورون فى الله فالحب فيه تعالى كل حب لولا الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر
لم يتصور وجوده فهو منبعث من الايمان ومستزيد بالاتقان فاذا علمت ذلك فاعلم ان الحب
اما ان يكون لمعنى فى ذات المحبوب وذلك اما ان يكون لنفس الدنيا او متعلقا بالاخرة واما ان يكون
متعلقا بالله فالاول ليس من الحب فى الله لانه منبعث من الدنيا والثانى عد من الحب
فى الله كحب عالم اى كحبك لعالم يستفاد من قوله وحاله اى من جملة اقواله وسائر افعاله
واخلاقه واحواله وصالح تتبرك به اى بدعائه وايمانه وحسن حاله فى ماله
اذ العالم يستفاد من علمه والصالح يستفاض من عمله وحلمه فى الدنيا ويرجى شفاعتهما
فى العقبى فقد قال بعض السلف استكثروا من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة فلعلك
تدخل فى شفاعة اخيك وروى فى غريب التفسير لقوله تعالى ويستجيب الذين امنوا وعملوا
الصالحات ويزيدهم من فضله اى يشفعهم فى اخوانهم فيدخلهم الجنة معهم ولذا حث جماعة
من السلف على الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا الانفراد والعزلة ولابى عبد الرحمن
السلمى من حديث على مرفوعا من سعادة المرء ان يكون اخوانه صالحين فالاخ
الصالح ان نسى ذكره وان ذكر اعانه ويشير اليه قوله تعالى حكاية عن موسى واجعل
لى وزيرا من اهلى هرون اخى اشدد به ازرى واشركه فى امرى كى نسبحك كثيرا و
نذكرك كثيرا وفى رواية ابى داود من حديث عائشة رضى الله عنها اذا اراد الله
بالامير خيرا جعل الله له وزير صدق ان نسى ذكره وان ذكر اعانه ونقله فى
الاحياء معنى الحديث وعبر عنه بقوله من اراد الله به خيرا رزقه اخا صالحا الحديث
والاخ الصالح يشمل العالم والمتعلم فمن عسى ممن علم وعمل وعلم بذلك فى الملكوت
عظيما واحرى ان يعزى اى الرجل للعبادة بتدبير البيت وما يتعلق به من اصلاح
حاله وحفظ ماله وصيانة دينه ولذا ورد فى الاخبار وفور الاجر والثواب

لحب صور الجميلة والستر الجيدة
الجليلة وهو حب بالطبع وشهوة
النفس اذ هو منبعث منها واما ان
يكون للتوصل به الى مقصود اخر ليس
فى ذات المحبوب
صح

للانفاق

للانفاق على العيال حتى اللقمة يضعها الرجل فى فم امرأته كما تقدم والله اعلم وعنى يعطى
مالا اى قدر حاجة العالم او العابد يصون الوقت اى يحفظ وقتهما عن الضياع فى
الطلب اى طلب مالا بد لهما منه فقد كان جماعة من السلف يتكفل بكفاية مهم جماعة من اولى
الثروة وكان المواسى والمواسى جميعا من المتحابين فى الله ومتعبد له تعالى اى المتبدى
فى العبادة والمظهر لها المشير الى انه من اهل السعادة فالمحب للشئ محب لمحبه ومحبوبه و
قد ورد فى الدعاء اللهم انى اسئلك حبك وحب من يحبك وحب عمل يقربنى الى حبك
وكذا المبغض اى للشئ مبغض لمبغضه ومبغوضه وفى الجملة من احب الله واحب رضائه
ولقائه اذا احب غيره كان محبا فى الله لانه لا يتصور ان يحب شيئا الا لمناسبة لما هو محبوب
عنده وهو محب الله ومن هنا قيل احب العالم جميعه لانه خلقه وصوره واحسن خلقه
وقال ابو مدين المغربى شعر ❁ لا تنكر الباطل فى طوره ❁ فانه بعض ظهوراته ❁ وقد
قيل ان المؤمن اذا احب المؤمن احب كلبه وقال مجنون بن عامر شعر ❁ امر على الديار
ديار ليلى ❁ اقبل ذا الجدار وذا الجدارا ❁ وما حب الديار شغفن قلبى ❁ ولكن حب
من سكن الديارا ❁ فالمخلوقات باسرها مظاهر للصفات الجمالية والنعوت الكمالية
فليس فى الكون سوى الله ومصنوعاته فمن احب انسانا احب صنعته ولذا كان عليه
السلام اذا حمل اليه باكورة من الفواكه مسح بها عينيه وقال انها قريب عهد بربنا الطبرانى
فى الصغير من حديث ابن عباس وهذا بالنظر الى التوحيد الصرف وحقيقته واما فى مقام
الشريعة وطريقته فلا بد من اعطاء كل ذى حق حقه فينادى وقال الهى ارنا الاشياء كما
هى اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه
وبذلك يتم الكمال فقد ورد اوثق عرى الايمان الحب فى الله والبغض فى الله رواه احمد من
حديث البراء بن عازب وورد ايضا من احب لله وابغض لله واعطى لله ومنع لله
فقد استكمل الايمان رواه ابو داود عن ابى امامة ويزدادان اى الحب والبغض بقوة
الطاعة وكثرتها والمعصية فى المحب والمحبوب وينتقصان بضعفهما لانهما مترتبان على
وجودهما ووجودهما يكون على قدر شهودهما وحد الحب فى الله ان كل حب لولا الايمان
بالله واليوم الاخر لم يتصور وجوده فهو حب فى الله وكذا زيادة الحب وقد يغلب
الحب بحيث لا يبقى للنفس حظ الا فيما هو حظ المحبوب وانشده ❁ اريد وصاله ويريد
هجرى ❁ فاترك ما اريد لما يريد ❁ وقال سمنون المحب ❁ فليس لى فى سواك حظ ❁ فكيف
ما شئت فاختبرنى ❁ فالادنى اى ادنى مراتب الحب المعبر عنه بالمصاحبة الاخوة فعن انس

ما احدث عبد اخا فى الله عز وجل الا احدث الله له درجة فى الجنة ابن ابى الدنيا فى كتاب الاخوان
ثم المحبة الموجبة لزيادة الصحبة من الاخوة وهى ما تمكن فى حبة القلب اى سويدائه وخاصة
اجزائه وخلاصة اثنائه فعن انس ما تحاب اثنان فى الله الا كان احبهما الى الله اشدهما حبا لصاحبه
ابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد ثم الخلة بالضم اى الصداقة والمحبة الصادقة وهى
ما تخللت اى توسط الحب وتداخل امره فى سره بحيث لا يسع له محبة غيره وهذا معنى قوله ولا شركة
فيها اى فى الخلة لاحد سوى بل هى خاصة له سبحانه فلابد من انفراد الخليل فى حب الجميل الجليل
فورد لو كنت متخذا خليلا اى من المخلوقين لاتخذت ابا بكر خليلا لكونه عندى خليلا ولكن صاحبكم
يعنى نفسه خليل الرحمن اى وحبيبه فلا يسع فى قلبه خلة غيره والحديث رواه احمد والبخارى عن ابن الزبير
والبخارى عن ابن عباس بلفظ لو كنت متخذا من امتى خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخى وصاحبى
وعن الزجاج الخليل هو الذى ليس فى محبته خلل وقيل الذى يوالى فيه ويعادى به وقيل الخليل هو
المحب المحض بشئ دون غيره ولهذا قال عليه السلام انى ابرأ الى كل خليل من خلقه ولو كنت متخذا
الحديث فهذا منه ع م قطع المخالفة بينه وبين غيره من الانام واستشكل قول ابى هريرة وبعض
الصحابة خليلى عليه السلام واجيب بان المنفى ان يتخذ هو خليلا وما نفى ان يتخذه غيره
خليلا بخلاف ما سواها اى غير الخلة من المحبة والاخوة فانه يتصور الشركة فى كل منهما فورد
اى فى الاخوة وكمال المحبة على منى بمنزلة هرون اى من موسى الا انه لا نبى بعدى رواه ابو بكر المطيرى
فى جزئه عن ابى سعيد وفى رواية الطبرانى عن ابن عمر على اخى فى الدنيا والآخرة فيصاحب العاقل وهو
العالم العامل والحسن الخلق وهو الفاضل الكامل وقد قال ع م يا ابا هريرة عليك بحسن الخلق
قال ابو هريرة وما حسن الخلق يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعفو عن ظلمك وتعطى من حرمك
البيهقى فى الشعب من حديث الحسن مرسلا من ابى هريرة اذ لم يسمع منه فاشتراطهما ما نوفر ذلك
لان مدار الصحبة والالفة عليهما فالبعد عن الاحمق والسيئ الخلق اولى وقد ورد من ابى هريرة
برواية ابى داود والترمذى وحسنه والحاكم وقال صحيح ان شاء الله المرء على دين خليله فلينظر
احدكم من يخالل فلابد ان يتميز بصفات يرغب بسببها فى صحبته اما العقل فهو راس المال •
لتحصيل الكمال ولعلى رض شعر • ولا تصحب اخا الجاهل فاياك واياه • فكم من جاهل اردى
حليما حين واخاه • يقاس المرء بالمرء اذا ما هو ماشاه • وللشئ على الشئ مقاييس و
اشباه • وللقلب على القلب دليل حين تلقاه • كيف والاحمق قد يضرك وهو يريد نفعك
وقال الجنيد لان يصحبنى فاسق حسن الخلق احب الى من ان يصحبنى قارئ سيئ الخلق اقول
وذلك لانه اذا غلب عليه غضبا وشهوة او بخل او جبن اطاع هواه فى ذلك فيعامل ك

بمقتضى ما غلب عليه من الاخلاق هنالك فاذا غلب عليه غضب اجترى عليك او شهوة
آثر نفسه عليك او بخل قطع احوج ما يكون اليك او جبن لم ينصرك بل ضروه يرد
عليك والقابع اى صاحبه فصحبة الحريص سم قاتل اى يسرى من حيث لا يدرى والصالح
اى ويصاحب المتقى فقد ورد فى خبر مرفوعا الوحدة خير من الجليس السوء والجليس الصالح خير من
الوحدة رواه الحاكم فالفاسق وهو مرتكب الكبيرة والمصر على الصغيرة يستحق المقت
وهو الغضب وهو بينا فى الحب فقد قال الحسن مصارمة الفاسق قربان الى الله وقد
يقال يحب الفاسق لاجل ايمانه ويبغض بسبب عصيانه لكن لابد من عدم قربانه ثم
المبتدع اولى بان يجتنب فى صحبته سراية البدعة وعن عيسى ع م تحببوا الى الله ببغض
اهل المعاصى وتقربوا الى الله بالتباعد عنهم والتمسوا رضى الله بسخطهم قالوا يا روح
الله فمن نجالس قال جالسوا من يذكركم الله رؤيته ومن يزيد فى علمكم كلامه ومن يرغبكم
فى الآخرة عمله وقد قال على رض رجزا شعر • ان اخاك الحق من كان معك • ومن يضر
نفسه لينفعك • ومن اذا ريب زمان صدعك • شتت فيه شمله ليجمعك •
وقال بعض العلماء لا تصحب الا احد رجلين رجلا تتعلم منه شيئا من امر دينك او رجلا تعلمه
شيئا من امر دينه فيقبل منك والثالث فاهرب منه فالمدار فى الصحبة على المنفعة فورد مثل
الاخوين اذا التقيا مثل اليدين تغسل احديهما الاخرى وما التقى مؤمنان قط الا افاد
الله احدهما من صاحبه خيرا رواه السلمى فى آداب الصحبة والديلمى عن انس وفى الخبر المؤمن مرآة
المؤمن والمؤمن اخو المؤمن يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه ابو داود عن ابى هريرة اى
يجمع عليه معيشته ويحفظ عليه حالته وقوله المؤمن مرآة المؤمن اى يرى منه ما لا يرى
من نفسه فيستفيد المرء باخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد من المرآة
الوقوف على عيوب صورة الظاهرة وقال الشافعى من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه
ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه والله سبحانه يعاتب المؤمن يوم القيمة تحت كنفه
وفى ظل ستره ويوقفه على ذنوبه سرا واما اهل المقت فينادون على رؤس الاشهاد
ويستنطق جوارحهم بفضائحهم بين العباد وقيل الاخوان ثلثة احدهم مثل الغذاء
لا يستغنى عنه والآخر مثل الدواء يحتاج اليه فى وقت دون وقت والثالث مثل
الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذى لا انس فيه ولا نفع منه
وقال علقمة العطاردى فى وصيته لابنه ان عرضت لك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب
من اذا خدمته صانك وان صحبته زانك وان قعدت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت

يدك بخير مدها وان راى منك حسنة عدها وان راى منك سيئة سدها اصحب من اذا
سالته اعطاك وان سكت ابتداك وان نزلت بك نازلة واساك اصحب من اذا قلت صدق
قولك واذا حاولتما امرا امرك وان تنازعتما آثرك قال ابن اكثم قال لي المامون فاين
هذا فقيل له اتدرى لم اوصاه بذلك قال لا قال انه اراد ان لا يصحب احدا هنا وعن الحسن بن
على لا يغرنك قول من يقول المرء مع من احب فانك لن تلحق الابرار الا باعمالهم فان اليهود والنصارى
يحبون انبياءهم وليسوا معهم اقول وربما يقال ان الكفر حجبهم ومنعهم واما الايمان فيرجى
ان يجمعهم فورد من حب قوما حشر معهم كما ورده الحاكم وقد يقال محبتهم لانبيائهم ليست
خالصة لله بل لكونهم من ابنائهم ولذا ورد من احب ان يجد طعم الايمان فليحب المرء لا يحبه
الا الله رواه الطبراني عن ابي هريرة وقال رجل لمحمد بن واسع اني لاحبك في الله فقال
احبك الذي احببتني لاجله ثم حول وجهه وقال اللهم اني اعوذ بك ان احب فيك وانت
لي مبغض وفي الجملة كما ورد الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر
منها اختلف رواه مسلم من حديث ابي هريرة والبخاري تعليقا من حديث عائشة ورواه الطبراني
في الاوسط عن علي ان الارواح في الهواء جند مجندة تلتقي فتشام وعنه عم ان ارواح المؤمنين
لتلتقي على مسيرة يوم وما راى احدهم صاحبه احمد من حديث عبد الله ابن عمر فالجنسية علة الضم
فروي ان امراة بمكة كانت تضحك النساء وكانت بالمدينة اخرى فنزلت المكية على المدنية
فدخلت على عائشة رض فاضحكتها فقالت اين نزلت فذكرتها فقالت صدق الله ورسوله
سمعت رسول الله صلى الله عم يقول الارواح جنود مجندة الحديث رواه الحسن بن سفيان في
مسنده وعنه عم لو ان مومنا دخل الى مجلس فيه مائة منافق ومومن واحد لجاء حتى يجلس
اليه ولو ان منافقا دخل الى مجلس فيه مائة مومن ومنافق واحد لجاء حتى يجلس اليه البيهقي
في الشعب موقوفا على ابن مسعود ومن هنا قيل ان لله ملكا يجر الاهل الى الاهل ويشير اليه
قوله تع وهو على جمعهم اذا يشاء قدير وقال بعض الحكماء كل انسان يانس الى شكله كما ان كل طير
يطير مع مثله واذا اصطحب اثنان برهة من الزمان ولم يتشاكلا في الحال فلا بد ان يفترقا
في الاستقبال وراى يوما غرابا مع حمامة فعجب من ذلك وقال اتفقا وليسا من شكل واحد
ثم طار فاذا هما اعرجان فقال من هنا اتفقا هذا وقد اختلف طرق السلف في اظهار
البغض مع اهل المعصية واتفقوا على اظهار البغض للظلمة والمبتدعة وكل من عصى الله
بمعصية متعدية الى غيره فاما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة الى العصاة كلهم ومنهم
من شدد الانكار واختار المهاجرة فقد كان احمد بن حنبل يهجر الاكابر في ادنى كلمة حتى

هجر يحيى بن معين في قوله اني لا اسال احدا شيئا ولو حمل السلطان الي شيئا لاخذته وهجر الحارث
المحاسبي في تصنيفه للرد على المعتزلة وقال انك اولا ترد شبههم وتحمل الناس على التفكر فيها
ثم ترد عليهم وهجر ابا ثور رافي تاويله قوله عم كما في مسلم من حديث ابا هريرة ان الله خلق آدم
على صورته كذا ذكره في الاحياء ولم يبين تاويله فقيل على صفته الجلالية والجمالية او على صفته
من السمع والبصر والكلام وقيل الضمير في صورته لادم والله اعلم والحاصل ان المختار
الامام احمد ان هذا الحديث من احاديث الصفات المشكلات كالآيات المتشابهات يؤمن بمبناها
ولا يتعرض لمعناها مع اعتقاد تنزيه الله سبحانه عن المشابهة بالمخلوقات ومقتضاها
واما الجمهور فما اختاروا مهاجرة اهل المعصية للعلم بان الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش
في زمانه عم وايام اصحابه الكرام فلم يكونوا يهجرونهم بالكلية بل كانوا منقسمين فيهم الى
من يغلظ القول فيه ويظهر البغض ليه والى من يعرض عنه ولم يتعرض له بدنيه والى من ينظر اليه
بعين الرحمة ولا يؤثر التباعد والمقاطعة وهذا هو المناسب لهذه الامة فانهم اتباع نبي
الرحمة ومما يدل على تخفيف الامر في الفسق القاصر الذي هو بين العبد وبين الله ما روى
البخاري من حديث ابي هريرة ان شارب خمر ضرب بين يدي رسول الله صلى الله عم مرات وهو
يعود فقال واحد من الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يشرب فقال عم لا تكن عونا للشيطان
على اخيك ويقدم حاجته اي حاجة اخيه في المال اي اعطائه والنفس اي حظها وهو
اي التقديم الاولى اي لانه المقام الاعلى لقوله تع ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم
خصاصة اي مجاعة ولقد كان بعض الانصار ممن آخى النبي عم بينه وبين احد من المهاجرين
انه اعطاه احسن داريه واعز بستانيه واحسن امرائه وقال ابن عمر اهدى لرجل
من اصحاب رسول الله صلى الله عم راس شاة فقال اخي فلان احوج مني فبعث به اليه
فبعثه ذلك الانسان الى آخر فلم يزل يبعث به واحد الى آخر حتى رجع الى الاول بعد ان
تداوله سبعة وقيل اربعون ثم التسوية اي المساواة في المال بينه وبين اخيه على السوية
فقد عرض سعد بن الربيع نصف ماله واحدى زوجتيه على عبد الرحمن بن عوف فقال له
عبد الرحمن بارك الله لك في اهلك ومالك رواه البخاري من حديث انس ثم التاخير
اي تاخير حق صاحبه عن حق نفسه فان فضل منه شيء فليصرفه الى اخيه وان عدم هذا
اي الاخير وهو التاخير فلا اخاء بل هو في مقام التقصير والاولان اي التقديم والتسوية
ما ثوران اي ماثوران عن سلف الكرام كما قدمنا وورد ما من صاحب يصحب صاحبا
ولو ساعة من نهار الا سئل عن صحبته هل اقام فيه حق الله تعالى او اضاعه وفي نسخة

ام اضاعه حين اعطى اى ورد الحديث المتقدم حين اعطى عم اقوم المسواكين اى اعطاهما
الى الصاحب وهو ابو بكر الصديق وقال انت به يا رسول الله عم فقال لها قال وفى الاحياء
ان اقتداء الكل فى الايثار برسول الله فانه دخل غيضة مع بعض اصحابه فاجتنى منها
مسواكين احدهما معوج والاخر مستقيم فدفع المستقيم الى صاحبه فقال له يا رسول الله
كنت احق بالمستقيم منى فقال له ما من صاحب يصحب صاحبا الحديث قال المخرج لم اقف به على اصل اقول لكن
رواه ابن جرير الطبرى كما ذكره ابن عطية فى تفسيره امرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون
اى كانوا اخلطاء فى الاموال لا يميز بعضهم رحله عن بعض وكان فيهم من لا يصحب من قال نعلى
لانه اضافه الى نفسه وكانوا لا يميزون املاكهم كما حكى عن ابراهيم بن شيبان كنا لا نصحب
من يقول نعلى وقال ابو محمد المغازلى وكان من استاد الجنيد صحبت اقواما بالبصرة فاكرمونى
فقلت مرة لبعضهم اين ازارى فسقطت عن اعينهم ومن هنا قيل الصوفى لا يملك ولا
يملك فهو كالملك ويظهر البشاشة فيه اى فى انفاق صاحبه والسرور اى الفرح بسببه
فقد جاء فتح الموصلى الى منزل اخ له وكان غائبا فامر اهله فاخرجت صندوقه ففتحه واخذ
حاجته فاخبرت الجارية مولاها فقال ان صدقت فانت حرة سرورا بما فعل ذلك لانه
دل على صداقته كما حقق فى قوله تعالى او صديقكم وقال تعالى او ما ملكتم مفاتحه وكان الاخ
يدفع مفاتح بيته الى اخيه ويفوض اليه التصرف فيه وكان يتحرج عن الاكل بحكم التقوى حتى
انزل الله هذه الآية واذن لهم فى الانبساط فى طعام الاخوان والاصدقاء ويقبل المنة اى
على نفسه بقبول الصاحب احسانه فقد جاء رجل الى ابى هريرة وقال انى اريد ان او اخيك
فى الله فقال اتدرى ما حق الاخاء قال عرفنى قال ان لا تكون احق بدينارك ودرهمك منى فقال
لم ابلغ هذه المنزلة بعد قال فاذهب عنى وقال على بن الحسين لرجل هل يدخل احدكم يده فى كم
اخيه او كيسه فياخذ منه ما يريد بغير اذنه قال لا قال فلستم باخوان وجاء رجل الى ابراهيم
ابن ادهم وهو يريد بيت المقدس فقال له اريد ان ارافقك فقال له ابراهيم على ان اكون املك
بشيئك منك قال لا قال اعجبنى صدقك ولا يحوج اى اخاه الى السؤال اى اصلا لطلب اد
مقداره بل يبادره للمواساة بالمال قبل كشف الحال وهو اى الاحواج الى السؤال التقصير فى مقام
الكمال فانه ادنى الاعانة هو القيام بالحاجة عند السؤال وقد قال ابو سليمان الدارانى كان
لى اخ بالعراق فكنت اجيئه فى النوائب فاقول اعطنى من مالك شيئا فكان يلقى الى كيسه فاخذ
منه ما اريد فجئته ذات يوم فقلت احتاج الى شىء فقال كم تريد فخرجت حلاوة اخائه
من قلبى وقال بعضهم اذا طلبت من اخيك مالا فقال ماذا يصنع به فقد ترك حق الاخاء

قال بعضهم اذا استقضيت اخاك حاجة فلم يقضها فذكره ثانية فلعله ان يكون قد نسى فان
لم يقضها فتوضأ للصلوة وكبر عليه اربع تكبيرات واقرأ هذه الآية والموتى يبعثهم الله وكان
فى السلف من يتفقد عيال اخيه واولاده بعد موته اربعين سنة يقوم بحاجتهم ويتردد
كل يوم اليهم ويمونهم بماله وكانوا لا يفقدون من ابيهم الا عينه بل كانوا يرون منه ما لا يرون
من ابيهم فى حياته وكان الواحد منهم يتردد الى باب دار اخيه ويسال ويقول هل لكم زيت هل لكم
ملح هل لكم حاجة فكان يقوم بها من حيث لا يعرفه اخوه وقال ميمون بن مهران من لم ينتفع بصداقته
لا تبال بعداوته وكان الحسن يقول اخواننا احب الينا من اهلينا واولادنا لان اهلينا يذكروننا
بالدنيا واخواننا يذكروننا بالعقبى ويتودد باللسان اى بالكلام مرة وبالسكوت تارة فالتودد
رأس العقل بعد الايمان التودد الى الناس واصطناع المعروف الى كل بر وفاجر الطبرانى
فى الاوسط عن على بن الحسين عن ابيه عن جده رضى الله عنهم فقال انس كان عم لا يواجه احدا بشىء
يكرهه رواه الترمذى وغيره ولكن مدار الصحبة والاخوة على النصيحة بل ورد الدين النصيحة
فمن منع بالسكوت صحب اهل القبور فى البيوت وينبغى ان تعلم انك لو طلبت منزها عن كل عيب
اعتزلت عن الخلق كافة ولم تجد من تصاحبه ساعة كما ورد الناس كابل مائة لا تجد فيها
راحلة واخبر تقله انشد شعر ● اتمنى على الزمان محالا ● ان ترى مقلتاى طلعة حر ● فما
احد من الناس الا وله محاسن ومساوى فاذا غلبت المحاسن المساوى فهو الغاية والمنتهى
فى المنى وفى الصحيحين ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا
فالتجسس بتطلع الاخبار والتحسس المراقبة بالابصار فستر العيوب والتجاهل والتغافل عن
الذنوب شيمة اهل الدين من التخلق باخلاق علام الغيوب فورد اللهم يا من اظهر الجميل
وستر القبيح ويظهر المشاركة معه فى السراء والضراء فورد لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه
ما يحب لنفسه رواه الشيخان وقد نظر ابو الدرداء الى ثورين يحرثان فى فدان فوقف احدهما
يحك جسمه فوقف الاخر فبكى ابو الدرداء وقال هكذا الاخوان فى الله يعملان لله فاذا وقف
واحد وافقه الاخر وفى المثل لولا الوئام لهلك الانام وقد ورد المؤمنون كرجل واحد ان اشتكى
رأسه اشتكى كله وان اشتكى عينه اشتكى كله احمد ومسلم عن النعمان بن بشير لا تصحبن احدا
لا يرى لك من الفضل كمثل ما ترى له ويدعوه باحب الاسماء اى اسمائه فى حال بدائه فعن عمر رضى
ثلث تصفين لك وُد اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته وتوسع له فى المجلس وتدعوه باحب
اسمائه اليه وورد اذا احببت احدا فسله عن اسمه واسم ابيه وعن منزله رواه البيهقى

عن ابن عمر ولفظه اذا آخيت رجلا فسئله عن اسمه واسم ابيه فان كان غائبا حفظته وان كان مريضا
عدته وان مات شهدته وفي رواية ابن سعد والبخاري في تاريخه والترمذي عن يزيد بن نعامة
الضبي بلفظ اذا آخى الرجل الرجل فليسأل عن اسمه واسم ابيه وممن هو فانه اوصل للمودة وممن هو
اي من اي قوم وقبيلة هو وكانوا ثم يدعوهم اي اصحابه الكرام بالكنى اي اذا كانوا معروفين بالكنية
كابي بكر ونحوه حتى قال يا ابا عمير ما فعل النغير ويثني عليه اي اخيه وعلى اهله اي من ابيه و
بنيه بل على صنعته وفعله وخلقه وهيئته عقله وجميع ما يفرح به حال كونه صادقا في قوله
مقتصدا اي متوسطا في مدحه لا مقصرا ولا مفرطا في وصفه ويكون معلنا به بحيث يبلغ اليه فهو
يؤكد المحبة اي يزيدها لديه وينبه على العيوب اي الناشئة من الذنوب متلطفا في بيانها في الخلوة
خوفا من الفضيحة في الملاء فورد المسلم مرآة المسلم فاذا رأى به شيئا فليأخذه ابن منيع عن ابي هريرة
وقد قيل لمسعر تحب من يخبرك بعيوبك فقال ان نصحني فيما بيني وبينه فنعم فان قرعني في الملأ فلا
وعن عمر رضي الله عنه رحم الله من اهدى الي عيوب نفسي وقال لسلمان وقد قدم عليه ما الذي بلغك عني مما تكره
فاستعفى فالح عليه فقال بلغني ان لك حلتين تلبس احديهما بالنهار والاخرى بالليل وبلغني انك
جمعت بين ادامين على مائدة واحدة فقال عمر اما هذان فقد كفيتهما فهل بلغك غيرهما
فقال لا وكتب حذيفة المرعشي الى يوسف بن اسباط بلغني انك بعت دينك بحبتين وقفت
على صاحب لبن فقلت بكم هذا فقال بسدس فقلت بثمن فقال هو لك وكان يعرفك ففي
الملاء افضاح اي اشاعة فيها فضاعة وايضاح وفيه اي وفي الافضاح اوعد بعقابه
تحقيقا يوم القيمة لقوله سبحانه ان الذين يحبون ان تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب
اليم في الدنيا والآخرة وهذا كله في عيب هو غافل عنه فانه يرجى ان ينفع منه ويسكت ان علم
عمله اي بعيبه وعدم انتفاع النصح اي بسببه لكونه مأمور الطبع لا مقهور الشرع والقطع
اي قطع مصاحبته اسلم بل انسب والابقاء اي ابقاء اخوته اقرب لرجاء تأثير الصحبة
فيه فيقبل النصيحة بعده وقيل القطع اولى لمن كان ضعيفا والابقاء لمن كان قويا فورد
مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك البخاري عن ابي موسى ولفظه مثل الجليس الصالح و
الجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك اما تشتريه
او تجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك او ثوبك او تجد منه ريحا خبيثة ولان القطع منهي
عنه اي في الانتهاء لحديث من هجر اخاه سنة فهو كسفك دمه احمد في مسنده بخلاف
الابتداء فتركه مأمور به لئلا يقع في البلاء بحيث لا تصاحب الا مؤمنا اي كاملا
احمد وغيره ويتجاهل عن تقصيره اي في خدمته او صحبته قال الاحنف حق الصديق ان يتحمل منه

ثلثة

ثلثة ظلم المعصية وظلم المذلة وظلم الهفوة الا اذا ادى الاستمرار الى القطع اي جواز
مقاطعته فالاولى الاحتمال وهو مختار اهل الكمال فقد اختلف الصحابة والتابعون في
ادامة مودته او مقاطعته فذهب ابو ذر الى الانقطاع فقال اذا انقلب اخوك عما كان عليه
فابغضه من حيث احببته ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض في الله واما ابو الدرداء
وجماعة من الصحابة فذهبوا الى خلافه فقال ابو الدرداء اذا تغير اخوك وحال عما كان عليه
فلا تدعه لاجل ذلك فان اخاك يعوج مرة ويستقيم اخرى وفي الخبر اتقوا زلة العالم ولا
تقطعوه وانتظروا فيئته البغوي في المعجم وابن عدي في الكامل من حديث عمرو بن عوف المزني ثم العتاب
في السر حكي عن اخوين من السلف انقلب احدهما من الاستقامة فقيل لاخيه الا تقطعه و
تهجره فقال احوج ما كان الي في هذا الوقت لما وقع في عثرته ان آخذ بيده واتلطف له
في المعاتبة عن المخالفة وادعو له بالعود الى ما كان عليه من الموافقة والكناية بالكتابة
ثم الصريح اي في السر والكتابة والاظهار اي الصريح في السر والمعاينة في العاينة ففي
حديث عمر وقد سئل عن اخ كان آخاه فخرج الى الشام فسئل عن بعض من قدم عليه فقال ما
فعل ذلك اخو الشيطان قال لمه قال انه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر فقال اذا اردت
الخروج فاذني فكتب عمر عند خروجه اليه بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز
العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله الا هو اليه المصير ثم
عاتبه تحت ذلك وعذله فلما قرأ الكتاب بكى وقال صدق الله ونصح لي عمر فتاب ورجع ثم
المشافهة اي ان كان غائبا ولم يتعظ بصريح المكاتبة في المعاتبة اذ المقصود اي الاصلي اصلاح
اصلاح النفس برعاية الحق اي حق المصاحبة وتحمل الاذى على رجاء المراجعة فقد قيل لابي
الدرداء الا تبغض اخاك وقد فعل كذا فقال انما ابغض عمله ولعله اقتبس من قوله تعالى
فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون حيث لم يقل اني بريء منكم مراعاة لحق القرابة
واخوة الدين آكد من اخوة القرابة ولذا قيل لحكيم ايما احب اليك اخوك او صديقك
فقال انما احب اخي اذا كان صديقا وكان الحسن يقول كم من اخ لم تلده امك ولذا
قيل القرابة تحتاج الى المودة والمودة لا تحتاج الى القرابة ويقبل المعذرة اي
وجوبا فعلى من يقبلها مثل اثم صاحب المكس وهو الذي يأخذ المال ظلما من التجار كالعشار
وقد ورد من اعتذر اليه اخوه بمعذرة فلم يقبلها كان عليه من الخطيئة مثل خطيئة صاحب
مكس رواه ابن ماجه وابو داود في المراسيل من جودان واختلف في صحبته
وباقي رجاله ثقات ورواه الطبراني في الاوسط من حديث جابر بسند ضعيف هذا

وقد قيل ينبغي ان تستنبط لزلة اخيك سبعين عذرا فلا تقبله فانت المعيب لا اخوك ويدعو
له في الحضور والغيبة فيستجاب فيه اي في حق اخيه ما لا يستجاب لنفسه فعن عبد الله بن عمرو
ان اسرع الدعاء اجابة دعوة غائب لغائب ابو داود والترمذي وعن ابي الدرداء
دعوة الاخ لاخيه مستجابة رواه مسلم وله مثل ذلك ففي صحيح مسلم من حديث ابي الدرداء
اذا دعا الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك ويحفظ الوفاء اي وفاء
العهد قال تعالى واوفوا بعهد الله اذا عاهدتم بالثبات على المحبة معه مع اهله واخوانه
اي في حال غيبته وبعد موته وبعد زمانه فكانوا اي السلف يبالغون فيه كما تقدم وورد
قليل الوفاء بعد الوفاة خير من كثيره في الحياة فيحبون كلب الحبيب اي مراعاة لقلب الحبيب ويشير
اليه قوله تعالى وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وقد در القائل اي المجنون في البيداء
كلبا فمد له من الاحسان ذيلا، فلاموه على ما كان منه، وقالوا لم منحت الكلب نيلا، فقال
دعوا الملامة ان عيني، رأته مرة في حي ليلى، وورد انها اي العجوز كانت تأتينا ايام خديجة
وان كرم العهد اي حسنه وبقاؤه من الايمان اي كماله حين اي ورد حين اكرم عليه السلام عجوزا
اي دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال الحديث والاصل اي في حقوق الصحبة تسوية
الظاهر والباطن والغيبة والحضور والا فلا يكون مراعيا موافقا بل يكون مرائيا منافقا
ولا يتغير الحال اي من التواضع في الفعل والقال عند ارتفاع القدر اي باتساع الجاه
وزيادة المال فهو من اللوم اي دناءة والخساسة واصل اللوم ضد الكرم ولقد
بعض ارباب الكمال شعر، ان الكرام اذا ما اسهلوا ذكروا، من كان يألفهم في المنزل الخشن،
واوصى بعض السلف ابنه فقال يا بني لا تصحب من الناس الا من اذا افتقرت اليه قرب منك
واذا استغنيت عنه لم يطمع فيك وان علت مرتبته لم يرتفع عليك وحكى الربيع
ان الشافعي اخى رجلا ببغداد ثم ان اخاه ولي السيبين وهما نهران احدهما بالبصرة والاخر
في ذنابة الفرات فتغير له عما كان عليه فكتب الشافعي هذه الابيات اليه شعر، اذهب فودك
من ودادي طالق، ابدا وليس طلاق ذات البين، فان ارعويت فانها تطليقة، ويدوم
ودك لي على ثنتين، وان امتنعت شفعتها بمثالها، فيكون تطليقتين في حيضين، فاذا
الثلاث مني بتة، لم يغن عنك ولاية السيبين، ولا ينفرد عنه في اكل اللذيذ وكذا شربه و
في لبسه بل ينبغي ان يؤثره على نفسه وحضور السرور لانه بحضوره يحصل نور على نور ويستوحش
اي يحزن عند فراقه اي كمال اشتياقه وقد قيل شعر، وجدت مصيبات الزمان جميعها، سوى
فرقة الاحباب هينة الخطب، اي سهل الامر وانشد ابن عيينة هذا البيت وقال لقد عهدت

اقرانا

اقرانا فارقتهم ثلثين سنة ما يخيل الي انهم ذهبت من قلبي وانشدت عائشة رضها
ذهب الذين يعاش في اكنافهم البيت ويساعده اي يوافقه في الامور الا فيما يخالف الحق فقد
ورد لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق احمد والحاكم عن عمران وفي الصحيحين عن علي لا طاعة في
معصية الله انما الطاعة في المعروف وفي رواية احمد عن انس لا طاعة لمن لم يطع الله فالوفاء
اي الوفاء فيه اي في الخلاف هو الخلاف اي الشقاق ويشاوره لقوله تعالى وامرهم شورى
بينهم ولا يحفظ السر عنه حيث لا يخاف الشر منه ولا يحب عداوة لئلا يكون شريكا له في
العداوة اي ومن الوفاء ان لا يصادق عدو صديقه قال الشافعي اذا اطاع صديقك
عدوك فقد اشتركا في عداوتك ويخفف اي مقالة الصحبة ومؤنة الكلفة بترك الكلفة
اي في نفسه والتكليف لصيانته في اداء الحقوق والمراد ما يلزم مروة لا لزوما شرعيا قال
بعض الحكماء تمام التخفيف بطي بساط التكليف حتى لا يستحيي منه فيما لا يستحيي من نفسه
ومن هنا قيل اذا ثبتت المحبة سقط الادب وقال علي رضه شر الاصدقاء من تكلف لك
ومن احوجك الى المداراة والجاءك الى الاعتذار في حالاته وقال الفضيل انما تقاطع الناس
بالتكلف يزور احدهم اخاه فيتكلف له ويقطعه ذلك عنه وقيل لبعضهم من نصحب
قال من يرفع عنك ثقل التكلف ويسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ وعن جعفر بن محمد
اثقل اخواني علي من يتكلف لي واتحفظ منه واخفهم على قلبي من اكون كما اكون وحدي والحاصل
انه لا ينبغي ان يكلف اخاه ما يشق عليه في حالاته بل يروح سره من مهماته وحاجاته
ويرفهه عن ان يحمله شيئا من اعبائه ومشقات مؤناته ولا يكلفه التواضع له والتفقد
لاحواله والقيام بحقوقه بل لا يقصد بمحبته الا الله تبركا بدعائه واستيناسا
بلقائه واستعانة به على دينه وتقربا الى الله تعالى في تقوية يقينه وقال بعضهم كن مع
ابناء الدنيا بالادب ومع ابناء الاخرة بالعلم ومع العارفين كيف شئت يعني لانهم
كل ما يرونه انما يرونه من الرب ولا ينظرون الى السبب وقال آخر لا تصحب الا من يتوب
عنك اذا اذنبت ويعتذر عنك اذا اسأت ويحمل عنك مؤنة نفسك ويكفيك
مؤنة نفسه وهذا عزيز الوجود في مفيد ان الشهود كنوافل العبادة تبركا واتيانا اي
فعلا قال الامام حجة الاسلام ومن التخفيف ترك التكلف والتكليف ان لا يعترض
في نوافل العبادات لان طائفة من الصوفية يصطحبون على شرط المساواة بين اربعة معان
ان اكل احدهم الدهر كله لم يقل له صاحبه صم وان صام الدهر كله لم يقل له افطر وان
نام الليل كله لم يقل له قم وان صلى الليل كله لم يقل نم وتستوي حالاته عنده بلا مزيد

ولا نقصان لان ذلك ان تفاوت حرك الطبع الى الرياء والتحفظ لا محالة وقد قيل
من سقط كلفته دامت الفته ومن خفت مؤنته دامت مودته ومن مقالات شيخنا
العارف بالله الولي نور الدين علي المتقي في هامش هذا الكتاب الموجز النقي اعلم ان
الله تعالى على عباده في عبادات النوافل تخفيفين احدهما انه خفف في اصل التكليف يعني
اذا لم يأت الشخص بعبادة النفل راسا لا تكليف عليه ولا مؤاخذة لديه وثانيهما في
وصفه من التكلف لجواز صلوة النفل حال القعود مع القدرة والركوب متوجها الى اي
جهة ونحوها فينبغي للمصاحب ان يتخلق باخلاق الله تعالى ويخفف في حقوق الصحبة مثل هذا
التخفيف في عبادة النافلة مثلا اذا اشترط المصاحبان على انفسهما شرطين بان قال
احدهما على مؤنة السلخ والطبخ وقال الآخر على تحصيل الماء والحطب فاذا قصر احدهما في شرطه
بان لم يأت باصل الشرط مطلقا فلا يؤاخذه لان التكليف متروك في النفل فاذا اتى
باصل الفعل ولكن ترك التكلف بان طبخ طعاما مالحا او قليل الملح فلا يؤاخذه
لان التكلف متروك ايضا وعلى هذا القياس ينبغي في حقوق جميع الصحبة مراعاة هذه
القاعدة الصعبة فلله در المؤلف حيث اتى بهذه العبارة الوجيزة في مبانيها
مع كثرة معانيها فورد انا واتقياء امتي براء من التكلف للدارقطني في الافراد من حديث
الزبير بن العوام ولفظه الا اني بريء من التكلف وصالحو امتي واسناده ضعيف
ويقويه قوله تعالى قل ما اسئلكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين اي متقولين القرآن من
تلقاء نفسي فمن يقول شيئا من تلقاء نفسه فقد تكلف في امره وكذا الحكم في نقله ويرفع
الادب اي من القيام والاعتذار ونحوهما مع اهل الوداد عند تمام الاتحاد فعند كمال الانبساط
مع الاصحاب يطوى بساط الاداب فالمقصود صفاء القلب مع احباب الرب والادب
اي ظاهر عنوانه فاذا عرف اصل المكتوب فلا يحتاج الى عنوانه من المطلوب وزر واي
اي صاحبه غبا اي يوما بعد يوم او وقتا بعد وقت تزدد حبا لحصول الاشتياق الى الوصال
الا ان يأمن الملال اي موجب للقطع في الاستقبال وينوي فيه اي في التزور الاستئناس
اي طلب الانس باللقاء اي لقاء اهل اليقين والاستعانة على الدين كما هو شان المجتهدين
والتقرب اليه تعالى باقامة الحق اي حق الاخوة والصحبة وتحمل المؤنة اي كلفة الالفة ففي
مسند احمد وغيره عن ابن عمر المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على اذاهم افضل من المؤمن
الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على اذاهم وفي رواية الدارقطني عن جابر المؤمن يألف و
يؤلف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس انفعهم للناس وقد قال تعالى واعتصموا

بحبل الله جميعا ولا تفرقوا الاية هذا وجاء في الخبر ان الله يقول حقت محبتي للذين
تزاورون من اجلي احمد من حديث عمرو بن عبسة وعبادة الصامت والحاكم وصححه
عن انس ما زار رجل رجلا في الله الا ناداه ملك من خلفه طبت لك الجنة رواه ابن
عدي والترمذي وابن ماجة من حديث ابي هريرة من عاد مريضا او زار اخا في الله ناداه
مناد من السماء طبت وطاب ممشاك وتبوأت من الجنة منزلا وعنه ان رجلا زار
اخا له في الله فارصد الله له ملكا فقال اين تريد فقال اريد ان ازور اخي فلانا فقال
الك حاجة عنده قال لا قال القرابة بينك وبينه قال لا قال فلنعمة له عندك قال لا قال فبم
من ابي هريرة ويسلم على المسلم صغيرا او كبيرا وغنيا او فقيرا لحديث افشوا السلام واطعموا
الطعام الترمذي عن حديث ابي هريرة وفي رواية الحاكم عن ابي موسى افشوا السلام بينكم
تحابوا وفي رواية البيهقي عن هاني بن يزيد ان من موجبات المغفرة بذل السلام وحسن الكلام
وان لقيه مرارا اي مرة بعد مرة لعموم قوله عم حق المسلم ست اذا لقيته فسلم عليه رواه مسلم
او حالت شجرة او جدار وكذا اسطوانة تأويا بهذا السلام تجديد عهد الاسلام انه
اي بان لا يؤدي بصيغة المعلوم والمجهول في عرضه وماله اي وسائر احواله قبل الكلام متعلق
بيسلم اي يأتي بالسلام قبل ان يشرع في الكلام فانه تحية اهل الاسلام حتى دار السلام
فورد من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبه اي لا ترد عليه الكلام حتى يبدأ بالسلام
اي ويترك الابتداء بالكلام والحديث رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية عن ابن
عمر ولفظه من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه وعند الدخول في بيته اي يسلم على اهله
فللترمذي عن انس قال له عم اذا دخلت على اهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى اهل بيتك و
بيت غيره اي كذلك لئلا يدخل الشيطان لحديث جابر اذا دخلتم بيوتكم فسلموا على اهلها
فان الشيطان اذا سلم احدكم لم يدخل بيته للخرائطي في مكارم الاخلاق وهو مأمور به
اي في قوله تعالى واذا دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم اي على جنسكم من المسلمين وان كان
اي البيت خاليا وهو اعم من بيته وبيت غيره فتحية اي حتى يكون بلفظ السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين فالملائكة اي الحفظة او الكتبة ترده فانهم من جملة عباد الله
الصالحين والدخول اي ويسلم عند دخوله في قوم اي على قوم وهو ظاهر متعارف و
الخروج اي ويسلم اي عند خروجه عنهم ليكون مشاركا لهم في كل جزء اي ابتداء وانتهاء
ولان السلام الاول للملاقات والثاني للموادعة ولعل هذا وجه التكرار في قوله
سبحانه لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما ولابي داود والترمذي وحسنه

من حديث ابي هريرة اذا انتهى احدكم الى المجلس فليسلم فان بدى له ان يجلس فليجلس ثم اذا قام فليسلم
فليست الاولى باحق من الآخرة ويبداء به اى بالسلام فهو المروى عنه عم انه كان يبدء
بالسلام كما في الشمائل وفي نسخة يبدء وفي مسند احمد عن ابي امامة من بدء بالسلام فهو
اولى بالله ورسوله وقال العلماء ان هذه سنة اجرها اكثر من جواب السلام مع انه فرض
وذلك لما في البدء به من التواضع ولانه تسبب في اداء الفرض وقد ورد اذا مر الرجل بالقوم
فسلم عليهم فردوا عليه كان عليهم فضل درجة لانه ذكرهم السلام وان لم يردوا رد عليه
ملاء خير منهم واطيب رواه البيهقي في الشعب عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا والبزار عنه مرفوعا
السلام اسم من اسماء الله وضعه الله في الارض فافشوه بينكم فان الرجل المسلم اذا مر بقوم
فسلم عليهم جليسا ولا يسلم على جمع النسا اى من الاجانب ويرد عليهن اى اذا سلمن عليه فان
الرد فرض فلا يترك لتوهم الوقوع في الريبة وكان انس يمر على الصبيان فيسلم ويروى
عن رسول الله صلى الله عم انه فعل ذلك رواه الشيخان وفي النسائي عن انس انه عم كان
يزور الانصار ويسلم على صبيانهم ويمسح على رؤسهم ولا اى ولا يسلم عند تلاوة القرآن
اى على تاليه ولا مستمعيه لئلا يقع خلل فيه والاذان لاشتغال المؤذن والمجيب وقضاء
الحاجة ونحوها اى من الحمام وكشف العورة وحالة الجماع فلا يكلمه فيها اى مطلقا
فضلا عن السلام ورده وعن ابن عمر ان رجلا سلم على رسول الله صلى الله عم وهو يبول فلم
يرد عليه ولا اللعب اى ولا يسلم عند اللعب بالشطرنج اى على لاعبه ومن معه من صاحبه و
نحوه اى النرد ومجلس اللهو آلات الغنا وامثالها ولا يرد فيها اى في المذكورات التي
لا يسلم فيها ويزيد في الجواب اى في طريق الاستحباب فورد اذا حييتم بتحية اى اذا سلم عليكم
بسلام وقيل السلام عليكم فحيوا باحسن منها اى بالزيادة عليها فقولوا وعليكم السلام
ورحمة الله وبركاته اوردوها اى قولوا في جوابها مثلها والاولى بالبداءة اى
بابتداء السلام الداخل على المدخول عليه والماشي على القاعد ونحوه والراكب على
النازل والصغير على الكبير والقليل على الكثير في الصحيحين عن ابي هريرة يسلم الراكب
على الماشي والماشي على القاعد والقليل على الكثير والصغير على الكبير واذا بلغ سلاما
من احد فليقل وعليه السلام ورحمة الله وبركاته رواه الستة عن عائشة او
وعليك وعليه السلام رواه النسائي عن انس كذا في الحصن فيجوز الاكتفاء بالاول و
الجمع بينهما افضل واو للتنويع في اختلاف الرواية وفي الاذكار ربعي اذا بعث انسان
مع انسان سلاما فقال الرسول سلم عليك فلان يجب عليه ان يرده على الفور ويستحب



ان يرد على المبلغ ايضا فيقول وعليك وعليه السلام ثم الافضل ان يقول المسلم
السلام عليكم بصيغة الجمع وان كان المسلم عليه واحدا ويقول المجيب وعليكم السلام و
رحمة الله وبركاته ويأتي بواو العطف ويجوز تنكير السلام ايضا واما الجواب
فاقل الاستحباب وعليك السلام او وعليكم السلام فان حذف الواو فقال عليكم
السلام اجزاءه ذلك ففي الصحيحين عن ابي هريرة خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله
ستون ذراعا فلما خلقه قال له اذهب فسلم على اولئك نفر من الملائكة جلوس
فاستمع ما يحيونك فانها تحيتك وتحية ذريتك فقال السلام عليكم فقالوا السلام
عليك ورحمة الله فزادوه ورحمة الله انتهى وفيه دليل على ان السلام عليك يصلح
للتحية وجوابها لكن بشرط ان يكون احدهما بعد الاخر فلو تقعا معا فانه يجب على كل
واحد جواب الاخر فتدبر ويرد اذا سلم واحد من القوم اجزء عنهم مالك في الموطا
عن زيد بن اسلم ولابي داود من حديث علي يجزئ عن الجماعة اذا مروا ان يسلم احدهم ويجزئ
عن الجلوس ان يرد احدهم فعلم ان السلام سنة كفاية كما ان جوابها فرض كفاية وفي الديلمي
عن علي السلام تطوع والرد فريضة ولا يشير بالاصبع والكف فهو عادة الكفار اى
من اهل الكتاب منهى عنه ففي الترمذي من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده لا تشبهوا
باليهود والنصارى فان تسليم اليهود الاشارة بالاصابع وتسليم النصارى الاشارة بالكف
وفي رواية ابي يعلى وغيره عن جابر تسليم باصبع واحدة يشير بها فعل اليهود والمعنى انه يكتفى
بها عند السلام فلو جمع بين الاشارة والسلام لزيادة الاعلام او لبعد المقام او يكون
المسلم عليه لا يسمع الكلام فلا بأس به الا انه لا بد من سماع كل منهما خلافا لما يفعله كثير
من العامة وبعض الطلبة باخفاء السلام ورده والاكتفاء باشارة بعض الاعضاء من
اليد والرأس ونحوه ويؤيده حديث عبد الحميد بن بهرام انه عم مر في المسجد يوما وعصبة من النسا
قعود فالوى بيده بالتسليم اى مقرونا به واشار عبد الحميد بيده رواه الترمذي
وقال حسن وقال احمد لا بأس به ورواه ابو داود وابن ماجة من وجه اخر ولا يخص
المعارف بالتسليم بل يعم السلام على من يعرف ومن لا يعرف اذا عرف بالسلام فان السلام
من حقوق المسلم على المسلم فهو اى تخصيص المعارف بالسلام من اشراط الساعة اى علاماتها
اى من جملتها قلة العلم وكثرة الجهل ولا يبداء بعليك السلام فهو تحية الميت اى يجوز
ان يقال له ذلك ويقال السلام عليك اذ صح انه عم قال السلام عليكم دار قوم
مؤمنين وقال رجل لرسول الله صلى الله عم عليك السلام فقال ان عليك السلام تحية

المؤمن قاله ثلاثا ثم قال اذا لقي احدكم اخاه فليقل السلام عليكم ورحمة الله وبركاته رواه
الترمذي والنسائي في اليوم والليلة وقال الترمذي حسن صحيح ويصافح اي صاحبه من المتقين
لا سيما الكبراء في الدين من العلماء والاولياء والشرفاء اذا كانوا من ضعفاء الامر السلاطين
والامراء والوزراء فهو اي التصافح من تمام التحية وعن الحسن المصافحة تزيد في المودة
وعن ابي هريرة مرفوعا تمام تحياتكم بينكم المصافحة الخرائطي في مكارم الاخلاق وهو عند
الترمذي من حديث ابي امامة وضعفه وورد فيها اي في المصافحة قسمة مائة مغفرة
تسعة وتسعون لاحسنهما بشرا فعن ابي هريرة اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة
رحمة تسعة وتسعون لابشهما واطلقهما وابرهما واحسنهما مسائلة باخيه الطبراني في الاوسط
وعن انس اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما مائة رحمة تسعة وتسعون لاحسنهما
بشرا الخرائطي بسند ضعيف وعن عمر مرفوعا اذا التقى المسلمان فسلم كل واحد على صاحبه
وتصافحا نزلت بينهما مائة رحمة للبادي تسعون وللمصافح عشرة البزار في مسنده
والخرائطي واللفظ له والبيهقي في الشعب وقد ورد قبلة المسلم اخاه المصافحة
الخرائطي وابن عدي من حديث انس وقال غير محفوظ او المعنى ان المصافحة تقوم مقام قبلة
اليد وفي الاحياء فلا بأس بقبلة يد المعظم في الدين تبركا به وتوقيرا له فعن عمر قبلنا
يد النبي صلى الله عم ابو داود بسند حسن وعن كعب بن مالك لما نزلت توبتي اتيت النبي عم
وقبلت يده ابو بكر بن المقرئ في كتاب الرخصة في تقبيل اليد بسند ضعيف وروي ان اعرابيا
قال يا رسول الله ائذن لي فاقبل رأسك ورجليك قال فاذن له ففعل الحاكم من حديث
بريدة وقال صحيح الاسناد وعن البراء بن عازب انه سلم على رسول الله صلى الله عم وهو
يتوضأ فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه فرد عليه ومد يده اليه فصافحه فقال يا رسول الله
ما كنت ارى هذا الا من اخلاق الاعاجم فقال ان المسلمين اذا التقيا وتصافحا تحاتت
ذنوبهما الخرائطي بسند ضعيف وهو عند ابي داود والترمذي وابن ماجة مختصرا ما من
مسلمين يلتقيان فيتصافحان الا غفر لهما قبل ان يتفرقا ويجعل الاصابع في الاصابع
اي اصابعه في اصابع اخيه وهذا غير محفوظ في السنة ولا هو ماخوذ من اللغة اذ مفهومها
وضع صفحة الكف او اليد او اصابعها في كف صاحبه ونحوه ولا يدع اي يد اخيه حتى
يدع صاحبه اي يده فيدل على كمال التواضع واظهار المسكنة وللطبراني في الاوسط
باسناد حسن عن ابي هريرة انه عم كان لا يأخذ احد بيده فينزع يده حتى يكون الرجل
هو الذي يرسله ولم تر ركبته خارجة عن ركبة جليسه ولم يكن احد يكلمه الا اقبل عليه

بوجهه

بوجهه ثم لم يصرفه عنه حتى يفرغ من كلامه ولابي داود والترمذي وابن ماجة نحوه من حديث
انس فهو اي السنة اي المروية في شمائله من فضائله لاني وراء الثوب اي لا يصافح
من وراء الاكمام فهو جفاء من عادة الكفار اي المتكبرين من الاعجام والاروام
ويعانق القادم اي الواصل من السفر وفي الاحياء ان الالتزام والتقبيل ورد به
الخبر عند القدوم من السفر وقد رواه الترمذي من حديث عائشة قالت قدم زيد بن
حارثة الحديث وفيه فاعتنقه وقبله وقال حسن غريب وقال ابو ذر ما لقيته عليه
السلام الا صافحني وطلبني يوما فلم اكن في البيت فلما اخبرت جئت وهو على سرير
فالتزمني فكانت اجود واجود رواه ابو داود ويأخذ ركاب العلماء للتوقير فقد فعل
ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت كما تقدم واخذ عمر بغرز زيد اي بركابه حتى
رفعه وهكذا فعلوا بزيد واصحابه ويوسع المجلس مسجدا كان او غيره لقوله تعالى اذا
قيل لكم بلسان القال او بيان الحال تفسحوا في المجالس فافسحوا يفسح الله لكم والفسح
التوسع وفي الصحيحين من حديث ابن عمر لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن
توسعوا وتفسحوا وعنه عم اذا اخذ القوم مجالسهم فان دعى رجل اخاه فاوسع له
فليأته فانما هي كرامة من الله عز وجل اكرمه بها اخاه فان لم يوسع له فلينظر الى
اوسع مكان يجده فليجلس فيه البغوي في معجم الصحابة من حديث ابن ابي شيبة ورجاله ثقات
وابن ابي شيبة هكذا ذكره ابو موسى المديني في ذيله في الصحابة ويكرم الداخل ان كان
من ذوي الفضائل فيبسط له الثوب اي من الرداء ونحوه فروي انه عم دخل لبعض بيوته
فدخل عليه اصحابه حتى وحش المجلس فامتلأ فجاء جرير بن عبد الله البجلي فلم يجد مكانا فقعد
على الباب خلف رسول الله صلى الله عم فاخذ رداءه فالقاه اليه فقال له اجلس عليه
فاخذه جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي ثم لفه ورمى به اليه صلى الله
عم وقال ما كنت لاجلس على ثوبك اكرمك الله كما اكرمتني فنظر النبي عم يمينا وشمالا
قال اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه الحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد وروي انه
ظئر رسول الله صلى الله عم التي ارضعته جاءت اليه فبسط له رداءه ثم قال
مرحبا يا امي ثم اجلسها على الرداء ثم قال لها اشفعي تشفعي وسلي تعطي فقالت قومي
فقال اما حقي وحق بني هاشم فهو لك فقام الناس من كل ناحية وقالوا حقنا يا رسول
الله ثم وصلها بعد ووهب لها سهمانه بخيبر وهو حظ عشر سهما فبيع ذلك من
عثمان بن عفان بمائة الف درهم كذا في الاحياء ورواه ابو داود والحاكم وصححه من حديث

ابى الطفيل مختصرا في بسط رداءه لها دونما بعده ولاحمد من حديث ابن عمر انه دخل عليه عم
فالقى له وسادة من ادم حشوها من ليف الحديث واسناده صحيح وللطبراني من حديث سلمان
دخلت على رسول الله صلى الله عم وهو متكئ على وسادة فالقاها الي الحديث وسنده
ضعيف ويخفف اي مدخول عليه الصلوة فريضة او نافلة ويشتغل باكرامه من سلامه
وكلامه وتحصيل مرامه ثم يعاود فيها اي في تمام صلوته فالكل مروي الا ان تخفيف
الصلوة اه ليس له اصل في السنة ولا ينحني فان الانحناء يكره للسلاطين وغيرهم
لانه صنيع اهل الكتاب كذا في المحيط الرضوية ولانه شبهة الركوع الذي هو اركان
الصلوة فكما لا يجوز ان يسجد احد لاحد لا يجوز ان يركع له وكذا القيام على هيئة
الوقوف في الصلوة لحديث من سره ان يتمثل له الرجال قياما فليتبوء مقعده من النار
ابوداود والترمذي وحسنه من حديث معاوية وعن انس رض قلنا يا رسول الله اينحني
بعضنا لبعض قال لا قلنا فيقبل بعضنا بعضا قال لا قال فيصافح قال نعم الترمذي وحسنه
وابن ماجة وضعفه احمد والبيهقي وفي الاحياء لا باس بالانحناء لدفع شر الاشقياء
ولا يقوم اي للداخل كما هو عادة اهل المحافل فهو منهي عنه اي في الحديث معللا بانه من
عادة العجم فعن ابي امامة اذا رايتموني فلا تقوموا كما تقوم الاعاجم ابوداود وابن الاعاجم صحيح
ماجة وعن انس ما كان شخص احب الينا من رسول الله صلى الله عم وكانوا اذا راوه لم
يقوموا لما يعلمون من كراهيته لذلك الترمذي وقال حسن صحيح وفي الاحياء ان القيام مكروه
على سبيل الاعظام لا على سبيل الاكرام اقول وقد صار هذا القيام من ابتلاء العام
اذ يترتب على تركه انواع البلاء فيكون النهي للتنزيه في هذا المقام وعن ابن مسعود
رضي الله عنه مرفوعا وموقوفا ما راه المؤمنون حسنا فهو عند الله حسن واما ما
في صحيح مسلم عن ام هاني انها سلمت على النبي عم فقال من هذه فقيل ام هاني فقال عم
مرحبا يا ام هاني فمحمول على زيادة الترحيب للاكرام بعد جواب السلام ويوقر الكبراء
اي العظماء في الرتبة او السن كالعلماء العاملين والصلحاء الكاملين والشرفاء
الطاهرين والشيوخ السابقين ليقدمهم في دخول او سلام فلهم قدم صدق و
سهم سبق في هذا المقام وقد قال تعالى والسابقون السابقون لكن تقدم الرتبة من العلم
او التقوى او النسب على مجرد كبر السن في الحسب واشار المص الى الترتيب في غاية من التهذيب
فالعلماء كما قال تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات والتقوى
كما قال عز وجل ان اكرمكم عند الله اتقيكم ويقدمهم في المشي اذا ضاق المقام والكلام
و

والجلوس فليس منا اي من اتباعنا واشياعنا من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا
رواه احمد والترمذي عن ابن عباس واحمد والحاكم عن عبادة بن الصامت بزيادة
ولم يعرف لعالمنا حقه وفي رواية لاحمد والترمذي والحاكم عن عمرو بلفظ من لم يرحم
صغيرنا ولم يعرف شرف كبيرنا فليس منا او عد بصيغة المجهول اي جاء الوعيد في التقديم
اي تقديم الصغير على الكبير كما بالفقر اي بسبب فقر الكبير والمغني او عد بالفقر بخلاف من عظم
الكبير فانه يقدر له من يعظمه في كبره ففي الخبر ما اكرم شاب شيخا لسنه الا قيض الله في سنه
من يكرمه وهذا بشارة له بطول عمره وسهولة امره والحديث رواه الترمذي عن انس و
من تمام توقير المشايخ ان لا يتكلم بين ايديهم الا باذن قال جابر قدم وفد جهينة على النبي عم
فقام غلام ليتكلم فقال عم اين الكبير الحاكم وصححه مسلم ويراعي قلب الصغار اي الاطفال و
غيرهم ممن دون البلوغ فكان عم يبالغ فيه اي في مراعات قلوبهم فكان يمسح رؤسهم ويدعو
لهم ويجلسهم في حجره ويحنكهم رواه البزار وقد كان يقدم من سفر فيتلقاه الصبيان فيقف عليهم
ثم يامر بهم فيرفعون اليه فيرفع منهم بين يديه وخلفه ويامر اصحابه ان يحملوا بعضهم فربما
تفاخر الصبيان بعضهم لبعض حملني رسول الله صلى الله عليه وسلم رواه مسلم من حديث
عبد الله بن جعفر كان اذا قدم من سفر تلقي بنا قال وتلقي بي وبالحسن او بالحسين قال فحمل
احدنا بين يديه والاخر خلفه وفي رواية يلقي بصبيان اهل بيته وانه قدم من سفر فسبق بي اليه
فحملني بين يديه ثم جيء باحد ابني فاطمة فاردفه خلفه وفي الصحيحين ان عبد الله بن جعفر قال
لابن الزبير اتذكر اذ تلقينا رسول الله صلى الله عم انا وانت وابن عباس قال نعم قال فحملنا
وتركك هذا لفظ مسلم وقال البخاري ان ابن الزبير قال لابن جعفر اعلم قال يخرج الاحيا ولا
يبعد ان يحمل على قصتين فيكون في كل منهما جبر لخاطر الاخر فتدبر ولاحمد بن منيع من حديث
حسن بن علي عن امراة منهم بينا رسول الله صلى الله عم مستلقيا على ظهره يلاعب صبيا
اذ بال فقامت لتاخذه وتضربه فقال دعيه ائتوني بكوز من ماء الحديث واسناده صحيح
ويتكفل اليتيم قريبا او اجنبيا فورد انا وكافل اليتيم اي مربيه ومصلحه كهاتين في الجنة
واشار الى المسبحة والوسطى وهو كناية عن كمال الرتبة وجمال القربة والحديث رواه احمد
والبخاري وابوداود والترمذي عن سهل بن سعد بلفظ انا وكافل اليتيم في الجنة هكذا
ولابن ماجة من حديث ابي هريرة خير بيت المسلمين بيت فيه يتيم يحسن اليه وشر بيت
المسلمين بيت فيه يتيم يساء اليه ولاحمد والطبراني من حديث ابي امامة من وضع يده
على راس يتيم كانت له بكل شعرة يمر عليها يده حسنة ولابن حبان من حديث ابن ابي اوفى من مسح

يده على رأس يتيم رحمه له الحديث ويظهر البشاشة اى الانبساط اذا حضر مع اصحابه فى بساط
النشاط فورد ان الله يحب السهل اى اللين الهين الطلق بفتح وكسر اى صاحب طلاقة الوجه
والحديث رواه البيهقى عن ابى هريرة بلفظ الطليق وقد ورد الا ادلكم على من حرمت النار
قالوا الله ورسوله اعلم قال الهين السهل القريب الترمذى وحسنه عن ابن مسعود ويشمت اى
اى يجيب العاطس المحمد اى الذى قال الحمد لله بعد عطاسه بدعا الرحمة والمغفرة ويجيب بدعا على
الهداية والصلاح اتفق العلماء على انه يستحب للعاطس ان يقول الحمد لله عقيب عطاسه
ويستحب عند الشافعى ويجب عندنا على من سمعه ان يقول له يرحمك الله ويستحب للعاطس
بعد ذلك ان يقول يهديكم الله ويصلح بالكم او يغفر الله لنا ولكم والاحاديث فى هذا كثيرة
كما بيناها فى شرح الحصن واما اذا لم يحمد العاطس فلا يستحق الجواب لما فى الصحيحين عن
انس انه عم شمت عاطسا ولم يشمت الآخر فسأله عن ذلك فقال انه حمد الله وانت سكت
ففيه فضل كثير اى واجر كبير الا اذا زاد على الثلاث فورد انه زكام ففى ابى هريرة شمت اخاك
ثلثا فان زاد فهو زكام ابو داود وفى صحيح مسلم عن سلمة بن الاكوع انه شمت عاطسا فعطس
اخرى فقال انك مزكوم وعن ابى هريرة كان عم اذا عطس غض صوته واستتر بثوبه او يده
ابو داود والترمذى وقال حسن صحيح وفى رواية لابى نعيم فى اليوم والليلة خمر وجهه وفاه و
فى الصحيحين التثاوب من الشيطان فاذا تثاوب احدكم فليضع يده على فيه فاذا قال آه آه
فان الشيطان يضحك من جوفه وعن على رض من عطس عنده فسبق الى الحمد لم يشتك
خاصرته الطبرانى فى الاوسط وفى الدعا ويصلح ذات البين اى احوالا ناشئة
مما بينه او بين غيره وبين احد من المسلمين بالمودة ويترك المنازعة قال تعالى لا خير فى كثير
من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وقال عز وعلا واتقوا
الله واصلحوا ذات بينكم فهو افضل الصدقة فللطبرانى والبيهقى عن ابن عمرو افضل الصدقة
اصلاح ذات البين ولابى داود والترمذى وصححه من حديث ابى الدرداء الا اخبركم
بافضل من درجة الصيام والصلوة والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات
البين وفساد ذات البين هى الحالقة وللشيخين من حديث ام كلثوم بنت عقبة بن
ابى معيط ليس بكذاب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ويستر العيوب اى عيوب
غيره وكذا عيوب نفسه فورد اى فى صحيح مسلم عن ابى هريرة من ستر على مسلم ستره الله
فى الدنيا والآخرة وللشيخين عن ابن عمر من ستر مسلما ستره يوم القيمة وللطبرانى
عن ابى سعيد لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا ادخل الجنة وروى احمد عن رجل

من ستر اخاه المسلم فى الدنيا ستره الله يوم القيمة وللطبرانى والضيا عن شهاب من
ستر على مؤمن عورة فكانما احيا ميتا وللبخارى فى ادبه وابو داود والحاكم
عن عقبة بن عامر من رأى عورة فسترها كان كمن احيا موؤدة من قبرها وللترمذى وابن
ماجة والحاكم وصححه من حديث على من اذنب ذنبا فى الدنيا فستره الله عليه وعفى عنه
فالله اكرم من ان يرجع فى شئ قد عفاه عنه ومن اذنب ذنبا فى الدنيا فعوقب عليه فالله اعدل
من ان يثنى عقوبته على عبده وعنه عليه السلام اتقوا واصلحوا ذات بينكم فان الله تعالى
يصلح بين المؤمنين يوم القيمة الحاكم وصححه وضعفه البخارى وابن حبان والطبرانى من حديث
ابن عمر ان من احب الاعمال الى الله ادخال السرور على المؤمن ويتقى مواضع التهم تحرزا
عن سوء ظنهم اى بالريبة ووقوعهم فى الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه
كان شريكا وزرهم قال تعالى ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا
بغير علم وقال عليه السلام كيف ترون من يسب ابويه فقالوا فهل من احد يسب ابويه قال نعم
يسب الرجل ابوى غيره فيسب ابويه متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو وعن انس انه عم كلم احدى
نسائه فمر به رجل فدعاه فقال يا فلان هذه زوجتى صفية فقال يا رسول الله كنت اظن فيه
فانى لم اظن فيك فقال ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم رواه مسلم وفى رواية للشيخين
عن صفية انى خشيت ان تقذف فى قلبكما شيئا وفى نسخة سوءا وكانا رجلين وقال على
رسلكما انها صفية الحديث وكانت قد زارته فى الاواخر من رمضان وعن عمر رض من اقام
نفسه مقام التهمة فلا يلومن من اساء به الظن ومر برجل يكلم امرأة على الطريق فعلاه
بالدرة فقال يا امير المؤمنين انها امرأتى قال فهلا حيث لا يراك الناس ويشفع اى
فى غير الحدود لقوله تعالى من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة
يكن له كفل منها فورد اشفعوا تؤجروا ويقضى الله على لسان نبيه ما شاء رواه
الشيخان من حديث ابى موسى وورد ما صدقة افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك
قال الشفاعة يحقن بها الدم ويجر بها المنفعة الى آخر ويدفع بها المكروه عن آخر
الخرائطى والطبرانى عن سمرة ويرشد الضال اى يهديه الى الطريق الحسى او المعنوى
وينشد ضالته اى يطلبها لكن فى غير المسجد لما تقدم وبقوله يا هادى الضال وراد
الضالة اردد على ضالتى بعزتك وبسلطانك فانها من عطائك وفضلك رواه
ابن ابى شيبة موقوفا لابن عمر وللطبرانى عنه مرفوعا ويفرج المكروب اى هم المهموم وينصر
المظلوم ففى الصحيحين انصر اخاك ظالما او مظلوما فقيل كيف ينصر ظالما فقال يمنعه

من الظلم قلت وفي صنعه من الظلم نصر للمظلوم ايضا فورد من فرج عن مغموم واعان مظلوما
غفر الله له ثلثا وسبعين مغفرة للخرائطي في مكارم الاخلاق وابن حبان في الضعفاء
وابن عدي من حديث انس بلفظ من اغاث ملهوفا وسعى في حاجة فالمشي فيها خير من اعتكاف
شهرين وان لم تقض فللحاكم وصححه من حديث ابن عباس لان يمشي احدكم مع اخيه في قضاء
حاجته واشار باصبعه افضل من ان يعتكف في مسجدي هذا شهرين وللطبراني في الاوسط
من مشى في حاجة اخيه كان خيرا له من اعتكاف شهرين وكلاهما ضعيف روى البخاري
في تاريخه الطبراني والخرائطي عن انس بسند ضعيف من قضى لاخيه حاجة فكانما خدم
الله عمره ولابن المبارك في الزهد والرقائق باسناد ضعيف مرسلا من اقر عين
مؤمن اقر الله عينه يوم القيمة وقال عرضت له عم امراة وقالت لي معك حاجة
وكان معه ناس من اصحابه فقال اجلسي في اي نواحي السكك شئت اجلس اليك ففعلت
فجلس اليها حتى قضت حاجتها رواه مسلم ويعظه اي يبشر الناس بالثواب في الطاعة
وينذرهم بالعقاب على المعصية قال تعالى واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله
ان الشرك لظلم عظيم الايات وقال تعالى يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين
ويبين لكم الايات وورد ان الدين النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين
وعامتهم رواه مسلم وغيره عن تميم الداري وقال عليه السلام لمعاذ اوصيك بتقوى الله
وصدق الحديث ووفاء العهد وصدق الامانة وترك الخيانة وحفظ الجار ورحمة
اليتيم ولين الكلام وبذل السلام البيهقي في كتاب الزهد وابو نعيم في الحلية ويعين
الضعيف اي في عمله وصنعته والمحسن اي بزيادة معرفته او يعين لضعفه والفقراء ويحب
العلماء والصلحاء ليكون مشاركا لهما في ثواب يوم الجزاء فقد صح من كان في عون اخيه
كان الله في عونه ويحفظ الغيبة اي غيبة اخيه فيمنع احدا عن ان يقع في غيبة اخيه ففي
الخبر يا معشر من امن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم
فانه من تتبع عورة اخيه تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو كان في جوف
بيته ابو داود من حديث ابي برزة باسناد جيد وللترمذي نحوه من حديث ابن عمر وحسنه
وعن ابي الدرداء بلفظ ما من امرء مسلم يرد عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان
يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ولاحمد من حديث اسماء بنت يزيد نحوه ولابن ابي الدنيا في الصمت
عن انس من ذكر عنده اخوه المسلم فنصره نصره الله تعالى في الدنيا والاخرة ولابي داود من
حديث معاذ بن انس من حمى عرض اخيه المسلم في الدنيا بعث الله له ملكا يحميه يوم القيمة من

وهو يستطيع نصره فلم ينصره ولو بكلمة
اذله الله عز وجل بها في الدنيا والاخرة
ومن ذكر عنده اخوه المسلم صح

النار ولابي داود من حديث جابر وابي طلحة ما من امرء ينصر مسلما في موضع ينتهك فيه
عرضه ويستحل حرمته الا نصره الله في موطن يحب فيه حرمته الا خذله الله في موطن يحب
فيه نصرته ويبر الحلف اي يمين صاحبه في الحضور والغيبة بان وعد اخوه بشخص باعطاء
شيء حلف عليه ولم يتيسر له فالصاحب يعطيه ذلك لئلا يقع صاحبه في الحنث هنالك
وهو من جملة اخلاق الله مع من يتبع رضاه كما ورد في الصحيحين عن انس ان من عباد الله
من لو اقسم على الله لابره اي يجعله بارا في يمينه بما قدره وقضاه وفي الصحيحين من حديث
البراء امرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبع فذكر منها وابرار القسم والمقسم ويحب
التائب لقوله تعالى ان الله يحب التوابين خصوصا الشاب فورد ان الله يحب الشاب التائب
ابو الشيخ عن انس ولابي نعيم في الحلية عن ابن عمر ان الله يحب الشاب الذي يفني شبابه في
طاعة الله تعالى ولاحمد والطبراني عن عقبة بن عامر ان الله تعالى ليعجب من شاب ليست
له صبوة ويستغفر المذنب اقتداء بالملائكة المقربين الذين يحملون العرش ومن حوله
يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين امنوا الاية وللطبراني عن عبادة
من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة وله وللضياء
عن ابي الدرداء من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كل يوم سبعا وعشرين مرة كان
من الذين يستجاب لهم ويرزق به اهل الارض واما حديث انس اربع من حق المسلمين
عليك ان تعين محسنهم وان تستغفر لمذنبهم وان تدعو لمدبرهم وان تحب تائبهم فقد
ذكره صاحب الفردوس ولم اجد له اسنادا قاله العراقي ويتعامل على حسب حاله
اي حال صاحبه في اعلى مناقبه او ادنى مراتبه فيعرض الفقه اي مسائله الغامضة لاهل
الفهم اي لارباب الاشتغال بما يليهم من العلم والفهم والكمال والبيان اي ويعرض لطائف
والبلاغة واصناف البديع وانواع البيان لتغفل النساء ايذاء للنفسين بل المناسب
ان يعرض عليهم ما يكتسب من الطاعات ويجتنب من المحرمات وينتصف من نفسه وفي نسخة
وينصف من الانصاف بالكسر يعمل بالنصفة بفتحتين اي العدالة فهو من ثلث خصال
يستكمل به الايمان وفي الخبر لا يستكمل العبد الايمان حتى يكون فيه ثلاث خصال الانفاق من
الاقتار والانصاف من نفسه وبذل السلام الخرائطي عن عمار بن ياسر ووقفه
البخاري عليه ولا يعلم احد مقدار ماله وان كان من اهل البيت اي المطلعين على حاله
فالعلم بالقلة يورث الاهانة اي بعده من الفقراء وبالكثرة عدم الرضا اي بانفاقه
وعده من البخلاء وورد استر ذهبك اي وهو من الفضة وغيرها وذهابك

اى انتهاء سفرك من حضرك ومذهبك اى فى موضع تخاف على اظهاره فاظهر
مشربك والحديث لم اجد له اصلا ولا يستحقر احدا اى من الفجار بل من الكفار فالعاقبة
مستورة وورد انما الاعمال بالخواتيم كما فى صحيح البخارى عن سهل بن سعد ولا يستعظم
الدنيا فان الله قد استحقرها حيث قال متاع قليل وورد لو كانت الدنيا تعدل
عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء الترمذى وغيره عن سهل بن سعد و
المعنى انه لا ينظر الى اهل الدنيا بعين التعظيم لهم فى حال دنياهم ومهما عظم اهل الدنيا
فى نفسك وقد عظمت الدنيا فتسقط من عين الله عز وجل وللحكيم الترمذى عن ابى هريرة
اذا عظمت امتى الدنيا نزعت منها هيبة الاسلام فهى حقيرة وما فيها حديث الدنيا
ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله منها ابو نعيم فى الحلية عن جابر وفى مسند احمد
عن عائشة الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له ولا يتكبر
على الفقير اى لفقره فانه موجب لفخره بل على المتكبر اى بماله وجاهه على الفقير وفى
التكبر على المتكبر صدقة ويجالس الفقير فهو السنة فلابى نعيم عن ابن عمر تواضعوا و
جالسوا المساكين تكونوا من كبراء وتخرجوا من الكبر دون الغنى اى مجالس الغنى فضلا
عن ان يصاحبه فورد اياكم ومجالسة الموتى قيل ومن الموتى يا رسول الله قال الاغنياء الترمذى
وضعفه والحاكم وصحح اسناده من حديث عائشة اياك ومجالسة الاغنياء وجنب العافية
اى الذى يكره المرض والذى ما يأتيه الحمى ونحوها من الصداع فان فرعون اربعمائة سنة
ما حم ولا حصل له صداع ولا كسر له ظفر فى مطبخ وقد ورد انه صلعم مدح له امراة حسنة
ورغب فيها فقيل من نعتها انها لا تأتيها مرض فقال ما لى اليها حاجة وفى صحيح مسلم
من يرد الله به خيرا يصب منه والعامى اى وغير الجاهل واذا ابتلى اى بمجلس العامى لا يخوض فى
كلامه اى ويكتفى بما يحصل من مرامه ويتغافل عما جرى عليه اى بحسب مقامه والسلطان
عطف على قوله الغنى اى ودون السلطان والمغنى لا يجالسه واذا ابتلى به يكثر الحذر
اى عن غضبه وان اظهر المحبة اى فى وجهه ولا يعتمد اى على اقباله ولا على جاهه و
ابطاء ماله فى مرافقة الطفل فيتحمل منه ما يحمل عنه ويتكلم على حسب اداده
وفوق طاعته والطاعة لكن لا بما يضره فى دينه وآخرته ولا يدخل بينه وبين
اهل بيته فى معاملته ومجاملته فهو مضر ويبالغ فى الادب ومن دابه لاصحابه
ترك الغيبة ومجانبة الكذب وصيانة السر وقلة الحوائج وتهذيب الالفاظ
والمبانى وتحسين البيان للمعانى وتصحيح الاعراب فى الخطاب والمذاكرة باخلاق الملوك

السابقة واللاحقة وقلة الملاعبة فى مجلس مصاحبة وان لا يتجشى بحضرته ولا
يتخلل بعد الاكل فى صحبته ويترك بالعادل فهو من سبعة يظلهم الله يوم القيمة يوم لا ظل
ويدعو له بالصلاح ولو كانت له دعوة واحدة مستجابة ففيه صلاح العامة ونفع
العام خير من نفع الخاص مع ان الخاص داخل فى العام ويستعيذ اى بالله الملك العلام عند
الدخول عليه خوفا من الذل والخطل لديه وعليه اى يجب على السلطان الاحتمال اى التحمل
عن مجالسة ومواسبة الا فى كشف الستر اى لغير المحرم والقدح فى الملك اى الطعن فيه
بما ينافيه والتعرض فى الحرام اى عن حرمة او جاريته او ولده او عبده والعامة اى دون
عامة الناس فلا يجالسهم لفساد الزمان اى اهله فانهم لا يقبلون لك عثرة ولا يقبلون
منك معذرة ولا يغفرون زلة ولا يسترون عورة ويحاسبون على النقير والقطمير و
يحسدون على القليل والكثير ينتصفون ولا ينصفون ويؤاخذون على الخطاء والنسيان ولا
يعفون يغرون الاخوان بالغيبة والبهتان فصحبة اكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان ان
رضوا فظاهرهم الملق وان سخطوا فباطنهم الحنق لا يؤمنون فى حنقهم ولا يرجون
فى ملقهم ظاهرهم ثياب وباطنهم ذئاب يقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك
بالعيون ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون يحصون عليك العثرات فى صحبتهم
ليواجهوك بها فى غضبهم ووحشتهم فان ابتلى بهم فادبهم معهم ترك الخوض فى
حديثهم وقلة الاصغاء الى اراجيفهم والتغافل عما يجرى من سوء الفاظهم وبذائهم
وعدم درك تعارفهم ومعانيهم وقلة اللقاء لهم مع الحاجة اليهم وعدم التودد
والتحبب لديهم وورد خالطوا الناس باعمالهم وزايلوا القلوب اى وجانبوها عن
ملاحظة احوالهم ومحافظة اقوالهم والحديث لم اجده وللطبرانى عن ابى جحيفة مرفوعا
جالسوا الكبراء وسائلوا العلماء وخالطوا الحكماء ولا يعتمد اى فى المحاورة والمجالس
المؤتلفة الا من جرب اى امتحنه تحقيقا فى الاحوال المختلفة كالفقر والغنى والحضر والسفر
وغير ذلك من البعد والقرب والمحبة والعداوة فانه يظهر كل احد هنالك فلا
يجد جزءا اى سهما واحدا من مائة بل الف جزء مما يظهره من المودة وفى الخبر خبر تقلد
وفى حديث اخر الناس كابل مائة لا يجد فيها راحلة فلا تعول على مودة لم تختبره حتى الخبرة
بان تصحبه مدة فى دار او موضع واحد من قرار فتجربه فى غزله وولايته وغنائه وفاقته او
يسافر معه او يعامله او يقع فى شدة وبلية فيحتاج اليه فى دفع القضية ثم اياك ان تمازح
لبيبا او غير لبيب فان اللبيب يحقد عليك والسفيه يجترى لديك ولان المزاح يخرق الهيبة

ويذهب الحلاوة المودة ويشين فقه الفقيه ويحرك داعية السفيه ويورث المذلة وتوجب
الزلة ويسقط المنزلة وهو اذا كثر يميت القلب ويباعد عن ذكر الموت وبه يظلم السرائر
ويموت الخواطر وبه تكثر العيوب ويظهر الذنوب ومن بلي بمجلس فيه مزاح او لغط فليذكر
الله عند قيامه ليكون كفارة لما وقع في مقامه فورد من جلس في مجلسه فكثر فيه لغطه
فقال قبل ان يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللهم وبحمدك اشهد ان لا اله الا انت
استغفرك واتوب اليك الا غفر له ما كان في مجلسه ذلك كله الترمذي من حديث ابي هريرة
وصححه ولا يطمع اي من العامة رعاية الحق اي مراعاة حقه من الادب في قربهم ولا ما في
ايديهم اي ولا يطمع ما في ايديهم من المال والجاه فعن سهل بن سعد مرفوعا ازهد
في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدي الناس ابن ماجة وغيره والمعنى لا تبذل لهم
دينك لتنال من دنياهم فتصغر في اعينهم ثم تحرم دنياهم فان لم تحرم كنت قد استبدلت
الذي هو ادنى بالذي هو خير ولا يعاتب من لم يقض حاجته والا لطال الامر اي امر المعاتبة
لان كثرة المعاتبة ربما جر الى المقاطعة في المعاتبة ولا يغتاظ ممن لم يتوقع منه القبول
الا تحملوا اي تلويحا رمزا اي عن نفسه اذا وعظ نصحا وقد قال تعالى فذكر ان نفعت
الذكرى اي الموعظة الحسنى ويحمد الله تعالى ان راى منهم كرامة اي احسانا وتعظيما واقبالا
ويكرهها ويكلهم اليه اي ويترك امرهم الى الله سبحانه اذا رأى مكروها تفويضا اليه وتوكلا
عليه وقد قال تعالى في مؤمن آل فرعون فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري الى الله ان الله
بصير بالعباد فوقاه الله سيئات ما مكروا وقال عيسى عم ان تعذبهم فانهم عبادك
وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم ويستعيذ به من شرهم ويشاركهم في حقهم اي في حق
صدر عنهم ويتغافل عن باطلهم اي منكر ظهر منهم ويحب الكبير كالاب اي في التوقير
والصغير كالابن اي في الترحم والمساوي كالاخ اي الشفيق في الشفقة والرفق ويبالغ
في الاحتمال اي في التحمل عن اذاهم والاحسان بالاعطاء وغيره الى اهله وغير اهله فورد عن
علي بن حسين عن ابيه عن جده اصنع المعروف الى اهله اي مستحقه فان لم تصب اي في احسانك
اهله فانت من اهله اي من اهل الاحسان الى افراد الانسان ولو بالاحسان ذكره الدارقطني
في العلل وهو ضعيف والاصل اي القاعدة المطردة في حقوق المسلم ان يحب له ما يحب
لنفسه اي مثل ما يحب وكذا يكره له مثل ما يكره لنفسه كما في سبق في الحديث وورد ايضا
من سره ان يزحزح عن النار ويدخله الجنة فلتأته منيته وهو يشهد ان لا اله الا الله
وان محمدا رسول الله وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتى اليه رواه مسلم من حديث عبد الله

ابن عمرو وقال عم يا ابا هريرة احسن مجاورة من جاورك تكن مؤمنا واحب للناس ما تحب
لنفسك تكن الخايطي في مكارم الاخلاق ولا يهجره اي اذا غضب عليه فوق ثلثة ايام
فورد اي في الصحيحين عن ابي ايوب انه اي الشان لا يحل اي لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث
يلتقيان ويستاذن للدخول ثلثا اي ثلث مرات لما شيا يمكث بعد كل استيذان قدر اي كل صو
ان يصلي ركعتين وهو الاقل او اربع ركعات وهو الاكثر فيفرغ من الاكل ان كان مشتغلا به
والتوضي والغسل او الصلوة او امر آخر من المهمات فورد عن ابي هريرة كما رواه الدارقطني
في الافراد بسند ضعيف الاستيذان ثلاث اي ثلاث مرات فالاولى وفي رواية فالاول
يستنصتون اي يطلبون السكوت ليستكشفوا من المستاذن وما غرضه وفي رواية يستمعون
اي يستمعون والثانية يستصلحون اي يطلبون صلاحهم في الاذن بدخوله وبعدمه ويتشاورون
والثالثة ياذنون او يردون اي وقوع ما يختارون وفي الصحيحين من حديث ابي موسى
الاستيذان ثلاث فان اذن لك والا فارجع وقد قال تعالى وان قيل لكم ارجعوا فارجعوا
هو ازكى لكم ولا يطلع على الباب اي لا يقف بحيث ينكشف الحجاب ويدقه لينا اي بقطر
ونحوه هينا ولا يقول انا اي يقول فلان عند الباب ولا يقول انا اذا قيل من بل يقول
انا فلان ونحوه ولا يا غلام اي من وراء الاستار بان ينادي احد غلمانه صاحب الدار
او عبده في مقام الاظهار بل يحمد ويسبح اي ويذكر الله بالتهليل ونحوه ويتنحنح اي
اذا كان معروفا بتنحنحه وايماء بانه هناك من يريد دخوله ويعود المريض فهو
من جملة حقوق المسلم على المسلم ففي الصحيحين من حديث ابي هريرة حق المسلم على المسلم خمس
رد السلام وعيادة المريض واتباع الجنائز واجابة الدعوة وتشميت العاطس في ثياب
نظيفة بل في بياض لطيفة لئلا يتوهم المريض من ثياب كثيفة انه حزين عليه لما راى
علامة الموت لديه غير عابس اي في وجهه بل يدخل عليه ببشاشة شرح صدره وفتح امره
ويجلس عند ركبة المريض اي اذا كان مضطجعا ليقع نظر المريض على وجه زائره دون
راسه اي لا يجلس فوق راسه لئلا يحوجه الى التكلف في توجهه اليه وتلقنه عليه
ويضع اليد على جبهته او يده يعني نبضه اذا كان له معرفة ببسطه وقبضه ويساله
اي عن غيره كيف هو اي لئلا يكون تكليفا عليه في جوابه وهذا اذا كان مغلوبا في بابه
والا فيقول كيف انتم وما حالكم او كيف تجدك ونحو ذلك فهي السنة اي المروية عنه عم
تمام عيادة المريض ان يضع احدكم يده على جبهته او على يده ويساله كيف هو ولا يحدث
اي عنده الا بما يسره اي بما لا يضره وما هو خير من الدعاء له ولنفسه فالملائكة يؤمنون

عليه اي يقولون فيه امين فيكون علامة الاجابة في ذلك الحين ويبشره بطول العمر وسرعة
الصحة اي وسهولة الامر وبان المرض كفارة للسيئات ورفع للدرجات وانه انما يكون
في قليل من الاوقات فينبغي الصبر عليه بل الشكر لديه فورد واذا مرض العبد بعث الله تعالى
اليه ملكين فقال انظرا ما يقول لعواده فان هو اذا جاؤه حمد الله واثنى عليه رفعا ذلك
الى الله وهو اعلم فيقول لعبدي علي ان توفيته ان ادخله الجنة وان انا شفيته ان ابدل
له لحما خيرا له من لحمه ودما خيرا من دمه وان اكفر عنه سيئاته مالك في الموطاء من حديث
عطاء بن يسار ووصله ابن عبد البر في التمهيد من رواية عن ابي سعيد الخدري وفيه
عباد بن كثير الثقفي ضعيف الحديث وللبيهقي من حديث ابي هريرة قال الله تعالى اذا ابتليت
عبدي المؤمن فلم يشكني الى عواده اطلقته من اساري ثم ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما
خيرا من دمه ثم يستانف العمل واسناده جيد وجملة اداب المريض حسن الصبر وقلة الشكوى
وعدم الضجر والفزع الى الدعاء والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء والداء وسائر
الاشياء ويغتنم دعاءه اي المريض فهو كدعاء الملائكة في كونه مستجابة وقد سبق كون
دعاء المريض مجابا ويدعو له بالشفاء سبع مرات ففيه الشفاء ان لم يحضر اجله فلابي داود
وغيره عن ابن عباس مرفوعا من عاد مريضا لم يحضر اجله فقال سبع مرات اسال الله العظيم
رب العرش العظيم ان يشفيك الا عافاه الله من ذلك المرض ويغب فيها بضم اوله اي يعود
يوما بعد يوم او وقتا دون وقت لما سبق من حديث زر غبا تزدد حبا وعن جابر عنه
في العيادة وارد بعوا الا ان يكون مغلوبا لابن ابي الدنيا وابو يعلى واسناده ضعيف و
قال بعضهم عيادة المريض بعد ثلاث وينبغي ان يخفف فيها فروى ابن ابي الدنيا في كتاب
المريض من حديث انس باسناد فيه جهالة عيادة المريض فواق ناقة ورواه البيهقي عنه
بلفظ العيادة فواق ناقة وقال طاوس افضل العيادة اخفها وهي مرة سنة عند الشافعي
وفرض كفاية عندنا والزيادة نفل واما ما في الاحياء من ان ابن عباس قال عيادة المريض
مرة سنة فمحمول على ان ثبوتها بالسنة واما الزيادة فمستحبة والاجر الكثير عليها مرتبة
وفي التعمية الكتابية والحسابية ان العيادة فيها الزيادة على العبادة وقد تقدم
حديث اذا عاد المسلم اخاه او زاره ناداه مناد طبت وطاب ممشاك وتبوات منزلا
في الجنة الترمذي وابن ماجة عن ابي هريرة وفي السنن الاربع والحاكم من حديث علي من اتى اخاه
المسلم عائدا مشى في خرفة الجنة حتى يجلس فاذا جلس غمرته الرحمة فان كان غدوة صلى عليه
سبعون الف ملك حتى يصبح واللفظ لابن ماجة وصححه الحاكم وحسنه الترمذي ولمسلم من حديث

ثوبان من عاد مريضا لم يزل في خرفة الجنة وللحاكم والبيهقي من حديث جابر اذا عاد الرجل
المريض خاض في الرحمة فاذا قعد عنده انغمس فيها وقال الحاكم صحيح على شرط مسلم و
كذا صححه ابن عبد البر وذكره مالك في الموطاء بلاغا بلفظ قرت فيه ورواه الواقدي
بلفظ استقر فيها وللطبراني في الصغير من حديث انس فاذا قعد عنده غمرته الرحمة وله
في الاوسط من حديث كعب بن مالك وعمرو بن حزم استنقع فيها وورد النهي في عيادة
صاحب الرمد بفتحتين اي وجع العين والدمل بضم فتشديد ميم مفتوحة ووجع الضرس
اي السن والجرب بفتحتين وهو الحكاك والعرق بالكسر المدني منسوب الى جنس المدينة اذ
لم توجد غالبا في الغربة لان منشاها العفونة التي تبدو من الجماعة الكبيرة ويسمع اي
العائد المحتضر اي الذي حضره الموت بعلامات دالة له على الفوت وهي سواد الظفر
وبرودة الرجلين والتفافهما واعوجاج الانف وانفتاح العين وانخفاض
الصدغين كلمة التوحيد وهي لا اله الا الله فتقدم من كان اخر كلامه لا اله الا الله دخل
الجنة وفي صحيح مسلم وغيره لقنوا موتاكم لا اله الا الله اي المشرفين على الموت لحديث اقروا
على موتاكم يس احمد وغيره دون الحاح اي لا يلح على المحتضر بان يقول قل لا اله الا الله بل
يقول عنده ليسمعها وينتفع بها اذ لا يبعد انه حال الغلبة والشدة يمتنع عن قبول الكلمة
فيتوهم له سوء الخاتمة فنعوذ بالله من ذلك مع ان المدار على ايمان القلب هنالك وانما
يستحب باللسان لانه ترجمان الجنان على الاختلاف في الاقرار انه شرط او شطر للايمان
في اول دخول المسلم في ميدان الاحسان وايوان الايقان والله المستعان ويعجل تغطية وجه
الميت اي بعد ربط حنكه ورجليه وتغميض عينيه فان الميت اذا برد تلبس اعضاؤه و
توحش اجزاؤه وتجهيزه اي غسله وما يتعلق به وتكفينه باطيب الثياب بان يكون
من وجه حلال لا يقع فيه العتاب والعقاب وابيضها لاحاديث وردت في هذا الباب
كقوله عم البسوا الثياب البيض فانها اطهر واطيب وكفنوا موتاكم رواه احمد وغيره
عن سمرة وفي رواية له عنه بلفظ عليكم بالبياض من الثياب فليلبسها احياؤكم وكفنوا
فيها موتاكم فانها من خيار ثيابكم وفي رواية الدارقطني في الافراد عن انس خير ثيابكم
البياض فالبسوا احياءكم وكفنوا فيها موتاكم لا اكثرها قيمة بل اوسطها المعتبر في
جميع الباب ويعزي المصاب اي المبتلى بموت احد من الاقارب والاحباب وهي
التعزية المعبر عنها بالتسلية لتسكين قلب المصاب بالموعظة اي بما وقع
من الكتاب والاعلام بجزيل الثواب حيث قال تعالى وبشر الصابرين وانما يوفى الصابرون

الثكل بوزن القفل فقدان المراة ولدها وكذا الثكل بفتحتين صح

اجرهم بغير حساب وبان الجزع لا ينفع ويفوت به الاجر ويقع في مقام الحجاب ففي الترمذي وابن ماجة وابن مسعود مرفوعا من عزى مصابا فله مثل اجره وللترمذي عن ابي برزة ولفظه من عزى ثكلى كسي بردا يوم القيمة مصافحا اي معانقا كما يفعله عامة اهل مكة بالتواضع اي باظهاره معه واظهار الحزن اشعارا بمشاركته له فيه وقلة التكلم اي بامور الدنيا وترك التبسم لانه دلالة على الغفلة عن احوال العقبى ويشهد له اي الميت بالخير اي باعمال الخير ظاهرا او الايمان باطنا تحسينا للظن بالمسلم ويدعو له عند الذكر اي عند ذكره فورد لا تذكروا موتاكم الا بخير ففي ابي داود وغيره عن ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم ويشيع الجنازة ففي الصحيحين عن ابي هريرة من شيع جنازة فله قيراط من الاجر فان وقف حتى يدفن فله قيراطان ولمسلم من حديث ثوبان القيراط مثل جبل احد ولما روى ابو هريرة الحديث وسمعه ابن عمر قال لقد فرطنا الى الان في قراريط كثيرة خاشعا اي حال كونه مقرونا بالخشوع والخضوع متفكرا في الموت اي وفيما بعده وقبله من الفوت كان مكحول الدمشقي اذا راى جنازة قال اغدوا فانا رايحون موعظة بليغة وغفلة سريعة يذهب الاول والاخر لا عقل له وخرج مالك بن دينار خلف جنازة اخيه وهو يبكي ويقول والله لا تقر عيني حتى اعلم الى ما صرت ولا والله لا اعلم ما دمت حيا والاستعداد له اي للموت لحديث كفى بالموت واعظا الطبراني عن عمار ولاحمد في الزهد كفى بالموت مزهدا في الدنيا ومرغبا في الاخرة ولابن السني عن انس كفى بالدهر واعظا وبالموت مفرقا غير متكلم اي من الحزن والملال واشتغال البال في امر المآل قال كنا نشهد الجنائز فلا ندري لمن نعزي لحزن القوم كلهم واما كلام الغزالي وان يمشي امام الجنازة بقربها وملاحظة الميت فمذهب للشافعي والمختار عندنا ان يمشي وراءها فان الجنازة متبوعة لا تابعة كما ورد وملاحظة الميت انما يتصور اذا كان وراءه مع ما فيه من الاشارة الى انه من السابقين وانا من اللاحقين ولانه ربما احتيج الى المساعدة حمل الميت فهو ح انسب واقرب ويصلي عليه اي صلوة الجنازة فهي فرض كفاية ويقرا الفاتحة عند راسه اي بعد دفنه واول البقرة الى المفلحون عند رجليه ويدعو له اي بالرحمة والمغفرة وبالتثبيت في جواب الملكين ويتبرك به من حيث انه خرج من الدنيا محل الفتنة والبلوى فقد نظر ابراهيم الزيادي الى الناس ترحموا على ميت فقال لو ترحمون على انفسكم لكان اولى انه نجا من اهوال ثلثة وجه ملك الموت وقد راى

ومرادة

ومرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قدامه ويجتهد اي المصاب ان يكون عدد المصلين اي على جنازة قريبه اربعين او اقل من ذلك فهو علامة قبول الشفاعة اي لانه يبعد عن كرم الله ان لا يقبلها من هذه الجماعة ولعله رواية والا ففي ابن ماجة عن ابي هريرة من صلى عليه مائة من المسلمين غفر له ولا يرجع اي من غير ضرورة حتى يفرغ من الدفن ليحرز القيراطين ويقعد اي لا يقف بعد وضع الجنازة اي قبله واختلف ان المراد بها وضعها عن الرقاب او كما قال المص في القبر مخالفة لاهل الكتاب في هذا الامر ويتصدق الولي قبل مضي ليله بشيء اي من الصدقات والخيرات ان تيسر فان الميت ح كالغريق المتغوث يريد الخلاص والنجاة والا اي وان لم يتيسر التصدق الحسي فيتصدق بالمعنوي وهو ان يصلي ركعتين بالفاتحة واية الكرسي اي لاجل حفظه من العذاب والتكاثر اي وسورة الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر للاعتبار والتذكر وترك المفاخر عشرا اي عشر مرات في كل اي من الركعتين ويهبه الثواب رجاء النجاة من العذاب ويسلم اي على صاحب القبر ويقف مستدبر القبلة اي ومستقبل الميت كما هو في اداب السلام مع الانام ويجوز ان يجلس عنده حتى يستانس به وكان ابو الدرداء رض يقعد الى القبور فقيل له في ذلك فقال اجلس الى قوم يذكروني معادي وان قمت عنهم لم يغتابوني ويواظب اي الولي على الصدقة سبعة ايام ويزور القبر اي قبر صاحبه او القبور ناويا به الدعاء لاهله والرقة والعبرة لنفسه فورد زوروا القبور فانها تذكر الاخرة وفي رواية ابن ماجة عن ابي هريرة فانها تذكركم الاخرة وتدمع العين وترق القلب وفي رواية الحاكم عن انس كنت نهيتكم عن زيارة القبور الا فزوروها فانها ترق القلب وتدمع العين وتذكر الاخرة ولا تقولوا هجرا وفي رواية ابن ماجة عن ابن مسعود فانها تزهد في الدنيا وتذكر الاخرة من لم ينس اي وورد ايضا من لم ينس المقابر والبلى اي التفتت في عالم البلاء وحين قيل من ازهد الناس طرف لورود المعنى فتدبر وفي رواية البيهقي عن الضحاك مرسلا ازهد الناس من لم ينس القبر والبلى وترك فضل زينة الدنيا واثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد غدا من ايامه وعد نفسه في الموتى وفي رواية الترمذي وغيره عن اسماء بنت عميس بئس العبد عبد تخيل واختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد سهى ولها ونسي المقابر والبلى بئس العبد عبد عتا وطغى ونسي المبتدا والمنتهى بئس العبد عبد يختل الدنيا بالدين اي يطلب بئس العبد عبد يختل الدين بالشبهات بئس العبد عبد طمع يقوده بئس

العبد عبد هو بصيلة نسر كعبد عبد رغب بذلك والحاصل ان المقصود من زيارة القبور
للزائر الاعتبار بهذا البلاء وللمزور الانتفاع بالدعاء وعن عمر بن عبد العزيز انه
دخل عليه فقيه فتعجب من تغير صورة الخليفة لكثرة الجهد والعبادة فقال عمر للفقيه
لو رأيتني بعد ثلثة ايام وقد ادخلت في قبري وقد خرجت الحدقتان فسالتا على الخدين
تقلبت الشفتان وخرج الصديد من الفم ونتن البطن وعلى الصدر وانفتح الفم وخرج
الدود والصديد من المناخر لرأيت العجب مما تراه الآن وتقرأ القرآن ما تيسر ففي صحيح
مسلم عن ابي امامة الباهلي اقرؤا القرآن فانه يأتي يوم القيمة شفيعا لاصحابه ثم يسبح
ويدعو اي بالرحمة والمغفرة لنفسه وللمؤمنين والمؤمنات فان الاذكار كلها نافعة له
في تلك الدار وعن حاتم الاصم من مر بالمقابر ولم يعتبر لنفسه ولم يدع لهم فقد خان لنفسه
وخانهم وقال سفيان من اكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره
وجده حفرة من حفر النيران وورد قراءة يس في المشاهير اي في الاحاديث المشهورة او
الروايات المأثورة فقد تقدم حديث اقرؤا على موتاكم يس وحمله الجمهور على ان المراد بالموتى
المشرفون على الموت ولا يبعد على حمله حقيقة واما الجمع بين الحقيقة والمجاز فلا يجوز عندنا خلافا
للشافعي والاخلاص سبعا اي سبع مرات فوعد فيه مغفرة الميت والقارى ان نغفر الميت
اي ان كان الميت مغفورا ولم اجد له اصلا والمشهور انه يقرأ ثلاث مرات لانه بمنزلة ختم
القرآن بجميع الآيات ففي مسند احمد وغيره عن ابي من قرأ قل هو الله احد فكانما قرأ ثلث
القرآن وفي رواية العقيلي عن رجاء الغنوي من قرأ قل هو الله احد ثلث مرات فكانما قرأ
القرآن اجمع وفي رواية لاحمد عن معاذ بن انس من قرأ قل هو الله احد عشر مرات بنى الله له
قصرا في الجنة ويعين لها اي لزيارة القبور يوم الخميس والجمعة ففي رواية ابن عدي عن ابي بكر
من زار قبر والديه او احدهما يوم الجمعة فقرأ عنده يس غفر له والسبت اي لقربه الى
الجمعة والاثنين وانها ايام فواضل والعبادة فيها زيادة فضائل فالموتى يعلمون زو
فيها اي زيادة علمهم بها ولا يطأه اي كدوس القبر ولا يقعد عليه فللخطيب عن ابي هريرة
لان اطأ على جمرة احب الي من ان اطأ على قبره ولا يمس اي القبر ولا التابوت ولا الجدار
فورد النهي عن مثل ذلك بقبره عم بكيف بقبور سائر الانام ولا يقبل فانه زيادة
على المس فهو اولى بالنهي فالتقبيل مختص بالحجر الاسود وبايدي الانبيا والعلما والصلحا
ويبر الوالدين اي يحسن اليهما فان فيه خير الدارين قال تعالى ووصينا الانسان بوالديه
حسنا وفي قراءة احسانا فالعقوق اي مخالفة احدهما على وجه لا يحتمل لهما من الكبائر

وقلة الادب معهما من الصغائر وقد سئل عم عن الكبائر فقال سبع الاشراك بالله و
عقوق الوالدين الحديث وقال عز وجل وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين
احسانا وللطبراني في الصغير من حديث ابي هريرة ان الجنة يوجد ريحها من مسيرة
خمسمائة عام لا يجد ريحها عاق لا سيما الام فورد برها ضعفان على الوالد اي على
حقه كذا في الاحيا وقال المخرج غريب بهذا اللفظ وقد ورد في معناه حديث بهز بن
حكيم عن ابيه عن جده من ابر قال امك ثم امك ثم اباك ثم الاقرب فالاقرب ابو داود
والترمذي والحاكم وصححه وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة قال رجل من احق الناس بحسن الصحبة
قال امك ثم امك ثم اباك ولعله اقتبس من قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها
وحمله وفصاله ثلثون شهرا فان مشقة الحمل والوضع والفطام من زيادة حق
الوالدة مع ما لها من كمال الشفقة والمرحمة هذا وللنسائي من حديث طارق المحاربي
واحمد والحاكم من حديث ابي رمثة بر امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك
مقدما حال من فاعل يبر اي على المندوبات لا الواجبات اي الفرائض العينية من العبادات
فهو المراد بما ورد بر الوالدين افضل من الصلوة والصوم والحج والعمرة والجهاد
اي اذا كانت هذه الطاعات نوافل ولا يبعد ان يراد به المبالغة او يراد به من
حيث انه من حقوق العباد المستلزمة لحق الله سبحانه افضل من مجرد حقوق الله تعالى فان
العفو في ترك حقوق الرب اقرب ويؤيده ما في الاحيا من ان الله اوحى الى موسى عليه السلام
يا موسى انه من بر والديه وعقني كتبته بارا ومن برني وعق والديه كتبته عاقا واما حديث
المتن فكذا في الاحيا وقال المخرج لم اجده هكذا وروى ابو يعلى والطبراني في الصغير والاوسط
من حديث انس اتى رجل الى رسول الله صلى الله عم فقال اني اشتهي الجهاد ولا اقدر عليه قال
هل بقي من والديك احد قال امي قال فجاهد في برها فاذا فعلت ذلك فانت حاج ومعتمر
ومجاهد واسناده حسن واستاذن للدخول عليهما اي ادبا معهما حال حيوتهما ويستغفر
لهما اي بعد مماتهما وينفذ عهودهما ووصاياهما بل يقضي حقوقهما ولو من غير عهدهما ويكرم
اصدقاءهما فورد اي في صحيح مسلم من حديث ابن عمر ان من ابر البر اي من افضل الاحسان واكمل
الامتنان بالنسبة الى الوالدين للانسان ان يصل الرجل اي الشخص اهل ود ابيه بعد ان يولي
الاب اي في غيبته سواء كان في حال حيوته او موته وكذا حكم الوالدة بل هي الاولى كما لا يخفى
فروى ابو داود وابن ماجة وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد عن مالك بن ربيعة قال
بينا نحن عند رسول الله صلى الله عم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال هل بقي علي من بر والدي

شيء ابرهما بعد وفاتهما قال نعم الصلوة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما واكرام
صديقهما وصلة الرحم التي لا يوصل الا بهما ويتصدق عنهما لحديث الطبراني في الاوسط ما على
احد اذا اراد ان يتصدق بصدقة ان يجعلها لوالديه فيكون لوالديه اجرها ويكون له مثل اجورهما
من غير ان ينقص من اجورهما شيء ويزورهما حيا وميتا واقله في كل جمعة مرة فورد من زار قبر
ابويه او احدهما في كل جمعة اي يوم جمعة او هو الافضل لتضاعف الحسنة فيه بسبعين مرة او في
كل اسبوع غفر له وكتب برا الحكيم الترمذي عن ابي هريرة ويقيم لسان السفيه عنهما بماله فهو
من البر في حقه وحقهما ففي رواية العسكري والقضاعي عن جابر مرفوعا ما وقى به المرء
عرضه فهو له صدقة ويقدم حق المعلم اي للعلوم الشرعية على حقهما فان حقهما من الامور العرضية
فهو اي المعلم سبب حيوة الروح اي في الابد وهما سبب ايجاد الجسد في دار النكد والكبد ولا
يقرع باب داره بل يقف كالعبد في انتظاره فورد الشيخ في قومه كالنبي في امته فورد اي في
التنزيل ولو انهم اي المؤمنين الذين اتوا النبي صلى الله عليه وسلم صبروا اي من غير خطاب ولا دق
باب حتى تخرج اليهم وقت ذهاب واياب لكان خيرا لهم في كثرة ثواب وحسن ماب ويصل الرحم
بما امكن من عطاء وزيارة ودعاء وكذا ما يعرض من هناء وعزاء فورد من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فليصل رحمه لم اجد اصله وفي الصحيحين من حديث عايشة عنه عليه السلام يقول
الله تعالى انا الرحمن وهذا الرحم شققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها
بتته اي قطعته البتة وفيهما من حديث انس من سره ان ينسا له في اثره اي يؤخر في اجله ويوسع له
في رزقه فليصل رحمه وزاد احمد والحاكم باسناد جيد من حديث علي فليتق الله وليصل رحمه
ولاحمد والطبراني من حديث درة بنت ابي لهب باسناد حسن انه قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اي الناس افضل قال اتقاهم لله واوصلهم للرحم وامرهم بالمعروف وانهاهم
عن المنكر وللطبراني والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو ان الرحم معلقة بالعرش
وليس الواصل بالمكافي ولكن الواصل الذي اذا قطعت رحمه وصلها وهو عند البخاري
دون قوله الرحم معلقة بالعرش فرواها مسلم من حديث ولاحمد من حديث معاذ وللطبراني
من حديث ابي امامة افضل الفضائل ان يصل من قطعك وتعطي من حرمك وتصفح عمن
ظلمك وقالت اسماء بنت ابي بكر قدمت علي امي فقلت يا رسول الله ان امي قدمت علي امي
مشركة افاصلها قال نعم صليها رواه الشيخان وفي رواية افاعطيها قال نعم صليها وهو
مقتبس من قوله تعالى وصاحبهما في الدنيا معروفا وللترمذي وحسنه والنسائي وابن ماجة
من حديث سلمان بن عامر الضبي الصدقة على المسكين صدقة وعلى ذي الرحم صدقة وصلة بلوا اي ودد

وبلوا

وبلوا وهو بضم الباء واللام المشددة اي جددوا وفي رواية صلوا ارحامكم ولو بالسلام
اي مشافهة او مكاتبة والحديث رواه العسكري من حديث انس مرفوعا قيل يكره جوار
القريب اي مجاورته وكذا مسافرته فهو يرفع الحرمة ويورث القطيعة اي بسبب الملالة كما
قيل في كراهة مجاورة مكة والمدينة انها سبب قلة الحشمة والعظمة وعن عمر رضي الله عنه انه كتب
الى عماله ذوا الاقارب ان يتزاوروا ولا يتجاوروا ونظيره انه كان يقول في الحج يا اهل
اليمن يمنكم ويا اهل العراق عراقكم ويا اهل الشام شامكم ويزوره غبا اي ليرداد حبا ويرعى
حق الكبير من الاخ والاخت والعم والعمة والخال والخالة كحق الابوين والصغير اي منهم
كالولد اي والمساوي كالاخ ويشتريه اي قريبه مملوكا ليعتق اي لاجل ان يعتقه او ليعتق عليه
اذا كان ذي رحم محرم منه كما هو مذهبنا لا سيما الوالدين فهو قضاء حقهما وفي صحيح مسلم
عن ابي هريرة لن يجزي ولد والده حتى يجده مملوكا فيشتريه فيعتقه اي بان ينوي عتقه
او يصير سبب لعتقه ويبالغ في استرضاء الجار فقيل الجار ثم الدار واستنبط هذه النكتة
من قول آسية امرأة فرعون اذ قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة فورد اي في الصحيحين
عن عايشة وابن عمر ما زال جبريل يوصيني في الجار اي بالاحسان في حقه بالمال وغيره حتى ظننت
انه اي الجار سيورثه اي الجار الاخر وفيهما عن ابي شريح من كان يؤمن بالله واليوم الاخر
فليكرم جاره وللبخاري عنه لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوايقه وللبزار وابي الشيخ و
ابي نعيم عن جابر الجيران ثلثة جار له حق وجار له حقان وجار له ثلثة حقوق فالجار
الذي له ثلثة حقوق هو الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار وحق الاسلام وحق الرحم واما
الذي له حقان فالجار المسلم له حق الجوار وحق الاسلام واما الذي له واحد فالجار
المشرك اقول لعله حقه اقوى من غيره لانه لا يسامحه في تقصيره وكان هذا هو الموجب فيما نقله
ابن كنت عند عبد الله بن عمرو وغلام له يسلخ شاة فقال يا غلام اذا سلخت فابدأ بجارنا
اليهودي حتى قال ذلك مرارا فقال له كم تقول هذا فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يوصينا
بالجار حتى خشينا انه سيورثه رواه ابو داود والترمذي وقال حسن غريب ولاحمد و
الحاكم وصححه من حديث ابي هريرة انه قيل له عليه السلام ان فلانة تصوم النهار وتقوم
الليل وتؤذي جيرانها فقال هي في النار وللطبراني وابن عدي عن عمرو بن شعيب عن ابيه عن
جده اتدرون ما حق الجار ان استعانك اعنته وان استقرضك اقرضته وان افتقر
عدت عليه وان مات شيعت جنازته وان اصابه خير هنأته وان اصابته مصيبة عزيته
ولا يستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه وان اشتريت فاكهة فاهد له فان

لم تفعل فادخله سرا ولا تخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده ولا تؤذه بقتار قدرك الا
ان تغرف له منها اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يبلغ حق الجار الا من رحمه الله
وقال ابو ذر اوصاني خليلي عم وقال اذا طبخت فاكثر المرق ثم انظر اهل بيت من جيرانك
فاغرف لهم منها رواه مسلم وعن ابي هريرة مرفوعا يا نساء المسلمات لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن
شاة رواه البخاري وجملته ان يحب له ما يحب لنفسه فقد حكي ان بعضهم شكى كثرة الفار في داره
فقيل لو اقتنيت هرا فقال اخشى ان يسمع صوت الهر فيهرب منه الى دار الجار فاكون قد احببت
له ما لا احببت لنفسي يمن الدار اي وورد بركته سعته اي وسعته بقدر الكفاية وحسن
جوار اهله اي مجاورته والحديث اخرجه مسلم من حديث ابن عمر الشوم في الدار والمراة والفرس
قيل فيمن الدار سعته وحسن جوار اهله وشومه ضيقه وسوء جوار اهله وشوم المراة
عقم رحمها وسوء خلقها ويمنها خفة مهرها ويسر نكاحها وحسن خلقها ويمن الفرس ذله
وحسن خلقه وشومه صعوبته وسوء خلقه وللدمياطي من رواية سالم بن عبد الله موصولا
اذا كان الفرس ضروبا فهو مشوم واذا كانت المراة قد عرفت زوجا قبل زوجها فحنت
الى الزوج الاول فهي مشومة واسناده ضعيف واذا كانت الدار بعيدة من المسجد لا يسمع
منها الاذان والاقامة فهي مشومة واسناده ضعيف ووصله صاحب الفردوس وذكر
ابن عمر هوينا فيما ورد من قوله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم وقوله عم يا بني سلمة دياركم
دياركم يكتب آثاركم فانه محمول على ان الاجر على قدر المشقة ففي هذا الاعتبار مباركة ومقبولة
وورد في حده اربعون دارا فعن الزهري مرسلا ان رجلا اتى النبي عم يشكو جاره فامر
عليه السلام ان ينادى على باب المسجد الا ان اربعين دارا جار ابو داود في مراسيله قال
الزهري اربعين هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واربعون هكذا واوما الى اربع جهات
ووصله الطبراني من رواية الزهري عن ابن كعب بن مالك عن ابيه ورواه ابو يعلى من
حديث ابي هريرة وقال اربعون ذراعا وكلاهما ضعيف وروي اربعون في كل جهة وهذا
قد علم مما تقدم فكانه يشير الى ما قيل من المراد باربعين في مجموع الجهات بان يكون عشرة
في كل جهة وعن عايشة قلت يا رسول الله ان لي جارين احدهما مقبل ببابه والاخر ناء
عني وربما كان الذي عندي لا يسعهما فايهما اعظم حقا قال المقبل عليك ببابه رواه
البخاري ففيه تنبيه الى مراعات الاقرب كما يشير اليه قوله تعالى والجار ذي القربى
والجار الجنب وعن ابن مسعود قال رجل يا رسول الله كيف لي ان اعلم اذا احسنت او
اسأت قال اذا سمعت جيرانك يقولون قد احسنت فقد احسنت واذا سمعت جيرانك

يقولون

يقولون اسأت فقد اسأت احمد والطبراني باسناد جيد ولاحمد وغيره عنه عم من
اراد به خيرا عسله قال يحببه الى جيرانه وفي رواية البيهقي يفتح له عملا صالحا قبل موته
حتى يرضى عنه من حوله واسناده جيد ويحترز عن النظر الى بيته بان لا يطلع من
السطح وغيره على عوراته وان اطلع من غير قصد فيصفح عن زلاته واجراء الميزاب
اليه يكون ضرر الانصباب عليه ووضع السارية اي الاسطوانة على حايطه اي جداره
في الصحيحين عن ابي هريرة لا يمنعن احدكم جاره ان يغرز خشبة في جداره وفي مكارم الاخلاق
للخرايطي عن ابي هريرة قضى عم ان الجار يضع جزعة في حائط جاره شاء ام ابى واسناده
جيد والمضايقة في القاء التراب اي ونحوه من الرماد وغيره بين يدي داره ولا يمنع عنه
الريح برفع البناء وكذا الضوء بسد الهواء ولا نحو الملح والماء والنار فان منعها مطلقا
من العار فيكف عن الجار ويرسل اليه بثمرة اي فاكهة يشتريها او يخفيها بان لا يبديها الا انه
اذا راها بما يشتهيها ولم يكن قادرا عليها ان يشتريها ولا يبلغه اي لا يوصل ريح القدر
اي غليانه ودخانه الا ان يرسل اليه والا فيقال في حقه احسانه ما يأتينا دخانه
يعنينا ويسامح ما امكن اي من تقصيراته لانه ليس من حق الجار مجرد كف الاذى بل احتمال
الاذى ولا يكفي احتمال الاذى بل لا بد من الرفق وبذل الندى ويحسن المعاشرة مع
المراة فيحسن الخلق معهن ويحمل الاذى عنهن ترحما عليهن لقصور عقلهن فورد في القرآن
وعاشروهن بالمعروف تمامه فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا
كثيرا وفي اية اخرى فامساك بمعروف او تسريح باحسان وفي اخرى ولهن مثل الذي عليهن
بالمعروف وعن ابن عباس اني احب ان اتزين لامراتي كما تحب امراتي ان تتزين لي لهذه
الاية من صبر اي محمد من صبر على سوء خلق امراته اعطاه الله من الاجر مثل ما اعطى ايوب
على بلائه ومن صبرت على سوء خلق زوجها اعطاها الله ثواب آسية امراة فرعون
كذا في الاحياء وقال المخرج لم اجد له اصلا قلت ومما يدل على عدم ثبوته فقد الملايمة بين
الفقرتين فان امراة ايوب كانت من الصالحات والصابرات على المشقات فحسن المقابلة
ان يقال مثل ما اعطى نوح او لوط على بلائه اي ابتلائه بامراته فيكون مشيرا الى قوله تعالى
ضرب الله مثلا للذين كفروا امراة نوح وامراة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا
صالحين فخانتاهما اي بالكفر فلم يغنيا عنهما لان حرم الانبياء مصونات عن الزنا الى ان
قال وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرات فرعون الاية وقد ورد عنه عم اكمل المؤمنين ايمانا
احسنهم خلقا والطفهم باهله الترمذي والنسائي والحاكم وصححه وللترمذي من حديث عائشة

وصححه خيركم لاهله وانا خيركم لاهلى ثم ليس حسن الخلق معها مجرد كف الاذى عنها
بل تحمل الاذى منها والحلم عند طيشها وغضبها وقلة ادبها اقتداء به ع م فان
ازواجه كن يراجعنه فى الكلام وتهجره الواحدة منهن الى الليل كما فى الصحيحين من
حديث عمر فى الحديث الطويل فى قوله تعالى وان تظاهرا عليه اى حفصة وعائشة وفى
رواية ابى يعلى فى مسنده وابى الشيخ فى كتابه الامثال وفيه ابن اسحق وقد عنعنه
قالت عائشة له مرة فى كلام غضبت عنده انت الذى تزعم انك نبى الله فتبسم رسول الله
صلى الله ع م واحتمل ذلك حلما وكرما اقول وهذا العلم ع م بانها ما خرجت بهذا
الكلام من الاسلام لما اطلعه الله سبحانه من علم الغيب فى الاحكام والا فظاهره
ردة لو صدر مثله من غيرها فحكم بكفرها وكان ع م يقول لها انى لاعرف غضبك على
من رضاك قالت وكيف تعرفه قال اذا رضيت قلت لا واله محمد فقال او تراجعنى فقالت
ان ازواج رسول الله صلى الله ع م تراجعنه فقال خابت حفصة وخسرت اى ان
راجعته ثم قال لحفصة لا تغترى بابنة ابن ابى قحافة فانها حب رسول الله صلى الله ع م
وروى انه وقعت احديهن فى صدر رسول الله صلى الله ع م فزبرتها امها فقال ع م
دعيها فانهن يصنعن اكثر من ذلك وينبسط لعبا ومزاحا فانه يوجب صلاح ويفيد فلاحها
فورد اى خطابا لجابر هلا بكرا اى اخذتها تلاعبها وتلاعبك وفى نسخة تداعبها
وتداعبك وكان ع م يخرج معهن وينزل الى درجة عقولهن حتى روى انه ع م كان
يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما وسبقها فى بعض الايام فقال ع م هذه بتلك
ابو داود والنسائى فى الكبرى وابن ماجة من حديث عائشة بسند صحيح وقالت عائشة
سمعت اصوات اناس من الحبشة وغيرهم يلعبون فى يوم عيد فقال لى اتحبين ان ترى
لعبهم قالت قلت نعم فارسل اليهم فجاؤا وقام ع م بين البابين ووضع كفه على الباب
ومد يده فجعلت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وانظر وجعل رسول الله صلى الله ع م
يقول حسبك يا حميرا واقول لا تعجل مرتين والحديث رواه الشيخان والنسائى مع
اختلاف فى بعض الالفاظ وقال عمر رضى الله عنه مع خشونته ينبغى للرجل ان يكون
فى اهله كالصبى فاذا التمس ما عنده وجد رجلا وكذا روى عن لقمان ووصفت اعرابية
زوجها وقد مات فقالت كان ضحوكا اذا ولج سكوتا اذا خرج آكلا ما وجد غير
سائل عما فقد ولا يدع الانقباض اى بالمراة حتى لا يصير محكوما للمراة واسيرا لها
فى الجملة فكانت نساء العرب يعلمن بناتهن اختبار ازواجهن وتقول لبنتها اختبرى

زوجك

زوجك قبل الاقدام والجراءة عليه انزعى زج رمحه فان سكت فقطعى اللحم على ترسه
فان سكت فكسرى العظام بسيفه فان صبر فاجعلى الاكاف على ظهره فانما هو حمارك فى قوله
طول عمره هذا وفى البخارى عن ابى بكرة لا يفلح قوم تملكهم امراة وروى ان اسما بنت
خارجة الفزارى قال لابنته عند زفافها انك خرجت من العش الذى فيه درجت
وصرت الى فراش لم تعرفيه وقرين لم تالفيه فكونى له ارضا يكون لك سما وكونى له
مهادا يكن لك عمادا وكونى له امة يكن لك عبدا لا تلحفى به فيقلاك ولا تتباعدى
فينساك ان دنا فاقربى منه وان نأى فابعدى عنه واحفظى انفه وسمعه وعينه
لا يشم منك الا طيبا ولا يسمع منك الا حسنا ولا ينظر منك الا جميلا وقال رجل
لزوجته شعر خذى العفو منى تستديمى مودتى ولا تنطقى فى سورتى حين اغضب
وتنقرنى نقرة الدف مرة فانك لا تدرين الخروج ويعصى الرجل عنها فى تلك الحال
ويعدل بين النساء فى البيتوتة اى فى بيت الليل عندهن والاعطاء اى عن نفقتهن وكسوتهن
فلا يميل الى بعضهن دون غيرهن حتى لو خرج الى سفر واراد استصحاب واحدة منهن
اقرع بينهن كذلك يفعله ع م كما فى الصحيحين عن عائشة وذلك لقوله تعالى ولن تستطيعوا
ان تعدلوا بين النساء اى كمال العدل ولو حرصتم اى من طريق الفضل فلا تميلوا كل الميل
اى الى واحدة دون اخرى فتذروها كالمعلقة بين المزوجة والمعلقة فورد فى
المائل اى فى قسم جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل اصحاب السنن وابن حبان من حديث
ابى هريرة مرفوعا من كان له امراتان فمال الى احديهما دون الاخرى وفى رواية فمال
مع احديهما وفى الاخرى فلم يعدل بينهما جاء يوم القيمة واحد شقيه مائل اى
ساقط بخلاف المباشرة استثناء معنوى من البيتوتة والاعطاء اى لكن المجامعة
بل الملامسة والملاعبة والمحبة التى يتفرع عليها غالبا اسباب الملايمة فلا اختيار
فيهما اى طبعا فلا خرج فى عدم العدل فيهما شرعا وورد اى عنه ع م انه كان يعدل
بينهن ويقول اللهم هذا اى الذى فعلته من القسم جهدى بالضم الطاقة وبالفتح
المشقة اى غاية اجتهادى فيما املك اى من العدل بينهن ولا طاقة فيما لا املك
اى من زيادة المحبة والجامعة الى بعضهن بعد القسم ظرف لورد اى قال بعد الكلام
بعد القسم والحديث رواه اصحاب السنن وابن حبان من حديث عائشة انه ع م يعدل
بينهن ويقول اللهم هذا جهدى فيما املك ولا طاقة لى فيما تملك ولا املك ولابن
سعد فى الطبقات من رواية محمد بن على بن الحسين ان النبى كان يحمل فى ثوب يطاف به

على نسائه وهو مريض يقسم بينهن وفي مرسل آخر انه لما ثقل عم قال اين انا غدا قالوا
عند فلانة فاين انا بعد غد قالوا عند فلانة فعرف ازواجه يريد عائشة الحديث
وللبخاري من حديث عائشة كان يسئل في مرضه الذي مات فيه اين انا غدا اين انا غدا يريد
عائشة فاذن به ازواجه ان يكون حيث شاء وفي الصحيحين لما ثقل استاذن ازواجه
ان يمرض في بيتي فاذن له هذا وقال تعالى وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا
فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير ولابي داود من حديث عائشة قالت
سودة رضي الله عنها وهي بنت زمعة حين اسنت وفرقت ان يفارقها رسول الله صلى
الله عم يا رسول الله يومي لعائشة الحديث والطبراني فاراد ان يفارقها وهو عند البخاري
بلفظ لما ان كبرت سودة وهبت يومها لعائشة وكان يقسم لها يوم سودة وللبيهقي
مرسلا طلق سودة فقالت اريد ان احشر في ازواجك الحديث ثم انه عم مع حسن عدله و
قوة فضله كان اذا تاقت نفسه الى واحدة من نسائه في غير يومها جامعها ثم طاف عن يومه
ذلك او ليلته على سائر نسائه فمن ذلك ما في الصحيحين عن عائشة طاف على نسائه في
ليلة واحدة وللبخاري كان يطوف على نسائه في ليلة واحدة وله تسع نسوة ولابن
عدي في الكامل عن انس رض انه عم طاف على تسع نسوة في ضحوة نهار قيل وهذا من خصوصياته
عليه السلام ولو وقع الخصومة اي المخالفة من الجانبين اي جانبي الزوجين او جانبه اي
جانب الرجل وحده فلا تلتئم اي خصومتهما ولا يجتمع امرهما فلا بد من حكمين من اهله
واهلها فورد في القران ان يريدا اصلاحا الاية وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من
اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وضمير يريدا الى الزوجين
كضمير بينهما اذ الاول الى الحكمين والثاني الى الزوجين ويؤيده ان عمر رضي الله عنه
بعث حكما الى زوجين فعادا ولم يصلحا امرهما فعلاهما بالدرة وقال ان تعالى يقول
ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فعادا او احسنا النية وتلطفا في العضية فاصلح
ما بينهما وقد جرى بينه عم وبين عائشة نوع من الكلام حتى ادخلا بينهما ابا بكر حكما
فاستشهده فقال لها عم تكلمين او اتكلم فقالت تكلم انت ولا تقول الا حقا فلطمها
ابو بكر حتى دمي فمها فقال يا عدية نفسها او يقول غير الحق فاستجارت برسول الله
صلى الله عم وقعدت خلف ظهره فقال له عم لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك
وان كان اي النشوز من جانبها اي المراة فقط فقد قال تعالى وللرجال عليهن درجة
وقال الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات

قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتي تخافون نشوزهن فعظوهن و
اهجروهن في المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا وهذا معنى
قوله يعظ الزوج اي ينصحها ويلاطفها اولا لقوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة
والموعظة الحسنة ثم يخوف اي يحذر المراة من الضرب ونحوه ثم يستدبر في الفراش بان يدير
لها ظهره في المضجع ثم يعزلها اي ينفرد بفراشه عنها دون البيت اي من غير ان يخرج هو او
هي من البيت ثم يهاجر اي يهجرها وهو مع ذلك في البيت معها ثلثة ايام اي من ليلة الى
ثلث ليال وجاء اي ورد انه جاز ان يهجرها عشرا وعشرين وشهرا ان كان للذنب
كترك الصلوة وغسل جنابة واباء فراش ونحوها فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
اذا رسل بهدية الى زينب فردتها عليه فقالت له التي هو في بيتها لقد اقماتك اذ ردت
عليك هديتك اي اذلتك عليك واستصغرتك فقال عم انتن اهون على الله
ان تقمئني ثم غضب عليهن كلهن شهرا الى ان عاد اليهن كذا في الاحيا وذكره ابن الجوزي
بغير اسناد في الوفاء وفي الصحيحين من حديث عمر كان اقسم ان لا يدخل عليهن وفي رواية آلى
منهن شهرا ولمسلم من حديث جابر ثم اعتزلهن شهرا ثم يضرب اي المراة ضربا غير جارح ولا
كاسر اعظم ولا ملطخ بدم ولا على وجه ايضا فورد فيه اي في بيان هذا الحكم من امره
ونهيه عنه عم وقد قيل له ما حق المراة على الرجل فقال يطعمها اذا طعم ويكسوها اذا
اكتسى ولا يقبح الوجه ولا يضرب الا ضربا غير مبرح اي غير مولم ولا يهجر الا في البيت
ابو داود والنسائي في الكبرى وابن ماجة من رواية معاوية بن حيدة وقال ولا يضرب
الوجه ولا يقبح لا يقول قبح الله وجهك وفي رواية لابي داود ولا يقبح الوجه ولا يضرب
ولا يطلق اي من غير احتياج الى اختيار الفراق فورد ابغض المباحات عند الله الطلاق
رواه ابو داود وابن ماجة والحاكم في مستدركه عن ابن عمر ولفظه ابغض الحلال الى الله
الطلاق وفي رواية للحاكم ما احل الله شيئا ابغض اليه من الطلاق وعند الديلمي من
حديث معاذ بن جبل ان الله يبغض الطلاق ويحب العتاق وفي رواية له ما احل الله
حلالا احب اليه من النكاح ولا احل حلالا اكره اليه من الطلاق ويقال المباح
ما استوى فعله وتركه فلا يتصور ان يكون احد طرفيه مبغوضا فلا بد من التجوز في
المباح بارادة ما يشتمل المكروه ففي الكافي ان الطلاق محظور في اصله مباح نظرا
الى الحاجة فالطلاق المباح نظرا الى الحاجة والوصف بالمبغوضية نظر الى اصله انتهى
وحاصله انه عند الحاجة مباح وعند غيرها مكروه ونظيره السؤال عن الناس

فانه يحرم باصله ويباح عند الضرورة الى فرعه ولانه اى الطلاق ايذاء اى في مقام الافتراق
ولا يباح ايذاء الغير الا لضرورة منه اى من جانبه او جناية منها اى من جانبها بان كانت
تؤذى زوجها او اهله او تكون سيئة فى خلقها او فاسدة فى دينها والا فقد قال تعالى فان
اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا او امر ابى اى ولاجل امر ابى الزوج به اى بطلاقها
ان صح الغرض اى غرض الاب ولا يكون عن حظ النفس او الغضب وهو ما تؤدى رأيه مروى عن
ابن عمر انه قال كان تحتى امرأة احبها وكان ابى يكرهها ويأمرنى بطلاقها فراجعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا ابن عمر طلق امرأتك اصحاب السنن قال الترمذى حسن صحيح وورد فلا
جناح عليهما الاية وتمامها فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به
ببذل مال ويكره للرجال ان يأخذ منها اكثر مما اعطاها فان ذلك اجحاف بها وتحامل عليها
وتجارة على بضعها فالاولى بالفداء رد ما اخذته من العطاء فيطلق اى حال فى طهر خال
عن الجماع فان الطلاق فى الحيض والطهر الذى جامعها فيه بدعى حرام وان كان واقعا
لما فيه من تطويل العدة وتحصيل المضرة فان فعل ذلك فليراجعها فقد طلق ابن عمر امرأته
فى الحيض فقال عليه السلام لعمر مره فليراجعها حتى تطهر ثم تحيض ثم تطهر ثم ان شاء طلقها وان
شاء امسكها فتلك العدة التى امر الله بطلاقها النساء وانما امره بالصبر بعد الرجعة من
طهرين لئلا يكون مقصود الرجعة الطلاق فقط كذا فى الاحيا وهو موافق لمذهب الشافعى
ان الخلع فسخ او طلاق رجعى واما على مذهبنا انه طلاق باين فلا يمكن ان يراجعها وانما
يراجعها اذا كان الطلاق رجعيا واما حديث ابن عمر فمحمول على الطلاق الرجعى واحدة فقط
اى يقتصر على طلقة واحدة ولا يجمع بين الثلث فانه طلاق بدعى ايضا وهو حرام عندنا
ومكروه عند الشافعى ولان الطلقة الواحدة تفيد المقصود من المفارقة ويستفيد
بها الرجعة ان ندم فى العدة وتجديد النكاح ان اراد بعد العدة واذا طلق ثلثا
ربما ندم فيحتاج الى ان يتزوجها محلل والى الصبر مدة وعقد المحلل منهى عنه
مكروه فيه ويكون هو الساعى له ثم يكون قلبه معلقا بزوجة الغير ومطلقته اعنى
زوجة المحلل بعد ان زوجت منه فيورث كل ذلك تنفيرا فى الزوجة وكل ذلك
ثمرة الجمع بين المطلقات الثلث بلا تعنيف واستخفاف اى ينبغى ان يتلطف فى التعلل
لتطليقها ولا يستعجل فى امر تعريفها ويستر جهديه اى ويخفى بارسال هدية على سبيل
المتعة فى القضية جبرا للمصيبة اى لما اصابها من البلية وقد قال تعالى ومتعوهن بالمعروف
وذلك واجب فى بعض الصور ومستحبة فى بعضها وفى الكتب الفقهية يذكر تفصيلها

وكان

وكان الحسن بن على رضى الله عنهما مطلاقا منكاحا قائلا انى وجدت الغنى فيهما حيث
قال سبحانه ان يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال وان يتفرقا يغن الله كلا من سعته
وقد وجد ذات يوم بعض اصحابه بطلاق امرأتين من نسائه وقال قل لهما اعتدا وادفع
الى كل واحدة عشرة الف درهم ففعل فلما رجع اليه قال ماذا فعلت فقال اما احديهما
فسكتت ونكست رأسها واما الاخرى فبكت وانتحبت وسمعتها تقول متاع قليل
من حبيب مفارق فاطرق الحسن ورحمها وقال لو كنت مراجعا امرأة بعد ما فارقتها
لراجعتها ودخل الحسن ذات يوم على عبد الرحمن بن الحارث بن هشام فقيه المدينة و
رئيسها ولم يكن له فى المدينة نظير وبه ضربت المثل عايشة رضها حيث قالت لو لم
اسر مسيرى ذلك لكان احب الى من ان يكون لى ستة عشر ذكرا من رسول الله صلى الله
عليه السلام مثل عبد الرحمن ابن الحارث فدخل الحسن فى بيته فعظمه عبد الرحمن واجلسه
واكرمه فقال الا ارسلت الى فكنت آتيك فقال الحاجة لنا فقال وما هى قال جئتك
خاطبا ابنتك فاطرق عبد الرحمن ثم رفع رأسه فقال والله ما على وجه الارض احد يمشى
عليها اعز على منك ولكن تعلم ان ابنتى بضعة منى وانت مطلاق فاخاف ان تطلقها و
ان فعلت خشيت ان يتغير قلبى فى محبتك واكره ان يتغير قلبى عليك لانك بضعة من رسول الله
صلى الله عليه وسلم فان شرطت ان لا تطلقها زوجتك فسكت الحسن وقام وخرج فقال بعض
اهل بيته سمعته وهو يمشى يقول ما اراد عبد الرحمن الا ان يجعل ابنته طوقا فى عنقى
فكان على رضى الله عنه يضجر من كثرة تطليقه وكان يعتذر منه على المنبر الى ان قال فى خطبته ان
حسنا مطلاق فلا تنكحوه فقال رجل من همدان فقال والله يا امير المؤمنين لننكحنه ما شاء
فان احب امسك وان احب ترك فسر ذلك عليا فقال لو كنت بوابا على باب الجنة لقلت
لهمدان ادخلوا بسلام ولا تطلبه اى الطلاق المرأة اى من غير الضرورة ففيه الوعيد اى
التهديد الشديد فلابى داود والترمذى وحسنه وابن ماجة وابن حبان من حديث ثوبان
ايما امرأة سئلت زوجها طلاقها من غير باس لم ترح رائحة الجنة وفى لفظ فالجنة
ومما ينبغى للزوج ان لا يفشى سرها عند النكاح ولا عند الطلاق فقد ورد فى افشاء
سر الناس فى الخبر الصحيح وعيد عظيم كذا فى الاحيا وفى صحيح مسلم من حديث ابى سعيد قال عليه السلام
ان اعظم الامانة عند الله يوم القيمة الرجل يفضى الى امرأته وتفضى ثم يفشى سرها
يعنى او تفشى سره فان المجالس بالامانة كما ورد وروى ان بعض الصالحين اراد طلاق
امرأته فقيل له ما الذى يريبك منها فقال العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل

لم طلقتها فقال مالي ولامرائي غيري وهذا بيان ما على الزوج واما حق الزوج على المراة
فكما بينه بقوله وتطيع الزوج اي مطلقا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه
فورد ايما امراة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة الترمذي وابن ماجة من حديث ام سلمة
وقال الترمذي حسن غريب ولا تمنع نفسها اي عنه ولو كانت على تنور او قتب مستور فلابن
حبان من حديث ابي هريرة اذا صلت المراة خمسها وصامت شهرها وحفظت فرجها واطاعت
زوجها دخلت جنة ربها وفي الصحيحين من حديث ابن عباس اطلعت في النار فاذا اكثر اهلها النساء
فقلن يا رسول الله فقال يكثرن اللعن ويكفرن العشير يعني الزوج المعاشر ولاحمد من حديث
ابي امامة اطلعت في الجنة فاذا اقل اهلها النسا قال شغلهن الاحمران الذهب والحرير وفي
نعيم ويل للناس من الاحمرين الذهب والزعفرين يعني الحلي وسائر الاسباب ومصلحات الثياب
وتنقي نفسها وتزينها لتمتعه اي لانتفاعه بها مستعدة في الاحوال كلها فعن الاصمعي رايت في
البادية امراة عليها قميص احمر وهي مختضبة وبيدها سبحة فقلت ما ابعد هذا من هذا فقالت
شعر ولله مني جانب لا اضيعه ... واللهو مني والبطالة جانب ... قال فعلمت انها امراة صالحة
لها زوج تزين له وتستاذنه في الاعطاء من البيت اي من مطاعه بل ومن متاعها عند بعض العلما
وفي الاحيا عنه عم لا يحل لها ان تطعم الا الرطب الذي يخاف فساده لابي داود من حديث
سعد قالت امراة يا رسول الله انا كل على آبائنا وابنائنا وازواجنا فما يحل لنا من
اموالهم قال الرطب تاكلنه وتهدينه وصحح الدارقطني في العلل ان سعد هذا رجل
من الانصار ليس ابن ابي وقاص وذكره البزار في مسند ابن ابي وقاص واختاره
ابن القطان ولمسلم من حديث عائشة اذا انفقت المراة من طعام بيتها غير مفسدة كان
لها اجرها بما انفقت ولزوجها بما كسبت والخروج عنه اي وعن خروجها من البيت ولو
الى المساجد ونحوها وصوم النفل اي اذا كان عندها فالبيهقي عن ابن عمر اتت امراة
من خثعم الى رسول الله صلى الله عم فقالت اني امراة ايم واريد ان اتزوج فما حق الزوج
على المراة اذا ارادها على نفسها وهي على ظهر بعير ان لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطي
شيئا من بيته الا باذنه فان فعلت ذلك كان عليها الوزر وله الاجر ومن حقه ان
لا تصوم تطوعا الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل منها ومن حقه ان لا
تخرج من بيتها بغير اذنه فان فعلت لعنتها الملائكة حتى ترجع الى بيتها او تتوب وللحاكم
وصححه عن ابي هريرة اتت فتاة الى النبي صلى الله عم فقالت يا نبي الله اني امراة فتاة
اخطب وانا اكره التزويج فما حق الزوج على المراة قال لو كان من قرنه الى قدمه صديد

فلحسه

آجوه مو

فلحسته ما ادت شكره قالت ما اتزوج اذا وللترمذي وابن حبان من حديث ابي هريرة لو امرت
احدا ان يسجد لاحد لامرت المراة ان تسجد لزوجها من عظم حقه عليها ولا تغيبه بالغيبة
اي لا في صحبته ولا في غيبته ولا تؤذيه في سره وعلانيته فللترمذي وابن ماجة عن معاذ
ابن جبل لا تؤذي امراة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه
قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا ولا تستفاخر على الزوج
بمالها وجمالها فقد روي الاصمعي قال دخلت البادية فاذا انا بامراة من احسن الناس تحت
رجل من اقبح الناس فقلت لها يا هذه اترضين لنفسك ان تكوني تحت مثله فقالت
يا هذا اسكت فقد اسات في قولك لعله احسن فيما بينه وبين خالقه فجعلني ثوابه ولعلي
اسات فيما بيني وبين خالقي فجعله عقوبتي افلا ارضي بما رضي الله لي فاسكتني وفي رواية
له رايت في البادية اعرابية من احسن الناس ورايت زوجها من اقبح الناس وهي تقول لزوجها
بشرى لك فانت وانا في الجنة فقال لها اعلمك بذلك فقالت ابتليت انا بمثلك فصبرت وموضع
الصابرين في الجنة فابتليت انت بمثلي فشكرت وموضع الشاكرين في الجنة وتقدم حقه
اي حق الزوج على الاقارب حتى على الوالدين فللطبراني في الاوسط عن انس كان رجل خرج
الى سفر وعهد الى امراته ان لا تنزل من العلو الى السفل وكان ابوها في السفل فمرض
فارسلت المراة الى رسول الله صلى الله عم تستاذن في النزول الى ابيها فقال عم اطيعي
زوجك فدفن ابوها فارسل عم يخبرها ان الله غفر لابيها بطاعتها لزوجها ولا
تنبسط في الكلام مع حبيبه اي مع صديق زوجها لا سيما في حال غيبته عن بدلها وتنقبض
في غيبته بترك الملاعبة في حال المصاحبة والالتذاذ بانواع من الطعام واصناف من الزينة
في ذلك المقام لان الوقت تقتضي الحزن والاهتمام وتقوم بامور البيت اي بكل خدمة
في الدار تقدر عليها من غير نظر الى عار اهل الديار فقد روي عن اسماء بنت ابي بكر الصديق
رضي الله عنهما انها قالت تزوجني الزبير وما له في الارض مال ولا مملوك ولا شيء غير
فرسه وناضحه فكنت اعلف فرسه واكفيه مؤنته واسوسه وادق النوى لناضحه و
اعلفه واستقي الماء واخرز غربه واعجن وكنت انقل النوى اي اجمعه على راسي من
ثلثي فرسخ حتى ارسل الي ابو بكر بخادم فكفاني سياسة الفرس فكانما اعتقني ولقيت
رسول الله صلى الله عم يوما ومعه اصحابه والنوى على راسي فقال عم اخ اخ ليبنخ
ناقته ويحملني خلفه فاستحييت ان اسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان
اغير الناس فعرف رسول الله صلى الله عم اني استحييت فجئت فحكيت له ما جرى فقال
لحملك النوى على راسك اشد من ركوبك معه عليه السلام رواه الشيخان ومن جملة

القيام بامور بيتها ودوام لزوم سكونها وعدم خروجها من غير ضرورة افلا بن حبان من
حديث ابن مسعود اقرب ما يكون المرأة من ربها اذا كانت في قعر بيتها وان صلاتها في صحن
دارها افضل من صلاتها في المسجد ولا تستبدل زوجها بعد وفاته لتكون زوجته في الجنة
اى على تقدير ايمانهما الجنة واما اذا تزوجت بعده فاختلفت في انها تكون للاول او الثاني
او تخير فيهما وهو الاظهر وفي البستان اما من قال هي للآخر منهما فذهب الى ما روي عن
معاوية بن ابي سفيان انه خطب ام الدرداء فقالت سمعت ابا الدرداء يحدث عن رسول الله صلى
الله عم انه قال المرأة لآخر زوجها في الجنة وقال لي ان تكون زوجتي في الآخرة فلا
تزوجي بعدي واما من قال تخير فقد ذهب الى ما روي عن ام حبيبة سألت النبي صلى الله
عليه وسلم فقلت يا رسول الله المرأة منا ربما يكون لها زوجان لايهما تكون في الآخرة
قال تخير فتختار احسنهما خلقا معها ثم قال عم ذهب حسن الخلق في الدنيا والآخرة
هذا ولابي داود من حديث ابي مالك الاشجعي انا وامرأة سعفاء الخدين كهاتين في
الجنة امرأة تأيمت عن زوجها وحبست نفسها على اولادها حتى بانوا وماتوا
وللخرايطي عن ابي هريرة حرم الله على كل آدمي الجنة ان يدخل قبلي غير اني انظر عن يميني
فاذا امرأة تبادرني الى باب الجنة فاقول لها هذه تبادرني فيقال يا محمد هذه
امرأة كانت حسناء جميلة وكان عندها يتامى لها فتصبرت عليهن حتى بلغ امرهن
الذي بلغ فشكر الله لها ذلك ومما يجب عليها من حقوق النكاح اذا مات عنها زوجها
ان لا تحد عليه اكثر من اربعة اشهر وعشر ليال فتجتنب في تلك المدة الطيب والزينة
قالت زينب بنت ابي سلمة دخلت ام حبيبة زوج النبي صلى الله عليه وسلم حين توفي ابوها
ابو سفيان بن حرب فدعت بطيب فيه صفرة خلوق او غيره فدهنت به جارية ثم مست
بعارضيها ثم قالت والله ما لي بالطيب من حاجة غير اني سمعت رسول الله صلى الله عم
يقول لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر ان تحد على ميت اكثر من ثلثة ايام الا على
زوج اربعة اشهر وعشرا رواه الشيخان ومن اهم اداب المرأة ترك المطالبة بما وراء
الحاجة كما يشير اليه قوله تعالى يا ايها النبي قل لازواجك ان كنتن تردن الحيوة الدنيا
وزينتها الآية والاهتمام بالتعفف عن كسب الحرام وهذه كانت عادة النكاح في
السلف الكرام كان الرجل اذا خرج من منزله تقول امرأته او ابنته اياك وكسب الحرام
فانا نصبر على الجوع والضر ولا نصبر على النار وهم رجل من السلف بالسفر فكره جيرانه
سفره فقالوا للزوجة لم ترضين ولم يدع لك نفقة فقالت زوجي منذ عرفته عرفته اكالا
وما عرفته رزاقا ولي رب رزاق وهو الخلاق فيذهب ويبقى الرزاق وخطبت رابعة بنت

اسمعيل ابن احمد بن ابي الحواري فكره ذلك لما كان فيه من العبادة فقالت لها والله ما لي
همة في شيء لشغلي بحالي منك وما لي شهوة ولكني ورثت مالا جزيلا من زوجي فاردت
ان تنفقه على اخوانك واعرف بك الصالحين يكون طريقا الى الله فقال حتى استاذن
استاذي فرجع الى سليمان الداراني قال وكان ينهاني عن التزوج ويقول ما تزوج احد
من اصحابنا الا تغير فلما سمع كلامها فقال تزوج بها هذه ولية الله هذا كلام صديقين
قال فتزوجها فكان في منزلها كوز من جص نقي من غسل ايدي المستعجلين للخروج بعد الاكل
فضلا عمن غسل بالاشنان قال وتزوجت عليها ثلث نسوة فكانت تطعمني الطيبات و تطيبني
فتقول اذهب بنشاطك وقوتك الى ازواجك فكانت هذه تشبه في اهل الشام برابعة
العدوية في البصرة ويحافظ حال الوالد من صغره ففي الطبراني من حديث ابن عمر قال رجل يا
رسول الله من ابر قال والديك فقال ليس لي والدان فقال بر ولدك فكما ان لوالديك
عليك حقا كذلك لولدك عليك حق ولا يشتمه لئلا يصير طبعا له في كبره ولا سيما سمي
الانبياء لانه ح قد قال يكرمه ويلقنه كلمة التوحيد في اول ما ينطلق به ففي رواية
ابن السني عن ابن عمرو مرفوعا اذا افصح الولد فليعلمه لا اله الا الله وهو شامل لتلقين
مبناه وتبيين معناه وفي رواية له ايضا عن انس انه عم كان افصح الولد من بني عبد المطلب
علمه وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي
من الذل وكبره تكبيرا اقول ويناسبه ايضا تعليم سورة الاخلاص والفاتحة ويعلمه علوم
الدين اصول الشريعة وفروعها ويمنعه عن تعلم المنطق والكلام والحكمة والهيئة وسائر
علوم الفلاسفة ورد عنه عم اللهم اني اسئلك علما نافعا واعوذ بك من علم لا ينفع و
الكتابة فانها وسيلة الى الرواية والدراية وهما من اسباب الهداية في البداية
والنهاية والرمي كقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة وقوله عم الا ان القوة
الرمي وقد ما ورد في فضل فعله وذم تركه والسباحة وهي معرفة الغوص في الماء و
لعله للاحتياج اليه في سفر البحر للحج والغزو ولا سيما وقد ورد ان شهداء البحر افضل من
شهداء البر ومن اللطايف ان نحويا خاطب بحريا فقال هل تعلمت النحو فقال لا قال ضيعت
نصف عمرك فسكت حتى ماج البحر فقال هل تعلمت السباحة يا نحوي فقال لا قال ضيعت
جميع عمرك ويؤدب اي ولده بضرب ونحوه لست سنين اي اذا خالف في آداب الصالحين
واخلاق المحسنين او فيما يتعلق بحقوق الوالدين والاقربين فللبيهقي عن ابن عباس
مرفوعا من حق الوالد على الولد ان يحسن ادبه ويحسن اسمه واما دون ست سنين فتاديبه

باللسان والاحسان ويعزل الفراش اى عن امه واخته لسبع سنين لانه حينئذ وقت تمييزه
بين النسا وغيرهن ويضرب على الصلوة اى على تركها لعشر اى حتى يتدرب بفعلها و
تحمل ثقلها ولابى داود والبيهقى عن رجل من الصحابة مرفوعا اذا عرف الغلام يمينه عن شماله
فمروه بالصلوة وروى لثلاث عشرة فانه قارب البلوغ ويزوج لست عشرة لتحقق
البلوغ ح فيجب صيانته ولابن السنى عن انس مرفوعا اضربوه على الصلوة لسبع و
اعزلوا فراشه لتسع وزوجوه لسبع عشرة فاذا فعل ذلك فليجلسه بين يديه ثم ليقل
لاجعلك الله على فتنة ورواه ابو الشيخ عن انس بلفظ فاذا بلغ سبع سنين عزل فراشه
فاذا بلغ ثلثة عشر ضرب على الصلوة فاذا بلغ ستة عشر زوجه ابوه ثم اخذ بيده
ويقول قد ادبتك وعلمتك وانكحتك اعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا وعذابك فى
الاخرة ويسوى بين الاولاد فى الاهداء فعنه عم رحم الله والدا اعان ولده على بره اى
لم يحمله على عقوقه بسوء عمله فى حقوقه ابو الشيخ وابن حبان فى كتاب الثواب عن على وابن
عمر رضى الله عنهم وجاء رجل الى عبد الله بن المبارك فشكى اليه بعض ولده فقال هل
دعوت عليه فقال نعم قال انت افسدته ويبدأ اى فى الاعطاء بالاطفال اى اصغرهم
لقلة صبرهم لجبرهن عن كسرهن ساووا بين اولادكم فى العطية كذا فى الاحيا ولم والبنات صح
يتعرض له مخرجه وفى جامع الصغير بلفظ ساووا بين اولادكم فى العطية ولو كنت
مفضلا احدا لفضلت النسا والطبرانى والخطيب وابن عساكر عن ابن عباس فى الطاهر
ان القبلة ونحوها فى خصوصهم ينبغى فيها التسوية قياسا على العطية فلا زيادة المحبة
القلبية فانها ليست من الافعال الاختيارية كما وقع ليعقوب فى يوسف واخوته فى
تلك القضية ثم الظاهر ان التسوية فى الاعطا انما هو اذا كانوا كلهم فقراء او اغنيا و
اما اذا كانوا بعضهم فقراء فزادهم فى العطاء فلا باس به يجب عليه نفقة ذوى الرحم
المحرم عندنا هذا وفى الجملة الولد محل المرحمة فقد عثر الحسين وهو عم على منبره فنزل
فحمله وقرأ قوله تعالى انما اموالكم واولادكم فتنة كذا فى الاحيا وقال مخرجه رواه اصحاب
السنن من حديث ابى بريدة فى الحسن والحسين يمشيان ويعثران قال الترمذى حسن غريب
والنسائى من رواية عبد الله بن شداد عن ابيه قال بينما رسول الله صلى الله عم يصلى
بالناس اذ جاء الحسن والحسين فركب عنقه وهو ساجد فاطال السجود بالناس
حتى ظننا انه قد حدث امر فلما قضى صلوته قالوا قد اطلت السجود حتى ظننا انه قد حدث
امر فقال ان ابنى قد ارتحلنى فكرهت ان اعجله حتى يقضى حاجته اى يفرغ غرضه من ملاعبته

ورواه

ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وروى الاقرع بن حابس النبى صلى الله عم
وهو يقبل ولده الحسن فقال ان لى عشرة من الولد ما قبلت واحدا منهم فقال عم انه من
لا يرحم لا يُرحم البخارى عن ابى هريرة وللحافظ الذهبى فى ترجمة اسامة من كتابه
سير النبلاء عن مجالد عن الشعبى عن عايشة قال لى رسول الله صلى الله عم يوما اغسلى
وجه اسامة فجعلت اغسله وانا انفة فضرب بيدى ثم اخذه فغسل وجهه ثم قبله ثم
قال قد احسن بنا اذ لم يكن جارية يعنى لئلا يحوجنا الى الحلية وكسوة الزينة والتزويج
ونحوها من المحنة لحديث احمد عن عايشة ان اسامة عثر بعتبة الباب فدمى فجعل النبى
صلى الله عليه وسلم يمصه ويقول لو كان اسامة جارية لحليتها وكسوتها حتى انفقها
واسناده صحيح وعنه عم الولد من ريح الجنة الخرائطى وابن حبان فى الضعفاء عن ابن عباس
وقد قيل ولدك ريحانتك سبعا وخادمك سبعا ثم هو عدوك او شريكك وقال يزيد
ابن معاوية ارسل ابى الى الاحنف بن قيس فلما صار اليه قال له يا ابا الحسن ما تقول فى الولد
فقال يا امير المؤمنين ثمار قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم ارض ذليلة وسماء ظليلة
وبهم نصول على كل خليلة فان طلبوا فاعطهم وان غضبوا فارضهم يمنحوك ودهم ويحبوك
وفاتك ويكرهوا قربك فقال له معاوية لله انت يا احنف لقد دخلت على وانا مملو
غضبا وغيضا على يزيد فلما خرج الاحنف من عنده رضى على يزيد وبعث اليه بمائتى الف
درهم ومائتى ثوب فقاسمه اياها على الشرط ثم اعلم ان اكثر العلما على ان طاعة الوالدين
واجب فى الشبهات حتى اذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك ان تاكل
معهما لان ترك الشبهة ورع ورضى الوالدين حتم وكذلك ليس لك ان تسافر فى مباح او
نافلة الا باذنهما والمبادرة الى الحج الذى هو فرض اسلام نفل على القول بالتراخى والخروج
لطلب العلم نفل الا اذا كنت تطلب علم الفرض العينى من الصلوة والصوم ونحوهما ولم يكن فى بلدك
من يعلمك وذلك كمن يسلم ابتداء فى بلد ليس فيه من يعلمه شريعة الاسلام فعليه الهجرة
من ذلك المقام ولا يتقيد بحق الوالدين قال ابو سعيد الخدرى رض هاجر رجل الى رسول
الله صلى الله عم من اليمن واراد الجهاد فقال عم ابا اليمن ابواك قال نعم قال هل اذناك فقال
فقال لا قال عم فارجع الى ابويك فاستاذنهما فان فعلا فجاهد والا فبرهما فان ذلك
خير مما تلقى الله بعد التوحيد احمد وابن حبان وجاء اخر اليه صلى الله عم يستشيره فى الغزو
فقال الك والدة قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت قدميها ابن ماجة والحاكم من حديث
معاوية بن جاهمة ان جاهمة اتى النبى صلى الله عم قال الحاكم صحيح الاسناد وجاء اخر وطلب البيعة

على الجرة وقال ما جئتك حتى ابكيت والدي فقال ارجع اليهما فاضحكهما كما
ابكيتهما ابو داود والنسائي وابن ماجة والحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح
الاسناد ويتوضأ في موته اي في موت ولده ويصلي ركعتين عند فقده كقوله تعالى و
استعينوا بالصبر والصلوة ويأخذ بناصية المشترى اي من العبد والجارية والدابة
ويدعو بالبركة ويقول اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيره واكفنا شره واجعله طويل
العمر كثير الرزق واللهم اعطني ما انت اخذ بناصيتها انك على صراط مستقيم ويذيقه
العبد والجارية الحلواء اي شيئا من الحلو اولا اي تفاؤلا لاجل حلاوته اخرا ولحديث معاذ اذا
ابتاع احدكم الخادم فليكن اول شيء يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه الطبراني في الاوسط و
الخرائطي ويطعمه مما يطعم اي مما ياكله بنفسه والاولى ان ياكل معه اي تواضعا لربه ولما
في الصحيحين وليأكل معه فان ابى فليناوله وفي رواية اذا كفى احدكم مملوكه صنعة طعامه
وكفاه حره ومؤنته وقربه اليه فليجلسه فليأكل معه او ليأخذ اكله فيروغها واشار بيده
وليضعها في يده وليقل كل هذه وللبخاري في تاريخه والبيهقي عن ابي هريرة مرفوعا ما استكبر
من اكل معه خادمه وركب الحمار بالاسواق واعتقل الشاة فحلبها ويكسوه مما يكتسي ولا
يكلفه ما لا يطيق وكان عمر رض يذهب الى العوالي في كل سبت فاذا وجد عبدا في عمل لا يطيقه
وضع عنه وروي عن ابي هريرة انه راى رجلا على دابة وغلامه يسعى خلفه فقال له
يا عبد الله احمله فانه اخوك روحه مثل روحك ثم قال لا يزال العبد يزداد من الله بعدا
ما مشى خلفه وقد دخل رجل على سلمان وهو يعجن فقال يا ابا عبد الله ما هذا قال بعثنا
الخادم في شغل وكرهنا ان نجمع عليه عملين ويمسك ما احب اي ما دام يحب امساكه ولا يعذب
اي مملوكه اذا لم يحب امساكه بل يبيعه فالكل مأثور ففي سنن ابي داود من حديث علي كان آخر
كلامه عم الصلوة الصلوة اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم وفي الصحيحين من حديث انس كان آخر
وصيته عم حين حضره الموت الصلوة الصلوة وما ملكت ايمانكم ولهما من حديث ابي ذر
اطعموهم مما تأكلون والبسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم ما يغلبهم فان كلفتموهم فاعينوهم
وهذا لفظ مسلم وفي رواية لابي داود من لايمكم من مملوكيكم فاطعموهم مما تأكلون و
اكسوهم مما تلبسون ومن لا يلايمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى فان الله ملككم اياهم
ولو شاء لملكهم اياكم واسناده صحيح وفي رواية لمسلم من حديث ابي هريرة للمملوك طعامه وكسوته
بالمعروف ولا يكلف من العمل ما لا يطيق وورد كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته رواه الشيخان
عن ابن عمر ولا يضرب غضبا اي من طريق الغضب بل تأديبا اي يضربه على سبيل الادب فيكون

تهذيبا لا تعذيبا ففي صحيح مسلم عن ابي مسعود الانصاري قال بينا انا اضرب غلاما
لي فسمعت صوتا من خلفي اعلم ابا مسعود مرتين فالتفت فاذا رسول الله صلى الله عم فالقيت
السوط من يدي فقال والله لله اقدر عليك منك على هذا وعن ابي المنكدر ان رجلا
من اصحابه عم ضرب عبدا له فجعل العبد يقول اسالك بالله اسالك بالله اسالك
بوجه الله فلم يعفه فسمع رسول الله صلى الله عم صياح العبد فانطلق اليه فلما رآه
امسك يده فقال عم يسالك بوجه الله فلم تعفه فلما رأيتني امسكت يدك قال فانه
حر لوجه الله يا رسول الله فقال لو لم تفعل لسفعت وجهك النار ابن المبارك في الزهد
هكذا مرسلا وفي صحيح مسلم من حديث ابي سعيد فجعل يقول اعوذ بالله قال فجعل يضربه
فقال اعوذ برسول الله فتركه وفي رواية له فقلت هو حر لوجه الله فقال اما انك
لو لم تفعل للفحتك النار او لمستك النار وللترمذي عن ابي سعيد اذا ضرب احدكم
خادمه فذكر الله فارفعوا ايديكم لا على ذلة لا يضربه على ما صدر منه من عثرة
او غفلة ونسيان اي تخلقا باخلاق الله حيث عفا عن الخطاء والنسيان كما يشير اليه
قوله تعالى ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا ولحديث رفع عن امتي الخطاء والنسيان
وما استكرهوا عليه وقيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم قيل
فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ اتته جارية بسفود عليه شواء فسقط
السفود من يدها على ابن له فعقره فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه
الجارية الا العتق انت حرة لوجه الله لا بأس عليك وكان عند ميمون بن مهران
ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء فجاءت مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت وارا قتها
على راس سيدها فقال يا جارية احرقتني قالت يا معلم الخير ومؤدب الناس ارجع الى
ما قال الله تعالى قال وما قال الله تعالى قالت والكاظمين الغيظ قال قد كظمت غيظي قالت
والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت زد فان الله يقول والله يحب المحسنين
قال انت حرة لوجه الله تعالى ولا يزيد على ثلاث اي ضرب ثلاث اذا كان الذنب صغيرا و
اما اذا كان كبيرا فينقص من الاربعين فانه غاية التعزير فانه اي المزيد عليه قصاص اي يقتص
يوم القيمة وورد اعف عنه اي عن الخادم سبعين مرة لمن قال كم اعفو فلابي داود
والترمذي وقال حسن غريب عن ابن عمر جاء رجل الى رسول الله صلى الله عم فقال يا رسول الله
كم نعفو عن الخادم فصمت ثم قال اعف عنه كل يوم سبعين مرة وكان عون بن عبد الله اذا
عصاه غلامه قال ما اشبهك بمولاك يعصي مولاه وانت تعصي مولاك فاغضبه يوما

فقال انما تريد ان اضربك اذهب فانت حر ويعتق اى المملوك ان طالت المدة وطول المدة
تكون بسبع سنين فاكثر على ما فى الشرعة ففيه العتق من النار لقوله عم من اعتق رقبة
مسلمة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى فرجه بفرجه رواه الشيخان عن
ابى هريرة وفيهما ايضا عنه عم من كانت عنده جارية فعالها واحسن اليها ثم اعتقها و
تزوجها فله اجران وقالت جارية لابى الدرداء سممتك منذ سنة وما عمل فيك شيئا
فقال لم فعلت ذلك فقالت انى اردت الراحة منك قال اذهبى فانت حرة لوجه الله
اقول وكانها كانت مدبرة ولا يهزل معه اى لا يمزح مملوكه فهو يسقط الوقار اى
الهيبة والرزانة فلا يحبه بعد ذلك الحرمة والمهانة هذا وفى الصحيحين عن ابن عمر
مرفوعا اذا نصح العبد سيده واحسن عبادة الله فله اجره مرتين ولما اعتق ابو رافع
بكى وقال كان لى اجران فذهب احدهما ويذهب اهل البيت من الولد والزوجة والخدم
بالرياضة اى بتحسين الاخلاق لاسيما الولد المراهق اى القريب الى البلوغ الذى وقع
فيه تكليف الخالق فهو اى التهذيب فى حال الصغر ايسر اى اسهل على كل منهما وورد اى فى قوله
تعالى يا ايها الذين امنوا قوا انفسكم واهليكم اى احفظوها نارا وقودها الناس والحجارة
عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون ولا يطاء
حيوانا اى يدوسه فانه يسئل عنه اى هل كان عبثا او عمدا او خطاء او نسيانا وقد قال تعالى
حكاية عن النمل لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وقد قيل البر من لا يؤذى الذر
ويطوف طوافات البيت اى يجوز ان يدخلوا فى بيته الاما والعبيد الصغار دون الخصى والعبيد
الكبار فهو مما نورد اى فورد فى الكتاب والسنة قال تعالى يا ايها الذين ليستاذنكم الذين ملكت ايمانكم
والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلث مرات من قبل صلوة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة
ومن بعد صلوة العشاء ثلث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن طوافون
عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله ولا يبعد ان يراد بالطوافات الهرات فعن كبشة بنت كعب
ابن مالك وكانت تحت ابن قتادة دخل عليها فسكبت وضوءه فجاءت هرة تشرب منه فاصغى
لها الاناء حتى شربت قالت كبشة فرانى انظر فقال اتعجبين يا ابنة اخى فقلت نعم قال ان رسول الله
رسول الله صلى الله عم قال انها ليست بنجسة انها من الطوافين عليكم والطوافات رواه
الاربعة وقال الترمذى حسن صحيح ولا يضرب شيئا اى حتى الدواب على الوجه ولا يعذب
اى الوجه وغيره بالنار اى بالكى ونحوه واختلف فى تجويز حرق الزنديق فنهى عنهما فلابى
داود عن ابى هريرة اذا ضرب احدكم فليتق الوجه وللترمذى والحاكم عن عمر رض عنه عم

نهى عن الكى وبعض الماء والعلف عن الفرس اى فى الجهاد ونحو سبعين مرة ولعله اريد
به الكثرة للمبالغة والا فقد سبق حديث للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف وورد
يمن الفرس ذلك اى انقياده لراكبه وحسن خلقه اى لصاحبه وقد تقدم والله اعلم
ولا يدخل على الظلمة اى الشاملة للكفرة والفجرة قال الله تعالى ولا تركنوا الى الذين
ظلموا فتمسكم النار فالاولى والاسلم من الاحوال ان يعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك
ودون هذه الحالة ان يدخلوا عليك وتبردوا اليك وشر الاحوال ان تدخل عليهم
وتتوسل اليهم وهذا مذموم فى الكتاب والسنة تحاميا عن استعمال ديارهم اى المغصوبة
من اهل ديارهم ومظلتهم اى ومكان ظل خيمهم واشجارهم وفراشهم اى بساطهم و
دثارهم فلا [illegible] حرام وقد قال تعالى وسكنتم فى مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو بعموم
مبناه يشمل الاحيا والاموات وان كان الكفار امواتا يراد فى معناه ولما وصف عم الامراء
الظلمة قال فمن نابذهم نجا ومن اعتزلهم سلم ومن وقع معهم فى دنياهم فهو منهم الطبرانى
من حديث انس بسند ضعيف وفى رواية ومن خالطهم هلك وانما قال او كاد يسلم فان من
اعتزلهم سلم من اثمهم ولكن ربما لا يسلم عذاب نقمة معهم ان نزل بهم لترك المنابذة و
المنازعة والتواضع لهم اى وعن اظهار المذلة والمسكنة المستلزمة لاكرام الظلمة
لاسيما ان ركع او سجد او تمثل له قائما فى الخدمة والتواضع للظالم من معصية بل من
تواضع لغنى ليس بظالم لاجل غناه لا لمعنى آخر يقتضى التواضع نقص ثلثا دينه فكيف
اذا تواضع للظالم فلا يباح له الا مجرد السلام فاما تقبيل اليد والانحناء فلا الا
عند خوف ولقد بالغ بعض السلف حتى امتنع رد جوابهم فى السلام قال فى الاحياء وفيه
نظر لان ذلك واجب فلا ينبغى ان يسقط بالظلم قلت قد يسقط بادنى من ذلك ومن
جملته انه عليه السلام ما رد جواب من لبس ثوبا احمر فورد من اكرم فاسقا وهو مرتكب الحرام
وكان الاكرام من غير ضرورة فى ذلك المقام فقد اعان على هدم الاسلام اى على تعطيل بعض
اركانه بتعظيم الظالم الذى يجب اهانته فى شانه والحديث غريب بهذا اللفظ والمعروف من وقر
صاحب بدعة رواه ابن عدى من حديث عائشة والطبرانى فى الاوسط وابو نعيم فى الحلية
من حديث عبد الله بن بسر باسانيد ضعيفة والسكوت اى عدم الانكار بلسانه عن منكر
رآه عندهم اى وقدر على انه ينكر باللسان عليهم كان يكون من العلماء والمشايخ العظماء
وذلك لانه يرى فى مجلسهم من الفرش الحرير واوانى الفضة والحرير الملبوس عليهم وعلى
علمانهم ما هو حرام من خاتم الذهب ونحوه وكل من راى سيئة وسكت عليها فهو شريك فى

تلك السيئة فان قلت انه يخاف على نفسه فهو معذور في السكوت فهذا حق لكنه مستغن عن ان يعرض
نفسه لارتكاب ما لا يباح الا لعذر فانه لو لم يدخل ولم يشاهد لم يتوجه عليه الخطاب بالحسبة
حتى يسقط عنه بالعذر وعند هذا يقال من علم فسادا في موضع وعلم انه لا يقدر على ازالته
فلا يجوز له ان يحضر ذلك الموضع ليجري ذلك الفساد بين يديه وهو يشاهد ويسكت عليه
والدعاء لهم بالبقاء اي حال التحية او الاعطاء فورد من دعا الظالم بالبقاء فقد احب
ان يعصى الله في ارضه اي من الابتداء الى الانتهاء والحديث ذكره الزمخشري في تفسيره والغزالي
في الاحياء فقال السخاوي لم نره في المرفوع بل اخرجه ابو نعيم في الحلية من قول سفيان الثوري و
قال العراقي رواه ابن ابي الدنيا من قول الحسن البصري وكذا قال العسقلاني في تخريج الكشاف والمدح
اي وعن ثناء الفاسق وان صدق اي في مدحه وكذا ان صدق فيما يقوله من باطل بصريح قوله
او بتحريك رأسه او باستبشار في وجهه فهو اعانة على الاثم وتحريك للرغبة في المعصية و
الاعانة على المعصية ولو بشطر كلمة لانه بسبب مدحه يجترئ على ظلمه وفسقه وورد ان الله ليغضب
اذا مدح الفاسق ابن ابي الدنيا وابن عدي وابو يعلى والبيهقي عن انس ولقد سئل سفيان
عن ظالم قد اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا دعه حتى يموت لان ذلك اعانة
له وقال غيره يسقى الى ان تثوب اليه نفسه ثم يعرض عنه وانما يجوز له ان يدعو ويقول له اصلحك الله
في الاوقات او وفقك الله للخيرات طول عمرك في الطاعات والمحبة لهم بان يظهر لهم الموالاة والاشتياق
الى الملاقاة فهو ارادة الظلم اي منهم فيكون شريكا لهم في الاثم معهم ثم ان كان كاذبا عصى
معصية الكذب والنفاق وان كان صادقا عصى بحبه بقاء ظالم في الافاق وحقه ان يبغضه
في الله ويمقته فالبغض في الله واجب ومحب المعصية والراضي بها عاص ومن احب ظالما فان
احبه لظلمه فهو عاص لمحبته وان احبه بسبب اخر فهو عاص من حيث انه لم يبغضه وان اجتمع
في شخص خير وشر وجب ان يحبه لذلك الخير ويبغضه لذلك الشر وقد حكي عن بعض عباد
البصرة انه كان يأخذ اموالا من الامراء ويفرقها على الفقراء فقيل له الا تخاف ان تحبهم
فقال لو اخذ رجل بيدي وادخلني الجنة ثم عصى ربه ما احبه قلبي لان الذي سخره للاخذ
بيدي هو الذي ابغضه لاجله شكرا له على تسخيره اياه اه اقول وهذا مقام دقيق لان الطبع
يميل الى من يحسن اليه كما روي عن عائشة رض جبلت القلوب على حب من احسن اليها و
بغض من اساء اليها كذا في الاحياء وهو من رواية البيهقي في الشعب عن ابن مسعود مرفوعا
وموقوفا ويؤيده حديث اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي رواه ابن مردويه في
التفسير عن رجل لم يسم والديلمي عن معاذ وروي ان بعض الامراء ارسل الى مالك بن

دينار بعشرة الاف فاخرجها كلها فاتاه محمد بن واسع فقال ما صنعت بما اتاك هذا
المخلوق فقال سل اصحابي فسألهم فقالوا اخرجه كله فقال انشدك الله اقلبك اشد حبا له
الان ام قبل ان ارسل اليك فقال بل الان فقال انما كنت اخاف هذا وقد صدق فانه اذا
احبه احب بقاءه وكره عزله وفناءه وكل ذلك حب لاسباب الظلم وهو مذموم عند
اهل العلم واستحقار نعمه تعالى اي وعن استحقار نعمه سبحانه الظاهرة والباطنة عليه
من العلم والعمل وعليه اختيار الفقر والقناعة بالكفاية والطاعة برؤية التوسع
عليهم ومشاهدة اسباب التنعم لديهم فللحاكم من حديث عبد الله بن الشخير وصححه اقلوا
الدخول على الاغنياء فانه اجدر ان لا تزدروا نعم الله عز وجل وقد تقدم حديث ابي هريرة
ابغض القراء الى الله عز وجل الذين يأتون الامراء وحديث انس العلماء امناء الرسول
على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الله ورسوله فاحذروهم
واعتزلوا ولابي عمرو الداني في كتاب الفتن من رواية الحسن مرسلا لا تزال هذه الامة تحت يد الله
وكنفه ما لم يمال قراؤها امراءها ورواه الديلمي عن علي وابن عمر بلفظ ما لم يعظم ابرارها
فجارها ويداهن خيارها شرارها ولابي داود والترمذي وابن ماجة عن ابن مسعود مرفوعا
لما وقعت بنو اسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم واكلوا و
شاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم ولفظه
للترمذي وقال حسن غريب والحاصل ان الافضل في حقه ان يغفل عنهم واذا خطر بباله
تنعمهم فليذكر ما قال حاتم الاصم انما بيني وبين الملوك يوم واحد اما امس فلا يجدون لذته
واني واياهم في غد على وجل وانما هو اليوم فعسى ان يكون في اليوم وما قال ابو الدرداء ان اهل
الاموال يأكلون ونأكل ويشربون ونشرب ويلبسون ونلبس ولهم فضول اموال ينظرون اليها
وننظر معهم اليها وعليهم حسابها ونحن منها براء قلت وهو مقتبس من قوله تعالى ان تكونوا تألمون
فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون الا استثناء من قوله ولا يدخل على الظلمة
الا لرعاية اطاعة الرعية فللبخاري من حديث انس اسمعوا واطيعوا فان استعمل عليكم عبد حبشي
كان رأسه زبيبة ولمسلم من حديث ابي هريرة رض عليك بالطاعة في منشطك ومكرهك وله
ايضا من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية ودفع التأذي اي و
لدفع الاذى والظلم عن نفسه او غيره من اهله ونحوه فيدخل اي حينئذ مراعيا حقه تعالى حيث
قال يا ايها الذين امنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم وتكريم اي بالقيام
ونحوه كرها ان دخلوا اي الظلمة عليه اي معتقدين لما لديه مكافاة عليه للاكرام او مجازاة

لا كرامة اى اكرام الظالم عز الدين اى لعز اهل العلم والعمل به وقد قال تعالى هل جزاء الاحسان
الا الاحسان وقد سبق حديث اذا اتاكم كريم قوم فاكرموه ورعاية للحشمة بين الرعية اى
في الملاء ويجوز الاهانة في الخلاء اى بترك القيام وزيادة الكلام بعد رد السلام
وعند العلم بعدم اضطراب الرعية اى من الامراء والوزراء اذا كان اهانة بنية اعزاز الدين
واهله من العلماء المجتهدين وتحقير الظلم اى في نظرهم واظهار الغضب له تعالى كما هو واجب
على اهل العلم وغيرهم كما ورد احاديث الحب في الله والبغض في الله ولقد دعى سعيد بن المسيب
الى البيعة للوليد وسليمان ابنى عبد الملك بن مروان فقال لا ابايع اثنين ما اختلف الليل
والنهار فان النبى صلى الله عليه وسلم نهى عن بيعتين فقال ادخل من الباب واخرج من الباب الاخر
قال لا والله لا يقتدى بى احد من الناس فجلد مائة والبس المسوح رواه ابو نعيم في الحلية باسناد
صحيح والحاصل انه لا يجوز الدخول عليهم الا بعذر ان يكون منصبهم امر الزام لا امر اكرام وعلم انه
لو امتنع اوذى او فسد عليهم طاعة الرعية واضطراب امر السياسة العرفية فيجب عليه حينئذ الحاجة
طاعة لهم ومراعاة لمصلحة الخلق حتى لا يضطرب امر الولاية والاستغناء من القلب اى فجهة الاصل ح
رضاء الرب ونية الاصلاح اى حملهم على صلاح حالهم وفلاح مآلهم لا الاشتهار اى بانه اهل العلم
والصلاح وانه من الفائزين بالنجاة والنجاح فان العاقبة مستورة فينبغى ان يكون النية في
هذه الامور صحيحة مبرورة وهوى ما ذكر من نية الاصلاح وعدم الاشتهار يعرف بالفرقة عند
حصول الموعظة اى للظلمة من غيره اى الموجودين من الوعاظ الابرار والعلماء الكبار ثم اذا ابتلى
بالدخول عليهم يجب ان ينصحهم وقد ورد الدين النصيحة قيل لمن قال لله ولكتابه ولرسوله ولائمة
المؤمنين وعامتهم روى عن محمد بن صالح قال كنت عند حماد بن سلمة واذا ليس في البيت الا
حصير وهو جالس عليه ومصحف يقرأ فيه وجراب علمه ومطهرة يتوضأ فيها فبينا انا عنده
اذ دق داق الباب فاذا هو محمد بن سليمان فاذن له فدخل وجلس بين يديه ثم قال ما لى اذا
رايتك امتلات منك رعبا قال حماد لانه قال عليه السلام ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله
هابه كل شئ وان اراد ان يكنز به الكنوز هاب من كل شئ ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال
تأخذها وتستعين بها قال اردها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك الا ما ورثته
قال لا حاجة لى فيها قال فتأخذها فتقسمها قال لعلى ان عدلت في قسمتها ان يقول بعض من لم
يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فيأثم فازدها عنى كنا في الاحياء وقال المخرج حديث حماد بن
سلمة مرفوعا هذا معضل وروى ابو الشيخ وابن حبان في كتاب الثواب من حديث واثلة
ابن الاسقع من خاف الله خاف منه كل شئ ومن لم يخف الله خوفه الله من كل شئ وللعقيلى في

الضعفا

في الضعفا من حديث ابى هريرة نحوه والاولى الاجتناب عنهم وعن خواصهم لئلا يقع في
طمع من جاههم واموالهم والتغافل عن احوالهم فالتجاهل عن افعالهم واقوالهم والاشتغال
بعيوب نفسه ومحاسبة يومه وامسه ومذاكرة الموت وما بعده لمن رمسه فعن حذيفة
اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدهم على الامير فيصدقه
بالكذب ويقول ما ليس فيه وقال ابو ذر لسلمة لا تغش ابواب السلاطين فانك لا تصيب
من دنياهم شيئا الا اصابوا من دينك افضل منه وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا
القراء الزوار للملوك والامراء وقال الاوزاعى ما من شئ ابغض الى الله عز وجل من عالم
يزور الملوك وقال سمنون ما اسمج بالعالم يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسأل عنه فيقال انه
عند الامير وقال كنت اسمع انه يقال اذا رايتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى
جربت اذ ما دخلت قط على هذا السلطان الا حاسبت نفسى بعد الخروج فارى عليها الدرك
مع ما اواجههم من الغلظة والمخالفة لهواهم وقال ابو ذر في حديث من كثر سواد الظلمة و
قال ابن مسعود رض ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج فلا دين له قيل له لم قال
لانه يرضيه بسخط الله وقال الفضيل ما ازداد رجل من ذى سلطان قربا الا ازداد من الله
بعدا وقال وهب هؤلاء الذين يدخلون على الملوك لهم اضر على الامة من المقامرين وقال
محمد بن سلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء والجورة ولما خالط الزهرى
السلطان كتب اخ له في الدين اليه عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال
ينبغى لمن عرفك ان يدعو لك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله لما فهمك من
كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله عليه وسلم وليس كذلك اخذ الله الميثاق من علما فقال
عز وجل واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم
ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل
الغى بدنوك ممن لم يؤد حقا ويترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى ظلمهم
وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالتهم واغوائهم يدخلون
بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا
عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن
قال الله تعالى فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلوة واتبعوا الشهوات الاية وانك
تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك
فقد حضر سفر بعيد وما يخفى على الله من شئ في الارض ولا في السماء فان قلت فقد كان علماء
السلف يدخلون على السلاطين فاقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل فقد حكى ان هشاما

ابن عبد الملك قدم حاجا الى مكة فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة فقيل يا امير المؤمنين
قد تفانوا قال فمن التابعين فاتي بطاوس اليماني فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه
ولم يسلم عليه بامرة المؤمنين ولكن قال السلام عليك يا هشام ولم يكنه وجلس بازائه وقال
كيف انت يا هشام فغضب هشام حتى هم بقتله فقيل له انت في حرم الله وحرم رسوله
فلا يمكن ذلك فقال له يا طاوس ما الذي حملك على ما صنعت فازداد غضبا وغيظا فقال
خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تقبل يدي ولم تسلم علي بامرة المؤمنين ولم تكنني وجلست
بازائي بغير اذني وقلت كيف انت يا هشام فقال اما ما فعلت من خلع نعلي بحاشية بساطك
فاني اخلعهما بين يدي رب العالمين كل يوم خمس مرات ولم يعاتبني ولم يغضب علي واما قولك لم تقبل
يدي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب رض يقول لا يحل لرجل ان يقبل يد احد الا امرأته
من شهوة او ولده من رحمة واما قولك لم تسلم علي بامرة المؤمنين فليس كل الناس راضين بامرتك
فكرهت ان اكذب واما قولك لم تكنني فان الله سمى اولياءه وقال يا داود ويا يحيى ويا عيسى
وكنى اعداءه فقال تبت يدا ابي لهب واما قولك جلست بازائي فاني سمعت امير المؤمنين علي بن ابي
طالب رض يقول اذا اردت ان تنظر الى رجل من اهل النار فانظر الى رجل جالس وحوله قوم
قيام فقال له هشام عظني فقال سمعت امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول ان في
جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لا يعدل في رعيته ثم قام فهرب عن
صحبته وعن سفيان الثوري قال دخلت على ابي جعفر منى فقال لي ادفع الينا حاجتك فقلت
له اتق الله فقد ملأت الارض ظلما وجورا قال فطأطأ رأسه ثم رفع رأسه فقال ادفع
الينا حاجتك فقلت انما انزلت هذه المنزلة بسيوف المهاجرين والانصار وابناؤهم
يموتون جوعا فاتق الله واوصل اليهم حقوقهم قال فطأطأ رأسه ثم رفع رأسه فقال
ادفع الينا حاجتك فقلت حج عمر رضي الله عنه فقال للخازن كم انفقت قال بضعة عشر
درهما واري هنهنا اموالا لا يطيقها الجمال ولما استعمل عثمان بن عفان ابن العباس اتاه اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم وابطأ عنه ابو ذر وكان له صديقا فعاتبه فقال ابو ذر سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله عنه كذا في الاحيا وقال المخرجه
لم اقف له على اصل وكان عمر بن عبد العزيز واقفا مع سليمان بن عبد الملك فسمع سليمان صوت
الرعد ففزع ووضع صدره على مقدم الرحل فقال عمر هذا صوت رحمة فكيف اذا سمعت
صوت عذاب ثم نظر سليمان الى الناس يوم عرفة فقال ما اكثر الناس فقال عمر خصماؤك
يا امير المؤمنين فقال سليمان ابتلاك الله بهم وحكي ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينة
وهو يريد مكة فارسل الى ابي حازم فدعاه فلما دخل عليه قال له سليمان يا ابا حازم

ما لنا نكره الموت فقال لانكم خربتم اخرتكم وعمرتم دنياكم فكرهتم ان تنتقلوا من العمران الى
الخراب فقال يا ابا حازم كيف القدوم على الله تعالى قال يا امير المؤمنين اما المحسن فكالغائب
يقدم على اهله واما المسيء فكالآبق يقدم به على مولاه فبكى به سليمان وقال ليت شعري
ما لي عند الله فقال ابو حازم اعرض نفسك على كتاب الله حيث قال ان الابرار لفي نعيم و
ان الفجار لفي جحيم قال سليمان فاين رحمة الله قال قريب من المحسنين ثم قال سليمان يا ابا حازم
اي عباد الله اكرم قال اهل المروة والتقى قال فاي الاعمال افضل قال اداء الفرائض مع اجتناب
المحارم قال فاي المؤمنين اكيس قال رجل عمل بطاعة الله ودعا الناس اليها قال فاي المؤمنين
اخسر قال من باع اخرته بدنيا غيره قال سليمان ما تقول فيما نحن فيه قال او تعفيني قال لا ولكن
نصيحة تلقيها الي قال يا امير المؤمنين ان اباك قهر الناس بالسيف واخذ هذا الملك عنوة
من غير مشورة من المسلمين ولا رضى منهم حتى قتلوا قتلة عظيمة وقد ارتحلوا فلو شعرت ما
قالوا وما قيل لهم فقال له رجل من جلسائه بئس ما قلت قال ابو حازم ان الله قد اخذ الميثاق
على العلماء ليبيننه للناس ولا يكتمونه فقال كيف لنا ان نصلح هذا الفساد فقال ان تاخذ المال
من حله فتضعه في حقه فقال سليمان ومن يقدر على ذلك قال من يطلب الجنة ويخاف النار قال
سليمان ادع لي فقال اللهم ان كان سليمان وليك فيسره لخير الدنيا والاخرة وان كان عدوك فخذ
بناصيته الى ما تحب وترضى فقال اوصني فقال اوصيك وأوجز عظم ربك ونزهه ان يراك سليمان
حيث نهاك او يفقدك حيث امرك وحكي ان ابا بكرة دخل على معاوية فقال اتق الله يا معاوية
واعلم انك في كل يوم يخرج عنك وفي كل ليلة تاتي عليك لا تزداد من الدنيا الا بعدا ومن الاخرة
الا قربا وعلى اثرك طالب لا تفوته وقد نصب علم لا تجوزه فما اسرع ما تبلغ العلم وما اوشك
ما يلحق بك الطالب وانا وانت وما نحن فيه زائل وفي الذي نحن اليه صائرون باق ان خيرا فخير وان
شرا فشر ويامر بالمعروف وينهى عن المنكر لقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس اي اظهرت
تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض
يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر الاية وقوله الذين ان مكناهم في الارض اقاموا الصلوة
واتوا الزكوة وامروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الامور وقوله عم المؤمن كالبنيان
يشد بعضه بعضا رواه الشيخان عن ابي موسى وهو اي ما ذكر من الامر والنهي وافرد الضمير
باعتبار التلازم بينهما فرض بالاجماع والكتاب والسنة على الكفاية اي اذا اطلع على الامر
جماعة وامر ونهى واحد منهم سقط عن الباقين والا اثم الجميع الا اذا كانوا معذورين
باليد واللسان فعليهم ان ينكروا بالجنان وذلك اضعف الايمان او اهله في مقام

الاتقان او مراتب ربابة الاحسان في الفرض اي من المعروف فعلاً كالصلوة والصيام وتركاً كاجتناب ما عرف من الحرام ومندوب ع وهو مستحب في المندوب اي من المعروف فعلاً وتركاً وورد في التنزيل ولتكن منكم امة اي جماعة منكم وهو دليل كونه من الكفاية يدعون الى الخير اي المحض وهو الايمان ويأمرون بالمعروف الاية وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون اي الناجون من العذاب والمظفرون بالثواب هم هؤلاء القائمون به والمباشرون له وهو القطب الاعظم في الدين والامر المهم الذي بعث الله له النبيين اجمعين فلو طوي بساطه واهمل عمله وعلمه بالمرة تعطلت النبوة وعمت الفترة واضمحلت الديانة وارتفعت الامانة وتفشت الضلالة وشاعت الجهالة وظهر الفساد في خرب البلاد وهلك العباد وان لم يشعروا بالهلاك الى يوم التناد ولاصحاب السنن عن ابي بكر الصديق رض انه قال في خطبة خطبها يا ايها الناس انكم تقرؤن هذه الاية وتتناولونها على خلاف تأويلها يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت رسول الله صلى الله ع م يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر على ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده ولابي داود والترمذي وحسنه وابن ماجة من حديث ابي ثعلبة الخشني انه سأل رسول الله صلى الله ع م عن تفسير قوله لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا ابا ثعلبة مر بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك بنفسك ودع العوام ان من ورائكم فتنا كقطع الليل المظلم للمتمسك فيها بمثل الذي انتم عليه اجر خمسين منكم قيل بل منهم يا رسول الله قال بل منكم لانكم تجدون على الخير اعوانا وللبزار من حديث عمر والطبراني في الاوسط من حديث ابي هريرة مرفوعا لتأمرن بالمعروف وتنهون عن المنكر او ليسلطن عليكم شراركم ثم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم وللترمذي وحسنه من حديث حذيفة نحو الاول انه قال او ليوشكن الله يبعث عليكم عقابا منه ثم تدعونه فلا يستجيب لكم ولابن ماجة باسناد جيد مرفوعا ان الله تعالى ليسأل العبد ما منعك اذا رأيت المنكر ان تنكره فاذا لقن الله العبد حجته قال يا رب وثقت بك وفرقت من الناس وللطبراني والبيهقي وحسنه عن عكرمة عن ابن عباس لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فان اللعنة تنزل من حضره حين لم يدفعوا عنه ولا تقفن عند رجل يضرب مظلوما فان اللعنة تنزل من حضره وللبيهقي عن ابن عباس بسند حسن لا ينبغي لامرئ شهد مقاما فيه حق الا تكلم به فانه لن يقدم اجله ولن يحرمه رزقا هو له ورواه الترمذي وحسنه وابن ماجة من حديث ابي سعيد بلفظ لا يمنعن رجلا هيبة الناس ان يقول بحق اذا علمه ولابن عدي من حديث ابي هريرة من حضر معصية فكرهها فكأنه غاب عنها ومن غاب عنها

فاحبها

فاحبها فكأنه حضرها ثم الامر والنهي يجب على العبد وان عدم العدالة اي منه بفقد عمله بها تحرزا عن انسداد باب الاحتساب اي الحسبة بالامر والنهي لاجل الثواب لفقد العصمة اي عن جميع المعصية الا لارباب النبوة دون الصحابة فضلا عمن دونهم والانبياء كما قال الحجة وقد اختلف في عصمتهم عن الخطايا والقرائن دالة على نسبة آدم الى المعصية وكذا جماعة من الانبياء ولذا قال سعيد بن جبير ان لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر الا من لا يكون فيه شيء لم يأمر احد بشيء فاعجب ذلك مالكا من سعيد بن جبير ولان الواجب عليه شيئان وهما الامتناع اي بنفسه عن المعصية والمنع اي لغيره عنها فلا يسقط بترك احدهما وهو الامتناع الاخر وهو المنع كما في عكسهما فلا تلازم بينهما واما ما ورد في ذم القائل بما لا يعمل كقوله تعالى يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقوله أتأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وانتم تتلون الكتاب افلا تعقلون وكحديث مررت ليلة اسري بي بقوم تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من انتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وكما روي ان الله تع اوحى الى عيسى ع م عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحي مني وكقول الشاعر • لا تلم المرء على فعله • وانت منسوب الى مثله • من ذم شيئا واتى نحوه • فانما يزري على عقله • فلعدم العمل اي لمجرد الامر والقول كما توهمه قوم واذن الامام اي وان عدم اذنه بالحسبة لعموم الادلة واطلاقها اي من غير تقييد باحد دون آخر حتى يحتسب على الامام ايضا كما يدل عليه حديث ابي سعيد الخدري افضل الجهاد كلمة عند امام جائر ابو داود وابن ماجة والترمذي وحسنه فاذا جاز الحكم على الامام على مراغمته فكيف يحتاج الى اذنه وقد شرط قوم هذا الشرط ولم يثبتوا الاحاد من الرعية الحسبة وهذا الاشتراط فاسد فان الايات والاخبار تدل على ان كل من رأى منكرا فسكت عليه عصى اينما رآه وكيف ما رآه على العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له والعجب ان الروافض زادوا على هذا فقالوا لا يجوز الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لم يخرج الامام المعصوم وهو الامام الحق عندهم وهؤلاء اخس رتبة من ان يكلموا بل جوابهم ان يقال اذا جاؤا الى القضاء طالبين لحقوقهم في دمائهم واموالهم ان نصرتكم امر بالمعروف واستخراج حقوقكم من ايدي من ظلمكم نهي عن المنكر وطلبكم لحقكم من جملة المعروف وما هذا زمان النهي عن الظلم وطلب الحقوق لان الامام الحق بعد لم يخرج هذا واستمرار عادات السلف في الحسبة على الولاة قاطع باجماعهم على الاستغناء عن التفويض بل كل من امر بمعروف فان كان الوالي راضيا به فذاك وان كان ساخطا له فسخطه له منكر يجب الانكار عليه فكيف

يحتاج الى اذنه فى الانكار وعن جملة ما انكر السلف على الامراء ما روى ان مروان بن الحكم
خطب قبل الصلوة فى العيد فقال له رجل انما الخطبة بعد الصلوة فقال له مروان وان
ترك ذلك يا فلان فقال ابو سعيد ما هذا فقد قضى ما عليه قال لنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم من رأى منكم منكرا فلينكره بيده فان لم يستطع فبلسانه وان لم يستطع فبقلبه و
ذلك اضعف الايمان وروى ان المهدى لما قدم مكة لبث ما شاء الله فلما اخذ فى
الطواف نحى الناس عن البيت فوثب عبد الله بن مرزوق فلببه بردائه وقال له انظر ما
تصنع من جعلك بهذا البيت احق ممن اتاه من البعد حتى اذا صار عنده حلت بينهم وبينه
من جعلك هذا فنظر فى وجهه وكان يعرفه لانه من مواليهم فقال له اعبد الله بن مرزوق
فقال نعم فاخذ فجئ به الى بغداد فكره ان يعاقبه عقوبة يشنع بها عليه فى العامة فجعله فى
اصطبل الدواب ليسوسها وضموا اليه فرسا عضوضا سيئ الخلق ليعقره الفرس فلين الله
له الفرس قال ثم صيروه الى بيت واغلق عليه واخذ المهدى المفتاح عنده فاذا هو قد خرج
فاذا هو قد خرج بعد ثلث الى بستان ياكل البقل فاذن به المهدى فاستدعاه فقال من
اخرجك قال الذى حبسنى قال من حبسك قال الذى اخرجنى قال فضج المهدى وصاح وقال
ما تخاف ان اقتلك فرفع عبد الله اليه رأسه وضحك وهو يقول لو كنت تملك حيوة او موتا
لكان ذلك فما زال محبوسا حتى مات المهدى ثم خلى عنه فرجع الى مكة قال وكان قد جعل على نفسه
نذرا ان خلصه الله من ايديهم ان ينحر مائة بدنة وروى عن حنان بن عبد الله قال تنزه هارون
الرشيد بالدوير ومعه رجل من بنى هاشم وهو سليمان بن ابى جعفر فقال له هرون قد كانت لك
جارية تغنى فتحسن فجئنا بها قال فجاءت فغنت فلم يحمد غناها فقال لها ما شانك قالت ليس هذا
عودى فقال للخادم جئها بعودها قال فجاء بالعود فوافق شيخا يلقط النوى فقال الطريق
يا شيخ فرفع الشيخ رأسه فرأى العود فاخذه وضرب به الارض فاخذه الخادم وذهب به
الى صاحب الربع فقال احتفظ بهذا فانه طلبة امير المؤمنين فقال له صاحب الربع ليس ببغداد
اعبد من هذا فكيف يكون طلبة امير المؤمنين فقال له اسمع ما اقول لك ثم دخل على هرون فقال
انى مررت على شيخ يلقط النوى فقلت له الطريق فرفع رأسه فرأى العود فاخذه فضرب به
الارض فكسره فاستشاط هرون وغضب واحمرت عيناه فقال له سليمان بن ابى جعفر ما هذا
الغضب يا امير المؤمنين ابعث الى صاحب الربع يضرب عنقه ويرمى به فى دجلة فقال لا ولكن
نبعث اليه ونناظره اولا فجاء الرسول فقال اجب امير المؤمنين فقال نعم قال اركب قال لا
فجاء يمشى حتى وقف على باب القصر فقيل لهارون قد جاء الشيخ فقال للندماء اى شئ ترون

الربع الدار حيث كانت
وجمعها ارباع وربوع الربع
ايضا المحلة شرح

نرفع

نرفع ما قدامنا من المنكر حتى يدخل هذا الشيخ او نقوم الى مجلس آخر ليس فيه منكر فقالوا لا نقوم
الى مجلس آخر ليس فيه منكر اصلح بنا فقاموا مع صفرة اى ذلاء الى مجلس فيه منكر ثم امر بالشيخ فادخل
وفى كمه الكيس الذى فيه النوى فقال له الخادم اخرج هذا وادخل على الامير المؤمنين فقال
من هذا عشاء الليلة فقال نحن نغيثك قال لا حاجة لى فى عشائك فقال له هارون اى شئ
تريد منه فقال فى كمه نوى فقلت له اطرحه وادخل على امير المؤمنين فقال دعه لا نطرحه
قال فدخل فسلم وجلس فقال هرون يا شيخ ما حملك على ما صنعت فقال واى شئ صنعته
فجعل هرون يستحيى ان يقول كسرت عودنا فلما اكثر عليه قال انى سمعت اباءك واجدادك
يقرؤن هذه الآية على المنبر ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغى ورأيت منكرا فغيرته فغير فوالله ما قال الا هذا فلما خرج اعطى
رجلا بدرة فقال له اتبع الشيخ فان رأيته يقول قلت لامير المؤمنين وقال لى فلا تعطه شيئا
وان رأيته لا يكلم احدا فاعطه البدرة فلما خرج من القصر اذا هو بنواة فى الارض قد غاصت
فجعل يعالجها ولم يكلم احدا فقال له يقول لك امير المؤمنين خذ هذه البدرة فقال قل
لامير المؤمنين يردها من حيث اخذها ويروى انه اقبل بعد فراغه من كلامه على نواة
يعالج قلعها من الارض وهو يقول شعر ارى الدنيا لمن هى فى يديه هموما كلما كثرت لديه
تهين المكرمين لها بصغر وتكرم كل من هانت عليه اذا استغنيت عن شئ فدعه
وخذ ما انت محتاج اليه وحقه اى حق وجوب الاحتساب ثلاثة العلم اى معرفة
خطاء الامور وصوابها ليعلم الحدود اى مراتبها والحقوق المتعلقة باصحابها فالجاهل
بمعزل عن هذا الباب بل بشرط ان يكون مسلما مكلفا قادرا على الاحتساب ومن هنا
قال بعض علمائنا ان العامى انكاره بالجنان والعالم انكاره باللسان والامير انكاره
بالاركان فانه يجب ان يعلم المحتسب مواقع الحسبة وحدودها ومجاريها ليقتصر على حد
الشرع فى ابوابها وذلك معنى قوله والورع اى عن المنكرات مطلقا او عن ذلك المنكر
والاول اظهر ليروعه ورعه عن مخالفة معلومه فما كل من علم عمل بعلمه بل ربما يعلم انه مسرف
فى الحسبة وزائد على الحد المأذون فيه شرعا ولكن يحمله عليه غرض من الاغراض الفاسدة
او عوض من الاعواض الكاسدة وليكن كلامه ووعظه مقبولا لعدم تأثير قول الفاسق
وسقوط اعتباره عند الخلايق لان الحسبة تارة تكون بالنهى بالوعظ وتارة بالقهر
ولا ينفع وعظ من لا يتعظ اولا وكذا ان قهر بالعقل فقد قهر بالحجة عليه فينفر الطبع
عن قهره بالفعل فلا يفيد فائدة لا سيما مع ادبار بالجهل والا فلا يخرج الفعل عن كونه حقا

كما ان من يذب الظالم عن احاد المسلمين ويهمل اباه وهو مظلوم معهم يشفع الطماع عنه ولا
يخرج دفعه عن المسلم عن كونه حقا فتحصل من هذا ان الفاسق ليس عليه الحسبة بالوعظ
على من يعرف فسقه لانه لا يتعظ به واذا لم يكن عليه ذلك وعلم انه يفضي الى تطويل اللسان
في عرضه بالانكار فنقول ليس له ذلك ايضا فترجع الكلام الى ان احد موجبي الاحتساب وهو
الوعظ قد بطل بالفسق وصارت العدالة مشروطة فيه واما الحسبة القهرية فلا يشترط
فيها ذلك فلا حجر على الفاسق في اراقة الخمر وكسر الملاهي وغيرها اذا قدر عليه قال الغزالي
وهذا غاية الانصاف والكشف في المسئلة انتهى ولا يخفى ان هذا مخالف لما تقدم من ان
العدالة ليست بشرط في هذا الباب بل هو من باب الكمال والله اعلم بالصواب وقد ورد عن انس
قلنا يا رسول الله لا نامر بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله قال عم بل مروا
بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله الطبراني في المعجم الصغير
والاوسط وحسن الخلق اي ليعتد به على ترتيب الحسبة على الخلق بالحكمة اولا وبالموعظة ثانيا
وبالمجادلة من المدافعة والمضاربة والمقاتلة ثالثا وهو الاساس لمدار سياسة الناس
ففي الاحيا ورد لا تامر بالمعروف ولا تنهى عن المنكر الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى
عنه الحديث قال المخرج لم اجده هكذا والبيهقي في الشعب من رواية عمرو بن شعيب صح عن ابيه عن جده من امر بمعروف
فليكن بمعروف والحاصل ان العلم والورع لا يكفي فيه بل لا بد من حسن الخلق ايضا فان
الغضب اذا هاج لم يقم العلم والورع في قمعه ما لم يكن في الطبع قبول له لحسن الخلق و
على التحقيق فلا يتم الورع الا مع حسن الخلق والقدرة على الدفع الشهوة ومنع الغضب
وبه يصير المحتسب على ما اصابه في دين الله كما قال تعالى حكاية عن لقمان يا بني اقم الصلوة وامر
بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وعن بعض السلف
اذا اراد احدكم ان يامر بالمعروف فليوطن نفسه على الصبر وليثق من الله بالثواب
والاجر فمن وثق باجر المولى لم اجد مس الاذى والا فاذا اصيب عرضه او نفسه بشتم
او ضرب نسي الحسبة وغفل عن دين الله وتصحيح النية وتحسين الطوية فاشتغل بنفسه
الدنية واخلاقها الدنية بل ربما تقدم عليه ابتداء لطلب الجاه او طمع المال او الرياء
والسمعة ولعل هذا وجه القائل هذا زمان السكوت والبيوت وقال كعب الاحبار لابي
مسلم الخولاني كيف منزلتك عند قومك قال حسنة قال ان التورية يقول ان الرجل
اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه فقال ابو مسلم صدقت التورية
وكذب ابو مسلم فهيجان الغضب اي منه او من غيره لا يسكنه ونه اي عند امر من الامر بل

يتحرك

يتحرك فيه انواع من الشرور ورد اي في طه فقولا له قولا لينا اي ملاينا هينا لعله يتذكر
اي يتعظ فيترك الكفر ابتداء او يخشى اي عقاب ربه فينتهي عن خلافه انتهاء فاذا
كان الانبياء مامورين بالرفق مع شر الخلق فكيف بالعلماء مع اهل الحق وحكي عن
المامون اذ وعظ واعظ وعنف له في القول فقال يا رجل ارفق فقد بعث الله تعالى
من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر
او يخشى وقد روى ابو امامة ان غلاما شابا اتى النبي صلى الله عم فقال يا نبي الله
اتاذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال عم اقروه ادن فدنا حتى جلس بين يديه
فقال ام اتحبه لامك قال لا جعلني الله فداك قال كذا الناس لا يحبونه لامهاتهم قال
اتحبه لابنتك قال لا جعلني الله فداك قال كذا الناس لا يحبونه لبناتهم قال اتحبه
لاختك قال لا جعلني الله فداك قال كذلك الناس لا يحبونه لاخواتهم وزاد ابن عوف
انه ذكر العمة والخالة وهو يقول في كل ذلك لا جعلني الله فداك وهو عليه السلام يقول
كذلك الناس لا يحبونه وقالا جميعا في حديثهما اعني ابن عوف والراوي الاخر فوضع رسول الله
صلى الله عم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه فلم يكن شيء
ابغض اليه منه اي من الزنا رواه احمد باسناد جيد رجاله رجال الصحيح وقيل للفضيل
ابن عياض ان سفيان بن عيينة قبل جوائز السلطان فقال ما اخذ منهم الا دون حقه
ثم خلا به وعذله ووبخه وقال سفيان يا ابا علي ان لم تكن من الصالحين فانا نحب الصالحين
واوله اي بدء الحسبة التعريف اي تعريف قبح المعصية ثم الوعظ اي النصيحة بالكلام اللطيف
والتخويف منه تعالى اي بالعقوبة في الدنيا والاخرة لا يتجاوز اي المحتسب عنه اي عما ذكر من
الامور الثلثة ان كان احتسابه على الوالدين وقد سئل الحسن عن الولد كيف يحتسب على
والده قال يعظه ما لم يغضب فاذا غضب سكت عنه قيل وفي معنى الوالدين التلميذ
والاستاد واما في الاحيا من الاخبار الواردة في ان الجلاد ليس له ان يجلد اباه في
الزنا ولا ان يباشر اقامة الحد عليه ولا يباشر قتل ابيه الكافر وانه لو قطع يده لم
يلزمه القصاص ثم قال وثبت بعضها بالاجماع فقال المخرج لم اجد فيه الا حديث لا
يقاد الوالد رواه الترمذي وابن ماجة من حديث ابن عمر او المولى اي المالك من العبد
او البعل اي الزوج من المراة او السلطان والخليفة ومن في معناه من الرعية من
امرائه ووزرائه فانه يكاد يفضي الى خرق هيبته واسقاط حشمته وترتب عليه الفساد
من جهة حميته والغضب على رعيته فللحاكم في مستدركه من حديث عياض بن غنم الاشعري

من كانت عنده نصيحة لذي سلطان فلا يكلمه بها علانية وليأخذ بيده فليخل به فان
قبلها قبلها والا كان ادى الذي عليه والذي له وقال صحيح الاسناد وللترمذي وحسنه من
حديث ابي بكرة من اهان سلطان الله في الارض اهانه الله في الارض وهذا منه من طريق
رأفة ورحمة على الانام والا فقد ورد عنه من حديث ابي عبيدة قلت يا رسول الله اي الشهداء
اكرم على الله قال رجل قام الى وال جائر فامره بالمعروف ونهاه عن المنكر فقتله الحديث
رواه البزار وللحاكم في مستدركه وصحح اسناده من حديث جابر سيد الشهداء حمزة بن عبد
المطلب ورجل قام الى امام جائر فامره ونهاه فقتله وبقوله ما سلف حتى قارب امرهم
الى الهلاك والتلف والحاصل انه لا يجب الا انه يستحب له ويثاب عليه بل يشتغل
بالدعاء اي لتوفيقهم بالمعروف والاستغفار اي للمجاوزة عنهم في المنكر فان هذين الامرين
نفعهما اكثر خصوصا في هذا الزمان فتدبر ثم التعنيف اي الكلام الخشن والسب اي الشتم
دون الفحش فلا يقول له يا كافر يا يهودي يا نصراني يا خنزير يا كلب يا فاسق بل يقول
مثل يا جاهل ويا احمق الا تخاف من الله تعالى وما يجري مجراه لا يتجاوز عنه اي عن هذا
الامر ان كان الاحتساب على المسلم من الذمي تحرزا عن استيلاء الكافر فان الذمي اذا
منع المسلم بفعله دون قوله فهو تسلط عليه فيمنعه من الوصول اليه لقوله تعالى ولن
يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا واما مجرد قوله لا تزن ونحوه من النصيحة والتعريف
من الفضيحة فلا محذور فيه بل ربما يكون سببا للامتناع عما فيه ثم التغيير اي تغيير المنكر
باليد والمباشرة على سبيل المنع بالقهر ككسر الملاهي اي من آلات المناهي كالمزمار والاوتار
واراقة الخمر اي التي ام الخبائث واصل المعاصي واساس الشر وكذا اختطاف الثوب الحرير
من رأسه واستجلاب الشيء المغصوب من يده ورده على صاحبه فللترمذي من حديث ابي طلحة
انه قال يا نبي الله اني اشتريت خمرا لايتام في حجري قال اهرق الخمر واكسر الدنان ثم التهديد
اي التخويف بالضرب من عنده او من عند غيره من الحاكم وغيره ثم الضرب اي بمباشرته ان
كان قدرة لديه حتى يمتنع عما هو عليه وهو بقدر الوسع اي الطاقة في تأديبه الطاعة
كالمواظب على القذف والغيبة فانه فانه سلب لسانه غير ممكن ولكن يحمل على اختيار السكوت
بالضرب وهذا يحوج الى استعانة وحصول اعانة وان لم يقدر اي على الضرب ونحوه فالكراهة
اي بقلبه كافية فورد اي في حديث اوله من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فان لم يستطع فبلسانه
فان لم يستطع فبقلبه وذلك اضعف الايمان اي اضعف اهل الايمان او اضعف زمانه
او اضعف مراتبه في شأنه رواه احمد ومسلم والاربعة عن ابي سعيد مرفوعا ولا يخفى انه

العاجز ليس عليه حسبة الا بقلبه اذ كل من احب الله يكره معاصيه وينكرها قال ابن مسعود
جاهدوا الكفار بايديكم فان لم تستطيعوا الا ان تكفهروا في وجوههم فافعلوا ثم اعلم انه لا يتوقف
سقوط الوجوب على العجز الحسي فقط بل يلتحق به ما يخاف عليه مكروها يناله فذلك في
معنى العجز وكذا اذا لم يخف مكروها ولكن علم ان انكاره لا ينفع وهذا معنى قوله وان
ظن الاصرار لا يجب اي الانكار بالقول بل يستحب اظهار الامر الديني نعم يلزمه ان لا يحضر
مواضع المنكر ويعتزل في بيته حتى لا يشاهد ولا يخرج الا لحاجة مهمة او واجب ولا
يلزم مفارقة تلك البلدة والهجرة الا اذا كان يرهق الى الفساد ويحمل الى مساعدة
السلاطين في الظلم والمنكرات فيلزمه الهجرة ان قدر عليها فان الاكراه لا يكون عذرا في
حق من يقدر على الهرب من الاكراه وان ظن اصابة مكروه من ضرب ونحوه او فعل منكر
آخر اي بسببه كضرب غيره من اصحابه او اقاربه او رفقائه يحرم اي حرم الاحتساب الا
ان يظن الامتناع ايضا فاذا تعارض الظنان فيستفتي من القلب في اختيار ما يلهمه الرب
وينظر في صلاحه اي صلاح الامر من حاله مبالغة في تحسين ماله فروي عن العالم الرباني
ابي سليمان الداراني انه قال سمعت من بعض الخلفاء كلاما فاردت ان انكر عليه وعلمت اني
اقتل ولم يمنعني القتل ولكن كان في ملأ من الناس فخشيت ان يعتريني التزين للخلق فاقتل
من غير اخلاص في الفعل للحق فان قيل فما معنى قوله تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة
اجيب بانه لا خلاف في ان المسلم الواحد له ان يهجم على صف الكفار ويقاتل وان علم انه يقتل
وهذا ربما يظن انه مخالف لموجب الآية وليس كذلك فقال ابن عباس ليس التهلكة ذلك
بل ترك النفقة في طاعة الله تعالى اي من يفعل ذلك فقد اهلك نفسه ويؤيده الجملة السابقة
واللاحقة اذ قال تعالى وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ولا يبعد
ان تفسير التهلكة باسراف المال وتضييع العيال وقال ابو عبيدة هو ان يذنب ثم لا
يعمل بعده خيرا حتى يهلك ذكره في الاحياء وهو صحيح في المعنى لكن يبعد مأخذه من الآية بحسب
ايراده من المبنى ثم اذا جاز ان يقاتل الكفار حتى يقتل جاز ايضا له ذلك في الحسبة و
الاعتبار للظن الغالب في حصول فائدة من المحارب والمحتسب من معتمد الحال بان يكون
في طبعه من ارباب الكمال فالجبان وهو ضعيف القلب في ميدان البيان يستغرب البعيد اي
من الامكان فيرى البعيد قريبا حتى كانه يشاهده ويرتاع منه ولا يجاهده والمتهور
بعكسه اي الامر بان يستبعد القريب في الزمان والمكان فيبعد وقوع المكروه به بحكم ما
جبل عليه من حسن امله واصل طبعه حتى انه لا يصدق به الا بعد وقوعه والحاصل

ان الجبن مرض وهو ضعف فى القلب سبب قصور فى القوة وتفريط والتهور افراط
فى القوة وخروج عن الاعتدال بالزيادة وكلاهما نقصان وانما الكلام فى الاعتدال
الذى يعبر عنه بالشجاعة فلا التفات الى الطرفين فى الاخلاق والاحوال ولا يتجسس
فيشترط ان يكون المنكر ظاهرا للمحتسب بغير تجسس فكل من ستر الله على معصية فى داره واغلق على
بابه لا يجوز لاحد ان يتجسس عليه من طاقة وجداره وامثاله كوضع الاذن لسماع الملاهى
والانف لشم الخمر والمناهى لاحساس صوت الاوتار متعلق بوضع الاذن ورائحة الخمر
فى تلك الدار وطلب اراءة ما تحت الثوب فاذا راى وتحت ذيله شئ نحو ظرف خمر او
خشب عود لم يجز ان يكشف عنه ما لم يظهر بعلامة خاصة بان كانت له رائحة فائحة
او تشكل العود اذا كان الثوب الساتر رقيقا والا فبمجرد الظن لا يعمل به فانه قد يستر
قارورة الخمر فى الكم وتحت الذيل ولا يدل فسقه على ان الذى معه خمر يشرب منها اذ الفاسق
محتاج ايضا الى الخل وغيره ولا يجوز ان يستدل باخفائه وانه لو كان خلا لما اختفاه
لان الاغراض فى الاخفاء لا ينحصر بالاستقصا كذا فى الاحيا فهو اى التجسس منهى عنه اى فى قوله تعالى
يا ايها الذين امنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا
وروى ان عمر رضى الله عنه تسلق دار رجل فراه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال يا امير
المؤمنين ان كنت قد عصيت الله من وجه فقد عصيته انت من ثلثة اوجه فقال ما هى فقال
قد قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال واتوا البيوت من ابوابها وقد تسورت من السطح
وقال تعالى لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا وتسلموا على اهلها وما سلمت فتركه عمر و
شرط عليه التوبة وشاور عمر الصحابة وهو على المنبر وسالهم عن الامام اذا شاهد بنفسه
منكرا فهل له اقامة الحد فاشار على بان ذلك منوط بعدلين فلا يكفى فيه واحد ويدخل
الدار عند ارتفاع الاصوات اى اصوات الملاهى وما يدل على مجالس المنكرات من المناهى وهذا
بمنزلة الاستثناء من الحكم السابق والمغنى انه لا يجوز الدخول على من اغلق باب داره تستر بحيطان
جداره الا ان ظهر فى الدار ظهورا يعرفه من هو خارجها كاصوات المزامير والاوتار اذا
ارتفعت بحيث جاوز ذلك حيطان الدار فمن سمع ذلك فله دخول الدار وكسر الملاهى وقطع
الاوتار وكذا اذا ارتفعت اصوات السكارى بالكلمات المالوفة بينهم بحيث يسمعهم اهل
الشوارع فهذا الاظهار موجب للحسبة والانكار ويحتسب على غير المكلف اذ شرط المحتسب عليه
ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع منه فى حقه منكرا ولو لم يكن معصية بالنسبة اليه و
لعل يكفى فى ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط كونه مكلفا اذ تقرر ان الصبى لو شرب الخمر

منع

منع منه واحتسب عليه وان كان قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا لما تحقق ان المجنون
لو كان يزنى بمجنونة او ياتى بهيمة او يشرب الخمر وجب منعه نعم من الافعال ما لا يكون
منكرا فى حق المجنون كترك الصلوة والصوم وغيره ففى المحتسب عليه لا يشترط التكليف
اى بخلاف المحتسب فانه يشترط تكليفه فى حق الوجوب عليه واما امكان الفعل وجوازه
فلا يستدعى الا العقل حتى ان الصبى المراهق للبلوغ المميز وان لم يكن مكلفا فله انكار
المنكر وله ان يريق الخمر ويكسر الملاهى فاذا فعل ذلك نال به ثوابا ولم يكن لاحد منعه
عن حيث انه ليس بمكلف فان هذه قربة وهو من اهلها كالصلوة والامامة وسائر
القربات وليس حكمه حكم الولايات حتى يشترط فيه التكليف ولذلك اثبتوا الحسبة
للعبد واحاد الرعية نعم فى المنع بالفعل وابطال المنكر نوع ولاية وسلطنة ولكنها
يستفاد بمجرد الايمان كقتل المشرك وابطال اسبابه وسلب اسلحته فان للصبى ان يفعل
ذلك حيث لا يستضر به فالمنع عن الفسق كالمنع عن الكفر لا فى محل الخلاف اى لا يحتسب
الا فى المتفق على كونه منكرا فكل ما هو محل الاجتهاد فلا حسبة فيه كاكل الشافعى الضب
فليس للحنفى ان ينكر عليه اكله وكذا فى اكل الضبع ومتروك التسمية عمدا ولا للشافعى
ان ينكر على الحنفى شربه النبيذ الذى ليس بمسكر وتناوله ميراث ذوى الارحام وجلوسه
فى دار اخذها بالشفعة للجوار الى غير ذلك من مجارى الاجتهاد نعم لو راى الشافعى شافعيا
يشرب النبيذ وينكح بلا ولى ويطاء زوجته او راى الحنفى حنفيا يلعب بالشطرنج او يلبس
الثوب المعصفر وهذا فى محل النظر كما فى الاحيا والاظهر ان له الحسبة والانكار اذ لم يذهب احد
من المحصلين الى ان المجتهد يجوز له ان يعمل بموجب اجتهاد غيره ولا ان الذى اداى اجتهاده
فى التقليد الى شخص راه افضل العلماء ان له ان ياخذ بمذهب غيره فينتقد من المذاهب
اطيبها عنده بل على كل مقلد اتباع مقلده فى كل تفصيل فاذن مخالفته للمقلد متفق على
كونه منكرا بين المحصلين وهو عاص بالمخالفة الا انه جوز له تقليد غيره من الائمة فى بعض
المسائل فاذا اعتذر وقال انا مقلد للشافعى وللحنفى فى هذا الباب يرتفع عنه الاحتساب
والله اعلم بالصواب وقد ذهب جمع انه لا حسبة الا فى مثل الخمر والخنزير وما يقطع بكونه
حراما كاكل الميتة والدم وما اجمع على تحريمه حيث جوز والكل مقلد ان يختار من
المذاهب ما اراد فقابه ولعله وجه كلامهم ما ورد من ان الله سبحانه يحب ان يؤتى
رخصه كما يحب ان يؤتى عزائمه وقد قال الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
فمن تبع عالما لقى الله سالما ومن المعلوم ان الله سبحانه وتعالى ما كلف احدا ان يكون حنفيا

او مالكيا او شافعيا او حنبليا بل كلفهم ان يعملوا بالكتاب والسنة ان كانوا علماء وان يقلدوا العلماء اذا كانوا من الجهلاء ولا قبل الارتكاب اي ولا يحتسب قبل مباشرة ما يجب عليه الاجتناب فيشترط ان يكون المنكر موجودا في الحال لا انه يتوقع منه في المآل فهو اي وجوده قبل الارتكاب مشكوك فيه فلا يجوز فيه الاحتساب كمن يعلم بقرينة حال وهيئة انه عازم على الشرب في ليلة فانه لا حسبة عليه الا بوعظ ونصيحة فان انكر عزمه عليه لم يجز وعظه ايضا لديه فان فيه اساءة بالمسلم وربما صدق في قوله وربما لا يقدم على ما يعزم عليه لعائق عن فعله ولتنبيه للدقيقة المتفرعة على هذا الاصل وهي ان الخلوة بالاجنبية معصية ناجزة وكذا الوقوف على باب حمام النساء وما جرى مجراه من سائر الاشياء ولا بعده اى
ولا يحتسب بعد الارتكاب وفراغه عن هذا الباب فهو اي هذا النوع من الاحتساب حق الامام اي ومن جعل من النواب وعلى المحتسب عليه العقوبة والاعتذار اي واجبان عليه ولازمان لديه فهو المأثور اي السلف الابرار وبغض المصر اي الملازم على المعصية من غير رجوع بالتوبة سواء كان كافرا او فاجرا او مبتدعا ولو لم يكن داعيا فيه اي في الله تعالى اي شانه وتعاظم برهانه بالاعراض عنه اي في السلام والكلام والاهانة اي بزيادة المهانة وترك الاعانة اي فيما يظهر من الاغاثة وابطال اغراض يعين على المعصية دون غيرها اي غير المعصية ولو اعان اي في الاغراض التي تعين على غير المعصية تحريضا على قبول النصح اي فيما يذكر له من الكلام او لحق الاسلام فحسن اي فاعانته مستحسن قال تعالى لا ينهيكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين فهذا في زماننا منصوص في حق اهل الذمة فالحال يختلف بالنية اي باختلافها وتفاوت الطوية كما في ترك الفسق اي كما يختلف في ترك الاحسان لخوف الفسق الا ان يعلم مخرج من قوله فان اعانه الا ان يعلم المبغض الاقتداء اي اقتداء الناس كما في نسخة فلا يعينه حتى كما في المبتدع اي الداعي لا بعينه والمعلن اي بالفسق في الملاء تاكيد للاعلان او قيد للمبتدع والمعلن فهو احتراز من البدعة والفسق في الخلاء والاظهر انه ظرف لبغض المصر كما يشير اليه قوله حتى ترك السلام اي في حال ابتدائه ورده في الانتهاء فهو اي حق السلام ورده يسقط بادنى عرض كالبول في الحمام ونحوه فورد من انتهر اي زجر وقهر صاحب بدعة اي منكرة ملا الله قلبه ايمانا اي معرفة وايقانا ومن اهانه امنه الله اي جعله امنا من عذاب يوم الفزع الاكبر وهو القيامة الكبرى ومن لان له في الكلام او اكرمه اي بالقيام ولقيه ببشرى

اى

في حال السلام فقد استخف بما انزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم اي فلم يعمل بما يجب عليه من الاحكام وان استحل ذلك فقد خرج عن دائرة اهل الاسلام والحديث لم اجده في كتب الاعلام لكن ورد عنه عليه السلام من وقر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام ويستغني من القلب في الخلوة اي اذا كان وحده او في حكم الخلوة ان اظهار البغض اقرب الى الانزجار اي امتناع المبتدع والفاسق عن حالهما ام التلطف بالنصح انسب الى اصلاح امرهما فيفعل ما يقتضي ذلك ولا يحسن الى من جنى اي ظلم في حق الناس اي لا بالحماية ولا بالشفاعة والعناية فهو اي الاحسان الى الظالم اساءة في حق المظلوم اي الاولى بالرعاية كما في نسخة ظلما وفي حقه اي فله ان يعاقبه بمثله وله ان يحسن اليه في مقابلة ظلمه عليه بل هذا من الخلق الممدوح لديه قال تعالى ادفع بالتي هي احسن ويضطر الذمي الى اضيق الطرق اي بعينه وعزة المسلم وغلبته فالاسلام يعلو ولا يعلى ولا يبداء بالسلام عليه لانه من باب الاكرام لديه والاحسان اليه ولا يزيد في جوابه اي على قوله وعليك او عليك فحسب عبارة المص موهمة ان يقول له وعليك السلام من غير زيادة ورحمة الله وبركاته وليس كذلك فانه مخالف للرواية والدراية ويسلم على من اتبع الهدى ان كان اي الذمي او الحربي او الفاسق او البدعي في جمع المسلمين وكانه مقتبس من قوله موسى عم والسلام على من اتبع الهدى وكذا في العكس بان كان المسلم بين الكافرين او الفاجرين وقيل يقول السلام عليكم وينوي المسلمين الكاملين ويدعو في تشميته اي جواب عطسته بالهداية اي بان يقول يهدينا ويهديكم الله لا بالرحمة فلا يقول يرحمك الله ولا يرشده اي لا يدله على معبده اي من البيعة لليهود والكنيسة للنصارى فانه اعانة على المعصية وقال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان ولا يصافحه من باب كمال المصالحة ويعيد الوضوء اي التوضي وهو غسل اليد ان صافحه اي كافرا لظاهر قوله تعالى انما المشركون نجس ولا يستقبل جنازته بالوجه اي بالمواجهة بل يدبر عنها وجهه اذا اتته في المقابلة

الباب التاسع

في الصمت وآفات اللسان المراد بالصمت السكوت في غير اوان البيان فقد ورد من صمت نجا رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمر بسند فيه ضعف والطبراني بسند جيد والصمت حكمة وقليل فاعله الديلمي عن ابن عمر بسند ضعيف والبيهقي في الشعب من حديث انس بلفظ حكم بدل حكمة قال العراقي الصحيح عن انس ان لقمان قال ولابي نعيم في الحلية من حديث ابن عمر من كثر كلامه كثر سقطه ما احسن قول القائل • ما ان ندمت على سكوتي مرة • ولقد ندمت على الكلام مرارا • بسم الله الرحمن الرحيم خير كلام صدر من كل حكيم ورد ان اكثر

خطايا ابن آدم في لسانه الطبراني وابن ابي الدنيا في الصمت والبيهقي في الشعب بسند
حسن وللترمذي وصححه وابن ماجة والحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين من حديث معاذ قلت
يا رسول الله انؤاخذ بما نقول فقال ثكلتك امك وهل يكب الناس على مناخرهم الا حصائد
السنتهم وللترمذي وحسنه من حديث عقبة بن عامر قلت يا رسول الله ما النجاة قال املك
عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك وفي الصحيحين من كان يؤمن بالله
واليوم الآخر فليقل خيرا او ليسكت ولابن ابي الدنيا وغيره من حديث انس مرفوعا رحم
الله عبدا تكلم فغنم او سكت فسلم ففي الصمت الوقار اي حصول الرزانة والطمانينة
واجتماع الهمة اي الامور المهمة والسلامة من آفات الدارين اي محن الكونين
وفتن الحالين فان البلاء اي في الدنيا والاخرى موكل بالمنطق مصدر ميمي اي بنطق
اللسان الصادر عن الانسان في معرض البيان فالشان الذي ادرجه المص في كلامه
الحديث رواه الخطيب في تاريخه عن ابن مسعود بلفظ البلاء موكل بالمنطق فلو ان رجلا
عير رجلا برضاع كلبة لرضعها قال السخاوي ضعيف اقول ويقويه ما نسبه الزركشي
الى ابن لال في مكارم الاخلاق من حديث ابن عباس والديلمي من حديث ابي الدرداء
قال السيوطي والديلمي ايضا من حديث ابن مسعود مرفوعا واحمد في الزهد عنه موقوفا وابن
السمعاني في تاريخه من حديث علي مرفوعا وبهذا تبين خطاء ابن الجوزي حيث ذكره في الموضوعات
لكن لفظ البلاء موكل بالقول ولعل هذا سبب نسبته الى الوضع منها اي من آفات
اللسان ما لا يعني اي ما لا ينفع الانسان من البيان وهو كما لا يعني ما لا اثم عليه ولا ثواب
اي لا اجر لديه وينبغي ان يراد ولا حاجة اليه وقد يعبر عنه باللغو ومنه قوله تعالى و
الذين هم عن اللغو معرضون واذا مروا باللغو مروا كراما والاصل في اللغو وما لا يعني
كليهما شمول القول والفعل بل حضور وتصور فيفيد ان العقل الا ان الاكثر استعمالهما
فيما يتعلق باللسان ففيه آفات كثيرة وعاهات شهيرة ذكر المص منها ثلثة عشر آفة الاولى
تضييع الوقت وهو يوجب المقت فانك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك فرأس
مال العبد اوقاته ومهما صمت فيها الى ما لا يعنيه ضاع حالا انه قضى اياه في الدنيا ولم
يدخر فيها ثوابا للعقبى ومن هنا قال الصديق الاكبر ليتني كنت اخرس الا عن ذكر الله وفي
الحديث ليس يتحسر اهل الجنة يوم القيمة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها
رواه الطبراني والبيهقي عن معاذ وجاء في حديث ضعيف ان الله امرني ان يكون نطقي
ذكرا وصمتي فكرا ونظري عبرة وقساوة القلب لانها بالغفلة عن ذكر الرب قال تعالى

فويل للقاسية قلوبهم عن ذكر الله وقال تعالى الذين آمنوا تطمئن قلوبهم بذكر الله الا
بذكر الله تطمئن القلوب اي تسكن وتلين وقال تعالى في بيان القرآن وذكره تقشعر
منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ووهن البدن
اي ضعفه بضعف بعض جسده فانه اذا اشتكى بعض الاعضاء يتألم معه سائر الاجزاء
وتأخير الرزق اي المعنوي او الحسي ايضا جزاء لما فاته من الرفق وايذاء الحفظة
الكرام الكاتبين بالقاء كلامه واملائه مراحه من غير فائدة في تمامه قال عطاء ابن
ابي رباح ان من كان قبلكم كانوا يكرهون فضول الكلام وكانوا يعدون منه ما عدا
كتاب الله وسنة رسوله او امرا بالمعروف او نهيا عن المنكر او نطقا بحاجتك في معيشتك
التي لا بد لك منها اتنكرون ان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون وعن
اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد اما يستحيي احدكم
ان لو نشرت صحيفته التي املاها صدر نهاره كان اكثر ما فيها ليس من امر دينه ولا
دنياه وارسال الكتب اي صحايف من اللغو اليه تعالى اي للعرض عليه قبل القيمة وقراءته
بين يديه تعالى يوم القيمة على رؤوس الاشهاد كما يشير اليه قوله تعالى اقرأ كتابك كفى
بنفسك اليوم عليك حسيبا ومن هنا قال عمر رضي حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا
وهو مستفاد من قوله تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله
وتكرار الامر بالتقوى لانها مطلوبة في الدنيا والاخرة والحبس عن الجنة اي لمقدار ما
اختاره في الدنيا من الغفلة عن الحضرة والحساب اي لما اثبتته في الكتاب من استحقاق
الثواب واستيجاب العقاب واللوم كما يشير اليه قوله تعالى لا اقسم بيوم القيمة ولا
اقسم بالنفس اللوامة فانها تلوم نفسها على وجه الندامة فانها ان عملت خيرا
تلوم نفسها لماذا ما زادت عليه وان عملت شرا فظاهر فحصرها الملامة والتعيير اي
التوبيخ على التقصير وانقطاع الحجة اي ابطالها في تلك الحالة والحياء منه تعالى لما له
من الجلالة وورد اي من حديث ابي هريرة في رواية الترمذي وابن ماجة من حسن اسلام المرء
تركه ما لا يعنيه بل ورد ما هو اشد من هذا فعن انس انه استشهد غلام منا يوم
احد فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه التراب على وجهه وقالت
هنيئا لك الجنة يا بني فقال عم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه او يمنع ما
يضره ابن ابي الدنيا وللترمذي مختصرا وفي حديث آخر انه عم فقد كعبا فسأله عنه
فقالوا مريض فخرج يمشي حتى اتاه فلما دخل عليه قال له ابشر يا كعب فقالت امه

هنيئا لك الجنة يا كعب فقال أم من هذه المتألية على الله قال هي أمي يا رسول الله
قال وما يدريك يا أم كعب لعل كعبا قال ما لا يعنيه أو منع ما لا يغنيه والمعنى أن الجنة إنما
تتهنأ لمن لا يحاسب ولا يعاقب ومن تكلم فيما لا يعنيه حوسب عليه وإن كان كلامه مباحا
فلا تتهنأ الجنة له لا سيما مع المناقشة في الحساب فإنه نوع من العذاب ومنها
الفضول الكلام وهو زيادة فيما يعني دون على قدر الحاجة فإن من يعنيه أمر يمكنه أن يذكره
بكلام مختصر ويمكنه أن يبسطه ويقرره ويكرره ومهما تأدى مقصوده بكلمة واحدة
فذكر كلمتين فالثانية فضول أي فضل على الحاجة فعن ابن مسعود أنذركم فضول الكلام
بحسب امرئ ما يبلغ به حاجته أي من المرام في المقام فورد وطوبى لمن أمسك الفضل
من لسانه وأنفق الفضل من ماله بتمامه ووسعته السنة ولم تستهوه البدعة رواه
البغوي والبيهقي وابن عبد البر حديث حسن وفضول الكلام لا يحصر ولا يحصى بل المهم
محصور في كتاب الله تعالى لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح
بين الناس وقد ورد الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ما ابتغي به وجه الله تعالى
ومنها الخوض في الباطل وهو الكلام في المعاصي كمحاسن النساء أي حكايات أحوالهن من قدهن
وخدهن وجمالهن ومقامات الفساق من مجالس الخمر وسماع المزمر وتنعم الأغنياء أي
بالمأكول والمشروب من الأشياء وتجبر الملوك أي وأتباعهم من الأمراء والوزراء
وحروب الصحابة كقصتي الجمل وصفين على طريق الأخباريين لا على طريق المحدثين و
اللذات أهل الباطلة وما يتعلق بها من المشارب العاطلة فإن كل ذلك مما لا يحل
الخوض فيه فورد أعظم الناس خطايا جمع خطيئة كقضية وقضايا يوم القيمة أكثرهم
خوضا في الباطل لابن أبي الدنيا من حديث قتادة مرسلا ورجاله ثقات ورواه
الطبراني موقوفا على ابن مسعود بسند صحيح وهو في حكم المرفوع ولابن ماجه والترمذي
وقال حسن صحيح من حديث بلال بن الحارث إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن
أن تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها رضوانه إلى يوم يلقاه وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من
سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت يكتب الله بها عليه سخطه إلى يوم القيمة وكان لقمان
يقول كم من كلام قد منعنيه حديث بلال لابن حبان ولابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة
بسند حسن مرفوعا إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها أبعد من الثريا
وللشيخين والترمذي واللفظ له وقال حسن غريب إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى
بها بأسا يهوي بها سبعين خريفا في النار وهو أي الخوض في الباطل حرام كما يشير إليه قوله

تعالى وكنا نخوض مع الخائضين وقوله تعالى فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره
وقال سلمان أكثر الناس ذنوبا يوم القيمة أكثرهم كلاما في معصية الله وقال ابن
سيرين كان رجل من الأنصار يمر بمجلس لهم فيقول توضؤوا فإن ما تقولون شر من
الحدث يعني فإن الحديث مباح وكلام المعصية منكر ولذا قال بعض السلف توضؤوا
من الغيبة والنميمة والمقصود الطهارة الظاهرة والباطنة عن المعصية الردية و
الأولان أي ما لا يعني وفضول الكلام مكروهان كراهة تنزيه لأنهما ترك الأولى كما
لا يخفى وسبب الكل أي باعث جميع ما ذكر مما لا يعني والفضول والخوض هو الحرص على ما لا ينفع
بل إنه يضر في ما ينفع ومن هنا قال عليه السلام أنتم أعلم بأمور دنياكم وقال في الأنساب علم لا ينفع
وجهل لا يضر والانبساط بالكلام للتودد أي للتحبب مع الأنام والغفلة عن ذكر
الملك العلام وإمضاء الوقت من الليالي والأيام من غير منفعة للخاص والعام و
العلاج أي معالجة الكل ستة ذكر إتيان الموت لأنه به يتدارك الفوت في الأوقات وقد
ورد أكثروا ذكر هادم اللذات والسؤال أي وذكر السؤال عن الأحوال يوم العرض على
الملك المتعال وخوف الخسران بتضييع الوقت أي الزمان في الهذيان فقد قال تعالى قل هل أنبئكم
بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا والعزلة
والأنفع أي في المعالجة لأن أكثر الضرر في الصحبة والخلطة والقاء النواة في الفم أو حصاة
وهو مروي عن الصديق رضي الله عنه ففي الإحياء عنه أنه كان يضع حصاة في فيه يمنع بها نفسه
عن الكلام فيما لا يعنيه وكان يشير إلى لسانه ويقول هذا الذي أوردني الموارد أي المهالك
الصادرة من شأنه والسكوت عن بعض المهمات تحذرا من كل الآفات لأنه لا نجاة من هذه الآفات
إلا بالسكوت عن كل ما لم يأثم به لو سكت في المقامات وعن بعضهم جعلت على نفسي بكل كلمة
فيما لا يعنيني صلاة ركعتين فسهل ذلك علي فجعلت لكل كلمة صوم يوم فسهل علي ولم تنته حتى
جعلت على نفسي بكل كلمة أن أتصدق بدرهم فصعب علي فانتهيت وكذا في شرح الخطيب ومنها المراء
وهو في هذا المقام الطعن في الكلام أي كلام الغير بإظهار خلل أي نقصان أو طغيان أي
زيادة في معرض بيان بحسب المبنى أو من جهة المعنى وهو حرام قال تعالى فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا وعنه عم
لا تماره ولا تعده وعدا فتخلفه الترمذي من حديث ابن عباس وللطبراني من حديث أبي الدرداء
وأبي أمامة وأنس بن مالك وواثلة بن الأسقع ولابن أبي الدنيا موقوفا على ابن مسعود ذروا
المراء فإنه لا تفهم حكمته ولا تؤمن فتنته والواجب السكوت بإظهار كونه معترفا أو متوقفا
وهذا إذا لم يكن بأمور الدين متعلقا أو السؤال مستفيدا أي متعرفا أو التعريف أي تعريف

الخلل متلطفا اى لا متعنتا ولا متكلفا وورد من ترك المراء وهو محق اى صاحب حق بنى له
بيت فى اعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بنى له فى اسفل الجنة وفى رواية بنى له بيت فى ربض الجنة
رواه الترمذى وابن ماجه من حديث انس مع اختلاف قال الترمذى حديث حسن ولابن ابى الدنيا
من حديث ابى هريرة لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتى يدع المراء وان كان محقا وهو عند احمد
بلفظ لا يؤمن العبد حتى يترك الكذب فى المزاحة والمراء وان كان صادقا وللديلمى من حديث
ابى مالك الاشعرى ست خصال من الخير من كن فيه بلغ حقيقة الايمان الصيام فى الصيف وتعجيل
الصلوة فى يوم الدجن اى الغيم والصبر على المصيبات واسباغ الوضوء على المكاره وترك المراء وهو
صادق وللطبرانى من حديث ابى امامة تكفير كل لحاء ركعتان واللحى مصدر لاحى بمعنى مارى و
آفات المراء كثيرة ومضراته مستطيرة قال سفيان لو خالفت اخى فى رمانة فقال حلوة وقلت حامضة
لسعى بى الى السلطان وقال ايضا صاف من شئت ثم اغضبه بالمراء فليرمينك براهية تمنعك من العيش
وقال ابن ابى ليلى لا امارى صاحبى فاما ان اكذبه واما ان اغضبه ومنها الجدال اى بحث لترجيح كلام
كيف ما كان على دفع غيره وهو اى فى العرف او الغالب ما يتعلق باظهار المذاهب اى الفروعية
الخلافية او الاصولية الاعتقادية قال تعالى ولقد صرفنا فى هذا القران للناس من كل مثل وكان
الانسان اكثر شىء جدلا وقال عز وجل ولا تجادلوا اهل الكتاب الا بالتى هى احسن وقال عز وجل
ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن فهو مأذون فيه مع اهل الكفر
والبدعة ومنهى عنه فى حق المسلمين من اهل السنة والجماعة فللترمذى من حديث ابى امامة و
صححه ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا اوتوا الجدل وهو اى الجدل المذموم يعرف بكراهة اصابة
الخصم الحق والصواب فى اثنائه وارادة اخطائه وهو قد يوجب ظهور كفره واغوائه
واظهار فضل النفس فى اهوائه وورد فى حديث ام سلمة ان اول ما عهد الى ربى ونهانى عنه
بعد عبدة الاوثان وشرب الخمر ملاحاة الرجال اى مجادلتهم ومنازعتهم ومماراتهم فى محاوراتهم
رواه ابن ابى الدنيا والطبرانى والبيهقى وابو داود مرسلا من حديث عروة بن رويم والسبب
اى الباعث للمراء والجدال الترفع باظهار الفضل والكمال والتهجم على الغير باظهار نقصه
فى العلوم والاعمال والغضب اى تهييجه فى محافل الرجال وعلاج كل اى من الترفع والغضب
فى موضعه اى اللائق به ومجمله ان علاج الترفع ترك الكبر والتواضع وعلاج الغضب تصور
قدرة الرب ويروى ان الامام الهمام ابا حنيفة رحمه الله قال لداود الطائى احد تلامذته لم آثرت الانزواء
فقال لاجاهد نفسى بترك الجدال والمراء فقال احضر المجالس واسمع ما يقال ولا تتكلم فى الاثناء
قال ففعلت فما رأيت مجاهدة اشد منها هنالك قال فى الاحياء وهو كما قال لان من سمع من غيره خطاء

وهو

وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا ولذا قال عليه السلام من ترك المراء وهو محق بنى له بيت فى
اعلى الجنة لشدة ذلك على النفس وما يحصل لها من المحنة ثم قال وينبغى للانسان ان يكف اللسان
عن اهل القبلة واذا راى احد المبتدعة تلطف فى نصحه مع الخلوة بطريق المجادلة الحسنة و
المحاورة المستحسنة فعنه عليه السلام رحم الله من كف لسانه عن اهل القبلة الا باحسن ما يقدر عليه ابن
ابى الدنيا من حديث هشام بن عروة مرسلا وقال هشام بن عروة كان يردد قوله هذا سبع مرات
ومنها الخصومة وهى من الصفات المذمومة والاخلاق المشؤمة وهى لجاج اى مخاصمة زائدة
فى الكلام مع اصحاب الكرامة لاستيفاء حق اى له ولغيره اصالة او نيابة ابتداء او اعتراضا كاثبات
الورثة ودفع الخصومة انتهاء فالاول نعت المدعى بالكسر والثانى وصف المدعى عليه ومن هنا قيل
الصوفى لا يخاصم فورد اى فى البخارى عن عائشة رضى الله عنها ان ابغض الرجال الى الله الالد الخصم اى اللجوج
الشديد الخصومة والحديث مقتبس من قوله تعالى ومن الناس من يعجبك قوله فى الحيوة الدنيا ويشهد الله
على ما فى قلبه وهو الد الخصام ولابن ابى الدنيا وغيره عن ابى هريرة من جادل فى خصومة بغير علم
لم يزل فى سخط الله حتى ينزع وهو حرام الا المظلوم ينصر حجته بطريق الشرع مقتصرا على الحاجة من غير
تعد الى عدم حاجته لقوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وقوله والذين اذا اصابهم
البغى هم ينتصرون والاولى الترك اى اذا وجد اليه سبيلا فى مكان الامكان لعسر ضبط اللسان
على الاعتدال فى ميدان البيان والاحتراز عن موجبات الاثم اى والاحتراز عن مقتضيات انواع العصيان
كالحقد والغضب والسب وغيرها من نحو الكذب والبهتان والفرح بغم المسلم فى ذلك المقام وقوت
طيب الكلام اى لعونه وقد قال عليه السلام يوجب الجنة اطعام الطعام وحسن الكلام الطبرانى من حديث هانى
ابن شريح باسناد جيد وقال عمر رضى الله عنه بنى ان البر شىء هين وجه طليق وكلام لين ولاجل ما
تقدم قال تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله فقد قال عز وجل وقولوا للناس حسنا وقد قال بعضهم ما
خاصم قط ورع فى الدين وقال ابن قتيبة مر بى بشر بن عبد الله بن ابى بكرة فقال ما يجلسك قلت خصومة
بينى وبين ابن عم لى فقال ان لابيك عندى يدا وانى اريد ان اجزيك بها وانى والله ما رأيت شيئا
للدين ولا انقص للمروة ولا اضيع للذة ولا اشغل للقلب من الخصومة قال فقمت لارجع فقال لى
خصمى ما لك فقلت لا اخاصمك فقال عرفت انه حقى فقلت لا ولكنى اكرم نفسى عن هذا قال فاذا اطلب
منه شيئا هو لك ومنها التشدق اى التكلف فى الكلام والتوسع فى المرام بتكلف السجع والتصنع فيه
اى من غير ان يكون فى سجيته سجيع الطبع كما قيل لبعض المشايخ فى ذم السجع فقال رجعت عما
سجعت واما اصل السجع فغير مذموم فى الشرع كما نزل فى اصل اى القران القديم وورد فى كثير من
حديث النبى الكريم ومنه اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ونفس لا تشبع ودعاء لا يسمع ومن

هؤلاء الاربع واما ما ورد من انه عم قضى بغرة في الجنين فقال بعض قوم الجاني كيف ندي من
لا شرب ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك يطل اي يهدر ويبطل فقال عم اسجع كسجع الاعراب
وانكر ذلك لان اثر التكلف والتصنع بيّن عليه فهذا الباب والحديث رواه مسلم من حديث
المغيرة بن شعبة وابي هريرة واصلهما عند البخاري ايضا فورد شرار امتي الذين يتشدقون
في الكلام ابن ابي الدنيا من حديث فاطمة شرار امتي الذين غذوا في النعيم يأكلون الوان الطعام
ويلبسون الوان الثياب ويتشدقون في الكلام ولمسلم من حديث ابن مسعود الا هلك المتنطعون ثلث
مرات والتنطع هو التعمق والاستقصاء ولاحمد من حديث ابي ثعلبة وهو عند الترمذي من حديث جابر
وحسنه ان ابغضكم الى الله وابعدكم مني مجلسا الثرثارون المتفيهقون المتشدقون والسبب
اظهار الفصاحة والبلاغة واما تحسين الالفاظ في المواعظ وكذا في الخطب والتصنيف
للتأثير في القلوب فجائز دون الافراط اي من غير الاطناب في الاغراب لان المقصود تحريك
القلوب وتشويقها وقبضها وبسطها وتحقيقها وتدقيقها ولرشاقة الالفاظ والمباني
تأثير في ميدان المعاني واما المحاورات التي تجري في قضاء الحاجات فلا يليق بها السجع فيما بين
الكلمات فالاشتغال به من التكلف المذموم اذ لا باعث عليه الا الرياء الملام ومنها الفحش
وهو التصريح بالذمايم اي بالكلمات الذميمة كلفظ الجماع اي تصريحا لا تلويحا ففي ابن عباس ان الله
حيي كريم ويكني كني باللمس عن الجماع فالمسيس واللمس والدخول والصحبة كنايات عن الوقاع وليست
بفاحشة بالاجماع والبول وكذا الخرء بالاولى فينبغي ان يكنى عنهما بقضاء الحاجة او بالغائط
فانه من كنايات القرآن اذ حقيقته الموضع المنخفض من الارض مع فيه من التنبيه ان مثل هذه الكلمة
يليق بقضاء حاجة الانسان والجذام ونحوه من البرص والقرع والبواسير والقولنج والاسهال
بل يقال العارض الذي يشكوه وزوجتك وكذا امرأتك وسريتك بل يقال من في البيت والعيال
او اهل البيت او ام الاولاد ونحو ذلك والظاهر ان زوجتك من كنايات القرآن حيث قال تعالى
اسكن انت وزوجك الجنة وقال امسك عليك زوجك فورد الفحش ليس من الاسلام احمد
وابن ابي الدنيا باسناد صحيح من حديث جابر بن سمرة بلفظ ان الفحش والتفحش ليسا من الاسلام في
شيء الحديث وللنسائي والحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا
التفحش ولابن ابي الدنيا وابي نعيم في الحلية من حديث عبد الله بن عمرو باسناد لين الجنة حرام على كل
فاحش ان يدخلها قال العلاء بن زياد كان عمر بن عبد العزيز يتحفظ في منطقه فخرج خراج في ابطه
فقلنا نسأله ماذا يقول فقلنا من اين خرج فقال من باطن اليد ومن هذا القبيل قوله عم لامرأة
رفاعة حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك رواه البخاري من حديث عائشة ومن ذلك ما اتفق الشيخان

عليه

عليه من حديثهما في المراودة التي سألته عن الاغتسال من الحيض خذي فرصة ممسكة فتطهري بها
الحديث ومنها السب اي الشتم فورد سباب المؤمن فسق رواه الشيخان عن ابن مسعود ولفظه سباب
المسلم فسوق وقتاله كفر ولمسلم من حديث ابي هريرة المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم
ولاحمد وابي يعلى والطبراني من حديث ابن عباس باسناد جيد ملعون من سب والديه وفي الصحيحين من
حديث عبد الله بن عمرو من اكبر الكبائر ان يسب الرجل والديه قالوا يا رسول الله كيف يسب الرجل والديه
قال يسب ابا الرجل وتسب الاخر اباه ونهى رسول الله صلى الله عم عن ان يسب قتلى بدر من المشركين وقال
لا تسبوا هؤلاء فانه لا يخلص اليهم شيء مما تقولون وتؤذون الاحياء رواه ابن ابي الدنيا
من حديث محمد بن علي الباقر مرسلا ورجاله ثقات وللنسائي من حديث ابن عباس باسناد صحيح ان رجلا
وقع في اب للعباس كان في الجاهلية فلطمه الحديث وفيه لا تسبوا امواتنا فتؤذوا احياءنا و
لابي داود والترمذي وقال غريب من حديث ابن عمر اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساويهم وللنسائي
من حديث عائشة لا تذكروا موتاكم الا بخير واسناده جيد وللبخاري من حديث عائشة لا تسبوا
الاموات فانهم قد افضوا الى ما قدموا والرخصة في مثل هل انت الا من بني فلان اي اذا كان
بنو فلان من القبائل الدنية واهل الشمائل الردية فيكون صادقا في قوله يا سيء الخلق لان الخلق
لا يخلو عن سوء الخلق لا حيا لك اي حق الحياء يا احمق اذ لا يخلو احد من نوع حماقة يا جاهل لان
كل احد جهله اكثر من علمه لقوله تعالى وما اوتيتم من العلم الا قليلا وكل اي فرد من افراد الانسان
لا يخلو عن جهل وحمق ولو في بعض الاحيان والله المستعان ومنها اللعن بمعنى الطرد وهو الابعاد
عنه تعالى اي طلب بعد الغير عن رحمته سواء يكون بجملة خبرية كلعنة الله او دعائية كاللهم العنه
فهو حكم عليه تعالى لان الخبر ايضا بمعنى الامر فلا يجوز اي على احد من فاسق ومبتدع وفاجر
بل لا يجوز لا على كافر اي بحسب حكم ظاهر لجواز انه اسلم اي ولم يطلع على ايمانه احد الا اذا
علم موته كافرا بنص قطعي من كتاب كابي لهب وبتواتر في حديث كابي جهل وفرعون فان كفره
ثابت بالكتاب والسنة واجماع الامة ولا التفات الى كلام ابن العربي ومن تبعه كما
بينته في رسالة مستقلة ولا حي اي ولا على كافر حي لاحتمال انه يسلم في آخر عمره وخاتمة امره
بخلاف الترحم للاسلام الحالي جواب سؤال العقد وهو انه ينبغي ان لا يجوز الترحم للمسلم في الحال
لجواز ان يكون في المال فقال انما يجوز لانه اي الدعاء بالرحمة للمسلم سؤال الثبات على الاسلام
وهو مستحب باجماع الاعلام وسؤال الثبات على الكفر كفر لانه يدل على رضاه بخلاف الدعاء
لاحد بالموت على الكفر فانه رضاه ليس بكفر بل يموت على كفر تغيظا في امره ويدل على جوازه دعاء
موسى وهرون عم على فرعون وقومه بقولهما ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا

حتى يروا العذاب الاليم ومن المعلوم ان ايمانهم عند رؤية العذاب ايمان بأس وتوبة بأس فلا يقبل لقوله تعالى ولم يك ينفعهم ايمانهم لما راوا بأسنا وقوله حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الآن وقوله عم ان الله يقبل التوبة العبد ما لم يغرغر واما اذا قيل اغفر ارحم فلانا وهو كافر واراد به الدعاء له بان يجعل سبحانه اهلا للمغفرة والرحمة بالايمان والمعرفة فيقبل لا بأس والظاهر انه لا يجوز لنهي الشارع ان يقال عطسة الكافر يرحمك الله بل يقال يهديكم الله ويجوز التعميم مثل لعن الله الكافرين كقوله تعالى فلعنة الله على الكافرين والا لعنة الله على الظالمين بل يجوز التعميم ايضا في حق الفاجرين من غير تعيين بان يقال لعن الله من اكل الربوا وموكله وكاتبه وشاهده وهم يعلمون كما رواه الطبراني عن ابن مسعود مرفوعا ولعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه واكل ثمنها كما اخرجه ابو داود والحاكم عن ابن عمر ولعنت العذرة على لسان سبعين نبيا رواه الدارقطني في العلل عن علي رضي الله عنه ويجوز لعنة الله على اليهود والنصارى والمجوس وعلى الخوارج والروافض والاولى الترك اي ترك اللعن مطلقا اي عموما وخصوصا فيما لم يرد في الكتاب والسنة لعنه اذ هو مما لا يعنيه قال الحكم ابن ابراهيم كنا عند ابن عوف فذكروا بلال ابن ابي بردة فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عوف ساكت فقالوا يا ابن عوف انما نذكره لما ارتكب منك فقال ابن عون انهما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيمة لا اله الا الله ولعن الله فلانا فلان تخرج من صحيفتي لا اله الا الله احب الي من ان تخرج لعن الله فلانا وعلى الجملة ففي لعنة الاشخاص خطر فليجتنب في امره ولا خطر في السكوت عن لعن ابليس فضلا عن غيره وورد المؤمن اي الكامل ليس بلعان اي بذي لعن فالصيغة للنسبة كالتمار واللبان او للمبالغة فانه ربما يصدر عن المؤمن في حالة من احوال الغضب والغفلة وهو مذموم سواء يكون لانسان او جماد او حيوان والحديث رواه الترمذي وحسنه من حديث ابن عمر لا يكون المؤمن لعانا ولابي داود والترمذي من حديث سمرة بن جندب وقال الترمذي حسن صحيح لا تلاعنوا بلعنة الله ولا بغضبه ولا بجهنم وقال عمران بن حصين بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره اذا امراءة من الانصار على ناقة لها فضجرت منها فلعنتها فقال عم خذوا ما عليها واعروها فانها ملعونة قال فكاني انظر الى تلك الناقة تمشي في الناس لا يعرض لها احد رواه مسلم ولابن ابي الدنيا باسناد جيد من حديث انس كان رجل مع رسول الله صلى الله عم على بعير فلعن بعيره فقال يا عبد الله لا تسر معنا على بعير ملعون قال ذلك انكارا عليه كذا في الاحياء وعن ابي ذر راى ابا بكر وهو يلعن بعض رقيقه فالتفت اليه وقال يا ابا بكر

اللعانين والصديقين كلا ورب الكعبة اللعانين والصديقين كلا ورب الكعبة مرتين او ثلاثا فاعتق ابو بكر يومئذ رقيقه وجاء الى النبي صلى الله عم وقال لا اعود رواه ابن ابي الدنيا ان اللعانين لا يكونون شفعاء ولا شهداء يوم القيمة وشرب نعيمان الخمر عدة مرات في مجلس رسول الله صلى الله عم فقال بعض الصحابة لعنه الله ما اكثر ما يؤتى به فقال عم لا تكونوا عونا للشيطان على اخيكم وفي رواية لا تقل هذا فانه يحب الله ورسوله ابن عبد البر في الاستيعاب وللبخاري من حديث عمر ان رجلا على عهد رسول الله صلى الله عم كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله صلى الله عم وكان قد جلده في الشراب فاتي به يوما فامر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما اكثر ما يؤتى به فقال عم لا تلعنوه فوالله ما علمت الا انه يحب الله ورسوله وهذا يدل على ان لعن فاسق بعينه لا يجوز وفي الصحيحين من حديث ابن ضحاك لعن المؤمن كقتله والتحقيق ان اللعن غير جائز الا على من يتصف بصفة يبعده عن الله وهي الكفر والفسق والظلم والبدعة وذلك عيب باعتبار الخاتمة اذ ربما يموت صاحبه على التوبة فلعن الاعيان فيه خطر لان الاحوال تتقلب على الاعيان الا انه عم يجوز ان يعلم من يموت على غير الاسلام ولذا كان يقول في دعائه على قريش اللهم عليك بابي جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وغيرهما ممن قتلوا على الكفر ببدر كما في الصحيحين من حديث ابن مسعود واما من لم يعلم عاقبته وكان يلعنه فنهى عن ذلك اذ روي انه كان يلعن الذين قتلوا اصحاب بئر معونة في قنوته شهرا فنزل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون يعني انهم ربما يقولون فمن اين تعلم انهم ملعونون كذا في الاحياء وقال المخرج رواه الشيخان من حديث انس دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الذين قتلوا اصحاب بئر معونة ثلثين صباحا الحديث وفي رواية لهما قنت شهرا يدعو على رعل وذكر الحديث ولهما من حديث ابي هريرة كان يقول حين يفرغ من صلوة الفجر من القراءة ويكبر ويرفع رأسه الحديث وفيه العن لحيان ورعلا الحديث وفيه ايضا ثم بلغنا انه ترك ذلك لما انزل الله ليس لك من الامر شيء ولفظه المسلم واما من يأمن موته على الكفر فجاز لعنه ان لم يكن فيه اذى على مسلم لما روي ان رسول الله صلى الله عم سأل ابا بكر عن قبر مر به وهو يريد الطائف فقال هذا قبر رجل كان عاتيا على الله وعلى رسوله وهو سعيد بن العاص فغضب ابنه وهو عمرو ابن سعيد وقال يا رسول الله هذا قبر رجل كان اطعم للطعام واضرب للسهام من ابي قحافة فقال ابو بكر يكلمني هذا يا رسول الله بمثل هذا الكلام فقال عم لعمرو اكفف عن ابي بكر وانصرف ثم اقبل على ابي بكر فقال يا ابا بكر اذا ذكرتم الكفار فعمموا فانكم ان خصصتم غضب الابناء للاباء فكف الناس

عن ذلك كذا في الاحيا وقال المخرج رواه ابو داود في مراسيله من رواية علي بن ربيعة قال
لما فتح رسول الله صلى الله عم مكة توجه من فوره ذلك الى الطائف ومعه ابو بكر ومعه
ابنا سعيد بن العاص فقال ابو بكر لعن الله صاحب هذا القبر فانه كان يحاد الله ورسوله
الحديث وفيه فاذا سببتم المشركين فسبوهم جميعا وللترمذي من حديث المغيرة بن شعبة ورجاله
ثقات لا تسبوا الاموات فتؤذوا الاحيا فان قيل هل يجوز لعن يزيد لكونه قاتل الحسين او
امر به فقال الغزالي هذا لم يثبت اصلا فلا يجوز ان يقال انه قتله او امر به ما لم يثبت فضلا
عن اللعن لانه لا يجوز نسبة مسلم الى كبيرة من غير تحقيق وبصيرة نعم يجوز ان يقال قتل ابن
ملجم عليا رض وقتل ابو لؤلؤة عمر رض لان ذلك ثبت متواترا ولا يجوز ان يرمى مسلم بكفر
وفسق من غير تحقيق فعنه عم لا يرمي رجل رجلا بالكفر ولا يرميه بالفسق الا ارتدت عليه
ان لم يكن صاحبه كذلك رواه الشيخان من حديث ابي ذر رض وللديلمي من حديث انس ما
شهد رجل على رجل بالكفر الا باء به احدهما ان كان كافرا فهو كما قال وان لم يكن كافرا فقد كفر
بتكفيره اياه وهذا معنى معناه ان يكفره وهو يعلم انه مسلم فان ظن انه كافر ببدعة
او غيرها كان مخطئا لا كافرا فان قيل فهل يجوز ان يقال قاتل الحسين لعنه الله والآمر
بقتله لعنه الله قلنا الصواب ان يقال قاتل الحسين ان مات قبل التوبة لعنه الله لانه
يحتمل ان يموت بعد التوبة فان وحشيا قاتل حمزة قتله وهو كافر ثم تاب عن القتل والكفر
جميعا ولا يجوز اللعن والقتل كبيرة ولا ينتهي درجته فاذا لم يقيد بالتوبة واطلق كان
فيه خطر كذا في الاحيا وقد تقدم عنه انه لا يجوز لعن احد الا اذا تحقق موته على الكفر فالصواب
ان يقال قاتل الحسين ان مات على الكفر لعنه الله اذ لا يجوز لعنه ان مات على الايمان وتاب
عن العصيان والله المستعان ومنها نسبة الذنب الى المسلم يعني وهو بريء منه الا
الذنب بعد التحقيق اي الا الذنب الذي تحقق وقوعه منه فقد قال تعالى ومن يكسب خطيئة
او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ومنها الدعاء على احد قال تعالى ويدع
الانسان بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا فورد فان المظلوم ليدعو على الظالم اي
فيقول لا صحح الله جسمه ولا سلم الله روحه ونحوه حتى يكافيه اي يماثله في الظلم ثم يبقى
للظالم فضلة عنده اي زيادة يوم القيمة اي ان زاد على مثله لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم والحديث كذا في الاحيا وقال المخرج لم اقف له على اصل وللترمذي
من حديث عائشة بسند ضعيف من دعا على من ظلم فقد انتصر قلت وهو مطابق لقوله تعالى
ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما السبيل على الذين يظلمون الناس اي

ابتداء

ابتداء او بالتجاوز عن الحد انتهاء ومنها المزاح بكسر الميم مصدر مزح او مازح و
بضم الميم ما يمزح وهو المطايبة في الكلام باللسان الا انه لما كان اللسان كالترجمان
على حال الجنان قال المصنف وهو مطايبة القلب ولا يبعد ان يكون المعنى وهو سبب لطيب
القلب وهو اي كثيره او اصله مذموم اي فاعله ملوم لانه يولد اي يهيج كثيرا من الذنوب
والعيوب اي الظاهرة والباطنة كحقد العاقل وجرأة السفيه اي الجاهل فعن سعيد
ابن العاص قال لابنه يا بني لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا الدني فيجترئ عليك و
سقوط الوقار اي الهيبة والعظمة في نظر الابرار فعن عمر رض من مزح استخف به وذهاب
حلاوة المحبة لانه لا يخلو عن مرارة في الصحبة ويقال المزاح مذهب للبهاء ومقطعة للاصدقاء
والغفلة عنه تعالى اي عن ذكر الرب بحسب الاغلب وظلمة القلب اي الناشئة عن الغفلة
وورد لا تمار اخاك ولا تمازحه الترمذي الا النادر الخالي عن الباطل اي فانه غير مذموم
كما ورد اني امزح ولا اقول الا حقا لكن مثله يقدر ان يمازح ولا يقول الا حقا واما غيره
فاذا فتح باب المزاح كان غرضه ان يضحك الناس كيف كان وكثرة الضحك يميت القلب ويدل
على الغفلة عن احوال الاخرة واهوالها وقد ورد لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا متفق عليه من حديث انس وعائشة وقال القاسم مولى معاوية اقبل اعرابي رسول الله
صلى الله عم على قلوص له فسلم فجعل كلما دنى الى النبي صلى الله عم ليسأله يقربه وجعل
الصحابة يضحكون منه ففعل ذلك مرارا ثم وقصه فقتله فقيل يا رسول الله ان الاعرابي
قد صرعه قلوصه فهلك قال وافواهكم ملأى من دمه ابن مبارك في الزهد والرقائق وهو
مرسل كما هو المأثور عن الحسن قالت اتت عجوز الى النبي صلى الله عم فقال عم لا تدخل الجنة
عجوز فبكت فقال انك لست بعجوز يومئذ قال تعالى انا انشأناهن انشاء فجعلناهن
ابكارا عربا الترمذي في الشمائل هكذا مرسلا واسنده ابن الجوزي في الوفاء من حديث انس
بسند ضعيف وروى زيد بن اسلم ان امرأة يقال لها ام ايمن جاءت الى النبي صلى الله
عليه وسلم فان زوجي يدعوك فقال من هو اهو الذي بعينه بياض فقالت والله ما بعينه
بياض فقال بلى ان بعينه بياض فقالت لا والله فقال عم ما من احد الا بعينه بياض اراد
به البياض المحيط بالحدقة الزبير بن بكار وجاءته امرأة اخرى فقالت يا رسول الله
احملني على بعير فقال عم حملتك على ابن البعير فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال عم وهل من بعير
الا وهو ابن البعير ابو داود الترمذي وصححه من حديث انس بلفظ انا حاملوك
على ولد الناقة وروى ان الضحاك بن سفيان الكلابي كان رجلا دميما قبيحا فبايعه

القلوص من النوق الشابة بمنزلة الجارية من النساء مختار

الوقص دق العنق وكسرها يقال وقصت عنقه اي كسرتها مختار

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عندي امرأتان احسن من هذه الحميراء افلا انزل لك عن احداهما
فتزوجها وعائشة جالسة تسمع قبل ان يضرب الحجاب فقالت هي احسن ام انت فقال
بل انا احسن منها واكرم فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسارة عائشة اياه لانه
ذمها الزبير بن بكار من رواية عبد الله بن حسن بن حسين مرسلا او معضلا وللدار
قطني نحو هذه القصة مع عيينة بن حصين الفزاري بعد نزول الحجاب من حديث ابي هريرة
وقال عليه السلام لصهيب وبه رمد وقدامه ياكل تمرا فقال اتاكل التمر وانت رمد فقال انما آكل
بالشق الآخر فتبسم عليه السلام قال بعض الرواة حتى بدت نواجذه ابن ماجة والحاكم من حديث صهيب
وروي ان خوات بن جبير كان جالسا الى نسوة من بني كعب بطريق مكة فطلع عليه النبي
عليه السلام فقال يا ابا عبد الله ما لك مع النسوة فقال يفتلن ضفيرا لجمل لي شرود قال
فمضى عليه السلام لحاجته ثم طلع عليه فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل ذلك الشراد بعد قال
فسكت واستحييت قال فكنت بعد ذلك اتفرر منه كلما رايته حياء منه حتى قدمت
المدينة وبعدما قدمت المدينة حتى طلع علي وانا اصلي في المسجد فجلس الي فطولت صلوتي
فقال لا تطول فاني انتظرك فلما فرغت قال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الشراد بعد
فسكت واستحييت قال وكنت اتفرر منه حتى لحقني يوما وهو على حمار وقد جعل رجليه
في شق واحد فقال يا ابا عبد الله اما ترك ذلك الجمل الشراد بعد فقلت والذي بعثك
بالحق نبيا ما شرد منذ اسلمت قال الله اكبر الله اكبر اللهم اهد ابا عبد الله قال فحسن اسلامه
وهداه الله تعالى الطبراني في الكبير من رواية زيد بن اسلم عن خوات بن جبير ورجاله ثقات
وكان نعيمان الانصاري رجلا مزاحا وكان يشرب فيؤتى به الى النبي صلى الله عليه وسلم فيضربه
بنعله ويامر اصحابه فيضربونه بنعالهم فلما كثر ذلك منه قال له رجل من الصحابة لعنك
الله فقال النبي عليه السلام لا تفعل فانه يحب الله ورسوله قال وكان يشتري الشيء ويهديه الى النبي
عليه السلام ثم يجيء بصاحبه فيقول اعطه ثمن متاعه فيقول عليه السلام اولم تهده لنا فيقول يا رسول
الله والله لم يكن عندي ثمنه واحببت ان تأكله فيضحك عليه السلام ويامر لصاحبه بثمنه رواه
الزبير بن بكار فهذه مطيبات يباح مثلها بل يستحب احيانا ومن الغلط العظيم ان
يتخذ الانسان المزاح حرفة على الدوام ويتمسك بفعله عليه السلام فهو كمن يدور مع
الزنوج ابدا ينظر الى رقصهم ويتمسك باذنه عليه السلام لعائشة في النظر الى رقصهم في يوم
عيدهم فهذا خطأ اذ من الصغائر ما يصير كبيرة بالاصرار ومن المباحات ما تصير
صغيرة بالاصرار كذا في الاحياء ومنها الاستهزاء وهو استحقار الغير بذكر عيوبه

على وجهه يضحك اي منه على الملاء قولا وفعلا متعلقان بذكر عيوبه تنبيها على ان
ذلك قد يكون بالمحاكاة في الفعل والقول وقد يكون بالاشارة والايماء فعن عائشة
حكيت انسانا فقال عليه السلام ما يسرني اني حكيت انسانا ولي كذا وكذا رواه ابو داود والترمذي
وصححه وهو بجميع انواعه حرام لانه ايذاء وايضا هو عمل السفهاء ولذا قال موسى عليه السلام
اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين حين قال لقومه اتتخذنا هزوا اي مهزوا بنا وورد
في سورة الحجرات لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى ان
يكن خيرا منهن من عير اخاه بذنب لم يمت حتى يعمله الترمذي عن معاذ بن جبل وحسنه وذكر
عن احمد بن منيع قالوا من ذنب قد تاب منه وعنه عليه السلام ان المستهزئين بالناس يفتح لاحدهم
باب من الجنة فيقال له هلم هلم فيجيء بكربه وغمه فاذا اتاه اغلق دونه فما يزال كذلك حتى
ان الرجل ليفتح له الباب فيقال له هلم هلم فما ياتيه ابن ابي الدنيا مرسلا وعن عبد الله بن
عباس في قوله تعالى يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصيها الصغيرة
التبسم بالاستهزاء بالمؤمن والكبيرة القهقهة بذلك وذلك كالضحك على خطه وصنعته
او على صورته وخلقته الا استثناء منقطع اي انما يحرم فيمن يتأذى به لا فيمن جعل
نفسه مسخرة يمزح وربما يفرح بسببه فهو اي السخرية في حقه كالمزاح الذي في اصله من جنس
المباح ومنها اظهار السر افشاء سر صاحبه واذاعته واشاعته فهو من لؤم الطبع
ومنهي عنه في لسان الشرع وفيه الايذاء والاستحقار اي التهاون بحق المعارف والاصدقاء
وورد لا يحل لاحد ان يفشي على صاحبه ما يكره لم يعرف بهذا اللفظ لكن ورد الحديث بينكم امانة رواه
ابن ابي الدنيا من حديث ابن شهاب مرسلا وللخطيب عن علي المجالس بالامانة ولابي داود عن جابر
المجالس بالامانة الا ثلاثة مجالس سفك دم حرام او فرج حرام او اقتطاع مال بغير حق
وورد من حديث جابر اذا حدث الرجل الحديث ثم التفت فهي امانة ابو داود والترمذي
وحسنه ومنها الوعد على عزم الخلف فهو من ثلث خصال هي علامات النفاق فعن ابي
هريرة مرفوعا ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث
كذب واذا وعد خلف واذا ائتمن خان متفق عليه والواجب اي شرعا او مروة الوفاء
في كل وعد فيهم اي صاحب الوعد منه الجزم وان استثنى اي وقال ان شاء الله لانه قد يقال
للتبرك او للتبري من الحول والقوة كما يشير اليه قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل
ذلك غدا الا ان يشاء الله اي الا مقرونا بذكر مشيته وارادته فورد اي في قوله تعالى
يا ايها الذين آمنوا اوفوا بالعقود اي بالعهود وورد في السنة العدة اي الوعد دين

اى فرض كعرض او عطية شك او اختلاف رواية وهو الاظهر وقد اقتصر في الاحياء
على الثاني قال المخرج ابو نعيم في الحلية عن ابن مسعود ورواه غيره ايضا واما اللفظ الاول
فرواه الطبراني في الاوسط عن علي وعن ابن مسعود وفي رواية ابن عساكر عن علي العدة دين
ويل لمن وعد ثم اخلف كرره ثلثا ولابن ابي الدنيا من رواية ابي لهيعة مرسلا الواى مثل
الدين او افضل وقال الواو معنى الوعد وقد رواه الديلمي ايضا عن علي وقد اثنى الله على
نبيه اسمعيل عم بقوله انه صادق الوعد يقال انه واعد انسانا الى موضع فلم يرجع
اليه فبقي اثنين وعشرين يوما ينتظره وعن عبد الله بن ابي الحمساء بايعت النبي صلى الله
عليه وسلم فوعدته ان آتيه بها في مكانه ذلك فنسيت يومي والغد فاتيته اليوم الثالث
وهو في مكانه فقال يا فتى قد شققت علي انا ههنا منذ ثلث انتظرك رواه عندك
موعدا قال صدقت فاحتكم ما شئت فقال احتكم ثمانين ضانية وراعيها فقال هي لك
ولقد احتكمت يسيرا ولصاحبة موسى التي دلته على عظام يوسف كانت اجزم منك
واجزل حكما حين حكمها موسى فقالت حكمي ان تردني شابة وادخل معك الجنة ابن حبان والحاكم
في مستدركه من حديث ابي موسى مع اختلاف وقال الحاكم صحيح الاسناد واجزم بالجيم والزاء اي
اوجب ولا يبعد ان يكون بالحاء المهملة اي احوط والزم ويعذر اي يعد معذورا اذ ترك
اي الوفاء بعذر اي شرعي او عرفي وكان ابن مسعود لا يعد وعدا الا ويقول ان شاء الله اي تعليقا
لئلا يكون الوعد محققا وقيل لابراهيم بن ادهم الرجل يواعد الرجل الميعاد فلا يجيء قال
تنتظره ما بينه وبين ان يدخل وقت الصلوة التي تجيء قلت وهذا من قبيل الايجاب فيما سبق
من باب الاستحباب فورد فيه اي في المعذور نفي الاسم ان كان في نية الوفاء اي من اصله
في الوعد المذكور فلابي داود والترمذي من حديث زيد بن ارقم اذا وعد الرجل اخاه وفي نيته
ان يفي فلم يف فلا اثم عليه لكنه متصور بصورة الخلف فالاولى الاحتراز اي احترازا
من التهمة في خلف الوعد واما ما في الاحياء انه عم كان اذا وعد وعدا قال عسى فقال المخرج
لم اجد له اصلا ومنها الكذب بفتح وكسر وبكسر فسكون وقد عد من قبائح الذنوب وفواحش
العيوب وهو حرام بالكتاب والسنة قال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله
وفي الصحيحين اربع من كن فيه فهو منافق اذا حدث كذب وفيهما عن ابن مسعود لا يزال العبد
يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا ولابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف
عن عبد الله بن جراد انه سئل النبي عم فقال هذه الكلمة انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون
بآيات الله وفي حصره مبالغة وفي نفيه عن المؤمن اومقيدة بالكامل ويؤيده ما رواه

ابي شيبة في مصنفه من حديث ابي امامة وابن عدي من سعيد بن ابي وقاص على كل خصلة تطبع
او يطوى عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقيل الخ الدصيح من يكذب كذبة واحدة
هل يسمى فاسقا قال نعم الا استثناء من قوله وهو حرام اي ولا يحرم بل يجب اذا وقع
في تركه اي حصل في ترك الكذب فحش هنه اي منكر اعظيم من الكذب كما في ستر الاسرار اي
بان يسأل عن سر اخيه فله ان ينكره ويكذب فيه وكذا في ستر اسرار نفسه من كشف عوراته
فعنه عم اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها فمن علم شيئا فليستتر بستر الله رواه
الحاكم واسناده حسن كذا لان اظهار الفاحشة فاحشة اخرى بل اعظم من الاولى فللرجل
ان يحفظ دمه وماله الذي يؤخذ ظلما وعرضه بلسانه وان كان كاذبا والانكار عن
العلم اي وكما في عدم الاقرار بمكان من اختفى عن ظالم قصد قتله او ضربه او اخذ ماله او
كشف عرضه وماله فعن ميمون بن مهران ان الكذب في بعض المواطن خير من الصدق ارايت
لو ان رجلا يسعى واخو رانه بالسيف فدخل دارك فانتهى اليك فقال ارايت فلانا ما
كنت قائلا له الست تقول لم اره وما تصدق فهذا الكذب واجب وفيه اي تركه احسن
من الصدق كما في اصلاح ذات البين فورد الاستثناء اي استثناء حرمة الكذب في
الحرب والاصلاح اي اصلاح ذات البين والحديث مع المراة ففي صحيح مسلم عن ام كلثوم
قالت ما سمعت رسول الله صلى الله عم يرخص في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل يقول
القول يريد الاصلاح والرجل يقول القول في الحرب والرجل يحدث امراته تحدث زوجها
ولعل المراد بتحديث الزوجين ما يقع بينهما من الوعد في احد المرين بنية عدم الوفاء
في الخبرين لما رواه ابن عبد البر في التمهيد من رواية صفوان بن سليم عن عطا بن يسار مرسلا
قال رجل للنبي صلى الله عم اكذب اهلي قال لا خير في الكذب قال اعدها واقول لها قال لا
جناح عليك ولان اسرار الحرب لو وقف عليه العدو اجترأ واسرار الزوج لو وقفت
عليه المراة نشاء منه فساد اعظم من فساد الكذب وكذا المتخاصمان يدور بينهما المعصية
المعصية والعداوة فاذا امكن الاصلاح بكذب فذلك اولى من الصدق الذي لم يترتب
عليه خير ثم لا يجوز الكذب ولو كان بطريق اللعب فعن عبد الله بن عامر جاء عليه السلام عم
الى بيتنا وانا صبي صغير فذهبت لالعب فقالت امي يا عبد الله تعال اعطيك فقال عم
ما اردت ان تعطيه فقالت تمرا فقال اما انك لو لم تفعل كتبت عليك كذبة رواه ابو داود
لا اي يجوز الكذب عند استواء الطرفين فاصله قبيح اي في الامرين فلا بد من ترجيح
والاولى الترك اي ترك الكذب فحاجته اي امر نفسه لان الصدق انجى والخلاص فيه

ادرجي لا حاجة الغير وهو تصريح بما علم ضمنا انا مكني اي تركه لغموض الامر لخفاء جواز
امر الكذب فانه يختلف باختلاف الذوات وتفاوت الحالات والاوقات ولو تعريضا غاية
من قوله والاولى الترك لانه اي التعريض بمعنى التلويح تغرير على ظن كاذب وقد ورد من
حديث يحدث وهو يرى انه كذب فهو احد الكذابين رواه مسلم في مقدمة صحيحه من حديث سمرة
ابن جندب هذا وقد جوز الكذب للضرورة المبيحة للمحظورات والاولى وان لم يكن ترك
الكذب فالمعاريض معينة وهي بفتح الميم ان يتكلم المرء بكلمة يظهر من نفسه شيئا ومراده
شيء اخر كذا في البستان وتحقيقه في قوله تعالى ولا جناح عليكم فيما عرضتم من خطبة النساء
وفي المغرب التعريض خلاف التصريح والفرق بينه وبين الكناية هو ان التعريض تضمين الكلام
دلالة ليس فيها ذكر كقوله ما اقبح البخل تعريض بانه بخيل والكناية ذكر اللازمة وارادة
الملزوم كقولك فلان طويل النجاد كثير الرماد والنجاد حمائل السيف والمعنى انه
طويل ومضياف وقد ورد ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب ابن عدي والبيهقي
عن عمران بن حصين مرفوعا وفي الاحياء وقد نقل عن السلف ان في المعاريض لمندوحة
عن الكذب وغفل مخرجه ايضا عن ايراد حديث مثل الله يعلم ما قلته لاحتمال كون ما
نافية او موصولة استفهامية ومنذ فارقتك ما رفعت الجنب عن الفراش الا ما
دفعه الله تعالى فانه يشتمل الرفع الاختياري والاضطراري في الانكار عن القوة بالنسبة
الى الاول والصحة بالاضافة الى الثاني فيهما لف ونشر مرتب في بديع المعاني في الاحياء
ومن امثلة المعاريض ما روي ان مطرفا دخل على زياد فاستبطاه فتعلل بمرض وقال
ما رفعت جنبي مذ فارقت الامير الا ما رفعني الله وقال ابراهيم اذا بلغ الرجل عنك
شيئا فكرهت ان تكذب قلت ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شيء فيكون قوله ما حرف
نفي عند المستمع وعنده للابهام وكان معاذ عاملا لعمر رض فلما رجع قالت امرأته ما
جئت به مما ياتي العمال من عراضة اهليهم ولم يكن جاء به فقال كان معي ضاغط فقالت
كنت امينا عند رسول الله صلى الله عم وابي بكر فبعث معك عمر رض ضاغطا فقامت
بذلك في نسائها فاشتكت عمر فلما سمع عمر بذلك دعا معاذا فقال بعثت معك ضاغطا
فقال لم اجد ويجوز الاجمال اي الابهام في الغيبة فورد ما بال اقوام يفعلون كذا رواه ابو داود
عن عايشة بسند صحيح انه عم كان اذا كره من انسان شيئا قال ما بال اقوام يفعلون كذا او
كذا الا ان يفهم المعين اي من المبهم بقرينة فقولك بعض من قدم ابن السفر وبعض من يدعي
العلم وبعض من مر بنا وبعض من راينا اذا كان معه قرينة تفهم عين الشخص فهو غيبة

لان المحذور تفهيمه دون ما به التفهيم وكذا مثل الطائفة الذين مضوا على اليوم من
جملة الابهام فان الطائفة بمعنى القوم وانواعها ستة الصريح وهو ظاهر ومنه ان
عائشة ذكرت امراة فقالت انها قصيرة فقال اغتبتها رواه احمد واصله عند ابي داود
والترمذي وصححه والتعريض اي التلويح مثل قولك تاب الله عليه ففيه تنبيه على انه يرتكب ما
يجب عليه التوبة وقد يقول ذلك المسكين قد بلي بآفة عظيمة تاب الله علينا وعليه
الحمد لله الذي عصمني عن مخالطة السلطان وهذا من غيبة القراء المرائين واتباع
الشياطين وهو اخبث انواع الغيبة فانهم يفهمون المقصود على صيغة اهل الصلاح ليظهروا
من انفسهم التعفف عن الغيبة ولا يدرون بجهلهم انهم جمعوا بين فاحشتين الرياء والغيبة و
الاشارة فورد تسميته غيبة وفي نسخة تسميه غيبة ومن ذلك قول عائشة دخلت علينا امرأة
فلما ولت اومأت بيدي اي قصيرة فقال عم قد اغتبتها ابن ابي الدنيا وابن مردويه
ورجاله ثقات والغمز اي بالعين للتشبيه او اخذا بيد للتنبيه والمحاكات فورد حين حكت
عائشة انسانا فقال ما يسرني وفي رواية ما احب اني حكيت انسانا وان لي كذا وكذا وقد تقدم
تقال حكاه وحاكاه اذا فعلت مثله فعله واكثر ما يستعمل في القبيح قال النووي ومن الغيبة
المحرمة المحاكاة بان يمشي متعارجا او مطاطا راسا او غير ذلك من الهيئات بل هو اشد
انواع الغيبة لانه اعظم في التصوير والتفهيم على ما في الاحياء وكل ما يفهم عنها كذكر المصنفين
في تصنيفاتهم شخصا معينا وتهجين كلامه والتهوين مرامه الا ان يقترن به شيء من الاعذار
المحوجة الى ذكره وذلك لان القلم احد اللسانين ويحصل به الغيبة نصا وتلويحا فورد
اي في سورة الحجرات ولا يغتب بعضكم بعضا اي لا يتناول بعضكم في ظهر الغيب بما يسوءه مما فيه
ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا الاية فكرهتموه والاستفهام للانكار قال المجاهد لما قيل
لهم ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا قالوا لا اي بلسان القال او بيان الحال قيل فكرهتموه و
المعنى فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائبا قال الزجاج وتاويله ان ذكرك من لم
يحضرك بسوء بمنزلة اكل لحمه وهو ميت لا يحس به وقالت عائشة رض لا يغتابن منكم احد احدا
فاني قلت لامرأة مرة وانا عنده عم ان هذه لطويلة الذيل فقال الفظي الفظي فلفظت بضعة
من لحم اخرجه ابن ابي الدنيا وابن مردويه في التفسير ولما رجم رسول الله صلى الله عم الرجل في الزنا
قال رجل لصاحبه اقعص كما يقعص الكلب اي قتل كما يقتل فمر النبي صلى الله عم وهما معه بجيفة
فقال انتهشا فقالا يا رسول الله ننتهش جيفة فقال ما اصبتما من اخيكما اشد من هذه ابو
داود والنسائي من حديث ابي هريرة باسناد جيد وعن ابي هريرة مرفوعا من اكل لحم اخيه في الدنيا



قرب اليه لحمه في الآخرة فيقال له كله ميتا كما اكلته حيا ابن مردويه في التفسير وروى
عن ابي بكر وعمر ان احدهما قال لصاحبه ان فلانا لنؤوم ثم طلبا ادما من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليأكلاه مع الخبز فقال لهم قد ائتدمتما فقالا ما نعلمه فقال بلى انكما اكلتما من لحم
صاحبكما رواه ابو العباس الثقفي والدغولي في الآداب من رواية عبد الرحمن بن ابي ليلى
نحوه كذا في تخريج الاحياء وقال الامام الدميري هو من كبار الحفاظ توفي سنة خمس وعشرين
وثلثمائة وله مسند مشهور ففي هذا الحديث وحديث المرجوم جميعا وكان القائل احدهما تنبيه
على ان المستمع احد المغتابين وان المستمع لا يخرج من اثم الغيبة الا بان ينكر بلسانه فان
خاف فبقلبه وان قدر على القيام او قطع الكلام بكلام آخر في ذلك المقام فلم يفعل لزمه
الاثم ولا يكفي ان يشير باليد اي اسكت او يشير بحاجبه وجبينه فان ذلك استحقار للمذكور
بل ينبغي ان يعظمه ويذب عنه صريحا فعنه ع م من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان ينصره
فلم ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الخلائق احمد والطبراني عن سهل بن حنيف ولابن
ابي الدنيا عن ابي الدرداء رض من رد عن عرض اخيه بالغيب كان حقا على الله ان يرد
عن عرضه يوم القيمة ولاحمد والطبراني عن اسماء بنت يزيد من ذب عن عرض اخيه بالغيبة
كان حقا على الله ان يعتقه من النار الغيبة اشد من ثلثين زنية في الاسلام وانما قيده بحال
الاسلام لانه اقبح مما قبله في الاحكام وقيل لان الزنا في دار الحرب وفي عسكر اهل البغي
لا يوجب الحد وفيه بحث اذ عدم وجوب الحد ليس الا لكونه في حظر انتقاله الى اهلهما والله
اعلم بحقايق المقام والحديث رواه ابن ابي الدنيا في الصمت وابن حبان في الضعفاء وابن مردويه
في التفسير بلفظ اياكم والغيبة اشد من الزنا ان الرجل قد يزني فيتوب الله عليه وان صاحب
الغيبة لا يغفر له حتى يغفر له صاحبه واما الحديث بلفظ المتن فقد اشتهر على وجه
المبالغة وليس له اصل صريح لكن قد يؤخذ من حديث انس قال خطبنا رسول الله صلى الله ع م
فذكر الربوا وعظم شانه فقال ان الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله في الخطيئة من ست
وثلثين زنية يزنيها الرجل وان اربى الربوا عرض الرجل المسلم فالغيبة تنال العرض و
الحديث رواه احمد وابن ابي الدنيا وعن مجاهد في تفسير قوله تعالى ويل لكل همزة لمزة الهمزة
الطعان في الناس واللمزة الذي يأكل لحوم الناس وقال الحسن والله الغيبة اسرع فسادا
في دين المؤمن من الاكلة في الجسد وقال بعضهم ادركت السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم
ولا في الصلوة ولكن في الكف عن اعراض الناس وقال ابن عباس اذا اردت ان تذكر
عيوب صاحبك فاذكر عيوبك ولعله مقتبس من قوله ع م طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب

الناس

الناس الديلمي عن انس وقال ابو هريرة يبصر احدكم القذى في عين اخيه ولا يبصر الجذع
في عين نفسه وسمع علي بن الحسين يغتاب آخر فقال اياك والغيبة فانها ادام كلاب الناس
وقال الحسن ذكر الغير ثلثة الغيبة والبهتان والافك وكل في كتاب الله تعالى فالغيبة
ان تقول ما فيه والبهتان ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك ولعل الاخير ماخوذ
من القصة المعروفة وتتميمه من حديث كفى بالمرء كذبا او اثما ان يحدث بكل ما سمع والباعث
على الغيبة سبعة مشهورة التشفي من الغيظ اي الغضب الكامل من القلب فيسبق اللسان
بالطبع الى الطعن الدني ان لم يكن له مانع من الدين القوي والورع الجلي فللبزار وابن
ابي الدنيا وابن عدي والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس ان لجهنم بابا لا يدخله الا
من شفى غيظه بمعصية الله وللديلمي عن سهل بن سعد من اتقى ربه كل لسانه ولم يشف غيظه
ولابي داود والترمذي وحسنه وابن ماجة من حديث معاذ بن انس من كظم غيظا وهو
قادر على ان ينفذه اي يمضيه كما في رواية دعاه الله يوم القيمة على رؤس الخلايق
حتى يخيره في اي الحور شاء وموافقة الاقران اي اخوان الزمان تحرزا عن التثقيل
اي عن عده ثقيلا في ذلك المكان اذا انكر الغيبة او قطع مجلس الصحبة ويرى ذلك من حسن
المعاشرة وجميل المجاورة ولم يعلم ان الله يغضب عليه اذا طلب سخطه في رضى المخلوقين
والتحامي اي المحافظة عن ذم قوله سبق الغير في تقبيحه اي تقبيح قوله وبيانه انه يستشعر
من انسان انه يقصده ويطول لسانه او يقبح قوله ويفضح حاله عند محتشم او يشهد عليه
شهادة فيبادره قبل ان يقبح هو حاله ويطعن فيه ليسقط اثر مقالته وشهادته وكما
اذا ذكر زيد مسئلة فاعترض عليها عمرو فيكون باعثا لزيد ان يغتاب عمرا بان يقول هو
جاهل او احمق ونحوهما ليتحامى ما سبق من كلامه عن بطلان مرامه والتبري عن فاحشة
منسوبة اليه بالنسبة الى الغير اي بنسبته الى غيره ليتخلص عن عيبه وغيره وحاصله انه
ينسب الى شيء فيريد ان يتبرى منه فيذكر الذي فعله وكان من حقه ان يبرء نفسه
ولا يذكر الذي فعله ولا ينسب غيره اليه فيكون بهذا جامعا بين الذنوب لذنبه وقد
قال تعالى ومن يكسب خطيئة او اثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا و
المباهاة اي التصنع والمفاخرة بان يرفع نفسه بتنقيص غيره وخفض امره فيقول فلان
جاهل فهمه ركيك وكلامه ضعيف وغرضه ان يثبت في ضمن ذلك فضل نفسه ويري
انه اعلم منه والحسد وهو انه ربما يحسد من يثني الناس عليه ويحبونه ويكرمونه فيريد
زوال تلك النعمة عنه فلا يجد سبيلا اليه الا بالقدح فيه والطعن عليه فيريد

ان يسقط ماء وجهه عند الناس حتى يكفوا عن اكرامه والثناء على حاله ومقامه
لانه يثقل عليه ان يسمع علو مرامه والاستهزاء اى الاستحقار له فان ذلك قد يجرى
في الحضرة فيجرى ايضا في الغيبة ونحوها اى من اللعب والهزل والمطايبة وتزجية الوقت
باسباب المقت والعلاج اى الذى به يمنع اللسان من الغيبة ذكر ما ورد فيها اى
فى ذم الغيبة من الكتاب والسنة ودفع السبب اى من نحو الحسد والحقد والتكبر
والغضب بما فى موضعه اى بما يذكر من كتب الاخلاق فى محله فان مساوى الاخلاق
كلها انما يعالج بمعجون العلم والعمل المركب لها وانما علاج كل علة بمضادة سببها فليفحص
عن سببها وتعالج بضدها هذا والمغتاب فاسق واذا كان من عادته ردت شهادته
الا ان الناس لكثرة الاعتياد تساهلوا فى امر الغيبة ولم يكترثوا بها وبالاعراض
الخلق وهذه بلية عامة شاملة للعباد فى جميع البلاد فهى من اكبر الفتن الا من حفظه
الله من العباد والمرخص اى فى ذكر مساوى الغير سبعة امور التظلم فورد فى سورة
النساء لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم فمن ذكر قاضيا بالظلم والخيانة واخذ الرشوة
كان مغتابا عاصيا واما المظلوم من جهة القاضى فله ان يتظلم الى السلطان وينسبه الى
الظلم اذ لا يمكنه استيفاء حقه الا بذكره وقد قال عم ان لصاحب الحق مقالا ومطل الغنى
ظلم وكلاهما متفق عليه من حديث ابى هريرة ولابى داود والنسائى وابن ماجه من حديث الشريد
باسناد صحيح لى الواجد يحل عرضه وعقوبته والاستعانة اى بالحاكم ونحوه على تغيير المنكر
اى ازالته واصلاح العاصى بتركه وتوبته فهو ما تواتر اى المروى عن الصحابة كما قيل لعمر بن
الخطاب رضى الله عنه ان ابا جندل قد باشر الخمر بالشام فكتب اليه عمر بن الخطاب رض
بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب
شديد العقاب ذى الطول لا اله الا هو اليه المصير فتاب الله عليه ورجع بالرحمة اليه
والاستفتاء كما يقول للمفتى ظلمنى ابى او اخى او زوجى وكيف طريق الخلاص فلم تمنع هند
امراة ابى سفيان ابن الحرب اى لم يمنعها النبى صلى الله عم عن الغيبة حال كونها ذاكرة
بخل ابى سفيان لاخذ ماله اى لاجل اخذها من ماله بغير علم ففى الصحيحين من حديث عايشة رض
ان هندا قالت للنبى صلى الله عم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطينى ما يكفينى انا وولدى
فقال عم خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف وهذا كان بطريق الفتوى لا على سبيل الحكم
والدعوى والتعريض اولى بان يقول كيف من يأخذ مما لزوجها بغير اذنه لاجل بخله و
التحذير عند خوف سراية الفسق فاذا رايت متفقها يتردد الى فاسق او مبتدع وخفت

الا يسرى اليه فسقه او يسعى اليه بدعته فلك ان تكشف له بدعته وفسقه او الضرورة
اى او عند خوف الضرر الكثير المنجر الى الغير فورد اى من رواية بهز بن حكيم عن ابيه عن
جده اذكروا الفاجر بما فيه ليحذره الناس رواه الطبرانى وغيره بلفظ اترعوون
عن ذكر الفاجر اذكروه بما فيه يحذره الناس وهذا دليل السراية واما دليل الضرورة
فقوله عم لامراة استشارت النبى صلى الله عم فى تزوج معاوية او ابى جهم او اسامة
اما معاوية فرجل صعلوك اى فقير جدا لا مال له تاكيد لحاله واما ابو جهم فلا يرفع
العصا عن اهله وهو كناية عن كثرة ضربه وسوء خلقه وفى رواية عن عنقه وهو يحتمل
المعنى المذكور والكناية عن كثرة سفره وقلة اقامته فى حضره انكحى اسامة بن زيد اى فانه خير
منهما فى حسن عشرته وطيب نفقته واشتهار المذكور باسم العيب اى من الاعذار المرخصة كالاعرج
والاعمش وكذا الاعمى والاصم والاعور والابكم والابرص والاحمر والاسفر والعدول
اى الى وصف اخر وعبارة اخرى اولى واحرى ولذا يقال البصير للاعمى عدولا عن اسم النقص
فى المبنى وان كان المآل واحدا فى المعنى وقد ذكر ابن سيرين رجلا فقال ذلك الرجل الاسود
ثم قال استغفر الله انى ارانى قد اغتبته وذكر لابن سيرين ابراهيم فقال النخعى ولم يقل الاعور
واظهاره الفسق من المرخص كالمخنث والقواد والمجاهر بشرب الخمر او الزنا او الربوا ومصادرة
الناس باخذ اموالهم فورد من حديث انس من القى جلباب الحياء اى غطاءه فلا غيبة له رواه
ابن عدى وابو الشيخ نعم لو ذكره بغير ما يتظاهر به اثم قال عوف دخلت ابن سيرين فتناولت
الحجاج فقال ابن سيرين ان الله حكم عدل ينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه
وانك اذا لقيت الله غدا كان اصغر ذنب اصبته اشد عليك من اعظم ذنب اصابه الحجاج
وقال القوم لا غيبة فى الدين لانه ذم ما ذمه الله فذكره بالمعاصى وذمه يجوز بدليل ما روى
انه ذكر لرسول الله صلى الله عم امراة وكثرة صومها وصلوتها ولكنها تؤذى جيرانها فقال
هى فى النار ابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابى هريرة وذكر امراة اخرى بانها بخيلة فما خيرها
اذا رواه الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابى جعفر محمد بن على مرسلا قال فى الاحياء وهذا
فاسد لانهم كانوا يذكرون ذلك لحاجتهم الى تعرف الاحكام بالسؤال ولم يكن غرضهم التنقص
ولا يحتاج اليه فى غير مجلس رسول الله صلى الله عم اقول وفيه بحث لان الصحابة كانوا
عارفين بان اذى الجار والبخل من صفات الذميمة واما قوله والدليل عليه اجماع الامة
ان من ذكر غيره بما يكرهه فهو مغتاب ففيه ان هذا عام وقد خص منها احكام فلا حجة فيه
ولا الزام ونحوه اى نحو المذكور من الغرض الصحيح بان يقول لمن يريد ان يودع عند احد

الفواد قلتان
اقرب
اى اعلانه وعدم مبالاته صح

انه خائن والاصل اى فى الغرض الصحيح الاستفتاء فى الغلب اى من التصريح و التلويح بذكر
العيب ثم ان الواجب على المغتاب ان يتوب ويندم ويتاسف على ما فعل ليخرج عن حق الله
ثم يستحل المغتاب ليحله فيخرج ظلمة وينبغى ان يستحله وقال الحسن يكفيه الاستغفار دون
الاستحلال وربما يحتج فى ذلك بما روى انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كفارة من
اغتبته ان تستغفر له ابن ابى الدنيا والحارث بن ابى اسامة فى مسنده من حديث انس بسند ضعيف وقال
مجاهد كفارة اكلك لحم اخيك ان تثنى عليه وتدعو له بخير ويؤيده قوله تعالى ادفع بالتى هى
احسن السيئة والاحسن التفصيل وهو ان لا يحتاج الى الاستحلال اذا لم يصل الكلام الى المغتاب
منه بخلاف ما اذا وصله الا اذا كان يتشوش بذكره فقد يكون الاعتذار اكبر من الذنب عند بعض
الابرار واما قول ابن عطاء ابن ابى رباح حين سئل عن التوبة عن الغيبة قال تمشى الى صاحبك
وتقول كذبت فيما قلت وظلمت واسات فان شئت اخذت بحقك وان شئت عفوت فهو خاص
بالافتراء بل ينبغى ان يعترف بالخطأ فى حضور الملاء بالحذر والملام فهو لصاحب الاحياء وهو
الاصح مبنى على انه لا فرق بين الغيبة والفرية وهو بعيد بلا مرية واما اطلاق قول القائل
العرض لا عوض له فلا يجب الاستحلال منه بخلاف المال فكلام ضعيف اذ فى الحديث الصحيح المتفق عليه
عن ابى هريرة من كانت لاخيه عنده مظلمة فى عرض او مال فليستحللها من قبل ان يأتى يوم ليس هناك
دينار ولا درهم فيؤخذ من حسناته فان لم يكن حسنات اخذ من سيآت صاحبه فزيدت على سيآته
فان كان صاحب الغيبة غائبا او ميتا فينبغى ان يكثر الاستغفار والدعاء ويكثر من الحسنات لتكفير السيآت
فان الحسنات يذهبن السيآت وكان بعض السلف لا يحلل الظالم قال سعيد بن المسيب لا احلل من ظلمنى
وقال ابن سيرين انى لم احرمها عليه فاحللها له ان الله حرم الغيبة عليه وما كنت لاحل ما حرم الله
ابدا والظاهر ان المراد بالاستحلال جعله فى حل بمعنى عفوه عنه لينقلب حرامه بمنزلة الحلال
المباح له وهذا محمل قوله عليه السلام لم يعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم كان اذا خرج من بيته قال اللهم
انى تصدقت بعرضى على الناس رواه البزار وابن السنى فى اليوم والليلة والعقيلى فى الضعفاء
من حديث انس وذكره ابن عبد البر من حديث ثابت مرسلا عند ذكر ابى ضمضم فى الصحابة قال العراقى
وانما هو رجل ممن كان قبلنا كما عند البزار والعقيلى والمعنى انى لا اطلب مظلمة فى القيمة
منه ولا اخاصمه والا فلا يصير الغيبة حلالا به بل ولا يسقط المظلمة بسببه لانه عفو قبل
وجوبه الا انه وعد وله العزم على الوفاء بان لا يخاصم فان رجع وخاصم كان له ذلك
قياسا على سائر الحقوق بل صرح بعض الفقهاء بان من اباح القذف لم يسقط حقه من حد
القذف ومظلمة ومظلمة الآخرة مثل مظلمة الدنيا وعلى الجملة فالعفو افضل وثوابه

اكمل

اكمل قال الحسن اذا جثت الامم على الركب بين يدى الله يوم القيمة نودى ليقم من كان اجره على
الله فلا يقوم الا من عفا عن مظلمة فى الدنيا وكانه مستفاد من قوله فمن عفا واصلح فاجره على
الله وجاء فى قوله تعالى خذ العفو الاية انه عليه السلام قال يا جبرئيل ما هذا العفو قال ان الله يأمرك
ان تعفو عمن ظلمك وتصل من قطعك وتعطى من حرمك وقد روى عن الحسن ان رجلا قال له ان
فلانا قد اغتابك فبعث اليه طبقا من الرطب وقال قد بلغنى انك قد اهديت الى من حسناتك
فاردت ان اكافيك عليها فاعذرنى فانى لا اقدر على ان اكافيك على التمام وقال بعضهم لو
كنت اغتاب احدا لاغتبت امى فانها اولى بان تاخذ حسناتى او آخذ من سيآتها يوم القيمة
ومنها النميمة وهى تبليغ كلام اى مذموم يقال فى حق الغير اليه متعلق بتبليغ اى الى الغير
وهى القول فيه كان يقول فلان كان يتكلم فيك بكذا وكذا وهو حرام سواء كان التبليغ قولا
او فعلا او كناية او رمزا او اشارة وورد فى سورة ن هماز اى عياب ومغتاب مشاء
بنميم الاية وهى مناع للخير معتد اثيم عتل بعد ذلك زنيم والمقصود منه من جمع بين انواع
من الوصف الذميم وفى رواية احمد من حديث ابى مالك الاشعرى الا اخبركم بشراركم المشاؤن
بالنميمة المفرقون بين الاحوان الملتمسون للبراء العثرات وفى الصحيحين من حديث حذيفة
لا يدخل الجنة نمام وفى حديث آخر قتات وهو النمام قال عبد الله بن المبارك ولد الزنا لا يكتم
الحديث واشار به الى ان كل من لا يكتم الحديث ويمشى بالنميمة دل على انه ولد زنى استنباطا
من قوله تعالى زنيم فانه هو الدعى وللحاكم من حديث ابى موسى من سعى بالناس فهو لغير رشده
او فيه شئ منها وللطبرانى بلفظ لا يسعى على الناس الا ولد بغى والا من فيه عرق منه وقال
تعالى حمالة الحطب قيل كانت نمامة حمالة للحديث وقال تعالى فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا
قيل كانت امراة لوط تخبر بالضيفان وامراة نوح كانت تخبر بانه مجنون والسبب اى الباعث
على ذلك ثلثة ارادة الشر فى القائل اى قصد السوء بالمحكى عنه فعن ابى ذر من اشاد على مسلم
كلمة ليشينه بها بغير حق شانه الله بها فى النار يوم القيامة ابن ابى الدنيا والطبرانى وعن
ابى الدرداء ايما رجل اشاع على رجل كلمة وهو منها برئ ليشينه بها فى الدنيا كان حقا على الله
ان يشينه بها يوم القيمة فى النار ولعل الحديثين مقتبسان من قوله تعالى ان الذين يحبون ان تشيع
الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب اليم فى الدنيا والاخرة او اظهار محبة السامع وهو المحكى
له وقد قال بعضهم لو صح ما نقله النمام اليك لكان هو المجترى بالشتم عليك والمنقول عنه
اولى بحلمك حيث لم يقابلك بشتمك او التفرج بالحديث اى التنزه بحكاية اهل الدنيا فعلى
السامع التكذيب اى تكذيب قول القائل وعدم قبوله فعن مصعب بن الزبير نحن نرى ان قبول

السعاية شر من السعاية لان السعاية دلالة والقبول اجازة وليس من دل على شيء فاخبر به كمن قبله واجازه لان النمام فاسق لا يقبل لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا ان تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين وعلى السامع ان ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح له فعله قال تعالى وامر بالمعروف وانه عن المنكر وان يبغضه في الله وان لا يظن باخيه الغائب السوء لقوله تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن وان لا يحمله ما حكي له على التجسس والتفحص لقوله تعالى ولا تجسسوا وان لا يرضى لنفسه بما صدر عن النمام في حقه فلا يحكي نميمته بقوله فلان قد حكى لي كذا وكذا فيكون به نماما ومغتابا ويكون قد اتى بما عنه نهي فقد روي عن كعب انه اصاب بني اسرائيل قحط فاستسقى موسى عم مرات فما اجيب فاوحى الله اليه اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام وقد اصر على النميمة فقال موسى يا رب من هو حتى نخرجه من بيننا فقال يا موسى انهاكم عن النميمة واكون نماما فتابوا باجمعهم فسقوا وقال الحسن من نم اليك نم عليك وروي عن عمر بن عبد العزيز انه دخل اليه رجل فذكر عنده عن رجل شيئا فقال عمر ان شئت نظرنا في امرك فان كنت كاذبا فانت من اهل هذه الاية فان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا وان كنت صادقا فانت اهل من هذه الاية هماز مشاء بنميم وان شئت عفونا عنك فقال العفو يا امير المؤمنين لا اعود اليه ابدا ومثله روي عن علي رض ان رجلا اتاه سعى اليه برجل فقال له يا هذا نحن نسال عما قلت فان كنت صادقا مقتناك وان كنت كاذبا عاقبناك وان شئت ان نقيلك اقلناك فقال اقلني يا امير المؤمنين فالسعاية قبيحة وان كانت صحيحة وقد ذكرت السعاية عند بعض الصالحين فقال ما ظنكم بقوم حمد الصدق في كل طبقة من الناس الا منهم وقد بلغ سعاية بعض الى احد من العلماء فقال الموت يعمنا والقبر يضمنا والقيامة تجمعنا والله يحكم بيننا وهو خير الحاكمين هذا وقد قال تعالى ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض وهو عام منهم وقال عم ان من شر الناس من اتقاه الناس شره متفق عليه من حديث عائشة والنمام منهم وقال عم لا يدخل الجنة قاطع رواه الشيخان من حديث جبير بن مطعم قيل اي قاطع بين الناس وهو النمام وقيل قاطع الرحم وقيل قاطع الطريق والله ولي التوفيق ومنها التكلم اي تكلم ذي اللسانين مع كل من المتعادين بما يوافقه اي تكلم كل واحد بكلام يوافقه فهو نفاق اي نوع من النفاق وصنف من الشقاق فورد عن عمار ابن ياسر مرفوعا من كان له وجهان في الدنيا كان له لسانان في الاخرة رواه البخاري في كتاب الادب المفرد وابو داود بسند حسن بلفظ من كان له وجهان في الدنيا

كان

كان له من نار يوم القيامة وهو كذا في الاحياء وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة تجد من شر الناس يوم القيامة ذا الوجهين الذي ياتي هؤلاء بحديث وهؤلاء بحديث وفي لفظ اخر ياتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقيل لابن عمر انا ندخل على امرائنا فنقول القول فاذا خرجنا قلنا غيره قال كنا نعد ذلك نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عم رواه الطبراني من طرق واصله في صحيح البخاري وقال ابو الدرداء انا لنكشر في وجوه اقوام وان قلوبنا لتلعنهم وقالت عائشة رض استاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ائذنوا له فبئس رجل العشيرة هو فلما دخل الان له القول واقبل عليه فلما خرج قلت يا رسول الله قلت ما قلت ثم النت له القول فقال يا عائشة انه شر الناس الذي يكرم اتقاء شره متفق عليه ومنها المدح وهو منهي عنه في بعض المواضع فهو يضر المادح اذا كان الممدوح ظالما او فاجرا بخطر اسرار الفاسق اي فرحه بمدحه فلابن ابي الدنيا والبيهقي من حديث انس ان الله يغضب اذا مدح الفاسق والرياء فانه بالمدح مظهر للحب وقد لا يكون مضمرا له ولا معتقدا لجميع ما يقول فيصير به مرائيا منافقا والكذب اي حقيقة او حكما حيث يذكره بالظن وقد يكون مطابقا فورد ان كان لا بد لاحدكم ان يكون مادحا اي لاحد فليقل احسب فلانا اي كذا وكذا يعني انه صالح او متق ونحوهما والممدوح اي ويضر الممدوح بحدوث الكبر والعجب اي والغرور في قلبه بسبب مدحه فورد فيه اي في ضرر الممدوح اي برواية الصحيحين من حديث ابي بكرة ان رجلا عند رسول الله صلى الله عم فقال ويحك قطعت عنق صاحبك زاد ابن ابي الدنيا لو سمع اي لو بلغه وقبله ما افلح لحدوث المهالك وقال عمر رض المدح هو الذبح ولو سلم اي المدح عنه اي عن الضرر فمندوب اليه فورد انا سيد ولد ادم اي يوم القيامة كما في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة وزاد الترمذي وابن ماجه من حديث ابي سعيد الخدري والحاكم من حديث جابر وقال صحيح الاسناد ولا فخر وله من حديث عبادة بن الصامت انا سيد الناس يوم القيامة ولا فخر اي اقوله ائتمارا اي امتثالا لامره سبحانه واما بنعمة ربك فحدث لا افتخارا اي تفاخرا كما يقصده الناس بالثناء على انفسهم وذلك لان افتخاره كان بالله وبقربه في مقام انسه لا بكونه مقدما على ابناء جنسه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان العالم وفي نسخة العالمين لرجح اي ايمان ابي بكر وغلب ايمان غيره من غير الانبياء والمرسلين والملائكة المقربين اخرجه ابن عدي في الكامل من حديث ابن عمر مرفوعا ولفظه لو وزن ايمان ابي بكر بايمان الناس لرجح ايمان ابي بكر ورواه اسحق بن راهويه والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن عمر موقوفا

وللترمذي وحسنه من حديث عقبة بن عامر لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطاب ولابن
عدي عنه لو لم ابعث فيكم لبعث عمر فيكم وللديلمي عن ابي هريرة لو لم ابعث لبعثت يا عمر قال
سفيان بن عيينة لا يضر المدح من عرف نفسه واثني على رجل من الصالحين فقال اللهم
ان هؤلاء لا يعرفوني فانت تعرفني وقال علي رض لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون
ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون ومنها التكلم بالمنهي عنه اي من
الاقوال الصادرة على لسان العامة وبعض الخاصة الناشئة عن الغفلة عن دقايق
الخطا في الكلام لا سيما فيما يتعلق بالله من ذاته وصفاته كالحلف بالآباء ففي الصحيحين
من حديث عمر ان الله ينهاكم ان تحلفوا بآبائكم ولابن عمر من حلف بغير الله فقد اشرك
احمد والترمذي والحاكم في مستدركه وفي رواية احمد والبيهقي عن قتيلة بنت صيفي
من حلف فليحلف برب الكعبة وفيه تنبيه على انه لا يجوز الحلف بالكعبة ولا بالمصحف
ولا بالنبي ولا بالامانة ونحوها وتسمية العنب بالكرم بفتح وسكون فروي الكرم قلب
المؤمن وفي الصحيحين من حديث وائل بن حجر لا تسموا العنب الكرم انما الكرم الرجل المسلم ومسلم
من حديثه لا تقول الكرم ولكن قولوا العنب والحبلة ولابي داود من حديث ابي هريرة لا
تقولن احدكم الكرم فان الكرم الرجل المسلم ولكن قولوا حدايق الاعناب وقول ما شاء الله
وشئت لان في العطف المطلق بالواو تشريكا وتسوية في الكلام وهو خلاف ما يوجب
الاحترام فعن حذيفة لا يقل احدكم ما شاء الله وشئت ولكن ليقل ما شاء الله ثم شئت
وقال ابن عباس جاء رجل الى رسول الله صلى الله عم فكلمه في بعض الامور فقال ما شاء الله
وشئت فقال عم اجعلتني لله عديلا بل ما شاء الله وحده وفي مسلم من حديث عدي بن حاتم
خطب رجل عند النبي صلى الله عم فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما
فقد غوى فقال عم قل ومن يعص الله ورسوله فقد غوى وفي الاحيا فكره قوله ومن
يعصهما لانه تسوية وجمع انتهى وفيه بحث لا يخفى ولعل الاوجه ان يقال العدول
عن الاسمين الشريفين غير لايق وان كان المقام يقتضي الضمير اختصارا ولله در
القائل اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع ولهذا ورد
في كثير القرآن ومن يطع الله ورسوله ومن يعص الله ورسوله وعبدي وامتي وربي
وربتي فعن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عم لا يقل احدكم عبدي وامتي
كلكم عبيد الله وكل نسائكم اماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي
ولا يقول المملوك ربي ولا ربتي ولكن ليقل سيدي وسيدتي فكلكم عبيد والرب هو الله

سبحانه

سبحانه وتعالى رواه الشيخان فالصواب اي في مقام الخطاب ثم شئت بدل قوله وشئت
فكان ابراهيم يكره ان يقول الرجل اعوذ بالله وبك ويجوز ان يقول بالله ثم بك
ويجوز ان يقول لولا الله ثم فلان ولا يقول لولا الله وفلان وغلامي وجاريتي
بدل عبدي وامتي وسيدي وسيدتي بدل ربي وربتي ونحوها من الكلمات المنهية فللنسائي
وابن ماجة من حديث بريدة باسناد صحيح من قال انا بريء من الاسلام فان كان صادقا
فهو كما قال وان كان كاذبا فلن يرجع الى الاسلام فهذا وامثالها يدخل في مذموم الكلام
ولا يمكن حصره في هذا المقام وقال ابراهيم اذا قال الرجل للرجل يا حمار يا خنزير قيل
له يوم القيمة تكلبه يقول لولاه لسرقنا الليلة ولاحمد من حديث البراء من سمى المدينة
يثرب فليستغفر الله هي طابة ولابي داود من حديث بريدة بسند صحيح لا تقولوا
للمنافق سيدنا فانه ان يكن سيدكم فقد اسخطتم ربكم وكما دوي لا يقولن احدكم
ذرعت ولكن ليقل حرثت والحديث في الاكمال للسيوطي ولعله مقتبس من قوله تعالى
افرايتم ما تحرثون ءانتم تزرعونه ام نحن الزارعون وكان يقول على فيه وفي نظائره
بل انت وفي الحديث لا يقل احدكم خبثت نفسي وليقل لقست وفي الحديث لا يقل احدكم نسيت
بل ليقل نسيت ومنها سؤال العامة عما يتعذر ادراكه اي حتى للخاصة كسر الروح و
قد قال تعالى قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا والمعتقد ان الارواح
اجسام لطيفة تدخل في اشياء كثيفة وتخرج منها كما اخبر سبحانه وتعالى عنها بقوله ارجعي
الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي وانها خلقت قبل الاجساد
بخمسمائة عام فهي حادثة غير قديمة خلافا للحكماء ومن تبعهم من الجهلاء وحقايق
الصفات كحقيقة كلامه سبحانه وكذلك معرفة سمعه وبصره وسائر كمالاته و
قد قال تعالى ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء فكل ما خطر ببالك فالله وراء
ذلك وقد قال عم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اي من قوله قل هو
الله احد وسائر ايات الصفات من الجمالية والجلالية الدالة على كمال الذات
وايضا اي عما يضره ولو لم يتعذر فانه بالنسبة الى الاغلب قد يتعسر فهو بحر عميق
كم فيه غريق ولا مخلص منه الا بان يقال فيه يفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد ولا
يسئل عما يفعل وهم يسئلون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهديكم اجمعين خلقت
هؤلاء للجنة ولا ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي وانما شان العوام الاشتغال
بالعمل بما في القرآن والتسليم بما جاءت به الرسل من تفاصيل الاسلام والايمان

احمارا رايتني خلقته اخنزيرا رايتني
خلقته وعن ابن عباس ان احدكم ليشرك
حتى يشرك صح

ولذا قال عم ذروني ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على
انبيائهم فما نهيتكم عنه فاجتنبوه وما امرتكم به فانتهوا منه ما استطعتم متفق عليه
من حديث ابي هريرة قال انس سئل الناس رسول الله صلى الله عم يوما حتى اكثروا عليه
واغضبوا فصعد المنبر فقال سلوني فما تسئلوني عن شيء الا انبأتكم به فقام اليه رجل
فقال يا رسول الله من ابونا فقال ابوكما الذي تدعيان اليه ثم قام اليه رجل فقال يا رسول الله
من ابي فقال ابوك حذافة فقام اليه شابان أخوان فقالا يا رسول الله صح
افي الجنة ابي وفي النار فقال لا بل في النار فلما راى الناس غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم
امسكوا فقام اليه عمر فقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عم نبيا فقال
احسنت يرحمك الله انك ما علمت لموفق متفق عليه وفي الحديث نهى رسول الله صلى الله عم
وسلم عن القيل والقال واضاعة المال وكثرة السؤال متفق عليه من حديث المغيرة وعنه
عليه السلام يوشك الناس يتسائلون بينهم حتى يقولوا هذا خلق الله فمن خلق الله فاذا
قالوا ذلك فقولوا الله احد الله الصمد حتى يختموا السورة ثم ليتفل احدكم عن يساره
ثلثا وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم والحاصل ان السؤال ينبغي ان يكون من اهل
الكمال فيما يكون من الضروريات في الاعتقادات او العبادات او المعاملات والله اعلم
بحقائق الحالات وكالقول بالظن لا سيما في العقايد المتعلقة بالرب قال تعالى ان الظن
لا يغني من الحق شيئا وهو اي القول بالظن او نفس الظن ما تغير به القلب اي
سماعه عما كان به ويحصل التردد في بابه وانما جوز في الفروع دون الاصول للضرورة
في قلة المنقول فورد اجتنبوا كثيرا من الظن الاية اي ان بعض الظن اثم ولما كان
هذا الظن يشتمل ما اذا بني عليه من موت احد وقدومه او سفره او امر غيره
استثنى بقوله الا اذا اخبر عدل اي بالموت او القدوم او السفر ونحوه وعلم
عدم العداوة اي بالنسبة الى الميت واهله وحامل اي وعلم عدم باعث اخر
كالعصبية في نسبته والدعوة الى ملته ومذهبه ويعتذر اي اذا اخبر عن ظن وقوعه
اذ تكذيبه سوء الظن اي به وبكلامه والتجسس عطف على القول بالظن اي وكالتفحص
عن حقيقة الامر فهو هاتك الستر اي كاشفه وفاضحه في الخبر فورد في سورة الحجرات
ولا تجسسوا والاستماع اي وكاستماع القول الظن فورد في سورة القصص واذا
سمعوا اللغو اعرضوا عنه تمامه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي
الجاهلين المستمع شريك القائل لم ار له اصلا وفي الاحيا المغتاب والمستمع
شريكان في الاثم ولم يخرجه العراقي وفي الطبراني مرفوعا نهى عن الغيبة وعن الاستماع

الى

الى الغيبة وفيه اي في استماعه هيجان الوساوس اي ثورانها وبقاؤها في النفس
على طريق الهواجس ولا قصاص في نحو الغيبة فلا مخلص لمن يقول انا اغتاب الناس
وهم يغتابوني فيكون المقاصة في الدنيا دون العقبى والسب والتجسس مع
الاقوال الردية والافعال الدنية لانحصاره اي القصاص على مورد الشرع اي
في النفس والاطراف ونحوها من تضييع الاموال فيقتص بالضرب والقتل والقطع
واخذ الامثال والابدال وورد ان امرء عيرك بما فيك من الخصائل الذميمة
فلا تعيره بما فيه اي فانه لا يجوز فيه المقاصة ولا يبعد ان يكون هذا محمولا على
التحريض على ما هو الاولى من العفو وقيل يقابل اي نحو الغيبة وما عطف عليه
بلا كذب فيه بظاهر قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها والاولى الترك لقوله تعالى
فمن عفا واصلح فاجره على الله ولقوله سبحانه ولئن صبرتم لهو خير للصابرين
والتحقيق في سماع الابرار ان لا حرمة في الاشعار اي في نفسها مع قطع النظر عما فيها
فان الشعر كالنثر كلام صحيح حسنه حسن وقبيحه قبيح للالتذاذ اي لا يحرم لاجل
التلذذ بها والا لحرم كل لذة يتلذذ منها كالحادي والخضرة ونحوها ولم يقل
احد بحرمتها ولا للوزن اي ولا يحرم لمجرد التقابل والتعادل بين الكلمتين او الجملتين
المصراعين والا لحرم سماع صوت العندليب اي المسمى بالبلبل المعبر عنه بالهزار دستان
فان انغامها بلغت الالف في الاشجار والبستان والقمري وكذا الفاختة والحمام واغرب
من الكل الطوطي المسمى بالدرة التي تفصح حتى تقرأ الاية والسورة وتتكلم بما وقع في
البيت من امور الضرورة لسبقهما ووقع في المغني والسورة فهو اي صوتهما ونحوهما
موزون اي متلايم بنغماته واوائله واواخره لتناسب مطالعه ومقاطعه اي مبادئه
وما يشعر بتناهيه ولا للفهم اي ولا يحرم لمجرد فهم الكلام من الصوت في ذلك المقام والا
لحرم كل مفهوم من الحرام ولم يقل به احد من الاعلام هذا اي مضى وخذ هذا او الامر هذا
والشعر كلام اي كساير الكلام من حيث هو مباح في اصل الاحكام والانشاد مما نورد
وعن النبي صلى الله عم واصحابه مروي ومنشور فكان عم ينقل اللبن مع القوم في بناء
المسجد وهو يقول هذا الحمال لا حمال الخيبر هذا ابر ربنا واطهر رواه البخاري في
قصة الهجرة من رواية عروة مرسلا قال ابن شهاب ولم يبلغنا في الاحاديث انه عم بيت
شعر تام غير هذا البيت وفي الصحيحين من حديث انس يرتجزون ورسول الله صلى الله
عليه وسلم معهم يقولون اللهم لا خير الا خير الاخرة فانصر الانصار والمهاجرة قال العراقي

وليس البيت الثاني موزونا يعني باعتبار المصراع الاول فتامل وفي رواية اللهم
ان العيش عيش الاخرة فانصر الانصار والمهاجرة وفي الصحيحين ايضا انه قال في
حفر الخندق بلفظ فبارك في الانصار والمهاجرة وفي رواية فاغفر وفي رواية
المسلم فاكرم ولهما من حديث سهل بن سعد فاغفر للمهاجرين والانصار وللبخاري
تعليقا ولابي داود والترمذي والحاكم متصلا من حديث عائشة كان عم يضع لحسان
منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عم او ينافح ويقول
رسول الله صلى الله عم ان الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح او فاخر
عن رسول الله عم قال الترمذي حسن صحيح وقال الحاكم صحيح الاسناد ولمسلم من حديث
عائشة انشاد حسان شعر هجوت محمدا فاجبت عنه • وعند الله في ذلك الجزاء • هجوت
محمدا ولست بكفو • فشركما لخيركما الفداء العصد • وانشاد حسان ايضا وان سنام المجد
من آل هاشم بنو بيت مخزوم والدك العبد • وللبخاري انشاد ابن رواحة • وفينا
رسول الله يتلو كتابه • اذا انشق معروف من الفجر ساطع الابيات وللترمذي
في الشمائل انشاده ايضا بين يدي رسول الله صلى الله عم حين دخل مكة • خلوا بني
الكفار عن سبيله • اليوم نضربكم على تنزيله • ضربا يزيل الهام عن مقيله • ويذهل
الخليل عن خليله • وللبغوي في معجم الصحابة وابن عبد البر في الاستيعاب من حديث
النابغة قال انشدت النبي صلى الله عم شعرا فقال احسنت لا يفضض الله فاك
وفي الصحيحين عن عائشة لما قدم رسول الله صلى الله عم المدينة وعك ابو بكر وبلال
وكان بها وبا فقلت يا ابت كيف تجدك ويا بلال كيف تجدك فكان ابو بكر اذا
اخذته الحمى يقول شعر كل امرئ مصبح باهله • والموت ادنى من شراك نعله • وكان
بلال اذا اقلعت عنه الحمى يرفع عقيرته اي صوته ويقول شعر الا ليت شعري هل ابيتن
ليلة • بواد وحولي اذخر وجليل • وهل اردن يوما مياه مجنة • وهل يبدون لي شامة
وطفيل • وهما جبلان بمكة قالت عائشة فاخبرت رسول الله صلى الله عم بذلك
فقال اللهم حبب الينا المدينة كحبنا مكة او اشد وانقل حماها فاجعلها في الجحفة
ومن انشاد عائشة شعر • ذهب الذين يعاش في اكنافهم • وبقيت كجلد الاجرب • و
للترمذي من حديث جابر بن سمرة كان اصحاب رسول الله صلى الله عم يتناشدون الاشعار
وهو يتبسم وللبيهقي في دلائل النبوة ان النساء انشدن عند قدوم رسول الله صلى
عليه وسلم شعر طلع البدر علينا من ثنيات الوداع • وجب الشكر علينا ما دعا لله

واع

لله داع • واما ذكر السطوح والدف والالحان كما ذكره في الاحياء فمما لا اصل له كما
صرح به مخرجه وفي الجملة اشعار بفرح قدمه وسرور قدومه عم الى ذلك المقام
وفي هذا القبيل قوله عم اني لا ادري بفتح خيبر افرح ام بقدوم جعفر ولمسلم من
حديث عمرو بن الشريد عن ابيه قال انشدت النبي عم مائة قافية من قول امية بن
الصلت كل ذلك يقول هيه هيه اي استزده ثم قال ان كاد في شعره ليسلم فنفس
الانشاد والسماع جائزان بالاجماع ولابي داود والطيالسي عن انس كان يحدى
له في السفر وان انجشة كان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال
فقال عم يا انجشة رويدك سوقك بالقوارير ولم يزل الحداء وراء الجمال
من عادة العرب في زمانه عم واصحابه الكرام وما هو الا اشعار يؤدى باصوات
طيبة والحان موزونة والنهي عن الشعر للتجرد له فهو اشتغال بما لا يعنيه فورد
لان يمتلئ بطن احدكم قيحا اي صديدا حتى يريه بفتح فكسر من الوري وبالكر مع ما
اي يفسده خير له من ان يمتلئ شعرا رواه احمد واصحاب الكتب الستة وتضمنه عطف
على التجرد اي ولتضمن الشعر فحشا من الكلام وهجاء اي ذما لاحد من اهل الاسلام
وافتراء في مقام المرام كنظم الكفار والمبتدعة في ذم المسلمين واهل السنة والجماعة
ويجوز هجاؤهم اي ابتداء وانتهاء ففعله حسان وامر به كما تقدم وفي الصحيحين
من حديث البراء انه عم قال لحسان اهجهم او هاجهم وجبريل معك وقد قال تعالى
والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون الا
الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا والتوسع
اي ويجوز المبالغة في المدح ان وجد الوصف المذكور في الممدوح اي في الجملة لانه
ليس بكذب اي محض بل مبالغة وتسامح لا سيما في الشعر لفقد قصد اعتقاد صورته اي
صورة الكذب وحقيقته وتوارث استماع المباحات اي ولتواتر استماعها في اشعار العرب
وغيرهم بلا نكير اي بلا انكار على قائلها ومنشدها بل عد الكذب من محسنات الشعر كما قيل
الكذب بالشعر احسنه ويشير اليه قوله تعالى والشعراء يتبعهم الغاوون الم تر انهم في كل
واد يهيمون وانهم يقولون ما لا يفعلون وقد سبق التسامح في النثر ايضا اذا اريد به
المبالغة مثل مائة مرة او الف مرة ويراد به الكثرة ونظير هذا قولهم لبيك وسعديك
في اطلاق التثنية وقصد التكرير والتكثير كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين ومن هذا
القبيل هنا قوله تعالى ان تستغفر لهم سبعين مرة فانه لم يرد به حقيقة العدد اذ لا مفهوم له

عند ارباب الاصول بل اريد به الكثرة هنا بدليل آية اخرى سواء عليهم استغفرت لهم او لا
تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم و وصف نحو الخد اى وجا زنفت
نحو الوجه والوجنة من البياض والحمرة والقد اى القامة باعتدالها فى جمالها وكمالها
والصدغ اى الشعر المتدلى على الوجه المسمى بالزلف على الاقرب اى جاز ما ذكر على القول
الاقرب الى الصواب والانسب فى بيان الرخصة المحتاج اليها فى هذا الباب وقيل لا يجوز
مطلقا وان وجد التفصيل الاتى وهو قوله ان لم يحمل اى صاحب الخد والقد وكذا
السامع على معينة سوى امرأته وامته وذلك كمن يعشق زوجته او سريته فيصغى الى
غنائها ليتضاعف لذته فى لقائها وهذا اذا كان السامع او المغنى فى بيته واما اذا كان
فى مجلس من جماعة فلا يجوز له ذكر امرأته ولا جاريته وكذا لا يجوز ان يحمل على امرد
صبيح الوجه بخصوصه مطلقا او استعارا اى جاز ما تقدم ان استعارا لعارف
بالمجاز والحقيقة والصريح والكناية سواد الصدغ لظلمة الذنب وهو جنس المعصية
الناشية من ظلمة الغفلة وبياض الخد لنور الطاعة وسرور الحالة والوصال
وفى معناه الوصل والاتصال للقائه تعالى اى فى دار البقاء او مقام الفناء والفراق
وكذا الانفصال للحجاب ونحوها من انواع العذاب والنظر مبتدأ الى الاثر اى اثر
التاثير فى المتغنى به من الشعر وغيره ففيه تفصيل على الاقرب بناء على القول الاقرب وقد
لا عبرة بالنظر الى التاثير بل هو حرام مطلقا فمندوب خبر اى فيستحب سماعه ومطلوب
لكن بشروط بينها بقوله ان شوق اى المتغنى به الى الحج والغزو ان كان اى احدهما فريضة
اى واجبا بخلاف ما اذا لم يجب بان لم يوجد شرائط وجوب الحج او الابوان لا يوذنان فانه
عذر فى التاخير على القول بالتراخى فى الحج او غلب الهلاك فى الطريق اى برا او بحرا
او نحوه من فقدان سائر شروط الاداء وفى الاحياء ومن الغناء المباح غناء الحجيج
فانهم يدورون اولا فى البلاد بالطبل والشاهين والغناء وهو جائز لانها
اشعار نظمت فى وصف المقام وزمزم والحرم وسائر المشاعر العظام ووصف
البادية وغيرها من الامور الكرام وتاثير ذلك يهيج الشوق الى بيت الله واشتعال
نيرانه ان كان ثم شوق حاصل او استثارة الشوق اليه بكل ما يشوق اليه محمود
او حزن اى اوقع المتغنى به حزنا وتاسفا على التقصير فى الدين كالمرثى عند داود عم
وقد ورد فى معرض المدح لداود عم انه كان حسن الصوت فى النياحة على نفسه و
فى تلاوة الزبور حتى يجتمع الانس والجن والوحوش والطيور لسماع صوته وكان

يحمل فى مجلسه اربعمائة جنازة وما يقرب منه فى تلك الحالة وفى الحديث فى مدح
ابى موسى الاشعرى لقد اعطى مزمارا من مزامير آل داود وقد تقدم وذكر فى
تفسير قوله تعالى ويزيد فى الخلق ما يشاء هو حسن الصوت وقد قرئ بالحاء المهملة وقد
ورد لله اشد اذنا للرجل الحسن الصوت بالقران من صاحب القينة الى قينته وفى قوله تعالى
ان انكر الاصوات لصوت الحمير يدل بمفهومه على مدح الصوت الحسن وهذا امر مجمع عليه
فى الاحياء ان الطير كانت تقف على رأس داود عم وما اى وكما انشده الوعاظ على
المنابر من نظم او نثر مسجع الترغيبات والترهيبات فى الحج والغزو ونحوهما او اكد
اى ان زاد المتغنى به حبه تعالى بذكره والتأمل فى امره والاشتغال بفكره فانه مندوب
فى كل من التشويق والتحزين مباح مشروط فاه لا ثواب ولا عقاب ان اكد المتغنى به السرور
والفرح فيما يباح فيه كالعيد والعرس والولادة اى اولها والختان وحفظ القران
اى تمامه وكذا اجتماع الاخوان فى بعض الزمان للطعام والكلام وكذا قدوم بعض
الاصحاب من السفر كما تقدم وتقرر فهو مما يورد اى يذكر عن السلف والخلف عن النبى
صلى الله عم اما العيد ففى الصحيحين عن عائشة ان ابا بكر رض دخل عليها وعندها جاريتان
فى ايام منى تدففان وتضربان والنبى صلى الله عم متغش بثوبه فانتهرهما ابو بكر وفى
رواية قال امزمار الشيطان فكشف النبى عم عن وجهه فقال دعهما يا ابا بكر
فانها ايام عيد قالت وكان يوم عيد تلعب فيه السودان بالدرق والحراب فاما
سألت رسول الله صلى الله عم وقال اما تشتهين تنظرين فقلت نعم فاقامنى وراءه
خدى على خده ويقول دونكم اى افعلوه يا بنى ارفدة حتى اذا مللت قال حسبك قلت
نعم قال فاذهبى وفى صحيح مسلم فوضعت رأسى على منكبه فجعلت انظر الى لعبهم حتى كنت
انا التى انصرفت واما العرس فقد تقدم حديث اعلنوا بالنكاح واضربوا عليه بالدف
وفى معناه الولادة والختان ومما يؤيد الولادة ذبح العقيقة وهو لاصحاب الحنيفة
واما حفظ القران فهو اكبر سرور واعظم نور او شوق المتغنى به الى الاخوان من
الاحيان الا تغنيا فى الغربة او البلدان او المراءة او الامة اى من غير تعيينهما للاجنبى
فانه ح مباح حرام ان شوق التغنى الى الزنا وتوابعه او حزن المتغنى على الموتى
اى فيحصل به الجزع والفزع والبلايا اى على البلايا المتقدمة فورد فى الحديث كيلا
وفى التنزيل لكيلا تاسوا على ما فاتكم تمامه ولا تفرحوا بما اتيكم بالمد والقصر وفى آل
عمران لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما اصابكم وادنى رتبته اى مراتب التغنى وسماعه

الاستماع الشهوة ويحرم ح سواء غلب على قلبه حب شخص معين اولم يغلب لانه لايسمع
وصف نحو الخد والقد والوصل والهجر الا ويحرك ذلك شهوة وتنزله على صورة
معينة وفق لذته ولذلك سئل حكيم عن العشق فقال دخان يصعد الى دماغ
انسان يزيله الجماع ويهيجه السماع وهو بنفخ الشيطان المنا في نفخ الرحمان
فللديلمي من حديث على كان ابليس اول من ناح واول من تغنى ولابن ابي الدنيا والطبراني
عن ابي امامة ما رفع احد عقيرته بغناء الا بعث الله اليه شيطانين على منكبيه
يضربان على اعقابهما بصدره حتى يمسك ثم التلهي اى الاشتغال بمجرد النغمة وهو
المعنى بقوله تع ومن الناس من يشترى لهو الحديث الاية والمواظبة عليه اى من
غير تخلل التوبة لديه ذنب عند الكل من العلماء والصوفية من الصلحاء وهذا محمل
كلام الائمة المجتهدين من الفقهاء فقد حكى القاضى ابو الطيب الطبراني عن ابي ح
ومالك والشافعى وسفيان وجماعة العلماء الفاظا استدل بها على انهم راوا
تحريمه قال وقال الشافعى في كتاب ادب القضاء ان الغناء لهو مكروه يشبه
الباطل ومن استكثر فيه فهو سفيه ترد شهادته وقال الشافعى صاحب الجارية
اذا جمع الناس لسماعها فهو سفيه ترد شهادته قال وحكى عن الشافعى انه كان يكره
الطقطقة بالقضب ويقول وضعته الزنادقة ليشتغلوا به عن القرآن قال واما مالك
فقد نهى عن الغنى وقال اذا اشترى جارية فوجدها مغنية كان له ان يردها وهو مذهب
سائر اهل المدينة الا ابراهيم بن سعد وحده وقال ابو حنيفة فانه كان يكره ذلك
ويجعل سماع الغنى من الذنوب وكذا سائر اهل الكوفة سفيان الثورى
وحماد وابراهيم النخعى والشعبى وغيرهم انتهى كلام الطبرى ويؤيده ما ورد
من الاحاديث في ذم القينة وهى الجارية المغنية فللطبراني من حديث عائشة ان
الله حرم القينة وبيعها وثمنها وتعليمها ويقويه ما رواه ابو داود عن
نافع كنت مع ابن عمر في طريق فسمع زمارة راع فوضع اصبعيه في اذنيه ثم عدل عن
الطريق ولم يزل يقول يا نافع اتسمع ذلك حتى قلت لا فاخرج اصبعيه ثم قال
هكذا رايت رسول الله صلى الله ع م رواه ابو داود وعن ابن مسعود مرفوعا و
موقوفا الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل رواه البيهقى ولابن
المبارك عن عكرمة بن عمار عن يحيى بن كثير مرسلا ما امتلئت دار منها حبرة
الا امتلئت عبرة والحبرة الغناء ومنه قوله تع فهم في روضة يحبرون اى يغنون

ويسروية ومر على بن عمر على قوم محرومين وفيهم رجل يغنى فقال الا لا اسمع الله لكم الا
لا اسمع الله لكم وقال الشبلى السماع ظاهره فتنة وباطنه عبرة اى محنة واما ما نقل
ابو طالب المكى اباحة السماع محمول على عن جماعة من الصحابة والتابعين كعبد الله بن جعفر
وابن الزبير ومعاوية وغيرهم محمول على سماع ليس فيه شئ من الغناء وسماع القرآن
واشعار العرب ولو بالالحان واما على انه مذهبهم المختار عندهم فالمسئلة خلافية
لا اجماعية وفعلهم ليس بحجة عند غيرهم وكذا ما روى عن بعض المشايخ الصوفية وقد ذكرت
هذه المسئلة في رسالة مستقلة وقد رايت رسالة منسوبة للشيخ احمد الغزالى اخو حجة
الاسلام محمد الغزالى متضمنة لتكفير منكر السماع لادلة سخيفة ظاهرة الفساد وافية
ضعيفة ما لها عند الائمة رواج وكساد وهذا قد يكون مراد المصنف التلهى صغيرة و
المواظبة والاصرار على الصغيرة كبيرة وقد يريد ان التلهى مباح والمواظبة على المباح
قد تصير كبيرة كما اذا داوم على الطبل طول الايام او تبع الحبشة في رقصهم على الدوام ثم
لترويح النفس اى لا راحتها راحة تعبها قطعا للملالة والسامة من العبادة كما يجرى
ويسرى في العادة لاهل الارادة وهى للعابدين ثم لمقابلة حالها اى حال النفس
ومقامها في المعاملة معه تع من تحصيل مرامها وهذا حالة العارفين فيها وخطر باعتبار
تمامها ودوامها وتحقيق ذلك ان الاناء يترشح بما فيه سواء يكون صاحبه موافق
او منافيه فالسماع يشبه المحرك في اخراج ما في الباطن وبه يعرف ما في القلب من خوف ورجاء
وقلق وسكون وذوق ونشاط وانبساط فيقابل المريد حال نفسه في المعاملة مع ربه
فاذا كان في باطنه خوف يظهر منه اثاره نحو البكا والحزن والمحن واذا كان رجاء يتبين
انواره من العزم والسعد وكمال الخضوع ومن هنا قال ابو سليمان الدارانى السماع لا يجعل
في القلب ما ليس فيه ولكن يحرك ما فيه ويشترط رعاية السنة اى الشريعة الغراء والطريقة
الزهراء بالجمل اى بحمل الاستماع على ما يليق به تع اى على وجه الكمال في بياض الخد ونحوه
يتذكر صفات الجمال وفي الزلف ونحوه يتفكر في نعوت الجلال ثم لحبه تع فقط اى مع قطع
النظر عن لوازمه وتفصيل مكارمه وهو اى هذا المقام لمن فنى عن حظوظ نفسه اى
بالكلية وغاب عما سواه اى عن خطور غير الله تع حتى عن شهوده معه ايضا المعبر عنه بالفنا
عن الفناء وذلك فانه مهما فنى عن نفسه فهو من غيره افنى فكانه فنى عن كل شئ الا عن
الواحد المشهود وفنى ايضا عن الشهود فان القلب ان التفت الى الشهود والى نفسه بانه
مشاهد فقد غفل عن المشهود كالسكران لا خبر له عن سكره وهو نهاية مقام العارفين

في حال البقاء وقد يعبر عن هذا بمقام اللقاء ولكن هذا كالبرق الخاطف من ظهوره
في عالم السماء فان دام لا يطيقه القوة البشرية ومنه اي فمن حينه تلك تولد الوجد
اي حصول الذوق ووصول الشوق وهو اي الوجد ما صادف القلب اي وجد القلب
من شوق اي الى الله ورضاه وخوف من حجابه وسخطه وحزن اي تأسف على ما فات
وقلق اي اضطراب في حالة ويجدي من الاجداء اي يفيد الوجد نقاء القلب اي طهارته
عن السوء من كمال الصفا وحصول العلم اي زيادته المقرونة بالحلم والمكاشفة وهي العلم
بالله وبصفاته الفاخرة وبالاحوال الآخرة وربما لا يمكن العبارة عنه اذا كان متعلقا
بالذات او بكنه الصفات كما عن الفصاحة والملاحة فانهما من المعاني الدقيقة يعجز
التعبير عنها ولو بالمعاني الرشيقة ثم لا يبعد ان يكون السماع بسبب الكشف بما لم يكن مكشوفا
قبل الاجتماع فان للكشف اسبابا ولفتحه ابوابا منها التنبيه والسماع تنبيه التنبيه و
منها تغيير الاحوال ومشاهدتها في الاقوال والافعال وادراكها نوع علم يفيد انفتاح
امور لم يكن معلومة قبل ذلك من الاحوال ومنها انبعاث وانبساط ونشاط القلب
بقوة السماع فيقوى به على مشاهدة ما كان قصر عنه دركه كما يقوى الجمل على الحمل بحيث
يطلع على الجبل بسبب سماع الحدى بانواع الغنا وحمل القلب استكشاف جماله وملاحظة
اسرار الملكوت وانوار الجبروت وطبق كماله ووفق جلاله ومنها الصفاء وهو سبب
الكشف لارباب الوفاء وهذا نوع اسباب فتح ابواب ودفع حجاب ربما تمثل الحق لعبده
في لفظ منظوم لقرع سمعه يعبر عنه بصوت الهاتف او بالالهام او في صورة مشاهدة
منزهة عن صورة الانام والسماع شبكة الحق يصيد به الخلق هذا وكما يسمع صوت
الهاتف عند سماع القلب يشاهد ايضا بالبصر صورة الخضر م فانه يتمثل لارباب القلوب
بصور مختلفة وفي مثل هذه الحالة يتمثل الملائكة للانبياء اوماء على مثال الخيال صورتها
بعض المحاكات والتواجد اي التكلف في الوجد واظهاره من غير تحصيل القصد منه مموه
للرياء لتعلقه دون الخلق لا لقصد الوصول الى الحقيقة اي حقيقة الوجود لتعلقه بروية
الحق وذلك لورود اللهم ارزقني حبك يحتمل الاضافة والمفعول كما حقق في قوله تعالى
يحبهم ويحبونه وكذا قوله وحب من يحبك وحب من يقربني الى حبك اي من القول والعمل و
غير ذلك والحديث قد ذكر وما سبق اي ولورود ما فقده من التباكي اي عمده وهو التكلف
بالبكاء في التلاوة اي في فصل فضل التلاوة وذلك للتشبه باهل البكاء من الانبياء والاولياء
حال القراءة ومن تشبه بقوم فهو منهم ومشاهدة افضاء دوام اذكار الشيء اي ايصاله واتصاله

والنظر اليه في اختلاف احواله والفكر في شمائله وما يترتب عليه من تحسين آماله الى
عشقه متعلق بالقضاء اي بانجراره الى المحبة ومودته حتى يمتنع الخلاص عنه اي عن تفكره و
تذكره ولو تكلف بالدفع في تصوره وحقه اي حق السماع وواجبه ان لا يكون المستمع
اي المغني ممن حرم النظر اليه كالنسوان والمردان الا للشيخ اي الكبير الفاني الآمن على نفسه
اي من الشهوة كما في قبلة الصائم من التفصيل بين الآمن وغيره وقال القاضي ابو الطيب استماع
من المراة التي ليست بمحرمة له لا يجوز عند اصحاب الشافعي بحال سواء كانت مكشوفة او من وراء
سترة وسواء كانت حرة او مملوكة انتهى ولعل وجهه ان صوت العورة عورة لا يحل
الا لضرورة ولا يخفى ان الامرد الحسن الوجه خطره اقوى فانه عند الشيطان اشهى وللخلوع
اغوى حتى قال النووي ان النظر اليه حرام ولو بلا شهوة واما قول الغزالي ان صوت المراة في
غير الغناء ليس بعورة فلم تزل النساء من الصحابة يكلمن الرجال في السلام والاستفتاء في الاحكام
والمشاورة في الكلام فمحمول على ان الضرورات تبيح المحظورات ولا الآلة اي ولا يكون آلة المغني
مزمارا وكذا الطبل الكوبة واوتارا وهذا مجمع عليه لانه من شعار الاشرار واما قصب الراعي
فمختلف فيه فاباحه الرافعي وحرمه النووي من اتباع الشافعي وصحح علماؤنا بان الدف
مباح في محله اذا لم يكن له جلاجل في طرفه لان اباحته وقعت خلاف القياس فيقتصر على
مورده وقال يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يزيد الشهوة ويهدم المروة وانه لينوب
عن الخمر ويفعل ما يفعله السكر فان كنتم لا بد فاعلين فجنبوه النساء فان الغناء داعية للزنا
فهو اي الغناء باعتبار اصله شعار اهل الشرب في مجلسه فحرم بتعاله اي لحرمة الشرب الخمر فانه
قد يفضي الى فساد الامر ويجر الى مباشرة الشرب كخلوة الاجنبية لانها مقدمات الجماع وكالنظر الى
فخذها لاتصاله بالسوءتين ثم انهما حرمان لا لذاتهما بل تبعا لحرمة الزنا اذهما قد يكونان
وسيلتين الى فعله ولانه اي الغناء المذموم يذكره اي الشرب ويكفره كالمزفت بتشديد
الفاء المفتوحة اي ظرف القير والحنتم اي الظرف الاخضر ونحوهما من الدباء والنقير فان
الشرع حرم استعمال هذه الاشياء ولذا امر بكسرها فان الخمر وظروفها تبعا لحرمة الخمر تغليظا في
امرها ثم احلها بعد بعد مدة وفيه انه ابيح هذه الاشياء بخلاف آلات الغناء فهو حجة على
مبيح مطلق السماع من العلماء فالسماع حق حرام كقليل الخمر وان كان يسكر لانه يدعو الى
المسكر وما من حرام الا وله حريم يطيف به وحكم الحرمة تنسحب على حريمه ليكون حمى للحرام ووقاية
له لا حظارا ما تقاحوله كما ورد ان لكل ملك حمى وان حمى الله محارمه وفيه اي وقد يقع فيما
اذا كان الآلة مزمارا التشبه باهل الشرب ومن تشبه بقوم فهو منهم حتى حرم تشبه

الرجل بالنساء كعكسه وحتى قيل بترك السنة اذا صارت شعارا لاهل البدعة ثم قال في جواب
بل للتشبه باهل الفساد فينهى عن لبس القباء في بلاد صار فيها من لباس الاجناد ولا ينهى
عن ذلك فيما وراء النهر لاعتياد اهل الصلاح من الزهاد والعباد قال فلهذه المعاني
حرم المزمار العراقي والاوتار كلها كالعود والرباب والبربط وغيرها واما ما عدا ذلك
فليس في معناه كشاهين الرعاة والحجيج وشاهين البطالين وكالطبل والقضيب سوى
ما يعتاده اهل الشرب فانه اذا ارتفع علة المشابهة بقي على اصل الاباحة كما اي كالتشبه
في الاجتماع اي للسماع واحضار الالات ونصب الساقي اي المناول في ادارة السكنجبين
ونحوه من اللبن والماء والقهوة الحادثة المصنوعة من اللبن وقشره فانه اذا اجتمع
قوم في مجلس والساقي على قاعدته يدور بكاس واحد على جماعته واحدا بعد واحد وفق
عادته فانه يحرم السكنجبين وامثاله للتشبه بخلاف نحو الدف ويفتح والطبل اي طبل
الحج والغزو واما الطبل الكوفة فحرام لانه من شعار الفسقة وهو طبل مستطيل دقيق الوسط
واسع الطرفين ولعل هذين لم يكونا من شعار اهل الشرب في زمنه عم او في ايام المص
او ذكره تبعا للغزالي لجوازهما في مذهبه واما اذا كانا من شعار الفسقة فينبغي ان يقال
بحرمتهما للتشبه فان العلة مشتركة ولا المتغنى به قرانا اذ لا يجوز فيه اي في القران مد المقصور
وقصر الممدود اي في الجمع عليهما وهما الازمان في التغني المذموم لتوافق الصوت بالحان الفسقة
والانغام الموسيقية والا فالصحابة الكرام تبعا له عم كانوا يامرون في مجلس سماعهم ان يقرا
واحد بصوت حسن ما تيسر من القران عملا بقوله عز وجل واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى
اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق وقد اخبر الله سبحانه عن حال الانبياء بقوله
اذا تتلى عليهم ايات الرحمن خروا سجدا وبكيا وعن حال الاولياء من الاصفياء ان الذين
اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان
ربنا ان كان ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان ويزيدهم خشوعا وفي الصحيحين عن ابن مسعود قرا
عليه السلام بامره فلما انتهى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء
شهيدا قال حسبك الان ورايت عينيه تذرفان اي تسيلان دمعا ولمسلم من حديث ابن عمرو
انه قرا ان تعذبهم فانهم عبادك فبكى ولابن عدي في الكامل والبيهقي في الشعب انه قرئ
عنده ان لدينا انكالا وجحيما وطعاما ذا غصة وعذابا اليما فصعق اي بكى بصوت ولابي
داود والنسائي والترمذي في الشمائل من حديث عبد الله بن الشخير انه كان يصلي ولصدره
ازيز كازيز المرجل واما حديث اختصام علي وجعفر وزيد بن حارثة في حضانة ابنة حمزة فقال

لعلي انت مني وانا منك فحجل وقال لجعفر اشبهت خلقي وخلقي فحجل وقال لزيد انت اخونا و
مولانا فحجل الحديث رواه ابو داود من حديث علي وهو عند البخاري دون ذكر الحجل
وعلى تقدير صحته فالمراد به اظهار الفرح والسرور ربما وقع من المدح في الحضور وان
كان الحجل في اصله نوع من الرقص وهو على رجل واحد فلا ينبغي ان يحمل عليه لتوهم الرقص
نوع من النقص وما ابعد من استدل على جواز الرقص على الدوام بهذا الحديث الذي
وقع ندرة من الصحابة الكرام في مجلسه عم مع عدم كونه نصا في المقام المرام وقد ورد ليس
منا من لم يتغن بالقران وزينوا اصواتكم بالقران وزينوا القران باصواتكم ولا النهي اي انما
قلنا انه لا يجوز ان يكون المتغنى به قرانا اذ لا يجوز زينة مد المقصور الخ ولا يجوز النهي
عن اية اي عن قراءتها حيث لا يوافق السامع بالنسبة الى ماله من الحالات والمقامات
كاحكام المعاملة والحدود في باب السياسات وهذا القصور فهم السامع عن الايات
البينات وما يتضمنها من اللطايف والاشارات واما العارف فيلاحظ هذا المعنى من
جميع المباني كما قال تعالى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اولئك الذين هداهم
الله واولئك هم اولوا الالباب واما الموحد فينظر الى كلام ربه كانه يسمع منه فانيا
عن غيره فيكون قلبه مطمئنا بذكره ومشتغلا بفكره كما قال تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب
وقال تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله وقال انما
المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم وقال لو انزلنا هذا القران على جبل لرايته
خاشعا متصدعا من خشية الله ومن المقرر ان القران افضل الذكر لاشتماله على ذكر الله
باعتبار توحيد ذاته وانواع صفاته واصناف حكوماته واجناس اخباره من مبدا
مخلوقاته ومنتهى مصنوعاته فالطمانينة وكذا الاقشعرار والخشية ولين القلب والوجل
والخشوع وسمع عمر رجلا يقرا ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فصاح صيحة وخر
مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا شهرا وروي ان زرارة بن ابي اوفى من التابعين
كان يؤم الناس بالرقة فقرا ليلة فاذا نقر في الناقور فصعق ومات في محرابه وسمع الشافعي
قارئا يقرا هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فغشي عليه وكان الشبلي في مسجد
ليلة من رمضان وهو يصلي خلف امام له فقرا الامام ولئن شئنا لنذهبن بالذي
اوحينا اليك فزعق الشبلي زعقة ظن الناس انه قد طارت روحه وكان هذا يقول
بمثل هذا يخاطب الاحباب وسمع رجل من اهل التصوف قاريا يقرا يا ايتها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية فاستعادها من القاري وقال كم اقول لها ارجعي فليست ترجع

وتواجد وزعق زعقة فخرجت روحه وسمع علي بن الفضيل قارئا يقرأ يوم يقوم الناس
لرب العالمين فسقط مغشيا عليه وسمع بكر بن معاذ قارئا يقرأ وانذرهم يوم
الازفة فاضطرب ثم صاح وقال ارحم من انذرته ولم يقبل اليك بطاعتك بعد
الانذار ثم غشي عليه وسمع ابراهيم ابن ادهم احدا يقرأ اذا السماء انشقت فاضطربت
اوصاله وعن محمد بن صبيح قال كان رجل يغتسل في الفرات فمر به رجل على الشط يقرأ
وامتازوا اليوم ايها المجرمون فلم يزل الرجل يضطرب حتى غرق ومات وقال بعض
الصوفية كنت ليلة اقرأ هذه الاية كل نفس ذائقة الموت فجعلت ارددها فاذا
هاتف يهتف بي كم تردد هذه الاية فقد قتلت اربعة من الجن لم يرفعوا رؤسهم
الى السماء منذ خلقوا وقال ابو علي المغازلي للشبلي ربما يطرق سمعي اية من كتاب الله
فتجذبني على الاعراض عن الدنيا ثم ارجع الى احوالي والى الناس فلا ابقى على ذلك فقال
ما طرق على سمعك من القرآن فاجتذبك به اليه فذلك عطف منه عليك ولطف منه
بك واذا ردك الى نفسك فهو شفقة منه عليك فانه لا يصلح لك التبري من الحول والقوة
في التوجه اليه وبالجملة لا يخلو صاحب القلب عن وجد عند سماع القرآن وذكر الرب فان كان
القرآن لا يؤثر فيه اصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم
لا يعقلون ولا يجوز اي حرم وهو حال كون المتغنى به قرآنا ضرب اليد والدف لان القرآن
حق محض فلا يقرن بصورة اللهو كما يشير اليه قوله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا
تبكون وانتم سامدون اي مغنون ويدل عليه قوله تعالى وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون وقوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب
الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ثم في معنى القرآن كل ما
يكون من ذكر الله والصلوة على رسول الله صلى الله ءم فما يفعله بعض مشايخ اليمن من
الجمع بينهما منكر ظاهر لكن خفي على جماعة بحيث يحسبه العامة انه طريق الصوفية وقد يجترؤن
على مثله في المسجد والمقبرة وفي الاسواق ومحاضر العشاق والله ولي دينه وناصر دين
نبيه وزماننا هذا زمان السكوت وملازمة البيوت لظهور اهل الفساد وغلبة اهل
العناد والله رؤف بالعباد ومما يؤيد ما قدمنا انه في البخاري لما دخل رسول الله
صلى الله ءم بيت الربيع بنت معوذ وعندها جاريتان فسمع احديهن تقول وفينا
نبي يعلم ما في غد فقال ءم دعي هذا وقولي ما كنت تقولين وهذه شهادة بالنبوة
فزجرها عنها وردها الى الغناء الذي هو لهو لان هذا حق محض فلا يقرن بصورة

اللهو فالفاعلون للجمع بينهما يصدق عليهم قوله سبحانه واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا
عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم ويتقي عطف على ان لا يكون اي وحق
السماع ان يتقي فيه شاغل الحاضر عما يناسبه من الزمان كوقت الصلوة والطعام اي
حضوره والمكان اي وشاغل من المكان كالشارع اي الجادة والاسواق وما فيه صورة
قبيحة او رائحة كريهة فانهما منفرتان للطبيعة المستقيمة وتبعد الملائكة عنهما و
الاخوان الحاضرين كالمتكبر المحتاج الى رعايته خصوصا اذا كان مزدرى الجاه
والحكومة والمتكلف اي من الفقراء حيث تكلف في حضوره المشوش خاطره في الرقص
بناء على قول بعض الصوفية ايضا الرقص من النقص وخرق الثوب فانه من ضيق الحال
وعدم اتساع المجال مع ما فيه من تضييع المال او المتكلف المتواجد من اهل التصوف
المرائي بالوجد والرقص وتمزيق الثياب وقد قال سهل كل وجد لا يشهد له الكتاب و
السنة فهو باطل وروي ان موسى ءم وعظ في بني اسرائيل فخرق واحد منهم ثوبه فاوحى
الله الى موسى ءم قل له مزق لي قلبك ولا تمزق ثوبك والمتزهد اي المتكلف في الزهد
عن الدنيا والرغبة الى العقبى المفلس في الباطن عن محبة المولى وعديم الذوق في السماع
بان لا يكون في طبعه لذة وشوق الى الاستماع وهذا اضل من البهائم فانه حول محسوساته
هائم والجاهل الحامل على ما يليق به تعالى فان الصحبة قد تؤثر في الباطن قبل الظاهر والملوث
قلبه بحب الدنيا وهذا يستغنى عنه بقوله والمتزهد وانما ذكره لاستيعاب الانواع المحذورة
في مجلس السماع والشهوة اي وحب ما يشتهي من المحمدة والثناء والمتلهي بالنغمة اي المشتغل
بمجرد النغمة وما به يتلهى ويصغي بالحضور اي وحق السماع ان يستمع بحضور القلب المفيد للشهود
ونفي الخاطر المحظور ولا يلتفت الى الجوانب اي ولا ينظر الى الداخل والخارج من الاقارب
والاجانب ووجوه المتغنين لانه من اسباب الفتور المانع عن الحضور الحاصل بسماعهم وكلامهم
لا بملاحظة وجوههم ومقامهم ويشتغل بنفسه وما يجب عليه من انس برعاية قلبه عند
ذكر ربه وما فتح عليه من كشف لبه ويجلس على هيئة المتأمل في الكلام المستغرق في المقام
من لجة التفريد وبحر التوحيد ويحترز عما يشوش اي عليه وعلى غيره ان امكن له كالسعال
والتثاوب وكذا العطاس فانها من الشيطان والمنكرات كضرب اليد اي على طبق الغناء
وصفق الاطراف اي التي مقدمة الرقص المعبر عنه بالوجد والرقص نفسه وهو بالقيام ونحوه
وخرق الثوب اي قطعه ورميه الا ان صار مغلوبا على عقله بحيث لا يعلم بفعله او اي اذا
كان مجذوبا لا يطيق الامتناع لطريان نحو هيبة اي عظمة الهيبة او اجلال اي خوف مع خشية

ربانية اوصياء منهم واردة على تواتر زمانية فيعذر اى في هذه الحالة عن مخالفة ظاهر
الشريعة من المنكرات كما غلب على عمر رضي الله عنه عام الحديبية بالتخفيف افصح ويوم
مات عبد الله بن ابي رئيس المنافقين حمية الدين فاعل غلب اى حمايته ورعايته بحسب
ما ظهر له من حسن رايه ووفور عادته حيث انكر الصلح اى عام الحديبية فقال عمر كما في صحيح
البخاري فاتيت النبي صلى الله ع م فقلت يا رسول الله الست نبي الله حقا قال بلى قال
السنا على الحق وعدونا على الباطل قال بلى قلت فلم نعطي الدنية في ديننا اذا قال
اني رسول الله ولست اعصيه وهو ناصري قال العلماء لم يكن سؤال عمر وكلامه المذكور شكا
بل طلبا لكشف ما خفي عليه من الامر وحثا على اذلال الكفار وظهور الاسلام وعز اهله
الابرار كما عرف في خلقه وقوته في نصرة الدين واذلال المبطلين والصلوة اى وانكر عمر
الصلوة على جنازته اى جنازة ابن ابي والدعاء له في الصلوة وغيرها والقيام على قبره
حيث هم النبي ع م بفعل هذا كله وقد وافق قول عمر حكم الله حيث نزل ولا تصل على احد منهم
ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولعل همه ع م كان لظاهر
ما كان يبديه من الاسلام او لتألف ولده فانه كان في انقياد الاحكام ومنع عمر لما كان
يترشح من ابي آثار الكفر والظلام وابي طيبة دم اى وكما غلب على ابي طيبة حب الاسلام
حيث شرب دمه ع م بعد الحجامة تبركا بما برز من باطنه ع م والحديث رواه الدارقطني
وقال حسن صحيح وقد وقع شرب بوله ودمه عن جماعة من الصحابة الكرام ولم ينكر عليهم بل
نسب الخير اليهم فقال لواحد صحة ولاخر لم يمسك النار وقد بسطت عليه الكلام في سيره ع م
وقد قال جماعة من العلماء الشافعية ان فضلاته ع م طاهرة وانه من خصوصياته ظاهرة
وهو قول امامنا الاعظم والله اعلم ومن ذلك ما روى ابن حبان ان غلاما كان في بني اسرائيل
فقال لامه من خلق السماء فقالت الله فقال من خلق الارض فقالت الله قال من خلق هذه
الغنم قالت الله فقال اني اسمع لله تعالى شانا ثم رمى بنفسه من الجبل فتقطع وهذا كانه سمع
ما دل على جلال الله وعظمته وتمام قدرته فطرب لذلك ورمى بنفسه من هناك وفي الاخبار
رايت مكتوبا في الانجيل غنينا لكم فلم تطربوا وزمرنا لكم فلم ترقصوا اقول المعنى بينا لكم الترغيب
والترهيب فلم تمتثلوا وشوقنا بذكرنا وفكرنا فلم تشتاقوا لكنه اى وصف المغلوب
ضرب تقصير اى فيه نوع قصور منه جل قدره ذي الكمال عنه لا سيما الانبياء وكذا ورثتهم
من العلماء واتباعهم من الاولياء فهم اصحاب الشرايع اى حقيقة او حكما مكملون في انفسهم اى كاملون
مكملون لغيرهم لقول عيسى ع م من علم وعمل وعلم يدعى في الملكوت عظيما اى فينبغي ان يكون

في

في الملائكة كريما ويساعد اى وحق السماع ان يعاون الاخوان في القيام في المجلس وفي دفع العمامة
من الراس اذا سقطت عمامته ان كان اى التعاون معتادا فيما بينهم فالمخالفة موحش
اى بعد الحضور والاسرار اى وادخال السرور بالمساعدة فيما لم ينه عنه اى نهيا صريحا و
صار معتادا بعد عصرهم اى بعد انقضاء زمان السلف وانتهاء الامر الى الخلف حسنة خبر
المبتدا اى مستحسن لما روى عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ما راه المسلمون حسنا فهو
عند الله حسن لقوله ع م خالقوا الناس باخلاقهم رواه الحاكم وقال وان كان اى ما ذكر
بدعة اى في نفس الامر والاولى عدم حضور ذلك المجلس لئلا يحتاج الى حظ فقد قال تعالى و
تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان فاجتناب التعاون على المباح
اقرب الى النجاح وعدم الجناح لا سيما وقد قال عليه السلام من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو
رد اى مردود على شرط صحيحي الشيخين وقال كل بدعة ضلالة فعليك باتباع السنة وترك
البدعة نعم البدعة المحذورة ما تزاحم السنة المأثورة ولم يقع نهي عن الصور المذكورة و
يخفى به اى وحق السماع بالنسبة الى المقتدى ان يخفى بالسماع لئلا يقتدي العوام به في جواز مطلق
الاستماع وعموم انواع السماع ويظهر المنع اى للعوام فهو يفضي للاكثر للاعانة على الهوى اى
غلبة هوى النفس حتى على المبتدين من المريدين ويتخلف كامل المعرفة اى في حاله والمحبة لرتبة عن
مجالس التغني والسماع في غالب امره للاستغناء اى للاستغناء الكامل في مقام الفناء و
البقاء عن المحرك الخارجي من سماع الغنى كما اشار الصديق اليه حيث راى الاعراب يتقدمون
ويسمعون القران فيبكون فقال كنا كما كنتم ثم قست قلوبنا اى اشتدت وقرب لتحمل ما نزل
بنا وقيل للجنيد ما بالك تركت السماع فقال وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
وقال بعضهم صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رايته يتغير عند شيء كان يسمعه من الذكر
والقران فلما كان في اخر عمره قرا رجل بين يديه فاليوم لا يؤخذ منكم فدية الاية فرايته قد
ارتعد وكاد يسقط فلما عاد على حاله سالته عن ذلك فقال نعم يا حبيبي ضعفنا وكذلك
سمع مرة قوله تعالى الملك يومئذ الحق للرحمن فاضطرب فساله ابن سالم وكان من اصحابه
فقال لقد ضعفت فقيل له وان كان هذا من الضعف فما قوة الحال فقال الا يرد عليه وارد
الا وهو يبتلعه بقوة حاله وقال الجنيد لا يضر نقصان الوجد مع فضل العلم اذ فضل العلم
اتم من الوجد والابنية الاسرار اى ادخال السرور في قلوب اصحاب مجلس التغني الجامع شروطه
بالمساعدة في الموافقة وترك المخالفة بالمباعدة وتعليم اى والابنية تعليم ضبط الجوارح
من الاقوال والافعال هو كمال الحال في الاسلم في جميع الاحوال والافعال والاجتناب عن مطلق

السماع ولو بشروط مع الاصحاب لمكان الاختلاف اى فى هذا الباب والصوفى طريقة احتيار
العزلة دون الرخصة والخروج عن الخلاف مستحب بالاجماع ومنه السماع المشهور
فى السماع وندرة تحقيق الشروط فى غالب مجالس الاجتماع لدقة مكايد النفس اى اجنبها
والشيطان بحيلها على وساوسها وما احسن قول الحصيرى ما ذا اعمل بسماع ينقطع اذا مات
من يسمع منه اشارة الى ان السماع من الله هو الدايم فللانبياء وكمل الاولياء فى لذة
السماع على الدوام فلا يحتاجون الى تحريك العوام وقال بعض المشايخ الكرام لقينا
بجونا من هذا السماع راسا براس وقال ابو النصر بادى لابى عمرو بن نجيد انا اقول اذا اجتمع
القوم فيكون معهم قوال يقول خير من ان تغتابوا فقال ابو عمرو الرياء فى السماع وهو ان ترى
من نفسك حالا ليس فيك شر من ان تغتاب ثلثين سنة **الباب العاشر فى الاناة**
والعجلة والحلم والعفو والنصيحة والحقد الاناة بفتحات اسم لضد العجلة والحلم التحمل
والعفو التجاوز والنصيحة ارادة الخير للمنصوح له والحقد بالكسر العداوة بالقلب وينبع
نحو الحسد والغضب بسم الله الرحمن الرحيم الذى يستعان به على كل خلق كريم ويستعاذ به
عن كل طبع ذميم الاناة معنى اى خلق باعث على الاحتياط فى الامور اى المتعلقة
بالحكم الخارجى وهو ارادة اتمام الامور على وجه لا يفوت شئ من جهتها والتانى
مصدر باب التفعل وتاوه للطلب والتكلف ابتاعها اى تتبع تلك الامور بعد الدخول دخوله
الانسان فيها اى وفى حال الدخول قبل الدخول وضده التعسف فى الحصول والتوقف قبله اى
ويقال له التوقف وضدها اى الاناة العجلة وهى اى العجلة معنى باعث على الاقدام اى
اقدام الانسان على الامور بالخاطر من غير تامل وتفكر والاستعجال ابتاعه اى تتبع ذلك
الباعث من غير تاخر وورد العجلة من الشيطان ابو يعلى من حديث انس بلفظ التانى من الله
والعجلة من الشيطان والترمذى وحسنه من حديث سهل بن سعد بلفظ الاناة من الله
الا فى تزويج البكر اى خصوصا اذا بلغت ووجدت لها كفوا وقضاء الدين ولو كان موصلا
وتجهيز الميت اذا كان نفيسا او قرى الضيف اذ حسنه ان يكون معجلا لقوله تعالى فما لبث
ان جاء بعجل حنيذ ففيه الدلالة على المبادرة بالعبادة والاشارة والتوبة من الذنب
اذ يجب ان يكون فى الحال فان اكثر عذاب اهل النار من تسويفهم فى العمل ويستثنى ايضا الصلوة
اذا وقتها فانه فى التاخيرات آفات وآفاتها اى العجلة اشياء منها الحرمان عن المطلوب فمن استعجل دخله
نيل منزلة من مال وجاه او لذة او مقام او حال ومرتبة او اجابة دعوة قبل الوقت
اى المقدر لها فان الامور مرهونة باوقاتها بترك ملالة اى ترك المستعجلة طلب تلك
المنزلة

المنزلة والدعوة من جهة الملالة فيكون الحرمان عن وصول تلك الحالة لا محالة او
يغلو ويبالغ فى الجهد واتعاب النفس فينقطع عن الطريق فهو بين افراط وتفريط و
كلاهما نتيجة الاستعجال وقد ورد برواية البزار والحاكم والبيهقى وغيرهم ان ديننا
هذا متين فاوغل فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى والمنبت الذى
انقطع به فى سفره وعطبت راحلته والفعل انبت مطاوع بتّه من البت القطع وفى المثل
السائر ان المستعجل تصل ولبعض شعر قد يدرك المتانى بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل
الزلل فيفتر ويسام ويترك الدعاء فيحرم حاجته قال تعالى لا يسام الانسان من دعاء
الخير واذا مسه الشر فيؤس قنوط ومكافاة ظالم بالنصب عطفا على ميل منزلة او مجرور عطفا
على منزلة يبطل اجره لعدم صبره بالدعاء عليه اى على الظالم وذلك بان يظلمه انسان فيغيظه
فيدعوا عليه وربما يتجاوز عن الحد فيقع فى المعصية والهلاك قال تعالى ويدع الانسان
بالشر دعاءه بالخير وكان الانسان عجولا واقتحام الشبهة اى ومن آفات العجلة دخول
الشبهات المورثة للسيئات فاصل الورع اى اساسه الذى عليه مدار الشرع النظر البالغ
فى كل شئ اى من الاصل والفرع الذى هو بصدده من اكل وشرب وكلام وغيره فاذا كان
الرجل مستعجلا فى اموره غير متان ولا متثبت عند صدورها فيميل الى كل طعام وكلام
فيقع فى شبهة او حرام وكذا فى سائر المرام فيفوته الورع الذى عليه مدار احكام الاسلام
وقد ورد اخبار وآثار فى فضل الرفق الذى عليه مدار حسن الخلق فى معاشرة الخلق ففى
صحيح مسلم من حديث عائشة رضى ان الله رفيق يحب الرفق ويعطى عليه ما لا يعطى على العنف
وفى الصحيحين من حديثها يا عائشة ان الله يحب الرفق فى الامر كله ولمسلم من حديث جرير
من يحرم الرفق يحرم الخير اى كله [illegible] ابو داود والطبرانى فى الاوسط من حديث
ابن مسعود والبيهقى فى الشعب كلاهما من حديث عائشة الرفق يمن والخرق شوم ولابن
المبارك فى الزهد من حديث ابى جعفر مرسلا اذا اردت امرا فتدبر عاقبته فان كان
رشدا فامضه وان كان سوى ذلك فانته وعن الحسن المؤمن وقاف متان
وليس كحاطب ليل ثم العنف وان كان محمودا فى بعض الاحوال ولكن الاحتياج الى الرفق
اقوى فى اكثر الاحوال والاقوال وهنا قال سفيان لاصحابه تدرون ما الرفق قالوا
قل يا ابا محمد قال تضع الامور فى مواضعها الشدة فى موضعها واللين فى موضعه والسيف
فى موضعه والسوط فى موضعه وفيه تنبيه نبيه على انه ينبغى مزج الغلظة باللين و
العنف بالرفق كما قيل اى شرعا وعرفا ووضع الندا فى موضع السيف بالعلى اى باجل

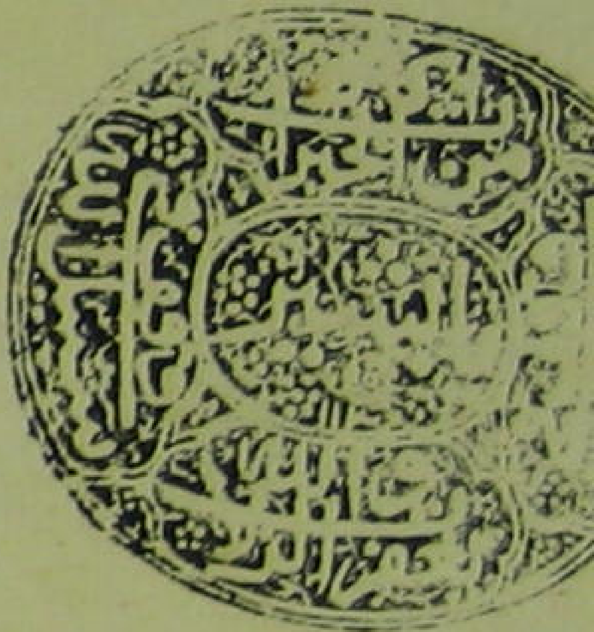
مضر كوضع السيف فی موضع الندا اى العطاء وعن ابی عون الانصاری ما تكلم الناس
صعبة الا والی جانبها كلمة الين منها تجری مجراها والافراط ای ومن آفات العجلة الاكثار
والمبالغة فی الغضب وهو ای الغضب وافراطه مذموم ای شرعا وعرفا فورد ای
برواية الطبرانی والبیهقی من رواية بهز بن الحكيم عن ابيه عن جده الغضب يفسد
الايمان ای كماله او يطفئ نوره ويمنع ظهوره كما يفسد الصبر العسل وهو بفتح الصاد
وكسر الباء عصارة شجرة مر وعن ابی هريرة ان رجلا قال يا رسول الله مرنی بعمل و
اقلل قال لا تغضب ثم اعاد عليه فقال لا تغضب رواه البخاری ومن هنا قيل لابن
المبارك اجمل لنا حسن الخلق فی كلمة قال ترك الغضب وعن عكرمة فی قوله تعالى وسيدا و
حصورا السيد الذی لا يغلبه الغضب وقد قيل الغضب غول العقل وهو ای الغضب
غليان دم القلب لطلب الانتقام والمحمود من الغضب الاعتدال كسائر الاخلاق و
الاحوال فلليهقی فی الشعب مرسلا خير الامور اوسطها وهو ای الاعتدال الضبط
تحت الشرع والعقل بان لا يكون فيه تفريط ولا افراط فيغلب حيث وجبت الحمية
الشرعية وينطفی حيث يحسن الحلم فی الغضبة الشرعية فالتفريط ای بفقد الغضب
او ضعفه مذموم وهو الذی يقال فيه انه لا حمية له ولذا قال الشافعی من استغضب
فلا يغضب فهو حمار ومن استرضی فلم يرض فهو شيطان كالافراط ای كما ان الافراط
بالتجاوز عن الحد مذموم قال تعالى جعل الذين كفروا فی قلوبهم الحمية حمية الجاهلية
فانزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ذم الكفار بما تظاهروا به من الحمية الصادرة
من الغضب بالباطل ومدح المؤمنين بما انعم الله به عليهم من السكينة فورد فی مدح
الاعتدال قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وكذا قوله تعالى بما انعم
الله تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين وقد قال تعالى لنبيه عم يا ايها النبی
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ولا تاخذكم بهما ای بالزانی والزانية
وفی حدهما رافة فی دين الله ای شدة رحمة وهو دليل لذم التفريط وقال عم خير
امتی احداؤها يعنی فی الدين رواه الطبرانی والبيهقی عن علی وقلعه ای قلع الغضب
ودفعه فی زوال ما استغنی عنه كالجاه والمال الكثير والغلمان والدواب ممكن اذ ليس
هذه الاشياء ضروريات لاحد من الخلق فيمكن دفعها بالرياضة والمجاهدة العلمية والعملية
لا ای لا يمكن قلعه فی زوال ما احتيج اليه ای ولا يستغنی عنه كالطعام يسد جوعته من
قوت يومه وليلته وثوب يستر عورته ويصح صلوته وبيت يواره ای يستر حالته و

يدفع برودته وحرارته وكتاب يطالعه وفی معناه كل آلة بها يكتسب صاحبها
الاخير من ضروريات بعض افراد الناس لصعوبة تفريغ القلب عن حبها ای
عن حب هذه الاشياء بحكم الطبيعة فانه لا يمكن قلعها بالرياضة ولا كلف احد به فی
ابواب الشريعة وقد اشار اليه صلى الله عم بقوله من اصبح منكم امنا فی سربه معافى فی بدنه
عنده قوت يومه فكانما حيزت له الدنيا ای جمعت له لذاتها الترمذی وابن ماجة من حديث
عبد الله بن محصن وقال الترمذی حسن غريب ورواه البخاری فی تاريخه والكل بدون زيادة
بحذافيرها الا لمن غلب عليه التوحيد فلا يغضب على تفويت هذه الاشياء لما عنده من
المقام السديد وحال الغنی فيرى الخلق مسخرين للحق القاهر الغالب كالقلم للكاتب لكن
غلبة التوحيد فی مقام التفريد انما يكون كالبرق الخاطف يقع فی مواد نادرة مع الرتب
ثم ترجع القلب الى الوسايط رجوعا طبيعيا لا يندفع عنه ولو تصور ذلك على الدوام
لاحد من الانام لتصور لرسول الله صلى الله عم فانه كان يغضب حتى يحمر وجنتاه ويقول
انما انا بشر اغضب كما يغضب البشر كما فی الصحيحين وفی رواية فايما مسلم سببته او لعنته او
ضربته فاجعلها منی صلوة وزكوة وقربة بها اليك يوم القيمة وفيه ای فيما احتيج اليه
يتصور الكسر ای كسر النفس بانه لا يظهر الا اثر ای اثر الغضب فی البشرة لا قلع الغضب بالمرة
لانه غير مقدور البشر وعن علی رض كان عم لا يغضب للدنيا فاذا اغضبه الحق لم يعرفه احد
ولم يقم لغضبه شیء حتى ينتصر له رواه الترمذی فی الشمائل وفی صحيح مسلم عن عروة ان عائشة
رض حدثته ان رسول الله صلى الله عم خرج من عندها ليلا قالت فغرت عليه فجاء فرای
ما اصنع فقال ما لك يا عايشة اغرت فقلت فما لی لا يغار مثلی على مثلك فقال عم لقد
جاءك شيطانك قالت قلت يا رسول الله او معی شيطان قال نعم قلت ومع كل انسان قال
نعم قلت ومعك يا رسول الله قال نعم ولكن ربی اعاننی عليه حتى اسلم فلا يأمرنی الا بخير
فی الاحيا اراد شيطان الغضب والمعنی انه لا يحملنی على الشر وقال عبد الله بن عمرو بن العاص
رضی الله عنه يا رسول الله اكتب عنك كلما قلت فی الغضب والرضا قال اكتب فو الذی
بعثنی بالحق ما يخرج منه الا حق واشار الى لسانه الى لا اغضب ولكن قال ان الغضب
لا يخرجنی عن الحق ولا اعمل بموجب الغضب والحديث رواه ابو داود باسناد صحيح وهو متضمن
لما فی قوله تعالى وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحی يوحى وقوله تعالى انما انا بشر مثلكم يوحى
ای التمييز بينكم وبينی بوقوع الوحی الی دونكم هذا وقد يفقد اصل الغضب فيما هو ضروری
اذا كان القلب مشغولا بضروری اهم منه فلا يكون فی القلب متسع للغضب لاشتغاله

الى هذه الحدود

بغيره فان استغراق القلب ببعض المهمات يمنع الاحساس بما عداها ولو كانت من الضروريات
ومن هنا لما شتم سلمان قال ان خفت موازيني فانا شر مما يقول وان ثقلت موازيني
فلا يضرني ما تقول وقد كان مصروفا همه الى الاخرة فلم يتأثر قلبه بالشتم ولم يصر سببا
لغضبه وكذلك شتم الربيع بن خثيم فقال يا هذا سمع الله كلامك وان دون الجنة
عقبة ان قطعتها فلم يضرني ما تقول وان لم اقطعها فانا شر مما تقول وقيل للبسطامي
لحيتك افضل ام ذنب الكلب فقال ان مت مؤمنا فلحيتي والا فذنب الكلب فكان
همه حسن الخاتمة وشتم رجل ابا بكر الصديق رضي الله عنه فقال ما ستر الله عنك
اكثر فكانه كان مشغولا بالنظر في تقصير نفسه على ان يتقي الله حق تقاته ويعرف الله حق
معرفته فلم يغضبه نسبة غيره اياه الى نقصان في امره اذ كان ينظر الى نفسه بعين النقصان
وذلك لكمال القدرة وقالت امراة لمالك بن دينار يا مرائي فقال ما عرفني غيرك فكانه
كان مشغولا بان ينفي عن نفسه افة الرياء ليصل الى حالة الاخلاص ومقام البقاء بعد الفناء
وسب رجل الشعبي فقال ان كنت صادقا فغفر الله لي وان كنت كاذبا فغفر الله لك و السبب
اي باعث الغضب ستة اشياء الكبر والعجب والمزاح والاستهزاء والايذاء اي بالتعيير والمراء
والحرص اي شدة الميل في الفضول اي زيادة المال والجاه وهي باجمعها اخلاق ردية
واحوال دنية مذمومة في امور شرعية واحكام فرعية ولا خلاص من الغضب مع بقاء
هذه الاسباب فلا بد من ازالتها باضدادها المعروفة في الباب وعلاج كل اي من
الكبر ونحوه في موضعه اي ياتي مفصله واما مجملا فهو بان يميت الكبر بالتواضع ويميت
العجب بمعرفة النفس اذا كان بالعلم والعمل واما اذا كان بالنسب المجرد بمعرفة ان بني
ادم جنس واحد وان الشرف بالفضائل والفخر والعجب من اكبر الرذائل ويميت المزاح
بالاشتغال بالمهمات الدينية والامور الاخروية ويزيل الهزل بالجد ويميت
الباطل بالحق لقوله تعالى انه لقول فصل وما هو بالهزل ويزيل التعيير بالاشتغال
بعيوب نفسه فورد طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ومن عير اخاه بذنب لم يمت
حتى يبتلي به ويزيل الحرص على مزايا العيش بالقناعة والاشتغال بالعبادة على قدر الاستطاعة
فالدنيا ساعة فاجعلها طاعة مع ما في القناعة من الاستغناء والترفع عن ذل
الحاجة ثم المواظبة على مباشرة اضدادها مدة مديدة حتى تصير بالعبادة مالوفة
هينة سديدة فاذا امتحنت عن النفس فقد زكت وطهرت عن هذه الرذائل واتصفت
بمحامد الفضائل ومكارم الشمائل والحاصل ان الغضب انما هو لضعف النفس فالمريض

اسرع



اسرع غضبا من الصحيح والمراة اسرع غضبا من الرجل والصبي اسرع غضبا من الكبير والشيخ الضعيف
اسرع غضبا من الكهل وذو الخلق السيء والرذائل اسرع غضبا من صاحب الفضائل فالرذيل
يغضب لشهوته عند فوت لقمته ولبخله عند فوت حبه وصاحب الفضل يملك نفسه عند غضبه وحدة
ففي الصحيحين عن ابي هريرة ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من يملك نفسه عند الغضب وهذا الذي
ذكرناه علاجه بتفصيل الاحوال وبالاجمال علاجه اثنى عشر التوضي والاغتسال اتم ففي الحديث
اذا غضب احدكم فليتوضا بالماء فالغضب من النار رواه ابو داود من حديث عطية السعدي ففي اخرى ان
الغضب من الشيطان وان الشيطان خلق من النار وانما يطفا النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضا و
روي ان عمر رضي غضب يوما فدعا بماء فاستنشق وقال ان الغضب من الشيطان وهذا يذهب الغضب يعني
في الجملة والتعبد اي بالصلوة ونحوها وفي نسخة التغسل وهو الظاهر فيكون في الاصل تصحيف و
تحريف ولم يرد فيه حديث شريف بخلاف الاغتسال فقد اخرج ابن عساكر من حديث معاوية الغضب من
الشيطان والشيطان خلق من النار والماء يطفي النار فاذا غضب احدكم فليغتسل ومن جملة العلاج السكوت
فعن ابن عباس مرفوعا اذا غضبت فاسكت احمد وابن ابي الدنيا والطبراني والبيهقي في شعب الايمان
والقعود اي الجلوس ان كان قائما والاتكاء اذا كان جالسا والاضطجاع اذا كان متكئا فللترمذي
من حديث ابي سعيد ان الغضب جمرة في القلب الم تروا الى انتفاخ اوداجه وحمرة عينيه فاذا وجد
احدكم من ذلك شيئا فان كان قائما فليجلس وان كان جالسا فلينم اي فليضطجع فان لم يزل بذلك
فليتوضا بالماء البارد او يغتسل فان النار لا يطفئها الا الماء ولابن ابي الدنيا من حديث ابي
هريرة كان عم اذا غضب وهو قائم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه ولاحمد باسناد
جيد وكان ابو ذر قائما فجلس ثم اضطجع فقيل له لم جلست ثم اضطجعت فقال ان رسول الله
صلى الله عم قال لنا اذا غضب احدكم وهو قائم فليجلس فاذا ذهب عنه الغضب والا فليضطجع
والمرفوع عند ابي داود بسند فيه انقطاع والاضطجاع غاية السكون فان سبب الغضب
الحرارة وسبب الحرارة الحركة والظاهر عنوان الباطن ويتسعان بكل منهما على الاخر كما
حقق في طهارة الظاهر والباطن وقد ورد ان ابا ذر قال لرجل يا ابن الحمراء في خصومة
بينهما وفي رواية يا ابن الحمراء فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عم فقال يا ابا ذر بلغني انك
اليوم عيرته بامه قال نعم فانطلق ابو ذر ليرضي صاحبه فسبق الرجل فسلم عليه فذكر ذلك لرسول الله
صلى الله عم فقال يا ابا ذر ارفع راسك فانظر ثم اعلم انك لست بافضل من احمر فيها ولا اسود الا ان
تفضله بعمل ثم قال اذا غضبت فان كنت قائما فاقعد وان كنت قاعدا فاتكئ وان كنت متكئا فاضطجع رواه
ابن ابي الدنيا باسناد صحيح وفي الصحيحين من حديثه قال كان بيني وبين رجل من اخواني كلام وكانت امه

اعجمية فعيرته بامه فشكاني الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا ابا ذر انك امرؤ فيك جاهلية ولاحمد انه صلى الله عليه وسلم
قال له انظر فانك لست بخير من احمر ولا اسود الا ان تفضله بتقوى ورجاله ثقات والصاق الخد
بالارض فعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعا الا ان الغضب جمرة في قلب ابن ادم الا ترون الى حمرة
عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك شيئا فليلصق خده بالارض الترمذي وحسنه وكان هذا اشارة
الى تمكين اعز الاعضاء من اذل الاشياء لتستشعر به النفس الذلة وتزيل عنها الزهو والعزة وايماء
الى انه من اوله الى اخره التراب لا يصلح له الغضب في باب من الابواب والى قول بعض اولي الالباب ما
للتراب ورب الارباب والله اعلم بالصواب وقال عروة بن محمد لما استعملت على اليمن قال لي ابي اوليت
قلت نعم قال فاذا غضبت فانظر الى السماء فوقك والى الارض تحتك ثم عظم خالقهما فالكل مروي
اي فعله كما قدمنا مامور كما بينا والمعنى انه جمع فيه بين الفعل والقول معللا وفي نسخة معللا بانه
اي الغضب جمرة او حرارة غريزية او حادثة عرضية يتوقد في القلب بدليل حمرة العين اي و
انتفاخ الاوداج اي عروق الرقبة وقد سبق به الرواية وتحقق فيه الدراية والاستعاذة
اي ومن جملة العلاج للعودة الى الحالة الاولى بعد التغير عنها الى الحالة الثانية والاستعاذة
اي التعوذ بالله من الشيطان الرجيم عند الغيظة وهو متفق عليه من حديث سليمان بن صرد قال كنت
جالسا مع النبي صلى الله عليه وسلم ورجلان يستبان فاحدهما احمر وجهه وانتفخت اوداجه فقال صلى الله عليه وسلم لو قال اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم لذهب عنه ما يجد الحديث ولابن عدي من حديث ابي هريرة اذا غضب
الرجل فقال اعوذ بالله سكن غضبه ولابن السني في اليوم والليلة من حديث عائشة كان صلى الله عليه وسلم اذا غضبت
عائشة اخذ بانفها وقال يا عويش قولي اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي واذهب غيظ قلبي و
اجرني من مضلات الفتن والاستعانة بالله تعالى اي بحوله وقوته في دفع غضبه وشدة حدته
والعلم بثواب الحلم والتحلم عطف على العلم لا الحلم اي ومن العلاج التكلف في الحلم فانه محمود ايضا
وللطبراني انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم فورد في التنزيل والكاظمين الغيظ اي المتحملين وذ
في معرض مدح المتقين من المؤمنين وتمامه والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وللطبراني
في الاوسط والبيهقي في الشعب من حديث انس من كف غضبه كف الله عنه عذابه ولابن ابي الدنيا
من حديث ابن عمر من ملك غضبه وقاه الله عذابه ولابن ابي الدنيا من حديث علي اشدكم من ملك
نفسه عند الغضب واحلمكم من عفا عند المقدرة ان المسلم ليدرك بالحلم درجة الصائم اي
بالنهار القائم اي بالليل رواه الديلمي في الاوسط ولابن السني من حديث ابي هريرة اطلبوا العلم
واطلبوا مع العلم السكينة والحلم وفي الصحيحين يا اشج ان فيك خلقين يحبهما الله الحلم و
الاناة وللطبراني من حديث فاطمة ان الله يحب الحيي الحليم ولابن ماجة باسناد جيد من حديث

ابن عمر ما جرع عبد جرعة اعظم اجرا من جرعة غيظ كظمها ابتغاء وجه الله زاد ابن ابي الدنيا
من حديث ابن عباس وما كظمها عبد الا ملأ الله قلبه ايمانا وقال ابو يعلى ساعة تدفع
شرا كثيرا واجتمع سفيان الثوري وفضيل بن عياض فتذاكرا واجتمعا على ان افضل الاعمال
الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال رجل لعمر والله ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل
فغضب عمر حتى عرف في وجهه فقال الرجل يا امير المؤمنين الم تسمع ان الله تعالى قال خذ العفو
وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين وهذا من الجاهلين وقال عمر صدقت وكانما كانت
نارا فاطفئت وشدة غضبه تعالى وقدرته وفضيحة الاخرة اي والعلم بها فانها تكون سببا
لاطفاء نار الغضب في تسكينها عن اللهب فيخوف نفسه بعقاب الله بان يقول قدرة الله على
اعظم من قدرتي على هذا الانسان فلو امضيت غضبي عليه لم امن ان يمضي الله غضبه علي يوم
القيمة احوج ما اكون الى العفو والرحمة وقد قال تعالى في بعض الكتب المتقدمة يا ابن
آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحقك فيمن امحق وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصيفا الى حاجة فابطأ عليه فلما جاءه قال لولا القصاص لاوجعتك ضربا اي خوف القصاص
في القيمة ابو يعلى من حديث ام سلمة بسند ضعيف ولاحمد من حديث عبد الله بن عمرو سأل رجل
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبعدني من غضب الله قال لا تغضب وتشبه الحليم بالانبياء
فورد كاد الحليم ان يكون نبيا وقد مدح الله خليله بانه حليم وكذا بشره بغلام حليم والاولياء
اي باتباع الاولياء من الاصفياء فقد ورد العلماء ورثة الانبياء وضد ذلك من حال الاكراد
والاتراك والجهلة والاغبياء والفضول اي وتشبه كثير الغضب بالسبع الضاري اي
الصائل العادي من الاسد ونحوه فهو من اخلاق البهائم والكلب الهائم وقبح هيئته اي
بتغير صورته حال غضبه وشدة حدته بان يتفكر ويتذكر صورة غيره حال غضبه وتغير لونه
وشدة رعدته في اطرافه واكتافه وخروج افعاله عن ترتيبه ونظامه من الاضطراب والحركة
في اعضائه وكلامه حتى يظهر الزبد على الاشداق ويحمر الاحداق وتنقلب المناخر وتستحيل الخلقة
في المظاهر ولو رأى الغضبان في حال غضبه قبح صورته يسكن غضبه من قبح هيئته واستحالة
خلقته وقبح باطنه اعظم من ظاهره وهذا التغير في جسده واما اثره باللسان فانطلاقه
بالشتم والفحش وقبح الكلام الذي يستحيي منه قائله ايضا عند فتور غضبه وذلك مع تخبط
نظمه واضطراب لفظه واما اثره على الاعضاء فالضرب والهجم والتمزيق والجرح والقتل
عند التمكين من غير مبالاة فان هرب منه المغضوب عليه او فات بسبب لديه وعجز عن التشفي
اليه رجع الغضب على نفسه بتمزيق ثوبه ولطم وجهه وقد يضرب بيده على الارض او جدره

وبعدو عدوا لواله والسكران فى مشيه وربما يسقط صريعا لا يطيق العدو سريعا وربما
يضرب الجمادات والحيوانات فيضرب القصعة على الارض ويكسر المائدة ويتعاطى افعال
المجانين فيشتم البهيمة ويخاطبها ويقول لها الى متى منك هذا ياكيت وكيت كانه
يخاطب العاقل حتى ربما رفسته دابة فيرفس هو الدابة ويقابلها بذلك وربما قتل نفسه
بيده اما باله او بشق او برمى فى بحر ونحوه والعجز اى والعلم بالعجز عن الغلبة على مراده
تعالى فان الله غالب على امره وهو القاهر فوق عباده فان الغضبان يروج ان الشئ على
وفق مراد نفسه دون مراده ربه ومن وقع فى هذه الورطة وباء بغضب من الله وعذابه
ونعم ما قيل تود النفس ان تلقى مناها ويأبى الله الا ما يريد فيفعل الله ما يشاء ويحكم ما يريد فكن
مسلما الامر ان كنت من المريد الطالب لمقام المزيد وانتقام المغضوب عليه اى فيجد نفسه عاقبة
الانتقام من تسلط المغضوب عليه على اظهار معايبه والشماتة بمصايبه وحدوث الذنوب اى انواع
العصيان لاخذ اللسان فى الفحش والسب للانسان والجوارح فى الضرب والجرح والقتل كما سبق فى عرض
البيان والقلب فى الحقد فان الغضب اذا لزم كظمه بعجز عن التشفى فى غيظه رجع الى باطنه واحتقن فيه فصار
حقدا وصح يلزم قلبه استثقاله ويجده فى حسن حاله ويظهر الشماتة بمصابه والحزن بمسرته والعزم
على افشاء سره وهتك ستره والاستهزاء به فى قوله وفعله وجميع امره وهو اى الحقد ذميمة اى خصلة
مذمومة فاحشة اى متجاوزة عن الحد لاشتمالها على سيات متعدية عن العد فورد المؤمن
اى الكامل ليس بحقود فعول بمعنى فاعل اى ليس بذى حقد وليس بمبالغ فى الحقد والحديث فى الاحياء
وقال المخرج لم اقف له على اصل والعلاج اى علاج الحقد قلع الغضب الذى سبب الحقد الباعث
على الحسد ونحوه وذكر ما ورد اى من الفضائل فى الكتاب والسنة فى العفو مثل والعافين
عن الناس الى تمامه والله يحب المحسنين وللطبرانى فى مكارم الاخلاق من حديث انس اذا وقف العباد
نادى مناد ليقم من اجره على الله فليدخل الجنة قيل من ذا الذى اجره على الله قال العافون
عن الناس وهو مستفاد من قوله فمن عفى واصلح فاجره على الله ولاحمد والحاكم وصححه ان الله عفو
يحب العفو فالتخلق باخلاق الله له شان عظيم عند مولاه خذ العفو الى تمامه وامر بالعرف
واعرض عن الجاهلين وورد فى تفسير العفو ان تعطى من حرمك وتصل من قطعك وتعفو عمن
ظلمك وان تعفوا اقرب للتقوى الى تمامه ولا تنسوا الفضل بينكم وهو اى العفو اسقاط حق
واجب اى ثبت للعبد على غيره اما قول ابى ضمضم وهو رجل من بنى اسرائيل اللهم تصدقت بعرضى
على عبادك وعدا اى لا عفو لانه اثبات ماله للغير لا اثبات حق واجب له على الغير
وعليه الوفاء اى بوعده وعهده وتوضيحه انه لما قال العفو اسقاط حق وجب ورد

عليه

عليه ان او قول ابى ضمضم تصدقت يدل على ان العفو قد يكون باسقاط الحق قبل الوجوب فاجاب
بانه وعد بانه لا يخاصمه يوم القيمة لا عفو كما قررنا وفى الاحياء قال رجل من المسلمين اللهم
ليس عندى صدقة اتصدق بها فايما رجل اصاب من عرضى شيئا فهو صدقة فاوحى الله
الى النبى عم انى قد غفرت له قال المخرج رواه ابو نعيم فى الصحابة والبيهقى فى الشعب وابن عبد
البر فى الاستيعاب من حديث ابى هريرة ان رجلا من المسلمين لم يسمه وقال الطنه ابا ضمضم وتقدم
فى افات اللسان ايعجز احدكم ان يكون كابى ضمضم قالوا وما ابو ضمضم قال رجل فيمن كان قبلكم
اذا اصبح قال اللهم انى قد تصدقت اليوم بعرضى على من ظلمنى والمعنى انتم اولى بهذه الخصلة
المهمة فانكم خير امة وقيل فى قوله تعالى ربانيين اى علماء حلماء وعن الحسن فى قوله تعالى واذا
خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما قال حلماء ان جهل عليهم لم يجهلوا يعنى بل يجيبونهم بقول يسلمون
فيه عنهم وقال عطاء بن ابى رباح يمشون على الارض هونا اى حلماء وقال ابن حبيب فى قوله
وكهلا قال الكهل منتهى الحلم وقال مجاهد واذا مروا باللغو مروا كراما اى اذا اوذوا صفحوا
وروى ان ابن مسعود مر باللغو معرضا فقال عم اصبح ابن مسعود وامسى كريما ثم تلا
ابراهيم بن ميسرة وهو الراوى قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما ما ابن المبارك
فى البر والصلة ولاحمد من حديث سهل بن سعد اللهم لا يدركنى ولا ادركه زمان لا
يتبعون فيه العليم ولا يستحيون فيه من الحليم قلوبهم قلوب العجم والسنتهم السنة العرب
وعن على رضى الله عنه ليس الخير ان يكثر مالك وولدك ولكن الخير ان يكثر علمك ويعظم
حلمك وان لا تباهى الناس بعبادة ربك فاذا احسنت حمدت الله واذا اسات
استغفرت الله وعن الحسن اطلبوا العلم وزينوه بالحلم وقال بعضهم ما احسن الايمان
بزينة العلم العمل وما احسن العمل بزينة الرفق وما اضيف شئ الى شئ مثل حلم الى
علم وعن انس بن مالك فى قوله تعالى فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانه ولى حميم الى قوله
عظيم الرجل يشتمه اخوه فيقول ان كنت كاذبا فيغفر الله لك وان كنت صادقا فيغفر الله
لى وعن بعضهم قال شتمت فلانا من اهل البصرة فحلم عنى فاستعبدنى بها زمانا وسب رجل
ابن عباس فلما فرغ يا عكرمة هل للرجل حاجة فنقضيها فنكس الرجل راسه واستحى
وعن على بن الحسين انه سبه رجل فرمى اليه خميصة كانت عليه وامر له بالف
درهم ومر المسيح بن مريم عم بقوم من اليهود فقالوا له شرا فقال لهم خيرا فقيل له انهم يقولون
شرا وانت تقول خيرا فقال كل واحد ينفق مما عنده ولاحمد من حديث جابر بن سمرة ان
امرؤ عيرك بما فيك فلا تعيره بما فيه ولابى داود من حديث ابى هريرة شتم رجل ابا بكر

وهو ساكت فلما ابتدء ينتصر منه قام فقال انك كنت ساكتا لما شتمني فلما تكلمت
قمت قلت لان الملك كان يجيب عنك فلما تكلمت ذهب الملك وجاء الشيطان فلم اكن
لاجلس في مجلس فيه الشيطان ومما ارتكب اي ذكر ما كنت المحمود من مكروه كترك
الاعانة في الحاجة وقد قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم
والعدوان والدعاء اي وترك الدعاء له في الغيبة فان الدعاء يستجاب في غيبة
المؤمن ويكون للداعي مثله والوعظ اي النصيحة وترك النصيحة فقد ورد الا ان
الدين النصيحة قيل لمن يا رسول الله ولكتابه ولرسوله ولائمة المؤمنين وعامتهم
والرفق اي بالنية الصحيحة فورد ان الله يحب الرفق اي اللطف وهو ضد العنف
وقد تقدم تخريجه ومن حرام كالشماتة وهي الفرح ببلية العدو والاعراض
عند المواجهة بترك السلام والكلام والاهانة بترك القيام والتوسيع
في القيام والغيبة اي ذكر ما يكرهه في الغيبة وترك صلة الرحم ان كان من
ذوي القرابة وقضاء الحق اي وتركه من حقوق المسلمين من رد السلام و
تشميت العاطس وعيادة المريض وامثالها والنصيحة اي وتركها وهي ارادة
بقاء النعمة على المسلم مما ترك اي من شيء له اي للمسلم فيه اي في ذلك الشيء
صلاح دنيوي لاخروي او عرف كونه صلاحا بغلبة الظن او قيد بشرط اي
او اي قيد البقاء بشرط الصلاح بان يقول ان كان له فيها صلاح فابقها
وضدها اي النصيحة الحسد وهو ارادة زوالها اي النعمة عنه اي عن المسلم
مما له فيه فان تبع الصلاح زوالها عنه مطلقا من غير ان يشترط سببا لاجل
زوالها فغيرة وهي مذمومة وان اراد مثلها لنفسه دون الزوال عنه
فغبطة دون الزوال ومنافسة وهي خصلة محمودة ومنه قوله تعالى وفي ذلك
فليتنافس المتنافسون وحديث الصحيحين عن ابن عمر لا حسد الا في اثنين رجل
اتاه الله علما فهو يعمل به ويعلمه الناس ورجل اتاه الله مالا فسلط على هلكته
في الحق والحسد اي المذموم حرام لقوله تعالى ام يحسدون الناس على ما اتاهم الله
من فضله وعن الفضيل المؤمن يغبط المنافق يحسد ولقوله عم الحسد يأكل
الحسنات كما يأكل النار الحطب ابو داود من حديث ابي هريرة وابن ماجه من
حديث انس وفي الصحيحين لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا
وكونوا عباد الله اخوانا وللبيهقي في الشعب كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد

يغلب القدر فانه سنه كراهة نعمته تعالى فللطبراني من حديث استعينوا على قضاء
الحوائج بالكتمان فان كل ذي نعمة محسود وللطبراني في الاوسط من حديث ابن
عباس ان لاهل النعم حسادا فاحذروهم وقضائه فعن زكريا عم قال الله تعالى الحاسد
عدو لنعمتي متسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي قد يؤخذ
هذا المعنى من قوله تعالى ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما
اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء
عليما وقد قال تعالى لكل اجل كتاب وكل شيء عنده بمقدار وقد شكى نبي من الانبياء
من امرأة ظالمة مستولية على الخلق فاوحى الله اليه فر من قدامها حتى تنقضي ايامها
ورواه مسلم اي وكراهتها وهو من خصال المنافقين كما قال تعالى في حقهم ان
ان تمسسكم حسنة تسؤهم في حقهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها وقال كل الناس
اقدر على رضاه الا الحاسد نعمة فانه لا يرضيه الا زوالها ولذا قيل كل العداوة
قد ترجى اماتتها الا عداوة من عاداك حسدا ومن هنا قال تعالى قل موتوا بغيظكم
ان الله عليم بذات الصدور وقال اعرابي ما رايت ظالما اشبه بمظلوم من حاسد
انه يرى النعمة عليك نقمة عليه وقال الحسن يا ابن ادم لم تحسد اخاك فان
كان الذي اعطاه الله لكرامته عليه فلم تحسد من اكرمه الله وان كان غير ذلك
فلم تحسد من مصيره الى النار وفعل المعاصي بالرفع اي من افاته كالتملق في الحضرة
وانما يتملق المحسود لئلا يطلع على ارادته الباطنية اذ الخائن يخاف من الفضيحة
وهو من صفات المنافقين وقد سبق ان المؤمن ليس يتملق الا في طلب العلم و
الغيبة اي غيبة المحسود في الغيبة والشماتة وهي الفرح ببلية المحسود فللترمذي
من حديث واثلة ابن اسقع لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك
وفي رواية ابن ابي الدنيا فيرحمه الله فورد في التنزيل ومن شر حاسد اذا حسد
اي اذا اظهر الحسد والافلوح المحسد من الحسد وعن الحسن انه سئل عن الحسد
فقال غمة فانه لا يضرك ما لم تبده والتعب في الدنيا فان الحسود لا يسود ولعدم
خلو الدنيا من ذي نعمة والعقاب في الاخرة بل لا نفع للحاسد بل ينفع المحسود في الدنيا
بضرة العدو وهو الحاسد وفي الاخرة لطلب المكافات اي المجازات على عمله الحاسد
وعمى القلب اي الناشئ من عدم الرضاء بقضاء الرب والخذلان اي عدم
النصرة في الدنيا والاخرة فعليه الاتقاء اي الموذي عن بعض الثقات الحاسد

لا ينال من المجالس الا مزمة وذلا ولا ينال من الملائكة الا لعنة وبغضا ولا
جزعا وغما ولا ينال عند النزع الا شدة وهولا ولا ينال عند الموقف الا
فضيحة ونكالا الى في نعمة الكافر مستثنى من قوله والحسد حرام والفاسق
والمستعين بها على الفسق والظالم المتقوي بها على الظلم والمبتدع يستمد
بها على البدعة وهو يكره من حيث الآلة اى آلة مما ذكر من الكفر والفسق و
الظلم والبدعة اى اصلهما دون النعمة بخلاف الغيرة فانها حرام فورد اتعجبون من غيرة سعد
وهو ابن ابي وقاص فوالله ان سعدا لغيور وانا اغير منه والله اغير منا وغيرة
الله ان ياتي المؤمن ما حرم الله عليه والغبطة اى وبخلاف الغبطة فانها
ليست بحرام فورد اى في التنزيل وفي ذلك فليتنافس المتنافسون اى ليرغب
الراغبون وليطلبوا الطالبون المنازل العالية والمحافل الغالية وورد
في الحديث هما في الاجر سواء فيمن قال لو ان لي مال فلان لكنت اعمل فيه بمثل
عمله اى من الخيرات والمبرات فلابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح هذه الامة
مثل اربعة رجال رجل اتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ورجل اتاه
الله مالا و[illegible] لو ان لي فلان لكنت اعمل فيه بمثل
عمله فيهما في الاجر سواء ورجل اتاه الله مالا فهو ينفقه في معاصي الله ورجل لم
يؤته الله مالا فيقول لو ان لي مثل مال فلان لكنت اعمل مثل عمله فهما في الوزر
سواء فهي اى الغبطة تتبع ما غبط فيه صيغة المجهول حرمته كالمعاصي واباحة
حة كالمباحات من المفاخرة وسائر النعم الظاهرة لكن الغبطة في المباحات
تناقص علو الحالات والمقامات كالزهد والرضاء والتوكل والقناعة والتسليم
ويحجب عن المقامات الرفيعة من غير اثم في قواعد الشريعة ووجوبا كالايمان
والصلوة والزكاة وسائر الاعمال وندبا كانفاق الاموال في تحسين الاحوال
والسبب اى للحسد سبقه خبث النفس وهو داء مزمن اى لازم لانه جبلي
لا علاج له قد يوصف عنده حسن حال رجل من عباد الله لعله يحقق انعم به
عليه مولاه فيشق ذلك عليه ويحب زوال نعمة الله عنه وليس بينه وبينه
عداوة خفية ولا جنسية جلية ولا شيء مما ذكر من اسباب الحسد بل انما
هو خبث نفسه ورذالة طبعه لا يزول الا بموته كما تقدم في ذمه والرغبة
في نعمة الغير كالرياسة في مقام الجاه والسياسة فانه يحب ان يكون زيد

ووحيد

ووحيد عصره وخوف فوت المقاصد كما في الضرة على توهم المضرة ومن هذا
لا قبيل الاخوان عند الاب والتلاميذ عند العلماء والندماء عند الامراء
بل ومن ذلك حسد العالم للعالم دون العابد وحسد العابد للعابد دون العالم
وقس على هذا والعداوة الكائنة في القلب والتعزز بكراهة ترفع الغير عليه في
المنازل العلية والمحافل فيما بين اهل الفضائل ومنه قوله تعالى اهؤلاء من الله
عليهم من بيننا والتكبر وهو ادعاء الرذائل والتعجب برجحان من سواه اى
نسبا ومنه قوله تعالى ولئن اطعتم بشرا مثلكم انكم اذا لخاسرون تعجبوا من ان
يكون الرسول بشرا وجوزوا ان يكون الاله حجرا ومنه قوله تعالى وقالوا لولا
نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم وقوله انزل عليه الذكر من بيننا وقوله
تعالى او عجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم فمن ثم كثر الحسد بين
بين الاقارب وقد بين الاجانب لكثرة خفتها اى المساوات في ذوالقرابات دون
علماء الاخرة فانه لا يكثر فيهم بل لا يوجد عندهم اذ مقصودهم معرفة تعالى وهي بحر
واسع لا ضيق فيه وغرضهم المنزلة عنده وليس فيه ممانعة ولا مزاحمة بل يزيد الانس
بسبب الكثرة فورد في التنزيل ونزعنا في الدنيا والاخرى ما في صدورهم من
اى من حقد وحسد اخوانا على سرر متقابلين وعلاج كل اى كل واحد من اسباب
الحسد ضده فعلاج خبث النفس سلامة وطيبه وعلاج الرغبة التنفر وعلاج
الخوف الامن لعدم خوف المقصود وعلاج العداوة المحبة والتعزز التذلل
والتكبر التواضع والتعجب الاطمينان بالتفكر في قدرته وقضائه وارادته في
خليقته وذكره الافات المذكورة اى من جملة علاج الحسد وما ورد فيه اى
وذكره ما ورد في ذم الحسد ووجوب اى وذكره وجوب موالاة المؤمن ورعاية
حقوقه وعظم قدره والفوائد اى وذكره الفوائد الواصلة من المؤمن اليه
في ترك الحسد كالتعاون على البر والتقوى والتساعد على العلم والعمل و
التقوى وبركة الجماعة لا سيما في الجمعة والجنازة والمشاعر عن العظام والاجتماع
بالعلماء الكرام والمشايخ العظام وقد قال تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم
من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم وقال ودوا لو تكفرون كما كفروا
فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء وقال بئسما اشتروا به انفسهم ان
يكفروا بما انزل الله بغيا اى حسدا ولله در القائل من ذوي الفضائل لاماق

اعداؤك بل خلد واحتج بواقيك الذي يحمد لا زلت محسودا على نعمة فانما الكامل من يحسد ونعم المقال من بعض اهل الحال الحسد حافره وحقد حاسده

الباب الحادي عشر في العزلة والخمول وحب الذم وبغض المدح

العزلة ضد الخلطة والخمول ضد الشهرة فذهب الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة سفيان الثوري وابن ادهم وداود الطائي وفضيل بن عياض وبشر الحافي وطائفة وقال اكثر التابعين باستحباب المخالطة تعاونا على البر والتقوى ومال الى هذا سعيد بن مسيب وابن عيينة فابوح وابن المبارك والشافعي واحمد بن حنبل وجماعة فعن الفضيل كفى بالله محبا وبالقران مونسا وبالموت واعظا اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا وقال الثوري هذا زمان السكوت ولزوم البيوت وقيل كان مالك بن انس يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الاخوان حقوقهم فترك فترك واحدا واحدا حتى تركها كلها وكان يقول يتهيا للمرء ان يخبر بكل عذر له وقال الفضيل اني لاجد للرجل عندي يدا اذا لقيني ان لا يسلم علي واذا مرضت ان لا يعودني وقال ابو سليمان الداراني بينما الربيع بن خيثم جالس على داره اذ جاءه حجر فصكه في الجبهة فشجه فجعل يمسح الدم ويقول لقد وعظت يا ربيع فقام ودخل داره فما جلس على باب داره حتى اخرجت جنازته و كان سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا ياتيان المدينة لجمعة ولا غيرها حتى ماتا بالعقيق ودخل بعض الامراء على حاتم الاصم فقال له لك حاجة قال نعم قال ما هي قال ان لا تراني ولا اراك وقيل للفضيل ان ابنك عليا يقول لوددت اني في مكان ارى الناس ولا يروني فبكى الفضيل فقال ويح علي افلا اتمها فقال لا اراهم ولا يروني وعن عباس فضل المجالس في قعر بيتك ولا ترى بسم الله الرحمن الرحيم الذي به يانس اهل الخلوة ويستانس به اصحاب الجلوة العزلة فوائد تسعة وهي الفراغ للعبادة فالخلق شاغلون بل مانعون لاهل الارادة وفوق العادة فانهم كما قال الكتاب اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون فعن حاتم الاصم طلبت من هذا الخلق خمسة اشياء فلم اجد منها الواحدة طلبت منهم الطاعة والزهادة فلم يفعلوا فقلت اعينوني عليها ان لم تفعلوا فلم يفعلوا فقلت ارضوا عني ان فعلت فلم يفعلوا فقلت لا تمنعوني عنها اذا تمنعوني فقلت لا تدعوني الى ما لا يرضى الله ولا تقادوني

عليها

عليها ان لم اتابعكم فيها فلم يفعلوا فتركتهم واشتغلت بخاصة نفسي فانها اولى منهم بها وكان عليه السلام في جبل حراء اي في اول الصحيحين من حديث عايشة كان يخلو بغار حراء يتحنث فيه اي يتعبد الليالي المتتابعة حتى قوي به انوار النبوة وظهر منه اسرار الرسالة والجمع اي بين الفراغ والخلطة متعذر فيتعين الخلوة الا لمن استغرق باطنه به تعالى بحيث لا يمنعه الوحدة عن الكثرة ولا يحجبه الكثرة عن الوحدة وهو مقام جمع الجمع للصوفية المعبر عنها بالكائن البائن والقريب الغريب والعرشي الفرشي فغاب عنهم قلبا اي جنانا وشهدهم لسانا اي حضرهم بيانا وبرهانا وهذا انما يتصور لمن اراد به سبحانه شانا فقد نقل عن الجنيد قال انا اكلم الله منذ ثلثين سنة والناس يظنون اني اكلمهم قال بعضهم لا يتمكن احد من الخلوة الا بالتمسك بكتاب الله والمتمسكون بكتابه استراحوا من الدنيا بذكر الله عاشوا وبذكر الله لقوا الله وقيل لبعضهم ما اصبرك على الوحدة فقال لما انا وحدي انا جليس الله تعالى اذا شئت ان يناجيني قرات كتابه واذا شئت ان اناجيه صليت وقيل الاستيناس بالناس من علامة الافلاس وقيل بينما اويس القرني جالس اذ اتاه هرم بن حيان فقال له اويس ما جاء بك قال جئت لانس بك فقال اويس ما كنت ارى احدا يعرف ربه فيانس بغيره وقال بعض الحكماء انما يستوحش الانسان من نفسه لخلو ذاته من الفضيلة اذا اقبل الليل فرحت به وقلت اخلو بربي واذا اصبحت استرجعت كراهية لقاء الناس وان يجيء من يشغلني عن ربي وعن بعضهم اني اصبح وامسي بين نعمة وخطيئة فاشغل نفسي بشكر الله على النعمة وبالاستغفار من الخطيئة والخلاص عن المعاصي التي يتعرض لها الانسان غالبا بالخلطة ويسلم منها في الخلوة كالرياء والسمعة اذ كل من خالطهم داراهم ومن داراهم راياهم ولقد يحيى بن معاذ في قوله رؤية الناس بساط الرياء والغيبة والسكوت عن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع من الاخلاق الردية والاحوال الدنية والبدع في الاقوال المتعلقة مثل كيف اصبحت فانه لم يكن على قصد الاعانة فهو نفاق وليس من اخلاق اهل الديانة فقد كان السلف يتلاقون في قولهم كيف اصبحت وكيف حالك وفي الجواب عنه وكان سؤالهم عن احوال الدين لا احوال الدنيا قال حاتم الاصم لحامد اللفاف كيف انت في نفسك قال سالم معافى فكره حاتم جوابه فقال يا ابا حامد

السلامة من وراء الصراط والعافية في الجنة اي على بساط النشاط وحال
الانبساط وقد ورد اللهم لا عيش الا عيش الآخرة وكان اذا قيل لعيسى عم
كيف اصبحت قال اصبحت لا املك نفع ما ارجو ولا استطيع دفع ما احذره ذرو و
اصبحت مرتهنا بعملي والخير كله بيد غيري فلا فقير افقر مني وكان الربيع بن خثيم
اذا قيل كيف اصبحت قال اصبحنا ضعفاء مذنبين نستوفي ارزاقنا وننتظر آجالنا
وكان ابو الدرداء اذا قيل له كيف اصبحت بخير ان نجوت من النار وكان السفيان
الثوري اذا قيل له كيف اصبحت يقول اصبحت اشكو ذا الى ذا واذم ذا الى
ذا وافر من ذا الى ذا وقيل لاويس القرني كيف اصبحت وقال كيف يصبح اذا امسى
لا يدري انه يصبح واذا اصبح لا يدري انه يمسي وقيل لمالك بن دينار كيف
اصبحت قال اصبحت في عمر ينقص وذنب يزيد وقيل لبعض الحكماء كيف اصبحت
قال اصبحت لا ارضى حياتي لمماتي وما نفسي لي بي وقيل الحكيم كيف اصبحت قال اصبحت آكل
رزق ربي واطيع عدوه وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت قال ما ظنك برجل
يرتحل كل يوم الى الآخرة مرحلة فقط وعن علي رضي الله كل نفس خطوة الى اجله
وقيل لحامد اللفاف كيف اصبحت قال اصبحت اشتهي عافية يوم الى الليل فقيل له الست
وعافية كل الايام فقال العافية يوم لا اعصي الله فيه وقيل لرجل وهو يجود بنفسه
ما حالك فقال وما حالي من يريد سفرا بعيدا بلا زاد ويدخل قبرا موحشا بلا
مونس وينطلق الى ملك عدل بلا حجة وقيل لبعضهم ما حالك قال ما حال من
يموت ثم يبعث ثم يحاسب عافاك الله اي دعا كان قبل السلام ولم يكن في الجاهلية
وعن الحسن انما كانوا يقولون السلام عليك اذا سلمت والله القلوب فاما الان
كيف اصبحت عافاك الله كيف انت اصلحك الله فان اخذنا بقولهم كانت بدعة
ولا كرامة فان شاؤا اغضبوا علينا وان شاؤا الا كذا في الاحياء وانما قال ذلك
لان البداية بقوله كيف اصبحت بدعة ومشاهدتها اي رؤية المعاصي فهو يورث
الاستحقار بها رؤيته اذ باب الدنيا فانه يورث الاستعظام بها ومن هنالك
قال تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما
متعنا به ازواجا منهم وذلك لانه مسارقة الطبع لما يشاهده من اخلاق الناس
واعمالهم وسائر احوالهم داء دفين قل ما يتنبه له العقلاء فضلا عن الغافلين
فلا يجالس الانسان فاسقا او مبتدعا مدة مع كونه منكرا عليه في باطنه الا ولو

قاس

وقاس نفسه الى ما قبل المجالسة لا درك فيها تفرقة في التفرقة عن الفناء
بكثرة المشاهدة من العباد هينا على الطبع ويسقط عنه وقعه واستعظامه
في الشرع ومهما طالت مشاهدة الكبائر من غيره استصغر الصغائر من نفسه وكذا
يؤدي الناظر الى الاغنياء نعمة الله عليه فيؤثر مجالستهم ان يستصغر ما عنده
ويؤثر مجالسة الفقراء في استعظام ما قدر له من النعماء وكذا النظر الى المطيعين
والعصاة فمن يقصر نظره ملاحظة احوال الصحابة والتابعين في عبادة
المولى والتنزيه عن الدنيا فلا يزال ينظر الى نفسه بعين الاستصغار وا
والى عبادة بعين الاستحقار وما دام يرى نفسه مقصرا فلا يخلو عن داعية
الاجتهاد رغبة في الاستكمال واستتماما للاقتداء ومن نظر الى الاحوال الغالبة
على اهل الزمان واعراضهم عن الله واقبالهم على الدنيا واعتيادهم للمعاصي استعظم
امر نفسه بادنى رغبة في الخير يصادفها من قلبه وذلك هو الهلاك لنفسه
ومما يدل على سقوط وقوع الشيء عن القلب بسبب تكرره ومشاهدته ان
اكثر الناس اذا راوا مسلما افطر في نهار رمضان استبعدوه استبعادا
يكاد يفضي الى اعتقادهم كفره وهم يشاهدون من يخرج الصلوة عن اوقا
تها ولا ينفر عنهم طباعهم كنفرتهم عن تاخير الصوم مع ان صلوة واحدة يقتضي تركها
الكفر عند قوم وحز الرقبة عند قوم وترك صوم رمضان كله لا يقتضيه
وكذا لو لبس الفقيه ثوبا من حرير او خاتما من ذهب استبعدته النفوس وقد شاهد
في مجلس طويل لا يتكلم فيه الا بما هو اغتياب للناس ولا يستبعد منه والغيبة
اشد من الزنا فكيف لا يكون اشد من لبس الحرير ولكن كثرة سماع الغيبة ومشاهدة
المغتابين اسقط عن القلوب وقعها وهو قول النفوس امرها وقيل لبعضهم
ما حملهم على العزلة قال خشيت ان اسلب ديني ولا اشعر به فيتفطن لهذا القول
الاسد وفر من الناس فرارك من الاسد لانك تشاهد منهم الا ما يزيد على
حرصك في الدنيا وغفلتك عن الحق ويهون عليك المعصية ويضعف
رغبتك في الطاعة فان وجدت جليسا يذكرك بالله صورته واينسا
يذكرك الله سيرته فالزمه واغتنمه فان الجليس الصالح خير من الوحدة وان
الوحدة خير من الجليس السوء لكن جليس الصالح عزيز الشهوة في محل الوجود
كما قال عم اخبر تقله والناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وكما قيل اتمنى على

الزمان محالا اذ ترى مقلتاي طلقة فان الحر من لا يستقيده هواه
ولا يسترقه دنياه يستغرقه خدمته وهذا معنى قوله والجليس السوء
بفتح السين وضمها اي مشاهدته والخلاص عنه لمرافقته الصحبة اي خير
الوزر احسب لو بتة فور مثل الجليس السوء القين اي الحداد تمامه ان لم يحرق
ثوبك اصابك ريحه ومثل الجليس الصالح مثل العطار ان لم يعطك من عطره
اصابك من ريحه وفي البخاري في حديث ابي موسى مثل الجليس الصالح والجليس
السوء كصاحب المسك وكير الحداد لا يعدمك من صاحب المسك اما تشتريه او
تجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك او ثوبك او تجد منه ريحا خبيثة والفتن
اي والخلاص من انواع الفتن وقل ما يخلو العبد في البلاد عن تعصبات
وخصومات فورد اي عن عبد الله بن عمرو بن العاص لما ذكر عليه السلام الفتن
ووصفها وقال اذا رايت الناس مرجت عهودهم وخفت اماناتهم وكانوا
هكذا وشبك بين اصابعه فقلت فما تامروني فقال الزم بيتك اي لازم
بسكونه واملك عليك لسانك اي الزم سكوته وخذ ما تعرف واعمل به ودع
ما تنكر اي اتركه وعليك بامر الخاصة اي والزم خاصية نفسك ودع عنك
امر العامة اي من لم يتعلق حين قبل ظرف لورد ماذا تامروني في زمان الفتن
والحديث رواه ابو داود والنسائي في اليوم والليلة باسناد حسن وفي
البخاري من حديث ابي سعيد الخدري يوشك ان يكون خير مال المسلم غنما يتبع
بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن وللخطابي من حديث
ابن مسعود وللبيهقي من حديث ابي هريرة سياتي على الناس زمان لا يسلم لذي
دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن شاهق الى شاهق ومن حجر
الى حجر كالثعلب الذي يروغ قيل له ومتى ذلك يا رسول الله قال اذا لم تنل المعيشة
الا بمعاصي الله تعالى فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة قالوا وكيف ذلك يا
رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل
على يدي ابويه فان لم يكن ابوان فعلى يدي زوجته وولده فان لم يكن فعلى يدي
قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا
يطيق حتى يورده ذلك موارد الهلكة وفي الاحياء هذا الحديث وان كان
في العزوبة فالعزلة مفهومة منها اذ لا يستغني المتاهل عن المعيشة والمخالطة

ثم لا يقال

ثم لا يقال المعيشة الا بالمعصية ولا جلد قال سفيان الثوري والله لقد حلت
العزلة اقول في زماننا وعن سفيان بن عيينة لقيت ابراهيم بن ادهم في بلاد الشام
فقلت له يا ابراهيم تركت خراسان قال ما تهنأت بالعيش الا بها افر بديني من شاهق الى
واد فمن يراني يقول موسوس او حمال او ملاح وعن عمر انه لما بلغه توجه الحسين الى
العراق لحقه على المسيرة ثلاثة ايام فقال له اين تريد فقال العراق فاذا معه طو
مير وكتب فقال هذه كتبهم وبيعتهم فقال لا تنظر الى كتبهم ولا تأتهم فابى فقال ابن
عمر اني محدثك حديثا ان جبرائيل اتى النبي عليه السلام فخيره بين الدنيا والآخرة
فاختار الآخرة على الدنيا وانك بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لا
يليها احد منكم ابدا وما صرفها عنكم الا للذي هو خير لكم فابى ان يرجع فاعتنقه
ابن عمر وبكى استودعك الله من قتيل رواه الطبراني في الاوسط والبزار
بنحوه واسنادهما حسن وكان في الصحابة اكثر من عشرة الالف فما خف ايام
الفتنة اكثر من اربعين رجلا ولما بنى عروة قصره بالعقيق ولزمه فقيل له
لزمت القصر وتركت مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم رايت مساجدكم
لاهية واسواقكم لاغية والفاحشة في فجاجكم عالية وفيما هنا عما انتم فيه
عافية وايذائهم اي والخلاص عن ايذاء الجلساء فانهم يؤذونك تارة بنحو
الغيبة والنميمة واخرى بسوء الظن والتهمة والنقول الكاذبة ومرة با
لاطماع الكاذبة التي يعسر الوفاء بها فينشا الجفاء بسببها وقد قيل معاشرة
الاشرار تورث الظن بالاخيار وقيل لعبد الله بن الزبير الا تاتي المدينة
قال ما بقي فيها الا حاسد نعمة او فرح بنقمة وقيل كان الناس دواء يتداوى
بهم فصاروا داء لا دواء لهم وعن ابي الدرداء رضي الله عنه كان ورقا لا شوك
فيه وقال رجل لابراهيم بن ادهم اوصني فقال اياك والناس وعليك بالناس
ولا بد من الناس فان الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس
وبقي الكناس والنسناس وما اراهم بالناس بل غمسوا في ماء الناس وقيل الزم
الدفاتر والمقابر وقال الحسن اردت الحج فسمع ثابت البناني وكان ايضا من اولياء الله
فقال للحسن بلغني انك تريد الحج فاحببت ان نصطحب فقال ويحك دعنا نتعاشر
بستر الله علينا اني اخاف ان نصطحب فيرى بعضنا من بعض ما نتماقت عليه قال
في الاحياء وهذه اشارة الى فائدة اخرى في العزلة وهي بقاء الستر على الدين و

والمروة ولقد قال شاعر ولا عار ان زالت عن المرء نعمة ولكن عارا ان يزول
التجمل وقال ابو الدرداء اتقوا الله واحذروا الناس فانهم ما ركبوا ظهر بعير الا
ادبروه ولا ظهر جواد الا عقروه ولا قلب مؤمن الا خربوه وطمعهم من اضافة
المصدر الى الفاعل اي والخلاص من طمع الناس عنك فان رضاء الناس غاية لا
تدرك فرعاية الحقوق شديدة ومن اهون الحقوق وايسرها حضور الجنائز و
عيادة المريض وحضور الولائم والاملاكات وفيها اي في رعاية الحقوق ضياع
الاوقات وفوات المهمات والتعرض للآفات ثم قد يعوق عن بعضها عائق وستقبل
فيها المعاذير ولا يمكن اظهار كل الاعذار فيقولون قام بحق فلان وقصر في حقنا
ويصير ذلك سبب عداوة ومن عم الناس بالحرمان رضوا عنه كلهم وعن عمرو بن
العاص كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء والطمع عنهم وفي نسخة فيهم اي والخلاص
من ان يطمع هو فيهم فالنظر الى زهرات الدنيا اي انواع زينتها واصناف بهجتها
يحرك الحرص وانبعث بقوة الحرص طمعه ثم لا يرى الا الخيبة في اكثر الاطماع فيتأذى
بذلك ومهما اعتزل لم يشاهد وان لم يشاهد لم يشتهه ولم يطمع هنالك ولذا قال تعالى
ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا لنفتنهم
فيه ورزق ربك خير وابقى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها لا نسئلك
رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى وقال عليه السلام فيما رواه مسلم
من حديث ابي هريرة انظروا الى من هو دونكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم فانه
اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم وحكي ان المزني خرج من باب جامع مصر وقد
اقبل ابن عبد الحكم في موكبه فبهره ما راى من حسن حاله وهيئته فتلا قوله
تعالى وجعلنا بعضكم لبعض فتنة اتصبرون ثم قال اصبر وارضى يعني كما قيل
شعر رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللاعداء مال فان المال يفنى عن قريب
وان العلم يبقى لا يزال ولبقاء الثقيل والاحمق اي والخلاص عن ملاقاة الثقلاء
والحمقى ومشاهدة اخلاقهم ومقاساة احوالهم فهو اشد البلاء اي المعنوي
فان رؤية الثقيل هو العمى الاصغر قيل للاعمش مم عمشت عينك قال من النظر
الى الثقلاء ويحكى انه دخل عليه ابو حنيفة فقال له في الخبر من سلب الله كريمتيه عوضه
عنهما ما هو خير منهما فما الذي عوضك فقال في معرض المطايبة عوضني عنهما انه
كفاني رؤية الثقلاء وانت منهم وقيل النظر الى الاحمق حمى باطن وآفات

اي في العزلة

اي في العزلة وهي عشرة فوات التعلم فهو مقدم على العزلة لافتقار العبادة
العملية والتقوى العلمية اليه ولذا قال النخعي وغيره تفقه ثم اعتزل وفي لطائف
العارف الجامي قدس سره السامي ان العزلة بدون العلم زلة وبدون الزهد
علة والتعليم اي وفوات التعليم فهو اولى من العزلة ايضا كالتعلم اذ كان في التعلم ان كان
التعلم في علم الآخرة اي علم ينفعه في العقبى وراعى حقه تعالى بالاخلاص وابتغاء
وجه ربه الاعلى وكذا بالاحتراز عن الرذائل كالرياء وحب الجاه من الاستكثار
بالاصحاب والاتباع وما يتبعه من حب المال وسائر الاخلاق الذميمة في
الاحوال فحكم العالم في هذا الزمان ان يعتزل اذا اراد سلامة دينه مستفيد
ايطلب فائدة ليقينه بل يستعمله في معرض المنافسة والمباهات لعلمه وتبينه
ولا يطلبه غالبا الا لتوصل الى التقدم على الامثال وتولي الولايات واجتلاب
الاموال واستشعار الادلال على الجهال فان صور في طالب الله وتقربه
بالعلم الى رضاء مولاه فاعتزل عنه وكتمان العلم منه من اكبر الكبائر فورد
اذا ظهرت الفتنة فسكت العالم فعليه لعنة الله ثم اجد له اصلا وقد قال
تعالى الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس
في الكتاب اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون وقد قيل ما فسدت الرعية
الا بفساد الامراء وما فسد الامراء الا بفساد العلماء ومن هنا قيل فساد العالم
فنعوذ بالله من الغرور والعمى فانه الداء الدفين الذي ليس له الدواء والا
اي وان لم يكن تعلمه في علم الآخرة فالعزلة متعينة واجبة كما في زماننا لذهاب
الآخرة من التفسير والحديث والفقه المتعلق بالعبادة في اكثر البلاد او العمل
عليه اي ولذهاب العمل على طبق العلم في غالب اهل الزمان ولا ينبغي ان يغتر
الانسان بقول سفيان تعلمنا العلم لغير الله فابى ان يكون الا لله وان الفقهاء يتعلمون
لغير الله ثم يرجعون الى الله وانظر الى اواخر اعمار الاكثرين منهم واعتبر انهم
ماتوا وهم هلكى على طلب الدنيا ومتكالبين عليها او راغبين عنها وزاهدين
فيها وليس الخبر كالمعاينة واما العلم الذي اشار اليه سفيان فهو علم الحديث
وتفسير القرآن ومعرفة سير الانبياء والصحابة فان فيها التخويف والتحذير فان
لم يؤثر في الحال فقد يؤثر في المآل واما الكلام وجدل الخصام والفقه المجرد الذي
بفتاوى المعاملات وفصل الخصومات فلو ترك الراغب فيه للدنيا الى الله

بل لا يزال متماديا في حرصه الى اخر عمره ونهاية امره ومن هنا قال بشر الحافي
حدثنا باب من ابواب الدنيا وتعذر رعاية الحقوق اي ولتعذرها او تعسرها
من حقوق الاساتذة والتلامذة فعن ابي سليمان الخطابي دع الراغبين
في صحبتك والتعلم منك فليس لك منهم ولا جمال اخوان العلانية اعداء
اذا لقوك واذا غبت عنهم سلقوك من اتاك منهم كان عليك رقيبا واذا
خرج كان عليك خطيبا اهل نفاق ونميمة وغل وخديعة فلا تغتر باجتماعهم
عليك فما غرضهم العلم وحسن الحال في المال الجاه وكثرة المال وان يتخذوك
سلما الى اوطارهم وحمارا في حاجتهم وان زادهم ان قصرت في غرض من
اغراضهم اشد اعدائك ثم يعدون ترددهم اليك دالة عليك ويرونه
واجبا لديك ويفرضون عليك ان تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم
فتعادي عدوهم وتنصر قريبهم وخادمهم ووليهم وتنتصر لهم سفيها وقد
كنت فقيها وتكون لهم تابعا خسيسا بعد ان كنت متبوعا رئيسا ومزج
الفتن اي ولغلبتهم الفتن وما يترتب عليه من انواع المحن ما ظهر منها وما
بطن فانك ترى المدرس في رق دائم وتحت حق لازم ومنة ثقيلة ممن
يتردد اليه فكانه يهدي تحفة اليه ويرى حقه واجبا عليه فلا يزال يتردد الى ابواب
السلاطين ويقاسي الذل والشدائد مقاساة الذليل المهين حتى يكتب له على
بعض وجوه السحت من مال المسلمين من اليتامى والمساكين ثم لا يزال
العامل يسترقه ويستخدمه ويستبذله الى ان يسلم اليه ما يقدره نعمة
مستانفة من عنده عليه ثم يبقى في مقاساة القسمة على اصحابه ان سوى بينهم
مقته المبرزون ونسبوه الى الحمق وقلة التمييز والمعرفة في الفنون
وان فاوت بينهم سلقه السفهاء بالسنة حداد وثارت عليه ثوران
الاسود والاشبال فلا يزال في مقاساتهم في الدنيا وفي مظالم ما يأخذه ويفرقه
في العقبى والانتفاع اي وفوات من العز وكذا نفع العز بالكسب بحيث الكفاية
اي الكفاية لنفسه عن ابناء جنسه اذ الصدقة على عزه بالزيادة على
قدر الكفاية بطريق القناعة فهو اي الكسب وفي نسخة فهي اي الصدقة اي
من عمل الظاهر كالصلوة والصوم وتلاوة القران وتوضيحه ان هالك
لا يخلو من ان يكون محتاجا الى القوة اولى فان كنت محتاجا اليه اشتغالك

بالكسب

بالكسب اولى بل فرض كما لا يخفى وان كنت مستغنيا عنه فلا يخلو اما ان
تكون في خلوتك مشغولا باعمال الظاهرة فالكسب للصدقة افضل من
العزلة لتعدي المنفعة واما ان تكون مشتغلا باعمال الباطنة من الانس
بالله والحضور مع الله والتفكر في صفات الله والتذكر في احوال الاخرة
في عقباه والشوق الى لقاء ربه والتروق الى مقام رضاه فالعزلة اولى من الكسب
اولا لبقاء المنفعة ودوامها وتمامها في الدنيا والاخرى والتاديب اي فوات
كسب الادب وتحصيله بالارتياض اي المجاهدة وقبول رياضة النفس
المعاودة في البداية والتاديب اي وفوات تعليم الادب بالرياضة في
النهاية وهو كالتعليم في مقام الهداية وفي الاحياء ويعني بالتاديب الارتياض
لمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسرا للنفس وقهرا للشهوات وهي من
الفوائد التي تستفاد بالمخالطة وهو افضل من العزلة في حق من لم يتهذب بعد
اخلاقه ولم يرع الحدود الشرعية شهواته واما التاديب فيعني به ان يروض غيره
وهو حال مشايخ الصوفية معهم فانه لا يقدر على تهذيبهم الا بمخالطتهم
وللترمذي وابن ماجه من حديث ابن عمر المؤمن الذي يخالط الناس ولا يصبر
على اذاهم والمؤانسة اي وفوات الاستيناس والايناس بالناس في المصاحبة
والمجالسة كالانس بملازمة ارباب التقوى من الاولياء وبمواظبة اهل
الفتوى من العلماء وانما سمي الانسان بالانس لما فيه نوع من الانس لا
سيما والمؤمنون اخوة وبينهم زيادة الالفة لقوله تعالى والف بين قلوبهم لو
انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم ولقوله
عليه السلام المؤمن مالف ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف رواه احمد عن سهل بن سعد
فهي اي المؤانسة مستحبة لقطع الملالة المتفردة للعبادة اي كما هو في العادة
والرفق في العبادة من حزم اهل الارادة فورد ان الله لا يمل حتى تملوا وقد
تقدم ومن يشاد هذا الدين يغلبه فان الدين متين ولا يغال فيه برفق ابدا
المستبصرين ولذا قال ابن عباس لولا مخافة الوسواس لم اجالس الناس و
قال مرة دخلت بلدا لا انيس بها وهل يفسد الناس الا الناس قلت لا يصلح الناس
الا الناس ومن هنا قيل ما زينة الناس الا الناس فلا يستغني المعتزل اذا عن
رفيق يستانس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليل ساعة فليجتهد

في طلب من لا يفسدك في ساعة ثلث شيئا من طاعته فقد قال عليه السلام المرء
على دين خليله فلينظر احدكم من يخالل وقد تقدم ويحرص ان يكون حديثه عند
اللقاء في امور الدين وحكاية المشايخ الصالحين والعلماء المجتهدين فمثل
هذا النوع من الجلوة في بعض الاوقات قد يكون افضل من الخلوة في تحسين
المقامات فقد ورد نوم العالم عبادة الغافل ومنه كلميني يا حميرا وثواب اقامة
الجمعة والجماعة اي وفوات اقامتها وادامتها ونحوهما من حضور الجنائز
وصلوة العيدين ومجلس العلم ووقوف عرفة وامثالها وحضورهم اي
وفواتها كالعيادة للمرضى والتشييع للجنازة ومنها اجابة الدعوة في نحو
الوليمة وقد حكي عن جماعة من السلف مثل مالك وغيره ترك اجابة الدعوة
وعيادة المريض وحضور الجنازة بل كانوا احلاس بيوتهم لا يخرجون
الا الى الجمعة او زيارة القبور وبعضهم فارق الامصار وانحاز الى الجبال
ميلا الى الزهاد تفرغا للعبادة وحذرا عن الشواغل في الارادة والتواضع
اي وفواته فانه من اداب المخالطة ولا يقدر عليه في الوحدة فقد يحمل
الكبر عليها اي على العزلة بحيث زيارتهم تبركا اي على سبيل التبرك والمعنى
انه قد يكون الكبر سببا للعزلة وعلامته يحب ان يزار ولا يحب ان يزور و
لو كان له الاشتغال بذكره والاستغراق في فكره لبغض زيارة الناس اليه
وتوقفهم عليه لشغلهم عن المقصود لديه اعلم ان التواضع في المخالطة لا ينقص
عن منصب من هو كبير بعلمه او دينه فقد كان علي رض يحمل التمر والملح في ثوبه
ويده ويقول لا ينقص لا ينقص الكامل من كماله ما جر من نفع الى عياله
وكان ابو هريرة وحذيفة وابي وابن مسعود يحملون حزمة الحطب و
جراب الدقيق وغيره على اكتافهم وكان ابو هريرة يقول وهو وال عليه
المدينة والحطب على راسه طرق الامير وكان عم يشتري الشيء فيحمل
الى بيته بنفسه فيقول الى صاحبه اعطني احمله فيقول صاحب المتاع احق
بحمل رواه ابو يعلى من حديث ابي هريرة في حمله سراويل الذي اشتراه ثم اعلم
ان حبس نفسه في بيته لتحسين اعتقاد الناس في حقه فهو في عناء حاضر في
الدنيا ولعذاب الاخرة اشد وابقى فهذه يستحب العزلة الا المستغرق الاوقات
بربه ذكرا وفكرا وعلما واشتغالا بامره تجردا وزهادة لو خالط الناس لضاعت

اوقاته

اوقاته او كثرة افاته او تشوشت عليه عباداته فمن شغل نفسه لطلب رضى
الناس فهو مغرور لانه لو عرف حق المعرفة لعلم ان الخلق لا يغنون عنه من
الله شيئا وان ضره ونفعه بيد الله فلا نافع ولا ضار سواه وان من طلب
رضا الناس بسخط الله عليه الحق واسخط عليه الخلق بل رضا الناس غاية
لا يدرك ولذا قيل شعر ° من راقب الناس مات غما ° وفاز باللذة الجسور ° وقيل
للحسن يا ابا سعيد ان قوما يحضرون مجلسك ليس بغيتهم الا تتبع سقطات كلامك وتعنتك
في السؤال فتبسم فقال للقائل هون على نفسك فاني حدثت نفسي بسكنى الجنان
ومجاورة الرحمن فطمعت وما حدثت نفسي بالسلامة من الناس لاني قد علمت
ان خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم وقال موسى عم يا رب احبس عني
السنة الناس فقال يا موسى هذا لم اصنعه لنفسي فكيف افعله لك واوحى الله
سبحانه الى عزير ان تطب نفسا بان اجعلك علكا في افواه الماضغين لم اكتبك
عندي من المومنين المتواضعين وفي الحديث النبوي اذكر الله حتى يقولوا مجنون
وقد قالوا في حق اعقل الخلق مجنون وساحر مسحور وكذاب شاعر ومغرور و
التجارب اي وفواته فانها تستفاد من الخلطة ولا توجد في العزلة فالقلب المشحون
بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر اخلاق الذميمة يتهيج ويظهر اثارها من
القلوب الغشيمة اذا احرك بادنى الحركة المستقيمة كما يشير اليه خبر نقله و
قولهم حو الحرة نما يجري فيعلق بها اي بالتجارب مصالح الدارين من المناقب و
المراتب لا سيما الرياضة في ترك المناصب عند حصول المصائب فمن هنا كانوا يجربون
انفسهم فمنهم من كان يحمل قربة ماء او نحوه بين الناس على ظهره او حزمة حطب على راسه
ويترددون في الاسواق لتجربة نفسه اذا استشعر كبرا في باطنه كان من غوائل النفس
ومكايدها من يتفطن لها فقد حكي عن واحد انه قال اعدت صلوة ثلثين سنة مع
اني كنت اصليها في الصف الاول ولكني تخلفت يوما بعذر فما وجدت موضعا في
الصف الاول فوقفت في الصف الثاني فوجدت نفسي تستشعر خجلة من نظر الناس
الي وقد سبقت الى الصف الاول فعلمت ان جميع صلوتي كانت مشوبة بالرياء فا
لمخالطة لها فائدة ظاهرة في استخراج القبائح واظهارها ولذا قيل السفر يسفر عن الا
خلاق فانها نوع من المخالطة مع الخلق واذا عرفت هذا فان تحققت الفوائد و
انتفت الافات فاختر العزلة والا فالخلطة وان تقابلا فخذ بالارجح في المسألة

والاصل الاستيفاء من القلب اذ كان مشحونا بذكر الرب والافضل هو الجمع
بين الخلوة كما يشير اليه قول الشافعي الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة
والانبساط اليهم مجلبة لقرناء السوء فكن بين المنقبض والمنبسط
ولذا قيل كن وسطا وامش جانبا ويومي اليه في قوله تعالى هو الذي جعل لكم الارض
ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور وحقيقتها اى العزلة
نية الاحتراز اى الاحتراس عن شر النفس وما فيها من الوسواس والهوى وغيرها
من الجنة والناس فينبغي للمعتزل ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الابرار ثم طلب
السلامة من شر الاشرار والتقصير في رعاية الحقوق ثم الخلاص عن آفة القصور
عن القيام والتجرد للعبادة اى ثم العزيمة بكنه الهمة للعبادة والفراغ للطاعة
وتهذيب الاخلاق بان يكون في خلوته مواظبا على العلم والعمل والذكر والفكر
ودفع الامل وانتظار الاجل والسلوك في طريقه تعالى ومنع الناس عن زيارته
لئلا يكون مشوشا وقته وحالته وعدم السؤال عن اخبار الناس وافعالهم
واراجيفهم في احوالهم والقناعة باليسير في المعيشة والصبر على ما يلقاه من
اذى الجيران وغيرهم وعدم الاصغاء الى ما يقال في حقه من مدح فيه يترك
الخلطة وينبغي ان يكون له اهل صالح او جليس معتمد عليه ليستريح اليه
في اليوم ساعة عن كد المواظبة في الطاعة ثم لا يتم له الصبر في العزلة الا بقطع
الطمع عن الدنيا وعما الناس منهمكون فيما يوافقه او ينافيه ولا ينقطع طمعه الا
بقصر الامل وتقريب الاجل والحضور في نحو الجمعة فانه فرض والجماعة فانه
واجب او فرض كفاية او سنة مؤكدة فانه واجب في العيد وسنة من سنن الهدى
وتشييع اهل الشرع والحج فانه طريق اهل السلوك ومجلس العلم فانه لا
يستغنى عنه الصعلوك ولا الملوك ولا المملوك ويجوز للرائي ترك
الحضور في تلك الامور عند معاينة منكر يخشى منه لو من ترك
حضوره والاحب حينئذ ان يكون موضعا بعيدا من العمارات ليسقطها اى
المذكورات من الجمعة والجماعات ونحوها من المامورات والسكون في رباط اما
لكن اى خانقاه الصالحين يفيد سلامة العزلة عن آفاتها وبركة الجمعة
والجماعات والتعاون على البر والتقوى والتظاهر باهل الشرع والفتوى
فلسان الحال افصح من مقال ورد في التنزيل اتقوا الله وكونوا مع

الصادقين

الصادقين والطريق اى الموصل للعزلة الاستغراق بالعبادة ذكرا
او فكرا وعملا وصبرا وشكرا وصحوا ومحوا وسكرا وفناء وبقاء وقبضا الا
لاستيناس بالناس من الافلاس اى من علامة الافلاس عن مقام الايناس فاذا
رايت نفسك تستطيع الى سماعهم وكلامهم وملاقاتهم في مقاماتهم فاعلم ان ذلك
فضول ساعة الفراغ وفي الحديث نعمتان مغبون فيهما اكثر الناس الصحة والفراغ
ان الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء اى ومتى عانقت العبادة ولازمتها حق
الملازمة ووجدت حلاوة المناجاة مع الحضرة واستانست بكتاب الله وآياته
واخبار رسوله وآثار صفاته استوحشت عن الاغيار وعلامته ليس في الدار غيره
ديار في نظر الابرار وفي بعض الاخبار ان موسى عليه السلام كان اذا رجع من المناجاة يستوحش
من كلام الناس فيجعل اصبعيه في اذنه كيلا يسمع كلامهم ولا يفهم مرامهم فعليك
ثم قال بعضهم اعبد الله صامتا ودع الناس جانبا شاهدا كنت فيه او غائبا تقلب الناس كيف
شئت تجدهم عقاربا واقطع الطمع عن الخلق ايضا بان يعطيك غير ما قسم لك فهون
عليك امر الخلق والنظر اليهم والطمع فيهم فان من لا ترجو نفعه ولا تخاف ضره فوجوده
وعدمه سواء عليك وقبوله ورده مستو لديك وهذا نبذة من توحيد الافعال
حيث قال تعالى حكاية عن حالهم من الاحوال واتخذوا من دونه الهة لا يخلقون شيئا
وهم يخلقون ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا
وذكر الافات اى افات الخلطة وفوائد العزلة وايثار الخمول فانه الراحة وضده
الشهرة ففيها الافة وهي اى صفة الخمول فضيلة عظيمة ومنقبة جسيمة وقد قيل في
تعريفه هو اسقاط النفس عن نظر الخلق فورد رب اشعث اى متفرق الشعر اغبر
مغبر الوجه ذي طمرين اى كساءين اسودين او ازارين خلقين لا يؤبه له لا يعبأ
عند اكثر الخلق لو اقسم على الله في شيء نفيا واثباتا لابره اى لجعله الحق بارا في قسمه
ذلك بان يجعله مطابقا لما اراده هنالك والحديث رواه مسلم من حديث ابي هريرة بلفظ
بلفظ رب اشعث مدفوع بالابواب لو اقسم على الله لابره وللحاكم رب اشعث ذي
طمرين ينبو عنه اعين الناس لو اقسم على الله لابره وقال صحيح الاسناد و
لابن ابي الدنيا ومن طريقه الديلمي من حديث ابن مسعود رب ذي طمرين لا يؤبه
لو اقسم على الله لابره او قال اللهم اني اسألك الجنة ولم يعطه من الدنيا شيئا
وفي الاحياء عن ابي هريرة مرفوعا ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا يؤبه له

له الذين اذا استأذنوا على الامراء لم يؤذن لهم واذا خطبوا النساء لم
ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم يتجلجل في صدره لو قسم نوره يوم
القيمة على الناس لوسعهم وسكت عليه مخرجه وفي رواية ان من امتي من لو اتى
احدكم فسأله دينارا لم يعطه اياه ولو سأله درهما لم يعطه اياه ولو سأل
الله تعالى الجنة لاعطاها اياه الطبراني في الاوسط من حديث ثوبان باسناد صحيح
وذا في الاحياء ولو سأله الدنيا لم يعطه اياه وما منعها اياه لهوانه عليه بل لكرامته
لديه قال مخرجه وروي مرسلا ولو اتسع الجاه بلا طلب وحرص كما للانبياء
والمرسلين والخلفاء الراشدين والائمة المجتهدين من العلماء والصلحاء
المعتمدين لا آفة فيه اي في اتساع الجاه فتنة للضعفاء اي ابتلاء ومحنة لغير
الاقوياء حيث لم يتلذذوا بجمال الفقراء وفي خاطرهم ميل الى مقام الاغنياء و
ذهلوا عما ورد من ان سليمان عم يدخل الجنة بعد سائر الانبياء بخمسمائة
عام وكذا ابن عوف من العشرة المبشرة يدخل الجنة بعد فقراء المهاجرين بخمسمائة
بل في احيا ان عذابا لكافر الفقير اخف من الغني في دار البقاء فورد من حديث انس
عن البيهقي حسب امرئ من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع في
دينه اي بالعلم والعمل اي لمخافة عجبه وغروره ودنياه اي بالمال والجاه اي
خشية كبره وبطره وفسر الحسن دينه بالبدعة ودنياه بالفسق وانما المذموم
حب الجاه اي لا وجوده وشهوده فورد في التنزيل تلك الدار الاخرة نجعلها
للذين لا يريدون علوا في الارض اي لا يجوزن اعتلاءه بالجاه والمال اولا يريد
وان اعتلاء استعلاء بغير الحق والافتخار بجمال الخلق بل يريدون صلاحا
لاهل الحق لكن كما قيل اخر ما يخرج من قلوب الصديقين حب الرياسة ولو كان من
حيث المشيخة وباب السياسة والحاصل ان الله سبحانه علق جعل الدار الاخرة
بنفي ارادة العلو المستلزم لحب الجاه دون نفس الجاه ان المذموم حب الجاه
دون نفس الجاه من غير حب له واصله اي الجاه انتشار الصيت والاشتهار والصيت
فالخمول محمود الا من شهره الله لنشر دينه من غير تكلف طلب الشهرة منه لعوه يقيه
وحقيقته اي الجاه ملك القلوب المطلوب منها تعظيمها وطاعتها الموصل الى المقاصد
اي الدنيوية وقد يكون الدينية والاخروية وقال ابن ادهم ما صدق
الله من احب الشهرة وقال ايوب السختياني ما صدق الله عبد الا سره ان لا يشعر

بمكانه وعن خالد بن معدان انه كان اذا اكثرت حلقته قام مقامة الشهرة وعن
ابي عالية انه كان اذا جلس اليه اكثر من ثلثة قام وقال بشر لا يجد حلاوة الاخرة
رجل يحب ان يعرفه الناس ومعاذ بن جبل ان اليسير من الرياء شرك وان الله يحب
الاتقياء الاخفياء الذين اذا غابوا لم يفتقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم
مصابيح الهدى يخرجون من غبراء مظلمة والطبراني والحاكم وصححه وقال الفضيل
بلغني ان الله عز وجل يقول في بعض ما يمن به على عبده الم انعم عليك الم استرك
الم اخمل ذكرك وكان الخليل بن احمد يقول اللهم اجعلني عندك من ارفع خلقك و
اجعلني في نفسي من اوضع خلقك واجعلني عند الناس من اوسط خلقك وقال الثوري
وجدت قلبي بمكة والمدينة مع قوم غرباء اصحاب خوف وعباء وهو اي الجاه انتهى
اي الذم من المال لتحصيل الجاه ولانه يحصل به المال ولو في المال فتحصيل الغرض من
حظ النفس واتباع الهوى به اي الجاه ايسر اي هو من تحصيله بالمال مع انه اي
الجاه مأمون عن نحو السرقة والغصب بخلاف المال ونام اي منتشر في العالم دون
التعب ببذل المال وبيان الحال ومطاع بالطوع اي بالرغبة في خدمته لارباب
الكمال واصحاب الجمال فحرام اي الجاه ان كان بارتكاب ذنب كالكذب بكونه علويا اي
في النسب او من النسل الملوك والعلماء والمشايخ في الحسب والخداع باظهار انه
عالم او ورع او شريف وهو بخلافه من جاهل او فاسقا ووضيع ومن هنا قيل
فمن ادعى المشيخة فان كان صادقا فهو افضل الخلق وان كان كاذبا فهو شر الخلائق
وقد ورد ما ذئبان ضاريان في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف والمال
في دين الرجل المسلم رواه النسائي والترمذي وقال صحيح من حديث كعب بن
مالك وبيع العبادة اي حرام ان كان بيعها وهي من امور الدين بشيء من
امور الدنيا مالا او جاها فجعلها اي العبادة النافعة في العقبى وسيلة الدنيا
الدنية الفانية جناية وعلى نفسه خيانة والا اي وان لم يكن حب الجاه بارتكاب
ذنب ولا ببيع عبادة فمباح وبضم نية نفع مسلم او دفع ظالم يصير مندوبا
وقد يكون مطلوبا فورد يوسف عم قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم
خاطب لملك مصر فانه طلب منزلة في قلبه بكونه حفيظا عليما وكان محتاجا اليه
وكان صادقا في قوله ونافعا للغير في امره والاولى لغير الاقوياء الاحتراز عنه
اي عن طلب الجاه فانه لا يخرج عن خطر لحظ نفسه وما يهواه ففيه آفات دقيقة وهي

النفاق لان صاحب الجاه لا يستغني عن المداهنة في الاخلاق وهي مخالفة
الظاهر الباطن قولا وفعلا واضطراب القلب اي تزلزله عند ظهور العيوب
لشغله برعاية القلوب وحفظ الجاه اي تمامه بين العباد ودوامه في البلاد
ودفع الحساد اي ضررهم وشرهم المعتاد لا القدر المستثناه من الاحتراز الا قدرا
يسيرا من الجاه يعين على الطاعة ويكون سببا للواجب بقدر الاستطاعة كاستمالة
قلب خادم يتعهد امور اهل المخدوم او رفيق يعاون في السفر او الحضر على
البر والتقوى ومحافظة امور العرض او سلطان يدفع الشر البلوى والسبب
اي سبب حب الجاه ثلثة طول الامل اي بتعيد الاجل وخوف الافة اي توهم
المحنة التي تكون منشأ للمهنة وتوضيحه ان الشفيق بسوء الظن مولع والانسان
وان كان مكيفا في الحال فانه طويل الامال فيخطر بباله ان المال الذي فيه كفايته ربما
يتلف فيحتاج الى غيره واذا خطر ذلك بباله هاج الخوف من قبله فلا يدفع الم
خوفه الا الامن الحاصل لوجود مال اخر يفزع اليه هذا المال جايحة فهو ابدا لشفقته
على وجه الجاه يقدر طول الحياة ويقدر هجوم الحاجات ويقدر امكان تطرق
الافات وهذا خوف لا موقف له عند مقدار مخصوص من المال او الجاه
ومن هنا ورد منهومان لا يشبعان منهوم المال الطبراني وغيره ولو كان لابن
ادم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب
الله على من تاب واستدعاء الطبع اي استعداده الكمال الحقيقي او الوهمي
لتحقق الطبع اي الخلق الربوبي في الانسان من الاستعلاء والتكبر والتجبر
واظهار العظمة والكبرياء اذ معنى الربوبية التوحد بالكمال والتفرد
بالوجود على سبيل الاستقلال وكل انسان بطبعه محب لان يكون منفردا با
بالكمال في الجمال والجلال ولذا قال بعض الصوفية ما من انسان الا وفي باطنه ما
صرح به فرعون من قوله انا ربكم الاعلى ولكنه ليس يجد مجالا وفي الاحياء وهو
كما قال فان العبودية قهر على النفس والربوبية محبوبة بالطبع ولكن لما
عجزت النفس عن درك منتهى الكمال لم تسقط شهوتها للكمال في جميع الاحوال
كالسبعي من القتل والجرح والضرب فالايذاء والشيطاني كالمكر والخديعة
والاغواء والبهيمي من الاكل والشرب والوقاع مع النساء فيحب اي الانسان
بالطبع الربوبي الاستعلاء بالاسترقاق العبيد على وجه الاكثار واستعباد

اجساد الاحرار ان امكن الاسترقاق ولو بالقهر والغلبة متى يتصرف فيهم
بالاستسخار كما في الاجساد الارضية من نحو الكلاء والاغراس والاشجار بالقلع
والابقاء والابداء والافناء وكالدراهم والدنانير والامتعة فيحب ان يكون
قادرا عليها يفعل فيها ما يشاء من الرفع والوضع والعطاء والمنع فان ذلك
قدرة والقدرة كمال والكمال من صفات الربوبية محبوبة بالطبع والجبلة
الخليقة ولذا احب الاموال وان كان يحتاج اليها في ماكله ومشربه وشهوات
نفسه ثم بالاستمالة اي بطلب ميل الخلق اليه ظاهرا او غلبة وباطنا ورغبة
كما في القلوب طوعا او كرها ثم بالاطلاع اي الاشراف كما في السموات وفي نسخة
السماويات اي اخبارها وامورها وعالم الملكوت من العرش والكرسي وحولهما
من الملائكة وانوارها والمراد بالملكوت عالم الباطن بما يخطر من الخطرات
والعزائم في الحركات والسكنات والحاصل ان مطلوب القلب الكمال والكمال
بالعلم والقدرة وتفاوت الدرجات فيه غير محصور فسرور كل انسان ولذته
بقدر ما يدركه من الكمال فهذا هو السبب في كون العلم والمال والجاه من
المحبوبات وهو امر وراء كونه لاجل التوصل به الى قضاء الشهوات فان هذه
العلة قد تبقى مع سقوط الشهوات والمهمات بل يحب الانسان من العلوم ما
لا يصلح للتوصل به قضاء الاغراض بل ربما يفوت عليه جملة من الاغراض
والاعواض ولكن الطبع يتقاضى العلم في جميع العجايب والمشكلات لان في
العلم استيلاء على المعلومات وهو نوع من الكمال الذي هو من الصفات
الربوبية فكان محبوبا بالطبع ولو كان صاحبه في مقام العبودية والعلاج
اي علاج دفع حب الجاه خمسة اشياء العلم بانه اي الجاه الدنيوي كما في
هو ليس في الواقع كمال حقيقي وانه بالموت انتهاء ولحدوثه ابتداء ولان
القدرة الحقيقية لله تعالى ازلا وابدا وفيه اي في الجاه الوهمي الصوري
التشبه بالسباع والشياطين والبهايم كما تقدم اما الحقيقي فمعرفته تعالى
ومحبته وما يعين عليه اي على كماله من العلم والعمل كما حكم به شريعته وانما يكون
هذا كمالا حقيقيا لبقائه بعد الموت فالكمال الحقيقي ما ينتقل مع صاحبه
ولا ينفك عن جانبه وفيه اي وفي هذا الكمال التشبه بالانبياء والملائكة
الموصوفين بكمال المعرفة والمحبة الدائمة بالباقية فانظر كيف انقلب الجاهل

وانكبوا على وجوههم انكباب العميان وهم غافلون واقبلوا على طلب الكمال
بالجاه والمال وهو الكمال الذي لا يسلم من الزوال وان سلم في الحال فلا
ابقاء له في المال واعرضوا عن كمال الحرية والمعرفة المسمى علماء الدنيا واذا
حصل كان ابديا لا انقطاع له لكونه سرمديا فهؤلاء هم الذين اشتروا الحيوة
الدنيا بالآخرة لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون وهم الذين لم يفهموا قوله
تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا و
خير املا فالعلم والقربة هي الباقيات الصالحات التي تبقى كمالا في النفس واما
المال والجاه فيفنى في الحال والمال مثله الله تعالى بقوله انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه
من السماء فاختلط نبات الارض الآية وآفات الدنيا اي والعلم بها وخساستها
اي ودناءة نفسها من كثرة عنائها وخسة شركائها وسرعة فنائها فلله در
القائل شعر ٭ اشد الغم عندي في سرور ٭ تيقن صاحبه انتقالا ٭ والآخر من اهل الفضائل
اضغاث احلام وظل زائل ٭ ان اللبيب بمثلها لا يخدع ٭ وما ورد اي والعلم بما جاء
من السنة في ذم الجاه ومدح الخمول على ما تقدم واحوال السلف في ايثار العفة
على مناصب الدنيا ومعاونة بعضهم لبعض في البر والتقوى فقد كتب الحسن البصري
الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فكانك باخر من كتب عليه الموت قد مات فانظر كيف مد
نظره نحو المستقبل وقدره كائنا وكتب عمر بن عبد العزيز في جوابه فكانك بالدنيا لم
تكن وكانك بالآخرة لم تزل فهؤلاء كان التفاتهم الى العاقبة فكان عملهم لها با
التقوى اذ علموا ان العاقبة للمتقين واستحقر الجاه والمال في الدنيا وبهما اكثر
ضعيفة مقصورة على العاجلة لا يمتد نورها الى مشاهدة العواقب الآجلة كما
قال تعالى بل تؤثرون الحيوة الدنيا والآخرة خير وابقى وقال تعالى كلا بل تحبون
العاجلة وتذرون الآخرة ومباشرة امر بالرفع عطفا على العلم اي والعلاج
العملي وهو مباشرة فعل يسقطه اي الجاه وقدره عن قلوب الخلق واعينهم و
يفارق لذته ويأنس بالخمول ويقنع بنظر الخالق وقبوله وهذا طريق الملامية
الطالبين للحالة السلامية كشرب الماء الحلال في قدح يشبه الخمر لونا اي يشبه
لونه لون الخمر ليظن به انه يشرب الخمر فيسقط من الاعين وهذا في جوازه نظر
من حيث الفقه الا ان ارباب الاحوال ربما يعالجون انفسهم بما لا يفتي به الفقيه مهما رأوا
صلاحا واصلاح قلوبهم فيه ثم يتداركون ما فرط منهم فيه من صورة التقصير

كما فعل بعضهم

كما فعل بعضهم فانه لما عرف بالزهد واقبل الناس عليه فدخل حماما ولبس ثوب
غيره وخرج ووقف في الطريق حتى عرفوه واخذوه وضربوه واستردوا منه
الثياب وسموه لص الحمام الا ان يكون متبوعا اي من المقتدين حيث لا يجوز ان
يفعل ما لا يكون الظاهرة مشروعا فانه يوهن الدين في قلوب المسلمين واما
الذين لا يقتدى به فلا ينبغي ايضا ان يقدم محظورا لاجل ذلك فيباشر ما يرى
مباحا مما يسقط قدره عند الناس كاظهار الشره بفتحتين اي الحرص في
الطعام كما روي ان بعض الملوك قصد بعض الزهاد فلما علم بقربه منه
استدعى طعاما وبقلا واخذ ياكل بشره ويعظم اللقم فلما نظر اليه الملك
سقط من عينه وانصرف فقال الزاهد الحمد لله الذي صرفك عني وهذا با
بالنسبة الى المتقدمين واما في زماننا فعمل في الكتاب والسنة في امره لم يتعلق
في دهره مدة عمره والاقوى اي في المعالجة القناعة بلزوم الطاعة وعدم الطمع
من اهل الاستطاعة والاكتفاء بما لا بد منه للاحياء كلقمة يسد جوعته و
خرقة يستر عورته وبيت يدفع عنه حره والاغتراب وطلب الغربة والهجرة
الى موضع الخمول وعدم الشهرة اما الاعتزال في الوطن فلا يخرج عنه اي
عن نوع من الجاه لمعرفة الناس به فالمعتزل في بلدة التي هو فيها مشهور لا يخلو
في بيته عن حب المنزلة التي ترسخ له في القلوب بسبب عزلته فربما يظن انه
ليس محبا لذلك الجاه وهو مغرور به وانما سكنت نفسه لانها قد ظفرت
بمقصودها ولو تغير الناس عليه عما اعتقدوا فيه وذموه جزعت نفسه
وتألمت ثم لا يمكنه ان لا يحب المنزلة في قلوب الناس ما دام يطمع فيهم فاذا
احرز قوته من كسبه او من جهة اخرى وقطع الطمع عنهم اصلا صح كلهم عنده
كالارذل فلا يبالي اكان له منزلة في قلوبهم الذين هم منه في اقصى المشرق
او المغرب لانه لا يراهم ولا يطمع فيهم ثم لا ينقطع الطمع عنهم الا بالقناعة فمن
قنع شبع واستغنى عن غيره ومن هنا ورد لا يكمل ايمان احدكم حتى يكون الخلق عنده
كاباعر ثم الاولى في باب العلاج كراهية المدح وحب الذم فان المعالجة
الفساد انما يكون بالاضداد فورد ويل للصائم وويل للقائم وويل لصاحب
الصوف الا من تهذبت نفسه عن الدنيا وابغض المدحة واستحب المذمة
كذا في الاحياء وقال مخرجه لم اجده هكذا وذكر صاحب الفردوس من حديث انس

ويل لمن لبس الصوف فخالف فعله قوله ولم يخرجه وكذا في مسنده اى تسوية المدح
المدح والذم بان لا تغمه المذمة ولا تسره المدحة قال بعض السلف اذا قيل نعم الرجل
انت فكان احب اليك ان يقال بئس الرجل انت فانت والله بئس الرجل وهذا قد
يظن بعض العبادة بنفسه ويكون مغرورا به اذ لم يمتحن نفسه في حال ويعرف
اى استواء المدح والذم بتسوية المادح والذام في اشتغال قلوبهما عنده و
الفرح بسرورهما والغم بمصيبتهما وحزنهما ونحوه من المنع والعطاء في فعلهما و
والسعي في قضاء حاجتهما وما بعد ذلك عن قلوب اكثر العبادة من العلماء والعباد
والزهاد فان وجد فهو الكبريت الاحمر يتحدث به ولا يرى ومنهم من اذا سمع المدح
لم يبشر به ولم يغتم ولكن يؤثر فيه فهذا على خير كثير واذ كان قد بقي عليه من الاخلاص
الذي هو سبب للخلاص من المناص ثم عكس الاولى الذي ذكر في المرتبة الاولى
وهي ان يحب المدح ويكره الذم في الضمير دون اظهار قول وفعل في وجههما نحو
وشتم او ثناء وعطاء ثم اظهارهما اى اظهارهما القول والفعل في مقابلة المدح
والذم فيقابل الذم بالشتم والضرب فالمادح بالثناء والعطاء وهو حال
اكثر الخلق وحب المدح لحب الجاه حرمة ان كان بارتكاب ذنب اباحه اذ كان
بامر مباح ونفعا ان كان لدفع شره وضره ان كان بجلب نفع محرم كما سبق مفصلا
والسبب لحب المدح ثلثة الشعور بكمال النفس اى استشعار الكمال بسبب
قول المادح فطريقك فيه ان ترجع الى عقلك الراجح وتقول لنفسك هذه الصفة
التي يمدحك بها انت قد صفتها ام لا فان كنت متصفا بها فهي اما ان تكون صفة
يستحق بها المدح كالعلم والورع فينبغي ان لا يفرح بها لان الخاتمة غير معلومة
واما صفة لا يستحق كالمال والجاه فالفرح بها كالفرح بنبات الارض هامد
والرياح ولا ينبغي ان يفرح الانسان بعروض الدنيا وان فرح فلا ينبغي ان يفرح
بمدح المادح بها بل بوجودها فالمدح ليس هو سبب وجودها وشهودها فلا
يجب ان يفرح بل سبب وجودها هو الله سبحانه فهو مستحق الحمد والثناء تبارك
وتعالى ومنه قوله عز وجل قل بفضل الله وبرحمته وبذلك فليفرحوا هو خير مما
يجمعون وان الصفة التي مدحت بها وفرحت بسببها انت خال عنها ففرحك بمدح
غاية الجنون عند اهل العقول اذا مثال ذلك مثال من يهزء به انسان ويقول
سبحان الله ما اكثر العطر الذي في احشائك وما اطيب لسانك لدى اعضائك

وانت تعرف نفسك بكثرة الاقذار والنتن في اثوابك واجوائك والابتلاء
على المادح فان المدح يدل على تسخير قلب المادح واستمالة قلوب السامعين
فهذا يرجع الى حب الجاه وعلاجه بقطع الطمع وطلب المنزلة عند الله فتقوى
اى حب المدح اذا حصل من المعتبر اكثر او اظهر علما وعملا من غيره والمرتفع قدرا
في الجاه والمال وفي نسخة اى من اهل التصدر في المجالس والمحافل وان لم يكن من
ذوي الفضائل وفي الملاء اقوى من الخلوة وفيه خطر الممدوح ولذا
قال عم للمادح ويحك قطعت ظهره لو سمعك ما افلح الى يوم القيمة والعلاج
اى علاج حب المدح سيان علاج الجاه اى محبته وتقدم حكمه وعلمه اى
اى الممدوح ان الصفة الممدوح بها ان فقدت ان يكون كذبا فاستهزاء وهذا
كثير في قصائد الشعراء الاغنياء والامراء وقد ورد اذا رايتم المداحين
فاحثوا في وجوههم التراب وهو كناية عن الخيبة او ايماء الى دفع شرهم بباب
من الابواب وسبب من الاسباب من اعطاء الدراهم والدنانير والثياب فقد
ورد ما وقى به العرض فهو صدقة وان وجدت اى تلك الصفة بان يكون
صادقا في قوله فالدنيوية من المال والجاه كمال وهم والدينية من العلم والعمل
موقوفة على الخاتمة اى حسنها وهي غير معلومة فانما الاعمال بالخواتيم
كما ورد والاولى في علاج حب الجاه اظهار البغض للمادح قطعا للفتنة
ومن هنا كان الصحابة على وجل عظيم من المدح وفتنته وما يدخل على القلب
من السرور بمدحته وما يتزعزع عليهم من محبته حتى ان بعض الخلفاء الراشدين
سال رجلا عن شيء فقال يا امير المؤمنين انت خير مني واعلم فغضب وقال
اني لم امرك ان تزكيني وقيل لبعض الصحابة لن يزال الناس بخير ما ابقاك الله
فيهم فغضب وقال اني لاحسبك عراقيا وقال بعضهم لما مدح اللهم ان عبدك
تقرب الي بمقتك فاشهدك على مقته وانما كره المدح خيفة ان يفرحوا
بمدح الخلق وهم ممقوتون عند الخالق فكان اشتغال قلوبهم باحوالهم عند الله
يبغض اليهم مدح الخلائق لان الممدوح على الحقيقة هو المقرب عند الله
تعالى والمذموم على الحقيقة هو المبعد عن الله الملقى في النار مع الاشرار في
دار البوار فهذا الممدوح ان كان عند الله من اهل النار فما اعظم جهله اذا
فرح بمدح غيره وان من اهل الجنة فلا ينبغي ان يفرح الا بفضل الله ورحمته

وليس امره بيد الخلق ومهما علم ان الآجال والارزاق بيد الله قل التفاته
الى مدح الخلق وذمه من سواه وسقط من قلبه حب مدحه واشتغل بما
يهمه من امر دينه وحب دينه وسبب كراهة الذم النقايض المذكورة اي
الاسباب المسطورة في حب المدح من الشعور بكمال النفس واستيلاء المادح
واستمالة قلوب السامعين والعلاج لكراهة الذم علم ان الصفة المذمومة
بها ان وجدت فيك سواء قصد القائل به النصيحة او التعنت والفضيحة
فتبصيرا لعيوب وهو الهدية لاهل القلوب وفيه الفرح بالاطلاع على الصفة
الذميمة والتشغل بالازالة اي بازالة الصفة المذمومة عن نفسك ان
قدرت عليها وليس للكراهة مجال لديها فمن عرض من اهدى لي بعيوب
نفسي وان فقدت تلك الصفة بان يكون القائل كاذبا فالذمة فكفارة
الذنوب لبقية مساويك فكانه رحمك بعيب انت بريء منه وطهرك
عن عيب انت متلوث به وفيه الشكر له تعالى اذ لم يطلعه على عيوبك فرفعه
عنك بذكر ما انت بريء منه وما ستر الله من عيوبك اكثر فندب الترحم
عليه لا الالزام حيث اهلك نفسه بذمك فالمسكين جنى على دينه وفي سقط من عين ربه
اهلك نفسه افترائه وتعرض لعقاب الاليم يوم جزائه فلا ينبغي ان تغضب
عليه مع غضب الله لديه ويقول اللهم اهلكه ونحوه فيشمت الشيطان بك
وبه بل ينبغي لك ان تقول رغما للشيطان وحزبه اللهم اصلحه اللهم تب عليه
اللهم ارحمه اللهم اهده وورد في دلائل النبوة للبيهقي اللهم اهد قومي فانهم
لا يعلمون دعا اي النبي عم بقوم من كفار قريش كسروا سنه عليه السلام اي
رباعيته وشجوا راسه وذلك باحد ودعا ابراهيم بن ادهم لمن شج راسه
بالمغفرة فقيل له في ذلك فقال اعلم اني ماجور بسببه فلا ارضى ان يكون
هو معاقبا بسببي ومما يهون عليك كراهة المذمة قطع الطمع ممن استغنيت
عنه مهما ذمك لم يعظم اثر ذلك في قلبك واصل الدين القناعة بما اعطاه
الله من الحال وبها ينطق الطمع عن الجاه والمال واما ما دام الطمع قائما فما
حب المدح الجاه يغلب في قلب من طمعت فيه ثم **الباب الثاني عشر في التواضع**
وذكر المنة اي في مدحهما وذم ضدها وهو الكبر والعجب بسم الله الرحمن الرحيم الذي
يتواضع له الرجل الكريم وورد في الحلية لابي نعيم عن ابي هريرة من تواضع لله

رفعه الله

رفعه الله ومهما ومن تكبر على الله وضعه وللبيهقي في الشعب عن ابن عباس
اذا تواضع العبد رفعه الى السماء السابعة وللاصفهاني في الترغيب والتر
هيب من حديث انس ان التواضع لا يزيد العبد الا رفعة ولمسلم في اثناء حديث
لابي هريرة وما تواضع احد لله الا رفعه الله ولاحمد والبيهقي في الشعب باسناد
صحيح من حديث عبد الله بن عمرو من كان في قلبه مثقال حبة من كبر اكبه الله في
وجهه وللترمذي وحسنه من حديث سلمة ابن الاكوع لا يزال العبد يذهب
بنفسه حتى يكتب في الجبارين فيصيبه ما اصابهم وللترمذي من حديث اسماء
بنت عميس بئس العبد تجبر واعتدى ونسي الجبار الاعلى بئس العبد عبد تجبر و
اختال ونسي الكبير المتعال بئس العبد عبد سها ولها ونسي المقابر والبلى بئس
العبد عبد عتا وبغى ونسي المبدأ والمنتهى ورواه الحاكم في مستدركه وصححه
الشرف التواضع فلابن ابي الدنيا الكرم التقوى والشرف التواضع واليقين الغنى
وعن عروة بن الورد التواضع احد مصائد الشرف وكل نعمة محسود عليها
صاحبها الا التواضع وقال الفضيل التواضع ان تخضع للحق وتنقاد له ولو
سمعته من صبي قبلته منه ولو سمعته من اجهل الناس قبلته وعن ابن المبارك
التواضع ان تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتى تعلمه انه ليس لك
بدنياك فضل وان ترفع نفسك على من هو فوقك في الدنيا حتى تعلمه انه
ليس له بدنياه عليك فضل وقال قتادة من اعطي مالا او جمالا او ثيابا
او علما ثم لم يتواضع فيه كان عليه يوم القيمة وبالا وضده التكبر واظهاره
كما ان التواضع اتباع الفقه واظهار المسكنة بان يرى نفسه دون
غيره في صفة الكمال فمن تكبر على امثاله فهو متكبر في حاله ومن تاخر عنهم فهو
متواضع في مقام كماله وهو اي الكبر ان يرى نفسه فوق غيره في صفة الكمال
فيحصل به نفخة اي انتفاخ الكبر في نفسه وعن ابن عباس في قوله تعالى ان في
صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه عظمة لم يبلغوها وفي صحيح مسلم عن ابن مسعود
لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة حبة من خردل من كبر وعن
ثابت بلغنا انه قيل يا رسول الله ما اعظم كبر فلان فقال اليس بعده الموت
البيهقي في الشعب هكذا اي مرسلا وروي انه خرج يونس وايوب والحسن
يتذاكرون التواضع فقال لهم الحسن التواضع ان تخرج من منزلك فلا ترى

مسلما الا رايت له عليك فضلا وقال الجنيد التواضع عند اهل التوحيد
تكبر وفي الاحياء لعل مراده ان المتواضع يثبت نفسه ثم يضعها والموحد
لا يثبت نفسه ولا يراها شيئا حتى يضعها او يرفعها وورد اعوذ بك
من نفخة الكبر روى ابو داود وابن ماجه من حديث جبير بن مطعم مرفوعا
اعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفثه وهمزه من نفخه الكبر ونفثه الشعر
او السحر وهمزه الوسوسة من الشر واشارة اي علامات ثلاثة عشر
التوضع في المجلس على الاقران اي من غير استحقاق له به والتقدم في الطرق
على الاخوان مع استحقاقهم به قال ابو الدرداء رض لا يزال العبد يزداد
من الله بعدا ما مشي خلفه وكان عبد الرحمن بن عوف لا يعرف من عبيده اذا
كان لا يتميز عنهم في صورة ظاهرة ومشى قوم خلف الحسن البصري فمنعهم و
قال ما يبقى هذا من قلب العبد وكان ع م في بعض الاوقات يمشي مع الاصحاب
فيامرهم بالتقدم ويمشي في الغمار اما لتعليم غيره واما لنفي وسواس الشيطان
بالكبر والعجب كما نزع الثوب الجديد في الصلوة ولبس الخليع لاحد هذين
المعنيين كذا في الاحياء والمعروف نزع الخميصة ولبس الانبجانية كما تقدم
والله اعلم وللديلمي في المسند الفردوس من حديث ابي امامة بسند ضعيف جدا
انه خرج يمشي الى البقيع فتبعه اصحابه فوقف وامرهم ان يتقدموا ومشى
خلفهم فسئل عن ذلك فقال اني سمعت خفق نعالكم فاشفقت ان يقع في نفسي
شيء من الكبر والنظر الى الغير بالماق اي بطرف العين تكبرا وتجبرا قال تعالى يعلم
خائنة الاعين وما تخفي الصدور وعدم الاستحيا وبان يستنكف عن جلوس
غيره بالقرب منه الا ان يجلس بين يديه فعن ابن وهب جلست الى عبد العزيز بن
ابي رواد فمست فخذي فخذه فنحيت نفسي عنه فاخذ بثوبي فجرني الى نفسه وقال
لم تفعلون بالجبابرة اني لا اعرف منكم رجلا شرا مني وقال انس كانت الوليدة
من ولائد المدينة تاخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ينزع يده
من يدها حتى تذهب به حيث شاءت وقد تقدم تخريجه ومن ذلك ان يتوقى مجالسة
المرضى والمعلولين وعنهم يتحاشى فكان ابن عمر لا يجلس عن طعامه مجذوما
ولا ابرص ولا مبتلى الا اقعدهم على مائدته وقد ثبت اكله ع م مع مجذوم وقال
له كل بسم الله ثقة بالله رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث جابر

وتفويج

وتفويج العنق تحريك الاطراف واطراف الراس فروي ان عمر بن عبد العزيز
حج قبل ان يستخلف فنظر اليه طاوس وهو يختال في مشيته فغمز جنبه باصبعه
ثم قال ليست هذه مشية من في بطنه خراء فقال عمر كالمعتذر يا عم لقد ضرب كل عضو
مني على هذه المشية حتى تعلمتها وعن الحسن ان في كل عضو من الاعضاء لله نعمة
وللشيطان به لعنة ورأى محمد بن واسع ولده يمشي يختال فدعاه فقال انت ويحك امك
ما امك فاشتريتها بمائتي درهم واما ابوك فلا اكثر الله في المسلمين مثله ولاحمد
والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر من تعظم في نفسه و
اختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان ولعله مقتبس من قوله تعالى ان الله
لا يحب من كان مختالا فخورا ومن قوله ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض
ولن تبلغ الجبال طولا وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة لا ينظر الله الى من جر ازاره
بطرا وفي لفظ مسلم خيلاء والاتكاء اي الميل الى احد جوانبه بحضور اقاربه
واجانبه من غير ضرورة وعارضة في بابه وكذا حكم التربع المشير الى الترفع وقيام
الناس بين يديه نجاه في الحيا او لا ثوان من قعد والناس بين يديه اي واقفون بامره
فهو من اهل النار رواه الترمذي عن معاوية وفي الشمائل للترمذي عن انس لم يكن
شخص احب اليهم من رسول الله صلى الله عليه وكانوا اذا راوه لم يقوموا له لما يعلمون
من كراهيته لذلك وقال الفضيل من احب الرياسة لم يفلح ابدا وقال الشبلي من راى
انه خير من اخيه واحتقر اخاه وازدراه ونظر اليه بعين الاستصغار ورد الحق
وهو يعرفه فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق ومن انف من ان يخضع لله ويتواضع له
بطاعته واتباع رسله فقد تكبر فيما بينه وبين الخلق والمشي اي الخروج راكبا مع
المشاة بين يديه وترك الخروج من منزله ولو الى المسجد للجمعة والجماعات الا بشخص
او اشخاص عقيبه وكان عليه السلام يمشي بين الجمع غير متقدم كما تقدم وعمل البيت اي
وتركه وهو خلاف التواضع ومخالف لفعله ع م ففي مسند احمد عن عائشة رضي الله عنها
كان يخيط ثوبه ويخصف نعله ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم وللبيهقي في الشعب
من حديث ابي هريرة من اعتقل البعير ولبس الصوف فقد برئ من الكبر وبالجملة فجملة
حسن الاخلاق يوجد من سيرته ع م واتباعه من اصحابه الكرام ولما عوتب عمر في بذاذة
هيئته عند دخول الشام قال انا قوم اعزنا الله بالاسلام فلا نطلب العز من غيره و
حمل السلعة اي وتركه فورد من حملها اي السلعة وفي رواية بضاعته فقد برئ

من الكبر والبيهقي عن ابي امامة ولابي يعلى الموصلي عن ابي هريرة انه عم حمل سروالا
اشتراه لنفسه وابى ان يحمله غيره وقال صاحب المتاع احق بحمله وعن علي كرم الله
وجهه شعر لا ينقص الكامل ما جر من شيء الى عياله وكان عبيدة بن الجراح وهو
امير يحمل سطلا له من خشب الى الحمام وقال ثابت بن مالك رايت ابا هريرة اقبل من
السوق يحمل حزمة من حطب وهو يومئذ خليفة لمروان فقال اوسع الطريق
للامير يا ابن مالك وعن الاصبغ بن ابي نباتة قال كاني انظر الى عمر معلقا لحما في يده
اليسرى وفي يده اليمنى الدرة يدور في الاسواق حتى دخل رحله وقال بعضهم رايت
عليا يشتري لحما بدرهم فحمله في ملحفته فقلت له احمل عنك يا امير المؤمنين فقال
لا ابو العيال احق ان يحمل ويروى ان عبد الله بن سلام حمل حزمة حطب فقيل له يا ابا
يوسف قد كان في غلمانك وبنيك ما يكفونك فقال اجل ولكني اردت ان اجرب
نفسي هل تنكر ذلك مني فلم تقنع منها بما اعطيه من العزيمة على ترك الانفة
حتى تجربها اهي صادقة ام كاذبة وروي ان عمر بن الخطاب حمل قربة على عنقه
فقال له اصحابه يا امير المؤمنين ما حملك على هذا فقال ان نفسي اعجبتني فاردت
ان اذلها وروي ان ابا موسى قيل له ان اقواما يتخلفون عن الجمعة بسبب ثيابهم
فلبس عباءة وصلى فيها بالناس واحتمال الاذى وتركه فهو اي احتمال الاذى
من النسب وغيره هو الاصل الذي عليه مدار حسن الخلق والتواضع للحق اما
المروي عن السلف والخلف خلوفا كله الحشيش والعلف وقد قدمنا ما نقل عنهم
في ذم الغضب وما يتعلق به من الاذى ولباس الدون اي وترك اللباس الحسن
او الخلق او المرقع فورد من ترك زينة الله ووضع ثيابا حسنة اي رفيعها
مع القدرة عليها تواضعا لله وابتغاء وجهه اي لا رياء والسمعة فحقه
كان على الله اي واجبا بمقتضى وعده ان يدخله عبقري الجنة اي ديباجها
من سندسها واستبرقها ابو سعيد الماليني في مسند الصوفية وابو نعيم في
الحلية من حديث ابن عباس من ترك زينة الدنيا لله الحديث وقد ورد البذاذة
من الايمان ابو داود ابن ماجه من حديث ابي امامة بن ثعلبة وقال هرون
سالت عن معنى البذاذة فقيل هو الدون من اللباس وقال زيد بن وهب رايت
عمر بن الخطاب خرج الى السوق وبيده الدرة وعليه ازار فيه اربعة عشر رقعة
بعضها من ادم اي جلد وعوتب علي في ازار له مرقوع فقال يقتدي بي المؤمن

ويخشع

ويخشع له القلب وقاعيبه عم جوده اللباس خيلاء القلب وقال طاوس
اني لاغسل ثوبي هذين فانكر قلبي ما داما نقيين وقيل لسليمان لا تلبس ثوبا جديدا
فقال انما انا عبد فاذا اعتقت يوما لبست اشارته الى العتق في الاخرة وما عند الله
لعبيده من الثياب الفاخرة ونزع عليه السلام الجديد اي من الشراك والخميصة ولبس
العتيق منهما للتعليم اي لتعليم غيره والبعد عن الوسوسة في نفسه على ما تقدم الاطافة
اي لتصدقها فانه ح لا باس بترك الدون من اللباس والبس الثوب الفاخر كسائر
الناس فورد لنفي الكبر حسن الثياب لمعرفة حال السائل اي لمعرفته عم لحال السائل
ومقامه من المرام ففي الطبراني من حديث ثابت بن قيس بن شماس سال النبي عم
وقال اني امرؤ وقد حبب لي من الجمال ما ترى فهل من الكبر فقال لا ولكن من سفه
الحق اي جهل وانكره وغمص الناس اي حقرهم رواه احمد من حديث عقبة بن
عامر وفي رواية مسلم عن ابن مسعود الكبر من بطر الحق وغمط الناس وفي رواية
الترمذي من بطر الحق وغمص الناس وقال حسن صحيح وفي رواية ابن بكار عن
ابن مسعود قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عم فقال انه ليعجبني ان يكون ثوبي
غسيلا وراسي دهينا وشراك نعلي جديدا وذكر اشياء حتى ذكر علاقة سوطه
افمن الكبر هذا فقال عم لا هذا من الجمال والله يحب الجمال لكن الكبر من سفه الحق
وظلم ويعرف اي حال من يلبس للنظافة اذ لكونه مظهر الغنى شكر النعمة او كونه فقيرا
يرى نفسه غنيا للعفة بتسوية الخلاء والملاء عنده في لباسه للنظافة ونحوها
ثم المحبوب الوسط المطلوب فللنساء وابن ماجة من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه
عن جده كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير اسراف ولا مخيلة والغضب بالرفع
عطف على الترفع ومن الارباب الكبر المغضب على من الابتداء بالسلام او لا بالرد
بالقيام ونحوه من انواع الاكرام والاهتمام بالرفع اي والاعتنام باصابة الخصم المناظر
اي المجادل في منقوله والانكار عليه اي بانكار الخصم عليه في معقوله وتوضيحه
ان بيانه في مسالة مع واحد من اقرانه فان ظهر بشيء من الحق على لسان صاحبه ليثقل
عليه قبوله والانقياد له والاعتراف به والشكر على تنبيهه وتعريفه واخراجه
الحق فذلك يدل على ان فيه كبرا فليتق الله وليشتغل بعلاجه اما من حيث
العلم فبان يذكر لنفسه خسته وخطر عاقبته وان الكبر لا يليق الا بالله تعالى واما
بالعمل فبان يكلف نفسه ما ثقل عليه من الاعتراف بالحق فيطلق لسانه بالحمد والثناء

والثناء ويقر على نفسه بالعجز في الاداء ويشكره على الاستفادة ويقول ما
احسن ما فطنت له من الافادة وقد كنت غافلا عنه جزاك الله عني خيرا على
تنبيهك له فالحكمة ضالة المؤمن فاذا وجدها ينبغي ان يشكر من دل عليها و
افاده اي الكبر شبه منازعته تعالى مشاركته سبحانه في بعض صفاته فورد في
صحيح مسلم وغيره الكبرياء ردائي بمنزلته في اظهار ملكي وجبروتي والعظمة ازاري
اي بمنزلته في اسرار ملكوتي والمعنى انهما صفتان مختصتان بي كما ان رداء الانسان
وازاره مختصان به ولا يشاركه احد في لبسه فمن نازعني فيهما اي واحدا
منهما كما في رواية قصمته تعالى اي له في الدنيا والاخرى فورد في التنزيل انه لا
يحب المستكبرين ومفهومه انه يحب المتواضعين وعمى القلب بمعرفة الرب فورد
في التنزيل ساصرف عن اياتي اي المنصوبة في الافاق والانفس في مصنوعاتي وقيل
في التفسير سادفع فهم القران عن قلوبهم الذين يتكبرون تمامه في الارض بغير الحق
وان يروا كل اية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان
يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وفي بعض التفاسير ساحجب قلوبهم عن مشاهدة
ملكي وملكوتي وعجايب قدرتي وغرايب جبروتي وقال ابن جريج ساصرفهم
عن ان يتفكروا فيها ويعتبروا بها ولذا قال عيسى عم ان الزرع ينبت في السهل
لا في الوعر وكذلك الحكمة تعمر قلب المتواضع دون المتكبر الا ترى انه من شمخ
براسه الى السقف شجه ومن تطاطا اظله واكنه ويطبع الله على كل قلب متكبر
بالاضافة ودونها جبار ومبالغ في الفساد من قهر العباد وكسر البلاد والذل
اي المذلة في العاقبة والمهانة في الاخرة فللترمذي وحسنه من رواية عمرو بن
شعيب عن ابيه عن جده ويحشر المتكبرون يوم القيمة في الذرة يطؤهم بهوانهم على الله
وعن حاتم اجتنب الموت على ثلثة الكبر والحرص والخيلاء فان المتكبر لا يخرجه الله
تعالى من الدنيا حتى يريه الهوان من ارذل اهله وخدمه والحريص لا يخرج الى كسرة
او شربة ولا يجد مساغا والمختال لا يخرجه تعالى حتى يمرغه ببوله وقذره والبغض
اي التحريض والحث على الذمايم من صفات البهايم كتغير الخلق من ترسم الحق
كالبشاشة الى العبوسة والجحود عن الحق اي بانكاره وعدم اقراره وقد سبق
في الحديث تفسير الكبر المذموم ومنه التعبد عن اهل الحق فقد قالت قريش لرسول الله
عم كيف نجلس اليك وعندك هؤلاء الفقراء فنزل قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون

ربهم رواه مسلم وابن ماجه والعجب ومنعه عن الفضائل وعجزه عن حسن
الشمائل كالتواضع للحق والحلم عن الخلق والنصيحة للعامة من غيره الفضيحة والامر
بالمعروف وكذا النهي عن المنكر ولا يستلزمه اي الامر بالمعروف والتكبر في العبادات
بالرغيب يقرب ولد المولى عند الاساءة ويتواضع له بعد ذلك بعد تلك الحالة ثم
التجسس اي الخسة المسمى بالضعة وهو الافراط في التواضع كتاخر العلم عن
الحضاف ونحوه من الذنا والعلاف في المجلس والطريق مذموم ايضا كعكسه
وللبغوي وابن قانع والطبراني والبزار ذيله من حديث انس طوبى لمن تواضع في غير
مسكنة وانفق مالا جمعه في غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل
الفقه والحكمة ومن ذلك حديث من تواضع لغني لغناه ذهب ثلثا دينه
البيهقي في الشعب عن ابن مسعود من قوله من خضع لغني ووضع له نفسه
اعطاء لماله وطمعا فيما قبله ذهب ثلث دينه وذلك لان اركان العبادة
قلب ولسان واركان وفي تعظيم الغنى لابد من استعمال اللسان وفي الجوارح
وله عن انس بلفظ من اصبح حزينا على الدنيا اصبح ساخطا على ربه ومن اصبح
يشكو مصيبة فانما يشكو ربه ومن دخل على غني فتضعضع له ذهب ثلث دينه
واخرج الديلمي من حديث ابي ذر لعن الله فقيرا تواضع لغني من اجل ماله من فعل
ذلك منهم فقد ذهب ثلث دينه وكذا ابو داود ولم يصب ابن الجوزي في
ذكره في الموضوعات كما قاله السيوطي ومن التجسس بل اخسه ان يمشي العالم خلف
الظالم ولذا قيل بئس الفقير على باب الامير ونعم الامير على باب الفقير وعن يحيى بن معاذ
التكبر على ذي التكبر عليك بماله تواضع ويقال التواضع في الخلق كلهم حسن وفي
الاغنياء احسن والتكبر في الخلق كلهم قبيح وفي الفقراء اقبح وكان بشر الحافي يقول
سلموا على ابن الدنيا بترك السلام فالتواضع معه بعدم الاستخفاف فعن الصديق
لا يحقرن احدكم احدا من المسلمين فان صغير المسلمين عند الله كبير ولمسلم من حديث
ابي هريرة بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم واظهار البشر وفق مرامه والوقي
بحسب مقامه واجابة الدعوة فكان عم يجيب دعوة المملوك ونحوه والسعي في
الحاجة لقوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وحديث من كان في عون اخيه
المؤمن كان الله في عونه فالعدل ان يعطي كل ذي حق حقه فقد ورد اذا اتاكم
كريم قوم فاكرموه لكن التكبر يخش من التجسس اذ ورد عن بعض المشايخ ما تقادة

وكانه كان في مقام المعالجة والسبب اي سبب الكبر الحقيقي العجب فقط اي
العجب سبب الكبر والكبر سبب للتكبر فسبب سبب الشيء سبب لذلك الشيء وهو
مذموم قال تعالى ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم ذكره في الاحياء في موضع
الانكار ولابي داود والترمذي وحسنه وابن ماجه اذا رايت شحا مطاعا
وهوى متبعا واعجاب كل ذي راي برايه فعليك بنفسك وللبزار والبيهقي
في الشعب من حديث انس رض لو لم تكن تذنبوا لخشيت عليكم ما هو اكبر من ذلك
العجب العجب وعن مطرف لان ابيت نائما واصبح نادما احب الي من ان ابيت قائما و
اصبح معجبا وكان بشر بن منصور من الذين اذا راوا ذكر الله فاطال الصلوة
يوما ورجل جالس خلفه ينظر ففطن له بشر فلما انصرف من الصلوة قال لا
يعجبك ما رايت مني فان ابليس قد عبد مع الملائكة مدة طويلة ثم صار الى
ما صار اليه وقيل لعائشة رض متى يكون الرجل مسيئا قالت اذا ظن انه محسن
وكانه مقتبس من قوله تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وفي الصحيحين بينما
رجل يتبختر في بردتيه قد اعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها
الى يوم القيمة ويطلق اي الكبر مجازا اي بطريق المجاز لوجود اثاره اي اثار
الكبر من اسراه على المنبعث من غيره اي على الكبر المنبعث من غير العجب كالحقد في
الباطن والحسد اعم والرياء في الظاهر ويختص هذا الاخير وهو الكبر المنبعث
من غير العجب بالملاء دون الخلاء والمعنى ان الرياء يختص بالملاء دون
الحقد والحسد والعجب فان الذي يتكبر بها يستوي عنده الخلاء والملاء
والحاصل ان اثار الكبر اذا ظهرت من الكبر يسمى تكبرا حقيقة واذا ظهرت
من غير الكبر كالحقد والحسد والرياء يسمى تكبرا مجازا لا حقيقة لانها ليست
من نتائج الكبر لكن لما كانت صورتها صورة التكبر الحقيقي سميت تكبرا مجازا
ثم اعلم ان العجب انما هو بالاسباب التي بها يتكبر وقد يعجب بما لا يتكبر به كعجبه بالراي
الخطا الذي تزين له بجهله وثمرته الاستبداد بالراي وترك المشورة و
استجهال الناس المخالفين لرايه والعلاج اي علاج خمسة اشياء ذكر ما ورد
فيه اي في ذم الكبر من الاخبار واحوال السلف الاخيار وما صدر عنهم من الاثار
في ترك الكبر واختيار التواضع ومواظبة اخلاق المتواضعين من العلماء الا
برار والمشايخ الكبار والتكلف فيه اي في دفع العجب بدفع العجب او التكلف

في تحصيل

في تحصيل اخلاق المتواضعين بالتشبه في افعالهم والتزين باحوالهم فان المجاز قنطرة
الحقيقة والرياء قنطرة الاخلاص ويشير اليه حديث ان لم تبكوا فتباكوا والعلم
بالتعلم والحلم بالتحلم وقلع العجب اي استيصاله من اصله قطعه من مادة زرعه وقصده
من وصله ولا يحصل اصل قلعه الا بقلع الحقد والرياء والحسد من قلبه وهو
اي العجب استعظام النفس اي عدها عظيمة برؤية قدرها فوق قدر غيرها و
خصالها التي هي النعم فيها جسمية وروحية مع الركون اليها اي الى النفس وما صدر
منها وما ظهر عليها ونسيان الاضافة اي نسبة النعم اليه تعالى وهو المنعم بجميع النعم
على جميع الامم والامن الزوال المتوهم انه من اهل الكمال فمن راى النعمة منه تعالى
ابتداء وفرح بها من حيث انها منه اي من الله تعالى ويستوجب عليه حمدا وثناء
وخاف على الزوال اي زوال تلك النعمة انها لا يكون معجبا وان كان مستعظما
لها وهو اي العجب غير الادلال فهو اي الادلال عجب مع رؤية حق النفس عنده تعالى
على ظنه ان لها الكمال فلا يدل الا وهو معجب ورب معجب لا يكون بدلالة اذا العجب يحصل
بالاستعظام ونسيان النعمة دون توقع جزاء والادلال لا يتم الا مع توقع جزاء
ورد ان صلوة المدل لا ترفع فوق لا ترتفع فوق راسه وهو كناية عن عدم قبوله
او الحديث كذا في الاحياء وقال مخرجه لم اجد اصلا وقال قتادة في قوله تعالى ولا تمنن
تستكثر اي لا تدل بعملك قيل ولا تضحك وانت معترف بذنبك خير من ان تبكي وانت
مدل بالتعجب اي يعجبه عن رد دعائه حال استبعاده في كشف بلاءه او استجابة
عطائه بناء على ظن انه من اهل ولايته واستقامة حال مؤذيه اي ويعرفا ايضا
بتعجبه عن استقامة اهل ايذائه وغير الكبر اي والعجب ليس عين الكبر بل غيره لكونه
اي الكبر اثره اي العجب ولا اثر غير المؤثر واستدعائه الكبر المتكبر عليه بخلاف العجب
فانه يتصور بغيره حيث لا يستدعي غير المعجب به وهو اي العجب مذموم لما تقدم و
افاته اي العجب ثمانية الهلاك فهو اي العجب عد من المهلكات فقد وردت ثلث
مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه البزار والبيهقي والطبراني
في الاوسط عن ابن عمر ونسيان الذنوب فانه لو ذكرها لما اعجب مع وجود العيوب
وعن عيسى عم كم من سراج قد اطفاه نسيان ذنب وكم من عمل قد افسده العجب واستحقارها
اي استصغار الذنوب وهو قد عد من كبارها وترك التدارك اي لما فاته من
الطاعات والعبادات وتحقير الادميين والحيوانات وتفقد افات العمل

اي وتوك تفقدها وتعهدها على زعم انه مغفور اي بناء على التوهم انه غير ماخوذ
بنقصها والامن من مكر الله تعالى ولو بالكرامات وخوارق العادات لا يامن من مكر الله
الا القوم الخاسرون والاستنكاف اي العار من التعلم عن الابرار وهذا من كمال
جهله والله تعالى اي ومن الاتعاظ بغيره وقد ورد كفى بالموت واعظا والسعيد
من وعظ بغيره والشقي من وعظ به غيره وتزكية النفس اي ومن افات ثنيها ثنا
وتمدحها وورد في التنزيل لا تزكوا انفسكم تمامه هو اعلم بمن اتقى وقال تعالى
ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها
وقال عم اللهم ات نفسي تقويها وزكيها انت خير من زكيها انت وليها ومولاها
قال ابن جريج يعني قوله لا تزكوا انفسكم اذا عملت خيرا فلا تقل عملت وقال زيد
بن اسلم لا تبرؤها اي لا تعتقدوا انها بارة وهو معنى العجب وضده مبتداء
اي ضد العجب وهو ذكر توفيقه تعالى جملة معترضة مفسرة للمنة التي هي ضد
العجب مرض اي خبر لازم ان حدث داعيته العجب في خاطره والا فيقتل في ارباطيه
وظاهره والسبب سبب العجب خبث الطبع وهو اي خبث الطبع داء معنوي
معضل اي مشكل لا دواء له والجهل بالحقائق اي بحقائق النفس ودقايقها و
هوانها بناي شيء خلقت ابتداء وما تكون في عاقبة امرها انتهاء فانه مهما عرف
نفسه حق المعرفة عرف انه اذل من كل ذليل واقل من كل قليل وانه لا يليق به التواضع
والمسكنة واذا عرف ربه علم انه لا يليق العظمة والكبرياء الا بالله وحده ثم معرفة
وتحرره فالقول فيه يطول وهو على علم المكاشفة يؤول واما معرفة نفسه فكيف ان
يعرف معنى اية واحدة في كتاب ربه ففيه علم الاولين والاخرين لمن فتح عين
بصيرته ودفع تجارد قلبه فقد قال تعالى قتل الانسان ما اكفره من اي شيء خلقه
فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره وفي الاحياء هنا كلام
طويل فيه تنبيه جزيل والعلاج للعجب قلع السبب له بالنظر اي بالتامل في
حقارة النفس وخساستها فاولها اي النطفة اي المذكورة كما قال تعالى فلينظر الانسان
مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب واخرها الجيفة اي
القذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة وعن الحسن العجب لابن ادم يغسل الخراءة
بيده كل يوم مرتين ثم يتكبر يعارض جبار السموات وكان الاحنف بن قيس يجلس مع مصعب
الزبير على سريره فجاء يوما ومصعب ماد رجليه فلم يقبضهما وقعد الاحنف

فزحم

فزحمه بعض الزحمة فراى اثر ذلك في وجهه فقال عجبا لابن ادم يتكبر وقد خرج
من مجرى البول مرتين وقيل في قوله تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغائط
والبول وفي قوله تعالى كانا ياكلان الطعام ايماء الى انهما يبولان ويتغوطان انظر كيف
نبين لهم الايات ثم انظر انى يؤفكون اي يصرفون عن الحق ولا يعرفون انهما لا يستحقان
الربوبية مع ظهور فيهما من اثار العبودية ولابن ماجه والحاكم وصحح اسناده من
حديث بسر بن جحاش ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يوما على كفه ووضع اصبعه
عليها وقال يقول الله ابن ادم تعجزني وقد خلقتك من مثل هذه حتى اذا سويتك
وعدلتك مشيت بين بردين وللارض منك اي ذاته وثقاله جمعت ومنعت
حتى اذا بلغت التراقي قلت اتصدق واني اوان الصدقة وسلك ويروى ان مطرف
بن عبد الله بن الشخير راى المهلب بن ابي صفرة وهو يتبختر في جبة خز فقال يا عبد الله
هذه مشية يبغضها الله ورسوله فقال له المهلب اما تعرفني فقال بلى اعرفك اولك
نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة وتحمل بين ذلك عذرة فمضى المهلب في ترك
مشيته وقال مجاهد في قوله تعالى ثم ذهب الى اهله يتمطى اي يتبختر ثم قال عز وعلا
ايحسب الانسان ان يترك سدى الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى
والراي وبالنظر في انه لو استاذن للدخول على امير البلدة ربما لا ياذن له اي لحقارته
عنده فاي فائدة في عجبه بنفسه والامير من ذل الخدام على باب الملك العلام وقد
اذل الله سبحانه حتى يعبده لديه ويثني عليه ويتوجه اليه ويمضي بركعته جميع نعمائه
ووعد من الثواب الجزيل على ادائهما في اقل مراتبها واحوالها اي وبالنظر في احوال
النفس الها جمعة اي لاتية بالورود عليها والوجود لديها كالمحن والشدائد
المتوجهة اليها من الفقر والمرض وسائر المصائب فربما يتعجب من تفاوت المراتب اذ
رزقه الله عقلا وافقره وافاض غيره المال مع كونه جاهلا وافرده فيقول منعني
من قوت يومي وانا الفاضل وافاض على غيري وهو الجاهل الغافل حتى يكاد يرى
هذا ظلما كما يشير اليه قوله عليه السلام كاد الفقر ان يكون كفرا ولا يدري المغرور لعلمه المغرور
في جهله بانه لو جمع له بين العقل والمال جميعا لكان بالظلم اشبه في ظاهر الحال اذ يقول
الجاهل الغني الفقير يا رب لم جمعت له بين العقل والغنى وحرمتني منهما فهلا جمعتهما الي وهلا
رزقتني احدهما والى هذا اشار علي رضي قيل له ما بال العقلاء فقراء فقال ان عقل الرجل
محسوب عليه من رزقه والعجب ان العاقل الفقير ربما اى الجاهل الغني احسن حالا منه

نفسه ولو قيل له هل تؤثر جهله وغناه عوضا من عقلك وفقرك لامتنع من ذلك
ومن هنا قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض
درجات الآيات وقال عز وعلا كل حزب بما لديهم فرحون وفي الحديث اللهم قنعني
بما رزقتني ولله در القائل شعر رضينا قسمة الجبار فينا لنا علم وللأعداء مال
فإن المال يفنى عن قريب وإن العلم يبقى لا يزال وقال تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء
ربك وما كان عطاء ربك محظورا أي ممنوعا عن أحد من خلقه وقال إن ربك
يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا فيعلم من يصلح للفقر
ومن يصلح للغنى ومن يصلح للجمع بينهما وقد رأى النبي عم رجلا غنيا جلس بجنبه
فقير فانقبض منه وجمع إليه ثيابه فقال عم أخشيت أن يعدو عليك فقره رواه
أحمد وقال أبو ذر كنت مع رسول الله عم فدخل المسجد فقال لي يا أبا ذر ارفع
رأسك فرفعت رأسي فإذا رجل عليه ثياب جياد ثم قال ارفع رأسك فرفعت رأسي
فإذا رجل عليه خلقان فقال يا أبا ذر هذا خير عند الله من قراب الأرض مثل هذا
رواه ابن حبان في صحيحه وأعمالا أي وبالنظر في أعمال النفس أي من أعمالها وأهمها
لها كأجرة أجير يعمل طول النهار ويحرس ذلك الأجير طويل الليل درهما أي لذلك الأجير
أو لكل منهما إذ يعلم به أن أعمال العباد إنما صارت ذا قيمة لما وقع من الله في موقع
الرضا والقبول وإلا فأجرة أجر الأجير المعمول وبه يعرف نقصانا كمالها فيضعف رجح
بعض دلالها وإنما يعطي المال الخسيس بالاستخدام على الدوام في العمل النفس وإلا
لما في الاحتياط كالعرض في الماء وتعليق البناء من جانب الهواء في جو السماء وأنت
تصلي ركعتين في غمضة العين بقوة ما أعطاك الله من النعم الظاهرة والباطنة و
طمع بما وعدك من الدرجات الفاخرة في الدار الآخرة فيعجب منهما ويستعظمهما وليس
هذا شأن العاقل وكرمه تعالى أي وبالنظر إلى كرمه ولطفه تعالى بالتوفيق للإعانة على
الطاعة والعبادة ووعده أي وبوعده سبحانه الثواب المخلد أي المؤبد ما لا عين
رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على بشر كما ورد في الجزاء على ساعة من العمل المعيوب
في حد ذاته المخلوط بسائر سيئاته والنظر أي كرمه بنظره إليه وإقباله عليه
وهو حقير ذليل في مقداره مع جلاله أي عظمة الله في جماله الذي عجز العالمون
من الأنبياء والأولياء عن إدراكه أي إدراك كنه كماله وبمعرفة عطف على النظر أي
وبعلم أن الكمال الدنيوي من النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأنصار من

الرجال

الرجال وهي لوازم له بالموت في ماله كما سبق في حب الجاه والدنيوي من العلم النافع
والعمل الصالح ينافيه أي العجب فالعلم النافع في الدنيا والأخرى مما يزيد خوفا منه
تعالى كما قال تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء وورد أنا أعلمكم بالله وأخشاكم
منه ومن لم يزدد من العلم زهدا لم يزدد من الله إلا بعدا ولا عبرة لغيره أي لغير العلم
النافع تعوذ منه عم حيث قال أسألك علما نافعا وأعوذ بك من لا ينفع وأعلم أن
العلم معرفة العبودية والربوبية فأما ما وراء ذلك كعلم الطب والحساب واللغة
والنحو والشعر وفصل الخطاب وطريق المجادلات فإذا تجرد الإنسان لها حتى
امتلأ بها كبرا وشقاقا بل كبرا ونفاقا وهذه العلوم بأن تسمى صناعات أولى
من أن تسمى علوما ولا عامل موجود دونه أي بدون العلم فهو أي العلم شرط
أي العمل صحة وكمالا فلا يستقيم لغيره في جميع أمره هذا الكلام منه أو حفظ هذا
ولا يصلح النسب أي التجرد عن الحسب للتعويل أي للاعتماد عليه والاستناد
إليه فهو تعزز بالغير أي بغيره سبحانه فروى من تعزز بالعبيد أذله الله رواه
أبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان من حديث أبي هريرة لينتهين أقوام
الفخر بآبائهم وقد صاروا فحما في جهنم أو ليكونن أهون على الله من الجعلان التي
تدوف بأنوفها القذر وتفاخرت قريش عند سلمان يوما فقال لكني خلقت
من نطفة قذرة ثم أعود جيفة منتنة ثم آتي إلى الميزان فإن ثقل فأنا كريم
وإن خف فأنا لئيم وروى ابن المبارك عن أبي ذر قال قاولت رجلا عند
النبي عم فقلت له يا ابن السوداء فقال عم يا أبا ذر طف الصاع أعيرته
بأمه ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل قال أبو ذر فاضطجعت وقلت للرجل
قم فطأ على خدي ولله در القائل شعر لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد
صدقت ولكن بئس ما ولدوا وورد في التنزيل فلا أنساب بينهم يومئذ
ويتساءلون فمن ثقلت موازينه الآيات يا فاطمة بنت محمد ويا صفية بنت عبد
المطلب اعملا لأنفسكما فإني لا أغني أي لا أدفع عنكما شيئا أي من العذاب حين
خاطبهما حين نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأقربين في الصحيحين من حديث
أبي هريرة وفي مسلم من حديث عائشة لما نزل قوله تعالى وأنذر عشيرتك الأ
قربين ناداهم بطنا بعد بطن حتى قال يا فاطمة الحديث وفيه إلا أن لكما رحما
سأبلها ببلالها وللطبراني من حديث عمران بن حصين يا معشر بني هاشم لا يأتي

الناس بالاعمال يوم القيمة وتأتون بالدنيا تحملونها على رقابكم وقال ان وجوها
بنو عبد المطلب لطبراني في الاوسط من حديث عبد الله بن جعفر ولا الجمال اي ولا
يصلح للتعويل الجمال الظاهر المتعين في المال فالاعتبار للباطن والقلب من الكمال
وهما مملوان بالاقذار الحسية والرذائل المعنوية خاليان عن الفضائل العلمية
والفواضل العملية وللديلمي والقضاعي عن مرفوعا آفة العلم النسيان وآفة الجمال
الخيلاء ولا المال لانه سريع الزوال ولا القوة اذ لا حول ولا قوة الا بالله ثم لو
سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه وان بقة لو دخلت انفه او نملة لو دخلت
اذنه لقتلته وان شوكة لو دخلت رجله لاعجزته وان حمى يوما تاخذ من قوة عمر
ما لا يجبر في مدة مديدة ثم ان اقوى نفسا لا يكون اقوى من حيوان فاي بين ارباب
العظائم مما سبق البهائم وقد حكى الله عن قوم عاد اذ قالوا من اشد منا قوة اولم
يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وكما اتكل عوج على قوته واعجب بها
فاقتلع جبلا ليطبقه على عسكر موسى م ثم فنقب الله تلك القطعة من الجبل حتى
صارت في عنقه كالخرزة وقد ورد ليس الشديد بالصرعة انما الشديد من
يملك نفسه عند الغضب والحاصل ان القوة المحمودة هي التي تصرف في العبادة
التي هي وسيلة للسعادة ولا الاتباع اي الاشياع الملتزمين للاتباع فورد
في التنزيل حتى اذا فرحوا اي فرح بطر بما اوتوا اي من كثرة المال وقوة الحال
وغلبة الرجال اخذناهم بغتة اي فجاءة الاية فاذا هم مبلسون اي آيسون
متحيرون وقالوا نحن اكثر اموالا واولادا وما نحن بمعذبين فقال لصاحبه و
هو يحاوره اي يخاطبه ويناظره الاية اي انا اكثر منك مالا واعز نفرا حتى اجابه
صاحبه بقوله ان ترن انا اقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من
جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا
فلن تستطيع له طلبا ومن ذلك تكبر قارون وتجبره كما اخبر سبحانه عنه بقوله
فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحيوة الدنيا ياليت لنا مثل ما
اوتي قارون الايات يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه الاية اي وصاحبته
وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه ولا العمل اي المجرد قبول فورد في التنزيل
وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وافمن زين له سوء عمله فراه حسنا وبدا لهم
من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما عملوا وبالجملة من جوز ان يكون

شفيعا

شفيعا عند الله فماله سبيل ان يتكبر على من سواه يشير اليه قوله تعالى والذين يؤتون
ما اتوا وقلوبهم وجلة انهم الى ربهم راجعون اي يؤتون الطاعات ويخافون من
عدم قبولها فالكبر دليل الامن والامن مبعد والتواضع دليل الخوف وهو مسعد
ولا العلم اي المجرد منا العمل الظاهر والباطن فالاطلاع على الذنوب الباطنية
صعب والخلاص عنها بعد الاطلاع عليها لا يمكن الا اذا كان هناك كسب
ووهب من هناك وي اشد الناس عذابا عالم لم ينفعه الله بعلمه وقد نقل
في الصحيحين يؤتى بالعالم يوم القيمة يلقى في النار فيندلق اقتابه فيدور
بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به اهل النار فيقولون مالك فيقول
كنت آمر بالخير ولا آتيه وانهى عن الشر وآتيه وقد مثل الله تعالى ولا يعمل بالحمار
والكلب فقال مثل الذين حملوا التورية ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا
وقال في بلعام بن باعورا واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الى قوله كمثل الكلب قال
قال ابن عباس اوتي بلعام كتابا فاخلد الى الشهوات الارضية اي سكن حبه اليها
فمثل بالكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث اي سواء آتيته الحكمة او لم
اوته فلا يدع شهوته ومن هنا كان بعض الصحابة يقول ياليتني لم تلدني امي
ويأخذ الاخر تبنة من الارض ويقول ياليتني كنت هذه التبنة ويقول الاخر
ياليتني كنت طيرا اكل ذلك خوفا من خطر العاقبة كما اشار اليه المص بقوله
والخاتمة مع هذا مستورة والروايات المدار على العاقبة مشهورة فينبغي للعالم
ان يعلم ان التكبر لا يليق الا بالله وحده وانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله
بغيضا وقد احب الله منه ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك
قدرا واذا نظر الى العاقبة تيسر له ان يتواضع للفسقة والمبتدعة بل الكفرة
فكم من مسلم نظر الى عمر بن الخطاب قبل اسلامه فاستحقره لكفره وقد رزقه الا
يمان وفاق اهل الاتفاق فاذن حق العبد لا يتكبر على احد بل ان نظر الى جاهل
قال انه قد عصى الله بجهل وان عصيت الله بعلم فهو اعذر مني وان نظر الى عالم
قال قد علم ما لم اعلم وان نظر الى كبير قال قد اطاع الله قبلي وان نظر الى صغير
قال قد عصيت الله قبله وان نظر الى مبتدع او كافر قال ما يدريني لعله يختم له
بالاسلام ويختم لي بما هو عليه الان من سوء المقام فليس دوام الهداية
الي كما لم يكن ابتداؤها الي وكل ذلك بان يعلم ان الكمال في سعادة الاخرة

والقرب من الله في المرتبة الفاخرة الباقية لا فيما يظهر للناس من الدنيا من الامور الفانية والمعصية المستقبحة تذمها اي ندامة وحسرة بحسن الطاعة المستحقة عجبا اي عزو داد غفلة لا ضمحلالها اي لذهاب المعصية مع حصول الندامة وبقاء العجب بالطاعة من عدم الملامة وهو اكبر من كل سيئة وفي الحكم معصية اورثت ذلا واستصغارا خير من طاعة اورثت عزا واستكبارا او ورد ما منكم من احد ينجيه عمله اي من غير قبوله بفضله ولا انا اي ولا ينجيني عملي ايضا الا ان يتغمدني الله برحمته متفق عليه من حديث ابي هريرة هذا وفي الاحياء قد صلى حذيفة بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلن وحدانا فاني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل مني فاذا كان مثل حذيفة لا يسلم من هذا فكيف يسلم الضعفاء من متأخري هذه الامة فما اعرف على بساط الارض عالما يستحق عالما ثم انه لا يحركه عن العلم وصلاوة فان وجد ذلك فهو صديق زمانه فلا ينبغي ان يفارق بل ان يكون النظر اليه من العبادة فضلا عن الاستفادة من انفاسه واحواله ولو عرفنا ذلك ولو في اقصى الصين لسعينا اليه رجاء لان تشملنا بركته وتسري الينا سيرته وسجيته وهيهات فاني يسمح اخر الزمان فهم ارباب الاقبال واصحاب الدول وقد انقرضوا في قرن الاول ومن طمع من اهل العلم بل يعز في زماننا عالم يختلج في نفسه الاسف والحزن والحسرة على فوات الخصلة فذلك ايضا اما معدوم او عزيز ولولا بشارة رسول الله صلى الله عم بقوله سيأتي على الناس زمن من تمسك بعشر ما انتم عليه نجا كما رواه الترمذي من حديث ابي هريرة واحمد عن ابي ذر لكان جديرا بنا ان نقتحم والعياذ بالله ورطة اليأس والقنوط مع ما نحن عليه من سوء اعمالنا ومن لنا بالتمسك بعشر ما كانوا عليه وليتنا نتمسك بعشر عشره ونسأل الله تعالى ان يعاملنا بما هو اهله وان يستر علينا قبيح اعمالنا كما يقتضيه كرمه وفضله

الباب الثالث عشر في الاخلاص والنية والصدق وفضلها

اي الصدق والاخلاص الذي هو تصحيح النية وتخليصها عن الرياء والسمعة بسم الله الرحمن الرحيم الذي يحصل المناص في الدنيا والخلاص في العقبى الاخلاص تجريد النية وهي الارادة المتوسطة بين العلم والعمل ويطلق عليها الصفة عن الشوب اي خلطة الرياء والسمعة او عن شائبة محابطة النفس بها او من شوائبها ومعا يشبهان

تدعى

تدعى ترك الدعوى على التواضع مع ادعائها انها قد بلغت مرتبتهم او تعجب بكمالها حيث تركت هذه الدعوى باستقلالها وله مراتب عند اهل المناقب فالاعلى اي اعلى مراتب الاخلاص للمولى ارادة وجهه تعالى اي قصد رضاه في الدنيا والاخرى دون جلب الثواب وخوف العقاب كما قال تعالى يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقال عز وعلا وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى وقال انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا وقال فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا نزلت فيمن يعمل لله ويحب ان يحمد عليه الحاكم من حديث طاوس مرسلا قال رجل اني اقف الموقف ابتغاء وجه الله واحب ان يرى موطني فلم يرد عليه حتى نزلت هذه الاية وللبزار من حديث معاذ من صام رياء فقد اشرك وفيه انه عم تلا هذه الاية وعن رابعة ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك الا ابتغاء وجهك ويعرف الاخلاص الاعلى بالتفكر في صفاته وافعاله اي في مصنوعاته والمناجاة مع ربه في جميع اوقاته وقد قال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن الاخلاص عزيز قال تعالى الا لله الدين الخالص وللديلمي من حديث معاذ اخلص العمل يجزك منه القليل ولابن عدي من حديث ابي موسى ما من عبد يخلص لله اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وكان معروف الكرخي يضرب نفسه ويقول يا نفس اخلصي تخلصي وقال يعقوب المكفوف المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقال ابو سليمان طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها الا الله تعالى ويشير اليه قوله تعالى وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما ثم ارادة نفع الاخرة سواء اراد النجاة من النار او درجات الابرار فهو حظ النفس اي في الجملة فهو حط عن مرتبة الاحرار وورد في حقيقة الاخلاص وفي تحققه في الاستخلاص ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت اي لا تعبد هواك ونفسك ولا تعبد الا ربك وتستقيم في عبادته كما امرت باستقامته في الاحياء سئل عم عن الاخلاص فقال ان تقول ربي الله ثم تستقيم كما امرت قال مخرجه لم اره بهذا اللفظ وللترمذي وصححه وابن ماجه من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله حدثني بامر اعتصم به قال قل ربي الله ثم استقم

وهو عند مسلم بلفظ قل لي في الاسلام قولا لا اسأل عنه احدا بعدك قال
قل امنت بالله ثم استقم والكل مقتبس من قوله تعالى الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
الآية ومن قوله تعالى فاستقم كما امرت خالص الاعمال اي ورد خالص الاعمال
اي العمل الخالص هو الذي يعمله لله لا يحب ان يحمد عليه احد ولم اعرف له اصلا
المرفوع نعم ورد عن عيسى عليه السلام انه قال الحواريون ما الخالص من الاعمال قال
الذي يعمل العمل لله لا يحب ان يحمده عليه احد وهذا المعنى في سبب نزول الآية
السابقة قد تقدم ولا يبعد ان تكون الجملة من مبتدء وخبر تعريفا للاخلاص
وتكون معترضة وقد قال بعضهم كنت تصدقت بصدقة بين الناس فاعجبني
نظرهم الي فوجدته لا علي ولا لي قال سفيان لما سمع هذا ما احسن حاله لديه
اذ لم يكن عليه فقد احسن اليه وقال يحيى بن معاذ الاخلاص تمييز العمل
من العيوب كتمييز اللبن من الفرث والدم وقال سهل الاخلاص ان يكون
سكون العبد وحركته لله خاصة قال السوسي الاخلاص فقد رؤية الاخلاص
لان من يشاهد في اخلاصه الاخلاص فقد احتاج في اخلاصه الى اخلاص
والى المقامين يشير قوله تعالى الا عبادك منهم المخلصين بكسر اللام وفتحها
وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين
وقيل لسهل اي شيء اشد على النفس فقال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب
وقال ابو عثمان الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق
وقيل الاخلاص ما استتر عن الخلائق وصفي من العلائق وقال الجنيد الاخلاص
تصفية الاعمال من كدورات الاحوال وقال الفضيل ترك العمل لاجل الناس
رياء والعمل لاجل الناس شرك والاخلاص ان يعافيك الله عنهما وهذا افضل
ما قيل في هذا الباب وفي فضله اي ورد في فضل الاخلاص في التنزيل وما امروا
الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فتقييد العبادة بالاخلاص يشير الى فضيلة
الخاص الاخلاص اي ورد في الحديث القدسي والكلام للرب الاخلاص
سري استودعته قلب من احببت من عبادي رواه القشيري في رسالته
من حديث علي رضي الله عنه واصله اي اصل الاخلاص النية اي تصحيحها وتحسينها وهي
اي النية الارادة الباعثة اي الداعية للاعمال المنبعثة اي تلك النية عن
المعرفة بالاحوال فهي الارادة انبعاث القلب الى ما يراه موافقا لغرضه المعرفة

بعوضه

بعوضه اما في الحال واما المال كشهوة الطعام الحاصلة من المعرفة بحقيقة اي
الطعام ودفعه اي وعن المعرفة بدفع الجوع الباعثة بالحرصة بعد صفة الشهوة
اي الداعية لامتداد اي اليد واليه فان امتداد الى الطعام انما يكون بعد المعرفة
بتحقق الطعام وبانه دافع للجوع عن الانام فلا تدخل اي النية تحت الاختيار
لان الارادة اثر والاثر لا يدخل تحت الاختيار بل الداخل تحت الاختيار انما
هو المؤثر وتوضيحه ان كل عمل اختياري فانه لا يتم الا بثلثة امور علم وارادة
وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد ان يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من
الارادة بعد خلق الانسان بحيث يوافقه بعض الامور ويلائم غرضه ويخالفه
بعض الامور وينافيه فاحتاج الى جلب الملائم الموافق لقلبه الهائم فمن وطي
المراة لغلبة الشهوة عليه في تلك الحالة انى ينفعه قوله الحسني اي اللسانية ونية
النفس اي الجنانية في قربته اي بالوطي اقامة السنة وتكثير الامة من هنا ورد
الشرك اخفى في قلب ابن ادم من دبيب النملة السوداء في الظلمة الظلماء على الصخرة
الصماء رواه احمد وغيره ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة الطاعات اذا
لم يحضرهم تصحيح النيات لعلمهم بان النية روح العمل وان العمل بغير نية صادقة
رياء وتكلف هو سبب مقت لا باعث قرب حتى ان ابن سيرين لم يصل على جنازة
الحسن جنازة الحسن البصري وقال ليس يحضرني نية ومات حماد بن ابي سليمان وكان
من اكابر العلماء الكوفة وشيخ ابي ح فقيل للثوري الا تشهد جنازته فقال لو
كان لي نية لفعلت وكانوا اذا سئلوا اعملوا عن اعمال البر قالوا ان رزقنا الله تعالى
نية فعلنا ذلك وحكي ان داود بن المحبر لما صنف كتاب العقل جاءه احمد بن حنبل
فطلبه منه فنظر فيه احمد صفحا فرده فقال له ما لك قال فيه اسانيد ضعاف
فقال داود انما لم اخرجه على الاسانيد فانظر فيه بعين العمل انما نظرت فيه
بعين العمل فانتفعت قال احمد فرده علي حتى انظر فيه بالعين التي نظرت
بها اليه فاخذه ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به بعضهم
انا في طلب نية لعيادة رجل منذ شهر فما صحت لي بعد وقال عيسى بن كثير مشيت
مع ميمون بن مهران فلما انتهى الى باب داره انصرفت فقال له ابنه الا تعرض عليه
العشاء فقال ليس من نيتي وهي النية احدى جزء العبادة اي ركنيها وهما النية
والعمل فهي العبادة تتوقف عليها اي على النية توقفها اي مثل توقف النية على

العمل لان العبادة بدون النية لا تسمى عبادة وورد اى فى الصحيحين من
من الروايات الاعمال بالنيات اى معتبرة بها فى جميع الحالات وكل امرئ ما نوى
اى من الخير والشر فى المباحات وتمامه فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله
ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه
وخيرهما اى والنية افضل خير فى العبادة لورود نية المؤمن خير من عمله
رواه البيهقى فى الشعب عن انس به مرفوعا وذلك لان النية عمل السر ولا
رياء فيها والعمل يخالطه الرياء ولانها تمتد لامالا نهاية لها والعمل محصور
فى حصوله ولانها بانفرادها تصير عبادة يترتب عليها الثواب بخلاف اعمال الجوارح
فانها انما تكون عبادة اذا صاحبت النية لحديث من هم بحسنة فلم يعملها كتب الله
عنده حسنة كاملة متفق عليه ولانها تبقى بخلاف العمل ولذا قيل الخلود
فى الجنان والنار جزاء النية ولان مكانها مكان المعرفة اعنى قلب المؤمن قال
سهل ما خلق الله تعالى مكانا اعز واشرف عنده من قلب عبد المؤمن وما اعطى كرامة
للخلق اعز عنده من معرفته فجعل الاعز فما نشأ من اعز الامكنة يكون اعز مما نشأ
من غيره قال سهل قدس سره فتفتش عبد اشغل المكان الذى هو اعز الامكنة عنده
سبحانه بغير معرفته تعالى وفى خبر انا عند المنكسرة قلوبهم والمندرسة قبورهم
وما وسعنى ارضى ولا سمائى ولكن يسعنى قلب عبدى المؤمن اشعار بذلك وقيل
وقيل نية المؤمن خير من عمله وعمل المنافق خير من نيته وقيل نية المؤمن خير
من عمله بغير نية ثم قيل للقلب عملان النية والندامة فالنية تجعل المعدوم
موجودا والندم يجعل العصيان الموجود مفقودا ومما ورد فى نفع النية
بدون العمل حديث انس المدينة اقواما ما قطعنا واديا ولا وطئنا موطئا
يغيظ الكفار ولا اصابتنا مخمصة الا شركونا فى ذلك وهم بالمدينة قالوا
كيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فشركونا بحسن
النية البخارى مختصرا وابو داود وتوقف اى ولتوقف نفع العمل اى تاثيره
طاعة او معصية عليها اى النية دون العكس اذ لا يتوقف نفع النية على
وجود كل عمل فورد فى المتقاتلين اى حقهما ان القاتل والمقتول فى النار
وبين اى النبى عليه السلام علة المقتول اى فى دخوله النار انه قصد الرياء كذا فى
الشرح والظاهر انه قصد قتل اخيه لا دفعه عن نفسه او اراد بالقاتل الكافر

وبالمقتول

وبالمقتول المسلم المرائى ويؤيده ما اخرجناه حديث الاحنف عن ابى
بكرة اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار قالوا يا رسول الله
هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه متفق عليه ولابن
ابى الدنيا من حديث عمر انما يبعث المقتتلون على النيات ولمسلم من حديث جابر
يبعث كل عبد على ما مات عليه ويؤيده ما فى الاصل حديث اكثر شهداء امتى
اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته احمد من حديث ابن
مسعود فمن اى وورد فيمن تمنى ان لو اصاب مالا ينفق فى المعصية اى
مقدره انه شريك المنفق فيها اى فى المعصية حقيقة فى الوزر اى فيهما
فى الوزر اى فيهما سواء ومفهومه ان لو اصاب مالا ينفق فى الطاعة
انه شريك المنفق فيها فيهما فى الاجر سواء فقد ورد الناس اربعة رجل
اتاه وما لا فهو يعمل بعلمه فيقول رجل لو اتانى الله كما اتاه لعملت كما يعمل فهما فى
الاجر سواء ورجل اتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط بجهله فى ماله فيقول
رجل لو اتانى الله مثل ما اتاه لفعلت كما يعمل فهما فى الوزر سواء ابن ماجه والترمذى
وكون التراب اى ولكون شرب المعجون لعلاج المعدة انفع من الطلاء على الصدر
لسرعة تاثير الاول وبطوء الثانى فى العمل ووجه كونه علة لمشابهة التراب
الداخل فى المعدة بالنية الداخلة فى القلب من حيث انهما من الامور الباطنة
والمشابهة الطلاء الظاهر على الصدر بالعمل الظاهر على الجوارح من حيث
انهما من الامور الظاهرة بل اضراب عن قوله وخيرهما اى النية هو الاصل
وما سواه الفرع لكون المقصود من العمل تاثير القلب بالميل اليه تعالى عن
الغير عما سوى الرب وذلك التاثير بالميل الى تعالى حاصل بالنية دون مجرد
العمل فهى الاصل فورد فى التنزيل لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله
التقوى منكم وهى انما تكون فى القلب كما قال عليه السلام التقوى ههنا واشار
الى صدره وفى الخبر ايضا ان الله لا ينظر الى صوركم ولا اعمالكم ولكن ينظر
الى قلوبكم ونياتكم ووقع الاجماع على اثم المجامع امرأته على قصد انها غيرها
اى امرأته بخلاف المجامع غيرها اى غير امرأته على قصد انها هى اى امرأته ولاحمد
من حديث صهيب من تزوج امرأته على صداق وهو لا ينوى اداءه فهو زان
واثم المصلى اى والاجماع على اثم المتوضى على ظن انه محدث بخلاف المحدث الذى

المصلي على ظن انه متوطئ وهي اي النية التي معناها القصد اما واحد وهو
وهو الخالص عن المشاركة كالقيام للاكرام اي اكرام المسلم حال السلام
من غير نظر الى سائر اوصافه الجمال واما متعدد كالمتصدق للفقراء والقراء
ونحوهما من استحقاق الصدقة فاما اي ثم المتعدد اما لا يستقل كل شيء اي
من المقصود بنفسه عند انفراده في باعث العطاء ويعرف عدم الاستقلال
المذكور بالامتناع اي بامتناع النية والقصد عند انفراد احد من المقاصد
اي من الاخر فلا يعطي الغني القريب لمجرد قرابته ولا للفقير الاجنبي لمجرد فقره
وعند الاجتماع لا يمتنع عن العمل فيعطي الفقير القريب او يستقل كل من المقصود
متساويا بان يكون كل واحد داعيا الى القصد او متفاوتا في مراتب القصد
او متنافيا في الاستقلال فيكون بعضها مستقلا وبعضها لا يكون مستقلا
كقوة توجه المصلي عند حضور الناس اي لمجرد باعث الرياء وهو العزيمة
في قول المصنف مع انه لو لم يرج الثواب لما صلى وتوضيحه ان يكون للانسان ورد
في الصلوة وعادة في الصدقات فاتفق ان حضر في وقتها جماعة من الناس
فصار الفعل اخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه انه لو كان منفردا
لم يفتر عن الصلوة وعلم ان عمله لو لم يكن طاعة لم يكن لمجرد الرياء بجملة فهو
مشوب بطريق الى النية ومشوش في تحسين الطوية ويتعدد والجزاء اي
الثواب بتعددها لمقدار تعدد النية خيرا كان المتعدد في النية كالدخول
في المسجد اي مسجد كان للزيادة اي لزيادة بيت الله اي اخ لله فعنه
ء م من قعد في المسجد فقد زار الله وحق على المزور اكرام زائره ابن حبان
من حديث سلمان وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة من غدا الى المسجد او
راح اعد الله له الجنة نزلا كلما غدا او راح وانتظار الصلوة اي لادائها
بالجماعة في وقتها وقد عد من الرباط في قوله تعالى ورابطوا وفي الخبر
انتظار الصلوة بعد الصلوة والاعتكاف وهو من جملة العبادات الفاضلة فتارة
مستحبة نافلة واخرى سنة مؤكدة كما لو اذ كان بمكة فزيارة
وان كان بالمدينة فزيارة الزيارة المندوبة بلا خلاف والانزواء اي
اي الاعتزال عن الاشتغال بالسوى والتجرد المذكور من التهليل والتمجيد
والتحميد والثناء وترك الذنوب ولو كان من باب الحياء فان من تعظيمه ان

لاتنفد

لاتنفد على الجفاء او شراء او كان العقد شراء كالمعقود فيه اي في المسجد
للتحدث الباطل فان كلام الدنيا في المسجد يبطل الحسنات في العقبى وملاحظة
حظة النساء ومخالطة المردان يعني الاشتهاء والمناظرة للمباهات اي
المفاخرة والمرايات اي المجادلة للسمعة والرياء وكذا قصدها للتنزه في ليلة
القمراء وسماع ما فيه من الذكر والشعر المشابه لمجلس السمراء ويجعل خيرها
اي نية الخير المباح عبادة كالتطيب الذي في اصله مباح بوقوعه يوم
الجمعة لاقامة السنة وتعظيم المسجد فقد قال تعالى وطهر بيتي قيل في معناه
بخره واليوم وتعظيمه فانه افضل ايام الاسبوع بلا خلاف وقيل افضل الايام
مطلقا وهو عند المؤمنين وترويح المساكين ودفع الاذى بالنتن اي
الريح الخبيثة عن نفسه وغيره لا سيما الملائكة الحاضرين في وقته والاثر
بالوقف بفتح العين اي وتفريح من يجنبه بالريح الطيبة وسد باب الغيبة بان
الروائح الكريهة وربما تفضله اي النية المباح من محضها اي فيصير المباح
بالنية افضل من العبادة الخالطة فالترفه اي التنعم والاستراحة بنومة
قليلة نحو قيلولة او دعابة اي فراح ومطايبة مباحة لرد نشاط الصدر
افضل منها اي من الصلوة في الملال اي في حال الكسالة فعن ابو الدرداء
رض لاستجم نفسي باللهو ليكون ذلك عونا على الحق وعن ابي مدين قوله
لاتنكر الباطل في طوره فانه بعض ظهوراته وقال علي رض وخوقا القلوب
ساعة فساعة فانها اذا اكرهت عميت ومن هنا حرم الصوم في بعض الاوقات
وكذا الصلوة في الازمنة المكروهات شرها اي يجعل شر النية المباح معصية
كالطيب المباح في اصله للتفاخر باظهار الثروة اي الغنى والنعمة على وجه
الكثرة فانه يصير به معصية ففي الخبر من تطيب لله جاء يوم القيمة وريحه اطيب
من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيمة وريحه انتن من الجيفة ابو
الوليد الصفار مرسلا والتزين اي وكالتزين المباح في اصله للزنا فانه
معصية كما انه للعبادة طاعة لقوله تعالى يا بني ادم خذوا زينتكم عند كل مسجد
وللطبراني باسناد جيد من حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا فهو له
هاجر رجل ليتزوج امرأة منا فكان يسمى مهاجر ام قيس وللنسائي من حديث
عبادة بن صامت من غزا وهو لا ينوي الا عقالا فله ما نوى ولابي داود

باسناد جيد من حديث يعلى بن امية انه استأجر اجيرا للغزو وسمى له ثلثة
دنانير فقال ع م ما اجد له في غزوته هذه في الدنيا والاخرة الا دنانيره التي
سمى وقال بعض السلف رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية
وقال داود طائي من كان اكثر همته التقوى فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا
لردته نيته يوما الى نية صالحة وكذا الجاهل بعكس ذلك وقال ابو هريرة مكتوب
في التورية ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به وجهي فكثيره قليل و
كان الفضيل بن عياض اذا قرأ ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين
ونبلوا اخباركم ويرددها ويقول انك ان بلوتنا فضحتنا وهتكت استارنا
ولا تؤثر النية في الحرام فلا يباح شرب الخمر لموافقة الاخوان ولا مرافقة
احكام الزمان فقد ورد لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق وكالذي يغتاب
انسانا مراعاة لقلب غيره او يطعم فقيرا من مال ظلم به او يبني مسجدا او مدرسة
او رباطا ونحوه بمال حرام وقصد الخير به ومن هنا قال سهل ما عصي الله
بمعصية اعظم من الجهل قيل يا ابا محمد هل تعرف شيئا من الجهل قال نعم الجهل با
الجهل ويسمى هذا الجهل المركب وكذا افضل ما اطيع الله ورأس العلم العلم
بالعلم فان من لا يعلم العلم النافع من العلم الضار اشتغل بما اكب عليه الناس
من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم الى الدنيا وذلك هو مادة الجهل
ومنبع فساد العلم والحق ان من قصد الخير بمعصية عن فهو عن جهل معذور
قال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال ع م لا يعذر الجاهل
على الجهل ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله كما رواه الطبراني في الاوسط
من حديث جابر ثم لا يجوز امداد المتعلم بنوع يتمكن به من الوصول الى الشهوات
والحصول في مقام رياسته فلم يزل علماء السلف يتفقدون احوال من يرد
د اليهم فاذا رأوهم تقصيرا في نفل من النوافل انكروه وتركوا اكرامه واذا
منه فجورا هجروه ونفوه عن مجالستهم وتركوا تكليمه فضلا عن تعليمه لعلمهم
ان من تعلم مسئلة ولم يعمل بها فليس يطلب الا آلة الشر وقد تعوذ جميع
السلف بالله من الفاجر العليم بالسنة وما تعوذوا من الفاجر الى الجاهل
وقد هجر احمد بعض اصحابه الملازم له سنين بان طين داره لما اخذه من
الطريق قدر سمك الطين والحاصل ان الشيطان لا يسلم منه الا من رزقه

نظره

نظره وسعد بعظمة الله وقدره وحفظ خطره والا فالعدو وملازم للمنزوين
لعبادة الله لا يغفل عنهم لحظة حتى يحملهم على الرياء في سكونه او حركته حتى في كحل
العين وقص الشارب ونحوهما مما هو صورة العبادة ولذا قال تع ان الشيطان
لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعوا حزبه ليكونوا من اصحاب السعير و
قال تعا حكاية عنه انه قال فبما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم
من بين ايديهم ومن خلفهم اي من امور الدنيا والاخرة وعن ايمانهم وعن شمائلهم
اي من طرق الحسنات والسيئات ولا تجد اكثرهم شاكرين وكذا قيل ركعتان
من عالم افضل من عبادة الف سنة من جاهل وفي الخبر لفقيه واحد اشد
على الشيطان من الف عابد وكماله الاخلاص وجماله الصدق في نية وقول
وعمل فمن جمع له هذا يكون صديقا مبالغة الصادق ولا منصوصا د ق
اما في عند ذوي الحقايق والدقايق ويدل عليه حديث ان الرجل
ليصدق والعند الله صديقا متفق عليه فورد في التنزيل واذكر في الكتاب
ابراهيم انه كان صديقا اي قبل النبوة نبيا اي مخبرا عن الله تعالى حال الرسالة
ثم الصدق لا ينافي المعاريض الصادرة عنه المعبر عنها بثلث كذبات
لصورتها لان المورّي بما يعنيها لا بما يباينها وكان رسول الله صلى الله ع م
اذا توجه في سفر ورّى بغيره كما في الصحيحين من حديث كعب بن مالك و
ذلك كيلا ينتهي الخبر الى عدوه وقد ورد في الصحيحين ايضا من حديث
ام كلثوم ليس بكاذب من اصلح بين اثنين فقال خيرا او نمى خيرا ورخص في
النطق به عليه وفق المصلحة في ثلثة مواضع من اصلح بين اثنين ومن كان
له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب فالصدق ههنا يتحول من القول
الى النية فلا يراعى فيه الا الصدق الطوية فمهما صدقت نيته للخير وارادته
كان قاصديا كيف ما كان لفظه توفيقا ان الرجل اي وورد في الحديث
ان الرجل ليصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا وادنى رتبه
اي اقل مراتب المصدق الصدق في القول مع الخلق في كل حال من الامن والخوف
والنفع والضر والرضاء والغضب والكمال اي وكمال الصدق في القول بترك
المعاريض حذرا عن تفهيم غير الحق وكسب القلب صورة كاذبة الا ان الضرو
رات يبيح المحظورات وقد ورد ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب

وقد حكي عن بعضهم انه كان يطلبه بعض الظلمة هو في داره فقال
لزوجته خطي باصبعك دائرة وضع الاصبع في الدائرة وقولي ليس هو
هنا ودعاية اي ومراعاة العبد المصدق معه اي مع الحق تعالى فمن قال
وجهت وجهي لله او للذي فطر السموات والارض حنيفا وما كان في قلبه
سواه واياك نعبد اي يخفكه بالعبادة وهو يعبد الدنيا في دعواه اخضاع
عبادة مولاه فان قلبه اذا كان منصرفا عن الله مشغولا بالاماني الدنيا
وشهواتها فهو كاذب في دعواه وعن مالك بن دينار ولو كان هذه الاية
اي اياك نعبد واياك نستعين امر من الله لما قراتها لعدم صدقي فيها وروي
ان العبد اذا قرا هذه الاية يقول الله تعالى له كذبت اياي تعبد لم تطع غيري
ولم تلتفت الى سواي ولو كنت بي تستعين لم ترفع حوائجك الى ذليل مثلك
ولم تكن الى ملك وكسبك وكقولك انا عبد الله اذ لم يتصف بحقيقة العبودية
وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صادقا ولو طولب يوم القيمة بالصدق
في قوله انا عبد الله لعجز عن تحقيقه لانه ان كان عبدا لنفسه او عبدا للدنيا
او عبدا للشهوات صادقا في قوله وكلما تقيد العبد به فهو عبد له كما قال
عيسى عم يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عم تعس عبد الدنيا وتعس عبد
الدرهم وعبد الخميصة رواه البخاري وانما العبد الحق لله من اعتق اولا
نفسه عن غير الله فصار حرا مطلقا فاذا تقدمت هذه الحرية صار القلب
فارغا فحلت فيه العبودية لله فيشغله بالله وبمحبته ويقيد ظاهره وباطنه
بطاعته وعبادته فلا يكون له مراد الا الله ثم يتجاوز هذا الى مقام
اخر اسنى منه يسمى الحرية وهو ان يعتق ايضا عن ارادته لله من حيث هو
هو بل يقنع بما يريد الله تعالى له من تقريب وتبعيد كما قيل شعر اريد وصاله
ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد وهذا عبد اذا عتق عن غير الله
فصار حرا ثم عاد وعتق عن نفسه وصار حرا عن نفسه وصار مفقودا
لنفسه موجودا لسيده ومولاه ان حركه تحرك وان سكنه سكن وان
ابتلاه رضي ولم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض واغراض بل هو
بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل منتهى الصدق في العبودية ووفق
ما يقتضيه الربوبية وهذا الوجود في منى دائرة المشهود فوقيل المعنى على

الزمان مجالا ان ترى مقلتاي طلعة حر ثم في النية اي ثم اعلى من الصدق
في القول الصدق في النية بتمحضها اي بتخليصها لله تعالى فالشوب اي الخلط
بغيره في النية يفوته اي هذا المقام من الاخلاص والصدق يقال هذا صافي
الحلاوة اي محضها بغير خالطها في العزم اي ثم الصدق في العزم اعلى مما ذكر
وهو اي خالطها جزم فوق على الجزاء اي فعله وجزمه وعلى ترك الشر كالصدق
والعدل ان نال او ولاية وتوضيحه ان الانسان قد يعزم على العمل فيقول
في نفسه ان رزقني الله مالا تصدقت بجميعه او بشطره وان اعطاني الله ولا
ية عدلت فيها ولم اعص الله بظلم عن الحق وهو قد يكون صادقا في عزمه
وقد يكون كاذبا في جزمه ومن الاول قول عمر رضي الله عنه لان اقدم فيضرب عنقي في غير
حد احب الي ان انامر على قوم فيهم ابو بكر اللهم الا ان تسول لي نفسي عند القتل
شيئا لا اجده لان لاني لا امن ان يثقل عليها ذلك فيتغير عن عزمها اشار
بذلك الى شدة الوفاء بالعزم ومن الثاني قول مجاهد رجلان خرجا على
ملاء من الناس قعودا فقالا ان رزقنا الله مالا لنصدقن فلما رزقهما الله
بخلا به فنزلت ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن
من الصالحين الاية في الوفاء اي ثم الصدق في الوفاء اقوى مما ذكر فالنفس
قد تسخ اي تسخو بالعزم عند البيان وتتوانى اي تتثاقل وتتباعد بالوفاء
عند الامتحان وورد في التنزيل رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقد
وقف رسول الله صلى الله عم على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم
احد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله عم رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه رواه ابو نعيم في الحلية وفي البخاري مجملا ان هذه الاية نزلت في انس
بن النضر وفي الترمذي وقال حسن صحيح عن انس بن عمه انس بن نضر لم
يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عم فشق ذلك على قلبه وقال اول مشهد
شهده رسول الله احد ان العام القابل فاستقبله سعيد بن معاذ فقال يا
ابا عمرو الى اين فقال واها لريح الجنة اني لاجدها دون احد فقاتل حتى
قتل فوجد في جسده بضع وثمانون ما بين رمية وضربة وطعنة فقالت بنت
النضر اخته ما عرفته الا ببنانه ونزلت هذه الاية رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فمنهم من قضى نحبه اي نذره ثم في العمل اي ثم الصدق في العمل اعلى وهو

اى المصدق فى العمل تسوية السر والعلانية بان يكون باطنه مثل ظاهره
مثل باطنه ولذا قال عيسى عم اللهم اجعل سريرتى خيرا من علانيتى واجعل علانيتى
نيتى صالحة وقال زيد بن الحارث اذا استويت سريرة العبد وعلانيته فذلك
النصف اى العدل وان كانت سريرته افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت
سريرته فذلك الجور والخطل وانشد واشعرا السر والاعلان فى المؤمن
استوى ❁ شعر فقد عز فى الدارين واستوجب الثنا ❁ فان خالف الاعلان سرا فما له
على سعيه فضل سوى الكد والعنا ❁ كما خالص الدينار فى السوق نافق ❁ ومغشوشه
المردود لا يقتضى المنا ❁ وقال معاوية بن قرة من مدلنى على بكاء بالليل بسام
بالنهار وكان عبد الرحمن الزاهد يقول الهى عاملت الناس فيما بينى وبينهم بالا
مانة وعاملتك فيما بينى وبينك بالخيانة فالمدانى على هذ وبصنتين وقد يدعم
وفى نسخة على هذ بفتح وسكون ومعناهما على سكون فى الظاهر اى خلا الباطن
اى باطن المائل عن الوفا اى السكون والثبوت غير صادق فيما بينه من الا
ظهار وورد فيه اى فى حق الصادق فى العمل ان يكون سريرته خيرا من العلا
اى علانيته واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام من صدقنى فى سريرته صدقته
عند المخلوقين فى علانيته ثم اى ثم الصدق فى مقامات الدين من احوال اهل
اليقين اعلى فى الخوف اى صدقه فيه يتحقق لصفرة الوجه وقلق الباطن
اى اضطرابه فى الحالات وترك المعاصى اللذات اى المناهى والشهوات التى فيها
الشبهات واقامة الطاعات فى انواع العبادات وعلى هذا القياس فى غيره اى غير
الخوف من سائر المقامات كالرضا فهو بعدم الحزن لفوت شى من الجاه والمال و
النفس من الاولاد والاتباع من الرجال وعدم الشكاية الى المخلوق فى جميع الا
حوال والصديق المطلق هو المتصف بالجميع انواع الصدق عند اهل الحق
وقال بشر بن الحارث من عامل الله بالصدق استوحش من الخلق وقال ابو سليمان
اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله غاية طلبك وقال رجل لحكيم ما
رايت صادقا فقال لو كنت صادقا لعرفت الصادقين ويؤيده قوله تعالى اتقوا الله
وكونوا مع الصادقين وقال الثورى فى قوله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا
على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا محبة الله ولم يكونوا فيها صادقين
وقال محمد بن سعيد المروزى اذا طلبت الله تعالى بالصدق اعطاك الله تعالى مرآة

بيدك

بيدك حتى تبصر كل شى من عجايب الدنيا والاخرة وقال ابو بكر الوراق احفظ
الصدق فيما بينك وبين الحق والرفق فيما بينك وبين الخلق وقيل لذى النون
هل للعبد الى صلاح اموره سبيل فقال شعر ❁ قد بقينا حيارى بين بين حيارى
دعا ❁ نطلب الصدق ما اليه سبيل ❁ فدعاوى الهوى تخفف علينا ❁ وخلاف الهوى
علينا ثقيل ❁ وعن الجنيد فى قوله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم قال ليسئل الصا
دقين عند انفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا امر على خطر عظيم وحذر جسيم
وضده اى الاخلاص الرياء اى رؤية الخلق وفى معناه السمعة وان كان
فى اصل المادة فرق بينهما فان الرياء مشتق من الرؤية والسمعة من السماع فى
الصحيحين من حديث جندب بن عبد الله من راى راى الله به ومن سمع سمع الله
به وللطبرانى من حديث ابن عمر بلفظ من سمع الناس سمع الله به مسامع خلقه وحقره
وصغره وكذا لاحمد وابن المبارك وابن منيع من حديث ابن عمرو وهو اى الرياء
طلب المنزلة اى الوجاهة والمرتبة بالرؤية او السمعة عند غيره تعالى بالعبادة
اى لا بالامور المباحة وفق العادة وهو حرام لقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم
عن صلوتهم ساهون الذين هم يراؤن وقوله تعالى والذين يمكرون السيئات
لهم عذاب شديد قال مجاهد هم اهل الرياء ولاحمد والبيهقى فى الشعب من حديث
محمود بن لبيد عن رافع بن خديج ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا
وما الشرك الاصغر يا رسول الله قال الرياء يقول الله عز وجل يوم القيمة اذا
جازى العبد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن فى الدنيا فانظروا هل
تجدون عندهم الجزاء فيختص الرياء بعمل الظاهر اى بما يتعلق به الرؤية
او السماع وذلك لامكان نظر الخلق اليه واطلاعهم عليه دون عمل الباطن فانه
لا رياء لديه قال عكرمة ان الله يعطى العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله لان النية
لا رياء فيه اما نحو قصد الحمية اى الاحتماء بترك ما يضره عن الاكل فى الصوم
مع قصد التقرب والتبرد اى وقصد تبرد الاعضاء فى الوضوء وكذا
قصد النظافة فيه وفى الغسل مع التقرب والتفرج اى وقصد طلب الفرج
والخلاص من الهم والغم بالتنزه والتوحش اى المفارقة عن الاهل اى القرابة
واهل القرية صداقة او عداوة وكذا قصد صحة المزاج فى السفر والتجارة
اى وقصدها فى الحج اى اداءه مع التقرب والخلاص اى قصده عن المؤنة

مؤنة نفقة المملوك وسوء الخلق من المالك او المملوك من جهة التربية
في العتق اي عتق عبده وجاريته فيوه اى فيغر الرياء لعدم تعلق نفل الخلق
اليه ويفوز به اي بقصد المذكورات الخلاص في تلك العبادات لان فيه
شوب نفع نفسه وحظ النفس والاخلاص تجريد النية عن شوب
الارادة النفسية ويكون الرياء بالبدن اي من جهة البدن باظهار
الخشوع واكثار الحزن اي السمت الصالح والزي اي لبس الصلحاء و
القول اي نقل كلام الاولياء والعمل اي واعمال الاصفياء وغيرها كا
المال والاتباع والبيوت وانواع الاستمتاع كاظهار النحول هذا وما
بعده لنشر اللف المتقدم مرتبا والمراد بالنحول ضعف البدن في مشيه وصوته
ونظره ليوهم بذلك شدة الاجتهاد في العبادة وكثرة الحزن على امر الدين
وغلبة خوف الآخرة وليدل بالنحول على قلة الاكل وبالصفاء على سهر الليل
وكذا بتشعث الشعر ليشعر على استغراقه في الامر ولذا قال عليه السلام اذا صام
احدكم فليدهن راسه ولحيته ويمسح شفتيه ويرجل شعره ويكحل عينيه
وكذا روي عن ابي هريرة وكذا قال ابن مسعود اصبحوا صياما مدهنين
وابقاء اثر السجود على الجبهة واطراق الراس في المشية والهدء في الحركة
ولبس الصوف وغلظ الثياب وتشميرها الى قريب الساق وقصر الاكمام و
ترك تنظيف الثوب وتركه مخرقا من غير ترقيع ومنه التقنيع بالازار فوق
العمامة ونحوها وقد يلبس الاصواف الرقيقة في الاصناف المنيعة اذا كان يريد
على الاغنياء او على الامراء فقيمة ثوبه قيمة ثوب الاغنياء ولونه هيئة لون
ثياب الصلحاء فيلتمس القبول عند الفريقين في مقام الرياء ولو كلف ان يلبس
ثوبا وسطا نظيفا مما كان السلف يلبسه لكان عنده بمنزلة الذبح والوعظ
اي التذكير والنصيحة والنطق بانواع الحكمة وحفظ الاخبار والآثار لا
خيار وتحريك الشفتين بمحضر الناس وامثالها وتطويل الصلوة بطول
القيام والركوع والسجود واطراق الراس وترك الالتفات وتسوية القدمين
واليدين وكذا في الصوم والزكوة والحج وسائر العبادات وبقية المعاملة
وكثرة التلاميذ وكثرة المريد للجهاد وكثرة الزائرين من الاجانب والا
قرباء وتما ستره اي والرياء الذي طلب بغير العبادة لكثرة المال والا تجار

من الرجال

من الرجال وحفظ الاتباع في خارج عن حد الرياء كما سبق في تعريفه فح
لا يحرم طلب تلك المنزلة اذا لم يؤد الى رذيلة اي خصلة مذمومة كالتكبر
على الناس كما سبق في الجاه اي ذمه وهو قوله هناك فحرام اي فالجاه حرام ان
كان بارتكاب ذنب كالكذب وهنا ايضا كذلك وكذا التزيين لاستمالة قلوب
الاخوان حال مخالطتهم والتحابب اي المسلامة عن ملامتهم والمعنى ان تحسين
الثواب الذي يلبسه الانسان عند الخروج الى الناس مراياة ليس بحرام لانه
ليس رياء بالعبادة بل بالدنيا وعلى هذا فقس كل تجمل للناس وتزين لهم
والمروي لابن عدي في الكامل عن عايشة رضي الله عنها من تزيينه عم اي
حين اراد ان يخرج على اصحابه الكرام فكان ينظر في جب الماء فيسوي عمامته
وشعره فقالت او تفعل ذلك يا رسول الله قال نعم ان الله يحب ان تزين
لاخوانه اذا خرج اليهم فهذا كان منه عم عبادة لانه مامور بالدعوة
اي بدعوة الخلق وترغيبهم في اتباع الحق واستمالة قلوبهم بالرفق فلو
اسقط نفسه عن قلوبهم بسقوطها عن اعينهم لترك تزيينه لهم لما حصل
المقصود فلم يرغبوا في اتباعه المطلوب من المعبود وهو اجابة الحق من الخلق
فكان يجب عليه ان يظهر لهم محاسن احواله كيلا تزدريه اعينهم في اقباله
فان اعين الخلق تمتد الى الظواهر دون السرائر وآفات الرياء التلبيس
اي المكر والتدليس الحاصل من وسوسة ابليس بارادة ما ليس فيه متحقق
في الخارج موجود في الواقع لانه خيل اليهم انه مخلص مطيع الله وانه من اهل
الدين وليس كذلك فهو اي التلبيس بالامر الدنيوي حرام ايضا حتى لو قضى
دين جماعة وخيل الى الناس انه متبرع عليهم ليعتقد واسخاوته لاثم بذلك
لما فيه من التلبيس وتملك القلوب بالمكر والخديعة بخلاف ما اذا انفق الرجل
ماله على جماعة من الاغنياء ولا في معروض العبادة والصدقة ولكن ليعتقد
الناس انه سخي فهذه من اياة وليس بحرام وكذا امثاله فبالديني اولى اي
فالتلبيس بالامر الديني اولى ان يكون حراما لانه محض العبادة والاستهزاء
عليه تعالى اي ومنافاته الاستخفاف بالنسبة اليه سبحانه وهو بايثار رضا
غيره اي اختياره على رضاه اي على ايثار رضاه سبحانه وتعالى والمعنى انه لما
قصد بعبادة الله رضا ما سواه فهو مستهزء بالله ولذا قال قتادة اذا

اى العبد قال الله تعالى للملائكة انظروا اليه كيف يستهزئ بي ومثاله ان يمثل بين
يدي ملك من الملوك طول النهار كما جرت عادة وقوفه لملاحظة جارية
من جوار الملك او غلام من غلمانه فان هذا استهزاء بالملك اذ لم يقصد
التقرب الى الملك بخدمته بل قصد عبدا من عبيده فاي استحقار يزيد
على ان يقصد العبد بطاعة الله مراءاة عبد ضعيف لا يملك له ضرا ولا نفعا
وهل ذلك الا انه ظن ان ذلك العبد اقدر على تحصيل اغراضه من الله و
انه اولى بالتقرب اليه من الله اذ اثره على ملك الملوك فجعله مقصود عبادته
واي استهزاء يزيد على رفع العبد فوق المولى وتعظيم نفسه اي وبايثار
تعظيمها في القلوب على تعظيمه اي تعظيم علام الغيوب وتوضيحه ان الرياء
لو لم يكن فيه الا انه يركع ويسجد لغير الله لكان فيه كفاية فانه اذا لم يقصد التقرب
الى الله تعالى ولعمري لو عظم غير الله بالسجود لكفر كفرا جليا الا ان الرياء هو
الكفر الخفي لان المرائي عظم في قلب الناس فاقتضت تلك العظمة ان يركع
ويسجد فكان الناس هم المعظمون بالسجود من وجه فمهما زال قصد تعظيم
الله بالسجود وبقي تعظيم الخلق بالشهود كان ذلك قريبا من الشرك المعهود
الا انه قصد تعظيم نفسه في قلب من عظم عنده باظهاره من نفسه صورة التعظيم
لله فعن هذا كان شركا خفيا لا شركا جليا وذلك غاية الجهل والنقصان
ولا يقدم عليه الا من خدعه الشيطان واوهم عنده ان العباد يملكون من ضره
ونفعه ورزقه واجله ومصالح حاله ومنافع اماله اكثر مما يملكه تعالى فلذلك
عدل بوجهه عن الله تعالى اليهم فاقبل بقلبه عليهم ليستميل بذلك قلوبهم اليه
ولو وكله الله سبحانه اليهم في الدنيا والاخرة لكان ذلك اقل مكافاة له على
صنعه فان العباد كلهم عاجزون عن انفسهم لا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا
ولا يملكون موتا ولا حيوة ولا نشورا فكيف لغيرهم وهذا في الدنيا فكيف في
العقبى يوم لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بل يقول
الانبياء نفسي نفسي فكيف يستبدل الجاهل الجاهل بهذا الاخرة ونيل القرب عند
الله بالدرجات الفاخرة ما يرتقبه بطمعه الكاذب في الدنيا من الناس فلا
ينبغي ان يشك مع ان المرائي بطاعة الله في سخط الله من حيث النقل و
العقل وهذا معنى قوله والاحتراز اي بايثار المرائي الاحتراز عن حقيقة

عزه سبحانه عليه اي على الاحتراز من مقته تعالى فقد سال رجل سعيد بن المسيب
فقال احدنا يصطنع المعروف ويحب ان يحمد ويوجر فقال له اتحب ان تمقت لله
قال لا قال اذا عملت لله عملا فاخلصه ورد العمل اي ومن افاته عدم القبول فورد
اي في الحديث القدسي لي لا اقبل الا ما كان خالصا لي لو اجده بهذا اللفظ ولكن ورد
معناه وهو ما رواه مالك من حديث ابي هريرة يقول الله من عمل عملا اشرك فيه غيري
فهو له كله وانا اغنى الاغنياء عن الشرك ويؤيده قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين
واللوم اي ومن افاته الملامة بين الملائكة فورد في الحديث الانسي يقال عند
صعودهم بالعمل المخلوط بالرياء رده الى سجين لقوله تعالى ان كتاب الفجار لفي
سجين وهو موضع في اسفل سافلين مكان الشياطين وقيل هو كتاب اعمال
المشركين فانه لم يرد بي اي بعمله خالصا له الدين ولابن المبارك في الزهد ومن
طريقه ابن ابي الدنيا وابو الشيخ في حديث طويل ان الله تعالى يقول للملائكة ان هذا
لم يرد بي بعمله فاجعلوه في سجين وفي القيمة اي ومن افاته الملامة والندامة
يوم القيمة فورد في ندائه اي لو فيها اي في القيمة يا كافر حقيقة او حكما بكفران
النعمة يا فاجر اي فاسق بترك الاخلاص في الطاعة يا غادر اي يا ماكر للخلق
او للحق ايضا على زعمه الباطل يا خاسر اي الذي خسر الدنيا والاخرة والحديث
رواه ابن ابي الدنيا من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسم ان المرائي ينادى يوم
القيمة باربعة اسماء يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ضل عملك وحبط اجرك اذهب
فخذ اجرك ممن عملت له فلا اجر لك عندنا والحرمان عن الاجر اي ومن افاته حرمان
ثواب العمل فورد يقال اي للمرائي التمس الاجر اي اطلب الثواب ممن كنت تعمل له من
الخلق كما تقدم الم يوسع عليك في المجالس الم تكن رئيس في الدنيا الم يرخص بيعك
الم نكرم بالقيام والسلام وانواع من الاكرام وقد روي عن علي رضه ان الله
تعالى يقول للقراء يوم القيمة الم يكن يرخص عليكم السعر الم تكونوا تبتدؤن
بالسلام الم تقض لكم الحوائج وفي الحديث لا اجر لكم قد استوفيتم اجوركم وا
لمعنى كان هذه الاشياء قصدك من اظهار الطاعة فقد جوزيت بها في الدنيا فلم
يبق لك اجر في العقبى كما قال تعالى من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم
وهم فيها لا يبخسون اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا
فيها وباطل ما كانوا يعملون والعذاب اي ومن افاته عذاب الاخرة فورد اهل الرياء

يعذبون في النار لم اره بهذا اللفظ وللترمذي وابن ماجه من حديث
ابي هريرة استعيذوا بالله من جب الحزن قيل وما هو قال واد في جهنم اعد
للشعراء المرائين والافحش مبتدأ اي الاغلظ والاشد في الرياء باعتبار نفسه
اي نفس الريا واصله ولهذا الريا اربع درجات ان لا يريد الثواب اصلا
اي لا يكون ارادة الثواب مطلقا كالذي يصلي بين الناس ولو انفرد لكان لا
يصلي بل ربما يصلي من غير طهارة مع الناس فهذا جرد قصد الرياء وهو اي
المرائي به في غاية المقت من الله وغضب وكذا من يخرج الصدقة خوفا من مذمة
الناس وهو لا يقصد الثواب ولو خلا بنفسه لما اداها وهذا غالبا لا يتصور
الا من المنافق فالنفاق يبطل العمل من اصله والرياء يوجب رده والمن و
الاذى يحبطان الصدقة اصلا وعن بعض المشايخ يبطلان اضعافها و
اما الندامة فيحبط العمل في قولهم جميعا والتعجب يذهب اضعافه والتهاون
يخفف العمل فيذهب رزانته ثم ما فيه ارادتان ارادة الاجر والرياء
غالب وقصد الاجر ضعيف بحيث لو كان في الخلوة لكان لا يفعله ولا يحمله
ذلك القصد على العمل كمن يريد الصلوة لوجه الله ارادة ضعيفة لا تنهضه عليها
فاتفق مجيء جماعة عنده فظهر داعية الرياء في قلبه مع بقاء ارادة وجه
الله فانتهضه الله عليها ولو لم يكن الرياء ما كان ينهضه مجرد ارادة وجه
الله ولو لم يكن ارادة وجه الله لكان ارادة تنهضه وهو يقرب اي هذا النوع
من الرياء يقرب الافحش وهو اول الذي ليس فيه ارادة الثواب اصلا فهذا
يقرب ما قيل في المقت لكن فيه من شائبة قصد الثواب لا يستقل بحمل على العمل
ولا ينفي عنه المقت والاثم ثم ما استويا اي ثم الافحش باعتبار نفس الرياء
قصد استوى الارادتان او القصدان فيه اي في ذلك العمل بحيث لو كان
كل واحد منهما خاليا عن الاخر لم يبعثه على العمل فلما اجتمعا انبعثت الرغبة
او كان كل واحد منهما لو انفرد لاستقل بحمله على العمل فهذا قد فسد مثل
ما اصلح فالمرجو اي المأمول من فضل الله وكرمه ان لا يكون اي لصاحب
الارادتين المستويين نفع وثواب ولا عليه ضرر وعقاب بل يسلم راسا براس
او يكون له من الثواب مثل ما عليه من العقاب ويؤيده ما روي عن معاذ قال
تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا

على القوم

على القوم واشتد عليهم فقال الا اخرجها عنكم قالوا بلى يا رسول الله
قال هي مثل الاية التي في الروم وما اتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا
يربو عند الله فقال عليه السلام من عمل رياء لا يكتب له ولا عليه كذا في الجامع الكبير
للسيوطي لكن اطلاق الاخذ في الادلة يشمله اي ظواهر الاخبار في ادلة
ذم الريا يشمل هذا النوع فيحصل له الاثم ويدل على انه لا يسلم اي ثم
الافحش باعتبار نفس قصد الرياء ما ترجح فيه قصد الثواب بان يكون
طلب الاجر غالبا ويكون اطلاع الناس مقويا ومرجحا للنشاط ولو لم يكن
له لكان ترك العبادة ولو قصد الرياء وحده لما اقدم فالمظنون اي
ظنه والعلم عند الله تعالى فيه اي في هذا النوع انتقاص الثواب لا البطلان
اي لا يحكم على العمل ببطلانه بالكلية لان العبرة بالغلبة في الاحكام الجزئية
او الثواب اي على قدر ما اخلص في نية والعقاب على قدر الرياء بحسب القصد
اي المتقدمين والاصل ان الفرار منه تعالى بالميل الى غيره اي بسبب الاقبال عليه وعن
لديه والبعد عنه تعالى بالذهول اي الغفلة منه لقوله تعالى ولا تطع من اغفلنا
قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا وما ورد اي في حديث انا اغنى
الاغنياء عن الشرك وفي نسخة من الشركاء ونحوه اي مما يدل على البطلان
محمول على الاول اي مما لا يريد الثواب اصلا ولو علم ما اذا تساوى القصدين
او كان قصد الرياء ارجح فان لفظة الشركة مطلقة للتسوية وباعتبار ما
به اي والافحش باعتبار ما يقع به الرياء من العبادات هو الرياء باصل الايمان
وقيل هو بدل من قوله به باعادة الجار وما قدرناه اولى بالاعتبار وذلك
بان يظهر كلمة الشهادة باللسان من غير تصديق بالجنان لكنه يرائي احيانا
لظاهر الامر في بعض الاركان وهو اغلظ ابواب الرياء كما يشير اليه قوله تعالى يراؤن
الناس ولا يذكرون الله الا قليلا مذبذبين بين ذلك متحيرين هنالك لا الى هؤلاء
المسلمين ولا الى هؤلاء المشركين ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي مخلصا
ومدليا فلم يكن مخلصا بل يكون دائما حيران ذليلا وفيه الخلود في النار في
دار البوار بل كما قال تعالى ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار وذلك لانهم
جمعوا بين كفر الباطن ونفاق الظاهر فحالهم اشد من حال الكفار المجاهرين
ولان ضررهم للمسلمين اكثر من المشركين وكان النفاق في بدء الاسلام يكثر ممن يدخل

يدخل في ظاهر الاسلام ويعمل ببعض الاحكام لغرض فاسد او عوض كاسد
وذلك مما يتفق في زماننا حيث لا باعث عليه هنالك ولكن بكثر نفاق من بيل
عن الدين باطنا فيجحد الجنة والنار والدار الآخرة ميلا الى قول الملاحدة
او يعتقد بسقوط الشرع والاحكام ميلا الى اهل الاباحة ويعتقد كفرا او
بدعة وهو يظهر خلافه فهؤلاء من المنافقين الماكثين في النار وليس وراء
هذا الرياء ثم اي ثم الافحش بعد الرياء باصل فرايض سواء اي غير الايمان و
ذلك بان يكون مال الرجل في يد غيره فيأمره باخراج الزكوة خوفا من المذمة
والله يعلم من باطنه انه لو كان في يده لما اخرجها او يدخل وقت الصلوة وهو
في جميع فيصلي وعادته ترك الصلوة في الخلوة وكذا يحضر الجمعة ولولا خوف
المذمة لما كان يحضرها وكذلك يصوم رمضان وهو يشتهي خلوة من الخلق
ليفطر او يصل رحمه او برّ والديه لا عن رغبته ولكن خوفا من المذمة او
يغزو او يحج كذلك وفيه المقت اي اشد الغضب من جانب الرب لانه ليس
بكافر عند اهل السنة والجماعة وذلك لانه مراء في الاركان ومعه اصل الا
يمان فيعتقد ان الله لا معبود سواه ولو كلف ان يعبد غير الله او يسجد لما
غيره لم يفعل ولكنه يترك العبادات للكسل الطاري في الاوقات وينبسط
عند اطلاع الناس وفوت العبادات فيكون منزلة عند الخلق احب اليه
من منزلة عند الخالق وخوفه من مذمة اعظم من خوفه من عقوبة الله ورغبته
محمدتهم اشد من رغبته في مثوبة الله وهذا غاية الجهل بالرب وما اجدر صاحب
هذا بالمقت الذي هو اشد الغضب ثم اي ثم الافحش بعده الرياء باصل السنن
المؤكدة والنوافل المستحبة لو تركها لا يعصي ولكنه يكسل عنها في الخلوة لفتور
رغبته في ثوابها ولا يثار لذة الكسل ما يرجى من ثواب العمل ثم يبعثه الرياء
على فعلها وذلك كحضور الجماعة في الصلوة وعيادة المريض واتباع الجنازة
وغسل الميت وكالتهجد بالليل وصيام يوم عاشوراء ونحوه فقد يفعل المرائي
هذه الجملة خوفا للمذمة او طالبا للمحمدة ويعلم الله تعالى من ضميره انه لو خلي بنفسه
لما زاد على اداء الفرائض فهذا ايضا عظيم في نفسه لكن كما قال وفيه اي في
هذا النوع من الرياء نصفه اي نصف المقت او بعضه باختلاف وتفاوت
احواله في الرغبة باعماله وذلك لانه اثار رضاء غيره تعالى عن رضاه سبحانه دون

سبحانه دون ايثار والاحتراز عن مقت غيره سبحانه عليه اي على المرائي من
مقته تعالى فان الذي قبله اثر حمد الخلق على حمد الخالق وهذا ايضا قد فعل
ذلك واتقى ذم الخلق دون ذم الخالق فكان ذم الخلق اعظم عنده من عقاب
الخالق واما هذا فلم يفعل ذلك انه لم يخف عقاب الله على ترك النافلة لو تركها و
لكنه على الشرط الاول فلذا عقابه نصف عقابه فتأمل ثم بالاوصاف اي ثم الا
فحش بعده الرياء باوصاف العبادات الا باصولها من الفرائض المهمات فبالواجب
لتعديل الاركان من الركوع والسجود والقومة بتسكين الجوارح والاعضا
فيها حتى تطمئن فانه يرائي بفعل ما في تركه نقصان العبادة كالذي غرضه ان
يخفف الركوع والسجود والقومة فان رآه الناس حسن افعالهما ومدّ القعود
بين السجدتين وامثالها فقد قال ابن مسعود من فعل ذلك فهي استهانة
يستهين بها ربه يعني انه ليس يبالي باطلاع الله عليه في الخلوة كما في الجلوة فاذا اطلع
ادمي عليه احسن الصلوة من الجلسة بين يدي انسان متربعا او متكئا فدخل غلام
فاستوى في الجلسة واحسنها كان ذلك تقديما للغلام على السيد واستهانة بالسيد
لا محالة وهذا حال المرائي بتحسين الصلوة في الملأ دون الخلاء وكذا الذي
يعتاد اخراج الزكوة من الدنانير الردية فاذا اطلع عليه غيره اخرجه من
الجيد خوفا من المذمة وكذا الصائم يصون صومه عن الغيبة كما لو لغيبا
ذلك الصوم خوفا من المذمة فلهذا ايضا من الرياء المحظور لان فيه تقديم
الخلق على الخالق لكنه دون الرياء باصول التطوعات كذا في الاحياء والظ
انه دون الرياء باصول العبادات من الفروض لان اصول التطوعات دون اصول
الواجبات اذ يجوز ترك التطوعات راسا ولا يجوز ترك الواجبات اصلا ونعم
بترك الفرائض يبطل العبادات بخلاف ترك الواجبات فانه يوجب الاثم والنقصان
في وصف العبادات ثم المكمل اي ثم الافحش بعده الرياء بفعل ما لا نقصان في تركه
ولكن فعله في حكم التكميل والتتمة لعبادته فهو مما كان وجوده خيرا من عدمه
كتطويلها اي الصلوة بتطويل الركوع والسجود ومد القيام واطالة القراءة
وتحسين الهيئة في رفع اليدين ووضعهما مع اظهار تزيين البنية المعتبر بتحسين
الطوية وحفظ العين عن الالتفات واطراق الرأس في الحالات فيستدل بذلك
على غاية خشوعه ونهاية خضوعه وكل ذلك مما لو خلي ونفسه لكان لا يقدم عليه

بمقتضى طبعه وامرأة شرعه ثم الزائد اي بعده الريا بزيادة خارجة عن نفس
النوافل ايضا كالبكور في المسجد اي لحضوره لجماعة قبل القوم وقصد الصف
الاول وتوجهه الى يمين الامام وما يجري مجراه من الاحكام وكل ذلك مما يؤمر
به الانام وليعلم الملك العلام انه لو خلا بنفسه لكان لا يبالي اين وقف ومتى
حضر او باعتبار ماله اي والافحش باعتبار ما يقع الرياء لاجله ماله فيه
قصد المعصية وقيل انه بدل من ضمير ماله والاولى ما قدرناه لحسن ماله وذلك
بان يكون مقصوده التمكن من معصية كتقلد الوقف للمداهنة كالذي يرائي
بالعبادة ويظهر التقوى والورع بكثرة النوافل من الطاعات والامتناع
عن اكل الشبهات وغرضه بتأدية الامانات فيولى تولية القضايا او الاوقاف
او الوصايا او مال الايتام فيأخذها او يسلم اليه تفرقة الزكوة والصدقات ليقطع
مما قدر عليه منها في الحاجات او يودع الودائع فيأخذها ويجحدها في بعض الحالات
وهؤلاء ابغض المرائين الى الله لانهم جعلوا طاعة ربهم سلما الى معصية واتخذوه
آلة ومتجرا وبضاعة لهم في فسقهم ثم المباح اي قصده بالرياء كنكاح الشريفة او
المرأة الجميلة فيكون غرضه بالريا نيل حظ من الحظوظ الدنيا من مال او جمال
فيظهر الحزن بالبكاء ويشتغل بالوعظ في الصباح والمساء ليبذل له الاموال
ويرغب في نكاحه النساء فهذا رياء بحظوظ لانه طلب بطاعة الله متاع الحيوة و
لكنه دون الاول فان المطلوب لهذا مباح في نفسه ثم التميز عن العامة با
لمشي والزي وترك اكل اللحم ونحوه كي يعد من الخاصة كالزهاد والعباد فيما بين
العباد من اهل البلاد فيظهر عبادة لا لقصد نيل حظ دنيوي من مال او نكاح
بل خيفة من ان ينظر اليه بعين النقص ويعتقد انه من جملة العامة كالذي
يمشي مستعجلا في طريق فيطلع عليه الناس فيحسن المشي ويترك العجلة كيلا يقال
من اهل اللهو والسهو لا من اهل الوقار والسكون وكذلك الذي يسبق اليه الضحك
او يبدر منه المزاح فيخاف ان ينظر اليه بعين الاحتقار لا بعين الوقار فيتبع ذلك
بالاستغفار وتنفس الصعداء واظهار الحزن والبكاء ما اعظم غفلة الادمي
عن نفسه والله يعلم منه انه لو كان في خلوة هنالك لما كان يثقل عليه ذلك
وقد يخفى اي الرياء فانه كما تقدم اخفى من دبيب النملة السوداء على الصخرة
الصماء في الليل الظلماء كالفرح باطلاع الغير على قربة عبد يخلص في عمله ولا يعتقد

الرياء بل يكرهه ويرده عن نفسه ويتمم العمل كذلك ولكن اذا اطلع
عليه الناس سره ذلك وارتاح له وروح ذلك عن قلبه شدة العبادة
وهذا السرور يدل على رياء خفي فيه ترشح السرور منه والتعريض للاظهار
يعني ثم اذا استشعر لذة السرور بالاطلاع ولم يقابل ذلك بكراهية فيصير
ذلك قوتا وغذاء للعرق الخفي من الرياء فيتقاضى خفيا ان يتكلف سببا يطلع
عليه بالتعريض والقاء الكلام عرضا بالاظهار وقد حكي ان رجلا اضاف
الثوري واصحابه فقال لاهله هات الطبق الذي حججت به في الحجة الاولى فنظر
اليه سفيان وقال مسكين قد افسد عليه هذا حجته وتحسين الاداء في
الخلوة وجعله عادة له لئلا يخالف بالملاء ظنا منه انه يتخلص بهذا عن الريا
ولم يعرف انه يتكرر منه الريا في الخلوة والملاء وليتزين كذا في النسخ والظ
ان يقول والتزين في الاعين اي اعين اهل الملاء بظهور الخشوع في الا
عضاء كاظهار السجود والصفار وخفض الصوت ويبس الشفتين واثار الدمع
وغلبة النعاس الدال على طول التهجد والحاصل انه مهما ادركت النفس تفرقة
بين ان يطلع على عبادة انسان او بهيمة ففيه شعبة من الرياء وقد روي لا يكمل
ايمان احدكم حتى يكون الخلق عنده كالاباعر ثم تأثيره اي الريا في العمل بالاحباط
والاثبات انه اذا هجم اي غلب الرياء بعد التمام اي تمام العمل الخالص بالفرح
متعلق بهجم اي بفرحه على الظهور من غير قصده او الاظهار بقوله لا يبطل ثواب
العمل المؤدى بالاخلاص لعدم بطلان الثواب المتقدم بالعمل الطارئ اي
الحادث بعده وفيه الثواب على عمله الذي مضى والعقاب على مراياته بطاعة الله
بعد الفراغ منها وحمل ما روي في الحديث من نقل العمل تغليظا لا صمت ولا فطر
فيمن قال صمت لطاعة حق من قال صمت دائما والمحفوظ صمت الدهر يا رسول الله ثم
المروي في مسلم من حديث ابي قتادة قال عمر يا رسول الله كيف لمن يصوم الدهر
قال لا صام ولا افطر فهذا احمل على كراهة صوم الدهر اي لا على ابطاله بالرياء
لاظهار اعماله ولانه يكون في قوله نوع كذب لدخول العيدين اي عيد الفطر
والاضحى والتشريق فيه اي في قوله صمت الدهر وصوم هذه الايام الخمسة حرام
باتفاق الائمة الاربعة واخرج ابن جرير كما في الجامع الكبير عن ام كلثوم قالت
قيل لعائشة تصومين الدهر وقد نهى رسول الله عم عن صيام الدهر قالت نعم

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام الدهر وكنت من افطر يوم الفطر ويوم
فلم يفهم الدهر وقال بعضهم انما قال عليه السلام زجرا له عن اظهاره وتمام ما جاء اى وحمل
ما ورد عن ابن مسعود ذلك اى اظهار ركعات ولفظ الاحيا محفظه منه اى
من القراءة فيمن قال قرأت البارحة اى الليلة المتقدمة سورة البقرة
على اى حمل عدم خلو القلب عنه اى من الرياء حالة القراءة لانه يجيء بعد تمامها
بدلالة الاظهار وكيف ما كان فيحتمل ان يكون ذلك من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ومن ابن مسعود استدلالا على ان قلبه عند العبادة لم يخل عن عقد الرياء
وقصده لما ان يظهر منه التحدث به ان يكون نما يطرء بعد العمل مبطلا لثواب
العمل بالكلية نعم يبطل كمال ثوابه فى القضية واذا هجم اى غلب الرياء فى الاثناء
العبادة متجردا عن الاخلاص فى قصد الثواب وبعث على العمل اى على تمامه و
ختم العمل به اى بالرياء المتجرد عن قصد الثواب كما لو تذكر ضالته فى اثناء الصلوة
او حدث نظارة اى فرجة ونزهة فى اثناءها فاتم العمل لحضور الغير عنده
لولاه وفى نسخة لولا هو اى ذلك الغير لقطع ذلك العمل وطلب الضالة او
تفرج على النظارة يبطل جواب اذا هجم اى يبطل هذا الرياء ثواب العمل لكن فى
عمل ذى اركان اى اجزاء يتعلق صلاح بعضها ببعض كالصلوة والصوم
والحج والظاهر ان العرف كذلك وكذا قال الطبرانى اذا كان الباعث اولا اعلاء
كلمة الله لا يضره ما عرض له بعد ذلك على ما نقل عنه السيوطى فى حاشية البخارى
فورد العمل كالوضوء اذا طاب اخره طاب اوله كذا فى الاحياء ورواه ابن
ماجه عن حديث معاوية بلفظ اذا طاب سفله طاب اعلاه وعلى كل تقدير
فظاهره لا يوافق المدعى الا ان يراد مفهوم الحديث كما لا يخفى من راى بعمله
ساعة حبط عمله والذى كان قبله كذا فى الاحياء قال مخرجه ولم اجده
بهذا اللفظ وللشيخين من حديث جندب من سمع سمع الله به ومن راءى راءى
الله به دون غيره اى بخلاف عمله ليس بذى اركان يتعلق صلاح بعضها
بالبعض كالصدقة والتلاوة وانما لم يبطل هذا النوع من العمل كله بالرياء اذ كل
جزء من كل منهما منفرد اى من جزء اخر حيث انه مستقل بنفسه لا تعلق له ببعض
نعن بعض الصالحين قال كنت ليلة وقت السحر فى غرفة لى اقرا سورة طه فلما ختمتها
غفوت غفوة فرايت شخصا نزل من السماء بيده صحيفة فنشرها بين يدى

فاذا فيها تحت كل كلمة عشر حسنات مثبتة الا كلمة واحدة فانى رايت مكانها محوا
ولم ار تحتها شيئا فقلت والله لقد قرأت هذه الكلمة ولم ار لها ثوابا ولم ارها
اثبتت فقال الشخص صدقت قد قرأتها وكتبناها الا انا سمعنا مناديا ينادى
من قبل العرش امحوها واسقطوا ثوابها فمحوناها قال فبكيت فى منامى بكاء شديدا
او قلت لم فعلتم ذلك قالوا مر رجل فرفعت بها صوتك لاجله فذهب ثوابها وهذا
يدل على ان الرياء فى الاوصاف مبطل لثواب العمل داس والطارى اى الحادث
من الرياء لا يبطل الماضى من العمل بل يبطل الباقى وفيه مخالف لما ورد من ان
الشخص اذا ذكر العمل السرى مرة ينقل الى العلانية واذا ذكر ثانيا ينقل الى
الرياء واذا لم يتجرد الرياء عن الاخلاص وقصد الثواب بل غلب الرياء غلبة
الفرح باطلاع الغير اى بمشاهدة غيره اليه فالغالب فيه اى الظن الغالب فى هذا
النوع من العمل الفساد اذا ان قضى على حالة الرياء ركن من اركان ذلك العمل
مع غلبة قصد الرياء ولم يعاوده اى العامل الركن او المصلى الباعث الاصلى
للصلوة وهو الاخلاص لانا نستصحب نية البداءة اى نعطى النية السابقة التى
كانت خالصة لقصد المثوبة حكم استصحاب الحال والمعنى نحكم عليها الى تمام العمل فى
المال بشرط ان لا يطرء اى لا يحدث بعد النية السابقة فى اثناء العمل من الرياء
الا مستغرقة ما اى رياء لو قارن ابتداء لمنع الباعث الاصلى للصلوة الذى هو
الاخلاص وان احتمل اى ولو احتمل الجواز اى صحة العمل لبقاء قصد الثواب
الموجود حال العقد من التحريمة المقرونة بالنية وتوضيحه ما فى الاحياء اذا كان
واردا الرياء بحيث لا يمنعه من قصد الاستتمام لاجل الثواب كما لو حضر جماعة فى
اثناء صلوته ففرح بحضورهم فانعقد الرياء وقصد تحسين الصلوة لاجل
نظرهم وكان لولا حضورهم لكان يتمها ايضا فهذا رياء قد اثر فى العمل وانتهض
باعثا على الحركات فان غلب غلبة حتى انمحق معه الاحساس بقصد العبادة
والثواب وصار قصد العبادة مغمورا فهذا ايضا ينبغى ان يفسد العبادة
مهما مضى ركن من اركانها على هذا الوجه لانا نكتفى بالنية السابقة عند الاحرام بشرط
ان لا يطرء ما يغلبها ويغمرها ويحتمل ان يقال لا يحبط العبادة نظرا الى حالة العقد
والى بقاء اصل الثواب وان ضعف هجوم قصد هو اغلب منه والله اعلم بالصواب
وذهب الحارث المحاسبى الى الاحباط فى ما هو اهون منه قال اذا لم يرد الا مجرد السرور

باطلاع الناس يعني سرورا هو المحبة المنزلة والجاه قال وقد اختلف الناس
في هذا فصاروا فرقة الى انه محبط لانه قد نقض العزم الاول الى حمد المخلوقين
ولم يختم عمله بالاخلاص وانما يتم العمل بخاتمته ثم قال ولا اقطع عليه بالحبط وان
لم تزيد في العمل ولا آمن عليه وقد كنت اقف فيه لاختلاف الناس فالاغلب على
قلبي انه يحبط اذا اختتم عليه بالرياء ثم قال فان قيل فقد قال الحسن البصري انما
هما صورتان فان كانت الاولى لله لم يضره الثانية وقد روي ان رجلا قال
يا رسول الله السر عملي لا احب ان يطلع عليه فيسرني قال لك اجران اجر السر واجر
العلانية رواه البيهقي والترمذي وابن حبان من حديث ابي هريرة ثم تكلم
المحاسبي على الاثر والخبر فقال اما الحسن فانه اراد بقوله لا يضره اي لا يدع العمل
ولا يضره الخطرة وهو يريد الله ولم يقل اذا اعتقد الرياء بعد عقد الرياء بعد
عقد الاخلاص لم يضره واما الحديث فتكلم عليه بكلام طويل يرجع حاصله الى
ثلثة اوجه احدها انه يحتمل انه اراد بظهور عمله بعد الفراغ وليس في الحديث انه
قبل الفراغ وثانيها انه اراد ان يسر به لاقتداء الناس ونحوه من سرور محمود لا سرور
بحب الحمد والمنزلة بدليل انه جعل له اجرا ولا ذاهب من الامة الا ان للسرور
بالمحمدة اجرا وغايته انه يعفى عنه فكيف يكون للمخلص اجر وللمرائي اجران و
ثالثها انه قال اكثر من يروي هذا الحديث يرويه غير متصل الى ابي هريرة بل اكثرهم
يوقفه على ابي صالح السمان ومنهم من يرفعه فالحكم بالعمومات الواردة اولى وان
اتصل الرياء بالعقد اي بالتحريم وابتداء النية مجردا من قصد الثواب واتم
العمل حتى سلم عليه اي على الرياء المجرد عن قصد الثواب يعيد ذلك العمل اتفاقا
اي رد هو اثم اجماعا وان رجع المصلي عن الرياء الى الاخلاص وندم على ما قصد
قبل التمام اي تمام العمل فكذلك يعيد ذلك العمل اتفاقا لفقد الانعقاد على
الاخلاص وضعفا للقول اي والضعف قول القائل بوجوب اعادة الافعال
الصادرة عن الرياء لفسادها اي لبطلان تلك الافعال دون التحريمة اي
من غير وجوب اعادتها فهي اي التحريمة عقد له بثبوت واستقواه والرياء خطرة
لا يخرجها اي التحريمة عن الانعقاد والمعنى ان قوله المصلي اصلي لله تعالى عقد
نية على الاخلاص لله تعالى كالاقرار بالشهادة عقد ثابت والرياء خطرة لا تبطل
العقد كما ان اقرار المنافق بالشهادة لا يبطل نفاق بالجنان بل يثبت حكمه في الدنيا

فكذا هنا

فكذا فقوله فهي عقد الخ دليل وجوب الاعادة واما دليل القول الاول
والمضعف للثاني فقوله لان الافعال الفاسدة من الركوع والسجود اذا
لم تصح فهي زائدة اي في الصلوة فتبطلها اي تلك الافعال الصلوة وجوب
الاستغفار اي ولضعف القول بوجوب الاستغفار قلبا والاتمام اي بوجوب
اتمام العمل مخلصا اي مجردا عن الرياء لاعتبار الختم تعليل لوجوب الاستغفار و
الاتمام مخلصا اي لاعتبار خاتمة العمل كما لو ختم بالرياء وابتداء بالاخلاص
لكان يفسد عمله وكون العمل اي بكون العمل او ولاعتبار كون العمل لله تعالى لا
لغيره والا اي فلو لم يكن العمل خالصا له بان صلى لغيره لكفر كما كفر من يسجد للصنم
ونحوه وزوال عارض الرياء اي وبزواله او ولاعتبار زوال بالتوبة
لانه دليل لضعف وجوب الاستغفار والمعنى لان الرياء قادح في النية و
حالة الابتداء اي الاولى بالرعاية في الاخلاص من الحالة الثانية لان المدار
عليها في الافعال باقية فقد فات ذلك فيبطل العمل ويجب الاعادة وتوضيحه
ما في الاحياء من ان الرياء الذي يقارن حال العقد بان يبتدئ الصلوة
على قصد الرياء فان تم عليه حتى سلم فلا خلاف في انه يقضي صلوته ولا ندم
عليه في اثناء صلوته واستغفر ورجع قبل التمام فيما يلزمه ثلثة اوجه قالت
فرقة لم تنعقد صلوته مع قصد الرياء فليستانف وقالت فرقة يلزمه اعادة
الافعال كالركوع والسجود وتفسد افعاله دون تحريم الصلوة لان التحريم
عقد والرياء خاطر في قلبه لا يخرج التحريم عن كونه عقدا وقالت فرقة لا يلزم اعادة
الشيء بل يستغفر الله بقلبه ويتم العبادة على الاخلاص والنظر الى خاتم العبادة
كما لو ابتداها بالاخلاص وختمها بالرياء لكان يفسد عمله وقالوا ان الصلوة
والركوع والسجود لا يكون الا لله فان سجد لغير الله كان كافرا ولكنه اقترن به
عارض الرياء زال بالندم والتوبة وصار الى حالة لا يبالي بحمد الناس وذمهم
فتصح صلوته قال ومذهبا الفريقين الاخرين خارج عن قياس الفقه خصوصا
من قال تلزمه اعادة الركوع والسجود دون الافتتاح لان الركوع والسجود
اذا لم يصح صارت افعالا زائدة فيبطل الصلوة وكذا قول من يقول لو ختم بالاخلاص
صح نظرا الى الاخر فهو ايضا ضعيف لان الرياء يقدح في النية واولى
الاوقات بمراعاة احكام النية حالة الافتتاح فالذي يستقيم على قياس الفقه

هو ان يقال ان كان باعثه مجرد الرياء في ابتداء العقد دون طلب الثواب
وامتثال الامر لم ينعقد الافتتاح ولم يصح ما بعده وذلك فيمن اذا خلا بنفسه
لم يصل فهذه الصلوة لا نية فيها اذ النية عبارة عن اجابة باعث الدين وهنا
لا باعث ولا اجابة واما اذا كان بحيث لولا الناس ايضا لكان يصلي الا انه ظهر
له الرغبة في المحمدة ايضا فاجتمع الباعثان وهذا معنى قوله وان لم يجرده
الرياء من قصد الثواب ففي ما لا يقبل الفساد وهو العمل الذي ليس بذي اركان كالصدقة
والقراءة والحج والصوم يثاب على قصد الاخلاص حيث اطاع باجابة باعث
الثواب ويعاقب على قصد الرياء حيث باجابة باعث الرياء وعدل عن طريق
الصواب فورد في التنزيل فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ان يرى جزاءه في
الدنيا والاخرى الاية اي ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فله ثواب بقدر قصد
الصحيح وعليه عقاب بقدر قصده الفاسد ولا يحبط احدهما الاخرى وفي غيره
اي وفي غير ما لا يقبل الفساد وهو وفيما يقبل الفساد وهو عمل ذو اركان كا
الصلوة فانها تقبل الفساد وتتطرق خلل الى النية ففرق بين الفرض والنفل
حيث قيل لا يبطل النفل حتى يصح الاقتداء والمعنى ان حكمه اي حكم مضمونه
فقد عصى من وجه واطاع من وجه اذا اجتمع في قلبه باعثان ولا يمكن ان
يقال صلوته فاسدة والاقتداء باطل حتى ان من صلى التراويح وتبين من قرائن
حاله ان قصده الرياء باظهار حسن القراءة ولولا اجتماع الناس خلفه وخلا
في البيت وحده لما صلى لا يصح الاقتداء فان المصير الى هذا بعيد جدا بل يظن
بالمسلم انه يقصد الثواب ايضا بتطوعه فيصح باعتبار ذلك القصد صلوته
ويصح الاقتداء به ولا يسقط الفرض اذ لم يستقل قصد الثواب بان اقترن
به قصد اخر هو عاص به فاجتمع الباعثان وكان كل واحد لا يستقل ولا انما
يحصل الانبعاث بمجموعهما فهذا لا يسقط الواجب عنه لان الايجاب لم ينهض باعثا في
حقه بمجرده واستقلاله وان استقل اي قصد الثواب بمقتضى ظاهر كلام المصنف
والاظهر ان استقل كل من القصدين الباعثين حتى لو لم يكن باعث الرياء لادى
الفرض ولو لم يكن باعث الفرض لانشاء صلوة التطوع لاجل الرياء فوجهان
اي فيه احتمالان احدهما السقوط اي سقوط الفرض واعتباره للامتثال
بالنية المستقلة واقتران غيره به لا يمنع سقوط الفرض عنه كما لو صلى في دار

مغضوبة

مغضوبة وان كان عاصيا بايقاع الصلوة في الدار المغضوبة فانه مطيع بامتثال
الصلوة وتسقط للفرض عن نفسه وعدمه اي وثانيهما نفي سقوط الفرض لان لو
احب في تادية الفرض هو الخالص من الرياء لقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله
مخلصين له الدين وقد ثاب ذلك باتصال الرياء وان كان باعث الاخلاص مستقلا
تعارض الاحتمال في تعارض البواعث انما هو في اصل الصلوة وان كان اتصال الرياء
في المبادرة مثلا دون اصل الصلوة مثل من بادر بالصلوة في اول الوقت لحضور الجماعة
ليقولوا انه مبادر الى الخيرات ومسارع الى الطاعات والمبرات ولو خلا لاخر الى وسط
الوقت لحضور الجماعة او اخره ولولا الفرض لكان لا يبتدي صلوة لاجل الرياء فهذا مما
يقطع بصحة صلوته وسقوط الفرض عن ذمته ففيه قوة الفضيلة وهي تصحيح النية
في المبادرة والمعصية لقصد الرياء في المبادرة اما المغلوب من الرياء الغير المؤثر اي
اي اذا بلغ اثر الى حيث يؤثره في العمل كالذي لم يحمل على تطويل الصلوة مثلا ويحمل الرغبة
باطلاع الغير فالغالب من جهة الظن فيه اي في ذلك الرياء المغلوب الغير المؤثر الجواز
اي صحة العمل لعدم اعتبار غير المؤثر دفعا للحرج واحتمال ان الواجب على العبد هو
الخالص من العمل عن الرياء والمختلط بالرياء غير مؤدة اي غير معتبر اداؤه حق الاداء ومن
ثم توقف الحارث المحاسبي ما ثره الى الفساد اي فساد العمل بالرياء غير المغلوب كما قدمناه
وقيل بالفساد باقل خطره فيما كان من اركان العمل مطلقا اي سواء بلغ اثره الى
حيث يؤثره في العمل ام لا وقيل مطلقا اي رياء كان او غيره حرصا لطلب الرتب في تصفية
القلب عما عداه سبحانه خالص العبادة وهو مذهب الثوري والجنيد والمسئلة اي مسئلة
الرياء غامضة اي مشكلة من حيث ان الفقهاء لم يتعرضوا لها في الفقه والذين خاضوا
فيها وتصرفوا من ارباب التصوف لم يحافظوا قوانين الفقه من صحة الصلوة وفسادها بل
حملهم الحرص على تصفية القلوب ومرادها وطلب الاخلاص على افساد العبادات بادنا الخواطر
والارادات والعلم عنده تعالى في جميع الحالات والمقامات ومما يؤيد القول بابطال الرياء جميع
الطاعات الطلاق قوله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذي ينفق
ماله رياء الناس الاية ورواية ابي داود من حديث ابي هريرة ان رجلا قال يا رسول الله رجل
يبتغي الجهاد في سبيل الله وهو يبتغي عرضا من عرض الدنيا فقال عليه السلام لا اجر له وللنسائي من
حديث ابي امامة باسناد حسن ارايت رجلا غزا يلتمس الاجر والذكر ماله فقال لا شيء له
فاعادها ثلث مرات يقول لا شيء له ثم قال ان الله تعالى لا يقبل من العمل الا ما كان خالصا

وابتغى به وجهه نعم قد يقال الحكم للاغلب والله تعالى اعلم والعلاج اى دواء داء
الرياء اربعة قلع حب الجاه والمدح الا الذين هما سببه وكراهة الذم والطمع مما
في ايدي الناس اى وقلع كراهتهما بما سبق ذكره من الاشياء ومما يشهد للرياء بهذه
الاسباب وانها الباعثة للرائى ما روى ابو موسى ان اعرابيا سائل النبي عم فقال
يا رسول الله الرجل يقاتل حمية ومعناه انه يانف ان يقهر او يذم بانه مقهور ومقهور
قال والرجل يقاتل ليرى مكانه وهذا هو طلب لذة الجاه قال والرجل يقاتل للذكر
وهذا هو طلب الحمد بالثناء فقال عم من قاتل ليكون كلمة الله هي العليا متفق عليه
وعنه عم من غزا لا يبغي الا عقالا فله ما نوى رواه النسائي وهذا اشارة الى الطمع
واخفاء العمل متكلفا اى مجتهدا مبالغا فيه بان يعود نفسه اخفاء العبادات
كما يخفى السيئات وذكر فوايد الاخلاص وافات الرياء على ما تقدم والحاصل ان
قوة المعرفة بحسب قوة الايمان ونوران يقال وضعف المعرفة بسبب حب الدنيا وحب
الغفلة ونسيان العقبى وقلة التفكر فيما عند المولى من الدرجات وعدم التامل
في افات الدنيا وعظيم نعيم الاخرى والحاصل ذلك حب الدنيا وغلبة الشهوات فهو
راس كل خطيئة ومنبع السيئات فاذن حلاوة الحب الجاه والمنزلة ونعيم الدنيا الفانية
هي التي تعمي القلوب وتميله عن الرب وتحول بينه وبين التفكر في العاقبة الباقية والا
ستبصار بنور الكتاب والسنة الثابتة وانوار العلوم النافعة واراد الاعمال الرافعة
فما اقبح من لا يكتفي بنظره تعالى على شان من العمل المعيوب عنده وهو تعالى مع جلاله اى جلالة قدره
وعظمة شانه يكتفي بنظره عبده وتامله في خلق سماواته وارضه ونزول امره فورد في التنزيل
الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا ان الله على كل
شيء قدير الاية اى وان الله قد احاط بكل شيء علما ومن اى وما اقبح من باع عمله بخسيس
فانه فاعرض عن بيعه بثواب الدارين من نفيس باق ليس له ثان فورد في التنزيل من كان
يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والاخرة اى فليطلبهما من عنده فانه لا يوجد منهما عند
غيره وذكر ما ورد فيه اى في الاخلاص من الفضيلة وفي ذم الرياء من الرذيلة ويكفي في
ذلك قوله سبحانه فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والا
خبار في هذا الباب كثيرة والاثار شهيرة ويجد الفرحة بالظهور اى بسبب ظهور الطاعة من
غير قصد في اظهارها على حسن لطفه اى شكرا باخفاء الذنوب اى ستر السيئات واظهار
الطاعات فورد في التنزيل قل بفضل الله وبرحمته من الايمان والقران فبذلك فليفرحوا

اى لا يفرح ما ذكر

لا يفرح ما ذكر هو خير مما يجمعون من حطام الدنيا الفانية وفي الدعاء يا من اظهر الجميل وستر
القبيح او دلالته اى او يجد الفرحة بالظهور على دلالة انه تعالى يفعل كذلك من اظهار
الحسنات وستر السيئات في الاخرة اى اخر الحالات فورد في صحيح مسلم من حديث ابي هريرة
ما ستر الله على عبد في الدنيا الا وستر عليه في الاخرة وفي معناه انشد واشعر لقد
احسن الله فيما مضى ○ كذلك يحسن فيما بقي ○ فيكون الاول فرحا بالقبول في الحال من غير
ملاحظة للاستقبال والثاني التفات الى الحال المال وحسن المنال او انه اى يجد
بالفرحة او بالظهور على ان من ظهر عمله يقتدى به فيضاعف الاجر بسبب ظهوره او
يجد الفرحة على المطلعين على عمله يثابون بمحبته صاحب العمل لله والثناء عليه في
مقام رضاه فيعم الجزاء فضل الاعمال الحب في الله ويعرف الاجر وهو صدقة دعوى
فرحة باثابة الناس وفرحه باقتدائهم في عمله بل تسوية مدحه ومدح صالح
غيره فانه دليل على ان فرحه محمود لا مذموم مردود ومنه اى من الفرح المحمود
ما ورد ذلك اجران السر واجر العلانية فمن قال على طريق السؤال اخفي العمل خوفا
من الرياء فاذا ظهر افرح بظهوره والثناء فللبيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود ان
رجلا قال اسر العمل لا احب ان يطلع عليه فيسرني فقال عم لك اجران اجر السر واجر
العلانية ورواه الترمذي وابن حبان من رواية ابي هريرة ولفظه قال قلت يا رسول
الله بينا انا في بيتي في مصلي اذ دخل على رجل فاعجبني الحال التي راني عليها فقال عم رحمك
الله يا ابا هريرة لك اجران اجر السر واجر العلانية والحديث في المشكوة والاظهار
اى ويجد اظهار العمل للمقتدى اى لمن يقتدى غيره فيه فورد في صحيح مسلم عن جرير بن
عبد الله البجلي من سن سنة حسنة اى فعل بها كان روايته فله اجرها واجر من عمل بها
من عمل بها الى يوم القيمة وسبب ورود ان انصاريا جاء بصرة فتتابع الناس بالعطية
لما رواه وللبيهقي من حديث ابن عمر عمل السر افضل من عمل العلانية افضل لمن اراد
الاقتداء وله من حديث ابي الدرداء ان عمل السر يضاعف على عمل العلانية سبعين
ضعفا وله من حديث عايشة يفضل او يضاعف الذكر الخفي الذي لا يسمعه الا الحفظة
على الذي يسمعه سبعين ضعفا وبه اى وبالاظهار من الانبياء عليهم السلام و
يفهم منه انه يحسن الاظهار بشرط ان يكون المظهر ممن يقتدى به من العلماء والصلحاء
ليتم فائدة الاظهار الذي دون الاسرار قال الحسن قد علم المسلمون ان السر احرز
العملين ولكن في اظهاره ايضا قد يكون فائدة فلذا اثنى الله على السر والعلانية فقال

تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم قلت
وقد قال ايضا الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم
عند ربهم الاية قال علي رض تصدقت بدرهم في ليل وآخر في نهار ودرهم سرا وآخر
علانية عملا بالاية وتمامها علانية ويبالغ اي بشرط ان يبالغ في الاحتراز عن الرياء
ليصل الى مقام اهل الاختصاص من الاخلاص فرب ما يكون فيه رياء في غاية خفاء فيد
عوه الى الاظهار بعد اقتداء فيهلك هنالك وهو لا يشعر بذلك ويعرف احترازه او
يعرف المظهر للترغيب دون الرياء بانه لو قدر اي فرض اقتداء الناس بغيره من العلماء
في عمله وعرفانه اي وقد رضي وفرح هذا المظهر باستواء اجره السر والعلانية
فضلا عن كون عمل السر افضل لما رغب المظهر فيه اي في اظهار عمله لان غرضه حصل
من عمل غيره فمهما وجد الثقل في نفسه او رغبة في اظهار العمل مع وجود اظهاره
من الغير فهو كاذب في دعواه طالب لمقتضى هواه والذكر اي ويجد ذكر العمل بعده اي
بعد الفراغ العمل ليقتدي به كقول عثمان ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني منذ
بايعت بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا في الاحياء ولابي يعلى الموصلي في معجمه من رواية
انس عنه في اثنا حديث وان عثمان قال يا رسول الله فذكر بلفظ بايعتك قال
هو ذلك يا عثمان او يحدثنا بنعمة ربه وهو اي الذكر انما جاز لمن قوي باطنه في المعرفة
بعدم الالتفات الى سوى الله وتم اخلاص عن الرياء وخطره اي خطر الذكر بعد العمل
اصعب من خطر الظهور لخفة المؤنة اي المكلفة في ذكره بعض الكلمة وبزيادة المبا
لغة اي وللزيادة فيها في ذكر العمل بان يقول ما نمت البارحة مع انه لا يخرج من نوع من
النوم ولو بالنعاس ولذة النفس في اظهار الدعاوى واخف اي اهون على المظهر
في التاثير وان يطرق في الذكر بعد العمل لان اللاحق من ذكر العمل لا يبطل السابق
من نفس العمل مع الاخلاص وكتمان المعاصي اي ويجد كتمان الذنوب وكراهة اطلاع
الناس على العيوب لا اي لا يجد لان يعتقد فيه اي في الكاتم الورع رياء بل يجده
لثمانية اشياء للتحامي عن الهتك اي للمحافظة على هتك ستره وطمع راحم من ذنبه
خوفا من سقوط وقع المعاصي عن النفس وجراءتها عليها فان النفس متى الفت ظهور
الذنوب زاد انهماكها واسترسلت في شهواتها بارتكابها وما بالت بعدم اجتنابها
فه اي في الهتك في الدنيا خوفه اي خوف العبد او خوف الهتك في الاخرة اي في الحجة بالكلية
الاخرة عكس ما تقدم في قوله سوى قد احسن الله فيما مضى كذلك يحسن الله فيما بقي اولان

الستر

الستر اي كتمان المعاصي ما صورته اي في باب استحبابه فورد في حديث من ستر الله
عليه في الدنيا ستر الله عليه في الاخرة باعتبار مفهومه وكذا من ارتكب شيئا
من هذه القاذورات اي السيئات فليستتر بستر الله تعالى عليه رواه الحاكم
ويعرف صحته هذا المقام بكراهة ظهورها اي المعاصي من الغير ففي الخبر لا يؤمن احدكم
حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه او ليتالم بالذم اي بذم الناس فان الذم مولم
للقلب وتالم القلب بالذنب ليس بحرام ولا الانسان بعاص فهو اي التالم مباح لكونه
جبليا كما ان الضرب يولم الجوارح بالطبع فتالم القلب بالذم ربما يصير نافعا
من الخشوع والخضوع في العبادة بفوات عقله بسبب التفصيل لكن ينبغي عن تالم
والترك اي ترك التالم كمال فان كمال الصدق في ان يزول عنه رؤية الخلق فيستوي
عنده ذامه ومادحه لعلمه ان الضار والنافع هو الله تعالى وان العباد
كلهم عاجزون مقهورون تحت قدره وقضاه فللترمذي من حديث البراء
وحسنه بالفظ فقال ان حمدي زين وان ذمي شين فقال كذبت ذاك الله و
لاحمد من حديث الاقرع بن حابس وهو قائل ذلك دون قوله كذبت ورجاله
ثقات اولان الناس شهداء اي شهداء الله تعالى كما قيل السنة الخلق اقلام الحق
فورد في مسند احمد والصحيحين والنسائي عن انس من اثنيتم ايها الصحابة ايها
الامة عليه خيرا وجبت له الجنة ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له النار وانتم شهداء
في الارض ثلثا اي قاله ثلث مرات وهو المستفاد من قوله تعالى وكذلك جعلناكم
امة وسطا اي عدلا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ولان
الذام يصير عاصيا اي بسبب ذمته ولو بالعاصي او يتجاوزه عن الحد في الذم فيذم
بالبس فيه ويعرف تصحيح هذا المقام او يعرف هذا الكتمان بتسوية ذمه غيره حتى
كما يتالم بذمه كذلك يتالم بذم غيره والفرق بين هذا التالم والذي قبله ان هذا
يوجد في الانسان اذا ظهرت المعصية عن غيره ايضا كما يوجد اذا ظهرت منه والذي
قبله انما يوجد في الشخص اذا ظهرت منه المعصية دون غيره او الحق ان يقصد ستره
من محتسب وغيره وهذا وراء الم الذم مذموم من حيث يشعر القلب بنقصانه و
ان كان ممن يؤمن شره وهذا يخاف شر من يطلع على ذنبه فيتغير عليه من جهة قلبه او
للحيا فهو من كرم الطبع ولا يلزم منه الرياء وورد الحياء خير كله مسلم من حديث
عمران بن حصين الحياء شعبة من الايمان متفق عليه من حديث ابي هريرة وفي البخ

المخبر الحياء لا ياتي الا بخير متفق عليه من حديث عمران بن حصين ويعرف الكتمان
للحياء بعدم الكتمان فيمن لا يحتشي منه كالاجانب بخلاف باقي الاسبا فان اصنا
حينها يجب الكتمان في اجانب والاقارب اولا ان لا يقتدي به لغير في معصيته فينبغي
ان يخفي العاصي معصية من ولده وعبده ايضا وحب اي ويجد بحيث محبته الناس
كالظان يقال محبة الناس ليكون اضافة المصدر الى فاعله والمفعول محذوف
اي اياه لكنه قلب الكلام وقال المحبة بالاضافة الى المفعول به الناس فاعله
لان يعلم منه اي موجب الناس له محبة تعالى اياه فمن احبه تعالى جعله محبوبا في
في قلوبهم اي قلوب الخلق اجمعهم لقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات
سيجعل لهم الرحمن ودا ولقوله عم اذا احب الله عبدا دعا جبرائيل فقال اني احب
فلانا فاحبه فيحبه جبريل ثم ينادي في السماء فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه
فيحبه اهل السماء ثم يوضع له القبول في الارض الحديث رواه مسلم عن
ابي هريرة ثم الطاعة التي لا يتلذذ به العامة كالصلوة والصوم والصدقة
يترك بمحض الغفران هجم الريا مجردا عن باعث اخر وعن الاخلاص في الشروع
اي في ابتداء شروعه في العمل حتى ان دفع الريا الى ان يندفع الريا ويطرح
باعث الاخلاص ويشرع في العمل مجاهدا لنفسه في دفع الرياء ويحصل الا
خلاص بالمعالجة والواو اذ هجم باعثان في وقت الشروع ويتم اي يجاهد
كذلك اي كما اتم في هجومه باعثين ان هجم باعث الريا بعده اي بعد الشروع
ولا يترك اي الشروع في العمل مع هجوم الرياء لوجهين لانه موافقة الشيطان
فانه يحب ترك العمل من اصله فانه يدعوك اولا ترك فاذا يحبه واستقلت با
العمل فيدعوك الرياء فاذا لم تجبه دفعته يقول لك هذا العمل ليس بخالص
وانت مراء وتعبك ضايع فاي فائدة لك في العمل الذي لا اخلاص فيه حتى
يميلك على ترك العمل لخوفه فاذا تركته فقد حصلت اغرضه بل يجب عليه ح ان
يعمل العمل ويطلب الاخلاص من الله تعالى فان الريا قنطرة الاخلاص ولانه
باخفائها اي الطاعة ليعلم اخلاصه رياء والاحترازاي ولان الاحتراز عن
النسبة الى الريا كما قال الفضيل العمل لغير الله شرك وترك العمل وترك العمل لاجل
الخلق ريا والاخلاص ان يخلصك الله منهما وترك النخعي التلاوة لدخول شخص
لم يكن لمجرد اخفاء الطاعة بل لما علم انه يحتاج اليه بالاستقبال به فبادر الى

ترك

الى ترك التلاوة قبل دخوله لكونه اي التبادر ابعد من الرياء فراي ذعدم رياه
في القران ابعد من الريا وهو عازم على الترك للاشتغال به حتى يعود اليها بعد ذلك
والحاصل ان تركه لم يكن لهجوم الباعثين عند الشروع او هجوم باعث الرياء بعد الشروع
وان زاد اي المصلي مثلا على المعتاد في ورده كمية او كيفية لحدوث النشاط في العبادة
عند رؤيته متعبدا اخر فان للصحبة تاثيرا بليغا ولذا شرع الجمعة والجماعة فان
كان ما زاد على المعتاد غبطة في العبادة غبطة لزوال الغفلة والكسل لمشاهدة
اي المتعبد فيفعل الزيادة على العبادة وان ظن انه رياء وافقا وسوسة انه رياء بخلاف
ما اذا كان نشاطا لاستمالة قلبه اي قلب المتعبد الاخر فلا يفعل الزيادة لانه رياء
محض لا ثواب له بل عتاب عليه ويعرف هذا المقام وهو النشاط لاجل الغبطة بانه
اي بان العابد الذي يزيد على المعتاد غبطة الو رأى النشط المتعبد بحيث لم يره
المتعبد النشط عند العابد فيه اي في العمل الزائد فانه ح يقصد وانه مخلص وباعث
الزيادة حصول الغبطة اما ما يلتذ به العامة من الطاعة فالاعلى الخلافة اي الامامة
الكبرى فورد في الطبراني والبيهقي من حديث ابن عباس ليوم من امام عادل خير من
عبادة الرجل وحده ستين سنة وفي رواية عاما وللاصبهاني في الترغيب والترهيب
من حديث ابي سعيد بن الخدري اقرب الناس مني مجلسا يوم القيمة امام عادل وخطرها
اي افة الخلافة اعظم لتحريكها اي الخلافة الباطن في الجاه وهو اعظم بلاء الدنيا فلا
حمد والبزار وابي يعلى والطبراني من حديث ابي هريرة ما من والي عشرة الا جاء يوم القيمة
يده مغلولة الى عنقه لا يفكها الا اذا اغرله وفي الصحيحين من حديث معقل بن يسار
من عبد يسترعيه الله رعيته لم يحطها بنصيحة الا لم يرح رائحة الجنة وعن الحسن
ان رجلا ولاه النبي عم فقال يا رسول الله قال اجلس رواه الطبراني ورواه
ايضا من حديث ابن عمر بلفظ بليك وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن سمرة لا تسال
الامارة وللبخاري من حديث ابي هريرة انكم تحرصون على الامارة وانها حسرة يوم القيمة
وندامة فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة ورواه ابن حبان فبئست المرضعة وفيهما من حديث
ابي موسى انا لا نولي امرنا من سالنا ولا قضاء اي ولا يضاد الخلافة ايرادها الى ادرك
الذنب كمن واي لزيادة الجاه فان كلما نما جاهه وغلب على النفس حبه صارت الولاية محبوبة
فيحتاج الى حفظها ويوشك ان يتبع هواه فيمتنع من كل ما يقدح في جاهه وان كان حقا
ومن ثم احترز عنها اي عن الخلافة الا نقياء من اكابر الامة لكن لا بد لاحد ان يقوم

بامرها فيحترز عنها الضعيف اى العاجز عن السياسة دون القوى القادر على
الرياسة لعدم تأثيرها اى تأثير الخلافة او محبة الجاه فيه اى في القوى لا
على القوى اى خاف الانقلاب عن حالة القوة الى حالة الضعف عند التقليد اى عند
قبول الخلافة ما قدمنا من الخطر والافة فالصحيح اى الاحوط فيه اى في هذا الحال
من خوف الانقلاب الاحتراز اذ النفس خداعة تحلق عليها عند الجزم عزمها و
جزمها بالثبات فيتعد الخوف من عدم الثبات اولى ان يخاف عليها والامتناع عن المنصب
اهون من العزل كما هو المشاهد في اهل العزل ويشير اليه ما في حديث البخاري
نعمت المرضعة وبئست الفاطمة ثم القضاء وخطره ايضا ادنى من خطر الخلافة ولمسلم
من حديث ابي ذر لا تأمرن على اثنين ولا تلين مال يتيم ولاصحاب السنن من حديث
بريدة القضاة ثلثة اثنان في النار وواحد في الجنة رجل علم الحق فقضى به
فهو في الجنة ورجل قضى للناس على جهل فهو في النار ورجل عرف الحق
فجار في الحكم فهو في النار ولهم من حديث ابي هريرة من جعل قاضيا فقد ذبح بغير
سكين وفي رواية من ولي القضاء واسناده صحيح ثم الوعظ للناس والدرس
المطالبة والفتوى لارباب الحاجة في الفضل لانها عبادات متعدية والخطر
لاتساع الجاه فيها وعظم القدر بها فخطرها فيها اعظم بقدرها واشتراط الثقة
بان يجوز التعليم خالصا لوجه الله الكريم ومدافعة السلف مبتداء فيها اى في
المذكورات مشهودة قال بعضهم كان السلف يتدافعون اربعة اشياء الامامة
والوديعة والوصية والفتوى ويعرف القوة في كل منهم بعدم كراهة من هو اخر
احسن منه علما وعملا بتقلده اى بالقيام في امره فان عدم القوى في مقام
التقوى الكامل في العلم بالفتوى بتعين اقوى الناس مجتهدا اى حال كونه مبالغا
في الاحتراز عن افاته اى افات ما ذكر الخلافة وغيرها في جميع حالاته ومقاماته
وبالجملة ما يتعلق بالخلق من الطاعة وللنفس فيه لذة فهو مثار الافات ومنبع
البليات فالاحب للتقوى اذ يدفع الافات بالعلم فان عجز فليتطلع وليجتهد و
ليستفت قلبه وليحذر ربه وليزن ما فيه من الخير بما فيه من الشر وليفعل ما يدل
عليه نور العلم بالشرع دون الميل اليه بالطبع ثم ما يجده اخف على قلبه واهون
اليه يكون في الاكثر اضر عليه لان النفس لا تشير الا بالشر محض الخير وهذه امور لا
يمكن الحكم على تفاصيلها بنفي واثبات تنظر الى تفاصيلها بل هي موكولة الى اجتهاد

العبد

العبد المستحوذ بذكر الرب لينظر فيه لدينه ويحقق يقينه ويدع ما يريبه الى ما
لا يريبه ومن جرب افات مناصب العلم وما يترتب عليها من الحرام والشبه علم انها بالولا
ية والحكومات اشبه وان اخذ منها في حق الضعيف اسلم والله سبحانه اعلم

الباب الرابع عشر في التفويض وقصر الامل وذكر الموت والانتباه اى يقظة من نوم
الغفلة بالتوبة والاستقامة بسم الله الرحمن الرحيم وافوض الله الكريم الخطر وهو
الاشراف على الهلاك ان لم يكن مقرونا بالعذر وفي القدر خطران اى نوعان
احدهما خطر الفساد بان لا يستيقن فيه الصلاح فيحتاج فيه الى التفويض الى التسليم
الى امر الله وما قدره وقضاه فيه اراد من الصلاح والفساد فان المراد
للعباد ثلثة مراد يعلم يقينا انه شر وفساد كالنار والعذاب والحجاب وفي الافعال
كالكفر والبدعة والمعصية فلا سبيل الى ارادة ذلك ومراد يعلم قطعا انه خير
وصلاح كالجنة والايمان والطاعة والسنة فلذلك اراده بها بالحكم لا موضع
في التفويض فيه اذ لا خطر فيه ومراد لا تعلم يقينا ان ذلك فيه صلاحا ام
فسادا فهذا موضع للتفويض فليس لك ان تريدها قطعا الا مستثنى او بشرط
الخير والصلاح فان قيدت ارادتك بالاستثناء فهو تفويض وان اردت
دون الاستثناء فهو مذموم ومنهي عنه فموضع التفويض اذا كل مراد فيه
خطر وهو ان لا يتيقن صلاحك فيه وهو اى التفويض ارادة حفظ تعالى
للمفوض فيما اى في عمل الامن فيه عن الفساد وقال بعض المشايخ هو ترك اختيار
ما فيه مخاطرة الى المختار المدبر العالم بمصالح العباد من الصلاح والفساد
وعبارة الشيخ المسبحي هو ترك اختيار المخاطرة على المختار ليختار لك ما هو
خير لك ويؤيد كلام الامام الشاذلي لا تختر فان تختر فاختر ان تريد يختار ما يشاء
ويختار ومن هنا لما قيل لابي يزيد ما تريد قال اريد ان لا اريد وقال الشيخ ابو عمر
هو ترك الطمع اى عن الحق والطمع ارادة الشيء المخاطر بالحكم وعن الشاذلي قطع
طمعك عن الله تعالى ان يعطيك غير ما قسم لك فهذه عبارات القوم وما ذكره المص
هو اختيار الامام الغزالي بعينه وهو ان التفويض ارادة ان يحفظ الله
عليك مصالحك فيما لا تأمن الخطر فيه لا لاجلك قيل هو اى العمل الذي لا امن فيه من
الفساد وما يكون دونه نجاة فالايمان ليس بغيره نجاة وكذا الواجبات المحرمات
ويمكن ان يجامعه ذنب فالاستقامة التي هي حمل النفس على طريق السلامة من اخلاق

القرآن والسنة من غير الشك والشبهة لا يجامعهما اذ بناء السنة لا يجامعها بدعة
لان البدعة المذمومة هي التي تزاحم السنة الكريمة فيختص التفويض بالنوافل والمباحات
والمحرمات والمكروهات والمراد بالعمل الذي لا من فيه من الفساد وما اي عمل يكن يفترض
عليه اي يتطوع ويحرث على شروعه مما يكون الاشتغال به اولى فيعم الفرض اي ونحوه
وكره المشايخ واختار الامام في منهاج العابدين ان الفرض ليس موضع التفويض
وبه قال القشيري حيث قال في هذه المسئلة ان الذي افترض الله عز وجل على عبده
من الصلوة والصيام والحج ونحوها ففيها صلاح العبد لا محالة وصحت ارادتها بالحكم
البتة انتهى وقال بعضهم ان الله عز وجل لا يأمر العبد بشيء الا وفيه صلاح اذا تجرد
عن العوارض ولا يضيق عليه فعلا فرضا بحيث لا يعدو عن ذلك الا وفيه صلاح له
وانه ربما يتسبب عن ذلك لاجله يكون العدول عن احد الفرايض اولى من الاشتغال
بالافرض فيكون العبد في ذلك معذورا بل مجبورا لكن لا يترك هذا الفرض بل يفعل الفرض
الذي هو اولى لان من قصد اداء صلوة ضاق وقتها وعنده غريق او حريق او
اعمى او صغير يريد ان يرمى في بئر يمكن انقاذه اي تخليصه بترك اداء الصلوة او
بقطعها وتأخيرها فهو اولى من ادائها او اتمامها لان ذلك هو فرض الوقت الذي
يوجب تركه المضي ولا بد منه اي من التفويض لا مرين لاطمينان القلب في الحال
فان الامور اذا كانت خطرة مبهمة لا يدري صلاحها من فسادها فيكون مضطرب
القلب متردد النفس في مرادها لا يدري بقطع في صلاح او فساد امنا من الخطر
والآفة والمخافة مطمئن البال في الحال وهذه الطمانينة والامن من الراحة في القلب
غنيمة عظيمة في المنال وكان يكون بعض المشايخ في مجالسه كثيرا ما يدع التدبير الى
من خلقك تسترح وحصول الصلاح في المآل فكم من شر في طيه تهدد قلب
متجاهل بالعواقب واسرار المراتب واما اذا افوضت الامر اليه وتوكلت عليه وسلمت
نفسك لربه وسألته ان يختار لك ما هو صالح فلو يفعل رب العباد في المفوض
اي في امر المفوض لمراد الفساد بل لم يلق الا الخير والرشاد ولا يطع الصلاح و
السداد ورد في التنزيل حكاية عن مؤمن آل فرعون وافوض امري الى الله الآية
ان الله بصير بالعباد فوقيه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب
فالمرجو هو المتيقن الصلاح واما الاصلح للعبد فربما لا يفعل الله في المفوض حتى
نام عم مع اصحابه الكرام عن صلوة الفجر حين عرس عم وقد تحرى في حال سيرهم والحديث

اي الخير والنفع في الاستقبال وذلك لان الامور بالعواقب مبهمة فكم من شر سورة خير وكم من نفع صحيح

في الصحيحين بطوله قوله اي وللمفوض اختيار الافضل اي في طلبه من الله
بغير الاستثناء منه وهو لا يقدح في التفويض الذي هو كمال تسليمه كقبول المريض
المفوض للطبيب الذي بمنزلة المجيب اجعل دواني ماء السكر لا ماء الشعير اذا كان العلاج
فيهما بحسب التدبير مع الرضاء بالمفضول وهو ماء الشعير ان اختار اي اختار الطبيب
المفضول له للمريض بحسب التقدير وانما قيد بكونه مع الرضاء لانه لو لم يرض به
لكان المفضول مكروها وكان الافضل هو الفاضل بخلاف الاصلح فهو مجهول اي
لا يقدر فاحد من العباد جهة الصلاح وجهة الفساد فيختار الاصلح فيما اراد
وتوضيحه ما في الاحياء فان قيل هل يجب ان يفعل بالمفوض ما هو الافضل فاعلم
ان الايجاب مستحيل في حق الله تعالى ولا يجب لعباده عليه شيء وقد يفعل بالعبد الا
صلح دون الافضل لحكمة في فعله الا ترى انه قدر للنبي عم واصحابه ان ناموا طول
الليل في بعض كان النوم افضل باعتبار الطبع ويقدر له الاشتغال بالاولاد
والازواج واذا كان التجرد لعبادة الله افضل فانه بعباده خبير بصير فالحق
للعبد النجاة من الهلاك لا الفضل والشرف مع الفساد والاهلاك فان قيل فلما
ذا كان للعبد ان يختار الافضل وليس له ان يختار الاصلح فاعلم ان الفرق بينهما ان
العبد يعرف الافضل من المفضول ولا يعرف الصلاح من الفساد ليريده بالحكم ثم
معنى اختياره الافضل ان يريد من الله ان يجعل صلاحه فيما هو الافضل ويختار
له ذلك ويقدره هنالك لان للعبد تحكما في شيء لقوله تعالى ليس لك من الامر شيء
هذه جملة من دقائق العلم واسراره وحقايقه وانواره ولولا ان الحاجة مست
اليه لما تعرضنا بالايراد عليه لانه يلاحظ بحار علوم المكاشفة ونحن في ساحل علوم
المعاملة وضده اي ضد التفويض الطمع من الحق بمعنى الرجاء وهو اي الطمع
محمود ان قيد بشرط الصلاح فيما الامن فيه عن الفساد او باين اي ان فارق
المطموع الخطر اي خطر الفساد فورد في التنزيل حكاية عن ابراهيم والذي اطمع
اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين وعن السحرة انا نطمع ان يغفر لنا خطايانا ان
كنا اول المؤمنين وكذا قوله تعالى حكاية عن المؤمنين وما لنا لا نؤمن بالله وما
جاءنا من الحق ونطمع ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فالطمع الوارد في
هذه الآيات مثل باين الخطر والا فمذموم اي وان لم يقيد بشرط الصلاح او لم
يباين الخطر فالطمع مذموم في الجملة ايا كم والطمع فانه فقر حاضر وقيل صلاح الدين

الورع وضداده الطمع فهو اى الطمع المذموم سكون القلب الى منفعة مشكوكة
وقيل هو ارادة الشئ الخاطر بالحكم وهذه الارادة تقابل التفويض لا غير فاعلم
ذلك واما محض التفويض فهو ذكر الخطر الامور وامكان الهلاك والفساد فيها
حصن حصنه ذكر عجزك عن الاعتصام عن ضروب الخطر والامتناع من الوقوع فيها
لجهلك وغفلتك وضعفك فالمواظبة على هذا الذكر ان يحملك على تفويض الامور كلها
الى الله تعالى والتحفظ عن الحكم فيها والامتناع عن ارادتها الا بشرط اصلاحها وهذه
غاية التحقيق والله ولى التوفيق وخطر عدم الكون بالرفع عطف على قوله فى اول
الباب خطر الفساد اى الخطر خطران خطر الفساد وخطر عدم الكون اى عدم وجود
الامر ويحتاج فيه اى فى خطر عدم الكون الى قصر الامل اى وتقريب الاجل وتكثير
العمل وهو اى قصر الامل ان لا يشك فى كونه اى وجوده بالاستثناء بذكر المشية
اى تعقيبه ان شاء الله تعالى كما قال تعالى ولا تقولن لشئ انى فاعل ذلك غدا الا ان يشاء
الله او العلم او يذكر علم الله فيقول ان علم الله انى افعل ذلك الفعل فافعل قلبا اى
يكفى فى الذكر والعلم خطوره القلب وحضور الجنان ولا يلزم منها النطق باللسان فى
عالم البيان فورد فى قصر الامل خطابا لابن عمر اذا اصبحت فلا تحدث بالمساء اى باراده
فاذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح وتمامه وخذ من حيوتك لموتك ومن
صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدرى ما اسمك غدا وصدر الحديث كن فى الدنيا
كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك من اصحاب القبور رواه ابن حبان ورواه البخارى
من قول ابن عمر لابن ابى الدنيا من حديث على مرفوعا قال ان اشد ما اخوف عليكم خصلتين
اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يعدل عن الحق واما طول الامل
فانه يورث الحب للدنيا ثم قال الا ان الله يعطى الدنيا من يحب ويبغض واذا
احب عبدا اعطاه الايمان الا ان للدنيا ابناء وللدين ابناء فكونوا ابناء الدين
ولا تكونوا ابناء الدنيا الا ان الدنيا قد ارتحلت مولية الا ان الاخرة قد اظلت مقبلة
الا وانكم فى يوم عمل ليس فيه حساب الا وانكم يوشكون ان يكونوا فى يوم حساب ليس
فيه عمل والامل اى وضد التفويض الامل ايضا هو الارادة اى ارادة امر شئ
فى كونه بالحكم اى بالقطع لا بالاستثناء وقيد المشية وفيه اى فى الامل التفاوت
من الامل البقاء ابدا كالكفار من الدهرية والى الالف كما قال تعالى ومن الذين اشركوا
يود احدهم لو يعمر الف سنة وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة قلب الشيخ شاب على حب

اثنين

اثنين طول الحيوة وحب المال او الهرم اى الكبر وهو حال الاكثر لسنة وهو قريب الى
السنة فانه عم كان يدخر لعياله قوت سنة لكفاية حالهم من ماله والفضل من
الفصول الاربعة والشهور فلابن ابى الدنيا والطبرانى وابى نعيم والبيهقى عن ابى سعيد
اشترى اسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار الى شهر فسمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول الا تعجبون من اسامة اشترى الى شهر ان اسامة لطويل
الامل والذى نفسى بيده ما طرفت عيناى الا ظننت لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى
ولا رفعت طرفى وظننت انى واضعه حتى اقبض ولا لقمت لقمة الا ظننت انى لا اسيغها
حتى اغص بها من الموت ثم قال يا بنى ادم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم
من الموتى والذى نفسى بيده انما توعدون لات وما انتم بمعجزين ولابن المبارك
وابن ابى الدنيا والبزار من حديث ابن عباس كان يخرج عم يريق الماء فيمسح
بالتراب فاقول الماء منك قريب فيقول ما يدرينى لعلى لا ابلغه وكان عم يقول
فى دعائه اللهم انى اسئلك اعوذ بك من دنيا تمنع خير الاخرة واعوذ بك من حيوة
تمنع خير الممات واعوذ بك من امل يمنع خير العمل ابن ابى الدنيا من رواية حوشب
وقال مطرف بن عبد الله لو علمت متى اجلى لخشيت على ذهاب عقلى ولكن الله تعالى من
على عباده بالغفلة عن الموت ولولا الغفلة ما تهنوا بالعيش ولا قامت بينهم الاسواق
وقال بعضهم لولى الحمق لخربت الدنيا وقال الثورى الزهد فى الدنيا قصر الامل
ليس باكل الغليظ ولبس العباء وقيل للحسن الا تغسل قميصك قال الامر اعجل من
ذلك وراى وهب بن منبه فى حجر مكتوب ابن ادم انك لو رايت ما بقى من اجلك
لزهدت فى طول املك ورغبت فى زيادة عملك ولقصرت عن حرصك وحيلك
انما يلقاك غدا ندمك لو قد زلت قدمك واسلمك اهلك وحشمك وفارقك
الولد والقريب ورفضك الولد والنسيب فلا انت الى دنياك عائد ولا فى
حسناتك زائد فاعمل ليوم القيمة قبل الحسرة والندامة وعن داود الطائى من
خاف الوعيد قصر عليه البعيد ومن طال امله ضعف عمله وكل ما هو ات قريب و
كلما يشغلك عن ربك فهو مشؤم وان اهل الدنيا جميعا من اهل القبور انما يندمون
على ما يخلفون ويفرحون بما يقدمون فما ندم عليه اهل القبور اهل الدنيا عليه يقتتلون
وفيه يتنافسون وعليه عند ربهم يختصمون وروى ان معروف الكرخى اقام الصلوة
فقال لاحمد بن ابى توبة تقدم فقال ان صليت لكم هذه الصلوة لم اصل لكم هذه الصلوة

لم اصل لكم غيرها فقال معروف وانت تحدث نفسك ان تصلي صلوة اخرى
اعوذ بالله من طول الامل فانه يمنع خير العمل وكان الحسن يقول في موعظته المبا
درة فانما هي الانفاس لو حبست انقطعت عنكم اعمالكم التي تتقربون الى الله
عز وجل رحم الله عبدا نظر لنفسه وبكى بعد ذنوبه ثم قرا هذه الاية انما نعد لهم
عدا يعني الانفاس اخر العدد خروج نفسك واجتهد ابو موسى الاشعري قبل موته
اجتهادا شديدا فقيل له لو امسكت ورفقت بنفسك بعض الرفق فقال
الخيل اذا ارسلت فقاربت رؤسها اخرجت جميع ما عندها والذي بقي
من عمري اقل من ذلك فلم يزل على ذلك حتى مات وكان يقول الى امراته شدي رحلك
فليس على جهنم معبر وقال ابن عمر خرج النبي عم والشمس على اطراف السقف وقال
ما بقي من الدنيا الا مثل ما بقي من يومنا هذا الى ما مضى منه ابن ابي الدنيا والترمذي
وحسنه وعن انس قال عم مثل الدنيا مثل ثوب شق من اوله الى اخره فبقي متعلقا
بخيط في اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع رواه ابن ابي الدنيا ومن داود
الطائي فسأله رجل عن حديث وعن الخطايا وخروج روحي وقال بعض المفسر
في قوله تعالى ولكنكم فتنتم انفسكم قال بالشهوات واللذات وتربصتم قال بالتوبة
وارتبتم قال الشكاكين حتى جاء امر الله قال الموت وغركم بالله الغرور واليقين
نعن عيسى عم لا تهتموا برزق غد فان يكن غدا من اجالكم فستاتي فيه ارزاقكم
مع اجالكم وان لم يكن من اجالكم فلا تهتموا الاجال غيركم وهو يؤخذ من قوله
تعالى وما تدري نفس ماذا تكسب غدا والساعة النجومية او اللغوية الشاملة
للحظة واللحظة ويؤمن قوله تعالى اذا جاء اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون
ومن قوله ولن يؤخر الله نفسا اي ولو نفسا اذا جاء اجلها وفي الاحياء
ومنهم من يكون الموت نصب عينيه كانه واقع به فهو ينتظره وهذا الانسان هو
الذي يصلي صلوة مودع وفيه ورد ما نقل عن معاذ لما سئله عم عن حقيقة
ايمانه فقال خطوة خطوة الا ظننت اني لا اتبعها اخرى رواه ابو نعيم في الحلية
وكما نقل عن الاسود وهو الحبشي انه كان يصلي ليلا ويلتفت يمينا ولا شمالا فقال
ما هذا انتظر ملك الموت من اي جهة ياتيني وفي اي صفة يحضرني وهل اكون من
اصحاب اليمين او اصحاب الشمال تخوفا لوجال من هذا الحال لا من انتهاء الاجال وفي
منهاج العابدين قال اكثر علمائنا الامل ارادة الحيوة للوقت المتراخي بالحكم

وقصر الامل ترك الحكم فيه بان تقيده بالاستثناء بمشية الله وعلمه في المذكور
او بشرط الصلاح في الارادة فاذا ذكرت حيوتك باني اعيش بعد نفس ثان
او ساعة ثانية او يوم ثان بالحكم والقطع فانت امل وذلك معصيته اذ هو حكم
على الغيب وان قيدته بالمشية والعلم من الله فقلت اعيش ان شاء الله او ان
علم الله اني اعيش فقد خرجت عن حكم الامل وكذلك ان اردت حياتك للوقت
الثاني قطعا فانت امل وان قدرت ارادتك بشرط الصلاح خرجت عن حكم الامل
مثل وصفت نقصه الامل حيث تركت الحكم في ذكر البقاء وارادته والمراد بالذكر
ذكر القلب ثم المراد منه الصنوبري على ذلك وتثبيت القلب على ما هنالك وتظهر
هذا التفاوت بالادخار اي بوضع ذخيرة الارزاق والتاهب اي التهيؤ لاسباب
المعاش في الارفاق وافاته اي افات الامل ومضراته ستة ترك الطاعة راسا والكسل
في العبادة والملل والتسويف اي تاخير العمل بان يقول سوف اعمل والحرص على الدنيا
ونسيان الاخرة وما فيها من لقاء المولى والقسوة اي قساوة القلب ومنه قوله
تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة وقوله سبحانه فويل
للقاسية قلوبهم من ذكر الله ومن علامة القساوة عدم الرقة وقلة البكاء
على الغفلة فورد في التنزيل الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله
وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد اي زمان
الاجل فقست قلوبهم بسبب طول الامل وفي اية اخرى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا
ويلههم الامل اي يشغلهم الامل عما خلقوا له من العمل فسوف يعلمون غاية جهلهم
في طول املهم وقصر عملهم وتوهم تاخير اجلهم والسبب اي سبب الامل شيئان
حب الدنيا فانه يوجب كراهة مجيء الاجل والجهل بالحقائق اي حقائق ما يرد
على الانسان من موت الفجاءة وقتل البغتة ومن مقدمات كالحمى والصداع ونحوها
فانه لا يكون الا غفلة قال تعالى وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم
قائلون او هم قائلون اي مستريحون بالقيلولة وعلاج كل من سببه ما عرف
في موضعه وذكر فجاءة الموت اي من علاج التصور دها في الجنان وتوردها
باللسان فذكره اي الموت مطلقا يوجب التاهب له اي يقتضي التهيؤ والاستعداد
للموت قبل مجيئه والتجافي اي التباعد عن دار الغرور وهي الدنيا فانها غدارة
مكارة كما قال تعالى ولا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان الملعون

عن سلوك سبيل العقبى وورد في الحديث نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة
عشرين مرة والظاهر ان يكون في كل ساعة اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد الموت و
يحتمل ان يذكره في اليوم عشرين وفي الليلة عشرين او في اليوم عشرة وفي الليلة
عشرة متوالية او متفرقة والمنى منها الكثرة حين قيل هل يحشر مع الشهداء والحديث
تقدم وقال المخرج لم اقف له على اسناد قلت روى الطبراني في الاوسط عن عائشة
قالت قلت يا رسول الله ليس الشهداء الا من قتل في سبيل الله قال يا عائشة ان شهداء
امتي اذن لقليل من قال في يوم خمسا وعشرين مرة اللهم بارك لي في الموت وفيما بعد
الموت ثم مات على فراشه اعطاه الله اجر شهيد وفي السنن الاربع عن ابي هريرة اكثروا
ذكر هادم اللذات فانه لا يكون في كثير الا قلله ولا في قليل الا اجزاه وفي رواية
فانه لم يذكره احد في ضيق من العيش الا وسعه عليه ولا ذكره في سعة الا ضيقها عليه
وفي رواية اكثروا ذكر الموت فانه يمحص الذنوب ويزهد في الدنيا فان ذكرتموه عند
الغنى هدمه وان ذكرتموه عند الفقر ارضاكم بعيشكم وللبيهقي في الشعب من
حديث ام صبيه الجهنية لو يعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن ادم ما اكلتم منها
سمينا ولابن ابي الدنيا عن عطاء الخراساني مرسلا انه عم مر بمجلس قد استعلاه
الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت
وخرج رسول الله صلى الله الى المسجد فاذا قوم يتحدثون يضحكون فقال اكثروا
من ذكر هادم اللذات فوالذي نفسي بيده لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا و
لبكيتم كثيرا رواه ابن ابي الدنيا من حديث ابن عمر وفيه ايماء الى قوله تعالى فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا وللطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عمار بن ياسر كفى بالموت
واعظا وفي رواية مغرفا وقال ابن عمر اتيت النبي عم عاشر عشرة فقال
رجل من الانصار من اكيس الناس يا رسول الله قال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم
استعدادا له اولئك هم الاكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الاخرة ابن ابي
الدنيا باسناد جيد وقيل في تفسير قوله تعالى ايهم احسن عملا ايهم اكثر ذكرا للموت
واشدهم استعدادا قبل الموت وقال بعضهم احذر الموت في هذه الدار قبل ان تصير
الى دار تتمنى فيها الموت ولا تجده وقال كعب من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا
وهمومها وقالت صفية ان امراة شكت الى عائشة قساوة قلبها فقال اكثري
ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها فجاءت لتشكر عائشة رض وقال عبد الله بن
نعيم

تعلمه وتضحك ولعل اكفانك قد خرجت من عند القصار وحقه اي وحق
ذكر الموت ان يذكره رغبة اي ميلا ومحبة الى لقاء الله في الجنة وتعبنا اي و
تحريضا وحثا للخوف الموجب سرعة التدارك اي تدارك ما فات منه من الطاعات
دون التاسف اي الحسرة على فوات الدنيا اي من لذاتها وشهواتها فهو اي التا
سف المذكور مبتعد عنه تعالى لقوله عم من السلف على دنيا فاتته اقترب من النار
مسيرة الف سنة اخرجه الرازي في مشيخة عن ابن عمرو فورد في الحديث من
احب لقاء الله احب الله لقاءه ومن كره الله كره الله لقاءه رواه الشيخان وغيرهما وفي رواية
زيادة والموت دون لقاء الله والمراد بلقاء الله المصير الى دار الاخرة وطلب
ما عند الله من المراتب الفاخرة وليس الغرض به الموت لان كلا يكرهه ومن ترك الدنيا
وابغضها احب لقاء الله ومن اختارها واثرها وركن اليها كره لقاء الله لانه
يصل اليه بالموت وقوله والموت دون لقائه تبين ان الموت غير اللقاء ولكنه معترض
دون الغرض المطلوب وهو الوصول فورد المحبوب فيجب ان يصبر عليه ويحتمل مشاقه
لديه حتى يصل الى الفوز باللقاء كذا في النهاية وفي شرح مسلم للنووي وليس معنى
الحديث ان حبهم لقاء الله سبب لحب الله لقاءهم ولان كراهتهم سبب لكراهته بل الغرض
بيان وصفهم بانهم يحبون لقاء الله حتى احب الله لقاءهم انتهى وتوضيحه ان المحبة
صفة الله ومحبة العبد ربه تابعة لها كظهور عكس الماء على الجدار ويؤيده
ما روي انه عم قال اذا احب الله عبدا عشقه عليه وفي تقديم يحبهم على يحبونه
في القران اشارة اليه ودلالة عليه ففي الحديث من احب لقاء الله فهو سبب للاخبار
بان الله يحب لقاءه اذاقنا الله حلاوة محبته واوقفنا بمزيد عنايته كذا في شرح
المشارق فالاول صفة المحبين والاخر صفة من يخاف عقاب الله ذنوبه من
المؤمنين او صفة الكافرين والمفهوم من ظاهر ما ذكر في المصابيح ان الاخر صفة
الكفرة فقط حيث قال عم هذا الحديث فقالت عائشة انا لنكره الموت قال عليه
عم ليس ذلك ولكن المؤمن اذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته فليس شيء
احب اليه مما امامه فاحب لقاء الله واحب الله لقاءه وان الكافرين اذا حضره
الموت بشر بعذاب الله وعقوبته فليس شيء اكره اليه مما امامه فكره لقاء الله و
كره لقاءه وفي القران يبشر الى المقابل حيث قال تعالى ان الذين قالوا ربنا الله
ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي

كنتم توعدون الايات قال عز وعلا يوم يغشيهم العذاب من فوقهم ومن تحت
ارجلهم ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون والمراد بالمحب اى لقاء الله فى
الحديث انما هو العارف بذات الله فى الحديث وصفاته وبدايع مصنوعاته المشتاق
اليه لزيادة ما لديه فالموت موعده اذ لا يتصور لقاؤه دونه كما فى حديث
مسلم انكم لن تروه حتى تموتوا وهذا مجمل جوابه تعالى لموسى عليه السلام لن ترانى
اى فى الدنيا بالعين الفانية وانما ترانى فى العقبى بالعين الباقية وهذا مجمل لقوله
عم تحفة المؤمن الموت ابن ابى الدنيا والطبرانى والحاكم من حديث عبد الله بن عمر
بسند لحسن وعلامة المحب العارف انه لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب بل يستبطى
مجئ الموت ويحب لحبيبه ليستخلص من دار العاصين وينتقل الى جوار رب العالمين
كما روى عن حذيفة انه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من
ندم اللهم ان كنت تعلم ان الفقر احب لى من الغنى والسقم احب الى من الصحة و
الموت احب الى من العيش فسهل على الموت حتى القاك فاذا التايب معذور
فى كراهة الموت وهذا مشكور فى حب الموت وعلى منهما رتبة من فوض امره الى
الله فصار لا يحب لنفسه موتا ولا حيوة بل يكون احب الاشياء اليه احبه الى
مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولا الى مقام التسليم والرضاء وهو غاية
والمنتهى وهو معنى المصنف وبالكاره اى والمراد بالكاره لقاء الله الراغب
الى الدنيا مالا وجاها ومنالا كالمنافق والمخلوق الخائف هجوم اى هجوم الموت
وما تاه البغتة قبل تمام التوبة وتدارك اوقات الغفلة واصلاح الزاد ليوم
المعاد فهو انما يكره فوت اللقاء وعلامة متصدق هذا ان يكون دائم الاستعداد
لا شغل له سوى اعداد الزاد للمعادة قال القعقاع بن حكيم قد استعد
للموت منذ ثلثين سنة فلو اتانى ما احببت تاخير شئ منه وقال الثورى رايت شيخا
فى مسجد الكوفة يقول انا فى هذه المسجد منذ ثلثين سنة انتظر الموت ان نزل بى
لو اتانى ما امرته بشئ ولا نهيته عن شئ ولا لى على احد شئ ولا لى عند احد شئ
والاعلى اى اعلى المراتب بالنسبة الى ما ذكر الموت وساير لما قبله ترك الاختيار
اى فى الامر الا فيما اراد الله منه ان يختار ده والتفويض بالرفع اى تفويض
امره وتسليمه الى المدبر المختار ربه تعالى ربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم
الخيرة عن سيد الاخيار وسند الابرار لا يتمنى احدكم الموت فان فعل

ذلك لا محالة فليقل اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لى وتوفنى اذا كانت
الوفات خيرا لى واجعل الحيوة زيادة لى فى كل خير واجعل الموت راحة لى من كل شر
وانما ذكر بعض الانبياء والاولياء الموت فان الدنيا مزرعة الاخرة وطول العمر فى الطاعة
من كمال السعادة ويفرغ القلب اى وان يفرغ قلبه عن غير الموت اى استعداده
قبل الموت ويتفكر دائما تفكر العازم على السفر هاتما من خوف البحر والبر او
فى طريق فيه ان يذكر موت اخوانه واقرانه الذين مضوا قبله ويتذكر مصرعهم تحت
التراب ويتفكر صورهم فى مناصبهم ومقام حضورهم وكيف تبددت الان
اجزاؤهم فى قبورهم وكيف ارملوا نساءهم وايتموا ابناءهم وابناءهم وضيعوا
اموالهم ونقصوا احوالهم وخلت منهم مجالسهم واخبارهم ومساجدهم واثارهم
مع ما كان بهم طول املهم للعيش والبقاء ونسيانهم للموت والفناء وانخداعهم بموا
تات الاسباب وركونهم الى القوة والشباب وميلهم الى الغفلة عما يراد بهم من الموت
الذريع والهلاك السريع وانه كيف كان يتردد الان قد تهدمت رجلاه
ومفاصله وعظامه وكيف كان ينطق وقد اكل الدود لسانه وكيف كان يضحك
وقد اكل التراب اسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج اليه الى عشر سنين
سنة ونحو ذلك من الاحوال والاهوال فعند ذلك نظير فى نفسه انه مثلهم
فى عاقبة امره قال ابو الدرداء اذا ذكرت الموتى فعد نفسك كاحدهم وقال
ابن مسعود من وعظ لغيره وقال عمر بن عبد العزيز الا ترون انكم تجهزون
غاديا ورايحا الى الله عز وجل تضعونه وقد توسد التراب وخلف الاحباب
وقطع الاسباب واجه الحساب ونظر ابن مطيع ذات يوم الى داره فاعجبه
حسنها ثم بكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا والاصل فيه اى فى
ذكر الموت الانتباه اى استيقاظ القلب من نوم الغفلة وهو اى الانتباه
خلاف النوم واى ضده وكذا قيل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا والهوى
الغرور وسكون النفس واطمينانها وهى قوة فى الانسان مائلة الى الشهوات والفساد
كما قال تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربى فمن الغرور وميلها الى ما
يوافق الهوى والشبهة ويخالف الهدى والسنة بان يكون ارادتها موا
فقة الطبع من غير داعية الشرع واما اذا اجتمع الهوى والهدى فهو نور
على نور وسرور على سرور ولذا قال تعالى ومن اضل ممن اتبع هويه بغير هدى

من الله فورد في التنزيل لا تغرنكم الحيوة الدنيا فانها غدارة مكارة غرارة
سحارة فقيل انها اسحر من هاروت وماروت ولا يغرنكم بالله الغرور اي الشيطان
المغرور وفي الترتيب تنبيه على ان من احب الدنيا يضله الشيطان ومن
تركها لم يقدر عليه بالطغيان بل قيل من اراد الدنيا لم يقدر على هدايته جميع الا
نبياء ومن ترك الدنيا لم يقدر على اضلاله جميع الشيطان واهل الاغواء وقال
عز وعلا وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور وفي الحديث حبذا نوم
الاكياس وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب
تقوى ويقين افضل من ملء الارض من المغترين كذا في الاحياء وهو قول ابي الدر
داء بنحوه رواه ابن ابي الدنيا والترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث
شداد بن اوس الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه
هواها وتمنى على الله وانواعه اي انواع الغرور كثيرة لان الغرور جهالة عن
بعض انواع الجهل اذ الجهل هو ان يعتقد الشيء ويراه على خلاف ما هو عليه فا
لغرور وهو الجهل الا ان كل جهل ليس بغرور بل يستدعي الغرور مغرورا فيه
مخصوصا ومغرورا به وهو الذي يغره فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل
او في الاجل عن شهوة فاسدة او شبهة كاسدة فهو مغرور واكثر الناس يظنون
بانفسهم الخير الا ان غرور بعضهم اظهر واشدها غرور الكفار وغرور العصاة
والفجار كايثار الدنيا اي اختيارها فانه من اقبح انواع الغرور ثم ان اختيارهم
الدنيا واغترارهم بها لكونها نقدا حاضرة على الاخرة لكونها نسيئة اي متاخرة
غائبة وذلك جهل وغرور لان النسيئة الكثيرة راجح على النقد القليل
وان شك فيه في حصول النسيئة الكثيرة وانما الترجيح مع وجود الشك فيه اذ
المريض ترك اللذات التي هي نقد الحالات ليصح زمانا طويلا في المستقبل من الا
وقات والتاجر يخاطر الاموال اي يوقعها في الخطر من الاهوال كركوبه في البحر
وسفره في البر وتحمله شدائد الاحوال ليربح فيه اي في زمان الاستقبال فا
لاخرة اولى بالاختيار من الدنيا لليقين بها اي بالاخرة وعدم نسبة الدنيا
اليها اي الى العقبى شدة ودواما اي كمية وكيفية ونظرا ما كما قال تعالى والاخرة
خير وابقى بل قيل لو كانت الدنيا ذهبا فانيا والاخرة خزفا باقيا لكان العاقل اختار
الاخرة فكيف والامر بالعكس ومن غرته الحيوة الدنيا من قال اليقين خير من الشك

ولذات

ولذات الدنيا يقين ولذات الاخرة شك فلا يترك اليقين بالشك وهذا ونحوه
اقيسة فاسدة يشبه قياس ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين
والى هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فلا
يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج الغرور اما بتصديق الايمان واما
بتحقيق البرهان اما الاول هو ان يصدق الله تعالى في قوله ما عندكم ينفد وما عند
الله باق وقوله وما عند الله خير وابقى وقوله وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
واما الثاني فيعلم مما تقدم والله اعلم في هذا المقام قال علي رضي الله لبعض الملحدين
ان كنت ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما قلناه حقا فقد تخلصنا و
هلكت وما قال علي هذا عن شك منه في الاخرة ولكن كلم الملحد على قدر عقله فمن
شك في الاخرة يجب عليه بحكم الحزم ان يقول لو الصبر ايام قلائل وهي منتهى العمر قريب
بالاضافة الى ما يقال من امر الاخرة فان كان ما قيل فيه كذبا فما يفوتني الا التنعم ايام حياتي
وقد كنت في العدم من الازل الى الان لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل صدق
فابقى في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق فيه العناد ولذا قال ابو العلاء المعري قال
المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الاموات قلت كذا ان صح قولكما فلست بخاسر او صح قولي فالخسار
عليكما ومن جملة غرور الكفار قول بعضهم في انفسهم وبالسنتهم ان كان الله من معاد
فنحن به احق من غيرنا ونحن اوفر حظا منه واسعد حالا كما اخبر الله تعالى عنه من حال الرجلين
المتحاورين اذ قال وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها
منقلبا وجملة امرهما كما نقل في التفسير ان الكافر منهما بنى قصرا بالف دينار واشترى بستانا
بالف دينار وخدما الف دينار وزوجة بالف دينار وفي ذلك كله يعظه المؤمن
ويقول اشتريت قصرا وبستانا يخرب ويفنى الا اشتريت قصرا وبستانا في الجنة لا يفنى و
اشتريت خدما الف دينار دون زوجة بالف دينار الا اشتريت خدما لا يموتون واز
واجا من الحور العين لا يفنون وفي ذلك يرد عليه الكافر ويقول ما هناك شيء وما قيل
من ذلك فهو اكاذيب وان كان ليكونن لي في الاخرة خير من هذا وكذا وصف الله قول العاص
بن وائل ويقول لاوتين مالا وولدا ورد عليه بقوله اطلع الغيب ام اتخذ عند الرحمن عهدا
وروي عن الخباب بن الارت انه قال لي على العاص بن وائل دين فجئت اتقاضاه فلم يقض فقلت
اني اخذه في الاخرة فقال اذا صرت الى الاخرة فان لي هناك ولدا ومالا فاقضيك منه فانزل
الله تعالى افرايت الذي كفر باياتنا وقال لاوتين مالا وولدا رواه الشيخان وقال عز

وجل ولئن اذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته ليقولن هذا لي وما اظن الساعة قائمة و
لئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى الاية وذلك انهم ينظرون تارة الى نعم الله عليهم
في الدنيا فيقيسون عليها نعم الاخرة وتارة الى تأخير العذاب عنهم فيقيسون عليه
عذاب الاخرة ويقولون كما اخبر الله عن بعضهم لولا يعذبنا الله بما نقول الاية واخرى
ينظرون الى المؤمنين وهم فقراء شعث غبر فيزدرونهم ويستحقرونهم ويقولون اهؤ
لاء من الله عليهم من بيننا ويقولون لو كان خيرا ما سبقونا اليه ولم يعرف هذا المغرور
ان الله يحمي عبده المؤمن في الدنيا وهو يحبه كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب
وهو يحبه كما رواه الترمذي وحسنه والحاكم وصححه من حديث قتادة بن
نعمان وكان ارباب البصائر اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا وقالوا ذنب عجلت عقو
بته واذا اقبل الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين فالمغرور واذا اقبلت
عليهم الدنيا ظنوا انها كرامة عند الله واذا صرفت عنهم ظنوا انها هوان كما اخبر
الله عنهم بقوله فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه ونعمه فيقول ربي اكرمن و
اما اذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي اهانن كلا [illegible] ان ذلك
غرور من كل منهما فقد قال الحسن كذبهما جميعا بقوله كلا يقول ليس هذا
بكرامتي ولا هذا بهواني ولكن الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان
من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا والاعتماد بالجزاء وكالاعتماد على مجرد الايمان
مع ترك العبادات وارتكاب المحظورات فانه من اعظم الغرور في الحال وقد
ورد في التنزيل واني لغفار لمن تاب عن الشرك والكفران وامن بالقلب واللسان
وعمل صالحا باللسان والاعضاء والاركان من ارتكاب الحسنات واجتناب السيئات
ثم اهتدى بالاستقامة في الحالات الى الممات والمغفرة مقيدة بهذه الطاعات وكقوله
تعالى ان رحمت الله قريب من المحسنين في العبادات وقيل للحسن قوم يقولون نحن نر
جو الله ويضيعون العمل فقال هيهات هيهات تلك امانيهم من رجا شيئا طلبه ومن خاف
شيئا هرب والعصر اقسم بصلوة العصر التي هي صلوة الوسطى او بالعصر المصطفى او
بالدهر الذي منبع الخير والشر ومعدن النفع والضر ان الانسان اي جميع افراده
لفي خسر اي خسارة وفيما عندهم من التجارة السوء الا الذين امنوا كالصديق
الذين امنوا كالصديق وعملوا الصالحات كالفاروق وتواصوا بالحق اي كذي
النورين وتواصوا بالصبر كالمرتضى وعلي اي وكالاعتماد على انه تعالى كريم مع ترك

وارتكاب

وارتكاب المنهيات وطلب الدنيا والشهوات فيغفر لي في الاخرة بكرمه وفضله ويد
خلني في الجنات ومنشأ هذا قوله تعالى يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي
حيث لقنه بان يقول غرني ذلك كرمك وقد غفل انه تعالى كما انه كريم رحيم متفضل
بالثواب شديد العقاب فقد قال تعالى فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأ
خذون عرض هذا الادنى ويقولون سيغفر لنا وقال تعالى قالوا لن يدخل الجنة الا
من كان هودا او نصارى تلك امانيهم فورد في التنزيل ما يدل على ذم المورد
بارتكاب المحظورات ان ليس للانسان نفع في العقبى الا ما سعى من خير في الدنيا وان سعيه
سوف يرى قليلا او كثيرا فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة
شرا يره وفيه العكس اي في هذا الاعتماد عكس ما ينبغي في الاعتقاد بترك التعويل
اي الاعتماد على المولى في الدنيا اي في امورها ومهماتها مع ورود من في نسخة
ورد ومن يتوكل على الله فهو حسبه وحاصله ان المغرور لم يعتمد على كرمه سبحانه
في امر الدنيا مع وروده في باب التوكل من غير قيد مباشرة بسبب من اسباب
الشيء ويعتمد في باب الاخرة على كرمه مع ان وعدها مقيد بالسعي والعمل وتو
ضيحه انه يجتهد في امور الدنيا ويعتمد في امور الاخرة على كرم المولى مع انه كريم
في الدنيا والاخرة فماله لم يعتمد على المولى في الدنيا من غير السعي مع انه سبحانه ما كلفه
بكسب ويترك العمل في الاخرة مع انه عز وجل كلفه به ولم يرض عنه بتركه والعلاج
المغرور بالعلم بالكتاب والسنة وما يقربه من الله وما يبعده عنه وتوضيح ما
في الاحياء من ان الغرور علاجه معرفة دلائل الكراهة والاهانة اما بالبصيرة و
اما بالتقليد اما البصيرة فبان يعرف وجه كون الالتفات الى شهوات الدنيا مبعدا
عن الله ووجه كون التباعد عنها مقربا الى الله ويدرك بالالهام في منازل
العارفين والاولياء وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا يليق بعلوم المعاملة
واما معرفته بطريق التقليد والتصديق فهو ان يؤمن بكتاب الله ويصدق رسوله
وقد قال تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون
وقال سنستدرجهم من حيث لا يعلمون في تفسيره انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم
نعمة ليزيد غرورهم وقال تعالى فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا
اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال ولا
تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار الى

غيرذلك مما ورد فيه الكتاب والاخبار والتفكر في احوال الماضين من
الامة والمراد بالتفكر هنا احضار القلب المعارف فاذا اجتمعت وازدوجت
على ترتيب مخصوص انتج ذلك العلم ضرورة وصورته كمن يعلم شيئا ان الابقى
بالايثار اولى ثم يعلم ان الاخرة خير وابقى فينتج اختيار الاخرة اولى بلغنا الله
المقام الاسنى **الباب الخامس عشر في الخلوات والرياضة** اي لمخاطر الدينية و
تحصيل رياضة النفس الردية ليتهذب بالاخلاق البهية العلية والاحوال
السنية ويندرج فيه عجايب القلب من غرائب خلق الرب بسم الله الرحمن الرحيم
المستعين به على كل خلق كريم الاهم في امر الدين الاتم اصلاح القلب وحفظه عما
يفسده لثمانية عشر وجها النظره تعالى اليه واقباله عليه كما انه يصلح بدنه وثوبه
ليحسن نظر الخلق لديه فورد في الحديث كما تقدم ان الله لا ينظر اي نظر عناية
ورعاية الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم وفي رواية واعما
لكم وفي اخرى واحوالكم ويشير اليه قوله تعالى انه عليم بذات الصدور فاذا كان
القلب موضع نظر الرب كما يشير اليه حديث لا يسعني ارضي ولا سمائي ولكن يسعني
قلب عبد المؤمن فواعجبا بمن يهتم بتنظيف وجهه الذي هو منظر الخلق ولا
يهتم بتطهير قلبه الذي هو منظر ربه وتعلق صلاح الجسد بصلاحه اي
لتوقفه ظاهرا على تحققه باطنا وكذا تعلق فساد الجسد بفساده فورد في
الحديث كما تقدم ان في الجسد لمضغة اي قطعة لحم مجوفة كانها ممضوغة ان
اصلحت بضم اللام وبفتح صلح الجسد كله وتمامه واذا فسدت فسد الجسد كله
الا للتنبيه وهي اي تلك المضغة هو القلب اي محل تعلقه وسريره ملك مطاع
ورئيس متبع والاعضاء كلها له تبع فاذا صلح المتبوع صلح التابع واذا استقا
الرعية واذا اقبل الناس على دين ملوكهم وسعادة الابد اي وسيادة السرمد
بسلامته اي سلامة القلب من نحو الكفر والغل والحقد والحسد فورد في
التنزيل يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم اي من كل خلق سقيم
كالشرك والنفاق والشقاق والاغراض الدنيوية والاغراض الدنيوية
وقيل هو ما لا يخطر فيه الا شهود الرب وكونه اي وكون القلب معدن النفايس
ومنبع الفواضل المستوهبة من العلم والمعرفة اي علم الكتاب والسنة معرفة الرب
التي هي اجل انواع النعمة ومنشا الفضائل المكتسبة بتحسين الاخلاق وتز

يين

يين الشمائل والحاصل ان القلب خزينة نعم الرب فحق لها ان تحفظ وتحرس عن الافات
وتكرم وتبجل بضروب الكرامات ثم اعلم ان شرف الانسان وفضله الذي فضله الله
على سائر خلقه باستعداده من بين عباده لمعرفة ربه التي هي في الدنيا جماله وفخره
وفي الاخرة كماله وعدته وذخره وانما استعد للمعرفة بقلبه وجنانه لا بعضو اخر
من اركانه فالقلب هو العالم بالله وهو العامل لله وهو الساعي المتقرب الى الله وهو
المقرب الى الله وهو الموحي اليه والمشهود عليه والمكاشف بما عند الله ولديه وانما الجوارح
اتباع وخدم والات كالجوارح يستخدمها القلب في خدمة الرب استعمال الملك للعبيد
واستخدام الراعي للرعية والصانع للالة والقلب هو المقبول عند الله اذا سلم
من غير الله اذا صار مستغرقا بغير الله وهو المطالب وهو المعاتب وهو المعاقب و
هو الذي يسعد بالقرب من الله تعالى فيفلح اذا زكاه وهو الذي يخيب ويشقى اذا
دنسه ودساه وهو المطيع بالحقيقة لله تعالى وانما الساري الذي ينتشر على
الجوارح من العبادات انواره وهو العاصي المتمرد على الله سبحانه وانما الطاري
الى الاعضاء من الفواحش اثاره وباظلامه واستنارته يظهر محاسن الظاهر و
مساويه اذ كل اناء يترشح بما فيه وهو الذي اذا عرفه الانسان فقد عرف
نفسه واذا عرف ربه وهو الذي اذا جهله الانسان فقد جهل نفسه واذا جهل
نفسه فقد جهل ربه ومن جهل قلبه فهو لغيره اجهل فمعرفة القلب وحقيقة او
صافه اصل منظاهر الرب اصل الدين واساس طريق المجتهدين وقصد العدو اليه في
ولقصد الشيطان الذي هو اكبر اعدائه دائما الى اغوائه كما ورد اي بقصد
العدو الى القلب الخبر وهو قوله عم ان الشيطان لجاثم وفي رواية واضع خرطومه
على قلب ابن ادم فاذا ذكر الله تعالى خنس اي تاخر وخلاه واذا اغفل التقم قلبه فحدثه
ومناه ابن ابي الدنيا وابو يعلى وابن عدي وكثرة شغله اي وكثرة الاشتغال
القلب واحواله وترتب ما عليهما من اقوال الانسان وافعاله فهو اي القلب معترك
العقل والهوى اي موضع عراكهما وقتالهما وهلاكهما فاذا ابرز خاطر الهوى
داعيا الى الشر قابله خاطر العقل ودافعه داعيا الى الخير فتارة يغلب العقل
ويعلو على الهوى واخرى يغلب الجهل فيرتفع راية النفس والهوى فالحرب سجال
وقد قال الملك المتعال وتلك الايام نداولها بين الناس وقد قيل يوم علينا
ويوم لنا ويوم نساء ويوم نسر وفي الحديث رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر

ومنه قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وكثرة العوارض اي وبكثرة الامور الطارئة والاحوال السانحة لورود الخواطر الدنية في القلب لغفلة او لدنية من حب الدنيا والرياسة وحصول اللذات والشهوات وكلمات مع العجز عن المنع اي مع عجز السالك عن دفعه وقمع ما هنالك فان الخواطر كالسهام لا تزال تقع في القلب وكالمطر لا يزال ينزل عليه ليله ونهاره لا ينقطع ولا انت تقدر على منعها فيمتنع وليس بمنزلة العين التي هي بين الجفنين حتى تغمض وتستريح او اللسان الذي هو وراء الشفتين حتى تنطبق وتصمت والحاصل ان الخواطر لا يقدر احد على منعها ولا على التحفظ عن ميل النفس مائلة اليها وهي مجبولة لديها وسرعة الانقلاب اي وبسرعة تقلب القلب في الطاعة والمعصية للرب وسمي بالقلب لتقلبه في احواله ولذا كان عم يكثر في دعائه يا مقلب ثبت قلبي على دينك رواه الترمذي وحسنه من حديث انس والحاكم من حديث جابر وقال صحيح على شرط مسلم ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك وزواية قالوا او نخاف يا رسول الله قال وما يؤمنني والقلب بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبه كيف يشاء وللنسائي في الكبرى وابن ماجة والحاكم وصحح على شرط الشيخين من حديث النواس بن سمعان ما من قلب الا بين اصبعين من اصابع الرحمن ان شاء اقامه وان شاء ازاغه فورد من حديث ابي عبيدة بن الجراح كما رواه الحاكم في المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم والبيهقي في الشعب انما القلب مثل العصفور وهو الطير الصغير المشهور بالتقلب الكثير يتقلب في كل ساعة اي الى جهة فكذا القلب تارة يميل الى طاعة ويقظة واخرى الى معصية وغفلة ولاحمد والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري من حديث المقداد بن الاسود مثل القلب تقلب كالقدر اذا استجمعت غليانا وفي رواية لهما قلب المؤمن اشد تقلبا من القدر في غليانها وللطبراني والبيهقي من حديث ابي موسى الاشعري باسناد حسن كمثل ريشة بارض فلاة يقلبها الرياح ظهرا لبطن وفيه عطف بالمعنى على قوله لتنظره لانه في قوة قولنا ولما فيه اي في القلب ومحله في الصدر الانشراح اي الانبساط الموجب للفلاح والنجاح والانفساح اي الانسياغ والانفتاح عند عدم النقصان القلبي بارتكاب المخالفة بل يكونان عند كماله في اكتساب الموافقة فللحاكم في مستدركه من حديث ابن مسعود انه عم سال عن قوله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور

من ربه

ربه ما هذا الشرح فقال هو التوسعة ان النور اذا قذف به في القلب يتسع له الصدر وانشرح والمعنى اتسع القلب لتجلي الرب وحفظ السر الذي شاهده في القلب ولذا قيل صدور الاحرار قبور الاسرار ونعم ما قال بعض الابرار من اطلعوه على سر فنم به لم يأمنوه على الاسرار ما عاشوا والحجاب اي عن رب الارباب وهو اشد العذاب والحجاب عن الاكتئا فهو بالجر عطف على النقصان اي عند عدم حجاب الملاهي ويجوز رفعه عطف على الانفساح اي وفي القلب حجاب المعاصي والشهوات المتراكمة الواردة على وجه القلب المانعة له عن مشاهدة تجليات الرب فان ذلك ينبع من صفات القلب وجلائه فيمنع ظهور الحق بعد ظهوره في اثنائه وقد قال ابو سليمان الداراني اذا اعتادت النفوس ترك الآثام جالت في الملكوت ورجعت الى صاحبها بطرائف الحكمة ويؤيده حديث لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء رواه احمد من حديث ابي هريرة والانهماك اي هو ضد النجاة والانحراف اي عند الانحراف والاعتراف الى العلم اي علم الشريعة والطريقة ليعمل به ليصل الى مراتب الحقيقة او المراد بالعلم هو علم التوحيد المقرون بوصف التزيد من معرفة الحق وصفاته وقدرته في مصنوعاته والتوجه اليه وترك كل ما يشغل لديه مما يرد عليه وانما ذكر الانحراف الى العلم التوحيد لحصول الانشراح والانفساح ولم يكتف في ذلك النقصان والحجاب والانهماك لان المطيع القاهر في استقامة حالاته من طاعة وعباداته وان كان قلبه صافيا عن لهواته وغفلاته فانه لا يحصل له الانشراح والانفساح بل ينكشف له ما هو متفكر فيه من دقائق الآفات الاعمال ان كان تفكره فيها او من مصالح المعيشة والاحوال ان كان تفكره فيها واما الانشراح والانفساح فلا يحصل الا اذا انصرف القلب الى العلم التوحيد المتعلق بالذات والصفات بشرط عدم النقصان والحجاب والانهماك وهو اي العلم المترتب عليه العمل المراد بالامانة التي حملها الانسان اي قبلها بقابلية تحمل التكاليف الشرعية من تصحيح العقائد الدينية الاصلية وارتكاب الوظائف الفرعية واجتناب الامور المنهية وفي الاحياء فيه اشارة الى ان للقلب خاصية تميز بها عن السموات والارضين والجبال وتلك الامانة هي المعرفة والتوحيد وقلب كل آدمي مستعد لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل انتهى ولا يخفى ان جميع الاجزاء من الارض والسماء له قابلية ذلك بل الواقع كذلك عند العارفين بما هنالك كما حقق في قوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده وغير ذلك من الآيات والاحاديث الثابتات ان الاشياء كلها لها معرفة بصانعها وكذا اهل السموات والارض والجبال من النساء والرجال

فلا اظهر ان الملائكة مظاهر الجمال فلا يأتي منهم المعصية وما يقتضيه من العقوبة
والشياطين مظاهر الجلال فلا يتصور منهم الطاعة وما يترتب عليها من الرحمة
فاراد الله سبحانه جمعا يكون لهم مرتبة الكمال بان يكون فيهم نصيب وحظ من الجمال
والجلال ويقع فيهم قابلية للطاعة والرحمة والمعصية والعقوبة ولذا ورد لو لم
تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم وفي قوله تعالى نبئ عبادي اني
انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ايماء الى ذلك وفي قوله غافر الذنب
وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا اله كذلك ثم من افراد هذا الانسان من يكون
على الشان بحيث انه مع انه خلق فيه داعية العصيان جاهد نفسه واطاع ربه
وقام بحق الامانة في ميدان البيان ومنهم ترك الطاعة وضيع الامانة بالجناية
من غاية الطغيان فصار المؤمن الكامل من الانسان اعلى مرتبة من ملكة الرحمن
والكافر منهم اخفض منزلة من جنس الشيطان كما يشير اليه قوله سبحانه ان المنافقين
في الدرك الاسفل من النار نعوذ بالله من دار البوار وبما قررنا فيما حررنا
انكشف وجهه قوله سبحانه انا عرضنا الامانة اي حملها من غير الخيانة على السموات
والارض والجبال اي ذواتها وما فيها من سكانها ومتصرفاتها فابين ان يحملنها
لعدم استعدادهن لها ولكونهن ما خلقن لاجلها وحملها الانسان مع كونه ضعيف
البنيان فكل ميسر لما خلق له انه كان ظلوما على نفسه بتحمله جهولا لعاقبة امره و
تحمله وهذا الحكم عليه باعتبار اغلب افراده بين صلاح حاله وفساده في ماله
كما اشار اليه بقوله ليعذب الله المنافقين الاية وزيادة اليقين اي وفي القلب
مرتبة الاتقان في امر الدين والايمان اي وفيه الايمان الذي هو سبب الامن والامان
وباعث على الاسلام والاحسان فلهما مراتب ودرجات فيهما منها وادناها اهل التقليد
كالعوام المؤمنين واوسطها الخروج من التقليد بنوع من الاستدلال للتوحيد
كالمتكلمين واعلاها المشاهدة والمكاشفة كالعارفين ومثاله كمن اخبره صادق
بوجود زيد في الدار فصدقه من غير شهوده ثم سمع صوته فاستدل به على وجوده
ثم رآه وشاهده فالمشاهدة نتيجة المشاهدة ثم المشاهدة ايضا على مراتب
كمن يشاهد السلطان جالسا على سريره من وراء الحائط او حجاب سترة ثم من
من يشاهد من داخل داره ثم من قريب في مراده ثم من هو جالس في مجلسه ثم من
هو جالس قريبا منه بحيث يراه خط صفحة وجهه وجميع ما خفي عن غيره وقبل

على هذا

على هذا تتفاوت درجات المشاهدة في امور الهيبة السبحانية والعلوم
التوحيدية الربانية الصمدانية كما يشير اليه قوله تعالى ثم دنى فتدلى فكان
قاب قوسين او ادنى ثم اكثر العوام ايمانهم تقليد تبعا لابائهم فانهم اذا بلغوا
سن التمييز سمعوا وجود الله وعلمه وارادته وقدرته وبعثة الرسول وصدقه فيما جاء
به وكان سمعوا قبوله وثبتوا عليه واطمأنوا اليه وهذا الايمان سبب النجاة في الاخرة
عند جمهور المتكلمين واهله من اوائل رتبة اصحاب اليمين وليسوا من المقربين لانه ليس
فيه كشف وبصيرة وانشراح صدر بنور اليقين وقلوب اليهود والنصارى ايضا مطمئنة
لما سمعوا من ابائهم الا انهم اعتقدوا ما اعتقدوه خطأ لانه القي اليهم الخطأ والمسلمون
اعتقدوا الحق لا عن علم عليه ولكن لما القي اليهم كلمة الحق ودرجات العلم اي وفيه مراتب العلم
من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين المراد بها علم الشريعة التي هي متعلقة بالاعمال
الظواهر وعلم الطريقة التي هي مطلوبة في الاخلاق للسرائر وعلم الحقيقة التي هي
المواهب بعد تحصيل المكاسب من شرائف المناقب ولطائف المراتب والنور اي وفيه النور
المسؤول من دعاء المأثور اللهم اجعل في قلبي نورا رواه مسلم وغيره والطبع اي و
فيه الختم قال تعالى ونطبع على قلوبهم وختم الله على قلوبهم والرين اي وفيه السواد
الذي نعم الفؤاد عند الاتصاف بالرذائل والتخلي عن الفضائل وتراكم الظلام اي
وتكاثف الظلمات الناشئة عن الظلم وسائر الذنوب والاحتجاب منه تعالى بعدم توفيق الحسنات
وهو مأخوذ من قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم اي غلب وعلا على قلوبهم ما كانوا
يكسبون كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون اي رحمته ورؤيته في الحديث ان المؤمن اذا
اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه وان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها وان زاد
زادت حتى تعلو قلبه فذلكم الران الذي ذكره الله في كتابه كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا
يكسبون اخرجه البغوي في تفسيره باسناده والتحقيق عند اهل التوفيق انه اي
القلب هو ذلك الانسان الادراكي المدرك لنسخة العالم بالكليات المخاطب بالامر والنهي
الطالب باكتساب المأمورات واجتناب المنهيات ليترتب عليها الثواب والعقاب في دار الجزاء
والحسنات فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين
خسروا انفسهم في جهنم خالدون يطلق عليه اي على الانسان اسم القلب بمجاز تعلقه
اي الانسان اي بالقلب بلا واسطة اي من غير واسطة بشيء اخر وسائر الحواس
اي ولتعلقه ببواقيها بواسطته اي القلب كما يطلق اي القلب على المضغة المكيفة و

وهي قطعة لحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من الصدر وهو لحم مخصوص في باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم اسود هو منبع الروح ومعدنه كذا في الاحياء تبعا للحكماء وهذا القلب موجود للبهائم بل هو موجود للميت ايضا واما قول سهل التستري القلب هو العرش والصدر هو الكرسي فمراده تشبيه القلب بالعرش والصدر بالكرسي وعن كعب الاحبار قال دخلت على رضي عائشة فقلت الانسان عيناه هاد واذناه قمع ولسانه ترجمان ويداه جناحان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك طابت جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وقال علي رضي الله عنه في تمثيل القلوب ان الله تعالى في ارضه آنية وهي القلوب فاحبها اليه ارقها واصفاها واصلبها ثم فسره اصلبها في الدين واصفاها في اليقين وارقها على الاخوان يعني المرافقين وهو اشارة الى قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم وقوله تعالى مثل نوره كمشكوة فيها مصباح قال ابن كعب مثل نور المؤمنين وقلبه وقوله او كظلمات في بحر لجي مثل قلب المنافق الفاسق وقال زيد بن اسلم في قوله تعالى في لوح محفوظ هو قلب المؤمن وفي الحديث اذا اراد الله بعبد خيرا جعل له واعظا من قلبه الديلمي من حديث ام سلمة باسناد جيد ولاحمد والطبراني في الصغير من حديث ابي سعيد القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب منكوس فذلك قلب الكافر وقلب اغلف مربوط غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها وفي رواية ذهبت به وفي الحديث القدسي والكلام الانسي لم يسعني ارضي وسمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن اللين الوادع كذا في الاحياء وقال مخرجه لم ار له اصلا وتعقبه بعض الحفاظ بانه رواه عبد الله بن احمد في الزهد عن وهب بن منبه بلفظ ان الله فتح السموات لحزقيل حتى نظر الى العرش فقال حزقيل سبحانك ما اعظم شانك يا رب قال الله تعالى ان السموات والارض ضعفن عن ان يسعني ووسعني قلب عبدي المؤمن الوادع اللين انتهى ولا يخفى ان هذا من الاثار فلا ينافي ما نفاه المخرج من الاخبار وفي الخبر قيل من خير الناس فقال كل مؤمن محموم القلب فقيل وما محموم القلب فقال هو التقي النقي الذي لا غش فيه ولا بغي ولا غدر ولا حسد رواه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمر باسناد صحيح وفي الاحياء عن عمر رضي الله عنه رأى قلبي ربي اذا كان قد رفع الحجاب بالتقوى ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلى صورة الملك والملكوت في قلبه فيرى جنته عرض بعضها عرض

السموات

السموات والارض اما جملتها فاكبر سعة من السموات والارض عبارة عن عالم الملك والشهادة وهو وان كان واسعا الاطراف متباعد الاكناف فهو متناه على الجملة واما عالم الملكوت وهو الاسرار الغائبة عن مشاهدة الابصار المخصوص بادراك البصائر فلا نهاية له نعم الذي يلوح للقلب فيه مقدار متناه ولكنه في نفسه وبالاضافة الى علم الله لا نهاية له وجملة عالم الملك والملكوت اذا اخذت دفعة واحدة يسمى الحضرة الربوبية المحيطة بكل الموجودات اذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وافعاله ومملكته وعبيده من افعاله فما يتجلى من ذلك للقلب هو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما يتجلى له من الله تعالى وصفاته وافعاله من مصنوعاته وانما مراد الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاه ومراده بتزكيته حصول انوار الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وفي الاحياء ان القلب لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلق عجيب وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهي المدركة العالمة العارفة من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاقب ولها علاقة مع القلب الجسماني من الانسان وهو المخاطب والمطالب والمعاتب وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان تعلقها به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات انتهى ومن هنا قيل معنى قوله من عرف نفسه فقد عرف ربه وفيه تنبيه ان ليس لاحد من الانسان ان يعرف حقيقة نفسه ومع انه بها كان انسه هذا وفي اطلاق القلب على الانسان لم يظهر وجه في ميدان البيان بل المغايرة بينهما ظاهرة عند الاعيان لقوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب الاية فالصحيح ان القلب آلة لمعرفة الرب كما يشير اليه قوله سبحانه او لم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها والفرق بين القلب والنفس والعقل ان القلب يفرق بين الحق والباطل ثم يتقلب في قبول احدهما ويتردد في خاطرهما ويترتب عليهما صلاح الجسد وفساده والنفس غالبا مائلة الى الشهوات واللذات كما يشير اليه قوله سبحانه وفيها ما تشتهي الانفس من المأكولات والمشروبات والمشمومات والمسموعات وسائر الملذوذات ثم النفس المذمومة هي التي لا تفرق بين المباحات والمحظورات ومنه قوله سبحانه وتعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى واما من طغى وآثر الحيوة الدنيا فان الجحيم هي المأوى والعقل الجزئي مشترك بين الحيوانية والصبيان

وسائر الانبيا والعقل الكامل وهو المميز بين الخير والشر في العاقبة دنيويا واخرويا
وقيل بين خير الخيرين وشر الشرين فهذا العقل المطبوع وهو لا ينفع بدون العقل
المشروع ولذا ترى الحكماء حجبوا بعقولهم الناقصة وان دعوا كمالها عن متا
بعة الانبيا زعما منهم ان الرسل ارسلوا للعامة وانهم من الخاصة فصاروا اجهل من كل
جاهل فان المقلد قبل ايمانه وفاز بتقليده درجات جناية والحكيم لعقله تنزل في در
كات نيرانه واسم النفس اي يطلق على الانسان اسم النفس كقوله تعالى خلقكم من نفس واحدة
فالنفس جسم كثيف والروح جسم لطيف له سريان شريف في سائر الاعضاء لطيف كلطافة
سريان الهوى في البدن وما يتعلق به من الاجزاء وكالزبد في اللبن والدهن في الجوز و
وماء الورد والقلب داخل النفس وهو الطف واصفى من النفس وسر نور روحاني ثم
في النفس فانها تعجز عن العمل بدونه ولا تفيد فائدة ما لم يكن السر عنده والحاصل ان النفس
هنا عبارة عن الهيكل الانساني في المركب من الجسد الجسماني والروح الرباني اذ المراد
من نفس واحدة ادم عليه السلام فتسميه اي النفس التنزيل اي القران بعد اطلاقه النفس على
ادم ونحوه من قوله كل نفس ذائقة الموت وعلمت نفس ما قدمت واخرت واعلمت نفس ما
احضرت الى مطمئنة حيث قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة اي بذكر الله سبحانه وهي النفس
المؤمنة ولذا قال ارجعي الى ربك راضية مرضية الاية وهي يحتمل ان يراد بها الهيكل
المركب الانساني فالمراد بقوله فادخلي في عبادي وادخلي جنتي اي مع عبادي الصالحين
كقوله تعالى حكاية عن الانبياء والمرسلين توفنا مسلمين والحقنا بالصالحين وادخلنا
الجنة امنين ويشير اليه قوله تعالى سبحانه الذين امنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله الا بذكر
الله تطمئن القلوب ويحتمل ان يراد بها الروح المجرد عن الجسد فالمراد بقوله فادخلي في
عبادي اي في اجسادهم وعلى كل تقدير يريد بالنفس الجنس ولوامة حيث قال ولا
اقسم بالنفس اللوامة اي كثيرة الملامة لنفسها لا سيما يوم القيمة اذ كانت عملت خيرا قالت
هلا زدت وان عملت شرا قالت ليتني لم افعل وهو قول الفراء فهي شاملة للنفس البرة
والفاجرة وقيل تلوم على الخير والشر والنفع والضر وهو سعيد بن جبير وعكرمة وقال
الحسن هي النفس المؤمنة فان المؤمن والله ما نراه الا يلوم نفسه مما اردت بكلامي
ما اردت باكلي وان الفاجر يمضي عليه الدهر لا يحاسب نفسه ولا يعاتبها وقال مقاتل
هي النفس الكافرة يلوم نفسه في العقبى على ما فرط في امر الله في الدنيا وهي يحتمل الاحتمالين
السابقين وامارة حيث قال تعالى ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي اي الا مدة

رحمة ربي

ربي اي الا مدة رحمة ربي اولا من رحم ربي به ولا يخفى انه لا يصح اطلاق النفس
بهذا الوصف على الانسان اي المعرفة وفي بعض النسخ هنا زيادة وملهمة وهي نسخة
مهملة اذ لم يوجد في اية منزلة كما يطلق اي النفس على ما يجمع الرذائل من سوء الشمائل
فسماه الشارع على اعدى الاعداء كما اخرجه البيهقي عن ابن عباس بسند ضعيف اعدى
عدوك نفسك التي بين جنبيك وهذا الاستعمال هو الغالب على الصوفية فهم يريدون
بالنفس الجامع للصفات المذمومة من الانسان فيقولون لا بد من مجاهدة النفس وكسرها
واسم الروح اي ويطلق عليه اسم الروح ايضا بانفراده وفيه البحث الذي تقدم
والله اعلم فان الارواح عند الاشعار والانسان عبارة عن المركب عنهما واستدل له
بقوله فورد في التنزيل قل الروح من امر ربي ليس فيه دلالة على انه يطلق الروح
ويراد به الانسان فان كل موجود ذات كمية ومقدار فهو من عالم الخلق وكل موجود
منزه عن الكمية والمقدار فهو من عالم الامر كذا قيل والصواب ان كل ما خلق الله بالتدريج
فهو من عالم الخلق وكل ما خلقه بمجرد الامر وهو يتعلق الارادة او بلفظ كن
على الاختلاف فيه فهو من عالم الامر كما قال تعالى اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون
وقال عز وجل ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام الى ان قال الا
له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين كما يطلقه اي الروح الاطباء من الحكماء
على الجسم الكثيف والصواب التوقيف في سر الروح وامره اذ لم يتكلم فيه رسول الله صلى
الله عليه وسلم على ما قاله ابن مسعود كما في الصحيحين وما لم يتكلم فيه فليس لغيره ان
يتكلم فيه وقد قال تعالى وما اوتيتم من العلم اي وبه يعبره الا قليلا لان علم جميع الخلق
بالاضافة الى علم الحق كقطرة من البحر والمراد به العلم بانه ما بوجوده الحيوة وبفقده
الممات والاقرب في تعريفه ما قيل من انه جسم لطيف روحاني رباني منبعه تجويف قلب جسماني
وينتشر بواسطة العروق الضوارب الى اجزاء البدن ثم جريانه في البدن وفيضان انوار
الحيوة والحس والسمع والبصر والشم منه على اعضائه يضاهي فيضان النور من السراج
الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الى جزء من البيت الا ويستنير به فالحيوة مثالها
النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج وسريان الروح وحركاتها في الباطن
مثاله مثال حركة السراج في جوانب البيت بتحريك محركه واما قوله تعالى فنفخت فيه من
روحي فالمراد به اضافة تشريف لان الروح من جملة مخلوقاته وقد ثبت ان الارواح
خلقت قبل الاجساد الفي عام واول الارواح روح خاتم الانبياء وكذا قوله وروح

منه اى من عنده او من امره وانما اطلق الروح على جبريل امين لتجرد روحه وان الملائكة
كلهم ارواح مجردة او لتخصصه بنزول القرآن المسمى بالروح فانه سبب احياء
الروح وروحه كما قال تعالى يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده وقال او
من كان ميتا فاحييناه ويسمى جبريل ايضا بالروح المقدس اى المنزه عن النقصان
في تبليغ امر الحق الى رسل الانسان والله المستعان واسم العقل اى ويطلق عليه
اسم العقل وفيه النظر السابق وما ذكره من الاستدلال فغير المطابق حيث قال اول
اول ما خلق الله العقل وقال له اقبل الحديث اى فاقبل وقال ادبر ثم قال الله عز و
جل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا اكرم علي منك بك اخذ وبك اعطي وبك اثيب
وبك اعاقب الحديث كذا في الاحياء وقال مخرجه رواه الطبراني في الكبير والاوسط
من حديث ابي امامة وابو نعيم من حديث عايشة باسنادين ضعيفين انتهى وقال
ابن تيمية وتبعه الزركشي انه كذب موضوع باتفاق اهل العلم وتعقبه الحافظ
السيوطي بما رواه عبد الله بن الامام احمد في زوايد الزهد عن الحسن مرفوعا مرسلا
بسند جيد بلفظ لما خلق الله العقل الى اخره وفي الحديث دليل على ان العقل غير
العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد ان يكون المحل مخلوقا قبله او معه
ولانه لا يمكن الخطاب معه كما يطلق اى العقل على الصفة المكيفة اى الوصف الذي
يتميز الانسان به عن ساير البهايم من جنس الحيوان وهو الذي استعد به لقبول العلوم
النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذي اراده الحارث بن اسد
المحاسبي قال في حد العقل انه غريزة يتهيا بها درك العلوم النظرية وكانه نور
يقذف في القلب يستعد به لادراك الاشياء وهذا هو الصواب في تعريفه ونظيره
ان الحيوة غريزة بها يتهيا الجسم للحركات الاختيارية وادراكات الحسية ثم العقل
كالمراة التي تفارق غيرها من الاجسام والاكوان في حكاية الصور والالوان
لصفة اختصت بها في تلك الحالة وهي الصقالة وبها اتصفت بالالة فعن ابن عباس
مرفوعا لكل شيء الة وعدة وان الة المومن العقل رواه المحبر كذلك العين تفارق
الجبهة في هيئات وصفات بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة التي هي العقل
الى العلوم كنسبة العين الى الرؤية ونسبة القرآن والشرع هذه الغريزة في سياقها
الى انكشاف العلوم بها كنسبة نور الشمس الى البصر وعن علي رضي الله عنه رايت العقل
عقلين مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يكن مطبوع كما لا ينفع الشمس و

وضوء العين ممنوع فالاول هو المراد بقوله عليه السلام ما خلق الله خلقا هو
اكرم عليه من العقل كما اخرجه الترمذي الحكيم في النوادر من رواية الحسن عن عدة
من الصحابة والاخير هو المراد بقوله عليه السلام لعلي اذا اكتسب الناس من انواع
انواع البر ليتقربوا بها الى ربها عز وجل فاكتسب انت انواع العقل تسبقهم بالزلفة رواه
والقربة رواه ابو نعيم في الحلية وهو المراد ايضا بقوله عليه السلام لابي الدرداء
ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي فكيف لي بذلك فقال
اجتنب محارم الله وادّ فرايض الله تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الاعمال تزدد
في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز رواه الترمذي
الحكيم وغيره وقال ابن المسيب ان عمر وابي بن كعب وابا هريرة دخلوا على رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله من اعلم الناس فقال العاقل قالوا من اعبد
الناس فقال العاقل قالوا فمن افضل الناس قال العاقل قالوا اليس العاقل من تمت مروته
وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال عليه السلام وان كل ذلك
لما متاع الحيوة الدنيا والاخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في
الدنيا خسيسا دنيا رواه ابن المحبر وله من حديث انس من حديث ابن سلام
سال النبي عليه السلام في حديث طويل في اخره وصف عظم العرش وان الملائكة
قالت يا ربنا هل خلقت خلقا اعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما يبلغ من قدره
قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال تعالى فاني خلقت العقل اصنافا
شتى كعدد الرمل فمن الناس من اعطي حبة ومن الناس من اعطي حبتين ومنهم من اعطي
الثلاث ومنهم الاربع ومنهم من اعطي فرقا ومنهم من اعطي وسقا ومنهم من اعطي اكثر
من ذلك رواه الترمذي الحكيم في نوادره مختصرا ولهذا انقسم الناس الى بليد لا
يفهم بالتفهيم الا بعد تعب طويل في التعليم والى ذكي يفهم بالرمز والاشارة من غير حاجة
الى العبارة والى كامل ينبعث من نفسه حقايق الامور ودقايقها بدون التعليم
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار وذلك مثل الانبياء عليهم السلام وبعض اتباعهم
من الاولياء الكرام ويعبر عن الاول بالوحي وعن الثاني بالالهام هذا وقد قال عليه السلام
يا ايها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل تعرفوا ما امرتم به وما نهيتم عنه واعلموا
انه مجدكم عند ربكم واعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان دميم المنظر حقير
الخطر دني المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله وان كان جميل المنظر عظيم

الخطر شريف المنزلة حسن المهنة فصوتها نطوقا فالقردة والخنازير اعقل عند
الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل الدنيا اياكم واياهم فانهم من الخاسرين رواه
داود بن المحبر احد الضعفاء في كتاب العقل من حديث ابي هريرة وهو في مسند
الحارث ابن اسامة عن داود وعن انس قال اثنى قوم رجل عند رسول الله صلى الله
عليه وسلم حتى بالغوا فقال عليه السلام كيف عقل الرجل قالوا نخبرك عن اجتهاده
في العبادة واصناف الخير وتسالنا عن عقله فقال عليه السلام ان الاحمق يصيب بحمقه اكثر
من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات وينالون من ربهم على قدر عقولهم
رواه ابن المحبر بتمامه في الحكيم الترمذي مختصرا وعن عمر مرفوعا ما اكتسب رجل
مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى او يرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا
استقام دينه حتى يكمل عقله ابن المحبر وعنه الحارث ابن ابي اسامة وعن ابي سعيد
مرفوعا لكل شيء دعامة اي عماد ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله يكون عبادته
اما سمعتم قول الفجار في النار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ابن المحبر وعنه
الحارث وقال عليه السلام ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم
ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم له عقله فعند ذلك تم له ايمانه واطاع ربه و
عصى عدوه ابليس ابن المحبر من رواية عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده به والحديث
عند الترمذي مختصرا دون قوله ولا يتم من حديث عائشة وصححه وعن عائشة قالت
قلت يا رسول الله باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا فقال قلت ففي الاخرة قال
بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم فقال هل عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله فبقدر
ما اعطوا من العقل كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون ابن المحبر والحكيم الترمذي
نحوه وقال عليه السلام اكملكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر به ونهى
نظرا وان كان اقلكم تطوعا ابن المحبر من حديث ابي قتادة وفي الاحياء اما العلوم
الدينية فهي الماخوذة من الانبياء عليهم السلام بطريق التقليد وذلك يحصل بالتعلم
لكتاب الله ورسوله وفهم معانيهما بعد سماع مبانيهما وبه كمال صفة القلب في معرفة
الرب وبه سلامته عن الاعراض والاغراض والادواء والامراض فالعلوم العقلية
غير كافية في سلامة القلب وان كان محتاجا اليها في معرفة الرب فالداعي الى محض التقليد مع
عزل العقل بالكلية جاهل والمكتفي بمجرد العقل عن انوار القران والسنة فاياك
ان تكون من احد الفريقين وكن جامعا بين الاصلين فان العلوم العقلية كالاغذية والعلوم

الشرعية

الشرعية كالادوية والشخص المريض يتضرر بالغذاء مهما فاته الدواء فكذلك امراض
القلب لا يمكن علاجها الا بالادوية المستفادة من الشريعة المصطفوية وهي وظائف
العبادات والاعمال التي ركبتها الانبياء لاصلاح القلوب فمن لا يداوي قلبه المريض
بمعالجة العبادات الشرعية واكتفى بالعلوم العقلية استضر بها كما يستضر المريض با
لغذاء ثم قال والعلوم العقلية تنقسم الى دنيوية واخروية فالدنيوية كعلم الطب
والحساب والهندسة والنجوم وسائر الحرف والصناعات والاخروية كعلم احوال
القلب وافات الاعمال والعلم بالله وصفاته وافعاله وهما علمان متنافيان يعني ان من صرف
عنايته الى احدهما حتى يتعمق فيه قصرت بصيرته عن الاخرى ورده على الاكثر ولذا الا
الاكياس في علوم الدنيا في امور الاخرة والاكياس في دقايق علوم الاخرة جهالا
في اكثر علوم الدنيا لان قوة العقل لا تفي بالامرين جميعا في الغالب فيكون احدهما مانعا
من الكمال في الثاني ولذا قال عم اكثر اهل الجنة البله رواه البزار من حديث انس
وقال الحسن ادركنا اقواما لو رايتموهم لقلتم مجانين ولو راوكم لقالوا شياطين
وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون فالدنيا والاخرة لا
يجتمعان فهما ضرتان اذا ارضيت احديهما اسخطت الاخرى ومن هنا قال عم من احب اخرته اضر
بدنياه ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا ما يبقى على ما يفنى ثم الخواطر اثار تحدث في القلب
وهي التي تعرض فيه من الاذكار والافكار تبعث على الافعال اي تارة والترك اي وعليها
تارة فان الخواطر هي المحركات للارادات فمبدا الافعال الخاطر يحرك الرغبة والرغبة تحرك
والعزم يحرك النية والنية تحرك الاعضاء والخواطر المحركة تنقسم الى قسمين فان نفع
اي الخواطر وما يخطر منه او الفعل او الترك في الاخرة فخير محض والاعانة عليه توفيق اي
وهداية من الله سبحانه وان ضر ذلك في الاخرة فشر والاعانة اي عليه كما في نسخة خذلان اي
ترك نصرة منه اعوذ فالاعانة الثانية وقعت بطريق المشاكلة والفارق بين الخير و
الشر الشرع ولا عبرة بالطبع ثم الفارق عمل الصلحاء اي من العلماء فالموافق خير والمخالف
شر ولو كان المخالف برخصة او شبهة لانه لا ينفع بالاخرة اذ التقدير ولو كان ذلك الموافق
برخصة والمخالف بشبهة والرخصة ما يستباح لعذر مع قيام دليل الحرمة كتناول
المضطر مال الغير وترك الخائف على نفسه الامر بالمعروف وحكمه ان الاخذ بالعزيمة اولى
ثم الفارق النفس فما تنفرت عنه نفرة طبع لا خشية اي مخافة من مخافة الله تعالى وغيره
خير وقيل نفرة الطبع كنفرة الشخص عن البزاق والمخاط ونحوهما ونفرة الخشية كنفرته

عن الحيوانات الموذية فاذا خطر له ان يطوى مثلا الى ثلاثة ايام في الصوم ولكن يجد
في نفسه نفرة كراهة من هذا العمل فهذا الخاطر خير لانه لا يتهيأ بجوع ثلاثة ايام غالبا
وتماما لتاليه مثل الطبع من الله سبحانه شر مثلا وخطر الخاطر ان خرج من البيت ويتفرج
المكان الفلاني ولا يخطر معه نية خير يرجو ثوابه مثل زيارة اخ في الله او عيادة
مريض بل فرج بمجرد الخاطر فهو شر لما ورد من حديث من حسن اسلام المرء تركه ما لا
يعنيه ثم الخاطر الصادر من الملك للالهام وليس ذلك الخاطر سوى الخير لانه من شد ناصح
هنالك لم يرسل الا لذلك ومن الشيطان وسواس وهو شر محض غالبا وقد يكون الوسواس
خيرا في الصورة وقصده شر امنه كما يدعوه الى المفضول بالشغل اي بسبب اشتغاله
بالمفضول ممتنعا عن الفاضل كمن يلقي في قلبه خاطر العبادة من الفضل ليشغل عن العلم
الذي هو افضل منها مع الجهل والجر عطف على الشغل اي وكما يدعوه الى خير بسبب جره
الى ذنب لا يفي خيره اي لا يعدل نفعه بشره وضرره كالعجب وغيره من طلب جاه ونحوه ورد
ان القلب مفتون اي ممتحن بين ملك وشيطان يدعوانه اي الى خير وضره والحديث لم اجد
له اصلا فالملك عبارة عن خلق خلقه الله تعالى شانه امتنه الخير وافادة العلم والشيطان
عبارة عن خلق شانه ضد ذلك وهو الوعد بالشر والامر بالفحشا والتخويف عند الهم با
الخير بالفقر كما قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشا ويعدكم منه مغفرة وفضلا
فنسب فعل الملك الى نفسه تفضلا او نظرا الى الحقيقة من غير الواسطة فان روية الا
سباب نوع من الحجاب ومن هذا الباب قوله تعالى ونقلب افئدتهم وابصارهم وقوله و
اعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وورد القلب بين اصبعين من اصابع الرحمن
ان شاء ان يقيمه اقامه وان شاء ان يزيغه ازاغه قال تعالى حكاية عن الراسخين في العلم
حيث يقولون ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا الاية وقال عم في القلب لمتان لمة
من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فيعلم انه من الله سبحانه وتعالى
فليحمد الله ولمة من العدو ايعاد بالشر وتكذيب بالحق ونهي عن الخير فمن وجد ذلك فليستعذ
بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء رواه الترمذي
وحسنه من حديث ابي سعيد وقال الحسن انما هما همان يجولان في القلب هم من الله سبحانه
وهم من العدو فرحم الله عبدا وقف عند همه فما كان لله امضاه وما كان من عدوه جاهده
ونهاه والتجاذب بالقلب بين هذين المسلطين ورد قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
اي بين صفتي الجمال والجلال او هو تمثيل لسرعة تقلب القلب وتردده بالشيء المأخوذ بين

اصبعين

اصبعين المتحركين ولما كان قلب لا يخلو عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل الى غير
ذلك من الصفات البشرية المتشعبة عن الهوى النفسية لا جرم لم يخل قلب عن ان يكون للشيطا
ن فيه جولان بالوسوسة ولذا قال عليه السلام ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا واياك يا رسول
الله قال وانا الا ان الله تعالى اعانني عليه فاسلم فلا يأمرني الا بالخير رواه مسلم عن ابن مسعود
ثم القلب الخالي عن الهوى لا يدخله الشيطان ولذا قال تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان
وكل من اتبع هواه فهو عبد الهوى لا عبد الله قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وقال جرير
بن عبد الله شكوت الى العلاء بن زياد ما اجد في قلبي من الوسواس فقال انما مثل ذلك مثل
البيت الذي يمر به اللصوص فان كان فيه شيء عالجوه والا مضوا وتركوه ومن هنا قيل المفلس في
امان الله وقال عثمان بن ابي العاص يا رسول الله ان الشيطان حال بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال عم
ذلك شيطان يقال له خنزب فاذا احسسته فتعوذ بالله منه واتفل عن يسارك ثلاثا قال ففعلت
ذلك فاذهب الله عني رواه مسلم ولابن ماجه والترمذي من حديث ابي بن كعب ان للوضوء
شيطانا يقال له الولهان فاستعيذوا بالله منه والحاصل انه لا خلاص من الشيطان الا
بالالتجاء الى الرحمن والتبري من الحول والقوة للانسان واظهار العجز في ميدان الباد ولا
اشتغال بذكر الله فانه هو المستعان وذلك لا يقدر عليه الا المتقون كما يشير اليه قوله
تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ومنه
اي الوارد من عنده تعالى ابتداء خاطر مطلق وانما قال ابتداء لان حدث والخواطر جميعا في
قلب العبد من الله حقيقة لكن اذا احدثت عقيب دعوة الملك تنسب اليه وتسمى الهاما واذا
حدثت عقيب دعوة الشيطان تنسب اليه وتسمى وسوسة واذا احدثت موافقا للطبع
يقال له هو النفس وينسب اليه واذا احدثت من الله في القلب ابتداء بلا واسطة الملك
والشيطان لا موافقا للطبع الانساني يسمى خاطرا مطلقا غير مقيد بالواسطة والرابطة وهو
اما خير اعتناء اي عناية لعبد واما شر ابتلاء اي امتحانا للعبد ومن النفس هوى اي والوارد
منها يسمى هوى وهو ضد هدى وليس الهوى الا شر كما ان الهدى ليس سوى الخير وقيل كالوسوسة
من الشيطان اي يدعو الى الشر غالبا وقد يكون وقد يدعو الى الخير اليسير ليجره به الى الشر الكثير
وذلك كما احمد بن ادهم البلخي نازعتني نفسي بالخروج الى الغزو وقلت سبحان الله ان الله تعالى
يقول ان النفس لامارة بالسوء وهذه تأمرني بالخير لا يكون هذا ابدا ولكنها استوحشت فتريد
لقاء الناس لتروح اليهم وتسمع الناس فيستقبلونها بالتعظيم والتكريم فقلت لها انزلك
العمران ولا انزلك على ذي معرفة فاجابت فاساءت الظن بها فقلت الله اصدق وجعلت اقاتل

العدو وخاسرا اي بلا سلاح فتكون اول قتيل فاجابت فاسأت الظن بها فعد اشياء
مما ارادها فاجابت الى كل ذلك فقلت يا رب نبهني لها فاني متهمها ومصدق تلك
فكوشفت كانها تقول يا احمد تقتلني كل يوم بمنعك اياي شهواتي مرات وبخالفتك لي
كرات وما يشعر بذلك احد فان قاتلت فقتلت مرة واحدة فنجوت منك ويتسامع
فيقال استشهد احمد ويكون لي شرف وذكر فقعدت ولم اخرج الى الغزو في ذلك العام
فانظر الى خداع النفس وغرورها برأي لنا سبعد الموت يعمل لم يكن بعد ولقد صدق
القائل شعر توق نفسك لا تأمن غوائلها فالنفس شر من السبعين شيطانا وقيل الا
اذا كانت النفس مطمئنة بذكر الله فليس خاطرها سوى خير وهذا هو الخامس من الخواطر
المسمى بخاطر القلب لقوله تعالى الا بذكر الله تطمئن القلوب يعني ولا يميل ابدا الى الذنوب و
العيوب فورد استفت قلبك ثلاثا وان افتاك المفتون فالخطاب للمتقي فان قلبه
لا يخطئ ومن قيل حدثني قلبي عن ربي اما الفرق بين الخواطر في الخير والشر ففي الخير يعرف
الخاطر المطلق الذي يرد من الله بكونه مصمما اي ثابتا على حالة واحدة دائما وتحدثا
او بكونه واقعا عقيب الطاعة اثابة اي جزاء واكراما فورد في التنزيل والذين جاهدوا
فينا اي بالطاعة لنهدينهم سبلنا الباقية الموصلة الى قربنا ووصلنا في الخير من عمل
بما عمل ورثه الله علم ما لم يعلم وهو معنى قوله تعالى والذين اهتدوا زادهم هدى وآتيهم
تقويهم وقوله واما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى اي الطريقة
الموصلة المسهلة الى الحالة الاخرى في الدنيا والعقبى وطاريا عطف على مصمما اي
عارضا في الاصول اي الاعتقادات والاعمال اي العبادات الباطنة فلا سبيل للغير
تعالى اليها فهو عليم بذات الصدور وخفايا الامور وتنبيها عطف اي وللتنبيه
عن نوم الغفلة في مقام الانابة على فعل الطاعة ولا يبعد ان يعطف على مصمما بذ
كر المصدر وارادة الفاعل اي منبها عن الغفلات على عمل الحسنات فورد في الدعاء
اللهم نبهنا عن نومة الغافلين ثم اوله اصلا والالهام الملكي يعرف بكونه اي الخاطر
مترددا بين العقل وتركه غير قوي في حكمه وقيل مترددا اي يجيء مرة ويذهب
اخرى ومبتديا اي لا محدثا بعد عمل عبادة ونحوه وطاريا اي عارضا في الفروع
العملية والاعمال الظاهرة الاخروية وقيد الاعمال بالظاهرة لان الملك لا سبيل
له الى معرفة باطن العبد في قول اكثرهم وحثا على الطاعة في الامور الدينية فورد
في التنزيل لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون اي الملائكة ما يؤمرون

لانهم

لانهم جبلوا على الطاعة والوسوسة من الخواطر تعرف بكونها مع عجلة لا مع تأن
لقوله تعالى وكان الانسان عجولا وفي الحديث العجلة من الشيطان والاناة من الله رواه
الترمذي وحسنه من حديث سهل بن سعد وقال عز وجل ولا تعجل بالقرآن من قبل ان
يقضى اليك وحيه ونشاطا اي فرح وانبساط وهو خفة تحصل في الانسان للاقدام
على العمل من غير بصيرة وتصور مثوبة دون خشية من غير مخافة على اتمامه اي اتمام العمل
انتهاء واداته على وجهه العمل وحقه ابتداء وقبوله تعالى اياه اي العمل وصاحبه اذ
لا عبرة لمشاوراه وبصيرة اي ودون بصيرة انه اي ذلك العمل خير يرجى عليه الثواب او
شر يخاف عليه العقاب وقيل المراد بالبصيرة بصارة العاقبة بان يصير ويحقق ويتيقن
انه خير ورشد ويجب لزومه مع قطع النظر عن قصد الثواب والله اعلم بالصواب
والحاصل انك ان وجدت نفسك في الفعل الذي خطر بقلبك مع نشاط لا مع خشية ومع
عجلة لا مع تأن ومع امن لا مع لا مع خوف ومع عمى عن العاقبة لا مع بصيرة فاعلم انه من
الشيطان وان وجدت نفسك مع ضد ذلك بان يكون مع خشية لا مع نشاط ومع تأن
لا مع عجلة ومع خوف لا مع امن ومع بصيرة لا مع عمى فاعلم انه من الله تعالى او من الملك هذا
الفرق في الخير كله وفي الشر يعرف الخاطر المطلق الذي هو من الله سبحانه بكونه مصمما اي قويا
وتحدثا واقعا عقيب الذنب عقوبة اي للعقوبة على المعصية فورد في التنزيل بل
ران اي غلب علا على قلوبهم ما كانوا يكسبون من السيئات للوقائع بعضها عقيب
بعض عقوبة لهم حتى اسودت قلوبهم حيث تراكمت ذنوبهم ومنه قوله تعالى واما من
بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى اي الطريقة العسرة الموصلة الى شقلها
في الدنيا والاخرى والهوى اي ويعرف خاطر هوى النفس بكونها مطالبة للشهوة اي
اللذة التي فيها الشهوة فورد في التنزيل ما تشتهي انفسكم حيث نسب الاشتهاء الى النفوس
التي منبع الهوى ومصرة على معين اي وبكونها مصممة على شهوة معينة على وجه معين
وطريق مبين لا عدول عنه بوجه اصلا وقطعا فالنفس لا تسكن دون قضاء الشهوة
اي من غير غرضها التي تريدها كما قيل تريد النفس ان تلقى مناها ويأبى الله الا ما يريد
والوسوسة تعرف بكونها مبتدأة اي ليست عقيب طاعة ولا معصية في الاكثر اي اكثر الا
حوال او اكثر الوساوس ومترددة فتارة تدعو الى معصية واخرى الى اخرى فهي
غير مصممة على حالة واحدة فالشيطان كلب وذئب ذا طرد من جانب دخل من اخرى جانبا
اخر كما يشير اليه قوله تعالى بما اغويتني لاقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم

ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم والمراد طرق المعاصي جميعا فعن ابن مسعود خط
لنا رسول الله صلى الله عم خطا فقال هذا سبيل الله ثم خط خطوطا عن يمين الخط
فقال هذا سبيل الشيطان على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله وباعثة اي يكونها محرضة
على غير معين من انواع المعاصي فرصة نفس للاغواء من اي جهة كان من الاعمال والاحوال
ومسولة اي ويكونها مزينة ومسهلة للمعصية من المعاصي غير متعينة فورد في التنزيل
الشيطان سول لهم اي زين لهم سوء اعمالهم واملى لهم اي امهلهم ببطوء اجالهم او القى في
قلوبهم ما يدومون عليه في اموالهم قال الحسن بلغنا ان ابليس قال سولت لامة محمد
المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت اليهم ذنوبا لا يستغفرون الله عز وجل منها
وهي الاهواء وقد صدق الملعون فانهم لا يعلمون ان ذلك من الاسباب التي تجر الى المعاصي
فكيف يستغفرون منها ومن عظم حيل الشيطان انه يشغل الانسان عن نفسه بالا
ختلافات الواقعة بين الناس في المذاهب الاصولية والفروعية والخصومات الدنيوية
قال عبد الله بن مسعود قعد قوم يذكرون الله عز وجل فاتاهم الشيطان ليقيمهم
عن مجلسهم فيفرق بينهم فلم يستطع فاتى رفقة اخرى يتحدثون بحديث الدنيا فافسد
بينهم فقاموا يقتتلون وليس اياهم يريدون فقام الذين يذكرون الله واشتغلوا
يفصلون بينهم فتفرقوا عن مجلسهم وذلك مراد الشيطان منهم ومندفعة اي يكونها
من دفعة بذكره تعالى ولا بذكر خفية فورد في الحديث فيه اي في حق الشيطان اذا
ذكر العبد الله خنس اي تاخر الشيطان واذا غفل وسوس قال مجاهد في معنى قوله
تعالى من شر الوسواس قال هو منبسط على قلب الانسان فاذا ذكر الله خنس وانقبض
واذا غفل انبسط على قلبه فالتطارد بين ذكر الله ووسوسة الشيطان كالتطارد
بين النور والظلام وبين الليل والنهار ولتطاردهما قال تعالى استحوذ عليهم الشيطان
فانسيهم ذكر الله وعن انس قال عم ان الشيطان واضع خطمه على قلب ابن ادم فاذا
ذكر الله خنس وان نسي الله التقم قلبه ابن ابي الدنيا وابو يعلى وابن عدي هذا وكان
الشهوات ممتزجة بلحم الادمي فسلطنة الشيطان ايضا سارية في لحمه ودمه ولذا قال عم
ان الشيطان ليجري من ابن ادم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع وذلك لان الجوع يكسر
الشهوة ومجرى الشيطان الشهوات المانعة عن الطاعات وفيه تنبيه على انه لا يتخلص
احد من الشيطان ما دام حيا نعم له سبيل الى دفعه وتضعيف قوته كما قال عم ان المؤمن

ينضي شيطانه كما ينضي احدكم بعيره في السفر اي يهزوله ويضعفه رواه احمد من حديث ابي
هريرة وقال ابن مسعود شيطان المؤمن مهزول وقال قيس قال لي شيطاني دخلت فيك و
انا مثل الجزور وانا الان مثل العصفور فقلت ولم ذلك قال تذيبني بكتاب الله تعالى وقال
ابو هريرة التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس واذا شيطان
المؤمن مهزول اشعث اغبر عار فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن ما لك فقال انا مع
رجل اذا اكل سمى الله فاظل جايعا واذا شرب سمى الله فاظل عطشانا واذا ادهن سمى الله
فاظل شعثا واذا اكتسى سمى فاظل عريانا فقال الشيطان الكافر لكني مع رجل لا يفعل شيئا مما ذكرته
فانا اشاركه في طعامه وشرابه ودهنه ولباسه وفي النسائي عن حديث سبرة باسناد صحيح
ان الشيطان قعد لابن ادم في طرقه فقعد له في طريق الاسلام فقال اسلم وتذر دينك
ودين ابائك فعصاه واسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال اتهاجر وتذر ارضك وسماءك
فعصاه وهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له اتجاهد وهو جهد النفس فتقاتل فتقتل فتنكح
نساؤك ويقسم مالك فعصاه فجاهد قال عم فمن فعل ذلك ومات كان حقا على الله ان يدخله
الجنة واذا عرفت هذا فينبغي للعبد اشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالبحث عن اصله
ونسله ومحله فقد قال تعالى ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا انما يدعو حزبه
ليكونوا من اصحاب السعير وقال تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان
انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم وقيل يتعذر التمييز بين الخواطر
لشيء من الاشياء الا بنور التقوى والمعرفة بصفات المولى كما قال تعالى ان الذين اتقوا اذا
مسهم طائف من الشيطان تذكروا اي رجعوا الى نور العلم فاذا هم مبصرون اي تنكشف
لهم الاشكال وانحل لهم العقال وتبين لهم غامض الاحوال واما من لم يروض نفسه بالتقوى
فيميل طبعه الى اذعان الهوى لتلبيسه لمتابعة الهوى ويكثر فيه غلطه ويعجل
هلاكه وهو لا يشعر به وفي مثلهم قال تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون قيل
هي اعمال ظنوها حسنات فاذا هي سيئات وفي الاحياء ينبغي ان يعلم ان الخواطر تنقسم الى
ما يعلم قطعا انه داع الى الشر فلا يخفى كونه وسوسة والى ما يعلم انه داع الى الخير فلا
يشك في كونه الهاما والى ما يتردد فيه ولا يدري انه من لمة الملك او من لمة الشيطان
فان من مكايد الشيطان ان يعرض الشر في معرض الخير والتمييز في ذلك غامض واكثر العباد به
يهلكون فان الشيطان لا يقدر على دعائهم الى صريح الشر فيصور الشر لهم بصورة الخير ولذا
روي ان ابليس تمثل لعيسى عم فقال له قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها بقولك

وعن النبي عم كان راهب في بني اسرائيل فاخذ الشيطان جارية فخنقها والقى في
قلوب اهلها ان دواءها عند الراهب فاتي بها الى الراهب فابى ان يقبلها فلم يزالوا
حتى قبلها فكانت عنده ليعالجها فاتاه الشيطان فوسوس اليه وزين له مقاربتها
فلم يزل به حتى وقع عليها فحملت منه وسوس اليه وقال الان تفتضح يأتيك اهلها
فاقتلها فان اتوك فقل ماتت فقتلها ودفنها فاتاه اهلها فسألوه فقال
ماتت فالقى اليهم الشيطان انها مدفونة عنده فنبشوا عليها فوجدوها مقتولة
فاخذوه فاتاه الشيطان فقال انا الذي اخذتها وانا الذي لعبت في قلوب اهلها
فاطعني اخلصك منهم قال بماذا قال اسجد لي سجدتين فقال له الشيطان اني بريء
منك فهو الذي قال الله تعالى كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال اني بريء
منك الاية والحديث رواه ابن ابي الدنيا في مكايد الشيطان وابن مردويه في تفسيره
من حديث عبيد بن رفاعة مرسلا وللحاكم نحوه موقوفا على علي بن ابي طالب رضه
وقال صحيح الاسناد ووصله مطين في مسنده من حديث علي وذكره البغوي في تفسيره
عن ابن عباس وذكر ان الراهب اسمه برصيصا وتعلل بعد قتلها بان جنيها اخذها
وراح بها ولم يقدر على دفعه عنها القصة بطولها فانظر الان الى حيل الشيطان
واضطراره الراهب الى هذه الكبائر وكل ذلك لطاعته له في قبول الجارية للمعالجة
وتهاونه في المخالطة وربما ينظر صاحبه انه حسن وحسنة وملاطفة في المرافقة
وحسن عشرة في المخالطة فيحسن ذلك في قلبه ويخفى الهوى في نفسه فيقدم اليه كما
الراغب الجد لديه فيخرج الامر بعد ذلك عن اختياره هنالك ويعجز البعض بحيث
يجد محيصا في الخلاص عن الآثام المذكورة فنعوذ بالله من تضييع اوائل الامور
واليه الاشارة بقوله عليه السلام من حام حول الحمى يوشك ان يقع فيه متفق عليه
من حديث نعمان بن بشير واختلف في الاخذ اي في المؤاخذة بالخواطر فبعضهم قال
بعدم الاخذ مطلقا واستدل بقوله عم يقول الله اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها
وبعضهم بالاخذ مطلقا واستدل بقوله تعالى ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم و
والتحقيق المفصل فاذا ورد ما يرد على القلب الخاطر كما لو خطرت له مثلا صورة امرأة
وانها وراء ظهره في الطريق بحيث لو التفت اليها لرآها ويسمى حديث النفس والثاني
هيجان في الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة في الطبع وهذا يتولد من الخاطر الاول
ويسمى ميل الطبع والثالث حكم القلب بان هذا ينبغي ان ينظر اليها فان الطبع اذا مال لم

ينبعث التهمة والنية ما لم يندفع الصوارف فانه قد يمنعه حياء او خوف من الله تعالى
عن الالتفات وعدم هذه الصوارف ربما يكون بتأمل وهو على كل حال حكم من جهة
العقل ويسمى هذا اعتقادا وهو يتبع الخاطر والميل والرابع تصميم العزم وجزم
النية وقيل الارادة ميل الباطن نحو المطلوب والقصد قراره في القلب على نهج المرغوب
والعزم بحيث لا يمكن زواله والجزم بحيث يوجب العمل في ماله فاذا عرفت هذا فالتحقيق
عند اهل التدقيق عدمه اي عدم الاخذ بمعنى المؤاخذة فيما لا اختيار له كحديث
النفس مما يخطر ببالها ويذهب بسرعة زوالها وقيل الطبع اي الجبلي الذي لا اختيار
لصاحبه في الميل اليه وانت عرفت ان حديث النفس وميل الطبع متغايران وقيل عطف
تفسيري وهو خاطر فعل الذي ما انجر الى العزم والهم لامتناع التكليف فيه اي فيما
لا اختيار فيه فانه تكليف ما لا يطاق وقد قال لا يكلف الله نفسا الا وسعها وورد
عن ما حدثت نفوسنا وهو معنى حديث الصحاح الست عن ابي هريرة ان الله تجاوز
لامتي عما حدثت به انفسها ما لم تتكلم به او تعمل به وعن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله
عم يقول الله تعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها عليه
سيئة فان تركها من اجلي فاكتبوها حسنة واذا هم بحسنة ولم يعملها فاكتبوها
حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا رواه الشيخان وانما هو اي الاخذ والمؤاخذة في
العزم اي حكم القلب بان هذا ينبغي ان يفعل والهم اي المصمم فهو عطف تفسيري
وهو قصد الفعل بعد المحظور ولكن ما افضى الى مباشرة الفعل لمانع من الشرع
او العقل او غيرهما فانه قد يكون الفاسق محروما وفسقه مجزوما والثاني اخص
من الاول فتامل فورد في التنزيل وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم
به الله اي ان تظهروا ما فيها من العزم والتصميم على المعصية او تخفوه يجازكم به كما قال
فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولما نزل الآية جاء اناس من الصحابة الى رسول الله
عم فقالوا اكلفنا ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب ان يثبت في قلبه ثم
يحاسب بذلك فقال عم لعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا وعصينا قولوا سمعنا
فانزل الله الفرج بقوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها رواه مسلم من حديث ابي هريرة
وابن عباس وظهر ان كل ما لا يدخل تحت الوسع من اعمال القلوب هو الذي لا يؤاخذ
به ان السمع والبصر الآية اي والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا وقال الله تعالى ولا تكتموا
الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه قال لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم

بما كسبت قلوبكم انما يحشر الناس على نياتهم رواه ابن ماجه من حديث جابر دون قوله
انما وله من حديث ابي هريرة انما يبعث الناس على نياتهم واسناده حسن وفي الاحيا
ونحن نعلم ان من عزم ليلا على ان يصبح ويقتل مسلما او يزني فمات تلك الليلة مات
مصرا ويحشر على نيته والدليل القاطع فيه حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل
والمقتول في النار قالوا يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل
صاحبه رواه الشيخان ووقع الاجماع على الاخذ اي المؤاخذة بالكبر والعجب والريا
وخص الثانية بالذكر لكونها من اعمال الباطن ولمناسبتها بالخواطر الا ان يمتنع عن
العمل السوء بعد العزم اي القصد الجزم على الفعل له اي يكون امتناعه لاجله تعالى
رجاء او خوف فيمحوه اي فيمحو الله سبحانه الاخذ بها والعقوبة عليها مجازاة تاثيرا
لامتناع عن العمل لاجله تعالى في تنوير الباطن لانه اي الامتناع يخالف الطبع ويوافق
الشرع فيترجح على تاثير القصد اي قصد المعصية والعزم عليها فيكون مؤثرا في
تسويده اي تسويد الباطن وتغيره لانه يوافق لانه قصد المعصية يوافق الطبع
ولا يلايم الشرع وحاصله ان الامتناع من حيث انه يخالف الطبع يحتاج الى جد شديد
وسعي اكيد وما كان جده اشد وسعيه اهم كان تاثيره اكمل واتم فثبت بهذا ان تاثير
الامتناع في تنوير الباطن اشد من تاثير قصد المعصية في تسويد الباطن لانه لا يحتاج
الى سعي بليغ وما كان جده واجتهاده اقل كان التاثير انقص فتامل وفي الخبر
افضل الطاعات احمزها اي اشقها واصعبها وورد في الخبر فيه اي في الامتناع
ان تركها اي السيئة فاكتبوها حسنة وقد تقدم ولابن ابي الدنيا في مكايد الشيطان
هكذا من سلا قال قتادة لما بعث النبي عليه السلام قال ابليس لشياطينه لقد حدث امر فانظروا
واما فانطلقوا ثم جاؤه فقالوا ما ندري قال ابليس انا اتيكم بالخبر فذهب ثم جاء فقال
بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال فجعل يرسل شياطينه الى اصحاب النبي عم فينصرفون
خائبين فيقولون ما صحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقولون الى صلوتهم
فيمحى ذلك فقال ابليس رويدا بهم عسى الله ان يفتح لهم الدنيا فهناك تصيبون
حاجتكم منهم ومما يدل على حديث النفس لا يؤاخذ به ما روي عن عثمان بن مظعون
حيث قال يا رسول الله ان نفسي تحدثني ان اطلق خولة قال مهلا ان من سنتي النكاح
قال نفسي ان اجب نفسي قال مهلا خصاء امتي دؤوب الصيام قال نفسي تحدثني ان اترهب
قال مهلا رهبانية امتي الجهاد والحج قال نفسي تحدثني ان اترك اللحم قال مهلا فاني احبه

ولو اجبته لاكلته ولو سألت الله لا يطعمني رواه الترمذي الحكيم في نوادر الاصول
عن سعيد بن المسيب مرسلا ثم الواجب الاحتراز اي الاحتراس عن الشيطان وما فيه و
ما فيه من الوسواس لانه عدو بهم كما نطق به القران حيث قال ان الشيطان لكم عدو
مبين وقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا الاية ولان العابد العالم يغالبه
اي يغالبه في غيظه لاجل كونه في سبيل الله فتشتد معاداته اي الشيطان اياه اي ذلك
العابد ولذا اورد الفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ثم من عداوته للناس
امره لهم بالاثام ووعده الامان من عذاب الله وعدم حسابه والياس من ثوابه من
غير شبهة فضلا عن حجة وتخويفهم بالفقر في اعطاء الزكوة وتحثهم على الانفاق في
المحرمات وتخييل لهم حصول اللذات في الشهوات واللهوات ويدعون له ازواج وحور
زيادة جمال وزينة ومعطرة في غاية كمال الى زنا من ليس لها ذلك في الاحوال ويأمر
الامراء بالظلم في اموال الاغنياء واوقاف الايتام والفقراء مع وقوعها لهم ويقتل
النفس بادنى خيال مع تمكنهم من الدفع في حال واستقبال وله ابواب فيها اطناب
والطريق اي طريق الاحتراز منه الاستعاذة منه به تعالى لانه اي العبد والاستعاذة
مامور بها في قوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية وسائر
الايات والاخبار الواردات وكان محمد بن واسع يقول كل يوم بعد صلوة الصبح اللهم
انك سلطت علينا عدوا من عدا نفسنا بصيرا بعيوبنا مطلعا على عوراتنا يرانا هو وقبيله
من حيث لا نراهم اللهم فآيسه منا كما ايسته من رحمتك وقنطه من عفوك وابعد بيننا
وبينه كما ابعدت بينه وبين جنتك انك على كل شيء قدير وعن عبد الرحمن بن ابي ليلى
قال كان شيطان ياتي النبي صلى الله عم بيده شعلة من نار فيقوم بين يديه وهو يصلي
ويقرء ويتعوذ فلا يذهب فاتاه جبريل عم فقال اعوذ بكلمات الله التامة التي
لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ذرء وبرء في الارض ومن شر ما يخرج منها وما
ينزل من السماء وما يعرج فيها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار الا طارقا
يطرق بخير يا رحمن فقال ذلك فطفئت شعلته وخر على وجهه رواه ابن ابي الدنيا
في مكايد الشيطان هكذا مرسلا وكذلك في الموطا نحوه عن يحيى بن سعيد مرسلا ووصله
ابن عبد البر في التمهيد من رواية محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة عن عياش
الشامي عن ابن مسعود رواه احمد والبزار من حديث عبد الرحمن بن خنبش ولان
الكلب ان حاربته تعيب وربما غلبت فالرجوع الى ربه اولى في الخلوص عن البلوى
ومثل الشيطان بالكلب الجائع يقرب منك فاذا لم تكن بين يديك لحم او خبز فانه ينزجر

ان يقول له اخسأ فبمجرد الصوت يدفعه وان كان بين يديك شيء من ذلك و
هو جايع فانه يهجم عليك ولا يندفع بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوة الشيطان
يندفع عنه بمجرد الذكر فاما الشهوة اذا غلبت على القلب دفعت حقيقة الذكر
الى حواشي القلب فلم يتمكن الذكر من سويدائه فيستقر الشيطان في سويداء القلب
ومثل بعضهم الشيطان بالكلب التركي فانه لا يخلص لاحد منه لا بالسيف ولا بالطرد ولا
باعطاء اللحم وغيره والماء يخيفه منه فيمنعه صاحبه من داخل خيمته فيقف غضب كلبه و
ونمنعه والمجاهدة مع الشيطان بالرد اي برد الوسوسة ودفعها في حالة الانسة
وقلع المهلكات اي واذالتها من اصلها وهي الحسد والحرص والغضب والشهوة وحب
التزوين في الثياب والاثاث والدار والشبع من الطعام ولو لم يكن من الحرام والطمع
الانام واخذ كل مال يزيد على قدر القوة والحاجة من الدراهم والدنانير وسائر اصناف
الاموال وخوف الفقر والبخل والتعصب للمذاهب والترصد للمناصب والتفكر في ذات الله
وسوء الظن بالمسلمين ونحو ذلك من الحالات الكاسدة والمقامات الفاسدة فهو اي الشيطان
على الانسان للامتحان في ميدان الطاعة والعصيان فيكره المرء ويثبتها وادامة ذكره تعالى
لسانا خفيفة او قلبا فهو افضل فاكثرتها تاثيرا والجمع بينهما اكمل لما سبق من ان العبد اذا
ذكر الله خنس الشيطان وتأخر في الخير مالك سلك عمر فجا اي طريقا الا سلك الشيطان
فجا غير فجه رواه الشيخان من حديث سعد بن ابي وقاص قال في الاحياء لان قلبه هذا
كان مطهرا عن مرعى الشيطان قوته وهي الشهوات فمهما طمعت في ان يندفع الشيطان عنك
بمجرد الذكر كما اندفع عن عمر كان محالا كمن طمع في ان يشرب الدواء قبل الاحتماء والمعدة
مشغولة بغليظة الاطعمة ويطمع في ان ينفعه الدواء كما نفع الذي شربه بعد الاحتماء
وتخلية المعدة فالذكر دواء والتقوى احتماء فاذا نزل الذكر قلبا فارغا عن غير
الذكر اندفع الشيطان عنه كما يندفع العلة بنزول الدواء في معدة خالية عن الاطعمة
فان قلت الحديث قد ورد مطلقا بان الذكر يطرد الشيطان ولم يفهم ان امورا الشرع
مخصوصة بشروط يعرفها علماء الدين فانظر الى نفسك فليس الخبر كالمعاينة وتامل ان
منتهى ذكرك وعبادتك صلوتك لله فراقب قلبك اذا كنت في صلوتك كيف يجاذبه
الشيطان الى الاسواق وحساب المعاملين وجواب المعاندين وكيف يمر بك في اودية الدنيا
ومهالكها حتى انك لا تذكر ما نسيته من فضول الدنيا الا في صلوتك فلا تزدحم الشياطين
على قلبك الا اذا صليت والصلوة محك القلوب فيها مساويها ومحاسنها والصلوة
لا تقبل من القلوب المشحونة بشهوات الدنيا فلا جرم لا تطرد عنك الشيطان بل ربما يزيد عليك

الوسوسة

الوسواس في ذلك الزمان كما ان الدواء قبل الاحتماء ربما يزيد عليك الضرر في الداء فان
شئت الخلاص من الشيطان فقدم الاحتماء بالتقوى ثم اردفه بدواء الذكر كما يشير اليه قوله
تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فالشرط في الذكر
تقدم التقوى او كمال الحضور في ذكر المولى ومن هنا ورد من صلى ركعتين لم يحدث منهما
بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقد قال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب الشيطان
في العلانية وانت صديقه في السر اي مطيع له في الباطن وقال بعضهم يا عجبا لمن يعصي المحسن
بعد معرفته باحسانه ويطيع اللعين بعد معرفته بطغيانه وعن بعض الحكماء الشيطان يأتي ابن
ادم من قبل المعاصي فان امتنع اتاه من قبل النصيحة حتى يلقيه في البدعة فان ابى امره بالتحرج و
الشدة حتى يحرم ما ليس بحرام فان ابى شككه في وضوئه وصلوته حتى يخرجه من العلم فان ابى خفف
عليه اعمال البر حتى يراه الناس صابرا عفيفا فيميل قلبه اليهم ويعجب بنفسه وبه يهلكه وعنده يشتد
الحاجة فانها اخر درجة ويعلم انه لو جاوزه افلت منه الى الجنة والاستخفاف يدعونه اي بالمخالفة
وعدم الاعتبار بدعوة الشيطان فالكلب ان اعرضت عنه سكت عنك وان اشتغلت معه بالدفع
انبعث بالعواء ومعرفة مكائده الاتي بيانها فاللص ان علم احساس صاحب الدار فر اي شرد وانطر
الى الزاد ولم يتمكن من الزاد وهي المكايد سبعة كالمنع عن العمل من اصله والتسويف اي التأخير
عن محله والعجلة في فعله والرياء في قصده والعجب بعد فراغه وارادة الاظهار منه تعالى للحق
بعدم الاكتفاء بنظر الحق وهو من الرياء الخفي وعدم الحاجة الى العمل بناء على قسمة الازل
في السعادة والشقاوة وهذا لف في العبارة ونشره بالاشارة في قوله والرد اي رد
المكايد المذكورة بالحاجة الى العمل للتزود اي لتزاد المعاد في يوم التناد فقد قال تعالى و
تزودوا فان خير الزاد التقوى وهجوم الاجل اي مجيئه بغتة قبل حصول العمل ورجحان
القليل من العمل التام اي الكامل بالتأني على الكثير من العمل الناقص بالعجلة وكفاية رؤيته
تعالى لقوله تعالى الم يعلم بان الله يرى وقوله تعالى اليس الله بكاف عبده وذكر منته والتفويض
اليه الى التسليم بين يديه في الاظهار والاخفاء في العبادة بل ينبغي ان يميل الى الاخفاء
لانه ابعد من الرياء وفي الخبر افضل امتي الانقياء الاخفياء وفرضية امتثاله اي امتثال امره
على عبده ثم ان كنت شقيا فانا محتاج الى العمل لكيلا الوم نفسي يوم القيمة فاني لو دخلت النار
وانا مطيع احب الي من انا ادخلها وانا عاص لخفة العذاب وان كنت سعيدا فانا محتاج الى
زيادة الثواب وحقيقته وغيره الادنى اي الاقرب بالاتيان على الطاعة والاجابة ثم الاقصر
الاقتصار على التكذيب للشيطان فيما يوسوسه وترك الجدال فانه يورد قلب العبد ويشوشه

ولان المجادلة شاغل عن العبادات الكاملة ثم الاستمرار على ما كان عليه من
العبادة والاستقرار من غير تكذيب لا جدال لان التكذيب ايضا شاغل كالجدال
وان كان قليلا فان المولى الاعلى هو الحضور مع المولى ثم الزيادة اى زيادة
الاجتهاد في ضده اى ضد ما ذكر من المكايد او في ضد كيد الشيطان ففيه
اغضاب اى اغضاب للشيطان وارضاء الرحمن كما حكي عن ابن ادهم انه لما اراد ان
يدخل البادية اتاه الشيطان يخوفه بان هذه بادية مهلكة هادية ولا زاد معك
ولا سبب للاداوية فعزم على نفسه ان يقطع البادية على تجرده ذلك وان لا
يقطعها حتى يصلي الف ركعة تحت كل ميل من اميالها هنالك وقام بما عزم عليه
من الهمة وبقي عليه في البادية اثنتي عشرة سنة ويروى عن الفضل بن غزوان
انه قيل له ان فلانا يذكرك بسوء فقال والله لاغيظن من امره قيل من امره قال الشيطان
ثم قال اللهم اغفر له اني لاغيظنه بان اطيع الله فيه ومهما عرف الشيطان من عبد هذه
العبادة كيف عنه خيفة ان يزيد في حسناته وهو خلاف ما له من الارادة واختلف
العلماء في امن الاقوياء كالانبياء والاصفياء من الاولياء منه اى من الشيطان فقال قوم
هم معصومون ومحفوظون عنه لقوله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقوله
تعالى الا عبادك منهم المخلصين والحق من الاقوال عدمه اى عدم امنهم من الشيطان
في جميع الاحوال لقصة ادم عليه السلام في اكل الشجرة فانه صريح في المدعى ونص
في الكلام حيث قال تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى
لقوله تعالى واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله والخطاب للنبي عم وقد
روي عم نظر اى علم ثوابه في الصلوة فلما سلم رمى ذلك الثوب وقال شغلني عن
الصلوة ولقوله تعالى سبحانه وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا
تمنى اى قرأ القى الشيطان في امنيته اى قراءته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم
اياته وورد في صحيح مسلم وغيره انه اى الشان ليغان اى يحجب على قلبي فيمنعني عن ذكر
ربي مع ان الشيطان اسلم فلم يأمر الا بخير وتمام الحديث واني لاستغفر الله في اليوم
مائة مرة وفيه انه ليس في هذا الحديث ما يدل على مدعى المصنف من اغواء الشيطان له
فان المراد بالغين حجاب يقع من كثرة مشاهدة عباد العين في مقام ابيني فيمنع عن مشاهدة
العين فيستغفر ربه من ذنبه اللائق به فان سيئات المقربين الاحرار حسنات المطيفين
الابرار ومادمت في هذه الدار لا تستغرب وقوع الاكدار في اى وكذا اختلف

في منافات

في منافات التوصد اى التحفظ للحذر من الشيطان التوكل بالنص مفعول منافات
والحق من الاقوال المختلفة عدمها اى عدم المنافات فاخذ السلاح من الدرع والمغفر
وسائر الاسلحة وجمع العسكر للمقاتلة وحفر الخندق في المقابلة ما قدحت في توكله اى
ما طعنت في توكله عم واصحابه الكرام بل ورد الامر من الله سبحانه باخذ السلاح
في قوله تعالى وليأخذوا حذرهم واسلحتهم وقال تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط
الخيل وفي الحديث الا ان القوة الرمي وفي اى كذا اختلف في كيفية الحذر عن الشيطان فقوم
قالوا اذا احذرنا الله تعالى عن العدو فينبغي لنا ان نستغرق في ترصده ولا يكون شيء اغلب
على قلوبنا من ذكره وفكره وقال قوم لا ينبغي لنا ان نجمع بين ذكر الله سبحانه وبين ذكر عدو
فضلا عن ان يكون ذكره غالبا في الجزء من احب شيئا اكثر ذكره وقال قوم غلط الفريقان
لان كلا من القولين لا يخلو عن نوع من النقصان كما يتجلى له البيان فالاولى تقرير عداوته اى
احكام عداوة الشيطان واثباته على القلب فاذا تقرر عداوته في القلب لزم ترك الالتفات
اليه والاستغراق في ذكره تعالى اى وتمامه للتوجه الى ذكر الرب بجميع الهمة من غير التفات الى ذكر الشيطان
وفكره بسبب حضور القلب في طاعة ربه والاشتغال بالدفع اى يدفع الشيطان عند الانتباه
بوروده اى بدخول الشيطان في القلب بالوسواس ونحوه لدخوله في الانسان مجرى الدم في
لحم واما الاستغراق في الترصد اى في التحفظ عن الشيطان للحذر فينافي الذكر المطلوب ذاته
وهو اى الاستغراق في المذكورات او في الذكر اسراده اى القاء الشيطان في السر ودواتا
لان مراده في مقام اختياره والحجب اى وينافي جمع الهمة او مقام الجمع او جمع الجمع وهو ان
لا يمنع الكثرة عن الوحدة ولا يحجب الوحدة عن الكثرة والجمع بين ذكر الرحمن وبين ترصد
الشيطان ينقص الحضور في ميدان المشاهدة والعيان على قدر اشتغال القلب بذكر الشيطان
فان الله تعالى امر الخلق بذكره ونسيان غيره وورد في التنزيل قل الله اى ولا سواه ولا نعبد
ولا نشهد الا اياه ثم ذر اى اترك الخلق من الشيطان وغيره فيهم في خوضهم اى باطلهم من الاشتغال
بغير الحق يلعبون كالبهائم والاطفال والمجانين كما قال في موضع اخر ذرهم ياكلوا ويتمتعوا
ويلههم الامل فسوف يعلمون اى جزاء عملهم او مضمون قوله تعالى وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون اى ليوحدون اولا ثم يطيعون ثانيا ثم يذكرون على الدوام ثالثا ثم يعرفون
حق المعرفة رابعا وعن النفس عطف على قوله عن الشيطان اى ثم الواجب الاحتراز عن النفس
الامارة بالسوء لانها اشد الاعداء وبلاؤها اصعب البلوى فعلاجها اعسر من علاج
الشيطان واشد الاشياء وداؤها اعضل الداء ودواؤها اشكل الدواء لا ذبحة

امور ولانها محبوبة لصاحبها مع انها اعدى عدوه والحب يعمي ويصم عن رؤية العيب
في محبوبه ويصم الاذن عن الملامة في مطلوبه ففي الحديث الشريف حبك الشيء يعمي ويصم رواه
احمد وغيره عن ابي الدرداء رض والحاصل ان الانسان عمي عن عيب محبوبه لا يكاد يبصر
عيبا في مطلوبه كما قال قائل في شعره وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين
السخط تبدي مساويا فاذا استحسن الانسان من نفسه كل قبيح ولا يكاد يطلع
على عيبها الا و يقول انه مليح وهي في عداوته مستقرة في غوايته مستمرة فما او شك ان
توقعه في الهلاك وفضيحة و يتوهم انه خلاص ونجحة وهو لا يشعر به الا اذا احفظ
الله تعالى بفضله وكرمه وعدوا اي ولانها ودا خلا اي باطني فلص البيت اي ممن
يدخل فيه و يخرج منه تعرفيه الحيلة اي تعسر دفعه الخلاص من المكيدة
ولذا قال تعالى لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ولا تنفك اي
النفس عن الانسان الا بالموت بخلاف الشيطان فانه لا ينفك بالاستعاذة
والمجاهدة ولا تندفع النفس وشرها بالذكر اي بذكر الله بخلاف الشيطان
فانه يندفع لذكرها سبق من حديث اذا ذكر الله خنس وتشكو النفس يوم القيمة
عمن وافقها في الدنيا فلهما كم عن انس مرفوعا عجبت من مجادلة العبد ربه يوم
القيمة يارب ليس وعدتني ان لا تظلمني قال بلى قال فاني لا اقبل علي شهادة شاهد
الا من نفسي فيقول او ليس كفى بي شهيدا وبالملائكة الكرام الكاتبين فيرد هذا
مرات فيختم على فيه ويتكلم اركانه بما كان يعمل فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن كنت
اجادل واما دل واما ما في الاحياء من انه عم قال كفا ذلك عن نفسك ولا تتابع
هواها في معصية الله تعالى اذن تخاصمك يوم القيمة فيلعن بعضك بعضا الا ان
يعفو الله ويستر فقال مخرجه لم اجده بهذه السياق ومنها اي من النفس نشأ
ذنب ابليس بالكبر والحسد حيث قال انا خير منه وامتنع عن حكم ربه فكفر
بسببه بعد قضاء الله السابق في حقه نعوذ في بحر الغلا لبعد عناده ثمانين
الف سنة في بعض الاقوال ولم يكن هنا دنيا ولا خلق ولا شيطان اخر بل كانت
النفس وحدها فعلت ما عملت من جهرها وقابيل بالشح اي بسبب بخله على اخيه
في اخته فانكر على الله فوقع في الكفر بسببها لا بسبب قتل اخيه وهاروت و
ماروت وقعا فيما وقعا من البلية بالشهوة التي ادت الى الزنا ونحوه من المعصية
قبل وادم وحوا بالحرص على الدوام والبقاء حتى اغترا بقول ابليس هل ادلكما على

شجرة

شجرة الخلد وملك لا يبلى فسقطا بذلك من جو المولى الى هذه الدنيا الدنية
الحصيرة النكدة الفانية ولعن اولاده من الامور المهلكة ثم هلم جرا الى يوم
القيمة لا يجد في الخلق فتنة ولا فضيحة ولا محنة وضلالا ولا معصية الا واصلها
النفس وهواها والا كان الخلق في سلامة وعجز في ميدان الامور وخفتها
ها واذا كان العدو و بهذا لتفرد كله فحق على العاقل ان يهتم بامرها في حقه فان
قيل بين لنا طريق دفع هذه النفس فيقال والطريق تذليل النفس وتكسيرها ها
او طريق الاحتراز عن النفس وتشتتها ثلثة منع الشهوات و دفع الشهوات و دفع
اللذات عنها فالحرون اي العصب من الدواب للين ينقص العلف عن عادته مع حبسه
في مربطه وحمل اعباء العبادة اي اثقالها واشغالها فالحمار الجموح ينقاد بزيادة
الحمل على ظهره والاستعانة به تعالى والتضرع اليه ليهون امرها عليه والا فلا
تخلص لديه فورد في التنزيل ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم اي من رحمة
او مرة رحمة والاصل فيه اي في طريق الاحتراز اي في طريق تذليل النفس الرياضة
اي وفق الشرعية المرضية ففي تحفة الملوك لا يحل الرياضة بتقليل الاكل الى ان
يضعف عن اداء العبادة ولو اصل اربعين يوما فمات مات عاصيا ولو مرض
وترك المعالجة توكلا على الله فمات لم يمت عاصيا والتنعم بانواع الفاكهة مباح
وتركه افضل والجمع بين الاطعمة حرام اي ممنوع ومكروه كراهة تنزيهية او
حرام في طريق الصوفية ثم الاصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم على المعاقدة
فاذا اعزم على ترك شهوة وتيسر اسبابها ابتلاء من الله تعالى فينبغي ان يصبر عنها ويستمر
عليها فانه ان عود نفسه كسر العزم الفت بعد ذلك عدم الحزم وفسدت بفقد
الحزم واذا اتفق منه نقض العزم فينبغي ان يلزم نفسه عقوبة عليه وجزاء
لديه وهي اي الرياضة المستحسنة بالاتفاق تهذيب الاخلاق فورد في الحديث
اني رايت البارحة عجيبا اي امرا عزيبا رايت رجلا من امتي جاثيا اي جالسا
على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاء حسن الخلق من باب فادخله على الله
تعالى من غير حسنا ولا عتاب والحديث رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث
عبد الله بن سمرة اثقل ما يوضع في الميزان حسن الخلق رواه ابن داود والترمذي
وصححه من حديث ابي الدرداء ولابي داود والترمذي من حديث ابي الدرداء
ولابي داود والترمذي من حديث ابي الدرداء ما من شيء في الميزان

اثقل من حسن الخلق وللطبراني في الاوسط من حديث عمار بن ياسر حسن الخلق
خلق الله الاعظم ولاحمد والحاكم والبيهقي من حديث ابي هريرة بعثت لاتمم مكارم
الاخلاق ولاحمد من حديث عايشة الشوم سوء الخلق ولابن حبان وغيره سوء
الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وللخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث
عايشة اليمن حسن الخلق وللطبراني في الصغير من حديث عايشة ما من شيء الا
وله توبة الا صاحب سوء الخلق فانه لا يتوب من ذنب الا عاد في شر منه وذكر شيخ مشايخنا
الجلال السيوطي حديث احسن الحسن الخلق الحسن رواه الحسن عن الحسن عن ابي
الحسن بسند حسن وهو اي حسن الخلق ضبطه اي حفظه وربطه تحت الشرع
والعقل في فضية الطبع وهو اي تحسين الاخلاق ممكن بالاتفاق لصيرورة الصيد
الوحشي اهليا كالظبي والحمام والجموح منقادا كالفرس والبعير والكلب معلما وكذا
ضاريا الجوارح من الصيود حتى يصير كالصيد في مقام العبد وورد في الحديث
حسنوا اخلاقكم رواه ابن لال في مكارم الاخلاق من حديث معاذ يا معاذ
حسن خلقك للناس ولاحمد من حديث عايشة اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي و
للطبراني من حديث جابر ان اقربكم مني مجلسا يوم القيمة احاسنكم اخلاقا هذا
والخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة يصدر عنها الافعال بسهولة ويسر
من غير حاجة الى روية وفكر ثم ان كان الهيئة بحيث يصدر منها الافعال الجميلة
شرعا وعقلا سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا حسنا وان كان الصادر منها
الافعال القبيحة بسهولة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا وكما ان حسن
الصورة الظاهرة لا يتم الا بحسن جميع اعضائه فكذا في الباطن اربعة اذ كان
لا بد من الحسن في جميعها وهي قوة العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة
العدل بين هذه الثلثة ويعبر عن قوة حسن الغضبية بالشجاعة وعن حسن قوة
الشهوة بالعفة والمراد بالعدل هو اعتدال القوتين بين الافراط والتفريط
فان الامر المحمود في كل شيء هو التوسط فالجبن والتهور مذموما كما ان البخل
والاسراف منهيا والشره للجوع مشغلون وقد ورد خير الامور اوساطها في
شعبه وقال تعالى ذم التبذير والتقصير والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم
يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه

كان

كان بعباده خبيرا بصيرا وقال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال تعالى اشداء
على الكفار رحماء بينهم وقال تعالى اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فالاعتدال
مطلوب في جميع الاحوال فان العقيدة الجيدة هي المتوسط بين التشبيه والتعطيل
وبين القدر والجبر وبين النصب والرفض وهي الصراط المستقيم والدين القويم
لا عوج له ولا ميل لاحد الجانبين الرايغ عن الجادة وقال تعالى وان هذا صراطي
مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم وقال واعتصموا بحبل الله جميعا ولا
تفرقوا ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض بل هو ادق من
الشعر واحد من السيف فلا جرم من استوى على هذا الصراط المستقيم في الدنيا جاز
على مثل هذا الصراط في العقبى وقل ما ينفك العبد عن ميل عن الصراط
المستقيم اعني الوسط حتى لا يميل الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب
الذي مال اليه فلذا لا ينفك عن عذاب ما واجتياز عن النار وان كان مثل
البرق قال تعالى وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ولاجل عسرة الا
ستقامة وجب على كل عبد يدعو الله في كل يوم سبعة عشر مرة بقوله اهدنا
الصراط المستقيم ومن هنا قال عم استقيموا ولن تحصوا اي لن تطيعوا ان تستقيموا
حق الاستقامة وهي الموصوفة بنعت الاستدامة فينبغي للعبد ان يجتهد ان
يصل الى القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقتها فان ما لا يدرك كله
لا يترك كله والحق عجز الانسان كما يشير اليه قوله تعالى كلا لما يقض ما امره
هذا وقال يحيى بن معاذ في سعة الاخلاق كنوز الارزاق وعن الحسن من ساء
خلقه عذب نفسه وقال الكتاني التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد
عليك في التصوف وقال يحيى بن معاذ سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات
وحسن الخلق حسنة لا يضر معها كثرة السيئات ثم قال حسن الخلق بسط المحيا
وبذل الندى وتحمل الاذى وقال الواسطي هو ان تخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته
بالمولى وقال الحسين بن منصور هو ان لا يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك
للحق فالاسرع علاجا اي الاهون مداواة من غفل عن اعتقاد وغيره من جهتهم
اعتقاد كالصبيان النسوان والبله من الانسان وجماعة التركمان ومن هنا ورد اكثر
اهل الجنة البله ثم من عرف القبيح اي واعتقد شيئا فانه قابل للعلاج في تركه
ثم عن اعتقده اي القبيح حسنا ومن شاء وهو اصعب لان علاجه باخراجه عن اعتقاد

وفيه غاية من التعب وفي مثله قيل من التعذيب تذهيب الذهب والطريق
مبتدأ اي طريق تذهيب الاخلاق عند فقد الكمال الفطري اي الجبلي الذي
لا يحتاج الى التكلف الطبيعي كما للانبياء عليهم السلام وكذا لبعض الاصفياء
والاولياء من اتباعهم الكرام والجذبة اي وعند فقد الجذبة الالهية كما
لسحرة اي سحرة فرعون وعمر رض فانه آمن بغتة التكلف خبر المبتدأ اي تكلف
السالك في اعتياد الاضداد اي تعوّد اضداد الاخلاق السيئة بالتدريج اي
بالتأني في المعالجة والمجاهدة بالدفع عطف على التكلف ويجوز وجه عطف على
التدريج اي المبالغة فيه اي في الاعتياد حتى يعتاد السالك الطاعة بوصف
الدوام ويلتذ بها اي بالطاعة التذاذ المريض بالطعام بعد العلاج اي
بعد العلاج المريض والمتعلم اي والتذاذه بالعلم على الدوام متعلق بالتكلف
كذا قيل والاظهر انه متعلق بيلتذ لا احيانا اي متساوية نعم قد تفيد المجاهدة
اذا كان اكثر الاحوال الواردة وقد مثل عدم افادة بعض الاوقات في الذكر
والفكر والطاعات باعتياد الناد وتحت الرحمة فانها لا تفور ابدا اذا كان الامر
مترددا بين الحالات هذا وقد توهم عبارة المص ان صاحب الجذبة لا يحتاج الى
سلوك المجاهدة وليس كذلك فان اهلها لابد لجميع الجنا غاية ما في الباب ان ار
باب السلوك على نوعين منهم سالك مجذوب وهو اغلب احوال المريدين ومنهم
مجذوب سالك وهو قليل من بين المرادين ويشير الى الطائفتين قوله تعالى الله
يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه من ينيب واختلفوا في ايهما افضل والجمهور على
ان السالك المجذوب اكمل وهذا والانبياء ع م ايضا في مقام الترقي لا يستغنون
عن زيادة المجاهدة فقد قال تعالى وقل رب زدني علما وفي دعائه ع م
اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي اي زد في تحسين خلقي والا فكان ع م على
خلق عظيم ثم كان خلقه القران وقد قال له خذ العفو وامر بالمعروف واعرض
عن الجاهلين وفسر العفو بان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن
ظلمك وكان من دعائه ع م اللهم اهدني لاحسن الاخلاق لا يهديني لاحسنها
الا انت واصرف عني سيئها الا انت رواه مسلم من حديث علي فالمقصود منه
من حسن الخلق او من رياضة الخلق رسوخه تعا اي ثبوته في القلب فليخرج حب الدنيا
عنه اي عن القلب فانهما لا يجتمعان كما يشير اليه قوله تعالى ما جعل الله لرجل من قلبين

في جوفه وورد من احب آخرته اضر بدنياه اضر باخرته فآثروا ما يبقى على ما يفنى وقد
مثل علي رض الدنيا والاخرة بالضرتين اذا ارضيت واحدة اسخطت الاخرى وبكفتي
الميزان اذا اثقلت واحدة خفت الاخرى وبالمشرق والمغرب فمهما توجهت الى الشرق
بعدت عن الغرب وكذا بالعكس فكل قلب مال الى حب شيء سوى الله تعالى فلا يخلو عن مرض
بقدر ميله الا اذا احب الشيء لكونه معينا له على حب الله ودينه قال تعالى في قلوبهم
مرض فزادهم الله مرضا وقال علي رض الايمان يبدو لمعة في القلب بيضاء وكلما ازداد
الايمان ازداد ذلك البياض فاذا استكمل العبد الايمان ابيض القلب كله وان النفاق
ليبدو في القلب نكتة سوداء فكلما ازداد النفاق ازداد سوادا فاذا استكمل
النفاق اسود القلب كله وفيه تنبيه على ان حسن الخلق من نتيجة الايمان والعرفان
والسيئ من ثمرة النفاق والكفر ثم اعلم ان اصل الاشياء وهو موجدها ومخترعها
الذي جعلها اشياء هو الله تعالى فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله سبحانه فكانه لم يعرف
شيئا وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله احبه لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من
المحبوبات كما قال تعالى قل ان كان اباؤكم وابناؤكم الى قوله احب اليكم من الله ور
سوله فقلبه مريض كما ان كل معدة صار الطين احب اليها من الخبز والماء او سقطت
شهوتها عن الخبز والماء فهي مريضة محتاجة الى الدواء وهو اي الطريق الذي يتوقف
به الانسان عيوب نفسه او التخلق باعتياد الاضداد انما يحصل بخدمة اشياخ با
لاستفادة من شيخ اي ولو شاد تائب من الذنوب بصير بالعيوب الظاهرة والباطنة
مطلع على الخفايا من احوال المريد كالعجب والرياء وهو عزيز الوجود في ميدان
الشهود كما يشير اليه قوله تعالى الا الذين امنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم وقوله
وقليل من عبادي الشكور وورد الناس كابل لا تجد فيها راحلة واخر نعده و
قال الشاعر اذا تمنى على الزمان محالا ان ترى مقلتاي طلعة حر وبالمحر منه لا
يستعبده هواه ولا يسترقه دنياه فالاطباء هم العلماء وقد استولى المرض عليهم
وغلب حب الدنيا لديهم فلا يغنيها السالك التردد اليهم بل اندرس هذا العلم و
هو معرفة احوال القلوب الخفية وانكر وجودها بالكلية واقبل الخلق على
اعمال ظاهرها عبادات وباطنها رياءات وعادات نعم كان يكثر وجودهم في الصحابة
والاكابر التابعين وبعض المتاخرين كالسري والجنيد والشبلي رضي الله عنهم وقد قال
الشبلي ان كان يخطر بقلبك من الجمعة الى الجمعة شيء غير الله عز وجل فحرام عليك ان تأتيني

او صديق اصحاب صديق يتنبه صديقه عليها اي على عيوبه كما روي عن السلف
ومنهم عمر رض حيث قال رحم الله من اهدى الي من عيوبي وكان يسئل سلمان عن
عيوبه فلما قدم عليه وقال الذي بلغك عني ما كرهته فاستعفى والح عليه فقال بلغني
انك جمعت بين ادامين على مائدة وان لك حلتين حلة بالنهار وحلة بالليل فقال
هل بلغك غير هذا فقال لا فقال اما هذان فقد كفيتهما وكان يسأل حذيفة ويقول له
انت صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنافقين فهل ترى علي شيئا من آثار النفاق
وقد قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين قال بعضهم كن مع
الله فان لم تطق فكن مع من يكون مع الله وهذا ايضا عزيز فيقل في الاصدقاء من يترك
المداهنة فيخبر بالعيب ويترك الحسد فلا يزيد على قدر الواجب ولذا كان داود
طائي قد اعتزل عن الناس فقيل له لم لا تخالط الناس فقال ما اصنع باقوام يخفون
عني عيوبي وكانت شهوة ذوي الدين من السلف المجتهدين ان ينبهوا على عيوبهم بتنبيه
غيرهم وقد آل الامر الى امثالنا ان ابغض الخلق الينا من ينصحنا ويعرفنا بعيوبنا
ويشبه ان يكون هذا من قساوة القلب التي اثمرتها كثرة المعاصي واصل ذلك كله ضعف
الايمان او عدو حاذق عاقل فعين السخط تستخرج ويظهر فسكوته اي عدم الرضا تبدي
اي تظهر العيوب وتكشف الذنوب كما تقدم في قول الشاعر وعين الرضا عن كل عيب
كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الانسان بعدو مشاحن يذكره
عيوب نفسه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عنه عيوبه
او مخالطة الناس اماما او ماموما وترك ما رأى مذموما كيلا يكون مذموما وما رآه محمودا
يطالب نفسه به ليصيبه مسعود فان المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه
فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن مؤدب لانفسهم وقيل لعيسى ع م من
ادبك فقال ما ادبني احد رأيت جهل الجاهل فجانبته او الكتاب والسنة اي العمل
بهما وهو الاعتصام بهما الانفع هو النافع ويؤيده قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا وحديث من عمل بما علم ما لم يعلم والاصل في تهذيب الاخلاق او في رسوخ حبه
سبحانه ترك التمتع بما لا يناله اي لا يحصل نفعه في القبر الذي هو البرزخ بين الدنيا والاخرى
فينبغي ان لا يتمتع الا بقدر الضرورة في معيشة الدنيا من اللقمة والخرقة ونحوهما و
يتعين ترك التمتع باللذات والشهوات من غير الضرورة فقد قال وهب بن منبه ما زيد على
الخبز فهو شهوة وقال يزيد الرقاشي السلام على الماء البارد ما دمت في الدنيا لعلي لا احرمه

في الاخرى وقال سري منذ اربعين سنة نفسي تطالبني ان اغمس جزرة في دبس فما اطعمتها
لئلا يحصل الانس في الدنيا المؤدي الى حبها والى نسيان الاخرى وذلك لانه اذا تمتع
بشيء منه به الف واذا مات تمنى الرجوع الى الدنيا بسببه ولا يتمنى الرجوع الى الدنيا
الا من لا حظ له في الاخرة فهو اي حب الدنيا رأس كل خطيئة كما رواه البيهقي عن الحسن
البصري مرسلا وقال تعالى اولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى قيل نزع عنهم
محبة شهوات الدنيا وقاع المؤمن بين خمس شدايد مؤمن يحسده ومنافق يبغضه و
كافر يقتله وشيطان يضله ونفس تنازعه رواه ابو بكر بن لال من حديث انس وقال
عليه السلام قدمتم من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فقالوا
وما الجهاد الاكبر يا رسول الله قال جهاد النفس رواه البيهقي في الزهد والترمذي في اثناء
حديث وصححه وابن ماجه من حديث فضالة بن عبيد المجاهد من جاهد نفسه وقال سفيان
الثوري ما عالجت شيئا اشد علي من نفسي مرة لي ومرة علي وكان ابو العباس الموصلي يقول
يا نفس لا في الدنيا مع ابناء الملوك تتنعمين ولا في طلب الاخرة مع العباد تجتهدين كاني
بك بين الجنة والنار تحبسين يا نفس اما تستحين وقال يحيى بن معاذ الرازي
باستيفاء الرياضة على اربعة اوجه القوت من الطعام والغمض من المنام والحاجة من
الكلام والاحتمال للاذى من الانام فيتولد من قلة الطعام موت الشهوات ومن قلة المنام
صفو الارادات ومن قلة الكلام السلامة من الآفات ومن احتمال الاذى البلوغ الى
اعلى الدرجات وليس على العبد اشد من الحلم عند الجفاء والصبر على الاذى فاذا تحركت من
النفس ارادة الشهوات والآثام وهاجت منها حلاوة فضول الكلام جردت عليها سيف قلة الطعام
من غمد التهجد وقلة المنام وضربتها بيدي الخمول وقلة الكلام حتى تنقطع من الظلم والا
نتقام فتأمن من بوائقها سائر الانام وتطهرها من ظلمة شهواتها فتنجو من غوائل آفاتها
فتصير عند ذلك روحانية لطيفة ونورانية خفيفة فتجول في ميدان الخيرات وتسير
في مسالك الطاعات والخيرات كالفرس الفاره في الميدان وكالملك المتنزه في البستان
وقال ايضا اعداء الانسان ثلثة دنياه وشيطانه ونفسه فاحترس من الدنيا بالزهد
فيها ومن الشيطان بمخالفته ومن النفس بترك شهواتها وقال بعض بني حميد اجمعت
العلماء والحكماء ان النعيم لا يدرك الا بترك النعيم وقال ابو يحيى الوراق من ارضى الجوارح
بالشهوات فقد غرس في قلبه شجرة الندامات وقال وهب بن الورد من اراد شهوات الدنيا فليتهيأ
للذل في العقبى والجنيد رقدة ليلة فقمت الى وردي فلم اجد الحلاوة التي كنت اجدها



فاردت ان انام فلم اقدر فقعدت فلم اطق القعود فخرجت فاذا رجل ملتف
في عباءة مطروح على الطريق فلما احس بي قال يا ابا القاسم الى الساعة فقلت يا
سيدي من غير موعد فقال سالت الله محرك القلوب ان يحرك الي قلبك قلت قد فعل
فما حاجتك قال متى يصير داء النفس دواءها فقلت اذا خالفت النفس هواها صار
داؤها دواءها فاقبل على نفسه فقال اسمعي قد اجبتك بهذا سبع مرات فابيت ان تسمعيه الا
من الجنيد قال فانصرف وما عرفته وكان مالك بن دينار يطوف في السوق فاذا
راى الشيء يشتهيه قال لنفسه اصبري فوالله ما امنعك الا من كرامتك علي وقال ابراهيم
الخواص كنت في جبل لكام فرايت رمانا فاشتهيته فاخذت منه واحدة فشققتها فو
جدتها حامضة وتركت الرمان فرايت رجلا مطروحا قد اجتمع عليه الزنابير فقلت
السلام عليك فقال وعليك السلام يا ابراهيم فقلت كيف عرفتني قال من عرف الله لا يخفى
عليه شيء فقلت له ارى لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك من هذه الزنابير فقال وارى
لك حالا مع الله فلو سالته ان يحميك من شهوة الرمان فان لدغ شهوة الرمان يجد
الانسان المه في الاخرة ولدغ الزنابير يجد الانسان المه في الدنيا فان قيل التنعم بالمباح
مباح فكيف يكون سببا للبعد من الله فيقال هذا خيال ضعيف اذ المباح الخارج
عن حد الدنيا وحب الدنيا راس كل خطيئة كما ورد ويؤيده حديث اشبعكم في الدنيا
اجوعكم في العقبى وللطبراني في الكبير ولابي نعيم في الحلية من حديث ابن عباس ان اهل
الجوع في الدنيا هم اهل الشبع في الاخرة وللديلمي من حديث ابي هريرة مرفوعا نور الحكمة
الجوع والتباعد من الله عز وجل التشبع ولاحمد والحاكم والبيهقي باسناد جيد انه ع
نظر الى رجل سمين البطن فاوما الى بطنه باصبعه وقال لو كان هذا في غير هذا لكان
خيرا لك وللبيهقي في الشعب من حديث عايشة انه عم قال لها اياك والاسراف فان
اكلتين في يوم من السرف ولابي الشيخ عن ابن عمر مرفوعا ايما امرء اشتهى شهوة فرد
شهوته فاثر بها على نفسه غفر الله له ثم اعلم ان الدنيا حلالها حساب وحرامها عقاب
ومشتبهها عتاب وورد من نوقش في الحساب عذب كما في الصحيحين فعند الصباح
يحمد القوم السرى فترك الشهوة ثقيل على المريد في البداية ثم ينتفع في النهاية ونظيره
الطفل في الفطام عند الرضاعة وسئل رسول الله صلى الله عم عن علامة المؤمن و
المنافق فقال ان المؤمن همته في الصلوة والصيام والعبادة والمنافق همته في
الطعام والشراب كالبهيمة وقال حاتم الاصم المؤمن مشغول بالفكر والعبر والمنافق

مشغول بالحرص والامل والمؤمن ايس من كل احد الا من الله والمنافق راج كل
احد الا الله والمؤمن امن من كل احد والمنافق خائف من كل احد الا من الله والمؤمن
يقدم ماله دون دينه والمنافق يقدم دينه دون ماله والمؤمن يحسن و
يبكي والمنافق يسيء ويضحك والمؤمن يحب الوحدة والخلوة والمنافق يحب الخلطة
والجلوة والمؤمن يزرع ويخشى الفساد والمنافق يقلع ويرجو الحصاد والمؤمن
يامر وينهى للسياسة والمنافق يامر وينهى للرياسة واولى ما يحق حسن الخلق البصر
على الاذى واحتمال البلوى ومن شكى من سوء خلق غيره فدل ذلك على سوء خلقه لان
حسن الخلق احتمال الاذى الخلق وقال عيسى عم جوعوا بطونكم لعل قلوبكم ترى
ربكم وقال سهل ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطون والسهر والصمت
والاعتزال عن الناس وقد قيل الابدال ان اكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة
الباب السادس عشر في التوبة والمرابطة والتقوى قد ورد التوبة ندم رواه ابن ماجه
وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود وقال تعالى يا ايها الذين امنوا اصبروا
وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ومعنى التوبة ندم اي معظم اركان
التوبة الندامة كما ورد الحج عرفة والا ففي اركانها ترك المعصية مباشرة والعزم
على ان لا يعود اليها ابدا والتدارك لما امكنه من حقوق الله وحقوق العباد
بسم الله الرحمن الرحيم المستعان به في امر الدنيا والاخرة التوبة في اللغة الرجعة وفي الشرع
الرجوع من المعصية الى الطاعة ومن الغفلة الى الحضرة وقال بعضهم هي تنزية القلب عن
الذنب اي اختياره فقيل الرجوع من البعد اي من كل ما يبعد العبد عن المولى الى القرب
اي الى قرب الرب في الدنيا والاخرى فيختص بتحصيل كل فضيلة جليلة توبة الى الله و
بالرجوع عن كل خصلة رذيلة تبعده عن الله في دنياه واخراه فيتم الذنوب الظاهرة
والعيوب الباطنة والاخلاق الذميمة والغفلة عن الاذكار الكريمة وقيل في حد
التوبة ذوبان الحشا لما سبق من الخطا وقيل هو نار في القلب يلتهب وصدع في الكبد
لا ينشعب وقيل خلع لباس الجفا ونشر بساط الوفا وقال سهل التستري التوبة تبديل الحركات
المذمومة بالحركات المحمودة فكانه اخذ من قوله تعالى الا من تاب وامن وعمل عملا صالحا ولا
يتم ذلك الا بالخلوة والصمت واكل الحلال فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات على ما
ذهب اليه بعض المفسرين ومن معانيها ترك المعاصي في الحال والعزم على تركها في الاستقبال
وتدارك ما سبق من التقصير في الاحوال وهي اي التوبة واجبة اي فريضة لازمة

لكل من المكلفين لورود قوله تعالى توبوا الى الله اى جميعا ايه المؤمنون لعلكم تفلحون وفي
نسخة توبة نصوحا اى خالصة لله من دون رياء وسمعة واغراض فاسدة والامر ح الاتني
للوجوب بناء على اصله ودلالة الاجماع المنعقد من الامة على ان التوبة من المعصية فريضة
والعقل اى ولادلة فالواضح من طريق العقل مع قطع النظر من ورد النقل مما تعلق بفعله
السعادة العظمى وبتركه الشقاوة الكبرى لوصول الى السعادة الابد من قرب المولى
والنجاة من هلاك السرمدى الذى هو الحجاب عن الغان فى العقبى وهو المتعلق بها متحقق فيها
اى ثابت في التوبة بلا خلاف عند العقلاء وجدوها اى فائدة التوبة ومنفعتها وثمرتها
ويتبعها اربعة اشياء محبته تعالى اياه فورد فى التنزيل ان الله يحب التوابين وفى الحديث
التائب حبيب الله رواه ابن ابى الدنيا وابو الشيخ من حديث انس بلفظ ان الله يحب الشاب التائب
ولعبد الله بن احمد في زوايد المسند من حديث على ان الله يحب العبد المؤمن المفتن التواب
ولاحمد والطبراني من حديث عقبة بن عامر يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة ولابن ماجه من
حديث ابن مسعود التائب من الذنب كمن لا ذنب له وللشيخين من حديث ابن مسعود
لله اشد فرحا بتوبة عبده المؤمن من رجل نزل فى ارض دوية مهلكة فقد راحلته
عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام نومه فاستيقظ وقد ذهب راحلته فطلبها حتى
اذا اشتد عليه الحر والعطش او ماشاء الله قال ارجع الى مكانى الذى كنت فيه فانام
حتى اموت فوضع رأسه على ساعده ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده
وشرابه فالله اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته زاد مسلم في حديث انس
ثم قال من شدة الفرح اللهم انت عبدى وانا ربك اخطا من شدة الفرح هذا وايضا
علامة حب عبد الله ان يتوب عما يشغله عن مولاه ويطيعه فيما امره ونهاه كما قيل شعر
تعصى الاله وانت تظهر حبه ● هذا لعمرى فى الفعال بديع ● لو كان حبك صادقا لاطعته ● ان المحب
لمن يحب مطيع ● ويشير اليه قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم ويفيد ايضا الله
المحبين كما يشير اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه ولولا محبته السابقة لما وجدت محبتنا
اللاحقة والتوفيق اى جعله تعالى اسبابا مرافقة للاعانة على الطاعة في كل وقت وساعة فيعد
الذنوب لانها بمنزلة القيود والاغلال من العيوب يمنع عنها اى عن الطاعة وتوفيقها
ولان الاصرار اى الاقامة على المعاصى من غير تخلل التوبة بالرجوع الى الرب يقسى القلب
اى يسوده ويشدده ويجر الى الشقاوة الكبرى فان المعصية بريد الكفر وقد قال تعالى
والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب

الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ولان المتلطخ بالنجاسة اى المتلوث بنجاسة
المعصية لا يقرب الى بساط الرب بل يبعد ويحجب فورد اذا كذب العبد وهو من اهون
اسباب البعد تنحى الملكان اى يتبعدا للنذات مع من الكرام الكاتبين من عنده لكمال نزاهتهما
وجمال طهارتهما عن نتن ما يخرج من فيه اى من فمه وهو الكذب والحديث رواه الترمذى
وحسنه وابو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر ولفظه اذا كذب العبد كذبة تباعد عنه
الملك ميلا من نتن ما جاء به وحلاوتها اى لذة الطاعة التى لم يكن للمطيع جزاء لعمله
الا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الانس بمناجات ربه لكان ذلك كافيا فكيف
بما ينضاف اليه من نعيم الاخرة كما يشير اليه قوله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين
جزاء بما كانوا يعملون افمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون الاية وفى الحديث
القدسى اعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر ثم هذه اللذة لا تكون فى ابتداء التوبة بل التوبة فى اولها مرة كانفطام الصبى ثم
يصير حلوة بعد ما صبر على مرارة ترك العادة مدة مديدة ومعالجة شديدة والنفس
قابلة ما عودتها تتعود فالمصر لا يجد اى تلك اللذة اذ لم يذق لم يعرف ان ترك اللذة
الفانية هى اللذة الباقية وقبولها اى قبول الطاعة وقال تعالى انما يتقبل الله من المتقين
ورب الدين لا يقبل هدية المديون المماطل اى الممتنع من اداء الدين مع القدرة فيضيع
الاصول ولان الغضب المترتب على معصية بالعقاب الصادر عن تجلى صفة الجلال
ينافى القبول اى قبول طاعة المترتب عليه بالثواب الوارد عن تجلى نعت الجمال وهى
اى التوبة واجبة على الكل من الانبياء والاولياء فلا تظن ان التوبة اختصت بادم
عم حيث قال تعالى وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتبيه ربه فتاب عليه وهدى بل هو
حكم ازلى مكتوب بجنس البشر لا يمكن فرض خلافه ما لم تبدل السنة الالهية التى لا
مطمع فى تبديلها فالرجوع فى حق كل انسان يكون ضروريا نبيا كان او غنيا وليا
او غويا شعر ● فلا تحسبن هند لها الغدر وحدها ● سجية نفس كل غانية هند ●
ويشير اليه حديث كلكم خطاؤن وخير الخاطئين التوابون كما رواه احمد وغيره عن
انس في كل حال اى على الدوام لعموم الادلة الواردة فى التوبة كقوله تعالى وتوبوا الى
الله جميعا وذلك لان كل بشر لا يخلو عن معصية بجوارحه اذ لم يخلو عنه الانبياء الاخيار
كما ورد فى القران والاخبار من خطاياهم وتوبتهم وبكائهم فان خلا احد فى بعض الاحوال
عن معصية الجوارح فلا يخلو عن الهم بالذنوب فى القلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن

عن وسواس الشيطان بايراد الخواطر المتفرقة المذهلة عن ذكر الله فان خلا عنه
فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله وبصفاته وافعاله وكل ذلك نقص وله اسباب
وترك اسبابها بالتشاغل باضدادها رجوع عن الطريق الى ضده والتائبون متفاوتون في
مقادير النقصان لا في اصله وعلى الفور واجبة من غير تراخ ومهلة لوجوب الانتهاء
اي الامتناع عن المعاصي كذلك اي على الفور من غير التراخي وحرمة التسويف اي و
لحرمة تاخير التوبة فورد في التنزيل وليست التوبة الاية اي للذين يعملون السيئات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان اكثر صياح اهل النار من التسويف كذا
في الاحياء ومخرجه لم اجد له اصلا وقال لقمن لابنه لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي
بغتة فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم ينتشر في الاعمال فرعه لم يثبت على اصوات
الاحوال عند ظهور ناصية ملك الموت وسائر الاحوال وخيف عليه الخاتمة الا
ما سقي بماء الطاعة على توالي الايام والساعات واما قول العاصي للمطيع اني مؤمن فهو
كقول الشجرة الصنوبر اني شجرة وانت شجرة وما احسن جواب صنوبر اذ قال ستعرف اغترا
رك بشمول الاسم اذا عصفت رياح الخريف فعند ذلك ينقطع اصولك وينتثر
اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع الغفلة عن اسباب ثبات الا
شجار شعر سوف ترى اذا انجلى الغبار افرس تحتك ام حمار وهذا امر يظهر عند الخاتمة
نسئل الله العافية ولقد صدق ابو سليمان الداراني في قوله لو لم يبك العاقل فيما بقي
من عمره الا على فوت ما مضى منه في غير طاعة الله وامره لكان خليقا ان يحزنه ذلك الى المما
ت فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بمثل ما مضى من جهله فيما بقي من الحيوة وقال بعض العارفين
ان ملك الموت اذا ظهر للعبد اعلمه انه قد بقي من عمرك ساعة وانك لا تستأخر عنها طرفة عين
فيبدو للعبد من الاسف والحسرة ما لو كانت له الدنيا بحذافيرها لخرج منها على ان يضم
الى تلك الساعة ساعة اخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد اليه سبيلا وهو
اول ما يظهر من معاني قوله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون واليه الاشارة بقوله
سبحانه وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا اخرتني الى
اجل قريب فاصدق واكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء اجلها اي لا نفسها
هذا واما مثال المسوف لامثال من احتاج الى قلع شجرة فراها قوية لا تنقلع الا بمشقة
شديدة جلية فقال اؤخرها سنة ثم اعود اليها وهو يعلم ان الشجرة كلما بقيت ازداد
رسوخها وهو كلما طال عمره ازداد ضعفه فلا حماقة في الدنيا اعظم من حماقة ابي عجو

مع قوته عن مقاومة ضعيف فاخذ ينتظر الغلبة عليه اذا ضعف هو في نفسه وت
قوي الضعيف وهي اي التوبة اذا استجمعت شرائطها مقبولة لا محالة فورد في التنزيل
وهو الذي يقبل التوبة الاية اي عن عباده فوعده حق وله صدق لا يجوز خلفه ولا
يتصور تبديله قابل التوب فهو من صفاته كقوله غافر الذنب ان الله يبسط يده بالتوبة
حتى تطلع الشمس من مغربها وفي الاحياء ان الله عز وجل يبسط يده بالتوبة لمسيء الليل الى
النهار الى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها قال مخرجه رواه مسلم من حديث ابي موسى
بلفظ يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار الحديث وفي رواية الطبراني لمسيء الليل ان
يتوب بالنهار وبسط اليد كناية عن طلب التوبة ومبالغة في قبولها اذ الطالب ابلغ
من القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب الا هو قابل ولابن ماجه من حديث ابي هريرة
لو اخطأتم حتى تبلغ الخطايا السماء ثم تبتم لتاب الله عليكم اي قبل توبتكم ورجع عليكم
بالرحمة والمغفرة ولابن المبارك في الزهد عن الحسن مرسلا ان العبد ليذنب الذنب
فيدخل به الجنة قيل كيف ذلك يا رسول الله قال يكون نصب عينيه تائبا منه فارا حتى
يدخل الجنة ولابن نعيم في الحلية من حديث ابي هريرة ان العبد ليذنب الذنب فاذا
ذكره احزنه فاذا نظر الله اليه انه احزنه غفر له الحديث ولاحمد ولابي يعلى والحاكم و
صححه من حديث ابي سعيد ان الشيطان قال وعزتك يا رب لا ازال اغوي عبادك
ما دامت ارواحهم في اجسادهم فقال وعزتي وجلالي لا ازال اغفر لهم ما استغفروني
وقال سعيد بن المسيب نزل قوله تعالى انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب
ثم يذنب ثم يتوب وقال طلق بن حبيب ان حقوق الله اعظم من ان يقوم بها العبد ولكن
اصبحوا تائبين وامسوا تائبين ويروى ان نبيا من انبياء بني اسرائيل اذنب ذنبا فاوحى
الله اليه وعزتي وجلالي لئن عدت لاعذبنك فقال يا رب انت انت وانا انا وعزتك
لئن لم تعصمني لاعودن فعصمه الله وقال بعضهم ان العبد ليذنب الذنب فلا يزال
نادما تائبا حتى يدخل الجنة فيقول ابليس يا ليتني لم اوقعه في الذنب يعني لا اهله بالعجب
ويروى انه كان في بني اسرائيل شاب عبد الله عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم
نظر في المرآة فرأى الشيب في لحيته فساءه ذلك ثم قال الهي اطعتك عشرين سنة
فان رجعت اليك اتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا احببتنا فاحببناك وتركتنا فتركناك
وعصيتنا فامهلناك فان رجعت الينا قبلناك وقد قال تعالى وان عدتم عدنا وورد
ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وايضا اي وفي العقل ايضا دلالة

على ان التوبة مقبولة لا محالة فانها نور لظلمة الذنب ونجادها عند سطوع
نور التوبة وانارها زوال الدرن اى كزوال الوسخ والدرن من الثوب والبدن
بالصابون ونحوه من الاشنان والصدا اى وكزوال صداء الحديد من المرآة
ونحوها بالصيقل وتوضيحه ان نار الندم تحرق شجرة الذنب ونور الحسنة تمحوا
عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلام السيئات مع نور الحسنات كما لا طاقة
لظلام الليل مع نور النهار وكما قال لا طاقة لكدورة الوسخ مع بياض الصابون
فكما ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله
لان يكون في جواره وكما ان استعمال الثوب في الاعمال الخسيسة يوسخ الثوب
وغسله بالصابون والماء الحار ينظفه لا محالة فاستعمال القلب في الشهوات يوسخ القلب
بماء الدموع وحرقة الندم ينظفه وتطهره فكل قلب زكى طاهر فهو مقبول
كما ان كل ثوب نظيف فهو مقبول والقبول له حسب قضاء السابق الازلى فيه
والحاصل ان من توهم ان التوبة تصح ولا تقبل فهو كمن يتوهم ان الشمس تطلع والظلام
لا يقلع وان الثوب يغسل والوسخ لا يزول نعم اذا غاص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف
الثوب وخلله فلا يقوى الصابون على قلعه من اصله ومثاله ان يتراكم الذنوب
حتى يصير طبعا ورينا على القلب فمثل هذا القلب لا يتوب ولا يرجع الرق وربما يقول باللسان
قد تبت من العصيان فيكون ذلك كقول القصار قد غسلت الثوب هذا وقد ورد
ان للقلب صدا كصداء الحديد وجلاؤها الاستغفار رواه الحكيم الترمذي
وابن عدى عن انس رضى ثم لما كان المصطفى مستغفرا وهو انه تعالى ينبغى ان لا يجوز الشك
في القبول لانه يخالف اخبار الله والرسول اجابة بقوله وانما يشك التائب في قبول
توبته وحصول ادبته لشكه في التحقق الشروط المعتبرة في باب التوبة والاركان اللازمة
في حصول الاوبة كما سيأتى بيانها في محلها الاتى بها ومحلها الندم والقلع
العزم والتدارك بالجزم فهى اى الشروط والاركان دقيقة ادراكها فلا يجزم
بكونها حقيقة شك اى مثل شك شارب المسهل في حصول شروط الاسهال في الدواء
باعتبار الوقت والحال وكيفية خلط الدواء وطبخه وجوده عواقره وادويته و
الا فلا يشك في تأثيره وخاصيته بجلو فالقصار اذ شرطه من الماء والصابون
والدلك جلية وليست في نظر صاحبه خفية ثم اعلم ان التوبة ترك الذنوب ولا يمكن
ترك الشيء الا بعد معرفته واذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به

واجبا

واجبا فمعرفة الذنوب اذا واجب ولذا قال المص والذنب ما يخالف امره تعالى من
فعل الطاعات وترك للسيئات وينقسم على حقه تعالى وهو اقرب الى العفو كترك الصلوة
والصوم ونحوهما وحق العبد وعلى حقه كترك الزكاة وقتل النفس وامثالها وهو اى
حق العباد اغلظ اشد وعن العفو ابعد فورد في الحديث انه اى حق العبد لا يترك اى لا يعفى
الا ان العبد يرضى ولذا قيل حق الكافر اشد من حق المسلم واقوى وحق الحيوان اشد من
الكافر كما لا يخفى ولاحمد والحاكم وصححه من حديث عائشة الدواوين ثلثة ديوان يغفر
وديوان لا يترك فالديوان الذى يغفر ذنوب العباد بينهم وبين الله تعالى واما الديوان
الذى لا يغفر فالشرك واما الديوان الذى لا يترك فظالم العباد اى لا بد ان يطالب بها
حتى يتخلص عنها وايضا ينقسم الى معصية كبيرة وصغيرة كما جاء في القرآن ان تجتنبوا كبائر ما تنهون
عنه نكفر عنكم سيئاتكم وورد في البعض من المعاصى انه اى ذلك البعض من الكبائر ففى البخارى
من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس و
اليمين الغموس وفى الصحيحين من حديث ابى هريرة اجتنبوا السبع الموبقات قالوا يا رسول الله
ما هى قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التى حرم الله والسحر الا بالحق واكل الربوا واكل
مال اليتيم والتولى يوم الزحف وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات ولهما من حديث ابى بكرة
الا انبئكم باكبر الكبائر الاشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور او قول الزور
ولهما من حديث ابن مسعود سئلت رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الذنب اعظم قال ان
تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اى قال ان تقتل ولدك مخافة ان يطعم معك قلت ثم
اى قال ان تزانى حليلة جارك الحديث وللطبرانى من حديث سلمة ابن قيس انما هى اربعة لا تشركوا
بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تزنون ولا تسرقوا وفى الاوسط
للطبرانى من حديث ابن عباس باسناد حسن ان رجلا قال يا رسول الله ما الكبائر قال الا
شراك بالله والاياس من روح الله والقنوط من رحمة الله وللحاكم من حديث عبيد بن عمير
ابيه الكبائر تسع فذكرهما استحلال البيت الحرام ومن حديث واثلة ان من اكبر الكبائر ان
يقول الرجل على ما لم اقل وله ايضا من حديثه ان من اكبر الكبائر ان ينتفى الرجل من ولده
ولمسلم من حديث جابر بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلوة ولمسلم من حديث عبد الله
بن عمرو من الكبائر شتم الرجل والديه ولابى داود من سعيد بن زيد ان من اربى الربا الاستطالة
فى عرض المسلم بغير حق وفى الصحيحين من حديث ابن عباس انه عليه السلام مر على قبرين فقال انهما
ليعذبان وما يعذبان فى كبير وانه لكبير اما احدهما فكان يمشى بالنميمة واما الاخر فكان لا

ينوه من بوله الحديث ولاحمد في هذه القصة من حديث ابي بكرة اما احدهما
فكان يأكل لحوم الناس الحديث ولابي داود والترمذي من حديث انس عرضت
علي ذنوب امتي فلم ار ذنبا اعظم من سورة من القران او اية اوتيها رجل ثم نسيها و
للديلمي من الكبائر البسيئا بالسيئة وقد اختلف الصحابة والتابعون في عدد الكبائر
من اربع الى تسع الى احدى عشرة فما فوق ذلك قال ابن مسعود هي اربع وقال عمر بن
سبع وقال ابن عمرو هي تسع وكان ابن عباس اذا بلغه قول ابن عمر الكبائر سبع يقول هي
الى سبعين اقرب منها الى سبع واختلف على اقوال في حصرها اي الكبائر على ما نهي اي على
ذنب ورد عن نهي نهيا مخصوصا فالتخصيص بالذكر في القران للتعظيم اي لتعظيم
العظيمات وقد قال ابن عباس كل ما نهى الله عنه فهو كبيرة ويشير اليه قوله تعالى ان تجتنبوا
كبائر ما تنهون عنه اذا كانت الاضافة بيانية وما اي وعلى ذنب اوعد اي و
رد الوعيد عليه بالنار لعظم العقوبة فقد قال جماعة من الصحابة كل ما توعد
الله عليه بالنار فهو من الكبائر وما اي وعلى ذنب وجب عليه حد من رجم وجلد و
وقطع فالتعجيل لعقوبة المذنب للتغليظ في حق ذنبه فقد قال بعض السلف كل ما
اوجب الحد في الدنيا فهو كبيرة وما اي وعلى ذنب استصغروا استحقروا اي عد صغيرا وحقيرا
كان الصغيرة ما استعظم اوعد عظيما وكبيرا فورد لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة
مع الاستغفار رواه الديلمي عن ابن عباس مرفوعا وعن ابي سعيد الخدري وغيره
من الصحابة رضي الله عنهم انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على عهد
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر رواه احمد والبزار بسند صحيح وقال ابن مسعود
لما سئل عن الكبائر فقال اقرأ من اول سورة النساء الى راس ثلاثين اية منها عند قوله
تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم فكل ما نهى الله عنه في هذه
السورة الى ههنا كبيرة وضعف هذا القول لقوله تعالى تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه و
قوله والذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم اي الصغاير وفي الحديث ان
تغفر جما فاي عبد لك لا الما وقيل لا وضح انها اي الكبيرة مبهمة اذ ربما قصد الشرع ابهامها
ليكون العباد على حذر منها ككلمة القدر وساعة الجمعة وكذا الصلوة الوسطى ليعظم
جد الناس في طلبها وعدم الاكتفاء بها عن غيرها لانها اي والدليل على كون الكبيرة مبهمة
ان اطراد بها ما اي ذنب لا يكفره الصلوة الخمس اي ونحوها من المكفرات للسيئات
فورد في الحديث الصلوة الخمس تكفر ما بينهن اي من الصغاير ولم يبق عليه شيء من الذنوب

ح ان

ح ان اجتنب الكبائر وليس المعنى اجتناب الكبائر شرط لكونه الصلوة ونحوها تكفر
الصغائر بلى ان كان عنده الصغائر والكبائر فتكفر الصغائر والا فتخفف الكبائر
وان كان محفوظا من الكبائر والصغاير فيكون سببا لرفع الدرجات العالية والزلفات
الغالية او الكبائر شك من الراوي او لاختلاف الروايات فالاخير رواية مسلم
وللحاكم من حديث ابي هريرة ونحوه الصلوة الى الصلوة كفارة ورمضان الى رمضان
الا من ثلثة الاشراك بالله وترك السنة ونكث الصفقة قيل وما ترك السنة قال
الخروج من الجماعة ونكث الصفقة ان يبايع رجلا ثم يخرج عليه بالسيف يقاتله
وهو اي حكم الكبيرة او التكفير وهو الاظهر يتعلق بالاخرة فلا بهام اولى يحذر
عن الكل اي كل المعاصي فلا يقع احد بمخالفة المعمول لاحتمال ان يكون كل ذنب اقدم
عليه بارتكاب كبيرة فيتخلص من الكبائر والصغائر جميعها وهو مطلوب من العبد
ان لا يقطع في مطلوب الذنب ليحصل له كمال القرب وتوضيحه ان كل ما لا يتعلق به
حكم في الدنيا فيجوز ان يتطرق اليه الابهام ولا تكليف فيها اي لا تكليف علينا
في معرفة الكبائر لاجتناب عنها فان دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على
الخصوص لا حكم لها في الدنيا من حيث انها كبيرة بل لها تعلق في حكم لها في الدنيا من حيث
انها كبيرة بل لها تعلق في حكم العقبى موجبات الحدود معلومة باسمائها كالسرقة والزنا
والقتل وغيرها وفي الاخيرة وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصغائر موجب قوله
تعالى ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم ولكن اجتناب الكبيرة انما تكفر
الصغيرة اذا اجتنبها مع القدرة والارادة كمن يتمكن من امرأة ومن مواقعتها
فيكف نفسه عن الوقاع بها ويقتصر على نظر ولمس منها فان مجاهدة نفسه في
الكف عن الوقاع اشد تاثيرا في تنوير قلبه من اقدام على النظر من اظلامه فهذا
معنى تكفيره فان كان عنينا ولم يكن امتناعه الا بالضرورة للعجز او كان قادرا و
لكن امتنع لخوف امر اخر فهذا لا يصلح للتكفير اصلا فكل ما لا يشتهي الخمر لطبعه ولو
ابيح له لما شربها فاجتنابها لا يكفر عنها الصغاير التي هي مقدماته كسماع الملاهي
والاوتار ويشتهي الخمر وسماع الاوتار فيمسك نفسه عن الخمر ويطلقها في السماع
فمجاهدة النفس بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت اليه من معصية في
السماع وورد في الحكومة لا يختص بها بالكبيرة بل ولا بالصغيرة فالاكل في الطريق من
السوق ونحوه بوجوبه اي رد الشهادة مع كونه مباحا وفي الاحياء لا خلاف في ان

من يسمع الملاهي ويلبس الديباج ويتختم بخاتم الذهب والفضة لا تقبل شهادته
ولم يذهب احد الى ان هذه الامور من الكبائر فكل الذنوب تقدح في العدالة مما لا
يخلوا الانسان عنه غالبا المطرودة بمجاري العادات كالغيبة والتجسس وسوء
الظن والكذب في بعض الاحوال وسماع الغيبة وترك الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر واكل الشبهات وسب الولد والغلام وضربهما بحكم الغضب زائد على
حكم المصلحة واكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجرة والتكاسل عن تعليم الا
هل والولد جميع ما يحتاجون اليه في امر الدين فهذه ذنوب لا ينفك الشاهد عن
قليلها او كثيرها الا بان يعتزل الناس ويتجرد لامر الاخرة ويجاهد نفسه مدة
بحيث يبقى على سمته مع المخالطة بعد ذلك ولو لم يقبل الا قول مثله لعز وجوده
وبطلت الاحكام والشهادات ولبس لبس الحرير ونحوه من قبيل هذه المذكورات
وقيل الاصح انها اي الكبيرة اسم اضافي كما ان الزنا كبيرة بالنسبة الى المعانقة مع
التجريد عن الثياب في الجانبين وللمعانقة كبيرة بالنسبة الى المس كبيرة بالنسبة الى
النظر بالشهوة والنظر صغيرة بالنظر الى الهم والعزيمة وقطع يد المسلم كبيرة با
لاضافة الى ضربه وصغيرة بالاضافة الى قتله والمطلق اي الكفر الذي اذا اطلق
الكبيرة فهو الكفر اذ لا كبيرة فوقه وقد قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم ولهذا لا يغفر
بالاجماع او الذنب المطلق هو الكفر وباقي الذنوب مقيد بالاضافة ولما كان
هذا القول يفيد انه لا كبيرة الا الكفر وهو مفرد وقد جاء في القران بلفظ الجمع قال
في دفع هذا الاشكال والجمع مبتدا اي وقوع اللفظ الكبيرة فيما ورد في التنزيل
ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه وقد قرى كبير ما تنهون عنه فيكون المراد به
الكفر او اريد به الجنس والذين يجتنبون كبائر الاثم لتنوع خبر المبتدا اي لوقوع
افراد الكفر انواعا كعبادة الصنم والشمس والقمر كفر اليهود والنصارى والمجوس
وامثالها او تعدد المخاطب فوقع مقابلة الجمع بالجمع او لانه كفر يدعي كفر والمغفرة
للصغيرة والكبيرة وهي العفو من غير التوبة يتعلق بالمشية لا غير اي لا غيرها من الاشياء
المكونة فورد في التنزيل ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء اي غير الشرك والكفر
بجميع انواعه لمن يشاء اي لمن تعلقت مشية الله بمغفرته وكان مطرف بن عبد الله
يقول اللهم ارض عنا فان المولى قد يعفو عن عبده وهو غير راض فعله والحاصل
ان الرضا يتعلق بالطاعة والعفو والمغفرة بالمعصية ثم هو اي الذنب ولو صغيرة

يعظم في الكيفية حتى يصير كبيرة بسبب اربعة اشياء بالاصرار وهو الاصرار
على الذنب والاستقرار لانه اي الاصرار سبب تراكم الظلام اي الظلمات الاثام في قلب
الاثام وورد لا صغيرة مع الاصرار دوامه ولا كبيرة مع الاستغفار وقد تقدم
فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلها لو تصور وجودها لكان العفو عنها ارجى من
صغيرة يواظب العبد عليها الا ان الكبيرة قلما يتصور الهجوم عليها بغتة من غير
سوابق ولواحق من جملة الصغائر فقلما يزني بغتة من غير مراودة ومطالبة و
مطالعة وقل ما يقتل القاتل بغتة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة سالفة فكل
كبيرة تتبعها صغائر سابقة ولاحقة والمباهاة اي وبالمباهاة والمفاخرة والاستحقار
بعدم المبالاة فهما لف ونشر مرتبا سبب التالف اي تالف الذنب والالفة شديد
الاثر في القلب والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات فلما
غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة عند الرب وعظم اثرها في تسويد
القلب وورد المنافق يرى ذنبه كذباب مر على انفه فاطار اي عن نفسه وتمامه والمؤمن
يرى ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه رواه البخاري من رواية الحارث بن سويد
عن ابن مسعود مرفوعا وموقوفا ولا يخفى ان هذا الحديث يصلح ان يكون شاهدا للعدم
لعدم المبالاة لا بوجود المباهاة فكان حقه ان يؤخره عن قوله ونسيانا حكمه وهو
بالجر عطف على التالف اي وبسبب نسيان حلمه وكرمه تعالى وستره وعدم كشفه
فهو اي ما ذكر من النسيان سبب الامن عن المكر الالهي من استدراج العبد بالنعمة واخذه
بالبغتة وورد في التنزيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما وقال بعضهم الذنب الذي
لا يغفر قول العبد ليت كل شيء عملته مثل هذا فانما يعظم الذنوب في القلب لعلمه بعظمة
الرب فاذا نظر الى جلال من عصى راى الصغيرة كبيرة وقد اوحى الله تعالى الى بعض الانبياء
لا تنظر الى قلة الهدية وانظر الى عظم مهديها ولا تنظر الى صغر الخطيئة وانظر الى كبرياء
من واجهته بها وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين لا صغيرة بل كل مخالفة فهي
كبيرة وهذا السبب يعظم من العالم ما لم يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العامي امور لا يتجاوز
في امثالها عن العارف لان المخالفة تكبر بمعرفة قدر المخالف كما يشير اليه قوله سبحانه يا نساء
النبي من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله
يسيرا ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نؤتها اجرها مرتين واعتدنا لها رزقا
كريما فوزرهن يضاعف كاجرهن ومن هذا قال تعالى خطابا بالعلماء اهل الكتاب يا ايها الذ

امنوا اتقوا الله وامنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته وقال الذين اتيناهم الكتاب
من قبله هم به يؤمنون واذا يتلى عليهم الى ان قال اولئك يؤتون مرتين بما صبروا
والاية والاظهار داء وبالاظهار المعاصي للعباد فهو اى الاظهار يؤدى الى ذنوب
اخر كهتك الستر بنفسه والله سبحانه هو الستار وترغيب الغير الى مثل فعله فيكون
عليه ذنب التسبب كما في حديث مسلم من حديث جرير بن عبد الله من سن سنة سيئة
فعليه وزرها من عمل بها الحديث وورد كل الناس معافون بضم الميم وفتح الفاء
اى يقربون الى العفو الا المجاهر بالذنب فانه بعيد عن العفو وتمامه يبيت احدهم على
ذنب قد ستر الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله فيحدث بذنبه والحديث في الصحيحين من
حديث ابي هريرة بلفظ كل امتي وقال بعضهم لا تذنب فان كان ولا بد فلا ترغب فيه
غيرك فتذنب ذنبين ولذا قال تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر
وينهون عن المعروف وقال بعض السلف ما انتهك المؤمن من اخيه حرمة اعظم من
ان يساعده على معصية ثم يهونها عليه فسبحان من يظهر الجميل ويستر القبيح وقال تعالى
ونكتب ما قدموا واثارهم والاثار ما يكتسب بعد انقضاء العمل والعامل فاذا كان
المذنب المظهر عالما يقتدى به وهو يلبس الحرير ويركب سرج الذهب ويأخذ مال
الحرام ويدخل على الظلمة من بين الانام طمعا في المناصب العظام كثرت له الاثام فطوبى
اذا مات ماتت ذنوبه معه ولم يتجاوز غيره فعن ابن عباس ويل للعالم من الاتباع
يزل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الافاق وقال بعضهم مثل
زلة العالم مثل انكسار السفينة تغرق وتغرق اهلها وفي الاسرائيليات ان عالما كان
يضل الناس بالبدعة ثم ادركته التوبة فعمل في الاصلاح دهرا فاوحى الله الى نبيهم ان
قل له ذنبك لو كان فيما بيني وبينك لغفرته لك ولكن كيف بمن قد اضللت من عبادي فا
دخلتهم النار وحقها اى وحق التوبة على صاحب المعصية ان يندم اى يلحقه الندم
في القلب فورد في الحديث كما تقدم الندم وهو توجع القلب بمخالفة الرب اى معظم ار
كانها هو الندامة على فعل المعصية من حيث انها معصية ويكون خالصة لله من الرياء
والسمعة ويتبعها قطع المعصية في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وفي الاسرائيليات
ان الله سبحانه وتعالى قال لبعض انبيائه وقد سأله النبي عم قبول توبة عبد بعد ان اجتهد
سنين في العبادة ولم ير اثر قبول توبته في مقام السعادة فقال وعزتي وجلالي لو
شفع فيه اهل السموات والارض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه

في قلبه

في قلبه فلا بد في التوبة من مرارة المعصية بدلا عن حلاوتها فيلتزم بترك اللذة
ويشير اليه قوله عم ذاق طعم الايمان من رضي بالله ربا الحديث وينبغي ان يجد مثل
مثل هذه المرارة في جميع الذنوب وان لم يرتكبها قبل فيكون مرارة المعصية وحلاوة
الطاعة بالطبع الموافق للشرع فتكون المعصية عنده كالسم والطاعة كالعسل هذا
وفي الحديث الندم توبة ايماء الى انه مقصود ومرغوب فيه كذا في قوله تعالى وتوبوا
او الا فيكون الامر بما لا يطاق وهو ما وقع في الشرع بالاتفاق على خلاف في جوازه
وعدمه وقيل هو اى الندم غير مقدور للبشر في الاختيار فان قلت تألم القلب امر
ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب فاسلم ان سببه تحقق
العلم بفوات المحبوب وله سبيل الى تحصيل سببه وبمثل هذا المعنى دخل العلم تحت الوجوب
لا بمعنى ان العلم يخلقه العبد ويحدثه في نفسه فان ذلك محال بل العلم والندم
والفعل والارادة والقدرة للقادر والكل ما خلق الله وفعله والله خلقكم
وما تعملون هذا هو الحق عند ذوي البصائر وما سوى هذا ضلال وتدارك
اى وحق التوبة ان يتدارك ويتلافى ما فاته من الطاعة وما سبق له من المعصية و
هو اى التدارك في حقه تعالى القضاء بدل الاداء والكفارة بدل المعصية والقصد
دوام الطاعة ودوام ترك المعصية الى الموت مع استدراك الفوت بحيث لها اى
حاكونه يحتاط في امره من اوله الى اخره بتذكره الى اول يوم بلغ فيه بالسن او الا
حتلام فيفتش عما مضى من عمره سنة سنة وشهرا شهرا ويوما يوما ونفسا نفسا
وينظر الى الطاعات ما الذي قصر عليه فيها والى المعاصي ما الذي قارفه منها فان كان
قد ترك صلوة او صلاها في ثوب نجس او صلاها بنية غير صحيحة او ترك فيها شيئا
من الواجبات كتعديل الاركان ونحوها فيقضيها من اخرها فان شك في عدد ما فاته
منها حسب مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن انه اداه ويقضي الباقي وله
ان يأخذ فيه بغالب الظن ويصل اليه على حسب التحري والاجتهاد وكذا امر الصوم و
الحج والزكاة وسائر فرائض الاسلام وشرائع الاحكام هذا طريق تفتيشه عن الطاعات
واما بحثه عن السيئات فيتفكر من اول بلوغه الى اخره عن سمعه وبصره ولسانه وبطنه
ويده ورجله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع ايامه وساعاته ويثبت
عند نفسه ديوان سيئاته حتى يطلع على جميعها قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها ثم
ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله من حيث لا يتعلق بمظالم العباد كنظر الى

غير محرم وقعود في المسجد مع الجنابة ومس المصحف من غير طهارة واعتقاد بدعة
وشرب خمر وسماع الة فالتوبة عنها بالندم والتحسر عليها ثم اعلم ان حب الدنيا رأس
كل خطيئة وان اتباع الدنيا في القلب لسرورها والالفة لها والتحزن اليها فلا
جرم ان كل اذى يصيب المسلم يذنوب بسببه قلبه عن الدنيا يكون كفارة له اذ القلب
يتجافا بالهموم عن دار الهموم فورد من الذنوب لا يكفرها الا الهموم وفي لفظ
الا الهم لطلب المعيشة رواه الطبراني في الاوسط وابو نعيم في الحلية من حديث ابي
هريرة ولاحمد من حديث عائشة اذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له اعمال يكفرها ابتلاه
الله بالحزن فيكون كفارة الذنوب ويقال الهم الذي يدخل على القلب العبد لا
يعرف هو ظلمة الذنوب والهم وروي ان جبريل عم دخل على يوسف عم
في السجن فقال له يوسف كيف تركت الشيخ الكئيب فقال قد حزن مائة ثكلى قال فما له
عند الله قال اجر مائة شهيد وللطبراني والحاكم عن ابي الدرداء مرفوعا ان الله
يحب كل قلب حزين وفي حق العبد اي والتدارك في حق العباد ثلثة اشياء رد
المال المحتاط اي في قدره الى المالك ان كان حيا او الوارث ان كان ميتا بالغا اي
غاية الاحتياط في التبليغ اي ايصال حق العباد بالطوف اي السير والتردد في البلاد
رجاء ان يظهر المالك هنالك فيرد اليه حقه او يستحل منه ان انكر له السعي
الا فالتصدق على الفقراء والمساكين او الصرف الى مصالح المسلمين من بناء مسجد
وعمارة جسر ومدرسة او التسليم الى القاضي الامين لتصرفه في امور الدين
والدية عطف على رد المال اي وفي حق العبد اداء الدية الى مستحقها اذا وقع
القتل او القطع خطاء والقصاص اذا وقع عمدا في النفس وكذا في الاطراف فيجب
عليه ان يعترف عند ولي الدم ويحكمه في روحه فان شاء عفا عنه وان شاء قتله و
لا يسقط عهدته الا بهذا ولا يجوز له الاخفاء وليس هذا كما لو زنى او شرب او
سرق او قطع طريقا او باشر ما يجب فيه الحد لله فانه لا يلزمه في التوبة ان يفضح نفسه
ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله تعالى بل عليه ان يستر بستر الله ويقيم
حد الله على نفسه بانواع المجاهدة فان دفع امره الى الوالي حتى قام عليه الحد
وقع في موقعه ويكون توبة صحيحة مقبولة عند الله او الاستغفار اي العفو وكان
يستحل عند العجز عن رد المال او الدية والقصاص نفسا كان حق العبد او مالا
وعند العجز اي عدم القدرة على الاستغفار فتكثير الحسنات متعين بحسب المظالم

اي مرابتها في مقام السيئات وذلك بان يحسب مقدارها من حيث الكثرة ومن حيث
المدة ويحاسب نفسه على الجنايات والزلات من اول يوم حياته الى يوم توبته قبل ان
يحاسب يوم القيمة وليناقش نفسه قبل ان يناقش وهذا التوبة يشق على الظلمة
وعلى التجار فانهم لا يقدرون على طلب المعاملين كلهم ولا على طلب ورثتهم ولكن على
كل منهم ان يفعل منه ما يقدر عليه فان عجز فلا يبقى له طريق الا ان يكثر من الحسنات
يقبض منه يوم القيمة فيؤخذ حسناته وتوضع في موازين ارباب المظالم وليكن كثرة مظالمه
فانه لم يف بها حسناته حمل من سيئات ارباب المظالم على سيئاته فيهلك بسيئات غيره وفي اي
والتدارك في نحو الغيبة ولذا النميمة والسب اي الشتم واللعن والايذاء باللسان او بالا
ركان ومنه الزنا بحليلة المسلم او جاريته او القرابة فالاستعفاء متعين لعدم
وجوب المال وجواز القصاص في امثالها والذكر المفصل بفتح الصاد وكسرها
بان يذكر الغيبة ونحوها مبينة معينة الا ان يزداد التأذي لصاحب الحق با
لاظهار فالمبهم اي في الاستعفاء المبهم متعين تحاميا عن ذنب اخر فان هذا
عند اشد من الذنب عند اهل اعتبار ولانه يصير سببا لعدم عفو الذنب الاول
والجبر اي جبر نقصان الاستعفاء المبهم بالحسنات ولو كان حيا موجودا حاضرا
كما لو كان صاحب الحق ميتا او غائبا لم يكن الاجتماع به والمبالغة اي ح في الاستعفاء
بالتلطف في طريق المحو والغلو والتودد اي اظهار المحبة بالقيام والاكرام والا
حسان بالهداية والضيافة والانعام لا بالاكراه والابرام فانه غير مفيد عند الله
فان عفا اي صاحب الحق وفي نسخة فان عفي اي عن المذنب بالاستعفاء فيها والا يجاب
في القيمة بحسنات في مقابلة سيئات كما قدمنا فالكل مأثور وعن السلف مذكور والحاصل
ان الانسان عبيد الاحسان وكل من نفر قلبه بسيئة مال بحسنة فاذا طاب قلبه بكثرة توددك
وتلطفه سمحت نفسه بالاحلال عن فعله فان ابى الا الاصرار فليكن تلطفه واعتذاره
اليه من جملة حسناته التي يمكن ان يجبر بها في القيمة جنايته وليكن قدر سعيه في فرحه
وسرور قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في ايذائه حتى اذا قاوم احدهما الا
خر او زاد عليه اخذ ذلك عوضا منه يوم القيمة بحكم الله عليه كمن اتلف في الدنيا مالا
فجاء بمثله وامتنع من هوله عن القبول وعن الابراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض و
الابراء عن شاء ام ابى فكذلك يحكم في صعيد القيمة احكم الحاكمين واعدل المقسطين
ويتبع اي وحق التوبة انه يتبع الحسنة بحسب السيئة اي بقدرها كمية وكيفية فيماع

وهو مرفوع وقيل منصوب الملاهي من انواع الاوتاد المناهي يتبع سماع القرآن
ومجالس الذكر لا لهي والقعود في المعصية كقعوده في المسجد جنبا بالاعتكاف
فيه مع الاشتغال بالعبادة وكذا مس المصحف محدثا بالاكرام المصحف وكثرة تقبيل
وبان يكتب مصحفا ويجعله وقفا وشرب الخمر بالتصدق بشرب حلول لذيذ اي
حلو بارد القتل بالاعتقاد اي وقتل النفس عمدا وخطاء باعتاق رقبة لان
ذلك نوع احياء اذ العبد مفقود لنفسه موجود لسيده فالاعتاق ايجاده لا
يقدر الانسان على اكثر منه فيقابل الاعدام بالايجاد والغيبة ونحوها من
الايذاء بالثناء على صاحب الحق او على اهل الدين والجزء في الحضور والغضب با
بالصدقة ونحوها عطف على سماع الملاهي اي وذلك المذكورات فعد جميع
المعاصي عنه ممكن في العبادات والافاعل بكيفية بعض الاشارات والحق سلوك الطريق
المضادة فان المريض يعالج بضده فكل ظلمة ارتفعت الى القلب بمعصية فلا يمحو
الا نور يرتفع اليها بحسنة تضادها والمتضادات هي المتناسبات فكذا ينبغي ان
يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكي تضادها فان البياض يزال بالسواد ولا با
الحرارة والبرودة وهذا التدريج والتحقيق من التلطف في طريق المحو فالرجاء
فيه اصدق والثقة به اكثر من ان يواظب على نوع واحد من العبادات وان
كان ذلك ايضا مؤثرا في المحو هذا وسلوك طريق المضادة في التكفير والمحو
مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتاق الرقبة فورد في التنزيل ان
الحسنات اي جميع الطاعات يذهبن السيئات اي يمحونها اتبع السيئة اي وورد
اتق الله حيث كنت واتبع السيئة من باب الافعال اي اعقب السيئة الحسنة
تمحها رواه الترمذي من حديث ابي ذر وصححه والبيهقي في الشعب من حديث
اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة بكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية و
يستغفر اي وحق التوبة ان يستغفر فورد ما اصر من استغفر وان عاد في
اليوم سبعين مرة رواه ابو داود والترمذي عن ابي بكر والتراجلي
من الاظهار في حق الله ولو اقر لاقامة الحد في حقوق الله تعالى الخالص فلا
قدح اي لا ذم ولا منع كما تقدم فورد فيما عز رضه حيث اعترف بالزنا ورجم لقد
تاب توبة لو قسمت بين الامة وفي رواية بين الخلائق لوسعتهم اي لكفتهم وهو
عبارة عن كثرة ثوابها والحديث رواه مسلم من حديث بريدة بن الحصيب كذا

الحديث الغامدية واعترافها بالزنا ورجمها وقوله عم لقد تابت توبة لو تابها
صاحب مكس لغفر له ويوكد العزم اي وحق التوبة ان يشد العزم ويقوي
الجزم على ان لا يعود بمثل الذنب الذي تاب منه ابدا قال بعضهم من صدق في ترك
شهوة وجاهد نفسه لله سبع مرات لم يبتل بها وقال اخر من تاب من ذنب فا
ستقام عليه سبع سنين لم يعد اليه ابدا ويخلص النية اي وحقها ان يصحح النية
ويخلص الطوية في ترك المعصية الجلية والخفية فمن ترك المعصية لذهاب
مال كما في القمار ونحوه او جاه من سقوط اعتباره عند الخلق او عدم اسباب
معينة له على المعصية لا يكون تائبا فان قيل من العصمة ان لا تقدر ثم اي بعد ذلك
حق التوبة على التائب ان يغسل الثياب التي عصى الله فيها ويغتسل فان طهارة الظاهر
عنوان طهارة الباطن وفي رواية ويتوضا واختيار الغسل اشارة بالتوبة
عن الكل ويصلي اربع ركعات تبنيها على اربع مواضع تشهد له يوم القيمة كما قال تعالى
يومئذ تحدث اخبارها بان ربك اوحى لها في موضع خال عن اشغال وعن
الرياء والسمعة في بال ويضع الوجه اي وان يضع جبينه على الارض تواضعا لله
والتراب لزيادة الخشوع عند رب الارباب للتذكر الى اصله ومرجعه في هذه
الباب كما يشير اليه قوله منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى بدمع
حار اي مع بكاء في الندامة فان دمع الندامة والخوف حار ودمع الفرح والسرور
بارد وكذا او رد قرة عين وقراء عينا وقلب حزين على ما سبق له من المعصية و
صوت عال اي رفيع البكاء والا فالدعاء والاذكار اولى ان يكون بالاخفاء ويذكر
الذنوب اي وان يتذكر ذنوبه واحدا جنسا وفردا او يلوم النفس اي وان يعيبها
ويذمها ويوبخها اي ويذمها ويقرعها ويرفع يديه الى كتفيه او اذنيه حتى يرى
بياض ابطيه مبالغة في التضرع الى الله والالتجاء اليه ويحمد الله على الاء الله ونعمائه
الظاهرة والباطنة عليه ويقول الحمد لله على كل حال ونعوذ بالله من حال اهل النار
ويصلي على النبي صلى الله عم لانه شفيع المذنبين يدعو لنفسه بقبول التوبة و
حصول المغفرة والرحمة ولوالديه فيقول رب ارحمهما كما ربياني صغيرا وللمسلمين فيقول
رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ويكثر الاستغفار لا سيما ما
ورد عن سيد الابرار ونحوه رب ظلمت نفسي وعملت سوء فاغفر لي ذنوبي وكذا
يكثر من سيد الاستغفار وجاء في الاثر اذا ابتغوا التوبة بعزم التوبة اي بالتوبة

على وجه العزم والجزم وخوف العقاب عند مناقشة الحسنات ورجاء العفو
من رب الارباب واداء ركعتين في المسجد فانه افضل الاماكن واشرفها فيشكر
له بما عرفها والاستغفار سبعين مرة لابي داود في طرق الاحاديث ولو زاد
حتى صار مائة مرة فهو افضل واكمل والتسبيح والتحميد مائة اي كل واحد منهما او
يقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة وينبغي ان يكون التكبير والتهليل كذلك
ليجتمع الباقيات الصالحات بل ويضم اليها لا حول ولا قوة الا بالله وكذلك والتصدق
سرا وعلانية وكذا يوما وليلة ليدخل في قوله تعالى الذين ينفقون بالليل والنهار
سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم وليكون تصدقه مكفرا لجميع انواع معاصيه من
السيئات السرية والعلانية والليلية والنهارية وصوم يوم فانه من جملة
الحسنات المكفرات للسيئات فالعفو عن الذنب ح ارجى اي اكثر رجاء وفي الا
حياء انه في الاثار وفي الاحياء انه في الاثار ما يدل على ان الذنب بثمانية اعمال
كان العفو عنه مرجوا اربعة من اعمال القلب وهي التوبة او العزم على التوبة وحب
الاقلاع عن الذنوب وخوف العقاب عليه ورجاء المغفرة له واربعة من
اعمال الجوارح وهو ان يصلي عقيب الذنب ركعتين ثم يستغفر الله بعدهما
سبعين مرة ويقول سبحان الله العظيم وبحمده مائة مرة ثم يتصدق بصدقة
ثم يصوم يوما وفي بعض الاخبار يصلي ركعات قال مخرجه اثار من مكفرات الذنب
ان يسبغ الوضوء ويدخل المسجد ويصلي ركعتين رواه اصحاب السنن من
حديث ابي بكر الصديق ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم يستغفر الله
الا غفر الله له هذا لفظ ابي داود وهو في الكبرى للنسائي مرفوعا وموقوفا وحديث
التكفير بصلوة اربع ركعات ذكره ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الشعب من حديث
ابن عباس قال كان رجل يهوى امرأة الحديث وفيه فلما رآها جلس منها مجلس الرجل
من امرأته وحرك ذكره فاذا هو مثل هدبة فقام نادما فاتى النبي عم فذكر له ذلك
فقال له عم صل اربع ركعات فانزل الله عز وجل اقم الصلوة طرفي النهار الاية
واسناده جيد وفي هذا الحديث دلالة على انه توبة العنين صحيحة وفي الصحيحين
ان رجلا قال يا رسول الله اني عالجت امرأة فاصبت منها كل شيء الا المسيس فاقض علي
بحكم الله فقال عم او ما صليت معنا صلوة الغدوة فقال بلى فقال عم ان الحسنات
وهذا يدل على ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة اذ جعل الصلوة كفارة له

يقتضي

يقتضي قوله عليه السلام الخمس كفارة لما بينهن الا الكبائر كذا في الاحياء مخرجه حديث
الرجل متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله او ما صليت معنا صلوة الغدوة
وفيه ثم شهدت الصلوة معنا قال نعم الحديث والطريق الموصول الى التوبة كقوله تعالى ان
يحب التوابين وكقوله عم ليتمنين اقوام لو اكثروا من السيئات الذين بدل الله عز وجل
سيئاتهم حسنات رواه الحاكم في مستدركه عن ابي هريرة وهو مقتبس من قوله تع الا من
تاب وامن وعمل عملا صالحا فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وقبح الذنب فعن ابن مسعود
نسي المرء بعض العلم بالمعصية وتلا اية فنسوا حظا مما ذكروا به ولانه مخالفة الرب وقد
يجر الى الكفر كقصة ابليس اوله ذنب وآخره كفر وكذا قصة قابيل وبلعم بن باعوراء اوله
شهوة وآخره شقوة وشدة العقوبة اي وذكر شدتها الناشئة من غضب الله والم سخط
الذي لا طاقة لاحد بها وضعف النفس عن الاحتمال اي تحمل الاهوال يوم القيمة فقد
قال تعالى فما اصبرهم على النار فان من لا يحتمل حر شمس ولطمة شرطي كيف يحتمل عذاب حر نار
وضرب مقامع الزبانية ولسع حيات اعناقها كاعناق البخت وعقارب كالبغال المخلقة
من النار في دار الغضب والبوار نعوذ بالله من سخط الواحد القهار وشرف الاخرة
اي وذكر شرفها فانها خير وابقى لمن اتقى وخسة الدنيا سرعة فنائها وقلة بقائها
فاكثرة عنائها وخسة شركائها وقرب الموت كما قيل شعر كل امرئ مصبح باهله والموت
ادنى من شراك نعله ولذة المعرفة فانها فلا يجامع المعصية فقد اجمع السلف على
ان كل من عصى الله فهو جاهل والمناجاة لانها تختص باهل العبادات والمناداة وخوف
الاملاء بالرفع عطف على ذكر اي وخوف الاملاء لعدم الاخذ الحالي بتشديد لي الحال
ضد الماضي والاستقبال فقال تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما والاستدراج اي و
خوف الاستدراج بالاحسان اي باحسان الرب بعد الارتكاب اي ارتكاب الذنب وذلك
لرين الخطيئة وقعت صدر الخطيئة وقلع اسبابها عطف على ذكر ما ورد اي وقلع
اسباب الذنب وهي اي اسبابها ثلثة الغرور قال تعالى وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور
فلا تغرنكم الحيوة الدنيا وهو سكون النفس لما فيه وشك وشبهة كمن يذنب ويمكن
لنفسه اي ان الله تعالى غفور رحيم فهذا غرور بخلاف من يطيعه ويرجو ثوابه
من اللقاء والخلود والجنة والحور والقصور وحب الدنيا فانه رأس كل
خطيئة كما ورد وطول الامل فانه مانع من العمل ومسوقة الى الاخر الاجل وقلع اسبابها
بما في موضعها من علاج هذه الاشياء بتمامها والتحقيق في وجوب التوبة عن كل

[illegible] من الكتاب [illegible] في قصد التوبة صحيح

معصية بلا مهلة او في قلع الاسباب علمك ان توارد المعاصي تواردها من
غير تخلل توبة اثنائها سيعقب تراكم ظلام القلب اي تكاثف ظلماته وبه حصل الرين في
قوله تعالى كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون والطبع اي الختم في قوله سبحانه
ولو نشاء لاصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون وقال مجاهد القلب
مثل الكف المفتوحة كلما اذنب ذنبا انقبضت الاصابع كلها فيشد على القفل
فذلك هو القفل يعني فيما قال تعالى افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها وقال
بعض السلف ليست اللعنة سوادا في الوجه انما اللعنة ان لا يخرج من ذنب الا وقد
وقع في مثله او اشر منه وقال ابو سليمان الداراني لا يفوت احد صلوة جماعة
الا بذنب يذنبه وفي الحديث الكريم فيما تركتم من اعمالكم رواه البيهقي في الزهد من
حديث ابي الدرداء وهو اي تواردها داء عضال اي صعب في غاية الاشكال عجز
منه اطباء القلوب الا ان يريد دواءه علام الغيوب واختلف في صحتها اي التوبة
عن بعض الذنوب في الاحيا ومن مهمات التائب اذا لم يكن عالما ان يتعلم ما يجب عليه
في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة ثم ان لم يؤثر العزلة لم يتم له الاستقامة
المطلقة الا ان يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا واللواطة
والغصب مثلا دون غيره وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس ان هذه التوبة
لا يصح وقال قائلون يصح ولكن لفظ الصحة في هذا المقام مجمل والحق الذي لا
محيص عنه ان في التوبة عن بعض المعاصي افادة نقصان العقوبة لانها اي العقوبة
بحسب الذنب كثرة وقلة دون النجاة اي دون افادة النجاة من النار لانها اي النجاة
انما تحصل بترك الكل اي جميع المعاصي وتوضيحه اذ يقال لمن قال لا يصح ان عنيت به ان
ترك بعض الذنوب لا يفيد اصلا بل وجوده كعدمه فما اعظم خطاك فانا نعلم ان كثرة
الذنوب سبب كثرة العقاب وقلتها سبب لقلته ويقال لمن قال يصح اذا اردت به ان التوبة
عن بعض الذنوب يوجب قبولا يوصل الى النجاة او الفوز فهذا ايضا خطا بل النجاة و
الفوز بترك الجميع هذا حكم الظاهر فلسنا نتكلم من خفايا اسرار عفو الله فهو اعلم
بالسرائر فان قلت انما الترك اي مراد القائل الاول بعدم الصحة عن بعض الا ترك
بعض الذنب فهو شرب الخمر مثلا كونه اي ذلك البعض الذي تاب منه وهو شرب ذنبا
لا بعينه اي لا يكون لخمر بذاته وهو اي كونه ذنبا وعلة ترك مشترك فيما اي يشترك
في هذا المعنى جميع الذنوب شامل بل جميع المعاصي لانه من ترك الخمر لكونها معصية وموقعة

في عقوبة وجب عليه ان يترك سائر المعاصي لكونها معصية وموقعة في العقوبة فكيف
فكيف يتصور التوبة عن البعض دون البعض فاذا ثبت انها لا تصح عن البعض بهذا
المعنى فوجب ان يتوب عن الجميع دون البعض قلت التوبة عن بعض الذنوب لا يخلو اما ان
يكون من الكبائر دون الصغائر او بالعكس او عن كبيرة دون كبيرة اما الاول فانه
ممكن ويقال يجوز الترك لبعض الذنوب لكونه اي ذلك البعض الاخشى اي اغلظ واعظم
واجلب لسخط الله وغضبه والعقاب عليه اصعب اي اشد واقوى وابقى والصغيرة اقرب
الى طرق العفو اليه فلا يستحيل ترك الكبيرة لهذه العلة ومثاله كمثل عبد يترك ضرب
ولد السيد لعظم العقوبة ويضرب دابته يظن ان السيد يتسامحه في ذلك و
كالمريض يحذر الطبيب عن اكل الحلو يحذر حذرا شديدا فيتوب المريض عن العسل دون
السكر واما الثالث وهو ان يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا ايضا ممكن
لاعتقاده ان بعض الكبائر اشد عند الله من بعض كمن ترك شرب الخمر مثلا لكونه
مفتاح الشرور لانه اذا ازال عقله ارتكب صاحب المعاصي فيتجنبها دون الزنا والقذف
او لكونه تدارك ذلك البعض اشق اي اصعب كالذي يترك القتل او النهب ومظالم العباد
لعلمه ان التدارك فيه ولان ديوان العباد لا يترك يوم المعاد ويرتكب ما بينه وبين
الله كترك الصلوة فانه تسارع العفو اليه واما الثاني وهو ان يتوب عن الصغائر
وهو مصر على كبيرة يعلم انها كبيرة وهذا ايضا ممكن كالذي يترك الغيبة او النظر الى
غير المحرم وما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر لان ميل النفس اليها اكثر او ميل النفس
اليه اي الى ما يترك من الصغائر اقل فيكون تركه اهون واسهل ووجه امكان ذلك
انه ما من كل مؤمن الا هو خائف على المعاصي نادم على فعله ندما ضعيفا او قويا ولكن ميل
نفسه في تلك المعصية اقوى من الم قلبه في الخوف عنها لاسباب توجب الخوف من الجهل
والغفلة واسباب توجب قوة الشهوة فيكون الخوف موجودا لكن لا يحمل على ترك الذنب
فان سلم عن شهوة هو اقوى منه بل لم يعارضه الا ما هو اضعف منه فهو ذلك الخوف
من الضعف تلك الشهوة التي كانت اضعف منه ودفعها وان سلم عن الشهوة هي اقوى
منه كشرب الخمر لم يقدر على الدفع فمثاله كمثل رجل له عدوان احدهما ضعيف والاخر قوي
فاذا وجد الضعيف غلب عليه واذا وجد القوي صرعه القوي ولان التوبة على حسب
المعصية وتوبة ذنب لا يتوقف على توبة ذنب اخر وهذا لان التوبة ذنب احسانا في العبودية
وتوبة ذنب واحسانا اخر وصحة احسانا لا يتوقف على صحة احسانا اخر هذا هو التحقيق او

خبرهذا على طريق التوفيق ولم يشترط الكل او لم يشترط التوبة عن جميع المعاصي لما ورد
من الكتاب والسنة في التوبة كقوله تعالى ان الله يحب التوابين حيث لم يقل عن جميع
الذنوب وكقوله عم التائب من الذنب كمن لا ذنب له ولم يقل من جميع الذنوب وقوله
الندم توبة ولم يقل عن جميع المعاصي وايضا يقاس على الطاعات من نحو الصوم والصلوة
والزكوة حيث لا يتوقف صحة طاعة وجود اخرى اجماعا وفي صحتها اي وكذا اختلف
في صحة التوبة عن العاجز الذي لا يقدر على المعصية كالعنين يوذن سكين وهو لم
يقدر على الجماع عما زنى اي كتوبته عما فارقه قبل العنة اي حدوثها والاقرب اي
القول الاقرب الى الصحة او الصواب لعدم صحته لامتناع الترك في غير المقدور لان
التوبة عبارة عن ندم يبعث العزم على الترك فيما يقدر على فعله واما ما لا يقدر على
فعله فقد انعدم بنفسه لا بتركه اياه لكن قد يقال لو تندم العنين وتولم القلب بالزنا
بحيث لو فرضت الشهوة اي قدرت شهوة الزنا لعرد ها اي لفعلها وتركها فالرجاء
اي المأمول من كرمه سبحانه القبول اي قبول توبته على حسب طلوعه كما على الضار او لمن
يخشى على غيره من السراية كما لو تاب العنين عن الزنا قبل طريان العنة اي حدوثها ومات قبل
هيجان الشهوة اي شهوة الزنا او الجماع وتيسر اسباب قضائها اي قضاء الشهوة ومباشرتها
لكان من التائبين اتفاقا فبعد طريان العنة لو تندم بما تقدم لكان من التائبين ايضا اذ
لا فرق بينهما وفي اي واختلف ايضا في ان الافضل من يجاهد شهوته ويمنع معصية او
من انقطعت شهوته وسكنت نفسه عن الميل الى معصية فقال احمد بن ابي الحوارى و
اصحابه الى سليمان الداراني ان المجاهد افضل لان له مع التوبة فضل المجاهدة الامام
في الزهد عن مجاهد انه قال كتب الى عمر يا امير المؤمنين رجل لا يشتهي المعصية ولا يعمل
بها افضل ام رجل يشتهي المعصية ولا يعمل بها فكتب عمر ان الذين يشتهون المعصية ولا
يعملون بها اولئك الذين امتحن الله قلوبهم لهم مغفرة واجر عظيم ويقويه ان جنس البشر
افضل من جنس الملك لما تقدم والله اعلم وقال علماء البصرة ذلك الاخر افضل لانه لو
فتر في توبته كان اقرب الى السلامة من المجاهد الذي هو في عرضة العود عن المجاهدة
فالحق ان الثاني اسلم مطلقا سواء كان انقطاع شهوته من المجاهدة او ضعف البنية وا
اي الثاني مقيد بقيد وهو انه ان كان انقطاعها اي الشهوة لقوة اليقين في مقام المشا
وسبق المجاهدة مع النفس في دفع الشهوة على سبيل المعصية فالمظفر اي المنصور على
العدو اولى من المجاهد المشغول في صف القتال ولا يدري كيف يسلم في الاستقبال وان

كان انقطاعها لضعفها اي لفتور الشهوة في نفسها اي في اصل خلقتها فالاول وهو
الذي يجاهد شهوته افضل لان المتروك بالمجاهدة من قوة اليقين واستيلاء الدين و
لقد ذل في هذا البحث فريق فظنوا ان المجاهدة هو المقصد الاقصى ولم يعلموا ان في ذلك طلب
الخلاص عن عوائق وعلائقه الشاغلة عن المولى وظن اخرون ان قمع الشهوات واماتتها
بالكلية مقصود بالذات حتى جرب بعضهم ذلك فعجز عنه فقال هذا محال وكذب بالشرع
وسلك سبيل الاباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهالة وضلالات وفي اي
وكذا اختلف في نفع الاستغفار باللسان مع الاصرار على الذنوب الكبائر او الصغائر و
الحق النفع لثلثة اوجه لما سبق من الاخبار في فضل الاستغفار من غير تقييد بعدم الاصرار
وكونه اي وكون الاستغفار باللسان حسنة يصلح للتكفير اي لتكفير العصيان وعدم
ضياع الاجر اي ولعدم ضياع اجر عامل عنده سبحانه ورد في التنزيل ان الله لا يضيع
اجر المحسنين ولا يضيع اجر من احسن عملا وان تك حسنة يضاعفها بتمامه ويؤت من لدنه
اجرا عظيما وقال فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وما ورد مبتدأ اي وما جاء في حديث انه
المستغفر باللسان المصر على ذنبه اي بجنايته المستهزئ بربه وفي الاحيا بلفظ المستغفر من
الذنب وهو مصر كالمستهزئ بايات الله قال مخرجه هو حديث ابن عباس عند ابن ابي الدنيا
ومن طريقه البيهقي في الشعب ولفظه المستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمستهزئ بربه
محمول عليه خبر المبتدأ اي حمله العلماء على الاستغفار بحكم العادة من الغفلة عن الارا
دة دون الابتهال اي التضرع في الحال والتصدق في السؤال اي سؤال المغفرة في
الاستقبال فهذا نصح اذ يدفع بها السيئة وكذا ما نقل عن بعضهم انه كان يقول استغفر الله
من قولي استغفر الله وقيل الاستغفار باللسان توبة الكذابين وهو محمول على الاستغفار
بمجرد القول من غير ان يكون للقلب فيه شركة العمل وقالت رابعة العدوية استغفارنا
يحتاج الى استغفار كثير فلا تظنن انها تذم حركة اللسان من حيث انها ذكر الله بل تذم
غفلة القلب فهو يحتاج الى استغفار من غفلة جنانه لا من حركة لسانه فانه من سكت عن الا
ستغفار باللسان ايضا يحتاج الى استغفارين لا الى الاستغفار واحد فهكذا ينبغي ان
يفهم حد ما يحمد وذم ما يذم والا جهلت معنى قول القائل الصادق حسنات الابرار سيئات
المقربين فان هذه امور تثبت بالاضافة فلا ينبغي ان يؤخذ من غير اضافة بل ينبغي ان
لا يستحقر ذرات الطاعات والسيئات ولذا قال الامام جعفر الصادق ان الله تعالى خبأ
ثلثا رضاه في طاعته فلا تحقروا منها شيئا فلعل رضاه فيه وفي معاصيه فلا تحقروا منها شيئا

فلعل غضبه فيه وخباو ليه في عبادة فلا تحقروا من عباد الله احدا فلعله ولي الله
وذاد وخبا اجابته في دعائه واسمائه فلا تتركوا شيئا منها فربما كانت الاجابة فيه
وقال سهل لابد للعبد في كل حال من مولاه فاحسن احواله ان يرجع اليه في كل شيء مما
قدره وقضاه فان عصى قال يارب استر علي فاذا فرغ من المعصية قال يارب تب
علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة واذا عمل الطاعة قال يارب تقبل مني و
سئل ايضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال اول الاستغفار الاستجابة ثم
الانابة ثم التوبة فالاستجابة اعمال الجوارح والانابة اعمال القلوب والتوبة اقباله
على مولاه بان يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو من الجهل بالنعمة وترك
الشكر فعند ذلك يغفر له ويكون عنده ماويه ثم التنقل الى الافراد ثم الثبات ثم البيان
ثم القرب ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافات ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة
ولا يستقر هذا في قلب حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضاء زاده والتوكل
صاحبه ثم ينظر الله اليه فيرفعه الى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش وسئل عن
معنى قوله التائب حبيب الله فقال انما يكون حبيب الله اذا كان فيه جميع ما ذكر الله في
قوله تعالى التائبون العابدون الاية وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيما يكرهه حبيبه
وفي الاحياء فاياك ان تستحقر ذرات الطاعات فلا تاتيها وذرات المعاصي فلا تتقيها كا
لمرأة الخرقاء تكسل عن الغزل تعللا بانها لا تقدر في كل ساعة الا على خيط واحد وتقول
واي غنى يحصل في خيط واحد وما وقع ذلك في الثياب ولا تدري المعتوهة ان ثياب
الدنيا اجتمعت خيطا وان اجسام العالم مع اتساع اقطاره اجتمعت ذرة فاذا
التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا يضيع عند الله اصلا بل اقول الاستغفار باللسان
ايضا حسنة اذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الحالة بغيبة او فضول
كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالاضافة الى السكوت عنه وانما يكون نقصانا
بالاضافة الى عمل القلب ولذا قال بعضهم لشيخه ابن عثمان المغربي ان في بعض الاحوال
يجري بالذكر والقران وقلبي غافل فقال اشكر الله اذ استعمل جارحة من جوارحك
في خير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعوده الفضول انتهى واياك ان تلحق
في الطاعات بمجرد الافات فتفتر رغبتك في العبادات فهذا مكيدة من مكائد الشيطان
يلعبه على مغرور ربين وخيل اليهم ارباب البصائر واهل التفطن في الخبايا والسرائر فان
خيرا في ذكر اللسان مع غفلة الجنان والله المستعان وفي وكذا اختلف في نسيان الذنوب

ذكره

ذكره بعد التوبة ايهما اولى وانما قيد بما بعد التوبة فان النسيان من قبلها مذموم اجماعا
قال تعالى ونسي ما قدمت يداه فقال قوم حقيقة التوبة ان تنصب في ذنبك بين عينيك و
قال اخرون حقيقة التوبة ان تنسى ذنبك وهو اي نسيان الذنب اولى للمبتدي تحاميا
عن تحريك الميل اي احترازا عن تحريك ميل قلبه الى المعصية الناشئة عن الشهوة عند ذكرها
ولانه اذا نسيه لم يكثر احتراقه ولا يقوى ارادته وانبعاثه لسلوك الطريق لان ذلك يتجرع
منه الحزن والخوف الوازع عن الرجوع الى مثله فهو بالاضافة الى الغافل كمال ولكنه بالا
ضافة الى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق وما دوي عنه اي
وما نقل من كثرة نوح المنتهين من الانبياء والمرسلين والاولياء الصالحين وبكائهم
حال كثرة دعائهم والحين فلا يتماس في سلوك طريق الدين المكنة بالحداثين فانه صدور
البكاء واظهار الذنوب بالاستغفار والدعاء وانما كان لتعليم امتهم حتى لا يغفلوا عن
حال الجفاء وقت الوفاء هذا وقد اخرج ابن المبارك وابن ابي حاتم عن المعبري ان عيسى
بن مريم كان يقول يا ابن ادم اذا عملت حسنة فاله عنها فانها عند من لا يضيعها فاذا عملت سيئة
فاجعلها نصب عينيك وافضل التائبين المستقيم على اكتساب الطاعات واجتناب السيئات
الى الموت اي انقضاء الحيوة من غير نقصان الموت مبالغة اجتناب عن الزلات التي لا ينفك
البشر عنها في الحال بحسب العادات من المعاصي المنهيات وانما المبالغة مطلوبة في جانب المحظورات
لما ورد اذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه فهو اي
المستقيم سابق بالخيرات وسارع الى المبرات مبدل لسيئاته بالحسنات وفي الكلام ايماء الى
قوله تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد
ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هو الفضل الكبير والنفس اي نفس هذا التائب الموصوف
بهذه الصفات مطمئنة راضية مرضية في رضاء التوبة واهل هذه الرتبة يتفاوت
حالهم في القوة فمنهم من سكنت شهوته تحت قهر المعرفة ففتر نزاعها ولم يشغله عن السلوك
صراعها ومنهم من لا ينفك عن منازعة النفس منها ولكن التغلب بالمجاهدة وردعها ومنهم
من يقل مدة النزاع ومنهم من يكثر ومنهم من يطول عمره ويطول اجتهاده في امره ويكثر
حسناته ويستمر استقامته ومنهم من يقصر عمره فيظفر بالسلامة عن مرادة امره وعن فقوده
في الطاعات مقصودة وهذا معنى قوله ويزداد الفضل اي فضل التائب بطول العمر اي ان طال
عمره في مكابدة الطاعة والمجاهدة مع النفس في العبادة فورد افضل السعادات طول
العمر في طاعة الله اي في العبادات والحديث لم اعرفه وقد ورد طوبى لمن طال عمره وحسن عمله

رواه الطبراني وابو نعيم عن عبد الله بن بسر والسلامة عطف على الفضل اي ويحصل
زيادة السلامة عن الوقوع في المعصية والملامة بقرب الموت وقصر العمر وتمام الامر
ونقصان الاجر وقد طلب الاكابر طول العمر رجاء كثرة العبادة وبعضهم الموت خلاصا من
الفتنة والتسليم اسلم ففي الدعاء المأثور اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا
كانت الوفاة خيرا لي واجعل الموت راحة لي من كل شر واجعل الحيوة زيادة في كل خير ثم المعاود
عطف على المستقيم اي ثم الافضل المعاود في بعض الذنب المجدد للتوبة رجوعا الى الرب
منيبا لتلافي بتجديد التوبة وهو اي كثير الابتلاء بالمعصية والتوبة المفتن التواب اي كثير التوبة
والرجعة وعند البيهقي عن علي مرفوعا خياركم كل مفتن تواب النفس اي نفس هذا التائب
المعاود في بعض الذنوب لوامة تلوم صاحبها بعد المعصية وترجع الى الطاعات التي فيها
سلامة وهو المقصود وهذه ايضا رتبة عالية وان كانت عن الطبقة الاولى نا
قصة نازلة فهي اغلب احوال التائبين لان الشر معجون في طينة البشر وانما غاية سعيه
ان يغلب خيره شره حتى يثقل ميزانه فيترجح كفة الحسنات واما ان يخلو عنه بالكلية كفة السيئات
فذلك في ذلك البعيد من حيث العادات فهي لا مع هذا الابتلاء على حسن الوعد من
الله تعالى اذ قال سبحانه الذين يجتنبون كبائر الاثم والفواحش الا اللمم اي الصغائر ان
ربك واسع المغفرة وفي الخبر ان تغفر اللهم فاغفر جما واي عبد لك لا الما وقد قال عز
وجل في مقام المدح والثناء والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله الاية
فاثنى عليهم مع ظلمهم انفسهم لتندمهم وتحسرهم ثم التائب عطف على المعاود والمستقيم
اي الافضل بعدهما التائب عن البعض اي بعض الذنوب المسوف اي المؤخر بالتوبة
في الاخر اي في البعض الاخر من الذنوب المتندم اي منظمها الندامة بعد الارتكاب كما
اكتسب المعصية القاصد الناوي التوبة فهو المخلط الداخل فيمن قال الله تعالى في حقهم
واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم وهو ظالم
لنفسه والنفس اي نفس هذا الغافل مسولة اي مزينة للمعصية ومسهلة لتاخير التوبة
قد قال تعالى اولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الاخرة هم الخاسرون فالحسرات مترتبة على الغفلة
وهو على الخطر في الخاتمة فان مات تائبا فاز بالجنة وظفر بالمثوبة والا اي وان لم يتب ومات
ففي مشية الله تعالى ان شاء عفا عنه بلطفه وكرمه وان شاء عذبه بقدر ذنبه بخلاف الاولين
اي صاحب النفس المطمئنة وصاحب النفس اللوامة فهما فائزان بالجنة والسلامة في العاقبة
اما المرتكب للمعصية عليها من غير التوبة الناسي للتوبة اي التارك لها نفسها وعزمها الى والعزم

عليها

عليها فهو الذي اسمه الغافل عن حكمة وبه الجاهل عما خلق لاجله فقد ورد من
حديث ابن عمر عند الديلمي ان لله ملكا ينادي في كل يوم وليلة ابناء الاربعين زرع
قد دنى حصاده الحديث وفيه ليت الخلائق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا علموا لماذا خلقوا
فتجالسوا بينهم فتذاكروا والحديث والنفس اي نفسه امارة اي كثيرة الامر بالسوء اي المعصية
يخشى عليه سوء الخاتمة من الموت على الفسق والكفر هنالك نعوذ بالله من ذلك ويجوز
شمول العفو من الله ابدا اي الغافل ولكنه نادر لا يقع في الاغلب الا بسبب كتبديل الكفر اي كوصوله
بالكفر بلا طلب وكمن يحصل له العلم اللدني بمجرد الجذب الالهي لكن التوقع للعفو مع الا
صرار على المعصية وعدم اتيان الطاعة حماقة اي غرور وجهالة فورد في التنزيل
ان ليس للانسان الا ما سعى وفوق ما قدره الله له وقضى فلا بد من فعل الطاعة وترك
المعصية او الرجوع عنها بالتوبة والا فعاقبة مخطرة فربما يختطف قبل التوبة ويقع
امره في المشية فان تداركه الله بالرحمة وامتن عليه بالتوبة التحق بالسابقين وان غلبته
شقوته وقهرته شهوته فيخشى عليه ان يحق عليه في الخاتمة ما سبق عليه من القول الاول في قضاء
الازل لانه مهما تعذر على المتفقه مثلا الاعراض عن شواغل التعلم دل بتعذره على انه
سبق له في الازل ان يكون من الجاهلين فيضعف الرجاء في حقه من ذلك الحين واذا تيسرت
له اسباب المواظبة على التحصيل دل على انه سبق له في الازل ان يكون من جملة العالمين فكذا
ارتباط سعادة الاخرة ودركاتها بالحسنات والسيئات بحكم تقدير مسبب الاسباب كارتباط
المرض والصحة بتناول الاغذية الادوية وارتباط حصول فقه النفس الذي يستحق به
المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل في طلب المراتب العليا والمواظبة على طلب العلم فكما لا يصلح
للمنصب الرياسة والتقدم بالعلم في مقام السيئات الا نفس صارت فقيهة بطول التفقه
فلا يصلح لملك الاخرة ونعيمها ولا لقرب من رب العالمين الا قلب سليم صار طاهرا بطول
التزكية والتطهير هكذا سبق في الازل بتقدير رب الارباب ومسبب الاسباب قال تعالى
ونفس وما سويها فالهمها فجورها وتقويها قد افلح من زكيها وقد خاب من دسيها فا
لمخافة من الخاتمة قبل التوبة وكل نفس خاتمة ما قبل اذ يمكن ان يكون الموت متصلا به
فليراقب الانفاس والا وقع في الخزي ودوام الحسرة الى ان يخرج من دار الغرور
فالناس كلهم محرومون الا العالمون والعالمون كلهم محرومون الا العاملون والعاملون كلهم محرومون
الا المخلصون والمخلصون كلهم على خطر عظيم ولا يتركها اي التوبة لخوف العود اي لمخافة الرجعة
الى المعصية لجواز الموت قبله اي قبل عوده الى ذنبه وغفران المسالفة اي السابقة ان عاد

الى ذنبه ولم يتب الى ربه فهذا التوبة من خداع الشيطان فانه من اين له هذا العلم فعسى ان
يموت تائبا عن الذنب ويصير حبيبا للرب والخوف من العود لا يضر في صحتها بل فيه فيعطى العبد
العزم والصدق في الجزم وعلى الله الاتمام من باب الفضل والاكرام فان اتم فهو المحظ الا
على وان لم يتم فقد غفرت ذنوبه السالفة كلها فهذا هو الربح العظيم والفائدة الكبرى فا
لعبد في التوبة ابدا بين احدى الحسنيين فورد في حديث مرفوع خياركم المفتن بصيغة
المفعول وفي رواية المفتن بالادغام التواب رواه البيهقي في شعبه اى كثير الابتلاء
بالذنب وكثير التوبة منه الى طاعة الرب وفي خبر المؤمن كالسنبلة تقدم احيانا و
تميل احيانا رواه ابو يعلى وابن حبان من حديث انس وللبيهقي والطبراني من حديث ابن عباس
باسانيد حسنة لا بد للمؤمن من ذنب تاتيه الفينة اى حين بعد الحين فالفينة في الزمن
هو الذى لا يؤيس الخلق عن درجات السعادة بما يتفق لهم من الغفلات ومفارقة السيئات
المحيطات فللترمذي والحاكم وصححه من حديث انس كل بنى ادم خطاؤن وخير الخطائين
التوابون وللطبراني والبيهقي من حديث جابر المؤمن واه فسعيدهم من مات على رقعه اى
واه بالمعصية والملامة راقع بالتوبة والندامة وسبب الاستقامة الرياضة وهى
تهذيب الاخلاق والمرابطة وهى الاقامة بالمجاهدة والاستدامة فورد في التنزيل
يا ايها الذين امنوا اصبروا على الطاعات وعن السيئات وفي المصيبات وصابروا اى وغالبوا الاعداء
الظاهرة والباطنة بشدة الصبر وحدة الامر ورابطوا انفسكم بالمشارطة اى مع النفس
بالمداومة على الطاعة والمواظبة على العبادة في كل يوم وساعة خوفا عليها من ضياع
بضاعة والتحقيق ان المرابطة ربط النفس على الادخال والثناء والقلب على اغتنام
العبادات والتاهب ليوم الجزاء وهو معنى قوله وهو اى ربطها بالمشارطة ثلثة اشياء
منها وصية النفس اى وصيته بها في اول النهار بل في كل نفس من الاعمار بخوان لا بضاعة
لك اى ليس لك راس مال سوى العمر وهو ايام ممدودة والانفاس اى والحال انها
معدودة لا تزيد ولا تنقص والماضى لا يعود في الوجود والوقت ضيق في ميدان الشهود
والتمنى بان يرجع الى الدنيا يوما واحدا ليعمل عملا صالحا او يتمنى المراتب العلية بدون
المكاسب العلمية والعملية عن نافع بعد الورود ومنها توظيف العمل بان يجعل في كل
وقت عملا ينفعه في العقبى او يعينه على الطاعة في الدنيا ومنها شرط الشروط عليها اى
على نفسه فخذ في لغط النفس فاق الجاد على صبره فصار عليه ولا يبعد ان يكون الضمير
راجعا الى العمل والمعنى يقول لها ان كذبت فعليك صوم ثلثة ايام وان اغتبت فعليك

صدقة

صدقة درهمين ونحوهما ثم المرابطة والمراقبة وهى مشاهدة كونه سبحانه رقيبا
بحاله عالما بما يفعله في الحركات والسكنات فلا يتحرك ولا يسكن الا بما رضاه الحق
في تلك الساعات من العبادات او الطاعات فالاعلى اى اعلى انواع المراقبة ان يصير العبد
قلبه بالاستغراق به من ذكره وكونه تعالى وعدم الالتفات الى ما سواه تعالى وما عداه وهذا
مراقبة المقربين من الصديقين وهو مراقبة التعظيم والاجلال بان يصير القلب في جميع الا
حوال مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومطالعة تجليات ذلك الجمال على وجه الكمال ومنكسرا
تحت الهيبة والعظمة في المشاهدة فلا يبقى فيه متسع للالتفات الى الغير حتى يحتاج الى المجاهدة
وهذا الذى صار همه واحدا وكفاه الله سائر همومه ابدا ومن نال هذه الدرجة مع الحق فقد
غفل عن مراقبة الخلق فلا يبصر من يحضر لديه وهو فاتح عينيه ولا يسمع ما يقال له مع انه لا
صمم في اذنيه ثم الادنى من انواع المراقبة ان يكون تحت حكم الشرع خارجا عن حكم
الهوى والطبع وهذه مراقبة الورعين من اصحاب اليمين فينظر ويتامل ويتفكر قبل العمل
في اول الخاطر يخطر فيتم ما هو لله تعالى فيه رضاه ويترك ما سواه وينظر ايضا عنده اى عند الشروع
في العمل لطاعة او غيرها ففي الطاعة يخلص النية ويصفي الطوية بان يجعلها لله تعالى من غير
الرياء والسمعة ويحضر القلب لمشاهدة الرب كما ورد في الاحسان ان تعبد الله تعالى كانك
تراه ويراعى الادب في حضرة الرب ويحفظ نفسه عن النشاط في بسط الانبساط وفي المعصية
يستحيي من الرب ويتوب من الذنب ويكفرها بما ينافيها ان صدرت عنه وفي المباح يراعي النية
فان المباحات بتحسين النيات تصير عبادات والاداب بان لا يتجاوز عن الضرورات ثم المرا
بطة للنفس بالمحاسبة في اخر النهار او في اخر كل نفس وساعة وهو النظر بعد العمل من
الحسنات والسيئات حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا وهو اثر عن عمر كما تقدم وقد قال تعالى
يا ايها الذين امنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله للعاقل اربع ساعات
ساعة يحاسب نفسه فيها اى وساعة يناجى فيها ربه وساعة يفضى فيها الى بعض اخوانه الذين
يبصرونه بعيوبه وساعة يخلو فيها بينه وبين شهواته وقد تقدم ثم مرابطة النفس با
لمعاقبة لها فبالجوع يعاقبها ان اكل حراما والسهر اى ويعاقبها بالسهر ان نظر حراما ونحوه
بان رقد عن التهجد فلو ساهل التائب في هذه المعاقبة سهل عليه الرجوع اى المراجعة
الى المعصية وما يتبعها من الغفلة فقد عاقب عمر رض نفسه حين فاتته صلوة العصر
في جماعة بان تصدق بارض كانت له قيمتها مائتا الف درهم وكان ابن عمر اذا فاتته صلوة
في جماعة احيى تلك الليلة واخر ليلة صلوة المغرب حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين ثم الحا

بالمجاهدة وهي مخالفة النفس باداء الورد من الطاعات والعبادات عند استثقال النفس
عن بعض المأمورات بل بالزيادة على الموظفات كاحياء الليلة في عبادة عند التواني
اي التساهل والتكاسل عن حفظ جماعة كان يحفظها او اداء نافلة كان يفعلها ثم
المرابطة بالمعاتبة بمثل يا نفس بالضم والكسر اي يا نفسي الا تستحيين منه تعالى في ترك
طاعته او فعل معصيته الك طاقة بعذابه الاليم اي المؤلم من نار الجحيم من ماء الحميم والكل
اي جميع ما ذكر من انواع المرابطات مأثور عن السلف والخلف القائمين بمجاهدة النفس
والرياضة في مقام الطاعات والاصل المعتبر في تحصيل الاستقامة الاستغاثة بكرمه
سبحانه متضرعا بين يديه تعالى في حالة عبادته وطاعته متبريا عن الحول والقوة من جهته
ورؤية العمل من طاقته كما يشير اليه قوله تعالى اياك نعبد واياك نستعين فاياك بعد نعبد
واياك نستعين جمع وفي الجملة الاولى رد على الجبرية وفي الثانية على القدرية قيل
اي في باب الاستقامة من جاهد في ترك المعصية سبع مرات لا يبتلى بالذنب ثامنة اي مرة ثامنة
وبه تحصل الاستقامة وقيل من استقام على التوبة سبع سنين لا يعود الى المعصية في جميع
عمره وهو قول فرقد السبخي ثم التوبة في عرف المحققين من الذنب وهي للمؤمنين خاصة حيث قال
تعالى يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا وعامة فورد في التنزيل وتوبوا الى الله
جميعا ايه المؤمنون لعلكم تفلحون والانابة من الغفلة الى الحضور وهي للمقربين فورد في التنزيل
من خشي الرحمن بالغيب جاء بقلب منيب منه قوله تعالى الله يجتبي اليه من يشاء ويهدي اليه وقوله وخر راكعا
واناب والاوبة عن رؤية النقص في الطاعة وهي للمرسلين فورد في التنزيل ووهبنا لداود سليمان
نعم العبد انه اواب وكذا في حق ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب وقد يستعمل في حق المؤمنين
المقربين كقوله تعالى ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا ثم التقوى اعم منها اي من التوبة
وهي اخص من التقوى فكل تائب متق وليس كل متق تائبا فالممتنع عن ذنب لم يرتكبه قبل اي قبل وقته
متق لا تائب والممتنع بعد ارتكابه تائب ومتق اما كونه تائبا فظ واما كونه متقيا فلانه لم يرتكب
الذنب مع امتناعه فمن هنا يصح ان يقال للنبي انه متق ولا يجوز ان يقال انه تائب والله سبحانه اعلم واما
ما في الاحياء من انه يجب على كل عالم باقليم او بلدة او محلة او مسجد ان يعلم اهله دينهم ويميز ما يضرهم
عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم ولا ينبغي ان يصبر الى ان يسئل عنه بل ينبغي ان يتصدى بدعوة
الناس الى نفسه فان العلماء ورثة الانبياء والانبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا ينادونهم
في مجامعهم ويدورون على ابوابهم في الابتداء ويطلبون واحدا بعد واحد فيرشدونهم
فان مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما ان الذي ظهر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف مرضه

ما لم يعرف غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة ففيه ان هذا غير معروف في الكتاب
والسنة انه فرض عين بل ولا فرض كفاية وانما الواجب على العلماء ان لا يكتموا العلم
ويبينوا لاهله وعلى الجهال ان يسئلوهم كما قال تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون
واذ اخذ ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه واما معنى قوله عم العلماء
ورثة الانبياء فهو لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم فمن اخذه اخذ
بحظ وافر وهم مختلفون مراتب لوراثته كشفا وتوصلا لعلوم من التفسير والحديث
والفقه والقراءة هذا والعلماء الذين هم بمنزلة الاطباء في زماننا صاروا مرضى بالداء
الذي ليس له دواء وهو حب الدنيا فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وانقطع الدواء
ومع هذا اغدت عليهم الرجاء وهي المعضلة الدهياء والعلماء العاملون من الاولياء والا
صفياء اختاروا ان يكونوا من الاتقياء الاخفياء فنسئل الله الهداية من الابتداء
الى الانتهاء ثم اعلم ان من ابتلي بحب الدنيا فداؤه عضال ليس له الدواء وقد قال رجل
رجل لمحمد بن واسع اوصني فقال انا اوصيك بان تكون ملكا في الدنيا والاخرة فقال كيف لي
بذلك فقال الزم الزهد في الدنيا وكتب معاوية الى عائشة رضها بالسلام ان اكتبي
لي كتابا توصيني فيه ولا تكثري فكتبت اليه من عائشة الى معاوية سلام عليك اما بعد فاني
سمعت رسول الله صلى الله عم يقول من التمس رضى الناس بسخط الله وكله الله الى الناس
ومن التمس رضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس والسلام عليك والحديث
رواه الترمذي والحاكم وكتبت اليه مرة اخرى اما بعد فاتق الله فانك ان اتقيت الله
كفاك الناس واذا اتقيت الناس لم يغنوا عنك من الله شيئا والسلام وهو مقتبس من
قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله ومن قوله سبحانه انهم
لن يغنوا عنك من الله شيئا وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلماء بركبتيك ولا تجادلهم فيمقتوك
وخذ من الدنيا بلاغك وانفق فضول كسبك لاخرتك ولا ترفض الدنيا كل الرفض فتكون
عيالا وعلى اعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضر بصلوتك
فان صلوة افضل من الصوم وقال ايضا يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ادب ولا
تسئل عما لا يعنيك ولا يضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما خلفت
يا بني من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يفعل الخير يغنم ومن يفعل الشر يأثم ومن لم يملك
لسانه يندم وقال رجل لابي حازم اوصني فقال كلما لو جاءك الموت عليه فرايته غنيمة فالزمه
وكلما لو جاءك الموت عليه فرايته مصيبة وقال رجل لحامد اللفاف اوصني فقال اجعل

لذنبك غلافا كغلاف المصحف لئلا تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك
طلب الدنيا الا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام الا فيما لا بد منه وترك مخالطة الناس
الا فيما لا بد وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فخف مما خوفك الله واحذر مما حذرك
الله وخذ مما في يديك لما بين يديك فعند الموت يأتيك الخبر اليقين والسلام وكتب
مطرف بن عبد الله الى عمر بن عبد العزيز اما بعد فان الدنيا دار عقوبة ولها يجمع من لا
عقل له وبها يغتر من لا علم عنده فكن فيها يا امير المؤمنين كالمداوي جرحه يصبر على
شدة الدواء مما يخاف عاقبة الداء وكتب عمر بن عبد العزيز الى عدي بن ارطاة اما بعد
فان الدنيا عدوة اولياء الله تعالى عدوة اعداء الله اما اولياء الله فغمتهم واما
اعداء الله فغرتهم ومجمل الكلام في هذا المقام من المرام ان من اعطى قلبه حسن الاصغاء
واستشعر الخوف واتقى وانتظر المثوبة الاسنى وصدق بالحسنى فسييسره الله تعالى لليسرى
واما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسييسره الله للعسرى ثم لا يغني عنه
ما اشتغل به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما على الانبياء الا شرح طريق الهدى
وانما الآخرة والاولى

الباب السابع عشر في الصبر والرضاء والشكر فصل

بسم الله الرحمن الرحيم الذي يستعين بذاته وصفاته على توفيق الصبر على بلائه وابتلائه
والرضاء بحكمه وقضائه والشكر على نعمائه وآلائه وقد اجتمع الثلاثة في حديث
عطاء عن ابن عباس لما دخل عم على الانصار فقال امؤمنون انتم فسكتوا فقال
عمر نعم يا رسول الله قال وما علامة ايمانكم فقالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء
ونرضى بالقضاء فقال مؤمنون ورب الكعبة رواه الطبراني في الاوسط
الصبر وهو حبس النفس عن الاضطرابات باعث الدين من قصد الامتثال ثم خوف
النار طمع الجنة ثم رجاء اللقاء وهذا كله طريق اهل الهدى في مقابلة باعث الهوى من الاغراض الفاسدة
والاعراض الخاسرة فالهوى هو ميل النفس الى الشيء من غير داعية الشرع بل بمجرد هوى
النفس والطبع وقيل الصبر على ثلاثة انواع صبر العوام وهو صبر النفس على المكروه وصبر الخواص وهو
تجرع المرادات من غير تعبس وصبر اخص الخواص وهو التلذذ بالبلاء كالتلذذ بالآلاء فانه علامة
اهل الولاء من الانبياء والاولياء وقيل الصبر هو الوقوف مع البلاء بحسن الادب في الثبات
على الولاء وتلقيه بالرحب والسعة على احكام الكتاب والسنة وينقسم اقساما صبر لله
وهو الثبات على اداء اوامره وانتهاء زواجره وصبر مع الله وهو السكون تحت جريان قضائه
من سرائه وضرائه وصبر على الله وهو ان لا يكون الا وعده في كل شيء من امره وحلوه ومره وصبر عن

الله

عن الله وهو مذموم وصاحبه ملوم من ذم كما قيل شعر الصبر يحمد في مواطن كلها
الا عليك فانه مذموم اي لا عنك وقد يحمد او وصل الى مقام الرضاء في جميع ابواب
القضاء كما قيل شعر اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد وقال الجنيد
المسير من الدنيا الى الآخرة سهل المؤمن وهجران الخلق في جنب الحق شديد والمسير من النفس
الى الله تعالى صعب شديد والصبر مع الله اشد وحكي عن بعض العارفين انه سئل الشبلي
عن الصبر اية اشد فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر لله فقال لا قال الصبر مع الله قال لا
قال فاي شيء قال الصبر عن الله قال فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه تتلف وقد قيل في
معنى قوله تعالى اصبروا وصابروا ورابطوا اصبروا في الله وصابروا بالله ورابطوا مع الله
وقيل الصبر لله عناء والصبر بالله بقاء والصبر مع الله وفاء والصبر في لسان الانبياء محمود فاما
ان يكون الصبر بالجسم الامر الشاق على البدن كالعبادة او عن المصائب البدنية واما ان
يكون الصبر بالنفس طلبا للثواب وهربا عن العقاب عن الشهوة اي شهوة البطن وشهوة
الفرج وغيرهما فعن الشهوتين المذكورتين يقال له عفة وعن احتمال المكروه بموت
الاقارب ونحوه يقال الصبر مطلقا اي وهو الفرد الكامل في هذا الباب كما اطلق في منزل الكتاب
وبشر الصابرين الآية فاقتصر على اسم الصبر بلا اختلاف في اسم المطلق وضده اي نقيض
الصبر الجزع وهو حركة الفزع والهلع بفتحتين الفحش الجزع كرفع الصوت بالبكاء وضرب
الخدود وضرب الجيوب ونحوه ومنه قوله تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا
واذا مسه الخير منوعا وظاهر الآية ان الهلع ضد الجزع والمنع كليهما وفي الغنى اي و
يقال احتمال الغنى وتحمله من البلوى ضبط النفس تحت الشرع والعقل والهدى و
ضبطها عن مطابقة الطبع والهوى وضده البطر بفتحتين وهو الطغيان بالنعمة و
منه قوله تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وفي الحرب اي والصبر في مواطن الحرب
يقال له شجاعة وهي قوة القلب وثباته في المقاتلة وضده الجبن وهو ضعف القلب وخوفه
عن رؤية العدو وفي المعركة حين المقابلة وفي كظم الغيظ اي تحمل الغضب حلم وعفو وضده
التهور صوابه ما في الاحياء من جعل ضده سفها واما التهور فهو النجاة وذمها تقتضيه
العقل في الشجاعة وهو مذموم في الشريعة قال تعالى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فان الخلق
الحسن المتوسط بين طرفي الافراط والتفريط والتدمر اي الترتيب على التهور وهو قبول
الدمار وهو الاهلاك كالتدمير ومنه قوله تعالى عز وجل تدمر كل شيء بامر ربها وفي نوائب
الزمان اي حوادث الدهر وآفات الدوران سعة الصدر وهو كناية عن كمال التحمل في

الامر ويقال لم شرح الصدر ومنه قوله تعالى الم نشرح لك صدرك وضده ضيقه اي
ضيق الصدر ومنه قوله تعالى ولا تك في ضيق مما يمكرون قرئ بالتخفيف والتشديد والتضجر
والتبرم فالثلثة الفاظ مترادفة او متقاربة وفي الاخفاء الامر كتمان وضده الا
ظهار والافشاء وفي فضول العيش زهد وهو عدم الرغبة وقلة الحب وضده الحرص
على الزيادة وفي اليسير من الدنيا اي في القليل من فضول الدنيا قناعة وضده الشره
بفتحتين وهو الحرص على طلب الكثير وورد في التنزيل انما يوفى الصابرون اجرهم بغير
حساب وقال واصبروا ان الله مع الصابرين وقال وبشر الصابرين اذا اصابتهم مصيبة
قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوة من ربهم ورحمة واولئك
هم المهتدون وكان عمر رضي الله عنه يقول نعم العدلان ونعم العلاوة للصابرين يعني
بالعدلين الصلوة والرحمة وبالعلاوة الهدى والعلاوة ما يحمل فوق العدلين على
البعير وقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب الى ابي موسى الاشعري عليك بالصبر واعلم
ان الصبر صبران احدهما افضل من الاخر الصبر في المصيبات حسن وافضل منه الصبر عما حرم الله
وكان حبيب بن ابي حبيب اذا قرء هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب بكى
وقال واعجباه اعطى واثنى اي هو المعطي للصبر وهو المثني عليه كما يشير اليه قوله تعالى و
اصبر وما صبرك الا بالله الايمان اي في معظم خصال اهل الايمان هو الصبر اي اعرفه وفي
رواية الديلمي عن انس مرفوعا الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وزاد البيهقي
عن علي موقوفا ولا جسد لمن لا رأس له والايمان لمن لا صبر له وهو اي كون الايمان هو الصبر
لدخول اكثر اخلاقه اي اخلاق الايمان من فعل الطاعة وترك المعصية وعدم الجزع
في المصيبة فيه اي في الصبر وللاكثر حكم الكل امر مقرر وقد جمع الله تعالى اقسام ذلك و
سمى الكل صبرا فقال والصابرين في البأساء اي المعصية والضراء اي الفاقة وحين البأس
اي المحاربة الصبر نصف الايمان رواه ابو نعيم والخطيب من حديث ابن مسعود وللديلمي و
البيهقي في الشعب عن انس الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وفي النهاية اراد بالصبر الو
رع لان العبادة قسمان نسك وورع فالنسك ما امرت به الشريعة والورع ما نهت عنه
والحديث مقتبس من قوله تعالى ان في ذلك لايات لكل صبار شكور اي لكل مؤمن وفي تقديم
الصبر على الشكر ايماء بان الاحتياج اليه اكثر واتم وانه افضل كما تقدم والله اعلم و
هوى وكون الصبر نصف الايمان لاطلاقه اي الايمان على المعارف اليقينيات من الاعتقا
دات والاعمال الصالحة من العبادات ولا يتم الاعمال بالمجاهدين الا بالصبر باعث الدين في الهوى

في مقابلة

في مقابلة باعث الهوى اي الصبر فيه نصف الايمان بهذا الاعتبار والترتيب بين النصف
الاول والثاني وفوقهما اقتضاه الشرع والطبع وايضا لاطلاقه اي الايمان على الا
حوال من استيلاء ثلاث المعارف وهي الرضاء والهيبة والانس والشوق المثمرة للا
عمال لاعلى المعارف والعوارف من مقامات الرجال وفي الاحياء ان جميع مقامات الدين
ومنازل السالكين انما ينتظم من ثلثة امور معارف واحوال واعمال فالمعارف هي الا
صول فهي تورث الاحوال التي تثمر الاعمال فالمعارف كالاشجار والاحوال كالاغصان والا
عمال كالثمار وما اي ولاجل ان ما اصاب من السالك النعم الملوية اما نافع في الدنيا
والاخرة كالطاعات والمباحات واما ضار فيهما كالمعاصي والسيئات وفيهما اي النافع والضار
الشكر للعبد بالاضافة الى ما ينفعه والصبر بالنسبة الى ما يضره وهما لا يحصلان الا
بتلك الاحوال فهما نصفان لتلك الاحوال باعتبار ما ذكر من الاقوال ولا بد للعبد منه
اي من الصبر لابتناء العبادات عليه اي على الصبر من الصلوة وسائر اسباب الشعائر فالد
خول فيها اي في العبادات يقمع النفس لتكميلها ونفعها والاتمام اي اتمام العبادة بعد الد
خول فيها اشد من دخولها في باب الارادات والقمع والاتمام انما يتأتى بالصبر في المقام
ولان الدنيا دار محنة فمن كان في الدنيا فلا بد له من الابتلاء بشدائدها ومصائبها
والصبر على جميع مراتبها لتحصيل العبادات ومنافيها والجزع شاغل عن العبادة التي
هي غاية المحنة ولان طالب الاخرة اشد ابتلاء فورد اشد الناس بلاء الانبياء ثم الا
ولياء ثم الامثل كالعلماء فالامثل الصلحاء رواه الترمذي وقال حسن صحيح وصححه
ابن حبان والحاكم لكنه بدون لفظ الاولياء وقد قسم عم مرة مالا فقال بعض الا
عراب من المسلمين هذه قسمة ما اريد بها وجه الله فاخبره عم فاحمرت وجنتاه ثم قال
عم رحم الله اخي موسى قد اوذي باكثر من هذا فصبر متفق عليه من حديث ابن مسعود و
قال عم صل من قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك وقد تقدم وقال عيسى
عم انه قد قيل لكم من قبل يعني في التورية ان السن بالسن والعين بالعين والانف بالا
نف وانا اقول لكم لا تقاوموا الشر بالشر بل من ضرب خدك الايمن فحول له خدك الا
يسر ومن اخذ رداءك فاعطه ازارك ومن سخرك لتسير معه ميلا فسر معه ميلين انتهى
ولا يخفى ان عيسى عم كان مظهرا للجمال كما ان موسى عم مظهر للجلال ونبينا صلى الله عم كان مظهرا
للكمال المتضمن للجلال والجمال فاحكامه في غاية الاعتدال والله سبحانه اعلم بحقايق الا
حوال وهي اي الصبر عن الحرام واجب اي فرض لازم وعن المكروه اي كراهة تنزيه

نفل بل مستحب واما عن المكروه كراهة تحريمية فواجب وعن فضول المباح زيادة
فضيلة وحرام وفي الاحياء ان الصبر ينقسم ايضا باعتبار حكمه الى فرض ونفل ومكروه
ومحرم فالصبر عن المحظورات فرض وعن المكاره نفل والصبر على الاذى المحظور محظور
كما يقطع يده او يد ولده وهو يصبر عليه ساكتا وكمن يقصد حريمه بشهوة محظورة فيهيج
غيرته فيصبر على اظهارها والغيرة ويسكت على ما يجرى على اهله فهذا الصبر محرم والصبر على المكروه
هو الصبر على اذى يناله بجهته مكروهة في الشرع فليكن الشرع محك الصبر الذي هو
نصف الايمان ولا ينبغى ان يخيل اليك ان جميعه محمود بل المراد به انواع الصبر مخصوصة
ثم هو الصبر في النعم الدنيوية انما يحصل بترك الميل اليها وبعوق بترك ارتكاب المحرم
والمكروه في تحصيلها ورعاية حقه تعالى فيها الى طاعته وعبادته وهو الشكر اي من
وجه فلا يتحد الصبر والشكر كما قيل ثم اعلم ان جميع ما يلحق العبد في هذه الحياة الدنيا لا يخ
من نوعين احدهما يوافق هواه والاخر لا يوافقه بل يكرهه وهو محتاج الى الصبر في كل واحد
منهما اما النوع الاول اصعبهما فانه يوافق هوى نفسه من الصحة والسلامة والمال
والجاه وكثرة العشيرة واتساع المعيشة وكثرة الاتباع والانصار وجميع ملاذ الدنيا
وما احوج العبد الى الصبر على هذه الامور فانه ان لم يضبط نفسه عن الاسترسال
فيها والركون اليها والانهماك في اللذات المباحة منها اخرجه ذلك الى البطر والطغيان
ويجره الى انواع من العصيان كما قال تعالى كلا ان الانسان ليطغى ان راه استغنى وقال
بعض العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعافية لا يصبر عليها الا الصديق ولما فتحت ابواب
الدنيا على الصحابة قالوا ابتلينا بفتنة الضراء وصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر وقال
عم فيها حالة تحزنه رواه ابو يعلى الموصلي من حديث ابي سعيد واصحاب السنن من حديث
بريدة باسناد حسن انه عم لما نظر الى ابنه الحسن والحسين رضي الله عنهما يتعثران في قميصه
نزل عن المنبر فاحتضنه ثم قال صدق الله انما اموالكم واولادكم فتنة اني لما رايت ابني
يتعثران لم املك نفسي ان اخذته ففي ذلك عبرة لاولي الابصار والصبر في الطاعة اي العبادة
بصون النية اي بحفظها عن السمعة والرياء في حالة الابتداء والاداء اي وبصون
اداء العمل من عدم الاخلاص وعن الغفلة ودواعي الفترة في الاثناء والثواب اي و
بصونه عن الافشاء حال الانتهاء فالثلاثة مذكورة بطريق اللف وبقاياها مسطورة
على وجه النشر حيث قال عن الرياء وفي معناه السمعة ولو في الخلوة والتكاسل اي وعن
التثاقل في الاعضاء والافشاء بالاملاء ونحوها من العجب والزهو والندامة عن

الطاعة

عن الطاعة ورؤية الحول والقوة والامن من مكر الله واستبعاد رجائه وعدم
خوف الخاتمة ولعل المراد بقوله تعالى نعم اجر العاملين الذين صبروا اي على تصحيح النية
وعلى تمام العمل واخلاصه عن الافات والصبر في المعصية المبتلى بها بالرياضة اي
برياضة النفس في مخالفة هواها والصبر في معصية من شانها انها ممكن المجازاة اي
يمكن فيها المكافات بالتحمل اي الحلم والعفو بترك المكافات اي المجازاة ولو بالمماثلة في المعاقبة — بالتحمل اي الحلم والعفو بترك المكافات صح
قولا كمن سبه وفعلا كمن ضربه ومنه قوله تعالى وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به و
لئن صبرتم لهو خير للصابرين وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفى واصلح فاجره على الله وقد
قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر على الاذى وقال تعالى حكاية
عن الانبياء ولنصبرن على ما اذيتمونا وقال تعالى ودع اذيهم وتوكل على الله وقال
واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا وقال ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون
وقال ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وفي غيرها اي وفي معصية غير ممكن المجازات بترك الجزع
والفزع والشكاية الى الخلق واستمرار العادة اي باستمرارها على حالها في الطعام و
اللباس وكذا الكلام مع الناس وقد قيل ان الصبر هو ان لا يعرف من صاحب المصيبة اذ يشبه
غيره وقال داود عم ما جزاء الحزين يصبر على المصائب ابتغاء مرضاتك قال جزاؤه ان
البسه لباس الايمان فلا انزعه عنه ابدا وقال نبينا عليه السلام من اجلال الله ومعرفة حقه
ان لا يشكو وجعك ولا تذكر معصيتك ذكره في الاحياء وقال لم اجده مرفوعا
وانما رواه ابن ابي الدنيا رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من الصبر ان لا تحدث
بمصيبتك ولا بوجعك انتهى وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والاوجاع والصدقة
وفي الاثر ان ثواب الصبر على المعصية اكثر مما فات فاذن مجازي الصبر ثلثة الطاعة
والمعصية والبلية من جهة الخلق والخالق اما الالم اي الحزن للقلب وجريان الدمع
من العين فلا ينافيه اي الصبر لعدم الدخول تحت الاختيار بل هما مستحبان لما ورد عن
سيد الابرار انه بكى عند موت ولده وقال القلب يحزن والعين يدمع وانا على فراقك
يا ابراهيم لمحزون رواه الشيخان من حديث انس والكمال اي كمال الصبر ترك ما يشغل عنه
اي عن الله تعالى من امور الدنيا فمن غفل عن الله ولو في لحظة فليس صابرا في تلك اللحظة وهو قرين
الا الشيطان قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن الاية وعن الحسين بن منصور الحلاج
حين كان يصلب قد سئل عن التصوف فقيل ما هو قال هي نفسك ان لم تشغلها

شغلتك وجاء في الاثر عن عباس الصبر على الفرائض اى ادائها ثلثمائة درجة اى
بالنسبة الى الصبر على اداء النوافل وعن المحارم ستمائة لانه اصعب على النفس فان
في فعل الطاعة نوعا من اللذة زيادة على لذة ترك المعصية وفي المعصية عند الصدمة
الاولى اى فورتها وشدتها وحدتها تسعمائة لانه اقوى واشق على النفس فلابن
ابى الدنيا في كتاب محاسبة النفس عن عمر بن عبد العزيز افضل الاعمال ما اكرهت عليه
النفوس والحديث الذى في المتن رواه ابن ابى الدنيا في الصبر وابو الشيخ في الثواب
عن على مرفوعا بلفظ الصبر ثلثة فصبر على المعصية وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية
فمن صبر عن المعصية حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلثمائة درجات ما
بين الدرجتين كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله ستمائة درجة
ما بين الدرجتين كما بين تخوم الارضين الى منتهى الارضين ومن صبر عن المعصية
كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجتين كما بين تخوم الارضين الى منتهى العرش
فالحديث على ان الصبر عن المعصية افضل الانواع ويؤيده ما سبق من اثر عمر رض حيث
قال الصبر في المصيبات وافضل منه الصبر عما حرم الله واما الصبر عند الصدمة الاولى
فحديث رواه البزار وابو يعلى عن ابى هريرة مرفوعا وفي رواية البزار عن ابن عباس
الصبر عند اول صدمة وفي رواية البخارى في تاريخه عن انس الصابر عند صدمة الاولى
والطريق في تحصيل الصبر بعد التوفيق ثلثة منها تضعيف باعث الهوى اى تقليله
بالرياضة الكثيرة بان يقوى داعى الهدى ويقهر داعى الهوى فلا يبقى لها قوة
المنازعة في الامتناع عن الطاعة بحسب الاستطاعة وعند هذا يقال من ظفر و
الواصلون الى هذه الرتبة هم اقلون فلا جرم هم الصديقون والمقربون الذين
قالوا ربنا الله ثم استقاموا فهؤلاء لزموا الطريق المستقيم واستووا على الصراط القويم
واما من يغلب عليه داعى الهوى ويضعف عنده بواعث الهدى فهؤلاء هم الغافلون
وهم الاكثرون وهم الذين استعرفتهم شهوتهم وغلبت عليهم شقوتهم وهم الذين
اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة فخسرت صفقتهم وما ربحت تجارتهم وهذه الحالة علاجها
منها اليأس والقنوط والغرور بالامانى وهى غاية الحمق كما قال عليه السلام الكيس
من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها على الله
تعالى وفي رواية والعاجز بدل الاحمق كما رواه احمد والترمذى وابن ماجه و
الحاكم عن شداد بن اوس ومعنى دان نفسه حاسبها قال الترمذى وغيره من العلما

واما

واما من يغلب عليه باعث الهدى تارة وداعى الهوى اخرى فهذا من المجاهدين
الذين قيل فيهم واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان
يتوب عليهم ان الله غفور رحيم واما التاركون للمجاهدة فيشبهون بالانعام
حيث قال تعالى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وقال بعض الشعرا
دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك انت الطاعم الكاسى وقد قال تعالى اولئك
كالانعام بل هم اضل اذ البهيمة لم يخلق لها المعرفة والقدرة التى بها يجاهد مقتضى
الشهوة وهذا قد خلق له وعطله فهو الناقص حقا والمدبر يقينا وصدقا ولذا
قيل شعر ولم ار في عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام وهو مقتبس من قوله
عم اشد الناس حسرة يوم القيمة رجل امكنه طلب العلم في الدنيا فلم يطلبه ورجل علم علما فانتفع
به دونه ابن عساكر واما من علم وعمل فيدعى في الملكوت عظيما كما قال عيسى عم
ومنها ذكر قلة قدر المشقة في مخالفة النفس حال المجاهدة لان شدايد الدنيا واهوالها
سهل بالنسبة الى شدائد الاخرة واهوالها ومنها اى ذكر قلة وقت الشدة
كما يشير اليه قوله تعالى كانهم يوم يرونها لم يلبثوا الا ساعة من نهار ولذا قيل الدنيا ساعة
فاجعلها طاعة واضراد الجزع اى وذكر اضرار الجزع والفزع من غير حصول الدفع
والنفع ومنها تقوية باعث الدين بذكر فضل المجاهدة الواردة في الكتاب والسنة
في حق المجاهدين والمجتهدين من قوله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله
فضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان
الله غفورا رحيما وقوله عم المجاهد من جاهد هواه رواه النسائى ورجعنا من
الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر وقد تقدم ثم ان كان الصبر والتحمل ذلك الثبات
والتحمل حاصلا بتعب قوى اى شديد وجهد جهيد فتصبر اى فيقال له تصبر لا رضا
متكلف بالصبر كما يقال زاهد ومتزهد وصوفى ومتصوف وان كان ما ذكر
واقعا بيسير اى بتعب سهل وبغير عسير فصبر اى فيختص باسم الصبر فاذا دام التقوى
وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر بالوجه الاسنى قال الله تعالى
فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وان كان الصبر دون جهد
من غير تعب فرضا اى فهو رضى بما يفعل المولى وورد اعبد الله على الرضا فان الرضا
بالقضاء باب الله الاعظم فان لم تستطع على عبادته في مقام الرضا من غير جهد البلاء
ففي الصبر على ما تكره بمقتضى البشرية خير كثير في امور الدنيوية والاخروية فاعبده

على الصبر فان ما لا يدرك كله لا يترك كله والحديث رواه الترمذي من
حديث ابن عباس وقال ابو سليمان والله ما نصبر على ما نحب فكيف نصبر على ما نكره
وان كان الصبر على البلاء يتلذذ كالتلذذ بالنعماء فشكر اي فهو شكر ينشأ عن كمال
المحبة والصدق وغاية الرضاء عن الحق فقد قال بعض العارفين اهل الصبر على
ثلثة مقامات الاولى ترك الشكوى وهذه درجة التائبين الثانية الرضاء و
بالمقدور وهذه درجة الزاهدين والثالثة المحبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة
الصديقين وهو اي التلذذ بالبلاء انما يكون بسبب استيثار بالغيبة عن حضوض
النفس واللذات الهوى والشهوات وبالحضور معه تعالى ليلا ونهارا كما ورد ع م
انه قال اني ابيت عند ربي اي حاضرا لديه كالواقف بين يديه يطعمني هواي لا غيره و
يسقيني اي يغنيني عن الطعام والشراب ويقويني بدلهما يتلذذ به لا اجنبا فلم اجد ا
لم الجوع والعطش لفناء حظوظ نفسي وشهود قلبي مع ربي فهذا المعنى يصلح ان
يكون استثناء فلمنع الصحابة عن الوصال بدون ارتكاب الاسباب واما ما قيل من ان المعنى
يطعمني ويسقيني من طعام الجنة وشرابها فلا يصلح ان يكون علة لمنعهم كما لا يخفى
على اولي الالباب وعدم التمييز اي وبعدم الفرق بين واللذة الطبيعي ولقد قال
بعض المحبين شعر ۞ فليس لي في سواك حظ ۞ فكيف ما شئت فاختبرني ۞ لكن لما كان في هذا
شائبة من الدعوى ابتلي بنوع من البلوى كما في حديث حادثة ما ابالي على اي الحالين
اي المقامين وقعت اي سقطت وثبت على غني او فقر وكذا صحة او مرض وكذا و
صل او هجر وقيل الفقر بلاء ومحنة والغني هم ومشقة وكل ذلك قادح في كمال
الرضاء والمحبة بل ينبغي ان يفوض التدبير لمالكها ويسلم الامر لصاحبها وسيدها
ويقول ما قال عمر رض لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي وفيه
اشارة الى قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده
خبيرا بصيرا والى الحديث القدسي ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ومنهم من لا يصلحه
الا الغنى الحديث وقد قال عز وجل عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا
شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فالتسليم اسلم والله اعلم والاعلى اي اعلى
مراتب الصبر من التلذذ بالبلاء الذي هو الشكر بالنسبة الى عدم التمييز كمال اهل الشكر
التمييز بين النفع والضر والحلو والمر والاختيار الالم في موافقته تعالى حيث جعله
مختاره الا لمتلذذ به اي بالالم فهو الاولى فورد عنه ع م انه لما خير بين الدنيا

وتركها

وتركهما بان يكون ملكا نبيا او عبدا نبيا فقال اختيارا ان اكون عبدا نبيا وفي رواية
زيادة اجوع يوما فاصبر واشبع يوما فاشكر ليفوز بالمقامين ويجمع بين الامرين
لانه كان في غاية من الكمال فاختار ما يقتضيه الجمال ويستدعيه الجلال وجاء في الخبر
يا اي يا قوم جند المكروهات اي نعم المكروهان في طبع الانسان وهما سببان لا بد
الاحسان الموت على الايمان والفقر المقرون برضى الرحمن رواه ابن ابي الدنيا وغيره
واخرج احمد وسعيد بن منصور في سننه بسند صحيح عن محمود بن لبيد ان النبي ع م قال اثنتان
يكرههما ابن ادم يكره الموت والموت خير له من الفتنة ويكره قلة المال اقل للحساب ثم
الرضاء ترك الاعتراض بالقلب في جميع انواع القضاء فلا يقول لحادث لو لم يحدث
لكان اولى او لو حدث في هذا الموضع كان احسن واعلى اذ ليس في الامكان ابدع
مما كان كما في الاحياء واعترض عليه من لم يفهم معناه من العلماء وقيل ترك السخط
اي الكراهة وهو ضد الرضاء والرضاء غاية الغايات ونهاية النهايات ففي الحديث
ان الله يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني فيقولون رضاك ويؤيده قوله تعالى ورضوان
من الله اكبر اي من النعيم الذي هم فيه فهذا افضل رضى الله وهو ثمرة رضى العبد كما
يشير اليه قوله تعالى رضي الله عنهم اولا ورضوا عنه اخرا ولا بد للعبد منه اي من الرضا
عن الله تعالى لاربعة اشياء للفراغ اي فراغ الخاطر للعبادة وقد ورد نعمتان
مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ والتخلص اي للتخلص عن هموم الدنيا بالقلب
لقلب والتعب وعن عموم النصب بالبدن والقالب فيهما اي في الدنيا وقد ورد من
جعل الهموم هما واحدا هم الاخرة كفاه الله هم الدنيا والاخرى وغضبه اي والتخلص
عن غضبه تعالى فورد في الحديث القدسي والكلام الانسي من لم يرض بقضائي في
احكام ارضي وسمائي ولم يصبر على بلائي في سرائي وضرائي وفي رواية زيادة ولم
يشكر على نعمائي فليطلب ربا سوائي اي غيري وما عدائي من جمدائي وروي انه ع م سال
طائفة من اصحابه الكرام فقال ما انتم فقالوا مؤمنون فقال ما علامة ايمانكم
قالوا نصبر ايمانكم قالوا نصبر على البلاء وعند الرخاء ونرضى بمواقع القضاء فقال مؤمنون
ورب الكعبة وفي لفظ اخر انه قال حكماء علماء كادوا من فقههم ان يكونوا انبياء
في مناجاة موسى ع م قال يا رب اي خلقك احب اليك قال من اذا اخذت محبوبه عنه سالمني
قال فاي خلقك انت ساخط عليه قال من يستخيرني في الامر فاذا قضيت له سخط قضائي
وفي الخبر قدرت المقادير والتدابير فمن رضي فله الرضاء حتى يلقاني ومن سخط فله

السخط مني حتى يلقاني وفي الخبر المشهور يقول الله تعالى خلقت الخير والشر فطوبى
لمن خلقته للخير واجريت الخير على يديه وويل لمن خلقته للشر واجريت الشر على يديه و
ويل ثم ويل لمن قال لم وكيف وفي الاخبار السالفة ان نبيا من الانبياء شكى الى الله تعالى
الجوع والفقر والقمل عشر سنة فما اجيب الى ما اراد ثم اوحى الله اليه تشكو هذا كان
بدو ذلك عندي في ام الكتاب قبل ان اخلق السموات والارض وهكذا سبق لك مني وهكذا
قضيت عليك قبل ان اخلق الدنيا افتريد ان اعيد خلق الدنيا من اجلك ام تريد ان ابدل
ما قدرت عليك فيكون ما تحب فوق ما احب ويكون ما تريد فوق ما اريد وعزتي
وجلالي لئن تلجلج هذا في صدرك مرة اخرى لامحونك من ديوان النبوة ويروى ان
الله تعالى اوحى الى داود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلمت لما اريد كفيتك ما
تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد ولله در من قال
من اهل المزيد شعر تريد النفس ان تلقى مناها ويابى الله الا ما يريد وتحصيل
رضوانه اي ولتحصيل رضاء الله عنه فورد في التنزيل رضي الله عنهم ورضوا عنه
فعلامة رضى العبد عن الله رضاء الله عنه او بالعكس وهو الاولى لذكر رضي الله
في المرتبة الاولى وسبق رضاه في الازل الاعلى وقد سئل الفضيل عن الصبر فقال
هو الرضا بقضاء الله قيل وكيف ذلك قال الراضي لا يتمنى فوق منزلته وقال داود
لسليمان عم على تقوى المؤمن بثلث حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضاء فيما قد نال
وحسن الصبر فيما قد فات وروي عن بعضهم قال مررت على سالم مولى ابي حذيفة
في القتلى وبه رمق فقلت له اسقيك ماء فقال جرني قليلا الى الاعداء واجعل الماء
في الترس فاني صائم فان عشت الى الليل شربته وفي الخبر طوبى لمن هدي للاسلام و
كان رزقه كفافا ورضي به وفي خبر من رضي من الله بالقليل من الرزق رضي الله
عنه بالقليل من العمل وكلمة ميدي من سادة ابن ادم رضاه بما قسم الله وفي خبر اخر
ارض بما قسم الله لك تكن اغنى الناس وفي اخبار موسى عم ان بني اسرائيل قالوا له سل ربنا
ربك امرا اذا نحن فعلناه يرضى به عنا فقال موسى الهي قد سمعت ما قالوا فقال يا موسى
قل لهم يرضون عني حتى ارضى عنهم ويشهد لهذا ما روي عن نبينا عم قال من احب ان يعلم
ما له عند الله فلينظر ما لله عز وجل عنده فان الله ينزل العبد منه حيث انزله العبد
من نفسه وفي اخبار داود عم ما لاوليائي والهم بالدنيا ان الهم بالدنيا يذهب
حلاوة مناجاتي من قلوبهم يا داود ان علامة محبتي من اوليائي ان يكونوا روحا

لا يتمون

لا يتمون وروي ان موسى عم قال يا رب دلني على امر فيه رضاك حتى اعمله فاوحى
الله اليه ان رضاي في كرهك وانت لا تصبر على ما تكره قال يا رب دلني عليه قال ان
رضاي في رضاك بقضائي وعن عمر بن عبد العزيز ما بقي لي سرور الا في مواقع القدر
وقيل له ما تشتهي قال ما يقضي الله تعالى والتسبب لرضاء العبد بما يفعل الرب شيئان احدهما
ارهاش غلبة الحب اي غمانها واقفالها عن الاحساس بالالم في المحن والاخر لها كالعاشق
بالدنيا والحريص في جميع مالها واحوالها وكان سهل بن علة يعالج غيره منها ولا يعالج
نفسه فقيل له في ذلك يا دوست ضرب الحبيب لا يوجع وقال الجنيد سالت سريا
السقطي هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب
بالسيف سبعين ضربة وقال بعضهم احببت كل شيء بحبه حتى لو احببت النار احببت
دخولها وقال بشر بن الحارث مررت برجل وقد ضرب الف فقال لا في عاشق فقلت
ولم سكت فقال لان معشوقي كان بحذائي ينظر الى قلت ولو نظرت الى المعشوق الا
كبر قال فزعق زعقة وخر ميتا وقال يحيى بن معاذ الرازي اذا نظر اهل الجنة الى الله سبحانه
وتعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم في لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا يرجع اليهم
فما ظنك بقلوب وقعت بين جلاله وجماله اذا لاحظوا جلاله هابوا واذا لاحظوا
جماله تاهوا وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجذوم مجنون
قد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت راسه فوضعته في حجري فلما افاق قال من هذا الفضولي
الذي دخل بيني وبين ربي لو قطعني اربا اربا ما ازددت له الا حبا قال بشر فما رايت
بعد ذلك نقمة بين عبد وبين ربه فانكرتها ويروى ان يونس عم قال لجبريل عم
دلني على اعبد اهل الارض فدله على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب بسمعه و
بصره وهو يقول الهي متعتني بهما ما شئت وسلبتني ما شئت وابقيت لي فيك الامل يا بر يا
وصول ويروى ان عيسى عم مر برجل اعمى ابرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد
تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا من خلقه فقال له عيسى عم
يا هذا اي شيء من البلاء اراه مصروفا عنك فقال يا روح الله انا خير ممن لم يجعل
الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته فقال صدقت هات يدك فناوله يده فاذا هو احسن
الناس وجها وافضلهم هيئة قد اذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى وتعبد معه وقطع
عروة بن زبير رجله من ركبته من اكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي اخذ مني واحدة
وابقى اخرى لئن كنت ابتليت لقد عافيت ثم لم يدع ورده تلك الليلة وقال ابو سليمان

الرا وانى قد نلت من كل مقام حالا الا الرضاء فما له منه الا مشام الريح وعلى
ذلك لو ادخل الخلائق كلهم الجنة وادخلنى النار كنت راضيا ولما قدم
سعد بن ابى وقاص مكة وقد كان كف بصره جاءه الناس يهرعون اليه كل واحد يسأله
ان يدعو له فيدعو لهم اذ كان مجاب الدعوة قال عبد الرحمن بن سابط فاتيته وانا
غلام فتعرفت اليه فعرفنى وقال انت قارئ اهل مكة قلت نعم فذكر قصة قال فى اخرها
فقلت له يا عم انت تدعو للناس فلو دعوت لنفسك فرد الله عليك بصرك فتبسم وقال يا
بنى قضاء الله عندى احسن من بصرى وقال بعض السلف لو قرض جسمى بالمقاريض
لكان احب الى من ان اقول لشئ قضاه الله ليته لم يقضه والعلم اى ثانيهما
بشيئين يجزل له الثواب اى عظمة وكثرة يوم الحساب فقد قال تعالى انما يوفى الصابرون
اجرهم بغير حساب وقد ينال اجزاءه فى الدنيا ايضا قبل العقبى كما روى عن الرميصاء ام
سليم انها قالت توفى ابن لى وكان زوجى ابو طلحة غائبا فقمت فسجيته فى ناحية البيت
فقدم ابو طلحة فقمت فهيأت له افطاره فجعل يأكل فقال كيف الصبى قلت باحسن حال
بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ اشتكى خير منه الليلة ثم تصنعت له احسن ما كنت اتصنع
من قبل ذلك حتى اصاب منى حاجته ثم قلت الا تعجب من جيراننا فقال وما لهم فقلت اعيروا
عارية فلما طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان
عارية من الله تعالى فان الله قبضه اليه فحمد الله واثنى عليه واسترجع ثم غدا على
رسول الله صلى الله عم فاخبره فقال عم اللهم بارك لهم فى ليلتهم قال الراوى فلقد
رايت لهم بعد ذلك فى المسجد سبعة كلهم قد قرؤا القران رواه الطبرانى فى الكبير
ومن طريقه ابو نعيم فى الحلية والقصة فى الصحيحين من حديث انس مع الاختلاف
وللنسائى فى الكبرى باسناد صحيح من حديث جابر دخلت الجنة فاذا انا بالرميصاء امرأة
ابى طلحة فقد روى ان امرأة فتح الموصلى عثرت فقطع ظفرها فضحكت فقيل لها اما
تجدين الوجع فقالت ان لذة ثوابه ازالت عن قلبى مرارة وجعه وعذابه وقد ورد
فى الترمذى وغيره حديث هل انت الا اصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت وقال
شقيق من يرى ثواب الشدة لا يشتهى المخرج منها ولله در القائل شعر ان كان سركم
ما قال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم الم كالمريض والتاجر المسافر للمتحملين شدة
الحجامة رجاء للصحة والسفر او المحنة طمعا للزيادة وبان له تعالى فى كل صنع حكمة كما
قال تعالى صنع الله الذى اتقن كل شئ وقال صبغة الله ومن احسن من الله صبغة بل حكما كثيرة

يبحث

يبحث الزاهد الغافل عن السرائر تلك الحكمة فى تلك الصنعة وما يترتب عليها من الحكمة كما فى قصة
موسى والخضر عليهما السلام وما وقع بينهما من الملام والكلام فى تحقيق المقام وقد تبقى المراء
ولا يرد الثناء قضى بينه اى بين الرضاء بالقضاء فقد ورد فى الدعاء اللهم انى اسئلك
الرضا بالقضاء وبين بغض المعصية الواقعة بحكم القضاء لان الرضاء انما هو بالقضاء الذى هو
فعل الرب وخلقه والمعصية معصية على العبد صادرة عن فعله وكسبه ولو كان بتقدير الله
وحكمه ولان قضاء الشر ليس بشر هو المقتضى فلا يكون الرضاء بالشر وبهذا يتحقق معنى خبر الخير
كله بيديك والشر ليس اليك ولان الرضاء بالقضاء من حيث انه مقتضى لا ينافى ايضا البغض للمعصية من
حيث انه معصية فالحيثية اذا كانت مختلفة نفيت الامور المختلفة كلها مؤتلفة كالولد العاق
يحب من حيثية الولدية ويبغض من جهة العقوقية وهو الرضاء بالقضاء لا يوجب ترك
الاسباب اى اسباب البقاء وغيره من الابواب وتحقيقه ترك الاسباب يأتى فى التوكل الموعود
لهذا الباب ولا الدعاء اى لا يوجب الرضاء وترك الدعاء لقوله تعالى ويدعوننا رغبا و
رهبا وثبت انواع من الدعاء عن سيد الانبياء مع انه فى اعلى مقامات الرضاء بشرط الصلاح
قلبا ولو لم يشرع لنا فورد اللهم زدنا فى اللبن اللهم ارزقنا خيرا منه فى غيره والحديث
رواه الترمذى فى الشمائل عن ابن عباس انه عم قال من اطعم طعاما فليقل اللهم بارك لنا فيه
واطعمنا خيرا منه ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه وقال عم ليس
شئ يجزى مكان الطعام والشراب غير اللبن هذا وقال ميمون بن مهران من لم يرض بالقضاء
فليس لحمقه دواء وقال الفضيل ان لم تصبر على تقدير الله فلم تصبر على تقدير نفسك وقال
عبد العزيز بن ابى رواد ليس الشان فى اكل خبز الشعير والخل ولا فى لبس الصوف والشعر
ولكن الشان فى الرضاء بالقضاء والقدر وقال عبد الله بن مسعود لان الحس جمرة احرقت
وابقت ما ابقت احب الى من ان اقول لشئ كان ليته لم يكن او لشئ لم يكن ليته كان ونظر رجل
الى قرحة فى رجل محمد بن واسع فقال انى لارحمك من هذه القرحة فقال انى لاشكرها منذ
خرجت اذ لم تخرج فى عينى وقال الثورى يوما عند رابعة العدوية اللهم ارض عنا فقالت
اما تستحى من الله تسأله الرضاء وانت عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر بن سليمان
متى يكون العبد راضيا عن الله قالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة وعن
الفضيل اذا استوى عنده المنع والعطاء فقد رضى عن الله تعالى وعن احمد بن ابى الحوارى
قال ابو سليمان الدارانى ان الله من كرمه قد رضى من عبيده بما رضى به العبيد من مواليهم قلت
كيف ذلك قال اليس مراد العبد من الخلق ان يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فان محبة الله

من عبده ان يرضوا عنه وقال بعض السلف من حسن الرضاء والقضاء ان لا يقول
هذا يوم حار وبارد في معروض الشكاية وقول المطلق الفقر بلاء ومحنة والعيال
هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قادح في كمال الرضاء بالقضاء فعن
عمر رض لا ان اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي وعن بن مسعود انه قال
الفقر والغنى مطيتان لا ابالي ايهما ركبت ان كان الفقر ففيه الصبر وان كان الغنى ففيه
البذل وانما لم يقل ففيه الشكر ايماء الى ان الفقر افضل من الغنى واشارة الى
ان الغنى من غير البذل مذموم عند اهل الفضل والعدل هذا وقد اختلف العلماء
في الافضل اهل مقامات ثلثة رجل يحب الموت شوقا الى الله تعالى ورجل يحب البقاء
لخدمة المولى ورجل قال لا اختار شيئا وارضى بما يختاره الله ورفعت هذه المسئلة
الى بعض العارفين فقال صاحب الرضاء افضل لانه اقلهم فضولا واجتمع ذات يوم
وهيب بن ورد وسفيان الثوري ويوسف بن اسباط فقال سفيان الثوري كنت
اكره موت الفجاة قبل اليوم واليوم وددت اني مت فقال له يوسف لم قال لما اتخوف
من الفتنة فقال يوسف لكني لا اكره طول البقاء فقال سفيان لم قال لعلي اصادف
يوما اتوب فيه واعمل صالحا فقال لوهيب اي شيء تقول قال انا لا اختار شيئا احب
ذلك الى الله احبه الي فقبل الثوري بين عينيه فقال روحانية ورب الكعبة وفي
الدعاء المأثور اللهم احيني ما كانت الحيوة خيرا لي وتوفني اذا كانت الوفاة خيرا لي واجعل
الحيوة زيادة لي في كل خير واجعل الموت راحة لي من كل شر ثم الشكر يجمعه ثلثة اشيا
عرفان النعمة من المنعم وهذا علم يصدر عن اعتقاد ان كل ما في العالم موجود فهو
من الله مشهود كما قال تعالى وما بكم من نعمة فمن الله وفي دعائه دم اللهم ما اصبح بي من
نعمة او باحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر والفرح به
اي بالمنعم الحاصل بانعامه لا بنفس النعمة من حيث ذاتها الادنى بل من حيث انها وسيلة
الى القرب مع المولى والنظر الى وجه الاعلى فهذا هو الرتبة العليا وعلامته ان لا
يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الاخرى ويحزن بكل نعمة تلهيه عن طريق الهدى
وهذا حال واستعمالها اي صرف النعمة في طاعته اي طاعة دون معصية المنعم
وهذا عمل وقال الشبلي الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة وقال الجنيد الشكر ان
لا ترى نفسك اهلا للنعمة وقال الخواص شكر العامة على المطعم والملبس وشكر الخاص
على واردات القلوب وهي رتبة لا يدركها كل من اخضرت عنده اللذة في البطن و

الفرح وسائر الشهوات ومدركات الحواس من الالوان والاصوات وخلي عن لذة
القلب وما يرد عليه من الواردات اذ ان القلب السليم لا يتلذذ في حالة من الصحة القويم الا بذكر
الله ومعرفته من حيث الذات والصفات وانما يتلذذ بغيره اذا مرض بسوء العادات كما يتلذذ
بعض الناس باكل الطين ويختاره على السكنجبين وكما يستبشع بعض المريض الاشيا
الحلوة ويستحلي الاشيا المرة حتى قيل شعر ۶ ومن يك ذا فم مر مريض ۶ يجد مرا به الماء
الزلالا ۶ ولا بعد منه اي من الشكر لاستدامة النعمة اي طلب دوام النعمة وتبعاتها
فورد في التنزيل وكفرت صوابه فكفرت كما في نسخة وصدر الاية وضرب الله مثلا قرية
اي مكة كانت امنة مطمئنة ياتيها رزقها رغدا واسعا من كل مكان فكفرت اي اهلها
بانعم الله اي بتكذيب رسوله فاذاقها الله لباس الجوع اي القحط سبع سنين والخوف
اي الرعب من المسلمين بما كانوا يصنعون وانذاري وورد في الحديث ان النعم اوابد
وحشيات متنفرات كصيود وشوارد فقيدوها بالشكر رواه وقد قيل الشكر قيد
النعم الموجودة وصيد المحنة المفقودة كما يشير اليه قوله تعالى واستزاد تها اي و
لطلب زيادة النعمة فورد في التنزيل ولئن شكرتم لازيدنكم ولئن كفرتم
ان عذابي لشديد والذين اهتدوا بالايمان وترك الكفر واداء الشكر زادهم هدى
اي هداية على هدايتهم وعناية على عنايتهم ثم اعلم ان لكل عضو من القلب واللسان
وسائر الجوارح والاركان شكرا يليق من عمل الطاعة وترك المعصية واعظمها الشكر
الجنان واظهرها شكر اللسان وقد قال عم لرجل كيف اصبحت فقال بخير فاعاد عم
السؤال حتى قال في الثلثة بخير احمد الله واشكره فقال عم هو الذي اردت منك
رواه الطبراني في الدعاء من رواية فضل بن عمرو مرفوعا وهذا معضل وفي المعجم
الكبير من حديث عبد الله بن عمرو وليس فيه تكرار السؤال وقال احمد الله اليك وكان
السلف يتساءلون ونيتهم استخراج الشكر ليكون الشاكر لله مطيعا والمستنطق له به
مطيعا فكل عبد يسال عن حاله فهو بين ان يشكر وبين ان يسكت فالشكر طاعة صحيحة
والشكوى معصية قبيحة وكيف لا يقبح الشكوى من المولى وهو ملك الممالك وبيده كل شيء
الى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالاحرى بالعبد ان لم يصبر على البلوى ويفضيه
الضعف الى الشكوى ان يكون شكواه الى المولى فهذا يليق وهو القادر على ازالة البلوى
وذل العبد لمولاه والشكوى الى غيره ذل واظهار الذل للعبيد مع كونه عبدا مثله
ذل قبيح قال الله تعالى ان الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا

عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له اليه ترجعون وقد روي ان وفدا قد
موا على عمر بن عبد العزيز فقام شاب ليتكلم فقال عمر الكبر الكبر فقال يا امير المؤمنين لو كان
الامر بالسن لكان في المسلمين من هو اكبر منك فقال تكلم فقال لسنا وفد الرغبة ولا وفد
الرهبة اما الرغبة فقد اوصلها الينا فضلك واما الرهبة فقد امننا منها عدلك وانما
نحن وفد الشكر جئنا نشكرك باللسان وننصرف انتهى ومما يدل على تحقيق وجوب الشكر على
العبد من جهة العقل مع قطع النظر من النقل مثال فهو ان يقال اذا ارسل ملك عظيم
فرسا وثوبا وزادا الى عبد بعيد عن قربه يجيء اليه راكبا لابسا ثيابا عليه وينال حظ
القربة اي والتلقي حفظ قرب الملك لديه مع استغناء الملك عنه وكمال احتياج
العبد منه فاستعمل الفرس والزاد في العبد عنه اي عن حكمه وفي سفر المخالفة في
قربه او اهمل امره ونسي قدره وجلس في محله ولم يستعمل لا في قربه ولا في بعده او مكث
او انا اقر عبد اعلى ابتغاء القربة وامكنه من الانبساط في نشاطه عدم الكراهية فاشتغل
العبد عن خدمة الملك وعن المائي الى حضرته ملتفتا الى الجنس في حرفة من دباغ
وكناس وسائسية بسالة اي يطلب العبد عن ذلك الخسيس كسرة رغيف باظهار
فاقة وحرفته في حضرة الملك ومجيئه فلا شك ان كلا منهما يستحق المقت اي كمال
الغضب ويقتضي سلب النعمة وجلب النقمة وادامة العقوبة والطرد عن الخدمة
والعبد عن الحضرة وتوضيحها في الاحياء ان الانبياء عليهم السلام بعثوا الدعوة
الخلق الى كمال توحيد الحق ولكن بينهم وبين الوصول لله مسافة بعيدة وعقبات
شديدة وانما الشرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات
الشاقة ويمثل اذ تفهم بمثال وهو ان ملكا من الملوك ارسل الى عبد قد بعد عنه
مركوبا وملبوسا ونعتا لاجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد فيقرب من
حضرة الملك ثم يكون له حالتان احدهما ان يكون قصده من وصول العبد الى حضرته
ان يقوم ببعض مهماته ويكون له غنى في خدمته والثانية ان لا يكون للملك حظ في
العبد ولا حاجة به اليه بل حضوره لا يزيد في ملكه كما ان غيبته لا تنقص من ملكه
فيكون قصده من الانعام عليه بالمركوب ونحوه ان يحظى العبد بالقرب منه في مقام
خدمته وينال سعادة حضرته ينتفع هو في نفسه لا ينتفع الملك به وبانتفاعه
فينزل العباد من الله في المنزلة الثانية لا في المنزلة الاولى فان الاولى محال على
الله والثانية غير محال ثم اعلم ان العبد لا يكون شاكرا في الحالة الاولى بمجرد الركو

والوصول

والوصول الى حضرته ما لم يقم بخدمته التي ارادة الملك منه واما في الحالة الثانية
فلا يحتاج الى الخدمة اصلا ومع ذلك يتصور ان يكون شاكرا او كافرا فيكون
شكره بان يستعمل ما انفذه اليه مولاه فيما احبه لاجله لا لاجل نفسه وكفره ان لا
يستعمل ذلك فيه بان يعطله او يستعمل فيما يزيد في بعده منه فمهما لبس العبد الثوب
وركب المركوب ولم ينفق الزاد الا في الطريق فقد شكر مولاه اذا استعمل نعمة في سبيل
محبته اي فيما احبه لعبده لا لنفسه وان ركبه واستدبر حضرته واخذ يبعد منه
فقد كفر نعمته اي استعملها فيما كرهه مولاه لعبده لا لنفسه وان جلس ولم يركب لا في طلب
القرب ولا في طلب البعد فقد كفر ايضا نعمته اذ اهملها وعطلها وان كان هذا دون ما
لو بعد منه فكذا خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرتهم يحتاجون الى استعمال الشهوات
لتكمل ابدانهم بها فيبعدون عن حضرته بسببها وانما سعادتهم في القرب منه فاعد لهم
من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقربهم عبر الله تعالى
فقال لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم رددناه اسفل سافلين الا الذين امنوا
وعملوا الصالحات الاية فاذا نعم الله الات يترقى بها العبد عن اسفل سافلين خلقها
الله لاجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله سبحانه غني عنه قرب وبعد فيه ينبغي ان
يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاه وبين ان يستعملها في معصية
فقد كفر لاقتحامه لما يكرهه مولاه ولا يرضاه له فان الله لا يرضى لعباده الكفر والمعصية
وان عطلها فلم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو ايضا كفران للنعمة بالتضييع اذ كل ما
خلق الله تعالى في الدنيا انما خلق الة للعبد ليتوصل بها الى سعادة الاخرى ونيل القرب
من المولى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر لنعمة الله في الاسباب التي استعملها وكل كسلان
ترك الاستعمال او عاص يستعمل ذلك في طريق البعد فهو كافر جاحد في غيره محبة الله فالمعصية
والطاعة تشملها المشيئة ولكن لا تشملها المحبة والكراهة بل رب مراد مكروه ورب
بيان هذه الدقيقة سر القدر الذي منع من افشائه صونا للحقيقة والفارق بين محبوب
تعالى ومبغوض عنه عز وجل للفعل محبوبا ومبغوضا والترك كذلك العلم بالكتاب والسنة
فانهما كفتا ميزان العدالة والاستنصاد اي برد وكما في نسخة اي والاعتبار بكيفية
من العقل ونظر وتأمل في النقل والضابط لما يحبه الله ومما يبغضه ان الموصل
للعبد الى معرفته اي الله ومحبته محبوب لله فينبغي استعمال النعمة فيه والشاغل عنه
اي والمانع عما ذكر من المعرفة والمحبة مبغوض لله فيجب عدم استعمال النعمة فيه ثم

النعمة اما دنيوية كالخلقة السوية والملاذ الشهية من المطالب النفسية وصرف المفاسد و
المضار البدنية بالات حسية مثل اليد والرجل حيث يدفع الضر ويهرب من الشر واما دينية
كالتوفيق على الطاعة والعصمة في حق الانبياء والحفظ في حق الاولياء عن المعصية مع
القدرة او عدمها فان من العصمة ان لا تقدر وهي اي النعمة الدينية اعظم قدرا من
النعمة الدنيوية لايصالها اي لتبليغ النعمة الدنيوية الى السعادة الابدية التي
لا غاية لها والانجاء اي الخلاص عن الشقاوة السرمدية التي لا نهاية لها واشتراك
الكفار مع الابرار في الدنيوية والدنيا مبغوضة بسرعة فنائها وكثرة عنائها وخسة
شركائها واغتنام الابرار والهاء اي فقد النعمة الدنيوية خوفا من نقصان النعمة
الاخروية كما قال بعض المجتهدين ورود الفاقة اعياد المريدين وطلب الاحصاء لنعم
الله وعدها نوع المحال ومتمنيه لعدم طاقة البشر في ذلك الحال فورد في التنزيل
وان تعدوا اي تريدوا وان تحصوا نعمة الله لا تحصوها اي لا تطيقوا احصاءها وعدها
فضلا عن القيام بحقها من شكرها وقد قيل الانفاس في اليوم والليلة اربعة وعشرون
الفا في كل نفس نعمتان في حصولها باعتبار طلوعها ونزولها والطريق المفضي الى الشكر
ثلثة المعرفة لنعمه تعالى فانه ما من عبد الا ولو امعن النظر في احواله راى من الله نعمة او
نعما كثيرة يخصه لا يشاركه فيها عامة الناس بل حيثما ذكره عدد يسير منهم وربما لا يشاركه
فيها احد التفكر في صنايعه تعالى من الانفسية والافاقية واحسانه سبحانه وتعالى عليه من
بين البرية والنظر الى الادنى في امور المعيشة والامور الدنيوية فورد من نظر
في الدنيا الى من دونه في المرتبة من الجاه والمال ونظر في الدين الى من فوقه من
العلم والعمل والحال كتبه الله صابرا بالنظر الثاني وشاكرا بالنظر الاول فتامل و
الحديث رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وهو في الصحيحين بلفظ انظروا الى
من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من فوقكم فهو اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم اي
لا تحقروها وللعسكري عن انس مرفوعا من نظر الى من فوقه ايها الناس طال حزنه ولم يشف
غيظه وحكي بعضهم انه كان يحضر كل يوم دار المرضى والمقابر ومواضع الحدود ويشاهد
انواع بلوى الله تعالى عليهم ثم يتامل في صحته وسلامته عما ابتلوا به فيحمد الله على ما
اعطاه من نعمه فاذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى على نفسه
نعما كثيرة لا سيما من خص بالسنة والايمان والعلم والقران ثم بالفراغ والصحة والامن
ولذا قيل شعر من شاء عيشا رحيبا يستطيب به في دينه ثم في دنياه اقبالا فلينظرن الى من

فوقه

فوقه ورعا ولينظرن الى من دونه مالا وقال عليه السلام ان القران هو الغنى الذي
لا غنى بعده ولا فقر معه رواه ابو يعلى والطبراني من حديث انس وقال عليه السلام من
اتاه الله حفظ كتابه فظن ان احدا اوتي افضل فقد صغر اعظم النعم رواه البخاري في
تاريخه وعن الصديق من اوتي القران فظن ان احدا اوتي افضل منه فقد حقر عظيما
وعظم حقيرا وقال عم من لم يتغن بالقران فليس منا اي لم يستغن وقد سبق والكلام
مقتبس من قوله سبحانه ولقد اتيناك سبعا من المثاني والقران العظيم لا تمدن عينيك
الى ما متعنا به ازواجا منهم وقال بعض السلف يقول الله ان عبدا اغنيته عن ثلثة
لقد اتممت عليه نعمتي من سلطان يأتيه فيه احتمالان وطبيب يداويه وعما في يد اخيه وعبر الشاعر
عن هذا بقوله اذا القوت تاتى لك والصحة والامن واصبحت اخا حزن فلا فارقك الحزن
بل افصح العبارة واملح الاشارة كلام افصح من نطق بالضاد حيث عبر عن هذا المراد
على وجه الارشاد والاحسان بقوله من اصبح امنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت
يومه فكانما حيزت له الدنيا اي جمعت والحديث قد تقدم قال في الاحياء ومهما تاملت
الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتالمون من امور وراء هذه الثلث مع انها وبال عليهم ولا
يشكرون نعمة الله في هذه الثلث ولا يحمدون نعمة الله عليهم في الايمان الذي به وصولهم
الى النعيم المقيم والملك العظيم بل البصير ينبغي ان لا يفرح الا بالمعرفة واليقين والايمان
بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم اليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الارض من المشرق
الى المغرب من اموال واتباع وانصار وقيل له خذها عوضا عن علمك بل عن عشر عشير
علمك لم ياخذه وذلك لرجائه ان نعمة العلم تفضي به الى قربه سبحانه في الاخرة بل لو قيل
له لك ما ترجوه في الاخرة بكماله فخذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاذك بالعلم في الدنيا
وفرحك به قبل بعقبى لكان لا ياخذه لعلمه بان لذة العلم دائمة لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا
تغصب ولا ينافس فيها ولا تقلع وانها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة
مشوشة لا يفي مرجوها بمخوفها ولا لذاتها بالمها ولا فرحها بغمها هكذا يكون الى اخر ما بقي من
الزمان اذ ما خلقت لذات الدنيا الا لتنخدع بها العقول الناقصة حتى اذا انخدعت
وتقيدت بها ابت عليهم وامتنعت عنهم واستعصت منهم كالمراة الجميلة ظاهرها تزين للشاب
الشبق الغني اذا تعلق بها قلبه احتجبت عنه فلا يزال معها في عناء دائم وتعب قائم وكل
ذلك لاغتراره بلذة النظر اليها في لحظة ولو غض البصر واستهان بتلك اللذة
سلم في جميع عمره فهكذا وقع ارباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي ان يقول المريض

عن الدنيا متألم بالصبر عنها فان المقبل عليها ايضا متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها وجمعها
ومنعها ودفع العصوص عنها وتألم المعرض عنها يفضي الى اللذة في الاخرة وتألم المقبل عليها
يفضي الى الالام في العاقبة فليقرء المعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى ان تكونوا تألمون
فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون فان قلت كيف يمكن الشكر لله فالعبد
يعجز عنه اي عن شكر الله الا بتوفيقه بشكره وهو اي والحال ان توفيقه بشكره نعمة يستدعي
شكرا اخر الى ان يتسلسل فيصير الشكر محال قلت التحقيق لمن بلغ مقام الفناء عن نفسه والبقاء
بربه ان الشاكر الذي هو الشكور هو المشكور وان المثني هو المثنى عليه فورد في الحديث المشهور
لا احصي ثناء عليك اي لا اطيق الحمد والشكر على نعمتك انت كما اثنيت على نفسك وحاصله
ان الاعتراف بالعجز عن الشكر شكر وانشد شعر البحر عن درك الادراك ادراك كما حقق في توحيد
الذات حيث قال تعالى ولا يحيطون به علما وليس كمثله شيء وقال على ما بنا لك فالله عز ذلك و
الملائكة سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا ويوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم
لنا وقيل في معنى قول بعض السلف من عرف نفسه فقد عرف ربه اي من عرف نفسه بالعجز عرف ربه
بالقدرة ومن عرف نفسه بالفناء عرف ربه بالبقاء وتوضيح السؤال والجواب واحتج الى
بعض الاطناب لانه من فصل الخطاب الذي هو لب لباب هذا الباب من الكتاب عند ارباب الالباب
وهو ان جميع ما نتعاطاه باختيارنا من انواع الشكر على نعم الدنيا والاخرى هي نعمة اخرى من
الله تعالى وبالشكر اخرى اذ اجوارحنا وقدرتنا وارادتنا ودواعينا وسائر امورنا التي
اسبابا سكوتنا وحركتنا من خلق الله تعالى ونعمه فكيف نشكر نعمته بنعمته ولو اعطانا الملك مركوبا
كوبا اخر وركبناه او اعطانا الملك مركوبا فاخذنا مركوبا اخر لم يمكن الثاني شكرا للاول
منا بل كان الثاني يحتاج الى شكر اخر كما يحتاج الاول ثم لا يمكن شكر الشكر الا بنعمة اخرى فيؤدي
الى ان يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين وجهين ولسنا نشك في الامرين وقد ورد
به الشرع فكيف السبيل الى الجمع فاعلم ان هذا الخاطر خطر لداود وكذا لموسى عليه السلام فقال يا رب
كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك الا بنعمة ثانية من نعمك وفي لفظ اخر شكري لك نعمة
اخرى منك يوجب الشكر على لك فاوحى الله تعالى اليه اذا عرفت هذا شكرتني وفي خبر اخر
اذا عرفت ان النعم مني رضيت بذلك منك شكرا والتحقيق في مقام التوفيق ان هذا نظر
بعين التوحيد المحض وضد النظر يعرفك قطعا انه الشكر وانه المحبوب وهذا نظر
من عرف انه ليس في الوجود غيره وان كل شيء هالك الا وجهه ومن هنا قول لبيد شعر الا كل شيء
ما خلا الله باطل وقول بعض ارباب الشهود سوى الله والله ما في الوجود وقول بعض الابرار

ليس في

ليس في الدار غيره ديار وغيره ذلك لان الغير هو الذي يتصور ان يكون له بنفسه
قوام ومثل هذا الغير لا وجود له بل هو محال ان يوجد اذ الموجود المحقق هو القائم
بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود
بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت الى غيره ما لم يكن له وجود البتة وانما الموجود هو
القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي اذا قدر عدم غيره بقي موجودا فان كان
مع قيامه بنفسه يقدم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم الا واحد ولا يتصور
ان يكون غيره فاذا نظرت في هذا المقام علمت ان الكل منه مصدره واليه مرجعه فهو
شاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب من هنا نظر حبيب بن ابي حبيب حيث قرأ انا
وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب فقال واعجباه اعطى واثنى اشار الى انه اذا اثنى
على عطائه فعلى نفسه اثنى فهو المثني وهو المثنى ومن هنا نظر الشيخ ابو سعيد الميهني حيث
قرئ بين يديه يحبهم ويحبونه فقال المعرى يحبهم ودعه يحبهم فبحق يحبهم لانه انما يحب
نفسه اشار به الى انه المحب وهو المحبوب وهذه رتبة علية ومنزلة عالية لا يفهمها
الا بمثال على حد عقلك فيقال ان المصنف اذا احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع
اذا احب صنعة فقد احب نفسه وكل ما في الوجود سوى الله فهو تصنيفه وصنعته
فان احبه فما احب الا نفسه واذ لم يحب الا نفسه فبحق احب ما احب وهذا كله نظر
بعين التوحيد وتحقيق التفريد ويعبر الصوفية عن هذه الحالة بفناء النفس اي فني
عن نفسه وعن غير الله فلم ير في الكون الا الله وليس المعنى كما فهمه الوجودية من العينية
لنفي المعية كما بينته في رسالة المرتبة الشهودية في المنزلة الوجودية فهذا احد
النظرين واما النظر الثاني من لم يبلغ الى مقام الفناء عن نفسه فظن لنفسه وجود
استقلال ولو عرف لعلم انه من حيث هو لا ثبات له ولا وجود له وانما وجوده له و
انما وجوده من حيث اوجد لا من حيث وجد وفرق بين الموجود وليس في الوجود الا
موجود واحد وموجود فالموجود حق والموجود من حيث هو باطل والموجود قائم
وقيوم والموجود هنالك وفان فاذا كان كل من عليها فان فلا يبقى الا وجه ربك
ذو الجلال والاكرام ودرجات الموحدين متفاوتة في مقامات المجتهدين وقد جاء
جميع الانبياء والمرسلين داعين الى التوحيد المحض وترجمة قول لا اله الا الله ومعناه
ان لا ترى الا الله الواحد القهار وقالوا اصلون الى كمال التوحيد هم الاقلون والباقون
وهم الاكثرون عن هذا المعنى غافلون كما قال تعالى وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون اذ عبدة

الاوثان قالوا انما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وكانوا داخلين في اوايل التو
حيد دخولا ضعيفا والمتوسطون وهم الكثيرون فمنهم من ينفتح بصيرته في بعض الاحوال
فيلوح لهم حقايق التوحيد ولكن كالبرق الخاطف لا يثبت ومنهم من يلوح له ذلك ويثبت
زمانا ولكن لا يدوم والدوام فيه عزيز كما قيل شعر لكل الى شأو العلى حركات ولكن
عزيز في الرجال ثبات ولما امر عم بطلب القرب لقوله سبحانه واسجد واقترب قال في
سجوده اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا
احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك فقوله عم اعوذ بعفوك من عقابك كلام
عن مشاهدة فعل الله فقط وكانه لم ير الا الله وافعاله فاستعاذ بفعله من فعله ثم اقترب
ففني عن مشاهدة الافعال وترقى الى مصادر الافعال وهي الصفات فقال اعوذ برضاك
من سخطك ثم راى ذلك نقصانا في التوحيد فاقترب ورقي في مقام مشاهدة الصفات
الى مشاهدة الذات فقال اعوذ بك منك فهذا فرار منه اليه من غير رؤية فعل ولا صفة
ولكنه راى نفسه فارا منه اليه مستعيذا به ومثنيا عليه ففني عن مشاهدة نفسه
اذ راى ذلك نقصانا في مقام الشهود فاقترب فقال لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت
على نفسك فقوله لا احصي خبر عن فناء نفسه وخروجه عن مشاهدتها وقوله انت كما
اثنيت على نفسك بيانا انه هو المثني والمثنى عليه وان الكل منه بدا واليه يعود ولقد
كان عم لا يرقى من مرتبة الى اخرى الا ويرى الاولى بعدا بالاضافة الى الثانية فكان
يستغفر الله تعالى من الاولى كما قال انه ليغان على قلبي في اليوم والليلة حتى استغفر الله
سبعين مرة فكان ذلك لترقيه الى سبعين مقاما بعضها فوق بعض في مقام الوحدة
ومشاهدة الكثرة هذا وما من مقبول الا وهو مقود الى الجنة بسلاسل اسباب من تسليط
العلم والخوف عليه وما من مخذول الا وهو مقود الى النار بسلاسل تسليط الغفلة و
الغرور عليه فالمتقون يساقون الى الجنة وفدا اي المجرمون يقادون الى النار قهرا ولا قاهر
الا الله الواحد القهار ولا قادر الا الملك الجبار وهذا معنى قوله خلقت هؤلاء للجنة ولا
ابالي وخلقت هؤلاء للنار ولا ابالي واختلف في وجوب الشكر في المصائب والحق
الوجوب بناء على ستة اشياء على ان لا يصيب اكبر منها اي من تلك المصيبة التي اصابته اذ
مقدور الله لا متناهي فلو ضعفها الله وزادها ماذا كان يردها عما ارادها وكان
يقول شيخنا العالم التقي على المتقي اذا اخذ احد عمامته فتصدق بالحلاوة ثم اسلت فالمصيبة
المالية اهون من المصيبة البدنية وان لا يكون المصيبة في الدين فقد قال رجل لسهل رح دخل

اللص

دخل اللص بيتي واخذ متاعي فقال له اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك وافسد التو
حيد ماذا كنت تصنع وقد ورد في دعائه عم لا تجعل مصيبتنا في ديننا وقال عمر رض
ببلاء الا كان لله على فيه اربع نعم اذ لم يكن في ديني ولم يكن اعظم منها ولم احرم الرضا
واذ رجوت الثواب عليها وان يجعل عقوبتها بصيغة المجهول اي عقوبة المعصية في الدنيا
ولا تدخل للاخرة فلعذاب الاخرة اشد وابقى اذ مصائب الدنيا يتسلى عنها باسباب اخر تهون
المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الاخرة تدوم وان لم تدم فلا سبيل الى تخفيفها بالتسلي
اذ اسباب التسلي مقطوعة بالكلية في الاخرة عن المعذبين وايضا ما من عقوبة الا
وكان يتصور ان يؤخر الى الاخرة ومن تعجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب ثانية في
العقبى لقوله عم اذا اذنب فاصابته شدة او بلاء في الدنيا فالله اكرم ان يعذبه
ثانيا في العقبى كذا في الاحياء وقال مخرجه رواه الترمذي وابن ماجه من حديث علي
من اصاب في الدنيا ذنبا عوقب به فالله اعدل من ان يثني عقوبته على عبده ولاحمد والطبراني
باسناد صحيح من رواية الحسن البصري عن عبد الله بن مغفل ان رجلا من الصحابة راى
امراة كان يعرفها في الجاهلية فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها وهو يمشي فصدم
حايطا فاثر في وجهه فاتى النبي عم فاخبره فقال عم اذا اراد الله بعبد خيرا عجل له
عقوبته في الدنيا وقال علي رض الا اخبركم بارجى اية في كتاب الله قالوا بلى فقرأ عليهم
ما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير ولله در القائل شعر لعمرك
ما كان الشكر داعي زيادة ولا عوضا كالصبر عند المصائب وانها اي ولان المصيبة
الماضية كانت في اللوح مكتوبة لا بد من وصولها اليه وقد وصلت ففرغ منها و
تخلص عنها فهي نعمة بذاتها كما يشير اليه قوله ما اصابت من مصيبة في الارض ولا في
انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها وان ثوابها اي المصيبة خير منها اي من عدمها
فما من شيء يقع للعبد الا ويتصور ان يكون له فيه خيرة دينية فعليه تحسين
الظن بالله فيما يعطيه ويبليه فان حكمته تعالى واسعة وهو بمصالح العباد اعلم من العباد
وغدا يشكر العباد على البلاء اذا راوا ثواب البلاء ويتمنى انه كان يقرض ابدانه
في الضراء فقد روي ان رجلا قال له عم اوصني فقال لا تتهم الله في شيء قضاه
عليك رواه احمد والطبراني من حديث عجبا لامر المؤمن ان امره كله له خير وليس ذلك
لاحد الا المؤمن ان اصابته سراء شكر فكان خيرا له وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له
رواه مسلم وانها اي وان المصيبة تنقص من القلب حب الدنيا فلم يسكن اليها ولم

يأنس بها فقد ورد الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر رواه مسلم من حديث
ابي هريرة فهي اي المصائب في التحقيق نعم لاهل التوفيق يجب الشكر عليها اذ لا
بد في المصيبة عن تكفير الخطيئة ان كان من المذنبين او رياضة للنفس لما فيها من المحنة
والبلية ان كان من المتوسطين او رفع الدرجة ان كان من المتقين والاخبار
الواردة في الصبر على المصائب كثيرة شهيرة كقوله صلى الله عليه وسلم من يرد الله
به خيرا يصب منه رواه البخاري من حديث ابي هريرة ولابن ابي الدنيا من حديث ابي
سعيد الخدري رض ان رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسدي فقال
لا خير من عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده ان الله تعالى اذا احب عبدا ابتلاه و
اذا ابتلاه صبره ولابي داود ان الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يبلغها
بعمل حتى يبتلى ببلاء في جسمه فيبلغها بذلك وقراءة سورة الواقعة ظرف مبتدا
في ايام العسرة ظرفه والخبر لطلب القناعة اي قناعة القلب وهو لا يشغله شاغل
عن حضرة الرب وهو جواب سؤال مقدر تقديره انكم اوجبتم الشكر على المصيبة
واشعرتم انها في التحقيق من النعمة فقراءة السلف سورة الواقعة كل ليلة في ايام
العسرة لاي معنى كانت فاجاب بما تقدم وقد اخرج ابن عساكر في فضائل القران و
يعلى وابن مردويه في تفسيره والبيهقي في شعب الايمان عن ابن مسعود قال سمعت رسول
الله صلى الله عم يقول من قرا الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة واخرج ابن مردويه
عن انس عن رسول الله صلى الله عم انه قال سورة الواقعة الغنى فاقرؤها و
علموها اولادكم او الغرض اي لا استعدادا على العبادة دون وسعة الدنيا
لان السلف لم يكونوا محبين لوسعتها واغا قراءة السورة لما ورد فيه اي
فضلها الى الاخبار والاثار كما سبق والا اي وان لم يحمل على ما تقدم فلا مبالاة
بمجرد تعالى للسلف بالشدة اي بالبلاء والمحنة فهم اي السلف كانوا يغتنمونها اي الشدة
والبلاء اكثر مما كانوا يغتنمون الراحة والنعماء واما نداء ايوب في مسني الضر فليس
الشكوى واظهاره على نعمة الصبر كقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث وجزيل جزائه
اي وعلى عظم جزاء الصبر وعطائه لقرينة وانت ارحم الراحمين وذلك لان الله
تعالى سلط بعض بلائه على خاصة عباده وخلوصة اصفيائه فهو فضل من الله ومن
جملة عطائه فشكر عليه وتحدث لديه واشار اليه بقوله مسني الضر الذي تخص به
انبيائك واوليائك بلا استحقاق مني بل تكرما منك فانت ارحم الراحمين اوالبلوغ

المرض الى العقلاء اي القلب للسنا المقوت ذلك المرض للمعرفة بالجنان والذكر
باللسان او العجز عن اقامة الصلوة تماما اركانها او لانقطاع الوحي اربعين يوما و
مقام الفترة في غاية من الفترة من العسرة حتى كاد نبينا عم ان يرمي نفسه عن الصخرة
ولهذا قيل الحجاب اشد العذاب وانما ورد الامر بسؤال العافية في الاحاديث الثابتة
الراضية كما رواه الترمذي من قوله عم ما سال الله شيئا احب اليه من ان يسال العافية
ولابن ماجة عن انس مرفوعا سل ربك العافية والمعافات في الدنيا والاخرة فاذا
اعطيت العافية في الدنيا واعطيتها فقد افلحت ولاحمد والترمذي عن ابي بكر سلوا
الله العفو والعافية فان احدا لم يعط بعد اليقين خيرا من العافية والنهي عن سؤال
البلية فقد مر عليه السلام بقوم مبتلين فقال اما هؤلاء كانوا يسالون الله العافية
رواه الترمذي وقال علي رض اللهم اني اسالك الصبر فقال عم لقد سالت الله
البلاء فسله العافية رواه الترمذي ولابن ماجه والنسائي باسناد جيد عن ابي
بكر الصديق رض انه عم قال وسلوا الله العافية فما اعطي عبد افضل من العافية الا
اليقين واشار باليقين الى عافية القلب عن مرض الجهل والشك فعافية القلب
اعلى من عافية القالب لان الاولى سؤال تمام النعمة في الدنيا فان تمامها بعافية البدن
فيها وثواب الشكر اي وسؤال ثوابه على نعمة دفع البلاء في الاخرة لعنده تعالى على
ان يعطي الاجر الجزيل على الشكر على نعمة دفع البلاء ما يعطي على الصبر لمحنة البلاء
ومن هنا قال عم ولكن عافيتك اوسع كما رواه ابن ابي الدنيا وغيره في انشاد دعائه
يوم خرج الى الطائف وقال مطرف ابن عبد الله لان اعافى فاشكر احب الي من ابتلي فاصبر
واما يرد على قولكم والنهي عن سؤال البلية مثل قول سمنون المحب شعر فليس في سؤالي
حظ فكيف ما شئت فاصبرني وقول اخر شعر اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد
لما يريد فكلام العشاق في حالة الغلبة من الاشواق وهو اي اهل هذا الكلام حين يجري
يطوي ولا يروي لان صاحب الحال لا يقتدى ومن اللطائف ما حكي عن فاختة كان يراودها
زوجها فمنعته فقال لها الذي يمنعك عني ولو وددت ان اقلب لك ملك سليمان ظهرا لبطن
لفعلت لاجلك فسمعه سليمان فاستدعاه وعاتبه على ما جرى فقال يا نبي الله كلام العشاق
يسمع ولا يحكى ثم اعلم انه حكي ان سمنون بعد هذا البيت بعلة الحصر فكان بعد ذلك يدور
على ابواب الكتاب ويقول للصبيان ادعوا لعمكم الكذاب ومن هذا القبيل ما قال بعضهم اود
ان اكون جسرا على النار يعبر على الخلق كلهم فينجون واكون انا في النار لان لحية الانسان

ليكون هو سبحانه للمراد دون سائر الخلق غير ممكن ولكن قد يغلب المحبة على القلب
حتى يظن بنفسه حبا لمثل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع فيما ذكر
فلو زايله سكره علم ان ما غلب عليه كان حالة لا حقيقة لها فما ايسر الدعوى وما اعسر
المعنى واما قول الشاعر اريد وصاله البيت فهو ايضا محال اذ معناه انا اريد ما لا
اريد لان من اراد الوصال ما اراد الهجر فكيف اراد الهجر الذي لم يرده كذا قرره
الامام حجة الاسلام ولا يبعد ان يقال في البيت الثاني انه اراد ان يكون له ارا
دة بدون ارادة الله وان يكون ارادته بالله لا رادته سبحانه سواء يكون و
صلا او هجرا قربا او بعدا كما يشير قوله تعالى وما تشاؤن الا ان يشاء الله وقول
السلف ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن وفي هذا المقام قال ابو يزيد البسطامي
لما قيل ما يريد ان لا اريد غاية ان قال صاحب منازل السائرين هذه ايضا
ارادة ونوقش بان هذه ارادة مطلوبة وبانها داخلة في قوله لا اريد والحاصل
انه من باب كمال الرضاء بالقضاء واما البيت الاخرة فلا يبدع ان يصل السالك
الى مقام ليس له فيه حظ سوى ولذة سوى ذكر المحبوب وفكره وقربه ولعل و
جه الابتلاء انه كان فيه بقية حظ او شظية لذة ولو كان ولو كان في
ضمن الدعوى لمن هذه الحالة الى اظهارها هذه المقالة وفي اي واختلف ايضا في
ان الشاكر الغنى افضل ام الصابر الفقير واما الفقير الشاكر افضل من الغنى الشاكر
اتفاقا فقد قال قائلون من الصبر افضل من الشكر وقال اخرون الشكر افضل من
الصبر وقال جماعة هما سيان لقوله عم الصبر نصف الايمان وهو الاستدلال ضعيف
اذ يحتمل ان يكون احدهما افضل من الاخر كما يقال ان الايمان علم وعمل وهما لا يستويان
اذ العلم خير من العمل وقالت طائفة يختلف باختلاف الاحوال وقيل القناعة خير
منهما واختاره بعض الاولى السيوى والصوفية اجمعوا على ان الفقير الصابر افضل من
الغنى الشاكر بل قال بعضهم ان الفقير الشاكر افضل من الغنى الشاكر ولما سئل الجنيد
عن الصبر والشكر ايهما افضل وقال ليس مدح الغنى بالوجود ولا مدح الفقير
بالعدم وانما المدح في الاثنين قيامهما بشروط ما عليهما فشرط الغنى يصحبه فيما عليه اشياء
يلائم صفة ويمتعها ويلذذها والفقير يصحبه فيما عليه اشياء تولم صفة وتقبضها
وتزعجها فاذا كان الاثنان قائمين لله عز وجل بشروط ما عليهما كان الذي الم صفة
وازعجها اتم حالا ممن متع صفة ونعمها ويقال كان ابو العباس بن عطا قد خالف

في ذلك فقال الغنى الشاكر افضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجنيد فاصابه من البلاء
من قتل اولاده وتلف امواله وزوال عقله اربع عشرة سنة وكان يقول دعوة
الجنيد اصابتني ورجع الى تفضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر هذا والشاكر الذي
يشكر على الموجود والشكور الذي يشكر على المفقود ومن هنا قوله سبحانه وقليل من عبادي
الشكور انه كان عبدا شكورا وقوله عم افلا اكون عبدا شكورا واما الشكور من
اسمائه عز وجل فهو الذي يعطي الاجر الجزيل على الامر القليل والحق في المسئلة ان الشان
ان اريد الصبر ما كان الصبر بتلذذ فلا تعد كما سبق بيانه ان الصبر هو الحكم
وهو اي الصبر المطلق من غير التلذذ الملحق على البلاء خير منه على الرخاء كما في كلام
الجنيد من طريق الايمان وهو اي وهذا الصبر هو المراد بما ورد من افضل ما اوتيتم
اليقين وعزيمة الصبر وقد تقدم يؤتى يوم القيمة باشكر اهل الارض فيجزيه الله جزاء
الشاكرين ويؤتى باصبر اهل الارض فيقال له اترضى ان نجزيك كما جزينا هذا الشاكر فيقول
نعم يا رب فيقول الله عز وجل كلا انعمت عليه فشكر وابتليتك
فصبرت لاضعفن لك الاجر كذا في الاحيا وقال مخرجه لم اجد له اصلا انتهى لكن معناه
صحيح مستفاد من قوله تعالى انما الصابرون اجرهم بغير حساب وروى يؤتى باهل البلاء
فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان ويصب عليهم الاجر صبا بغير حساب حتى يتمنى
اهل العافية في الدنيا ان اجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به اهل البلاء من
الفضل كذا في تفسير البغوي والا اي وان لم يرد ما كان الصبر بتلذذ فالشكر الذي
تضمن ذكنيه وهما الامتناع عن المعصية وصرف النعمة الى الطاعة افضل من الصبر
لا بتنائه اي الشكر هذا على المحبة وهذا اي المحبة اعلى المقامات وحاصله ان لا فرق
بين الصبر مع التلذذ والشكر التام ثم الصبر بغير التلذذ خير من الشكر الذي غير تام
والشكر التام خير من الصبر بغير التلذذ واما قوله عم الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم
الصابر كما ذكره الترمذي وحسنه من حديث ابي هريرة فهو دليل على فضيلة الصبر
حيث الحق به الشكر ومن المعلوم ان المشبه به ان يكون اعلى رتبة في العدد ومما يدل
على فضيلة الفقر ما رواه الطبراني في الاوسط من حديث معاذ بن جبل يدخل الانبياء
كلهم قبل داود وسليمان عليهم السلام الجنة باربعين عاما وروى الطبراني
حديث اخر من يدخل الجنة من اغنياء امتي عبد الرحمن بن عوف رضي **الباب الثامن
عشر في الخوف والرجاء** وهما جناحان للسالك يطير بهما الى كل مقام محمود ومطيتان

بهما يقطع كل عقبة كؤد فلا يقود الى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد
الرجاء الا بازمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب المقيم الا بسياط التخويف
وسقوط التعنيف وقد دخل عليه السلام على رجل وهو في النزع فقال عم كيف
تجدك فقال احدني اخاف ذنوبي وارجو رحمة ربي فقال عم ما اجتمعا في قلب عبد
في هذا الموطن الا اعطاه الله ما رجاه وامنه مما يخاف رواه الترمذي وغيره باسناد
جيد ومن هنا قال تعالى نبي عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب
الاليم ليكونوا بين الرجاء والخوف وفي تقديم الرجاء ايماء الى ان الوصول به ارجى
كما لا يخفى وكذا قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد
العقاب فكان حق المصلى ان يقدم الرجاء وانما اخره كما في الاحيا لان الخوف حال اهل
الابتداء بخلاف الرجاء فانه مقام اهل الانتهاء ومما يدل على الاستواء الامر من حيث
القلوب بين الاصبعين ومما يدل على ترجيح الرجا حديث غلبت رحمتي غضبي وفي الجملة
لابد للمؤمنين من اجتماعهما وعدم انفكاك احدهما فلابن حبان في صحيحه والبيهقي في
شعبه وابن المبارك في زهده من رواية الحسن مرسلا لا اجمع على عبدي خوفين ولا
اجمع له امنين بسم الله الرحمن الرحيم رجا كل خائف من العذاب الاليم الخوف للسائرين
والرجاء للطائرين في منازل السالكين خاطران عاطران وفي اصلهما عارضان وهما
من جملة مقامات المريدين واحوال الطالبين وانما يسمى الوصف مقاما اذا اثبت
واقام وانما يسمى حالا اذا كان عارضا يوشك زواله فالذي هو غير ثابت يسمى
حالا لانه يحول عن القلب على القرب وجار في كل وصف من اوصاف القلب لتقلبه بتقليب
الرب ثم اعلم ان العمل على الرجاء اعلى منه من الخوف لان اقرب العباد الى الله احبهم له
والحب تغليب بالرجاء واعتبر ذلك بملكين له عبدان يخدم احدهما خوفا من عقابه
والاخر رجا ثوابه واذا كان الخوف والرجا خاطرين من غير اختيار فيهما ولا اعتماد
عليهما فلا تكليف الا في مقدماتهما وهي ذكر الايات والاحاديث التي تبعث الانسان
على الخوف والرجا فمقدمات الخوف اربع ذكر الذنوب السابقة وذكر شدة العقوبة
التي لا طاقة للانسان بها في العاقبة وذكر ضعف النفس عن احتمالها وذكر قدرة الله
على الانتقام متى شاء وكيف شاء في احوالها ومقدمات الرجاء اربع ايضا ذكر سوابق الفضل
اليك من غير العمل وذكر ما وعد من جزيل ثوابه وعظيم كرامته في بابه دون استحقاقك
اياه بالخدمة في جنابه وذكر كثرة نعمه عليك دنيا واخرى وذكر سعة رحمته تعالى

وسبقها

وسبقها على غضبه فهو بالرجاء اولى واحرى ثم هما مبنيان على انتظار ما يستقبل من
الثواب والعقاب فان الخوف غم يلحق لتوقع المكروه والرجا فرح يلحق لتوقع المحبوب فا
لمستغرق بذكره تعالى ابن الوقت بل ابو الوقت فانه الغالب عليه واما غيره فهو ابن الوقت
لانه الحاكم لديه والحاصل انه متعلق بما هو اولى في الوقت قائم بما هو مطالب فيه خوفا
عن المقت فبعيد منهما اي الخوف والرجاء في نسخة فيفقدهما فالرجا الفرح لانتظار
محبوب فلابد من سبب باعث لتحقق انتظار مطلوب فان حصل اكثر الاسباب اي اسباب
حصوله لديه فاصدق اسم الرجاء وصوله عليه كتوقع الحصاد ممن القى بذرا جيدا نقيا غير
عفن ولا مسوس في ارض صالحة للزراعة بان تكون غير سبخة يصلها الماء على سعة وان فقد
اكثر الاسباب فالغرور والحماقة اصدق عليه من اسم الرجاء لصاحبه في هذا الباب كالذي
القى بذرا فاسدا في غير صالحة من ارض لا يصلها الماء الا مرة وان شك فيها اي في كثرة الا
سباب الحصاد بان حصل بعضها فالتمني اصدق عليه من اسم الرجاء كما اذا اصلح الارض مع القاء
البذر الجيد ولا ماء لا احتمال وصول ماء السماء وتوضيحه ان الدنيا مزرعة الاخرة
والقلب كالارض والايمان كالبذر والطاعات جارية مجرى تقليب الارض وتنظيفها
وحفر الانهار ونحوها والقلب المولع بالدنيا ومتاعها المستغرق بحبها وذكرها كالارض
السبخة التي لا ينمو البذر فيها ويوم القيمة يوم الحصاد لا يحصد احد الا ما زرع لا ينمو زرع
الا من بذر الايمان وقل ما ينفع الايمان من حيث الجنان وسوء الاخلاق ومساوي العصيان
فاذا اسم الرجاء انما يصدق على انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد
ولم يبق الا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله بصرف القواطع والمفاسد والموانع
فالعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الاخلاق الردية
وانتظر من فضل الله تثبيته على ذلك الى الممات وحسن الخاتمة المفضية الى المغفرة والرحمة
الكاملة الشاملة كان انتظاره رجا حقيقيا وان قطع عن بذر الايمان تعهده بماء
الطاعات وترك القلب مشحونا بالاخلاق والسيئات وانهمك في اللذات والشهوات واللهوات
ثم انتظر المغفرة وعلو الدرجات فانتظاره حمق وغرور في المهلكات وورد ان الذين
امنوا والذين هاجروا والسيئات واللذات وجاهدوا في سبيل الله بتكثير الطاعات
اولئك يرجون رحمت الله اي هم الذين يستحقون ان يرجوا رحمة ربهم بخلاف من
ينهمك فيما يكرهه الله ولا يذم نفسه عليه ولا يعزم التوبة والرجوع اليه فرجاؤه
المغفرة حمق وغرور كما قيل الغرة بالله ان يعمل الرجل بمعصية الله تعالى ويتمنى مغفرته

عز وعلا وكما ورد الاحمق من اتبع نفسه هواها وقابعها في طلب شهواتها وتمنى
على الله ان يدخل الجنة وما ورد في هذا الحديث تقدم وقال يحيى بن معاذ الرازي
من اعظم الاغترار عندي التمادي في الذنوب على رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب
من الله عز وجل من غير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين
بالمعاصي وانتظار الجزاء من غير عمل والتمني على الله عز وجل مع الافراط في امل وانشد
شعر ۞ وثوبك الدهر مغسول من الدنس ۞ ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ۞ ان السفينة
لا تجري على اليبس ۞ وقد ورد ان زيد الخيل الذي غيره عم وسماه زيد الخير جاء عم
وقال جئتك لاسئلك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف اصبحت احب
الخير واهله واذا قدرت على شيء منه سارعت اليه وايقنت بثوابه واذا فاتني شيء
منه حزنت عليه وحننت اليه فقال هذه علامة الله فيمن يريد ولو هيأك للاخرى هيأك
لها ثم لا يبالي في اي واديها هلكت رواه الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود فمن ادعى
ان يكون مرادا للخير من غير هذه العلامات فهو مغرور في واد من الملاذ تنمت وعن علي رضي الله عنه
من اشتاق الى الجنة تبتل عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات اما حسن
الظن بالله حيث يقول انا عند ظن عبدي بي كما رواه الشيخان وزاد ابن حبان فليظن
بي ما شاء وعنه عم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله كما رواه مسلم من حديث جابر
انما يكون بالحذر عن المعصية والاجتهاد في الطاعة فلا بد للسالك منه اي من حسن
الظن وغلبة الرجاء فهو يبعث على الطاعة وترك المعصية ويهون احتمال المشقة في ورد
المشقة والمحنة والقنوط وهو ضد الرجاء كفر قال تعالى لا تقنطوا من رحمة الله وقال
ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون وهو بمعنى الياس فورد في التنزيل لا ييأس من روح
الله الا القوم الكافرون وورد انه عم قال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم
كثيرا ولو خرجتم الى الصعدات تلدمون صدوركم تجارون الى ربكم فهبط جبريل عم
فقال ان ربك عز وجل يقول لم تقنط عبادي فخرج اليهم فرجاهم وشوقهم رواه
ابن حبان في صحيحه من حديث ابي هريرة واوله متفق عليه من حديث انس وقال علي رض
لرجل اخرجه الخوف الى القنوط لكثرة ذنوبه يا هذا يأسك من رحمة الله اعظم من
ذنوبك وعنه رض انما العالم الذي لا يقنط الناس من رحمة الله ولا يؤمنهم من مكر الله
وللبيهقي في الشعب عن زيد بن اسلم ان رجلا من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد
عليهم قال فيقول الله تعالى له يوم القيمة اليوم اؤيسك رحمتي كما كنت تقنط عبادي

منها

وفي الخبر ان الله تعالى اوحى الى داود عم احبني واحب من يحبني الى خلقي فقال يا رب
كيف احببك الى خلقك فقال اذكرني بالحسن الجميل واذكر الائي واحساني وذكرهم ذلك
فانهم ذلك لا يعرفون مني الا الجميل ولابن ابي الدنيا والبيهقي في شعبه من حديث انس مرفوعا
ان رجلا يدخل النار فيمكث فيها الف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى اذ
هب فأتني قال فيجيء به فيوقفه على ربه فيقول الله له كيف وجدت مكانك قال فيقول شر
مكان فيقول بما قدمت يداك وما انا بظلام للعبيد ردوه الى مكانه قال فيمشي فيلتفت
الى ورائه فيقول الله عز وجل الى اي شيء تلتفت فيقول رجوت ان لا تعيدني اليها
بعد ان اخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به الى الجنة تدل هذا على ان رجاء النجاة
والطريق الموصل الى تحصيل الرجاء ذكر ستة اشياء ذكر سوابق فضله في ايجاد العبد
وامداده من وجوده وكرمه دون شفيع اي بلا شفيع من عنده وما وعد الله
من جزيل ثوابه في كتابه دون استحقاق سابق في بابه مع انه لا استحقاق للمملوك بشيء
من حسابه وما انعم على عبده من الرزق والعافية وتوفيق الطاعة مما يمن نفعه في الدارين
من عنده دون سؤال اي من غير مسألة سابقة من عبده وسعة الرحمة قال تعالى
ورحمتي وسعت كل شيء وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة لو علم الكافر سعة رحمة الله
ما ايس من جنته احد وسبقها الغضب فورد رحمتي سبقت غضبي وفي رواية غلبت
وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة ان الله كتب على نفسه قبل ان يخلق الخلق ان رحمتي
تغلب غضبي وما ورد فيه اي في فضل الرجاء من الكتاب والسنة مثل لا تقنطوا
من رحمة الله الاية اي ان الله يغفر الذنوب جميعا وفي قراءة رسول الله عم ولا
يبالي كما رواه الترمذي من حديث اسماء بنت يزيد وحسنه انا عند ظن عبدي بي كما
تقدم والله اعلم وكان ابو جعفر محمد بن علي يقول انتم اهل العراق تقولون ارجى
اية في كتاب الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله
الاية ونحن اهل البيت نقول ارجى اية من كتاب الله ولسوف يعطيك ربك فترضى
انتهى وذلك بما ذكر في تفسيره انه عليه السلام قال لا يرضى محمد وواحد من امته في
النار اي مؤبدا وكان بعض العارفين يرى اية المداينة في سورة البقرة من اقوى
اسباب الرجاء فقيل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا كلها قليل ورزق الانسان
فيها قليل والدين من رزقه قليل فانظر كيف انزل الله فيه اطول اية ليهتدي
بها عبده الى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له

من دنياه وعقباه وروى في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله النبي والذين امنوا
معه ان الله اوحى الى نبيه عم اني جعلت حساب امتك اليك فقال لا رب انت خير لهم مني
فقال اذن لا اخزيك فيهم رواه ابن ابي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله تعالى والبيهقي في شعبه
من رواية عقبة بن الوليد ان الخليل قال يوما يا كريم العفو فقال جبريل تدري ما
تفسير يا كريم العفو هو ان يعفو عن السيئات برحمته ثم يبدلها حسنات بكرمه ولابن
ابي الدنيا من حديث حذيفة مرفوعا ليغفرن الله تعالى يوم القيمة مغفرة ما خطرت قط
على قلب احد حتى ان ابليس ليتطاول لها رجاء ان تصيبه وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة
ان الله تعالى مائة رحمة ادخر منها عنده تسعة وتسعين رحمة واظهر منها في الرحمة الدنيا
واحدة يتراحم الخلق بها فتحن الوالدة الى ولدها وتعطف البهيمة على ولدها فاذا كان يوم
القيمة ضم هذه الرحمة التسعة والتسعين بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق
السموات والارضين قال فلا يهلك على الله يومئذ الا هالك والترمذي من حديث انس
وصححه وابن ماجه من حديث جابر شفاعتي اهل الكبائر من امتي وقال الثوري ما احب ان
يجعل حسابي الى ابوي لاني اعلم ان الله تعالى ارحم بي منهما وقال ابن ادهم خلا الطاف ليلة و
كانت ليلة فوقفت في الملتزم عند الباب فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابدا
فهتف هاتف من البيت يا ابراهيم انت سالتني العصمة وكل عبادي المؤمنين يطلبون
ذلك فاذا عصمتهم فعلى من اتفضل ولمن اغفر ويؤيده حديث لم تذنبوا لذهب الله بكم
وجاء بخلق اخر يذنبون فيغفر لهم انه هو الغفور الرحيم رواه مسلم من حديث ابي هريرة
وكان الحسن يقول لو لم يذنب من لكان نظره في الملكوت ولكن الله قمعه بالذنوب ويؤيده
حديث لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ما هو شر من الذنوب فقيل ما هو قال العجب رواه البزار
وابن حبان والبيهقي من حديث انس وقال الجنيد ان بدت عين من الكرم الحقت المسيئين
بالمحسنين ويؤيده قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين و
قال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي مع الاعمال لاني اعتمد
في الاعمال على الاخلاص وكيف احرزها وانا بالافة معروف واجدني في الذنوب اعتمد
على عفوك وكيف لا تغفرها وانت بالجود موصوف وكان بعض السلف يقول في دعائه
يا رب واي اهل دهر لم يعصوك ثم كانت نعمك عليهم سابغة ورزقك عليهم دارة
سابقة سبحانك ما احلمك وعزتك انك لتعصى ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى كانك
ربنا انما تطاع وسبحانك ما احلمك تعصى وتدر الرزق وتسبغ كانك يا ربنا لا تعصى

والخوف عطف على الرجاء وهو الحزن لانتظار مكروه وهو تالم القلب واحتراقه
بسبب توقع مكروه في الاستقبال واما من انس بالله في جميع الاحوال وملك الحق قلبه
على النظام وصار ابن وقته ومشاهدة الجمال الحق على الدوام ولم يبق له التفات الى
المستقبل من الايام فلم يبق له خوف ولا رجاء بل صار حاله اعلى من الخوف والرجاء بل صار حاله
اعلى من الخوف والرجاء فانهما زمامان يمنعان النفس من الخروج الى رعوناتها وبهذا اشار
الواسطي حيث قال الخوف حجاب بين الله وبين العبد وقال ايضا اذا ظهر الحق على السرائر لا
يبقى فيه فضلة لرجاء ولا خوف في الضمائر ويؤيده قوله تعالى الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون وهذا بالنسبة الى الخواص الكرام واما بالنسبة الى الصلحاء من العوام فمعناه
لا خوف عليهم بلحوق العقاب ولا هم يحزنون بفوت الثواب في العقبى وبالجملة فالمحب اذا اشتغل
قلبه في مشاهدة محبوبه لخوف فراقه كان ذلك نقصانا في شهوده وانما دوام الشهود
غاية المقام ونهاية الدرجات لكن الكلام الان في اوائل الحالات فنقول الخوف اسباب
ينشا منها ويصدر عنها كما قال فاما من العلم بعدم مبالاته تعالى فانه عز وجل لا يسال
عما يفعل وهم من غيرته في صفاته انه لو اهلك العالمين لم يبال من احد ولم يمنعه مانع
لوحدة ذاته فورد في حديث مشهور ان الله تعالى لما خلق ادم مسح على ظهره فاستخرج
منه ذريته فقبض قبضة فقال هؤلاء في الجنة ولا ابالي وقبض اخرى فقال وهؤلاء
في النار ولا ابالي اي لا ابالي من ملامة احد اذ لا يجب على الله شيء لا من اثابة المطيع
ولا من تعذيب العاصي او من الطاعة والمعصية اي او المعنى لا ابالي من طاعة ومن معصية عاص
فانه كما ورد لو عذب اهل سمواته وارضه لكان عادلا في حكمه غير ظالم في امره او لا ابالي
لعدم تاثير الاثابة والتعذيب في زيادة ملكي ونقصانا كما في حديث مسلم عن ابي ذر مرفوعا
حكاية من الله تعالى يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني يا عبادي
لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك
في ملكي شيئا يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا على افجر قلب رجل واحد منكم
ما نقص ذلك من ملكي شيئا او لا ابالي لاني متصرف في ملكي افعل ما اشاء واحكم ما اريد
بالعدل او لاني متفضل غير مائل في ادخال الجنة عادل غير جائر في ادخال النار لما تقدم
او الجهل اي والخوف هو الحزن لجهل بالخاتمة وهو اي خوف الخاتمة للمتقي اغلب لانه
بحسب معرفته بعيوب نفسه وبعظمة جلال الله وقدسه فاخوف الناس لربه اعرفهم
بنفسه وبربه ولذا قال عم والله اني لاخشاكم لله واتقاكم له رواه البخاري من حديث

عايشة والله انى لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وقد قال تعالى انما يخشى الله من عباده
العلماء والاعلى من انواع المخافة واولهما على كمال المعرفة ان يكون الخوف من سابقة
الازل لان الخاتمة اللاحقة تتبع المقدمة السابقة فالخاتمة في هذا الباب تظهر
بما سبق به القضاء في ام الكتاب فالالتفات الى القضاء الازلى الذى جرى بتوفيقه القلم
على من الالتفات الى ما يظهر في الابد بعد ما كان في حيز العدم واليه اشار صلى الله عليه وسلم
حيث كان المنبر فقبض كفه اليمنى ثم قال هذا كتاب الله كتب فيه اهل الجنة باسمائهم واسماء
ابائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص وليعملن اهل السعادة بعمل اهل الشقاوة حتى يقال كانهم
منهم بل هم ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة وليعملن اهل الشقاوة بعمل اهل
السعادة حتى يقال كانهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة السعيد
من سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء الله والاعمال بالخواتيم رواه الترمذى
من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب وفي رواية السعيد من سعد
في بطن امه والشقى من شقى في بطن امه رواه البزار بسند حسن ومن هنا خوف الكاملين
حيث لم يعرفوا انهم من اى القبضتين ومن اى الفريقين المذكورين في قوله تعالى فريق
في الجنة وفريق في السعير وفي قوله عز وجل فمنهم شقى وسعيد وقوله عز وجل فمنكم
كافر ومنكم مؤمن وقوله سبحانه اما شاكرا واما كفورا واما بالكسر عطف على قوله اما
من العلم الخ. والمعنى الحزن لانتظار مكروه اما من جهة المعرفة بصفة تعالى وعزته وجلاله
في مرتبة عظمته او اما من المعاصى اى من جهة كثرة المعصية الصادرة عن العبد في حال
غفلته وغرته ويختص الخوف من المعصية بموضع الغرور وعند المواظبة على الطاعة بخلاف
الاول اى يختص هذا الخوف ويتميز من الخوف الاول وهو عدم المبالاة بان يغتر بمواظبة
على الطاعة فيعلم ان هذا كان من المعاصى لانه عدم المبالاة لان خوف عدم المبالاة لا يزول
قط وخوف الثانى يزول عند المواظبة على الطاعة وتوضيحه ان هذا انقسام الخائفين
الى من يخاف من معصيته وجنايته والى من يخاف الله تعالى نفسه لعظمته وجلالته فهذا على
رتبة واعلى منزلة ولذا يبقى خوفه وان كان في طاعة الصديقين واما الاول فهو في عرضة
الغرور والامن بان واظب على الطاعات وداوم على العبادات فالخوف من المعصية
خوف الصالحين والخوف من الله خوف الموحدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله
فكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بان يخاف من غير جناية بل العاصى لو عرف
الله حق معرفته لخاف الله ولم يخف من معصيته وتيسر له سبيل بابها ومهد له تمام اسبابها

فان تيسر اسباب المعصية يعاد ولم يسبق منه قبل المعصية معصية في تيسير سبيل
استحق بها ان يسخر للمعصية ويجرى عليه اسبابها ولا تسبق قبل الطاعة وسيلة توسل
بها من تيسرت له الطاعات وتمهد له سبيل القربات فالعاصى قد قضى عليه بالمعصية شاء اى
فكذا المطيع حسبما قدره الله وقضى فالذى رفع محمدا عم الى اعلى عليين من غير وسيلة سبقت
منه قبل وجوده ووضع ابا جهل في اسفل سافلين من غير جناية سبقت منه قبل شهوده
جدير بان يخاف منعه لصفة جلاله فان من اطاع الله بان سلط عليه ارادة الطاعة
واتاه القدرة وبعد خلق الارادة الجازمة والقدرة التامة يصير الفعل ضروريا
والذى عصى لانه سلط عليه ارادة قوية جازمة واتاه الاسباب والقدرة فكان الفعل
بعد الارادة والقدرة ضروريا فليت شعرى ما الذى اوجب اكرام هذا وتخصيصه
بتسليط ارادات الطاعات عليه وما الذى اوجب اهانة الاخر وتبعيده بتسليط
دواعى المعصية لديه وكيف يحال ذلك على العبد وينسب اليه واذا كانت الحوالة تر
جع الى القضاء الازلى من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما شاء ويحكم
ما يريد جزم عند كل مريد طالب للمزيد ثم الخوف عن سكرات الموت وشدته ومن نكره
اما من السؤال في القبر من منكر ونكير او عند الموقف من نعيه وقطميرا او العذاب في
القبر او من هول المطلع او هيبة الموقف والحياء من كشف السر دون منزلة الصراط
وحدته وكيفية العبد عليه باختلاف الاحوال او العذاب في النار وما فيها من الا
غلال والانكال والاحوال او فوت الجنة دار النعيم والملك المقيم ونحوها من
نقصان الدرجات او خوف حجاب اللذات واعلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب
فانه اشد العذاب عند ارباب الالباب وهو خوف العارفين وما قبل ذلك هو
خوف العابدين والصالحين والزاهدين وكافة العاملين ومن لم يكمل معرفته
ولم ينفتح بصيرته لم يشعر بلذة الوصال ولا بالم البعد والفراق فاذا ذكر له ان العارف
لا يخاف النار وانما يخاف الحجاب في دار وجد ذلك منكرا في باطنه وتعجب منه في نفسه
قال ذو النون خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجى ويختلف الافراد
للخوف انواعه في الاسرار فمن خاف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المالوفة با
لارادة واظب على تركها وداوم على خلافها ومن خاف اطلاعه تعالى على السر اشتغل
بتنقية السر وتطهير القلب من الوساوس في الضمائر فاعتبره وقس على هذا الخاف اخرو
هى من خاف اغتراره بزخارف الدنيا زهد فيها ومن خاف هجوم الموت قبل التوبة بادر

اليها ويؤثر الخوف في البدن بالهزال اى النحول باذابة اللحم والشحم والصفرة باللون
المصحوب بالكدرة والضعف في القوى والبكاء الصادر عن الخشية واذا كمل الخوف
يؤدي الى الجنون بان يصعد الى الدماغ فيفسد العقل او يقوى فيورث القنوط
واليأس ويفضي الى الموت بان يشق به المرارة وهو اى الموت من خوف الله شهادة
لكن الافضل من عاش وجاهد لقوله عم طوبى لمن طال عمره وحسن عمله وقد تقدم
واعلم ان معنى كونه شهيدا ان له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لو مات في ذلك
الوقت لا بسبب الخوف فهو بالاضافة اليه فضيلة واما بالاضافة الى بقائه وطول عمره
في طاعة الله وسلوك سبيل اراده فليس بفضيلة بل للسالك لطريق الفكر والمشاهدة
والترقي في درجات المجاهدة في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ولذا ورد يوزن
مداد العلماء بدماء الشهداء فيرجح مداد العلماء ولولا هذا لكان رتبة صبي او
مجنون يفترسه سبع اعلى من رتبة نبي او منزله ولي يموت حتف انفه وهو محال
والحاصل ان اقصى درجات الخوف ان يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله حتى فيه
متسع لغير الله وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا الى ازالة العقل دون
الصحة فهو مرض يجب عليه علاجه ان كان له قدرة لديه ولذا كان سهل يقول للمريدين
الملازمين للجوع اياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله ولي ناقص العقل
ويؤيده ما اشتهر في لسان العامة ما اتخذ الله وليا جاهلا ولو اتخذه لعلمه وكذا
يؤثر الخوف في الجوارح فيكفها عن السيئات ويقيدها بالطاعات تلافيا لما فرط
في الماضي واستعدادا للمستقبل ولذا قيل ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه بل الخائف
من يترك ما يخاف ان يعاقب عليه وقال ابو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن
خاف الله هرب اليه وقيل لذا النون متى يكون العبد خائفا قال اذا انزل نفسه
منزلة السقيم الذي يحتمي مخافة طول السقام ومن غلب عليه خوف الله خافه كل شئ
مما سواه ولابي الشيخ ابن حبان وابن ابي الدنيا حديث من خاف الله خافه كل شئ
كما كان هذا المقام العمري لعمر رض فورد ان الشيطان ليفر من ظل عمر كما مر وكذا يؤثر
في الصفات بان يقمع الشهوات ويكدر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة
كما يصير العسل مكروها عند من يشتهيه اذا عرف سما فيه والاعلى في مراتب الخوف
ان يدهشه الخوف ويذهله عن الاشياء اى رؤيتها ويغفله حتى عما يجري على
الاعضاء من حركتها فلم تؤثر الاشياء فيه اى في الخائف للغيبة عنها اى لغيبة الخائف

عن الاشياء

عن الاشياء والغفلة منها كما كان له عليه السلام حيث قصده الشيطان وهو
في الصلوة فاحترق اى الشيطان فاذا كان الامر كذلك فلا بد للسالك منه اى
من الخوف هنالك فهو اى الخوف يزجر النفس اى ويمنعها عن المعصية وارتكابها
وينفي العجب يدفعه عن الطاعة واكتسابها فاقل درجات الخوف مما يظهر اثره في
اعمال المؤثرة للاحوال يمنع من المحظورات ويسمى الكف الحاصل عنها ورعا فان زاد
قوته كف عما يتطرق اليه امكان التحريم فكيف عما لا يتيقن ايضا تحريمه ويسمى ذلك تقوى
ان يترك ما يريبه الى ما لا يريبه وقد يحمله على ان يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق
في التقوى فانضم اليه التجرد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يصرف
الى غير الله نفسا من انفاسه فهو الصدق وصاحبه جدير بان يسمى صديقا واما الخوف
الذي يجري رقة للنساء يخطر بالبال عند سماع اية من القران فيورث البكاء وكذا عند
مشاهدة سبب هائل فاذا غاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب الى الغفلة عن خوف
الرب فهذا خوف قاصر قليل الجدوى وهذا حال الناس كلهم الا العارفين والعلماء الرا
سخين ولست اعني بالعلماء المترسمين برسومهم والمتسمين باسمائهم فانهم ابعد الناس عن
الخوف لما فيهم من العجب والغرور بل العلماء بايات الله وصفاته وافعاله في مصنوعاته
وذلك مما قد وجوده الان كالكبريت في سالف الزمان ولذا قال الفضيل اذا قيل
لك هل تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت وان قلت نعم كذبت واما الخوف المفرط
وهو الذي يجاوزه حد الاعتدال حتى يخرج الى اليأس والقنوط فهو مذموم ايضا لانه
يمنع من العمل والمراد من الخوف الحمل على العمل واذا تحقق لليأس فهو كفر منه لانه
اعتقد عدم قدرته سبحانه على عفوه في ذنبه والامن وهو ضد الخوف كفر ايضا لانه
يدل على عدم قدرته وقدرته على عقوبته على ذنوبه مع وجود طاعته وعبادته وورد
في التنزيل لا يأمن مكر الله الاية اى الا القوم الخاسرون اى الذين خسروا انفسهم و
اهليهم يوم القيمة بالكفر والمعصية والطريق الموصل الى تحصيل الخوف شيئان النظر في
صفاته تعالى الجلالية كالقهار والمنتقم والجبار وافعاله في مصنوعاته من معاملاته مع
طوائف الكفار فمن عرف الله حق معرفته حمله معرفته على خشيته لمشاهدة عظمة الله و
عزته وورد في التنزيل انما يخشى الله من عباده العلماء العارفون بصفاته الخائفون
منه بحسب ذاته انا اعلمكم بالله واخشاكم له حديث متفق عليه وذكر الذنوب السابقة
والخضوع المتعلقين به يوم القيمة في الاحوال اللاحقة وشدة العذاب بعد مناقشة

الحساب وضعف النفس عن العقاب والحجاب وما ورد فيه اى فضل الخوف من الكتاب
والسنة واقوال السلف واحوالهم في هذا الباب الكتاب فقوله تعالى هدى ورحمة للذين
هم لربهم يرهبون ورضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه ولمن خاف مقام ربه
جنتان وخافون ان كنتم مؤمنين سيذكر من يخشى وهم من خشيته مشفقون واما السنة
فقوله عم رأس الحكمة مخافة الله رواه البيهقي في شعبه من حديث ابن مسعود وقوله
لعايشة لما قالت يا رسول الله الذين يؤتون ما اتوا وقلوبهم وجلة هو الرجل يسرق ويزني
قال لا بل هو الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف ان لا يقبل منه رواه الترميذي وابن
ماجه والحاكم وقوله عم ما من مؤمن يخرج من عينيه دمعة فان كان مثل رأس الذباب
من خشية الله ثم يصيب شيئا من حر وجهه الا حرمه الله على الله رواه الطبراني والبيهقي
في الشعب من حديث ابن مسعود وقوله اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تحاتت عنه خطا
ياه كما يتحات عن الشجر ورقها رواه الطبراني والبيهقي في شعبه من حديث العباس وقوله لا
يلج النار احد بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع رواه الترميذي وقال حسن صحيح
وقوله لعقبة بن عامر حين سأله ما النجاة يا رسول الله قال امسك عليك لسانك وليسعك
بيتك وابك على خطيئتك وقد تقدم وقوله ما من قطرة احب الى الله من قطرة دمع جرت من
خشية الله او قطرة دم اهريقت في سبيل الله رواه الترميذي من حديث ابي امامة
وحسنه وقوله اللهم ارزقني عينين هطالتين تسقيان بذروف الدمع قبل ان تصير
الدموع دماء والاضراس جمرا رواه ابو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر باسناد حسن
وقوله سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر منهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت
عيناه رواه الشيخان وعن حنظلة قال كنا عند رسول الله عم فوعظنا موعظة رقت
منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فدنت مني المراة و
جرى بيننا من حديث الدنيا فنسيت ما كنا عليه عنده عم واخذنا ثم تذكرت ما كنت فيه
وقلت في نفسي قد نافقت حين تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت
انادي نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر فقال كلا لم تنافق فدخلت على رسول الله صلى الله عم و
انا اقول نافق حنظلة فقال عم كلا لم ينافق حنظلة فقلت يا رسول الله كنت عندك
فوعظتنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى
اهلي فاخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عليه عندك فقال يا حنظلة لو كنتم ابدا على
تلك الحالة لصافحتكم الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة رواه

مسلم

مسلم واما الآثار فقال ابو بكر الصديق رض من استطاع ان يبكي ومن لم يستطع
فليتباك وكانه اخذ من قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ومن قوله يبكون و
ويزيدهم خشوعا ومن قوله افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون ومن
قوله خروا سجدا وبكيا وكان محمد بن المنكدر اذا مسح وجهه ولحيته من دموعه يقول
بلغني ان النار لا تأكل موضعا مسته الدموع وقد تقدم في الحديث ما يشبهه وقال
عبد الله بن عمرو ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم احدكم ما وراءه
لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى ينكسر صلبه وقال سليمان الداراني ما تغرغرت
عين بمائها من خشية الله الا لم يرهق وجه صاحبها قتر ولا ذلة يوم القيمة فان سالت
دموعه انطفأ بها ولقطرة بحار من النيران ولو ان رجلا بكى في امته ما عذبت تلك
الامة وقال كعب الاحبار والذي نفسي بيده لان ابكي من خشية الله حتى تسيل دموعي
وجنتي احب الي من ان اتصدق بجبل الله من ذهب وقال عبد الله بن عمر لان يدمع دمعة
من خشية الله احب الي من ان اتصدق بالف دينار وقال الفضيل من خاف الله تعالى دله
الخوف على كل خير اى حفظه عن كل شر وضر وقال الشبلي خفت الله يوما الا رايت
له بابا من الحكمة والعبرة ما رايت قط وقال ذو النون من خاف الله تعالى ذاب قلبه
واشتد لله حبه وصح له لبه اى عقله وقال ذو النون ينبغي ان يكون الخوف ابلغ
من الرجاء فانه اغلب الرجا تشوش القلب كان ابو الحسن الضرير يقول علامة السعادة
خوف الشقاوة لان الخوف زمام بين الله وبين عبده فاذا انقطع زمامه هلك
مع الهالكين وقيل ليحيى بن معاذ من امن الناس غدا فقال اشدهم خوفا اليوم وقال
سهل لا يجد الخوف حتى يأكل الحلال وقال ابو سليمان الداراني ما فارق الخوف قلبا
الا خرب واختلف في ان الرجا للعبد افضل من الخوف ام الخوف افضل له من الرجاء و
الحق من القول عدم الانفكاك لاحدهما عن الاخر اذ لو عدم احدهما لصار امنا
عند عدم الخوف وقنوطا عند عدم الرجا فان الرجا بلا خوف امن والخوف بلا رجا ياس
وكلاهما ممنوعا بنص القرآن فالحق الاعتدال في غالب الاحوال وايضا فهما متلا
زمان لان كل رجا محبوب فلا بد ان يخاف فوته كما يشير اليه قوله تعالى يدعوننا
رغبا ورهبا ويدعون ربهم خوفا وطمعا نعم يجوز ان يغلب احدهما على الاخر و
ان يجتمعا ويجوز ان يشتغل القلب باحدهما ولا يلتفت الى الاخر في الحالة لغفلة
عنه فشرطهما اى شرط وجودهما عدم القطع في كليهما فالامن والقنوط ينافي

عدم القطع فلا يقال ارجو طلوع الشمس واخاف هجوم الاجل لان امرهما مقطوع
فيه عادة بل يقال انتظر الغروب للشرط وهو عدم القطع نعم يقال ارجو نزول المطر و
اخاف انقطاعه فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على مشكوك يتردد منه المعلوم
لا يرجى ولا يخاف فان المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير
وجوده يروح القلب وهو الرجا وتقدير عدمه يوجع القلب هو الخوف فالتقدير
ان لا محالة يتقابلان نعم احد طرفي الشك قد ترجح بحصول بعض الاسباب ويسمى
ذلك ظنا فيكون ذلك سبب غلبة احدهما على الاخر فاذا اغلب على الظن وجود المحبوب
قوي الرجا وخفي الخوف بالاضافة وكذا بالعكس والرجا افضل من حيث هو هو اي
قطع النظر عن صاحبه انه في اي مقام هو من مقامات المبتدين او المنتهين من المريدين
في طريق المجتهدين او المرادين في امر الدين فهو اي الرجاء طريق المحبة وسبيل المحبين
وهو افضل المقامات واكمل الحالات وورد سبقت رحمتي غضبي وقد تقدم وفيه
تنبيه على انه ينبغي ان يكون الرجا اغلب على الخوف وتوضيحه ان الخوف والرجاء دواان
يتداوى بهما القلوب فتفضلهما بحسب الداء الموجود فان كان الغالب على القلب داء
الامن من مكر الله والاغترار به فالخوف افضل وان كان الاغلب على العبد هو الياس
والقنوط من رحمة الله فالرجا افضل فبهذا الاعتبار رغبت الخوف افضل لان الاغترار
على الخوف اغلب او ان نظر الى مطلع الخوف والرجا فالرجا افضل لانه مستقى من بحر الرحمة
ومستقى الخوف من بحر الغضب ومن لاحظ من صفات الله ما يقتضي اللطف والرحمة كانت
المحبة عليه اغلب وليس وراء المحبة مقام في طلب الرب واما الخوف فمستنده
الالتفات الى الصفات التي تقتضي العنف والنقمة فلا تمازجه المحبة ممازجة الرجاء
وهو اي الرجاء الافضل من الخوف والمفهوم من الاحيا انه الاصلح كما في بعض
النسخ هنا ولعل المصلح والمايكون الرجاء اولى من الخوف اذا امتنعت النفس عن
التوبة لكثرة المعاصي الموجبة للياس والقنوط من الرحمة او اقتصرت النفس على الفرايض
دون الواجبات والسنن المؤكدة او ضعف بالمرض والكبر او اشرف على الموت اي قارب
الموت فان الافضل ح هو الرجا لموت بزيادة وصف الرجاء على المحبة الناشية من
كثرة الرجا والخوف افضل واصلح واولى من الرجاء في مقام الدواء ان غلب التمني و
اعتياد صاحبه المعاصي لقلة خوفه والاعتدال بين الخوف والرجا انسب واقرب ان
اتقى ظاهر الاثم وباطنه اي جليه وخفيه ولذا قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه

لاعتدلا وروي ان عليا رض قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفا ترى انك
لو اتيت بحسنات اهل الارض لم يقبلها منك وارج الله رجاء ترى انك لو اتيته بسيئات
اهل الارض غفرها لك ولا يعرض من الاعراض اي ولا يعدل المتقي المذكور اي عن الاعتدال
بمعارضة كثرة اسباب الرجا من الاعمال فكان عمر رضي الله عنه مع كمال تقواه وكثرة اعماله
لله يقول لو لم يدخل الجنة الا واحد من المؤمنين لرجوت ان اكون اياه اي ذلك الرجل
ولو لم يدخل النار الا واحد من الخلق لخفت ان اكون اياه وهذا عبارة عن غاية الخوف
والرجا واعتدالهما مع الغلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي وفي مثل
عمر رض ينبغي ان يساوي خوفه رجاه فاما العاصي اذا ظن انه ذلك الرجل من دخول
النار كان ذلك دليلا على ما فيه من الاغترار وتقديم الخوف عطف بالمعنى لان الفاء في
قوله فكان عمر لتعليل المبنى في التقدير لانه كان عمر ولتعليل الاحتراز عن المعاصي الباطنية
ويجوز عطفه على قوله بمعارضة فيكون ما بينهما جملة معترضة وفيه جواب السؤال
مقدر وهو ان مثل عمر لم ينبغي ان يساوي خوفه رجاءه بل ينبغي ان يغلب رجاءه
خوفه فاشار الى ان شروط صحة الايمان على وجه الحقيقة من الامور الدقيقة فانه
لا بد للقلب ان يكون نظيفا من الشرك الخفي والنفاق والريا وخبايا الاخلاق الخبيثة
فيه غامضة والافات من الشهوات وزخارف الدنيا وما يتعلق بها من اللذات والشهوات
كثيرة وان سلم القلب في الحال عن هذه الاحوال ربما يلتفت اليها في الاستقبال فان
كان ضعيف القلب جبانا في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما يحكى في احوال
الخائفين من الصحابة والتابعين وان كان قوي القلب ثابت الجاش تام المعرفة استوى
خوفه ورجاؤه فاما ان يغلب رجاه فلا ولقد كان يبالغ في تفتيش قلبه وتقلب
حاله من المناصح كان يقول رحم الله من اهدى الي بعيوب نفسي وكذا يخاف من النفاق
وخصال اهله حتى غاية التقصير اي لانه كان عمر يسأل حذيفة ابن اليمان عن وجود
اثر النفاق فيه اي في عمر اذ كان حذيفة قد خصه عم بعلم المنافقين وكان يسمى
صاحب سر النبي واحتمال زوال الاسباب اي ولاحتمال زوال اسباب الرجاء في المستقبل
من الزمان فورد ان الرجل ليعمل عمل اهل الجنة وفي الاحيا زيادة خمسين سنة حتى
لا يبقى بينه وبين الجنة الا شبر قال في الاحيا وفي رواية الا قدر فواق ناقة ويسبق
عليه الكتاب اي مكتوبا بالازل في علم الله او المكتوب في اللوح المحفوظ او عند
تولده في صحائف الملائكة الموكلة على حفيظه فيختم له بعمل اهل النار فيدخل النار

وكذا فمن يعمل عمل اهل النار والحديث رواه مسلم في حديث ابي هريرة ان الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل اهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل اهل النار وللبزار والطبراني في الاوسط سبعين سنة واسناده حسن وللشيخين في اثناء حديث لابن مسعود ان احدكم ليعمل بعمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع الحديث وليس فيه تحديد من العمل بخمسين سنة ولا ذكر شبه ولا فواق ناقة ثم سوء الخاتمة نعوذ بالله منه اى من سوء الخاتمة وتغير الحالة فمن ذا يقدر على تطهير قلبه من خفاية النفاق والشرك الخفي والرياء في زوايا القلب وان اعتقد نقاء قلبه وصفاء لبه عن مثله فمن يؤمن مكر الله بتلبيس حاله واخفاء عيبه فان وثق به فمن اين يثق ببقائه على ذلك الى تمام حسن الخاتمة الى امتداد سبقه العاقبة فاذن اقصى غايات المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه اما غلبة الرجاء في اكثر الناس فيكون مستنده الاغترار وقلة المعرفة واين مثل عمر حتى يعتدل خوفه ورجاؤه كما هو فالخلق الموجودون في هذا الزمان كلهم الاصلح لهم غلبة الخوف بشرط ان لا يخرجهم الى الياس وترك العمل وقطع الطمع عن المغفرة فيكون ذلك سببا للتكاسل عن العمل وداعيا الى الانهماك في المعاصي وطول الامل فان ذلك قنوط وليس بخوف فهو الذي يحث الطاعات ويكدر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون الى الدنيا وزخارف اللذات ويدعوه الى التجافي عن دار الغرور والامنيات فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف عن والحث على العبادات ودون الياس الموجب للقنوط عن رحمة خالق البريات وقد قال يحيى بن معاذ من عبد الله بمحض الخوف غرق في بحار الافكار ومن عبده بمحض الرجاء تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محجة ذوي الاستبصار وقال مكحول النسفي من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجي ومن عبده بمجرد المحبة فهو زنديق ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد صديق ثم سوء الخاتمة اما بالشك والتردد في قبول الايمان او الجحود اي الانكار بالاصل الايمان ومحض الكفران عند النزع اي نزع الروح وحال سكرات الموت وظهور اهواله الموجبة لتغير احواله فيقبض روحه في حال شك القلب وجحود الرب وذلك يقتضي البعد الابد والعذاب المخلد وذلك الشك والجحود انما يقع لظهور بطلان بدعة كان يعتقدها في ذاته سبحانه او صفاته او افعاله او مصنوعاته او نبائه او في آية من آياته كان يعتقدها اي البدعة تقليدا لمن هذا حاله او تعويلا اي اعتمادا على مجادلة الكلام اي مجادلة الخصام بما يعول عليه من اصول علم الكلام ويتوسل به مما بين الانام فهو اي وقت النزع حالة الانكشاف اي انكشاف كل شيء على ما هو عليه

كما قال تعالى فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فقوله فهو علة الظهور بطلان البدعة واما قوله واعتقاد بطلان من كل ما اعتقده فمبتدأ وقوله او شكه بالجر عطف على بطلان الثاني وقوله لهذا خبر المبتدأ اي اعتقاد بطلان كل المعتقدات الصحيحة او اعتقاد شك كلها لهذا السبب هو ظهور النزع اي صار ظهور سببا لاعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة او سببا لاعتقاد شك للجميع ويجوز كونه قوله او شكه رفعا عطفا على قوله واعتقاد وقيل وهو الارجح يعني اعتقاد بطلان من الجميع السبب او شك الجميع لهذا الباعث والاظهر عندي انه فعل ماض عطفا على اعتقده فتأمل ثم حاصل كلامه انه جواب سؤال مقدر يترتب على قوله لظهور بطلان بدعة وتقرير سؤال فان قلت ظهور بطلانها انما يوجب الشك او الجحود في نفسها فقط دون بقية الاعتقادات الصحيحة وسوء الخاتمة المستلزم خلود النار انما هو باعتقاد بطلان جميع الاعتقادات الصحيحة او الشك فيه فيتصور بسوء الخاتمة بها في بدعة واحدة فاجيب بما تقدم وتوضيحه ان المبتدع مهما كان بطل عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه ثم نطق بنفسه انه اخطأ في هذا الاعتقاد خاصة لا تجاوزه فيه الى رايه الكاسد وعقله الفاسد بل ظن ان كل ما اعتقده لا اصل له اذ لم يكن عنده فرق بين ايمانه بالله وبرسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاداته الفاسدة القبيحة فيكون انكشاف بعض الاعتقادات عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته او باعثا لشكه فيها فاذا اتفق زهوق روحه في هذه الخطرة قبل ان يثبت ويعود الى اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشك والعياذ بالله منه فهؤلاء المرادون بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وورد في التنزيل قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الآية اي الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا و المعاملة اي احسنها لا تنافيه اي ولا تعارض سوء الخاتمة واراد بالمعاملة الورع و الزهد وسائر الاعمال الصالحة فانها لا تكفي لدفع هذا الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله جمع الابله بمعزل عنه اي عن خطر سوء الخاتمة فانهم هم الذين امنوا بالله ورسوله واليوم الآخر ايمانا مجملا راسخا كالاعراب والعوام وسائر العوام الذين لم يخوضوا في البحث والنظر العقلي استدلالا ولم يشرعوا في الكلام استقلالا ولا اصغوا الى اصناف اهل الكلام في تقليد ارائهم المختلفة التي تقتضي ضلالا واضلالا ومن ثم ورد اكثر اهل الجنة البله رواه البزار من حديث انس والزم ما في السلف الكرام

من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور بالتمام وامر الخلق
ان يقتصروا على ان يؤمنوا بما انزل الله جميعه وبكل ما جاء من الظواهر من عنده مع
اعتقاد نفي التشبيه ومنعوهم عن الخوض في التاويل لان الخطر في البحث عن الصفات
عظيم وعقباته كؤودة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله قاصرة وهداية
الله بنور اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون
ببضاعة عقولهم مضطربة متعارضة والقلوب لما القي اليها في ابتداء النشو الفة وبه
متعلقة والتعصبات ثايرة بين الخلق مسامير موكدة للعقايد الموروثة او الماخوذة
بحسن الظن من المعلمين في اول الامر ثم الطباع بحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة
وشهوات الدنيا بمخنقها اخذة وعن تمام التفكر صارفة فاذا فتح باب الكلام بالله
وصفاته بالراي والمعقول ومن تفاوت الناس في قرايحهم واختلافهم في طبايعهم
حرص كل جاهل منهم على ان يدعي الكمال والاحاطة بكنه ذي الجلال انطلقت السنتهم
بما يقع لكل واحد منهم وتعلق ذلك بقلوب المصغين اليهم وتاكيد ذلك بطول
الالف فيهم وانسد بالكلية طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في ان يشتغلوا
بالاعمال الصالحة ولا يتعرض لما هو عن حد طاقتهم ولكن الان قد استرخى العنان
وفشى الهذيان وترك جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد ان ذلك
علم واستيقان وانه صفوا الايمان وعرفان ويظن ان ما قنع به من حدس وتخمين علم
يقين ولتعلق بناه بعد حين كما قيل شعر سوف ترى اذا انجلى الغبار ، افرس تحتك ام حمار
وينشد في حق هؤلاء عند كشف الغطا ، احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ، ولم تخف سوء
ما ياتي به القدر ، وسالمتك الليالي فاغتررت بها ، وعند صفو الليالي يحدث الكدر ،
واعلم يقينا ان كل فارق للايمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث
فقد تعرض لخطر سوء الخاتمة وهذا الخلص من الاجتنا او سوء الخاتمة يقع بجادا ثم
تعالى وهو من اضافة المصدر الى مفعوله لعلمه اي لمعرفة العبد بتعريفه تعالى اياه اي
للعبد من الدنيا وكلام القلب ولتوجه بقوا تها اي بقوتها للدنيا ولذاتها وكان يسولها
عليه اي على قلبه ويضعف ايمانه بالله وبالديه ولا يكون من ذكره تعالى فيه الاحدث
النفس المحضود اليه وهواي والحال ان قلبه اسود من تراكم ظلم الرذايل من سوء الاخلاق
والشمايل فان اتفق زهوق روحه تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة فقد
ختم له بالسوء سرمدا وهلك هلاكا مؤبدا ولا يظلم ربك احدا ورد في التنزيل

فقال

قل ان كان اباؤكم واخوانكم الاية اي وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة
تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيل الله
فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي القوم الفاسقين وسوء الخاتمة يحصل
بامر الدنياوي كان يحبه العبد فاحتجب عنه تعالى شغلا ولذلك القدية اي بامر الدنيوي فيما
اعتاد وترسخ اي ثبت في القلب لا يتبين كما في النوم ويعرف هذا مثال وهو لا يخفى عليك انك
نشاهد في منامه جملة من الاحوال التي عهدها طول عمره حتى انه لا يرى عبالاها يماثل مشاهدة
في اليقظة فان المراهق الذي لم يحتلم لا يرى صورة الوقاع اذا لم يكن قد وقع
في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما روى اي عند الاحتلام صورة الوقاع ثم لا يخفى
ان الذي مضى عمره في التفقه يرى من الاحوال المتعلقة بالعلم والعلماء ما لا يراه
التجار الذي مضى عمره في التجارة والتجار يرى من الاحوال المتعلقة باسباب التجارة اكثر
مما يراه الطبيب والفقيه لانه انما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب
بطول الالف والموت يشبه النوم ولذا قيل الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ولكن الموت
فوق النوم واما سكرات وغشيانه فقريب من النوم فيقتضي ذلك تذكر المالوف فامن
الطاعات او السيات او اللذات والشهوات ومن هنا يخالف منام الصالحين وقد قيل كما
يعيشون يموتون ويحشرون ويشير اليه قوله تعالى كما بداكم تعودون وطول المواظبة على
الخير وتخلية الفكر عن الشر عدة وذخيرة بحالة سكرات الموت وساعة الفوت فانه يموت المرء
على ما عاش عليه ويحشر على ما مات لديه ولذا نقل عن بقال كان يلقن عند الموت كلمة الشهادة
وهو يقول خمسة ستة اربعة زيادة وهو اي الاصحاب المذكور وساير الامور لكثيرة
المعاصي مع قوة الايمان او قلتها مع ضعفه اي لقلة المعاصي مع ضعف الايمان وهذا الحجب المذكور
او القسم المسطور من اقسام سوء الخاتمة لا يوجب الخلود في النار بخلاف الاولين من
اقسام سوء الخاتمة فانهما يوجبان الخلود في دار البوار ومن ثمه اي ومن اجل ان سوء الخاتمة
يتحقق عند النزع يكره النجاة من الموت والبغتة المقتضية لبعض الفوت لجواز اتفاقها
اي اتفاق وقوع النجادة على خاطر سوء يكون سببا لسوء الخاتمة يغبط الشهادة في
حب وتمني كل ولا سيلا وحبه تعالى على القلب واعراضه عن الدنيا واقباله بكليته على
الرب وهو اي هذا المقام لمن يخلص عن النية ولا يقصد الغلبة من اخذ البلاد وقهر الغنا
والغنيمة من الامور لنفسه والحذام الانيسة والصيت بالجاه والريا والسمعة و
العلاج للخلاص عن سوء الخاتمة المعرفة التامة من العلم النافع ولزوم الطاعات من

العمل الصالح وتعجيل التوبة عن المعصية والنوم على الطهارة ظاهرا وهو ظ وبا
طنا بان يكون في قلبه غل وغش لاحد من خلق الله فورد من بات على طهارة ثم مات من
ليلته مات شهيدا رواه ابن الجي عن انس وتنقية القلب بتصفية وتخلية عن حب غير
الرب وتلاوة القرآن غيبا ونظرا مع مراعات المباني وملاحظة المعاني وطلب العلم
النافع من التفسير والحديث والفقه والتصوف فالامر اي امر سوء الخاتمة صعب اي
شديد ومن ثم يروى عن السلف من الصحابة والتابعين كثرة النوح والبكاء مع
زيادة التضرع والدعاء في السراء والضراء فقد قال الحسن البصري يخرج رجل من
النار بعد الف عام ياليتني كنت ذلك الرجل وانما قال ذلك لخوف سوء الخاتمة وقال محمد بن
خولة الحنيفة والله لا ازكي احدا غير رسول الله عم ولا ابي الذي فثارت الشيعة عليه
فجعل يذكر من فضائل الاعمال ومناقبه وورد ان النبي عم وجبريل عم بكيا خوفا من الله
تعالى فاوحى الله تعالى اليهما تبكيان وقد امنتكما فقالا ومن يأمن من مكرك رواه الطبراني
وغيره وكانهما اذ علما ان الله علام الغيوب وانه لا وقوف لهما على غاية الامور لم يأمنا ان
يكون قوله قد آمنتكما ابتلاء لهما وامتحانا ومكرا بهما حتى ان سكن خوفهما ظهر انهما قد امنا
من المكر وما وفيا بقولهما هذا ولولا ان الله لطيف بعباده العارفين اذ روح قلوبهم
بروح الرجاء لاحترقت قلوبهم من نار الخوف فاسباب الرجاء للعارفين رحمة من الله لهم
واسباب الغفلة رحمة على عموم الخلق من وجه وكان ابو الدرداء رض يحلف بالله ما
احد امن على ايمانه ان يسلب عند الموت الا سلبه وكان سهل يقول خوف الصديقين من
سوء الخاتمة عن كل خطرة وكل حركة وهم الذين وصفهم الله اذ قال وقلوبهم وجلة ولما
احتضر سفيان جعل يبكي فقيل يا ابا عبد الله عليك بالرجاء فان عفو الله اعظم من ذنوبك
فقال او على ذنوبي ابكي لو علمت اني اموت على التوحيد لم ابال ان القى الله بامثال الجبال
من الخطايا وفي رواية عنه انه قال بكينا على الذنوب زمانا فالان نبكي على الاسلام وكان
سهل يقول المريد يخاف ان يبتلى بالمعاصي والعارف يخاف ان يبتلى بالكفر وروي عن عيسى عم
انه قال يا معشر الحواريين انتم تخافون المعاصي ونحن معاشر الانبياء نخاف الكفر وفيه
تنبيه على ان خوف الانبياء اقوى وبه اشار حديث انا اخوفكم بالله والمعتقد ان الانبياء
معصومون من الكفر اجماعا بحسب النقل لكنهم كانوا خائفين من جهة تجويز العقل
اذ لا يجب شيء على الله وان فعله اما العدل واما الفضل وقد قيل كان الخليل عم اذا
ذكر خطيئته يغشى عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فياتيه جبريل فيقول له الجبار

يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله فيقول يا جبريل اذا ذكرت خطيئتي نسيت
خلتي وعن الحسن لو علم اني بريء من النفاق كان احب الي مما طلعت عليه الشمس وقد قال ان من النفاق
اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب والمدخل والمخرج ومن الذي يخلص من هذه
المعاني بل صارت هذه الامور مألوفة بين الناس معتادة ونسي كونها منكرا بالكلية بل جرى
ذلك على قرب عهد بزمانه عم فكيف الظن بزماننا هذا حتى قال حذيفة ان كان الرجل ليتكلم
بالكلمة على عهده عليه السلام فيصير بها منافقا اني لاسمعها من احدكم اليوم عشر مرات رواه
احمد وكان الصحابة يقولون انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر كنا نعدها على
عهده عم من الكبائر رواه البخاري وغيره وقال بعضهم علامة النفاق ان تكره من الناس
ما تأتي مثله وان تحب على شيء من الجور وان تبغض على شيء من الحق وقيل من النفاق انه اذا مدح
بشيء ليس فيه اعجبه ذلك وقال رجل لابن عمر انا ندخل على هؤلاء الامراء فنصدقهم بما يقولون فاذا
خرجنا تكلمنا فيهم فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهده عم رواه احمد وسمع رجلا يذم الحجاج
ويقع فيه فقال ارأيت لو كان الحجاج حاضرا اكنت تتكلم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعد هذا
نفاقا على عهده عم واشد من ذلك ما روي ان نفرا قعدوا على باب حذيفة ينتظرونه
فكانوا يتكلمون في شيء من شأنه فلما خرج سكتوا حياء منه فقال تكلموا فيما كنتم تقولون فسكتوا
فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهده عم وكان حذيفة يقول على القلب ساعة يمتلي بالايمان حتى لا يكون
للنفاق فيه مغرز ابرة ويأتي عليه ساعة يمتلي بالنفاق حتى لا يكون للايمان فيه مغرز ابرة و
لعلهم ما عنوا به النفاق الذي هو ضد الايمان بل المراد به ما يجتمع مع اصل الايمان من بعض العصيان
والحاصل ان العارف بين الالتفات الى السابقة والى الخاتمة اللاحقة خائف منهما ولذا قال عم
العبد المؤمن بين مخافتين بين اجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين اجل قد بقي لا يدري
ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب ولا بعد الدنيا من دار الا الجنة او النار
ذكره البيهقي وغيره وقال عيسى عم يا معشر الحواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر
على المشقة ويباعدان من الدنيا وبحق اقول لكم ان اكل الشعير والنوم على المزابل مع الكلاب في طلب
الفردوس قليل ويروى عن الصديق انه قال لطائر ليتني مثلك يا طائر ولم اخلق بشرا وقال ابو ذر
وددت لو اني شجرة تعضد وكذا قال عثمان وددت اني اذا مت لم ابعث وقالت عائشة وددت
اني كنت نسيا منسيا وروي ان عمر كان يسقط من الخوف اذا سمع اية من القرآن مغشيا عليه
وكان يعاد اياما واخذ يوما تبنة من الارض وقال يا ليتني كنت مثل هذه التبنة يا ليتني لم اك
شيئا مذكورا يا ليتني كنت نسيا منسيا يا ليت امي لم تلدني وكان في وجه عمر خطان اسودان

ان من الدموع ولما قرء عمر اذا الشمس كورت فانتهى الى قوله واذا الصحف نشرت خر مغشيا عليه
عليه ومر يوما بدار انسان وهو يصلي سورة والطور فوقف يستمع فلما بلغ قوله تعالى ان عذاب
ربك لواقع ما له من دافع نزل عن حماره واسند الى حايط فمكث زمانا ورجع الى منزله
فمرض شهرا يعوده الناس ولا يدرون مرضه وقال علي رض وقد سلم عن صلوة الصبح وقد علاه
كآبة وهو يقلب يده ولقد رايت اصحابه فلم ار اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون صفرا غبرا
بين اعينهم امثال ركب المعزى قد باتوا سجدا وقياما يتلون كتاب الله يراوحون بين
جباههم واقدامهم فاذا اصبحوا وذكروا الله مادوا كما يميد الشجرة في يوم الريح وهملت
اعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله كاني بالقوم باتوا غافلين يعني من حوله ثم قام
فما روي بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم وقال عمر بن حصين لوددت اني كنت رمادا
ينسفني الرياح في يوم عاصف وقال ابو عبيدة بن الجراح وددت اني كبش فيذبحني اهلي
فياكلون لحمي فيحتسبون مرقي وكان علي بن حسين اذا توضا اصفر لونه فيقول له اهله ما
هذا الذي يعتادك عند الوضوء فيقول اتدرون بين يدي من اريد ان اقوم وقرء مضر
القاري يوما هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق الاية فبكى عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه
وقال وعزتك وجلالك لا عصيتك جهدي ابدا فاعني بتوفيقك على طاعتك وكان المسور بن
مخرمة لا يقوى على ان يسمع القرآن من شدة خوفه ولقد كان يقرء عنده الحرف والاية
فيصيح الصيحة فما يعقل اياما حتى اتى عليه رجل من خثعم فقرء عليه يوم نحشر المتقين الى الرحمن
وفدا ونسوق المجرمين الى جهنم وردا ولست من المتقين اعد على القول ايها القاري فاعاد
عليه فشهق شهقة فلحق بالاخرة ورد ان زرارة بن اوفى صلى بالناس صلوة الغداة
فلما قرء فاذا نقر في الناقور خر مغشيا عليه فحمل ميتا وسئل ابن عمر عن الخائفين فقال
قلوبهم بالخوف قرحة واعينهم باكية يقولون كيف نفرح والموت وراءنا والقبر امامنا
والقيمة من عندنا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي ربنا موقفنا وقال عمر بن عبد العزيز انما
جعل الله الغفلة في قلوب عباده رحمة كيلا يموتوا من خشية الله وقال الفضيل اني لا اغبط
نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا اليس هؤلاء يعاينون يوم القيمة انما اغبط من لم يخلق وروي
ان فتى من الانصار دخلته النار فكان يبكي حتى حبسه ذلك في البيت فجاء عم فدخل البيت
واعتنقه فخر ميتا فقال عم جهزوا ميتكم فان الفرق من النار فتت كبده رواه ابن ابي الدنيا
والبيهقي في الشعب من حديث سهل بن سعد وقال العنبري اجتمع اصحاب الحديث على باب
الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم

بالصلوة

بالصلوة ويحكم ليس هذا زمان حديث انما هذا زمان بكاء وتضرع ودعاء الغريق
انما هذا زمان احفظ لسانك واخف مكانك وعالج قلبك وخذ ما تعرف ودع ما تنكر
وقال رجل للحسن يا ابا سعيد كيف اصبحت فقال بخير فقال كيف حالك فتبسم الحسن فقال
تسالني عن حالي ما ظنك بناس قد ركبوا سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فتعلق
كل انسان بخشبة على اي حال هم قال الرجل على حالة شديدة قال الحسن حالي اشد من
حالهم وعن ابن السماك لقد قطع قلوب الخائفين طول الخلود اما في الجنة او في النار
وقال معاذ بن جبل ان المؤمن لا يسكن روعته حتى يخلف جسر جهنم وراءه وخلاصة الكلام
في هذا المقام ان غلبة الخوف في حال الصحة اصلح ليبعثه على ترك الغفلة والرجا في تلك الحالة
لانه اجلب للمحبة ولذا قال عم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه رواه مسلم
من حديث جابر ومن هنا لما حضر الوفاة سليمان التيمي قال لابنه يا بني بالرخص فاذ
كرلي لرجاء القى الله حسن الظن به وكذلك لما حضرت الوفاة الثوري واشتد جزعه جاء
جميع العلماء حوله يرجونه وقال الامام احمد عند الموت لابنه اذكر لي الاخبار التي فيها الرجا
وحسن الظن والمؤمن ذلك ان يحبب الله الى نفسي وان يموت الى الجنة التي هي مقام انسه
رزقنا الله من فيض قدسه **الباب التاسع عشر في الفقر والزهد** الفقر فخر الانبياء و
خير الاولياء والزهد زاد الاتقياء وقدم الفقر على الزهد بناء على تقدم وجود
اصله في كل المخلوق ونسله كما يشير اليه قوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء والزهد
عارض من جهته عدم ميله الى الغنى المضر بوصوله لنيله بسم الله الرحمن الرحيم افتقر الى غنى
ربي الكريم وازهد عن غير بقاء مولاي العظيم الفقر فقد ما يحتاج اليه في ظن الفاقد
مما لديه اما فقد ما لا حاجة اليه فلا يسمى فقرا وان كان المحتاج اليه موجودا مقدورا
عليه لم يكن المحتاج اليه فقيرا فاذا فهمت هذا لم تشك في ان كل موجود سوى الله
سبحانه فقير لانه محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال ودوام وجوده مستفاد من
فضل الله وجوده وان كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفادا له من غيره
فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل هذا الموجود الا واجبا فليس في الوجود الا غني
واحد وكل ما عداه محتاج اليه في ايجاده وامداده والى هذا الخطر اشير في قوله تعالى
والله الغني وانتم الفقراء وهذا معنى الفقر مطلقا ولكن المراد هنا بيان الفقر من المال
على الخصوص والا فقر العبد بالاضافة الى اصناف حاجاته لا تحصر فان فرح السالك
بالفقر المذكور او بحصول ما يحتاج اليه وكره الزائد على الضرورة فزاهد اي فهو

فهو زاهد وهذه الحالة حال العليا وان لم يكره الزائد على الضرورة كراهة
يتاذى بوصوله ولم يرغب في الزائد على الضرورة رغبة يفرح بحصوله فرضا اى
فاسمه راض ورب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله ولا كراهة في فعل مولاه فتلك
الكراهة التي تحبط ثواب الفقر في عقباه وورد يا معشر الفقراء اى جماعتهم اعطوا
الله الرضاء من قلوبكم واثبوا بفقركم وتتمة الحديث والا فلا رواه الديلمي عن ابي
هريرة ويكاد مفهوم الحديث يشعر بان الحريص لا ثواب له على فقره لكن العمومات الواردة
في فضل الفقر والقناعة والزهد يدل على ان له ثوابا فلعل المراد بعدم الرضاء هو
الكراهة بفعله سبحانه في حبس الدنيا عنه وان ترك الطلب الزائد على الضرورة وهو
قادر على طلبه ولكن تركه مع ان لوجود المال الزائد عنده احب اليه من عدم وجوده لو
غبة له فيه ولكن لم يبلغ من رغبته ان يكون من طلبه بل ان اتاه عفوا صفوا اخذه
وفرح به وان افتقر الى تعب في طلبه لم يشتغل به فقانع اى فيقال له اذ قنع نفسه با
الموجود حتى ترك طلب المفقود مع ما فيه من الرغبة الضعيفة في الوجود وان رغب
في الزائد ووجد سبيلا الى طلبه ولو بالتعب طلبه وتركه للعجز اى وترك الطلب لعجزه
عن طلبه او هو مشغول بالطلب وتعبه فحريص اسمه وان اضطر اليه اى افتقر الى ما يحتاج
اليه وفقده ضرورة عليه كالجائع الفاقد للخبز والعاري الفاقد للثوب فمضطر وصفه
كيفما كانت رغبة في الطلب ضعيفة او قوية وقل ما ينفك صاحب هذه الحالة عن
الرغبة في الجملة والاعلى من الفقر او من الزهد واعلى احوال الحسن تسوية الوجود ای
وجود ما يحتاج اليه من وفقده والعدم اى وفقد ما يحتاج اليه لم يفرح من شانه
ولم يتاذ من اتيانه وان فقده كذلك كحال عايشة رضي اذا اتاها مائة الف درهم
من العطاء فاخذته وفرقته من يومها فقالت لخادمتها لو ابقيت منها درهما تشتري
لنا به لحما نفطر فقالت لو ذكرتني فعلت فمن هذا حاله لو كانت الدنيا بحذافيرها في
يده وخزائنها في تصرفه لم يضره اذ هو يرى الاموال من جملة خزائن الملك المتعال
لا في يد نفسه فلا يفرق بين ان يكون في يده او في يد غيره وقد حملت خزائن الارض
الى رسول الله صلعم والى ابي بكر وعمر رضي فاخذوها ووضعوها في مواضعها ولم
يكن عندهم فرق بين الماء والمال في كل الحال فهو استغناؤه دون الغنى المطلق
لاختصاصه اى الغنى المطلق به اى بالحق تعالى شانه وينبغي ان يسمى صاحبه المستغني
لانه غني عن فقد المال ووجوده جميعا وقد يقال له غني بغنى مولاه لكن ليس الغنى عن

كثرة

كثرة العرض انما الغنى غنى النفس ثم هذا العبد وان استغنى عن المال وجودا وعدما
لم يستغن عن اشياء اخر سواه ولم يستغن عن مدد توفيق الله فغنى استغناؤه الذي
زين الله به قلبه فان القلب للعبد بحب الدنيا رقيق والمستغنى عنه حر والله تعالى هو
اعتقه عن هذا الرق فهو محتاج الى دوام هذا العتق والقلوب متقلبة بين الرق و
الحرية في اوقات متقاربة لانها بين اصبعين من اصابع الرحمن فلذا لم يكن اسم الغنى مطلقا
عليه مع هذا الكمال الا مجازا وهو اى الاستغناء المراد بما ورد من الكتاب والسنة
في فضل الفقر والفقراء كقوله تعالى للفقراء المهاجرين الاية وللفقراء الذين احصروا
الاية ساق الكلام في موض المدح ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار
وكقوله عم لبلال الق الله فقيرا ولا تلقه غنيا رواه الحاكم من حديث بلال والطبراني من
حديث ابي سعيد بلفظ مت فقيرا ولا تمت غنيا وقوله عم يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم
بخمسمائة عام رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وقال حسن صحيح وقوله الفقر زين
بالمؤمن العذار الحسن على خد الفرس رواه الطبراني من حديث شداد بن اوس وقوله
اطلعت في الجنة فرايت اكثر اهلها الفقراء واطلعت في النار فرايت اكثر اهلها الاغنياء
رواه احمد من حديث عبد الله بن عمرو باسناد جيد وللشيخين من حديث اسامة بن
زيد قمت على باب الجنة فاذا عامة من دخلها المساكين واذا اصحاب الجد محبوسون و
قوله تحفة المؤمن في الدنيا الفقر رواه محمد بن حنيف الشيرازي في شرف الفقراء والحكيم
من حديث معاذ بن جبل بسند لا باس به وقوله اخر الانبياء دخولا الجنة سليمان لمكان ملكه
اخر اصحابي دخول الجنة عبد الرحمن بن عوف لاجل غناه وفي رواية رايته دخل الجنة
زحفا وللديلمي عن ابي الدرداء مرفوعا اوحى الله تعالى الى موسى عم اذا رايت الفقر مقبلا
فقل مرحبا بشعار الصالحين واذا رايت الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته وروي
ان عيسى عم مر في سياحته برجل نائم ملتف في عباءته فايقظه وقال يا نائم فاذكر الله تعالى
فقال ما تريد مني اني قد تركت الدنيا لاهلها فقال له فنم اذن حبيبي ثم وقال موسى عم
يا رب من احباؤك من خلقك اجبهم فقال كل فقير فقير فيحتمل ان يكون الثاني تاكيدا وان
يكون المراد شديد الفقر وكان عيسى عم احب الاسامي اليه ان يقال له يا مسكين وللحكيم
الترمذي من حديث انس يقول الله تعالى يوم القيمة ادنوا مني احبائي فيقول الملائكة ومن احبائك
فيقول فقراء المسلمين فيدنون منه فيقول اما اني لم ازو الدنيا عنكم لهوانكم علي
بكم ولكن اردت بذلك ان اضعف لكم كرامتي اليوم فتمنوا علي ما شئتم ولابي نعيم في

الحلية من حديث الحسين بن علي اتخذوا عند الفقراء ايادي فان لهم دولة يوم القيمة وللطبراني
من حديث ابي امامة دخلت الجنة فسمعت حركة امامي فنظرت فاذا بلال فنظرت الى اعلاها فاذا فقراء
امتي واولادهم ونظرت في اسفلها فاذا فيهم الاغنياء والنساء قليل فقلت يا رب ما شانهم قال اما
النساء فاضرهن الاحمران الذهب والحرير واما الاغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتفقدت اصحابي
فلم ار عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عني فقال اما والله يا
رسول الله ما خلصت اليك حتى لقيت المشيبات فظننت اني لا اريك قلت ثم قال كنت احاسب بمالي
ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ الا اخبركم عن ملوك الجنة قالوا بلى يا رسول الله فقال
كل ضعيف مستضعف ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره وللحاكم والترمذي من حديث
عائشة انه عم قال لها ان اردت اللحوق بي فليكفك بعيش الفقراء واياك ومجالسة الاغنياء
ولا تنزعي درعا حتى ترقعيه وعن ابن عباس ملعون من اكرم بالغنى واهان بالفقر وقال
لقمان لابنه لا تحقرن احدا لخلقان ثيابه فان ربك وربه واحد وقال يحيى بن معاذ حبك
للفقراء من اخلاق المرسلين وايثارك لمجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من
علامة المنافقين وقال المؤمل ما رايت الغني اذل منه في مجلس الثوري وللبزار وغيره من
حديث ابن عمر ان لكل شيء مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله
يوم القيمة وفي الصحيحين من حديث ابي هريرة اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا وفي رواية لمسلم
كفافا ولابن ماجه من حديث انس ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي قوتا
وللديلمي يقول الله تعالى يوم القيمة اين صفوتي من خلقي فيقول الملائكة ومن هم يا ربنا فيقول
فقراء المسلمين القانعين بعطائي الراضين بقضائي ادخلوهم الجنة فيدخلونها وياكلون
ويشربون منها والناس في الحسابات يترددون واما ما ورد اعوذ بك من الفقر كالنسائي
من حديث ابي سعيد الخدري انه عم كان يقول اعوذ بالله من الكفر والفقر وفي رواية
الحاكم من الفقر والكفر ونحوه كاد الفقر ان يكون كفرا وقد تقدم فمحمول على الاضطرار بلا
انضمام زهد في الاختيار وهو ان يضطر الى الشيء ويفقده لان هذه الحالة لا شك انها
مشوشة او محمول على فقر القلب فمن ذي المؤمن اقربا الناس الى الكفر ذو فاقة لا صبر له وفي
الجملة كل ما هو شاغل عن المولى فهو مشوم في الدنيا والاخرى فمن هنا ورد بك من شر فتنة
الفقر وشر فتنة الغنى فان الفقر يكون منسيا كما ان الغنى يكون مطغيا هذا وسنذكر فضل
الزهد في محله الاتي واما الاثار في الرضاء والقناعة فكثيرة منها قول عمر رض ان الطمع
فقر واليأس غنى وانه من يأس عما في ايدي الناس قنع بما في يده استغنى عنهم وفي دعائه

اللهم

اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه وقد قيل في القناعة شعر اضرع الى الله لا تضرع الى
الناس واقنع بياس فان العز في الياس واستغن عن كل ذي قربى وذي رحم ان الغني
من استغنى عن الناس وقال ابن مسعود رض ما من يوم الا وملك ينادي من تحت العرش يا ابن
ادم قليل يكفيك خير من كثير يطغيك وقال ابو الدرداء رض ما من احد الا في عقله نقص
وذلك انه اذا اتته الدنيا بالزيادة ظل فرحا مسرورا والليل والنهار دائبين
في هدم عمره ثم لا يحزنه ذلك ويح ابن آدم ما ينفع مال يزيد وعمر ينقص وقيل للحكماء ما الغنى
فقال قلة تمنيك ورضاك بما يكفيك ومر رجل بعامر بن عبد القيس وهو ياكل ملحا
وبقلا فقال له يا ابا عبد الله ارضيت من الدنيا بهذا فقال افلا ادلك على من رضي بشر من
هذا قال بلى قال من رضي بالدنيا عوضا عن العقبى وروي ان الله تعالى قال في بعض الكتب
المنزلة يا ابن ادم لو كانت الدنيا كلها لك لم يكن لك منها الا القوت فاذا انا اعطيتك منها
القوت وجعلت حسابها الى غيرك فانا احسن اليك واختلف ان الفقر مع الصبر افضل من الغنى
مع الشكر ام الغني مع الشكر افضل من الفقر مع الصبر فذهب الجنيد والخواص و
الاكثرون الى فضل الفقر وخالفهم ابن عطا كما تقدم وقد استدل عليه بان الغنى وصف
الحق واجيب بان غناه سبحانه ليس بالاسباب فانقطع ولم ينطق في هذا الباب واجيب ايضا بان
التكبر من صفات الحق فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قيل بل هذا يدل على ان الفقر
افضل لان صفات العبودية افضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي
ان ينازع فيها لما ورد الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني فيهما قصمته وقال سهل
حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيهما لانهما من صفات الله قلت ويشير اليه
قوله تعالى والله الغني وانتم الفقراء ثم التحقيق ان الفقر والغنى اذا اخذ مطلقا لم يشك من
قرى الاخبار والاثار في تفضيل الفقر وانما يتصور التردد في مقامين احدهما فقير صابر
ليس بحريص على الطلب بل هو قانع وراض بالاضافة الى غني منفق ماله في الخيرات ليس حريصا
على امساك المال وثانيهما فقير حريص مع غني حريص اذ لا يخفى ان الفقير القانع افضل من
الغني الحريص والممسك وان الغني المنفق ماله في الخير خير من الفقير الحريص اتفاقا واما
الاول فربما يظن ان الغني افضل من الفقير لانهما تساويا في ضعف الحرص على المال والغني
متقرب بالخيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطا في غالب الظن فاما الغني
متمتع بالمال وان كان في مباح فلا يتصور ان يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما نسي
من سؤال الفقراء عما يوهم ترجيح الاغنياء والحق الاختلاف فيه بحسب الاشخاص بل وتفاوت الاحوال

كما يشير اليه قوله تعالى ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا
بصيرا وفي الحديث القدسي ان من عبادي من لا يصلحه الا الفقر ولو اغنيته لفسد حاله و
ان من عبادي من لا يصلحه الغنى ولو افقرته لفسد حاله وفي دعائه عم اللهم وسع لي
في رزقي عند كبر سني ومن هنا قيل التسليم اسلم ومقام الرضاء اتم والله اعلم ويؤيده قوله
تعالى عسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا
تعلمون فالفضل اي زيادة الفضيلة بقدر الفراغ عن الشواغل اي الموانع عن تحصيل
الفضائل والدنيا انما حذر عنها اي عن حبها للشغل عنه تعالى بسببها وتوضيحه ان ما لا
يراد لعينه بل يراد لغيره فينبغي ان يضاف الى مقصوده اذ به يظهر فضله والدنيا ليست
محذورة لعينها بل لكونها عائقة عن الوصول الى الله ولا الفقر مطلوب لعينه ولكن لان
فيه فقد العائق عن الله سبحانه وكم من فقير شغله الدنيا وجها كبها وصرفه الفقر عن المقصد
كما كثر ابناء الدنيا وكم من غني لم يشغله الدنيا ولو اكثر ماله وجاهه كسليمان عليه السلام
وابراهيم وعبد الرحمن بن عوف وعثمان بن عفان وذلك لان غاية المقصد في الدنيا هو
حب الله والانس به ولا يكون ذلك الا بعد معرفته وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل
كما ان الغنى قد يكون من الشواغل كما يشير اليه قوله عم اعوذ بك من شر فتنة الفقر
وشر فتنة الغنى كما تقدم وانما التشاغل كما يشير اليه قوله عم على تحقيق حب الدنيا اذا
يجتمع معه حب الله كما في المحبة المحب للشيء مشغول به سواء كان في فراقه او في وصاله و
ربما يكون شغله في الفراق اكثر وربما يكون في الوصال اكثر والدنيا معشوقة للغافلين
فالمحروم عنها مشغول بطلبها والقادر عليها والمتمتع بها اما في حق الاكثر فالفقر افضل
اذ هو ابعد عن الخطر في الشغل عن المولى والاستيلاء عن الاستيناس بالدنيا والقدرة
اي وعن القوة على الشهوة اذ فتنة السراء اشد من فتنة الضراء ومن العصمة ان لا تقدر
ولذا قالت الصحابة بلينا بفتنة الضراء فصبرنا وبلينا بفتنة السراء فلم نصبر ومن هنا قال
عيسى عم لا تنظروا الى اموال اهل الدنيا فان بريق اموالهم يذهب بنور ايمانكم وفي الخبر ان
لكل امة عجلا وعجل هذه الامة الدينار والدرهم رواه الديلمي من طريق ابي عبد الرحمن
بن السلمي من حديث حذيفة وكان اصل عجل قوم موسى عم من حلية الذهب والفضة ايضا
فاستواء المال والماء والذهب والحجر انما يتصور للانبياء والاولياء ثم يتم لهم ذلك بعد
فضل الله بطول المجاهدة هنالك اذ كان عم يقول للدنيا اليك عني اذ كانت تتمثل له
بزينتها رواه الحاكم وكان علي يقول يا صفراء غري غيري ويا بيضاء غري غيري وذلك لا

ستشعاره

لاستشعاره في نفسه ظهور مبادي الاغترار بها لولا ان راى برهان ربه الا في المضطر
فليس الفقر افضل في حقه لانه اي المضطر يموت جراء خاليا عن الخير قهرا وقد يكون ذلك الكفر
والواجد بالنصب عطفا على الضمير وبالرفع على انه مبتدأ خبره يحصل المعرفة والجملة حال من
استثناء من المستثنى اي لا المضطر لا يتوب عن المعاصي فالموت خير له اي فالفقر الموجب للموت
خير له اذ يقل معاصيه في الديار ويتخلص هو عن الاثم الاضطرار وكذا في نفس الامر اي كما
ان الفقر افضل في حق الاكثر فكذا هو افضل في نفس الامر ورد اللهم احيني مسكينا وامتني
مسكينا واحشرني في زمرة المساكين رواه الترمذي من حديث انس وحسنه وابن ماجه والحاكم
وصححه من حديث ابي سعيد وفيه مبالغة عظيمة في مدح المساكين حيث لم يقل واحشرهم في
زمرتي وهو وما تواضع منه عم واما اراد بهم الانبياء المرسلين لان غالبهم كانوا فقراء و
مساكين وفي رواية للترمذي زيادة يوم القيمة فقالت عائشة لم يا رسول الله قال
انهم يدخلون الجنة قبل اغنيائهم باربعين خريفا بلغ عني خطاب منه عم لمن جاء برسالة الفقراء
من اصحابه الكرام والمعنى اجر عن قبل الفقراء تسلية لهم حيث ما جعلوا اغنياء ان لمن صبر على الفقر
واحتسب اي طلب من الله الاجر منكم ومن امثالكم ثلث خصال خاصة لكم ليست للاغنياء واحدة
منها فضلا عن جميعها اما الخصلة الواحدة فان في الجنة غرفا اي قصورا عالية ينظر
اليها اهل الجنة الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن فقير وهو
من لا يكون صاحب قضايا والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم وهو
خمسمائة عام وهذه الجملة رواه الترمذي من حديث ابي هريرة وصححه والثالثة اذا
قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الغني با
الفقير وان انفق معها عشرة الاف درهم وكذلك اعمال البر كلها المنفيا متعلق ببلغ عني اي قال
النبي عم لمن جاء برسالة الفقراء ان الاغنياء يحوزون فيح ان وكثرها يحجون ويعتمرون و
يتصدقون بفضول اموالهم ونحن عاجزون عن ذلك في تمامه احوالهم وفي الاخبار وفي
الخبر ان الفقراء شكوا الى رسول الله سبق الاغنياء بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم
كلمات في التسبيح وذكر لهم انهم ينالون بها فوق ما نال الاغنياء فعلم الاغنياء بذلك فكانوا
يقولون فعادوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبروه فقال عم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
قال مخرجه متفق عليه من حديث ابي نحوه وقال في الاحياء ايضا وقد استشهد ابن عطاء
بهذا ايضا قال وفيه نظر لان الخبر قد ورد مفصلا وتفصيله يدل على خلاف ذلك
وهو ان ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الغني وان فوزهم بذلك الثواب هو فضل الله

يؤتيه من يشاء فقد روى زيد بن اسلم عن انس قال بعث الفقراء رسولا الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني رسول الفقراء اليك فقال مرحبا بك وبمن جئت
من عندهم جئت من عند قوم احبهم الله قال قالوا يا رسول الله ان الاغنياء ذهبوا
بالجنة يحجون ولا نقدر عليه ويعتمرون ولا نقدر عليه واذا مرضوا بعثوا بفضل
اموالهم ذخيرة لهم فقال عليه السلام بلغ عني الفقراء الحديث قال المخرج لم اجده هكذا بهذا السياق
والموقوف وفي هذا المعنى ما رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر اشتكى فقراء المهاجرين الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضل الله به عليهم اغنياءهم فقال يا معشر الفقراء الا ابشركم ان
فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام ولان عطف
على ما ورد فهو دليل ثان على ان الفقراء افضل في نفس الامر وذلك لان الغنى سبب طول
الحساب وهو نوع من العذاب ولذا قال ابو الدرداء رضي الله عنه ما احب ان لي حانوتا على باب
المسجد ولا يخطئني صلوة ولا ذكر واربح كل يوم اربعين دينارا واتصدق بها في سبيل
الله قيل وما يكره قال سوء الحساب ومن هنا قال شقيق اختار الفقراء ثلثة اشياء
راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء ثلثة اشياء تعب النفس
وشغل القلب وشدة الحساب والزور اي وسبب طول الزور في الامور الموجبة للحجاب
فقد قال بعض السلف مثل من تعبد وهو طالب للدنيا كمثل من يطفئ النار بالحلفاء ومثل
من يغسل يده من الغمر بالسمك وقال ابو سليمان الداراني تنفس فقير في شهوة لا يقدر
عليها افضل عبادة غني الف عام وعن الضحاك قال دخل السوق فرأى شيئا يشتهيه
فصبر واحتسب كان خيرا له من الف دينار ينفقها كلها في سبيل الله عز وجل وقال رجل
لبشر بن الحارث ادع الله لي فقد اضر بي العيال فقال اذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق
ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فان دعاءك افضل من دعائي وكان يقول مثل
الغني المتعبد مثل روضة على مزبلة ومثل الفقراء المتعبد مثل عقد الجوهر على جيد الحسناء
وقد كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الاغنياء فان عورض ما ذكر من ادلة تفضيل الفقر
على الغنى صفته تعالى والتخلق باخلاقه مندوب اليه كما ورد تخلقوا باخلاق الله وبان
الغني قادر على العبادات المالية من الزكوة والحج والعمرة دون الفقير اي بخلافه لم
يعترض اي لم يقبل اعتراضه في الامرين فيهما لف ونشر مرتب قوله لان الغنى بالاسباب
والاعراض الواقعة من غير الاكتساب ليس من خلقه اي صفته تعالى كالكبر بهما دون استحقاق
للغنى والكبرياء ولذلك لان الله تعالى غني بذاته انما يتصور ذاته والتكبر لا يليق بالعبد لانه

من خاصة

من خاصة صفات الالوهية بذاته كما اوضحناه فيما تقدم والعبادة اي ولان العبادة المالية
انما توجب الثواب في العقبى لترك الدنيا للاشتغال بخدمة المولى كالمثوبة في الدنيا
المثوبة في الاخرى لترك الدنيا اي لمخالفة المولى فلو فضل الغني على الفقير بهذا الاعتبار لفضل
العاصي على المتقي اي المطيع من الابرار وهو لا يصح عند اولي الاستبصار وحقه اي حق الفقير
الواجب عليه عشرون حقا ان لا يكرهه اي الفقر من حيث انه فعله تعالى شرعا وان كان كارها
للفقر طبعا كالمحجوم بل ربما يتقلد منه تعالى تقلد المحجوم اي يتقلده المنة من الحاجم ثم عدم
الكراهة من هذه الحيثية واجب ونقيضه حرام ويحبط ثواب الفقر وهذا معنى قوله والا
يأثم اي وان لم يحبه من حيث انه فعله تعالى يأثم لعدم الرضاء بالقضاء وهو واجب على العبد
شرعا وان كان الفقر مكروها عنده طبعا وارفع من هذا المقام ان لا يكون كارها للفقر بل
يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوائل الغنى ويكون متوكلا في
باطنه على الله تعالى واثقا به في قدر ضرورته انه يأتيه الرزق لا محالة عند المولى ويكون
كارها للزيادة على الكفاف وقد قال علي رضي الله عنه ان لله عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر
فمن علامات الفقراء اذا كان مثوبة ان يحسن عليه خلقه ويطيع به ربه ولا يشكو حاله ويشكر
الله تعالى على فقره ومن علامته اذا كان عقوبة ان يسوء عليه خلقه ويعصي ربه ويكثر الشكاية
والتسخط بالقضاء وهذا ادب باطنه مع ربه ويستر اي وحق الفقير في ادب ظاهره ان
يستر امره ويكتم فقره ويستر ايضا ستره فقد قال بعضهم ستر الفقر من كنوز البر وروي من كنوز
البر كتمان المصائب بالتجمل اي باظهار الجمال كانه صاحب المال كما قال صاحب هذا الحال شعر واذا
تصبك خصاصة فتجمل وقال سفيان افضل الاعمال التجمل عند شدة الاحوال والتعفف
عن السؤال واظهار الحال وقد وصف الله تعالى اصحاب الصفة من كمل الرجال بقوله يحسبهم
الجاهل اغنياء من التعفف اي اظهار العصمة حال المحنة فورد ان الله تعالى يحب الفقير
المتعفف ابا العيال رواه ابن ماجه من حديث عمران بن حصين ولا يتواضع اي وحق الفقير
ان لا يتواضع لغني بالمال للغناء اي لاجل ماله من المال المستغني عن طلب الكمال من العلم
والاعمال فورد فيه اي في ذمه من تواضع لغني لاجل غناه ذهب ثلثا دينه رواه البيهقي
وغيره وروى الديلمي من حديث ابي ذر بلفظ لعن الله فقيرا تواضع لغني لاجل ماله من فعل ذلك
منهم فقد ذهب ثلثا دينه انتهى وذلك لان آلة العبادة قلبه ولسانه وجوارحه وفي تعظيم
الغني لابد من استعمال اثنين اللسان والجوارح وفيه تنبيه على ان لو عظمه بقلبه ذهب
كل دينه بل حق الفقير ان يترفع عليه اي على الغني استغناء برب الغني المغني فورد ان اي التكبر

على الغني المتكبر صدقة اي ثوابه صدقة او صدقة من صدقات الفقير لعل صدقة
باب الغني وفي رواية تدمع التأني فانه صدقة وعن علي رضه ما احسن تواضع الغني
للفقير رغبة في ثواب الله واحسن منه تيه الفقير على الغني ثقة بالله فهذه رتبة واقل
منها لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم لان ذلك مبادي الطمع قال الثوري اذ
اخالط الفقير الاغنياء ورغب في مجالستهم فاعلم انه مراء واذا خالط السلطان فاعلم
انه لص وقال بعض العارفين اذا مال الفقير الى الاغنياء انحلت عروته واذا طمع
فيهم انقطعت عصمته واذا اسكن اليهم ضل سعيه ولحنه ولا يتوانى اي وحقه
ان لا يفتر عن الطاعة ولا يتكاسل في العبادة بسبب فقره وقلته صبره ويتصدق
بالفاضل اي وحقه ان لا يمنع ما يفضل عنه من حاجته كطعام يقيم صلبه وثوب يواري
عورته ويدفع عنه حره وبرده وبيت يكنه ويستره فان ذلك جهد المقل وفضله
اكثر من اموال كثيرة تبذل ظهر غنى فورد فيه اي في حقه ان درهما من الفقير افضل
من مائة الف اي مائة الف درهم من الغني وفي رواية سبق درهم مائة الف درهم و
عن ابي هريرة قال عم درهم من الصدقة افضل عند الله من مائة الف قيل وكيف يا رسول الله
قال اخرج رجل من عرض ماله مائة درهم فتصدق بها واخرج رجل درهما من
درهمين لا يملك غيرهما طيبة به نفسه فصار صاحب الدرهم افضل من صاحب المائة
الالف رواه النسائي اويستقرض اي وحقه ان يستقرض من تحسينا للظن به تعالى
انه يقضيه من خزائن كرمه وجوده لا تعويلا اي اعتمادا على السلطان الظالم ولعونه
وجنوده فيقضي دينه بنفسه ان وجد حلالا لا بغيره والا اي وان لم يجد حلالا
فلا يأخذه فانه ح يقضيه تعالى في الدارين ويرضي الخصماء في العقبى اما بفضله او
بعدله بان يعطي الخصم منزلة يرضى بها عن حقه ويكشف الحال اي وان يظهره
ولا يخفيه عن المقرض لان لا يدخل تحت وعيد من غشنا فليس منا فلا يخدع اي و
ان لا يخدع المقرض بالمواعيد الكاذبة ويجب القضاء اي قضاء دين الفقير حيث
صرفه في الطاعات من بيت المال الموضوع لمهمات المسلمين من الصلات والصدقات
والزكوة ولا يسأل اي وحقه ان لا يسأل عن الناس اصلا فهو اي السؤال عن
الخلق في الاصل اي اصل وضع الشرع حرام وانما يحل بعوارض فترخص من
ضرورة او حاجة مهمة قريبة من الضرورة فان كان عنها بد فحرام قد اغنى الاصل
فيه التحريم لثلثة امور محرمة لتضمنه الشكاية منه تعالى اذ السؤال اظهار للفقر

وفقد المال

وفقد المال وذكر للمقصود نعمة الله عنهم في الحال وهو عين الشكوى عن المولى ومن
كما ان عبد المملوك اذا سأل غير سيده كان سؤاله تشنيعا على مالكه فكذا سؤال العبد
تشنيع على ربه تعالى وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا الضرورة كما يحل الميتة الا الضرورة
واذلال النفس اي ولتضمنه اهانة النفس المؤمنة لغيره سبحانه وقد قيل السؤال
ذل ولو ابن الطريق وورد لا يحل المؤمن ان يذل نفسه يعني لغير الله بل عليه ان يذل
نفسه لمولاه فان فيه العزة والجاه فقد قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
فاما من الخلق فانهم عباد امثاله فلا ينبغي ان يذل لهم الا لضرورة في احواله ففي السؤال
ذل السائل بالاضافة الى المسؤل ومن دعاء الامام احمد اللهم كما صنت وجهي عن
سجود غيرك فصن وجهي من مسئلة غيرك وايذاء المسؤل اي ولتضمنه ايذاءه غالبا اذ
ربما لا تسمح نفسه بالبذل عن طيب قلبه فربما يعطي حياء من السائل او رياء اذا كان السؤال
في المحافل فهو حرام على الآخذ وان منع ربما استحى وتأذى في نفسه بالمنع اذ يرى
نفسه في صورة البخلاء ففي البذل نقصان ماله وفي المنع نقصان ماله وفي المنع
نقصان جاهه وكلاهما موذيان والسائل هو السبب في الايذاء والايذاء حرام الا لضرورة
فورد في كون السؤال في الاصل حرام ما اخرج من الفواحش غير مسئلة الناس ولفظ الاحياء
مسئلة الناس ومن الفواحش غيرها قال مخرجه لم اجد له اصلا انتهى وقد ورد
من سأل عن غنى فانما يستكثر من جمر جهنم ومن سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيمة ووجهه عظم
يتقعقع ليس عليه لحم رواه ابو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنظلية ولمسلم من
حديث ابي هريرة من سأل الناس اموالهم تكثرا فانما يسأل جمرا وللشيخين من حديث ابن عمر ما
يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيمة وليس في وجهه مزعة لحم ولاصحاب السنن من حديث
ابن مسعود من سأل وله ما يغنيه كانت مسئلته خدوشا او كدوحا في وجهه ولمسلم من حديث
عوف بن مالك الاشجعي انه عم بايع قوما على الاسلام فاشترط عليهم السمع والطاعة ثم
قال كلمة خفية ولا تسألوا الناس شيئا ولقد كان بعضهم يقع السوط من يده فينزل من
فرسه ويتناوله ولا يقول لاحد ناولنيه وللنبي وغيره من حديث ابي سعيد الخدري من
من سألنا اعطيناه ومن استغنى اغناه الله ومن لم يسألنا فهو احب الينا للبزار والطبراني من
حديث ابن عباس استغنوا عن الناس ولو بشوص السواك واسناده صحيح وفي رواية فتعففوا
ولو بحزم الحطب فهذه الاحاديث صريحة في تحريم السؤال الا للفقير قال في الاحياء ونقيده
غيرنا اذ ليس لنا موضع التقدير بل يستدرك ذلك بالتوقيف والتقدير دون ورد في الحديث

استغنوا يغنى الله تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غداء يوم وعشاء ليلة كذا في الا
حيا قال المخرج هو من حديث سهل بن الحنظلية قالوا ما يغنيه قال قدر ما يغديه او يعشيه
ولاحمد من حديث علي باسناد حسن قالوا وما ظهر غنى قال عشاء ليلة وهذا هو المختار
من مذهبنا الحنفية وفي حديث اخر من سال وله خمسون درهما او عدلها من الذهب فقد
سال الحافا وفي لفظ اخر اربعون درهما ولعل هذه الاحاديث محمولة احتياج السائل
بغير الاكل من الثياب والبيت ونحوهما من ضروريات معيشة وقيل يجوز للسائل السؤال بقدر
معيشة سنته لا سيما اذا كان معيلا او لا يعطي العطاء الا في وقت واحد والله سبحانه
اعلم الا اي وحقه ان يسال احدا الا لضرورة لم يتمكن فتقتله او تمرضه اي تجعله مريضا او
تجعله عريانا ونحوها فالسؤال حينئذ مرخص فيه لكن لمن عجز عن الكسب بحرفة ونحوها او الواثق في
وقته في طلب العلم الشرعي من الامر الاصلي والفرعي لا لمن استغرق في طلب العبادة فان
نفع هذا قاصر ونفع ذاك متعد ولان زيادة العبادة نافلة وزيادة العلم
فريضة او تعلل اي لو لم يتعب بسبب الكسب ضعف عن الطاعة وفيه اي وفي حصول التعب
الترك للسؤال اولى مع جواز السؤال وفي الجملة ورد ما يدل على الرخصة في السؤال
حيث قال عليه السلام للسائل حق وان جاء على فرس رواه ابو داود من حديث الحسين بن علي ولابي
داود الترمذي وقال حسن صحيح ردوا السائل ولو بظلف محرق وقد سئل ثلثة من
الانبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام وروي ان بعضهم راى
بالحسين النوري يمد يده ويسئل الناس في بعض المواطن قال فاستعظمت ذلك واستقبحته
له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا يعظم هذا عليك فان النوري لم يسال الناس الا ليعطيهم
انما سالهم ليثيبهم في الاخرة فيؤجرون من حيث لا يضرهم ثم قال قال الجنيد هات الميزان فوزن
مائة درهم ثم قبض قبضة والقاها على المائة ثم قال احملها اليه ففعلت فجئت بالصرة الى
النوري فقال هات الميزان فوزن مائة وقال ردها عليه وقال قل له انا لا اقبل منك
شيئا واخذ ما زاد على المائة قال فزاد تعجبي فسالته فقال الجنيد رجل حكيم يريد ان ياخذ
الحبل بطرفيه وزن المائة لنفسه طلبا لثواب الاخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن
لله عز وجل فاخذت ما كان لله ورددت ما جعله لنفسه قال فرددتها الى الجنيد
فبكى وقال اخذ ماله ورد ما لنا الله المستعان فانظر الان كيف صفت قلوبهم واحوالهم
وكيف خلصت لله اعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير مناطقة با
للسان ولكن بتشاهد القلوب وتناجي الاسرار وذلك نتيجة اكل الحلال وخلو القلب عن

حب الدنيا

حب الدنيا والاقبال على المولى بكنه الهمة ويجتنب اي وحقه ان يجتنب عن الشكاية من
الله في سؤاله فيقول كانما الحالة اني مستغن بالقلب عن السؤال ثقة بالله الملك المتعال
لكن النفس تريد الشهوة فتوقعني في السؤال وعن الاذلال اي ويجتنب عن التذلل في
السؤال فيجتنب اجتنابا كليا عن ارباب الاموال فيسال القويا اي ذا قرابة حميما من اهل الكمال من
وصفه انه لا ينقصه ذلك في عينه ولا يزدريه بسبب فقره وكذا حكم صديقه فكان ابراهيم
النخعي يسال اصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه ويعرض عليه غير المائتين فلا ياخذه او كريما من ذوي
الجمال من انه لا يمن على السائل بالعطاء والنوال بل يقبل المنة للسائل عليه في اخذ ماله ولو با
لسؤال الخفي قال بشر الحافي ما سالت احدا قط شيئا الا سري السقطي لانه قد صح عندي زهده
في الدنيا فهو يفرح بخروج الشيء من يده ويتبرم ببقائه عنده فكنت عونا له على ما يحب
وعن الايذاء اي ويجتنب عن ايذاء المسؤول فلا يسال في الجمع ولا عن الرد والمنع وان لم يكن في
الجمع فيحرم ما اخذ ان اعطى المسؤول حياء منه اي من السائل او من حاضر كالماخوذ عنفا
غصبا اذ لا فصل بين الاخذ لضرب بعصا او بسوط الحياء بل ضرب الباطن اشد نكاية على العقلاء
والفارق بين عطائه لله او حياء من الخلق القرائن الموجودة في تلك الحال وفتوى القلب
الخالي عن الميل الى المال وسبيل الخلاص عن الايذاء ان يبلغ الكلام تعريضا في الصحبة بحيث
لا يقدم على البذل الا متبرع لصدق الرغبة وان لا يعين مخصا بالسؤال لئلا يشوش له
البال ويشكره اي وحق الفقير ان يشكر الله سبحانه بعد القبض اي اخذ العطاء بثلثة من الا
الاشياء بالاشتغال بالطاعة قولا وفعلا مثل ان يقول الحمد لله لو يعطي دكفيني الله تعالى
والانفاق فيها اي ويصرف العطاء المولى فيها اي الانفاق في الطاعة الاحب لا الافضل من غيره
المستفاد من قوله او في المباح ينفق مثل فضول الحلال ومعرفة فضل الغير اي وبمعرفة
الثمرة لترك التواضع المفرط للمعطي وشكر المعطي اي وثنائه لجزائه بكونه سببا في عطائه
فورد من لم يشكر الناس لم يشكر الله رواه احمد والترمذي وحسنه عن ابي سعيد وذلك
لانه في رؤية النعمة من الله اما اذا غفل عن الله في اخذ العطاء واثنى على المخلوق وشكره
بالثناء والدعاء فلا يكون شكره حينئذ شكر الله ويدعو له اي وحقه ان يدعو بالخير للمعطي
فيقول طهر الله قلبك في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار او يقول بارك الله لك فيما
اعطيت فورد من اسدى اي اوصل اليكم معروفا اي احسانا فكافئوه اي جازوه بمثله لقوله تعالى
هل جزاء الاحسان الا الاحسان فان لم تستطيعوا على المكافات في العطاء فادعوا له بما ظهر دالثنا
واسرار الدعاء فللترمذي والنسائي وابن حبان عن اسامة من صنع اليه معروف فقال لفاعله

جزاك الله خيرا فقد ابلغ في الثناء وللترمذي عن ابن عباس من اسدى الى قوم نعمة فلم
يشكروها فدعا عليهم استجيب له ولابن عساكر عن علي رض من صنع الى احد من اهل بيتي يدا كافيته
عليها يوم القيمة ولا يستصغر اي وحقه ان لا يستحقر العطاء ولا يترك الدعاء والثناء لحديث
من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر رواه عبد الله بن احمد في
زوائد المسند عن عثمان بن بشير ولا يتزعزع اي وان لا يجزع بالمنع والضر والنفع بيد الله
سبحانه فورد لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت وفي الحكم لابن عطاء الله فمنعك فاعطاك
وقال تعالى كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا وما
منع عبد عن باب الا وفتح له عن ابواب ويحترز اي وحقه ان يحترز عن الشبهة اي تناولها
فورد في التنزيل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث اي من الشدايد الدنيوية
والاخروية ويجعل له من كل ضيق فرجا ومن كل عسر يسرا ويرزقه من حيث لا يحتسب
رزقا حلالا طيبا من غير حساب ولا يأخذ اي وان لا يقبل اكثر من قوت يوم وليلة ان كان
من الاقوياء فهو اي اخذ قوت اليوم العزيمة التي يأخذ بها الانبياء والاولياء والرخصة للضعفاء
ومن له العيال والنساء قوت سنة اي مجرد سبب لدخل وهو ما يدل على الانسان من ضيعته وزراعته
بعدها اي بعد تمام سنة وكان عليه السلام لا يأخذ اي لا يدخل للعيال اكثر منه اي من قوت
سنة بل يؤثر شيئا منه اي من قوت سنة للفقراء حتى ينتهي اي يفرغ ما يدخره قبل مع السنة
وهو اي ادخار قوت السنة الوسط اي الافضل المتوسط بين الحالات المرضي من الروايات فورد في
اربعين يوما او خمسين يوما في مدة جواز الادخار واو للشك او التنويع ونصاب الزكوة
وهو عشرون دينارا او اربعمائة درهم وقيمة الضيعة اي المزرعة فيستغني طول عمره وفي
معناها قيمة البيوت والحوانيت المستغلة الفوائد الغلة او البضاعة اي قدر راس التجارة المحتمل
للغنى بسبب الربح الكافي للمعيشة فيتجر بها ويستغني عن غيرها في الاحيان ان في الادخار ثلث
درجات احديها ان لا يدخر الا اليوم وليلة وهي درجة الصديقين وثانيتها ان يدخر
اربعين يوما فانما زاد عليه دخل في طول الامل وقد فهم العلماء ذلك من ميعاد الله
لموسى عم ففهم من الرخصة في امل الحيوة اربعين يوما وهذه درجة المتقين وثالثتها
ان يدخر لسنة وهي اقصى المراتب وهي رتبة الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو
داخل في عموم العموم خارج عن حيز الخصوص بالكلية فغني الصالح الضعيف
لطمانينة قلبه في قوت سنة وغني الخصوص في اربعين يوما وغني خصوص الخصوص في يوم
وليلة وقد قسم النبي عم لنسائه مثل هذه الاقسام فبعضهن كان يعطيها قوت سنة عند

خصول

خصول ما يحصل وبعضهن قوت اربعين يوما وبعضهن يوما وليلة منهن عائشة
وحفصة وقد سكت عند تخريجه ويستر اي وحقه ان يستر السؤال او اخذ السؤال ولكنه
فيسأل في الخلوة دون الملاء تحاميا عن هتك المروة اي تحفظا عن خرق الفتوة فانها
تقتضي عدم السؤال في حال يوجب الايذاء او مروة المسؤل ان رده السائل مع الفتوة
والقوة وكشف الحاجة وتحاميا عن اظهار الفقر والفاقة وقد تقدم ان من كنوز البر
كتمان الفقر والحسد اي وعن اظهار دلائل من الحسد والغيبة بالطعن عليه في الغيبة وسوء
الظن به في كونه غنيا وبطر الفقر الذي يقتضي خلقا دنيا وهذه كلها من الكبائر فصيانتهم
عن هذه الجرائم اولى واذا انما يحصل بستر السؤال والاخذ كما لا يخفى وعن اعلان عبادة
المعطي فان الاخفاء افضل في الصدقة لقوله تعالى ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوا
ها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم وفي ستر السؤال اعانة للمعطي على اسرار العمل واخفائه الذي
هو الاكمل والاعانة على اتمام المعروف اكمل وعن اعلان مذلة النفس المؤمنة
فهو احترز عن غير الضرورة وشبهة الشركة اي وتحاميا عنها فورد من اهدي اليه هدية وعنده
قوم او واحد فهم شركاؤه فيها والمراد بهم هم الذين يداومون مجلسه ويتكفلون بايه
ويتفقدون اموره لا كل من كان جالسا في ذلك الوقت عنده كذا في اصول الترمذي
والحديث رواه الطبراني من حديث حسن بن علي بلفظ جلساؤه شركاؤه فيها علقه البخاري
بصيغة تمريض قال السيوطي واخرجه العقيلي من حديث عائشة انتهى واما حديث الهدية لمن حضر
فلا اصل له ويعرف من سبق سؤاله واخذه تحاميا عن هتك ستر المروة الى اخره بكراهة
ظهور اخذ غيره كاخذه اي ككراهة ظهور اخذ نفسه فورد لا يؤمن احدكم حتى يحب
لاخيه ما يحب لنفسه ويكره لاخيه ما يكره لنفسه ويظهر اي وحقه ان يظهر السؤال
واخذ النوال قصدا لاخلاص في نصحه والمعنى ان من ترك السؤل في الملاء لئلا يعيب
الخلق عليه في الخلاء فهذا نوع من الرياء فينصح له ان يظهر اخذ العطاء ليتخلص من شائبة
الرياء واسقاط الجاه اي ولا اسقاط المنزلة عند ارباب الدنيا وهضم النفس اي في
لرياضتها في طريق المولى النافعة له في العقبى واداء الشكر اي ولاداء لنعمة الفقر
فورد في التنزيل لبيان مدح اظهاره واما بنعمة ربك فحدث ولبيان ذم اسراره و
يكتمون ما اتاهم الله من فضله وهذا انما يصح لمن يتلذذ بالفقر والبلاء كما يتلذذ
غيره بالسعة والغنا يكون ممن يقتدى به الصلحاء ويتفق على فضله العلماء فيظهر الشكر
على الفقر ليعلم ان يوجب فضيلة الفقر المقرون بالشكر ويعرف من يظهر السؤال قصد الاداء

الشكر في نعمة الغنى بارادة ظهور عطائه السابق له اى المعطى كعطاء المظهر له بل يجاري
العطاء على وجه الاسرار ويقبله على طريق الاظهار عكس فعل بعض الابرار واما ان يبلغ
حدا يستوى فيه السر والعلانية في حقه فكبريت احمر اى فهو كبريت احمر عزيز الوجود في دار
الشهود بل كعنقاء المغرب يسمع له ولا يرى له جسم ويترك اى وحقه ان يترك ما اى
سؤال ما اخذ ما يدخل فيه اى عطائه السمعة والريا وكذا المنة والايذاء تحاميا عن
الاعانة على الاثم قال تعالى وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان
وكان سفيان الثوري يرد ما يعطي ويقول لو علمت انهم لا يذكرون ذلك افتخارا به
لاخذت وعوتب بعضهم وفي رده ما كان يأتيه من صلة فقال انما ارد صلتهم اشفاقا
عليهم ونصحا لهم لانهم لا يذكرون ذلك ويحبون ان يعلم بهم فتذهب اموالهم ويحبط
اجورهم وتفسد احوالهم والاولى ان لا يأخذ للحاجة اليه فيما لا بد منه وهو منصرف في
حديث رواه الترمذي وصححه عن عثمان مرفوعا لا حق لابن ادم الا في ثلث جلف
الخبز والماء وثوب يواري وبيت اى يسكنه وبكنه فما اد فهو حق فوق ما المعطي
من سعة في ماله يا عظم اجرا من الاخذ اذا كان الاخذ محتاجا اليه رواه الطبراني من
حديث ابن عمر او التوزيق اى ولا يأخذ الا لاجل تفريقه على الفقراء المحرومين من جيرانه الا
غنياء فيجد في التوزيق ولا يمهل تحاميا عن الانس بالدنيا فلا يدخرها فان امساكه ولو
ليلة واحدة فيه اختبار وفتنة وربما يعلق في قلبه فيمسكه ولاحمد من حديث عائشة
بسند حسن انه قال في مرضه الذي توفي فيه يا عائشة ما فعلت الذهب فجاءت ما بين الخمسة
الى الثمانية الى التسعة فجعل يقلبها بيده ويقول ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه
عنده انفقيها وفي رواية سبعة او تسعة دنانير وله من حديث ام سلمة باسناد صحيح
دخل عليه السلام وهو ساهم الوجه اى متغيرة قال فحسبت ذلك من وجع فقلت يا نبي
ما لك ساهم الوجه فقال من اجل الدنانير السبعة التي اتتنا امس مسينا وهو في خصم الفراش
وفي رواية امسينا ولم ننفقها او الاخذ او لا يأخذ لاجل اخذه في الملاء والرد في الخلاء
فهو اقرب الى السلامة من السمعة والرياء ومن مخالطة الاغنياء وما يحصل لهم من الايذاء ولما
ان اخذه في الملاء ورده في الخلاء فهو مقام الصديقين من الاولياء وهذا ارشاق على
النفس لا يطيقه الا اطمانت نفسه بالرياضة هذا ويجوز له ان يترك ولا يأخذ اليصرفه
صاحبه الى من هو احوج اليه منه او يأخذ العطاء ويوصله الى من هو احوج اليه من الفقراء
فيفعل كلا منهما في السر او كلا منهما في الملاء ويختار التطوع اى وحقه ان يختار اخذ صدقة

الطوع

التطوع على الواجب من الزكوة والفطرة ان شك الفقير في شرايط الواجب اى في وجودها
شرايط اخذ الزكوة الواجبة هل مستحق للزكوة ام لا فان اشتبه الامر عليه فهو محل الشبهة
او علم الفقير انه اى الغني لا يتصدق بالتطوع على غيره ان لم يأخذ الفقير بعينه وقصد الفقير
التوسيع على الفقراء بايثار مال زكوة الاغنياء فانه يحتاج اخذه فانه محض الخير ونفع
الغير او الواجب اى يختار اخذ صدقة الواجب ان قصد الاعانة على داء الواجب وقضائه
او قصد موافقة الفقراء ومرافقة الضعفاء او حض النفس اى رياضة في مقام الابتلاء
فامثاله اى امثال ما ذكر يختلف باختلاف النية اى نيات الصلحاء وجاءت الى فتح الموصلي
مرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطا عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من غير
مسالة فرده فانما يرده على الله تعالى ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سائرها وكان الحسن
يروي هذا الحديث ايضا ولكن حمل اليه رجل كيسا ورزقة من دقيق فرد ذلك وقال من جلس
مجلسي هذا فعل من الناس مثل هذا لقي الله عز وجل يوم يلقاه وليس له وهذا يدل على ان العالم
والواعظ اشد في قبول العطاء وكان الحسن يقبل من اصحابه كذا في الاحياء وقال الحريري حديث عطاء
مرسلا وكذا ولاحمد وابي يعلى والطبراني باسناد جيد من حديث خالد بن عدي الجهني من بلغه
عن اخيه معروف من غير مسالة ولا اشراف نفس فليقبله ولا يرده فانما هو رزق ساقه الله
تعالى اليه وجاء خراساني بمال الى الجنيد وساله ان يأخذه ويأكله فقال افرقه على الفقراء فقال
ما اريد هذا ومتى اعيش حتى اكل هذا فقال ما اريد ان تنفقه في الخل والبقل بل في الحلوى
والطيبات فقبل ذلك منه فقال الخراساني ما اجد بغداد امن على منك فقال الجنيد ولا ينبغي
ان يقبل الا من مثلك وقيل من اعطي ولم يأخذ سال ولم يعط قال العلماء يخاف في الرد مع
الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع او دخول في شبهة او غيره وفي الاحياء قال بعض العلماء و
رد بمكة كانت عندي دراهم اعددتها للانفاق في سبيل الله فسمعت فقيرا وقد فرغ من
طوافه وهو يقول بصوت خفي جايع كما ترى عريان كما ترى فما ترى فيما ترى يا من يرى ولا يرى
ري فنظرت فاذا عليه خلقان لا تكاد تواريه فقلت في نفسي لا اجد لدراهمي احسن من هذا
فحملتها اليه فنظر اليها ثم اخذ منها خمسة دراهم فقال اربعة ثمن ميزرين ودرهم انفقه
ثلثا فلا حاجة لي الى الباقي فرده قال فرايت الليلة الثانية وعليه ميزران جديدان فتجسس
في نفسي منه شيئا فالتفت الي واخذ بيدي فاطاف معه اسبوعا كل شوط منها في جوهر من

من معادن الارض تخشخش تحت اقدامنا الى الكعبين منها ذهب وفضة وياقوت و
جوهر ولم يظهر للناس فقال هذا كله اعطانيه فزهدت فيه واخذ من ايدي الخلق
لان هذه اثقال وفتنة وذلك للعبد فيه رحمة ونعمة والمراد ان الزيادة على الحاجة انما
نيل وفتنة لينظر الله اليك ما تعمل فيه وقدر الحاجة يأتيك رزقا بك فلا تغفل عن الفرق
بين الرفق والابتلاء فقال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن
عملا وعن موسى عم انه قال يا رب جعلت رزقي هكذا على ايدي بني اسرائيل يغديني يوما
ويعشيني هذا ليلة فاوحى الله تعالى اليه هكذا اصنع باوليائي اجري ارزاقهم على ايدي
البطالين من عبادي ليوجروا فيهم فلا ينبغي ان يرى المعطي الا من حيث انه مستحق ماجور
وقيل في تفسير قوله تعالى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما
اتيه الله معناه ليبع احد ثوبيه وقيل للمستقرض بجاهه فذلك مما اتيه الله وقال بعضهم
لله عباد ينفقون على قدر دنياهم ولله عباد ينفقون على قدر حسن ظنهم بربهم
وقلق بعضهم فاوحى بماله لثلث طوايف الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل
من هؤلاء فقال اما الاقوياء فهم اهل التوكل على الله واما الاسخياء فهم اهل حسن الظن
بالله واما الاغنياء فهم اهل الانقطاع الى الله وكان شقيق رح يقول الفقراء ثلثة
فقير لا يسأل وان اعطي لا يأخذ فذا مع الروحانيين وفقير لا يسأل وان اعطي اخذ
فهذا مع المقربين في جنات الفردوس وفقير يسأل عند الفاقة فهذا مع الصادقين
من اصحاب وقال ابراهيم بن ادهم لشقيق البلخي حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء
من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال
فقد اثنى عليهم غاية الثناء فقال ابراهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال له شقيق
وكيف الفقراء عندكم يا ابا اسحق فقال الفقراء عندنا ان منعوا شكروا وان اعطوا
اثروا وقبل راسه قال صدقت يا استاذ ثم الزهد عرفا في الغالب ميله وانصرافه
عن الدنيا الى الاخرة طوعا اي اختيارا وجعله طاعة فالزهد عبارة عن انصراف الرغبة
عن الشيء الى ما هو خير له منه ومنه قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا
فيه من الزاهدين اي باعوه طمعا في ان يخلو لهم وجه ابيهم وكان ذلك احب عندهم
من يوسف فاذن كل من باع الدنيا بالاخرة فهو زاهد في الدنيا وكل بائع الاخرة

بالدنيا

بالدنيا فهو ايضا زاهد في الاخرة لكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن يزهد
في الدنيا كما يخصص اسم الالحاد بمن يميل الى الباطل واسم الحنيف بمن يميل الى الحق و
ان كان كل بمعنى الميل في وضع اللسان فالذي يرغب عن كل ما سواه حتى الفردوس فهو
الزاهد المطلق والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك الحظوظ
في الاخرة بل طمع في الحور والقصور والانهار والاثمار فهو ايضا زاهد لكن دون
الاول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون
الجاه او بالعكس او يترك التوسع في الاكل ولا يترك التجمل في الزينة فلا يستحق اسم الزهد
مطلقا ودرجته في الزاهدين درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وقد
تقدم الخلاف في صحة التوبة لكن لا خلاف في صحة الزهد عن البعض ثم الزهد عبارة عن
ترك المباحات ومن ترك المحظورات لا يسمى زاهدا ويشترط في المرغوب عنه ان يكون مقدورا
عليه ولذا قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها اما
انا ففيما ذا زهدت وقال ابن ابي ليلى لابن شبرمة الا ترى الى هذا ابن الحائك لا نفتي في مسئلة الا
رد علينا يعني ابا حنيفة فقال ابن شبرمة لا ادري هو ابن الحائك او ما هو ولكن اعلم ان الدنيا غدت
اليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها انتهى فمن ان ما عند الله باق وان الاخرة خير وابقى عزب قلبه
عن الدنيا الى العقبى مع القدرة على تحصيل مراتب الغنى والى هذا الشرط اشارة بقوله طوعا ولا يعبأ
بالبداي ولا يعتبر بتصرف المال وتوسع الجاه وجودا وعدما وقلة وكثرة اذا حصل الزهد
فيها الوجود هذا اي الدنيا جاها وملكا لسليمان عم مع انه كان زاهدا في الدنيا وراغبا في
العقبى كسائر الانبياء والاولياء وكون عيسى عم اي والكون الخلي دون نبينا صلى الله عم مع انه
اي نبينا افضل وزهده اتم واكمل على انه لا يبدع ان يوجد في المفضول بعض ما لا يوجد في
الافضل فتامل ولعل الحكمة اختيار عيسى عم المبالغة في الزهد فانه مسلك اهل الترهب واما
نبينا عم فلما كان رحمة الله لكافة الانام اختار طريقا يسع جميع امته ان يتبعوه ولانه صاحب
الحنيفية السمحة وليس في دينه من حرج ولكونه مظهر المرتبة الجمع بين الصفات الجلالية والنعوت
الجمالية كما يشير اليه قوله اشبع يوما فاشكر واجوع يوما فاصبر مع ان الزهد عند المحققين هو
ترك ما يشغلك عن المولى وزاد العقبى ثم كل مؤمن يعلم ان الاخرة خير وابقى لكن قد لا يقدر
على ترك الدنيا اما لضعف علمه ويقينه بالمال واما لاستيلاء الشهوة عليه في الحال واما
واما لاغتراره في الاستقبال بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم الى ان يختطفه الموت
ولا يبقى معه الا حسرة بعد الفوت والى تعريف خساسة الدنيا اشار بقوله تعالى قل متاع الدنيا

قليل والى تعريف نفاسة الاخرة قوله وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن امن
واما قول ابن مسعود ما عرفت ان فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى منكم من يريد الدنيا ومنكم
من يريد الاخرة فرواه البيهقي في دلائل النبوة باسناد حسن فكمل على ان منهم من يريد الدنيا
ليصرف في طريق العقبى ومنكم من يريد الاخرة ويترك الدنيا بالكلية رضاء للمولى وعلاه بما قال
عيسى عم يا طالب الدنيا لتبر تركك للدنيا ابر وهو اى الزهد يثمر خمسة اشياء المكاشفة لاحوال
الاخرة كما سبق في حديثي النجاشي وحارثة رض اما حديث النجاشي فهو انه سئل رسول الله عم
عن معنى الشرح في قوله تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام فقيل له ما هذا
الشرح فقال ان النور اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل يا رسول الله
هل لذلك من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل نزوله رواه الحاكم واما حديث حارثة فهو انه لما قال لرسول الله صلى الله عم انا
مؤمن حقا قال وما حقيقة ايمانك قال عرفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي ذهبها وحجرها
وكاني بالجنة عن يميني والنار عن يساري وكاني بعرش ربي بارزا فقال له عم عرفت فالزم
عبد نور الله قلبه بالايمان رواه البزار من حديث انس رض والطبراني من حديث الحارث
بن مالك والفراغ ويثمر الزهد فراغ خاطر ارباب الارادة للعبادة التي هي سلوك سبيل
السعادة فورد من احب اخرته اضر بدنياه تمامه ومن احب دنياه اضر باخرته فاثروا ما
يبقى على ما يفنى رواه احمد والطبراني من حديث ابي موسى وتعظيم قدرها اى ويثمر تعظيم
مقدار العبادة فورد ركعتان من عالم زاهد خير من عبادة المتعبدين الى اخر الدهر
اجر له اصلا بهذا السياق وانما هو عن ابن مسعود موقوفا وللشيرازي في الالقاب
عن علي مرفوعا ركعة من عالم بالله خير من الف ركعة من متجاهل بالله وللديلمي عن انس
ركعتان من رجل ورع افضل من الف ركعة من مخلط ولابن النجار عن محمد بن علي
مرسلا ركعتان من عالم افضل من سبعين ركعة من غير عالم وقد صح لفقيه واحد اشد
على الشيطان من الف عابد ومحبته تعالى اى ويثمرها الزهد في الجنة فقد ورد ان اردت
ان يحبك الله فازهد في الدنيا رواه ابن ماجه من حديث سهل بن سعد وقد تقدم حديث
ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما ايدي الناس يحبك الناس ومعرفته اى ويثمرها
في الجنة فقد ورد اذا رايتم العبد اعطي صمتا وزهدا في الدنيا فاقربوا عنه فانه
يلقى الحكمة رواه ابن ماجه من حديث ابي خالد وقد قال تعالى ومن يؤت الحكمة فقد اوتي
خيرا كثيرا ولذا قيل من زهد في الدنيا اربعين يوما اجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها

لسانا

لسانا كذا في الاحياء وقد يوجد معناه من حديث من اخلص لله اربعين يوما ظهرت ينابيع
الحكمة من قلبه على لسانه رواه ابو نعيم من حديث ابو ايوب رض ومن المعلوم انه لا يكون
العبد عابدا مخلصا الا اذا كان زاهدا وفي الجنة ايضا من زهد في الدنيا ادخل الله
الحكمة قلبه وانطلق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها سالما الى
دار السلام رواه ابن ابي الدنيا من حديث صفوان بن سليم مرسلا ولابن عدي من
حديث ابي موسى من زهد في الدنيا اربعين يوما واخلص فيها العبادة اجرى الله ينابيع
الحكمة من قلبه على لسانه فهما اى المحبة والمعرفة اللذان يثمرهما الزهد لا يحصلان الا بدوام
الذكر اى ذكر المولى والفكر لزوم العقبى الممتنعين مع الشغل بالدنيا وقد قال تعالى اولئك
يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا اى على الزهد في الدنيا كما جاء في التفسير وقد قال تعالى انا
جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا قيل معناه ايهم ازهد فيها وقال
تعالى من كان يريد حرث الاخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وما له
في الاخرة من نصيب قال تعالى لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحيوة الدنيا
لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى وللطبراني من حديث ابن مسعود بسند حسن من اشرب
قلبه حب الدنيا التاط منها اى ابتلاه بثلث شقاء لا ينفض عناؤه وحرص لا يبلغ غناه
وامل لا يبلغ انتهاءه وللديلمي من حديث علي بن ابي طلحة مرسلا لا يستكمل عبد الايمان حتى
يكون قلة الشيء احب اليه من كثرته وله من حديث انس زهده في الدنيا بصره بعيوب نفسه
ورفقه في الدنيا وعن عيسى عم الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها ولابن حبان من حديث
علي من اشتاق الى الجنة سارع الى الخيرات ومن خاف من النار لها عن الشهوات ومن ترقب
الموت ترك اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات وجاء في الاثار لا تزال لا اله الا
الله تدفع عن العبادة وسخط الله عز وجل ما لم يبالوا ما نقص من دنياهم وفي لفظ ما لم
يؤثروا صفقة دنياهم على دينهم فاذا فعلوا ذلك وقالوا لا اله الا الله قال الله تعالى كذبتم
لستم بها صادقين وعن بعض الصحابة قال تابعنا الاعمال كلها فلم نر في امر الاخرة ابلغ من
زهد في الدنيا وقال بعض الصحابة لصدر التابعين انتم اكثر اعمالا واجتهادا من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قيل ولم ذلك قال كانوا ازهد في الدنيا
منكم وقال عمر رض الزهادة في الدنيا راحة القلب والجسد وقال ابن مسعود كفى به ذنبا ان
الله تعالى زهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال رجل لسفيان اشتهي ان ارى عالما زاهدا
فقال ويحك تلك ضالة لا توجد وقال يوسف بن اسباط اني لاشتهي من الله ثلث خصال ان

اموت حين اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون علي دين ولا يكون على عظمي لحم فاعطي ذلك كله
ويروى ان بعض الخلفاء ارسل الى الفقهاء والجوائز فقبلوها وارسل الى الفضيل بعشرة الاف
درهم فلم يقبلها فقال بنوه قد قبل الفقهاء وانت ترد وانت حالتك فبكى الفضيل فقال اتدرون
ما مثلي كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها فلما هرمت ذبحوها لكي ينتفعوا بجلدها
وكذلك انتم اردتم ذبحي على كبر سني موتوا يا اهلي جوعا خير لكم من ان تذبحوا فضيلا
ثم الادنى من مراتب الزهد باعتبار نفسه اي نفس الزهد وذاته مع النظر عن حكمه وما منه و
فيه كما سيأتي ان يجاهد فيه اي يحصل الزهد لميل النفس الى الدنيا والتفاتها اليها ولكنه
يجاهدها ويكفها عنها وهو تزهد وهو مبدء الزهد في حق من يصل الى درجة الزهد با
الكسب والجهد ثم الاعلى منه ان ينفر طبعه عنها اي عن الدنيا لعدم ميل نفسه اليها فهو
فهو زاهد فالمتزهد في الدنيا يذيب اولا نفسه في الطاعة ثم كيسه والزاهد يذيب اولا
كيسه ثم يذيب نفسه في الطاعة لا في الصبر على ما دقه والمتزهد على خطر لانه ربما تغلبه
نفسه وتجذبه شهوته فيعود الى الدنيا والى الاستراحة بها في قليلها او كثيرها ثم الاعلى منه
عدم الميل اليها وعدم النفر عنها وذلك بان يترك الدنيا طوعا لاستحقاره اياها بالاضافة
الى طمع فيه غيرها خير منها ولكن هذا الزاهد يرى لا محالة زهده ويلتفت اليه فيكاد يكون
معجبا بنفسه وبزهده ويظن بنفسه انه ترك شيئا له قدر لما هو اعظم قدرا منه وهذا
ايضا نقصان عند من له عرفان ويعرف صاحب هذا المقام بتسوية سرقة حاله وما لغيره
لعدم ميله الى كل منهما ولقوله عم لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه بل ربما يهون
عليه سرقة مال نفسه دون سرقة مال غيره ثم الاعلى عدم الاختيار بزهده لغنائه في الله
وبقائه فقد انطوى في نظره وجود كل شيء فضلا عن زهده وهي المرتبة العلياء
بان يزهد في الدنيا طوعا ويزهد في زهده ايضا فلا يرى زهده اصلا اذ لا
يرى انه ترك شيئا ما اذ عرف ان الدنيا لا شيء وسببه كمال المعرفة ومثل هذا الزاهد
امن من خطر الالتفات الى الدنيا ومن هنا قال ابو يزيد لابي موسى عبد الرحيم في اي شيء
تتكلم قال في الزهد قال في اي شيء قال في الدنيا فنفض يده وقال ظننت انك تتكلم في
شيء الدنيا لا شيء اي شيء تزهد فيها فاذن لا يلتفت الزاهد الى زهده الا اذا التفت
اليها زاهد فيه ولا يلتفت الى ما زهد فيه الا لانه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا
معتدا به العقد الى معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة وباعتبار ما منه اي ولاد
في الزهد باعتبار ما منه الزهد ان يكون زهده للنجاة من خوف النار وما فيها من انواع

العقاب

العقاب ثم الاعلى ان يكون زهده من اجل الرجاء الى الجنة وما فيها من انواع الثواب وانما
يكون اعلى مما قبله لاقتضائه المحبة اي زيادتها والمحبة اعلى المقامات كما سيأتي في خاتمة
الكتاب ثم الاعلى ان يكون زهده من دفع الالتفات لخواطره الى ما سواه تعالى فلا يكون رغبة
الا في الله وفي لقائه ورضائه ولا يلتفت قلبه الى الالام ليقصد الخلاص منها والى اللذات
ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق الهم بالله تعالى وهو الذي يصحح وهم هم واحد و
هو الواحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله فقد عبده سواء وجده او فقده وهذا زهد المحبين
وهم العارفون لانه لا يحب الله تعالى خاصة الا من عرفه ولا يظن ان اهل الجنة عند النظر الى
وجهه الكريم يبقى للذة الحور والقصور وسائر النعيم المقيم متسع في قلوبهم بل تلك اللذة
بالاضافة الى نعيم الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على اطراف الارض ورقاب الخلق
بالاضافة الى لذة الاستيلاء على عصفور واللعب به فالطالبون لنعيم الجنة عند اهل المعرفة
كالصبي الطالب للعصفور والتارك للذة الملك وذلك لقصوره عن ادراك لذة الملك لا
لان اللعب بالعصفور في نفسه اعلى والذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق ومن
هنا روي اكثر اهل الجنة البله وعليون لاولي الالباب وباعتبار ما فيه اي ادنى الزهد باعتبار
ما فيه الزهد ان يكون زهده في بعض الدنيا كالمال دون الجاه او عكسه وهو كالتوبة عن بعض
الذنوب قد اختلف في صحتها لكن الصحيح اعتبارها في الجملة على ما تقدم بخلاف الزهد فانه لا
خلاف في صحة بعضه ثم الاعلى ان يكون زهده في كلها اي في جميع الدنيا مالها وجاهها ثم
الاعلى وهي المرتبة العليا ان يكون زهده فيما سواه تعالى حتى يزهد في نفسه ايضا وقد ذكر
الله تعالى في اية واحدة سبعة مما فيه الزهد فقال زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين
والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع
الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب ثم اجمله في اية اخرى ورده الى خمسة فقال اعلموا انما
الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد الى انه
قال وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور ثم رده الى اثنين فقال المال والبنون زينة الحيوة
الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا وقال في موضع اخر انما الحيوة
الدنيا لعب ولهو ثم رد الكل الى واحد في موضع اخر فقال ونهى النفس عن الهوى فان
الجنة هي المأوى فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا والحاصل ان الزهد
عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء
في الدنيا واذا رغب عنها لم يردها ولذا لما كتب عليهم القتال قالوا ربنا لم كتبت علينا

القتال لولا اخرتنا الى اجل قريب فقال تعالى قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى اى
لستم تريدون البقاء الا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وفضح المنافقون
اما الزاهدون والمحبون فى الله تعالى فقاتلوا فى سبيل الله كانهم بنيان مرصوص وانتظروا احدى
الحسنيين وكانوا اذا دعوا الى القتال يستنشقون رايحة الجنة ويبادرون اليه مبادرة
الظمان الى الماء البارد حرصا على نصرة دين الله او نيل رتبة الشهادة وكان من مات منهم
على فراشه يتحسر على فوت سعادة الشهادة حتى ان خالد بن الوليد رضه لما احتضر للموت على فراشه
كان يقول كم غررت روحى وهجمت على الصفوف طمعا فى الشهادة والان اموت موت العجائز فلما عد
على جسده غاغائنه تعجب من اثار الجراحات واما المنافقون ففروا منها خوفا من الموت فقيل
لهم ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم الاية واجمع ما قيل فى حد الزهد قول ابى
سليمان الدارانى قد سمعنا فى الزهد كلاما كثيرا والزهد عندنا ترك كل شىء يشغلك عن الله
عز وجل ابو سليمان قوله تعالى الا من اتى الله بقلب سليم فقال هو القلب الذى ليس فيه غير الله وقال
انما زهدوا فى الدنيا ليفرغوا قلوبهم من همومها للاخرة باعتبار الحكم اى الزهد الادنى باعتبار
الحكم الزهد الفرض يجب على السالك ان يزهد فيه وهو اى الزهد الفرض ان يكون زاهدا فى الحرام
وهو لابد منه لكمال الاسلام وجمال الاحكام ثم السنة اى الزهد الذى يسن للمريد ان يزهد
فيه وهو اى الزهد السنة ان يكون زاهدا فى الشبهة ثم الزهد النفل المندوب المستحب وهو
اى الزهد النفل ان يكون زاهدا فى المباح وقال قوم الزهد فى الحلال لا فى الشبهة والحرام
فليس فى ذلك مزيد تجافى شىء ثم رد وانه لم يبق حلال فى اموال الدنيا فلا يتصور الزهد الان
ويؤيده قول الحسن رايت سبعين بدريا كانوا فيما احل الله لهم ازهد منكم فيما حرم الله عليكم
وفى خبر اخر كانوا بالبلاء اشد فرحا منكم بالرخاء وكان احدهم يعرض المال الحلال فلا ياخذه
يقول اخاف ان يفسد على قلبى فمن كان له قلب لا محالة يخاف على افساده والذين قد مات
حب الدنيا قلوبهم فقد اخبر الله عنهم اذ قال ورضوا بالحيوة الدنيا واطمانوا بها والذين
هم عن اياتنا غافلون وقال تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره
فرطا وقال تعالى فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم
فاحال ذلك كله على الغفلة وعدم المعرفة فان قلت مهما كان الصحيح ان الزهد ترك ما سوى
الله فكيف يتصور مع الاكل والشرب ومخالطة الناس ومكالمتهم فكل ذلك اشتغال بما سوى
فاعلم ان معنى الانصراف عن الدنيا الى الله هو الاقبال بالقلب على المولى ذكرا وفكرا ولا يتصور
ذلك الا مع البقاء ولا بقاء الا بضرورات النفس فمهما اقتصرت فى الدنيا على دفع المهلكات عن

البدن

وكان غرضه الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشتغلا بغير الله فان ما لا يتوصل
الى الشىء فهو منه كذا فى الاحياء قد يقال المراد بالاشتغال بالى ان يكون بالقلب دون
القالب فان الواصلين الى مقام الحضور لا يشغلهم شىء من الامور فقلبهم لا يغفل عن الله
ولو كانوا فى الزهد والمجاهدة كما يشير اليه قوله تعالى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر
الله الاية كما ان قلب اهل الدنيا لا يغفل عن دنياهم ولو كان قالبهم فى المسجد والطاعة والتزام
ونحوها بل اهل القلوب لكمال ذكرهم وفكرهم لو ارادوا ان يغفلوا قلبهم ساعة لم يقدروا
على ذلك كما ان اهل الغفلة لو اجتهدوا قلبهم ساعة عجزوا هنالك بل العارفون عدوا
الغفلة كفرا وارتدادا كما يشير اليه العارف لو خطرت فى سواك ارادة على
خاطرى سهوا حكمت بردتى فالحاضرون على الدوام هم الانبياء والاولياء من اتباعهم
الكرام والغافلون الكاملون هم الكافرون المشهودون بالانعام واما المخلطون فهم
فى احوالهم مختلفون فتارة يحضرون واخرى يغفلون وهم الذين قال تعالى فيهم واخرون
اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا واخر سيئا الاية ويخرج السالك عنه اى عن الزهد
ويدخل فى حب الدنيا خمسة اشياء القصد الى الكسب ان كان القصد لذة اى لشهوة النفس
بالمكسوب دون المعنة بخلاف ما اذا كان القصد من الكسب الاستعداد والاستعانة على
العبادة التى هو المندوب والمطلوب وهذا محمل قول ابو سليمان الدارانى من تزوج او سافر
فى طلب المعيشة او كتب الحديث فقد ركن الى الدنيا وذلك لانه نقل عنه ايضا انه قال كل ما
شغلك عن الله من مال او ولد فهو عليك شوم والادخار يخرج السالك عن الزهد ايضا
ان زاد الادخار على قوة السنة الرخصة فى السنة الا لمن لا يكتسب ولا يقدر على الكسب لعدم حرفة
او لاشتغاله بتحصيل وجود معرفة ولا ياخذ من الايدى مع هذه الحالة ايضا فانه لا يخرج
الادخار عن الزهد وان كان زائدا على قوت السنة كداود الطائى وهو ملك عشرين دينارا
ورثها من ابيه فقنع بها عشرين سنة ثم اعلم انه قد يظن ان تارك المال زاهد وليس كذلك فان
ترك المال واظهار الخشونة سهل على من احب المدح بالزهد بل لا بد من الزهد فى المال والجاه
جميعا فى مقام الكمال هذا وقوم يظهرون الزهد بالتقشف واخرون بالتكلف وعن الخواص
قوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يموهون بذلك على الناس ليهدى اليهم مثل لباسهم
مثل ولئلا ينظر اليهم بالعين التى ينظر بها الى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما يعطى المساكين ويحتجون
لانفسهم باتباع العلم وانهم على السنة وان الاشياء داخلة عليهم وهم خارجون منها وان ما
ياخذون بعلة غيرهم هذا اذا طولبوا بالحقايق والجئوا الى المضايق وكل هؤلاء اكلة الدنيا

بالذين لم يعبأوا او لم يصفوا اسرارهم ولا هذبوا اخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فعلتهم
فادعوها حالا لهم فهم مايلون الى الدنيا متبعون الهوى فهذا كله كلام الخواص فاذا معرفة
الزهد مشكل حتى على الزاهد نفسه فينبغي ان لا يتقيد بلبس خاص موافقا للسنة وان يجود
في باطنه على ثلث علامات الاولى ان لا يفرح بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال تعالى لكيلا تأسوا
سوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتيكم اى لا تحزنوا حزن فوت ولا تفرحوا فرح بطر والا فلا يخلو
نزهاء النفس باعتبار اصل الطبع ثم الكمال ان يحزن بوجود المال ويفرح بفقده لانه سبب
وجود محبة الحال والثانية ان يستوى عنده ذامه ومادحه بل ينبغي ان يفرح بذمه ويحزن
بمدحه والثالثة ان يكون انسه بالله ونسيانا عما سوى الله ولذا قيل لبعضهم الى ما ذا افضى
بهم الزهد فقال الى الانس بالله واما الانس بالدنيا وبالله فلا يجتمعان كالماء والهواء في القدح
فالماء اذا دخل خرج الهواء وقد قال اهل المعرفة اذا تعلق الايمان بظاهر القلب احب الدنيا
والاخرة جميعا وعمل لهما واذا تعلق الايمان بسويداء القلب باشرة ببغض الدنيا ولم ينظر
اليها ولم يعمل لها ولهذا ورد في دعاء ادم عم اللهم اني اسئلك ايمانا تباشر قلبي وقال ابو
سليمان من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العابدين ومن شغل
بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين وقال سرى لا يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل
بنفسه وقال النصراباذى الزاهد غريب في الدنيا والعارف في الاخرة وقال يحيى بن معاذ
الزاهد يسعطك الخل والخردل والعارف يشمك المسك والعنبر ثم لا يستدل بامساكه
قليلا من المال على فقد زهده في مقام الكمال كالداود الطائي هذا والزهد في الدنيا
عدم محبتها وقد قال الفضيل جعل الله الشر في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله
في بيت وجعل مفتاحه الزهد فيها والتغذى لنان الحجير اى الاكل من بر اى دقيق حنطة
منخول بحرجه من الزهد ايضا والمواظبة على الادام بخرجه ايضا منه وكون اتخاذ ثوبين
كقميصين واناثين اى متاعين من امتعة البيت كصحنين وابريقين احدهما زايد عن استعماله
وجنس رفيع اى مستحسن ولذيذ من الادام والثوب والاولى في مقام الاعلى عدم التقيد
بالادنى والاعلى كما كان طريق المصطفى فقد قال يحيى بن معاذ الرازى الزاهد الصادق
قوته ما وجد ولبسه ما ستر ومسكنه حيث ادركه الدنيا سجنه والقبر مضجعه والخلوة
مجلسه والاعتبار فكرته والقران حديثه والرب انيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه
والحزن شعاره والحياء دثاره والجوع ادامه والحكمة كلامه والتراب فراشه والتقوى
زاده والصمت غنيمته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفته

والجنة مبلغه ان شاء الله وجده ثم اعلم ان المهمات الضرورية في الامور الدنيوية ستة
المطعم والملبس والمسكن والاثاث والمنكح وما يكون وسيلة الى هذه الخمسة المطعم فلا
بد للانسان من قوة حلال يقيم صلبه اقل مقداره لقيمات كاورد في خبره واقل جنسه
ما يقوته ولو خبز نخالة واوسطه خبز الشعير والذرة واعلاه خبز البر غير منخول واقله
ادامه الملح او البقل او الخل واوسطه الزيت والسمن واللبن واعلاه اللحم في الاسبوع
مرة او مرتين ووقته الاقل في ثلثة ايام واوسطه في اليوم والليلة مرة واقصاه
في اليوم والليلة مرتين ويشير اليه قوله تعالى ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا وكان يعيش عم
بالاسودين التمر والماء وما شبع هو واهل بيته من خبز الشعير يومين متتابعين وفي رواية
عنه عم انه من طلب الفردوس فخبز الشعير له والنوم على المزابل مع الكلاب وعن عيسى عم يقول
يا بني اسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البرى وخبز الشعير اياكم وخبز البر فانكم لن
تقوموا بشكره ولما اتى عم اهل قبا اتوه بشربة من لبن مشوبة بعسل فوضع القدح ثم
وقال اما اني لست احرمه ولكن اتركه تواضعا لله واما الملبس فاقل درجاته ما يدفع الحر
والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة ونعلان واعلاه
ان يكون له مع ذلك منديل وسروال واقل جنسه المسوح الخشنة واوسطه الصوف
الخشن واعلاه القطن الغليظ قال ابو بردة اخرجت لنا عايشة كساء ملبدا وازارا
غليظا وقالت قبض عم في هذين رواه الشيخين ولابن ماجه من حديث ابى ذر
باسناد جيد ما من عبد لبس ثوب شهرة الا اعرض الله تعالى عنه حتى ينزعه وقد اشترى
عم سروالا باربعة دراهم كما رواه ابو يعلى من حديث ابي هريرة ولابي الشيخ من رواية
عروة بن الزبير مرسلا كان رداؤه عليه السلام اربعة اذرع وعرضه ذراعان ونصف
وفي طبقات ابن سعد من حديث ابي هريرة كان له ازار من نسيج عمان طوله اربعة اذرع
وشبر في ذراعين وشبر وعن جابر رض قال دخل عم على فاطمة رض الله عنه وعلى الطحى بالرحى
وعليها كساء من اجلة الابل فلما نظر اليها بكى وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم
الابد فانزل الله سبحانه ولسوف يعطيك ربك فترضى وقال عم لعايشة ان اردت اللحوق
بي فاياك ومجالسة الاغنياء ولا تنزعى ثوبا حتى ترقعيه رواه الترمذي والحاكم وصححه
من حديث عايشة ولابي نعيم والحاكم والبيهقي في شعبه ان من خيار امتي فيما انبأني الملأ الاعلى
قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة ربهم ويبكون سرا من خوف عذاب ربهم مؤنتهم على الناس خفيفة
وعلى انفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان اجسامهم في الارض وافئدتهم عند

عند الورش وعد على قميص عمر اثني عشر رقعة بعضها من ادم واشترى على رضي ثوبا بثلثة
دراهم ولبسه وهو في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وقال الحمد لله الذي كساني
هذا من رياشه وقال بعضهم قومت ثوبي سفيان ونعليه بدرهم واربعة دوانق ولاحمد
من حديث معاذ ان عباد الله ليسوا بالمتنعمين واما المسكن فلو على ان يقنع بزاوية من
المسجد كاهل الصفة واوسطها بيت من سعف ونحوه وادناها حجرة مبنية اما بشراء
او كراء وللطبراني من رواية ابي العالية ان العباس بنى غرفة فقال له عم اهدمها و
داود من حديث انس بسند جيد راى عم قبة مشرفة فقال لمن هذه قالوا لفلان
فلما جاءه الرجل اعرض عنه فلم يكن يقبل كما كان فسال الرجل اصحابه عن تغير وجهه عم
فاخبر بذلك فذهب فهدمها فمر عم بالموضع فلم يرها فاستخبر فاخبر بانه هدمها فدعا له
بخير ولابن حبان في الثقاة وابو نعيم في الحلية عن الحسن مرسلا وثقاة رسول الله عم
لم يضع لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وقال عبد الله بن عمر مر علينا عم ونحن نعالج خصا
فقال ما هذا فقلنا خص لنا قد وهى فقال اي الامر اعجل من ذلك رواه ابو داود و
والترميذي وصححه وابن ماجه وقال الحسن دخلنا في صفوان بن محرز وهو في بيت
من قصب قد مال عليه فقيل له لو اصلحته فقال كم من رجل قد مات وهذا قائم على حاله ولابي
داود من حديث انس بسند جيد كل بناء وبال على صاحبه الا ما لا يعني ما لا بد منه وكان
في السلف من يبني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنائه وكان منهم اذا حج او غزا نزع
بيته او وهبه لجيرانه فاذا رجع اعاده قال الحسن كنت اذا دخلت بيوته عم ضربت
الى السقف وقال عم لرجل الذي شكا اليه ضيق منزله اتسع في السماء يعني في الجنة رواه
ابو داود في المراسيل ووصله الطبراني وقال ابن مسعود يأتي قوم يرفعون الطين
ويضعون الدين ويستعملون البراذين يصلون الى قبلتكم ويموتون الى غير ملتكم
واما اثاث البيت فاعلاها عيسى عم اذ كان لا يصحب الا مشطا وكوزا فراى انسانا
يمشط لحيته باصابعه فرمى المشط وراى اخر يشرب من النهر بكفيه فرمى الكوز ثم الظرف
ينبغي ان يكون من الخزف ولو مكسور الظرف وكان السلف يستحبون استعمال آلة
واحدة في اشياء متعددة كالذي مع قصعة ياكل فيها ويشرب منها وقالت عائشة رض
كان ضجاعه اي فراشه عم الذي ينام وسادة من ادم حشوها ليف رواه ابو داود
وابن ماجه والترميذي وقال حسن صحيح وللترميذي في الشمائل من حديث حفصة
ان فراشه عم كان عباءة مثنية ووسادة من ادم حشوها ليف وراى عليه

على باب

على باب منزل لعائشة فهتكته وقال كلما رايته ذكرت الدنيا ارسلي به فلان رواه
الترميذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها وقال الحسن ادركت سبعين من الخيار
ما لاحدهم الا ثوب وما وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا قط وكان اذا اراد النوم
باشر الارض بجسمه وجعل ثوبه فوقه واما المنكح فقال قائلون لا زهد في اصله النكاح ولا في
كثرته والى هذا ذهب سهل بن عبد الله وقال قد حبب الي سيدنا الزاهدين من النساء فكيف
تزهد فيهن ووافقه ابن عيينة وقال كان علي ازهد الصحابة وله اربع نسوة وبضع عشرة
سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان الداراني ان كل ما شغلك عن الله من اهل ومال او ولد فهو
عليك مشؤوم وهو مستفاد من قوله تعالى لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ومن يفعل
ذلك فاولئك هم الخاسرون وقوله ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم فاحذروهم وقال ابو
سليمان الزهد في النساء ان يختار المرأة العجوزة الضعيفة على المرأة الشعفة الجميلة
الشريفة وقال الجنيد احب للمبتدي ان لا يشغل قلبه بثلث والا تغير حاله الكسب وطلب الحديث
والتزويج وقال احب للصوفي ان لا يكتب ولا يقرأ لانه اجمع لهمه واما ما يكون الوسيلة الى
الى هذه الخمسة فهو المال والجاه واما الجاه فانه قد يفتقر الى الخادم له فينفعه وقد يحتاج
الى دفع ظلم عن نفسه او غيره والغالب ان من اشتغل بالعلم والعمل تمهد له قلوب الخلق ما
يدفع به عنه الاذى ولو كان بين الكفار فكيف بين الابرار واما المال فقدر الضرورة
كاف في المعيشة فاذا كان كاسبا واكتسب حاجة يومه ينبغي ان يترك ويشتغل بامر مهمه
وقد قال ابو سليمان لا ينبغي للرجل ان يرهق اهله الى الزهد بل يدعوهم اليه فان اجابوا
والا تركهم فيفعل بنفسه ما شاء وروي ان ابراهيم الخليل عم اصابته حاجة فذهب الى صديق
له يستقرضه شيئا فلم يقرضه فرجع مهموما فاوحى الله اليه لو سالت خليلك لاعطاك فقال يا رب
عرفت مقتك للدنيا فخفت ان اسالك شيئا منها فاوحى الله اليه ليس الحاجة من الدنيا فتبين
من هذا ان تحصيل قدر الحاجة من امر الدين والاولى المبالغة في التشديد اي التضييق على نفسك
ان كنت من المريدين المجتهدين تحاميا اي تحافظا عن سنة الانبيا عن الانس بالدنيا ونسيان
العقبى والاشتغال بغير المولى وعن طول المكث للحساب المتضمن لعذاب الحجاب وعن الحبس
والتوقيف عن الجنة وما فيها من الثواب واللوم اي وعن الملامة في اكتساب السيئات و
التعبير اي التوبيخ في تقصير الطاعات والحرمان عن الدرجات العالية والمقامات الغالية
وهو المبالغة على النهج المذكور كله ورد فيه الماثور من السلف الصالحين فعن الثوري
وكان قد شدد على نفسه فقيل له لو خففت لنلت الجنة ايضا فما هذه الشدة فقال كيف

لا اشد على نفسي وقد ورد ان جارية تضحك عند زوجها في الجنة فتشرق الجنان الثمانية
بنورها واسنانها فيظنون ان ذلك نور من جهة الرب سبحانه فيخرون ساجدين فنودوا ان ار
فعوا رؤسكم ليس الذي تظنون انما هو نور جارية تبسمت في وجه زوجها واما ما حكي ان داود
الطائي كان له حب مكسور فيه ماؤه مكان لا يرفعه من الشمس ويشرب منه الماء الحار ويقول
من وجد لذة الماء يشق عليه مفارقة الدنيا فلعله محمول على وقت رياضته وابتداء مخالفة
النفس في شهوته والا فبعيد من الزهد البارد لانه عم كان يستعذب الماء ويقول في دعائه اللهم
اجعل حبك الي احب من حب الماء البارد وقد دخل بستانا فقال لصاحبه ان كان عندك ماء
بارد في شن والا كرعنا فاتي به فشرب وكان بعض العارفين يقول اذا شربت الماء البارد حمدت
الله من صميم قلبي وايضا انما خلق الله اللذات الدنيوية ليكون انموذجا للذات الاخروية و
قد قال تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق وقال تعالى يا ايها
الذين امنوا كلوا من طيبات ما احل الله لكم ولا تعتدوا وان الله لا يحب المعتدين اي المتجاوزين
عن الحد في امر الدين كالرهبانيين وورد في الحديث لو كانت الدنيا تعدل اي تساوي
وتماثل جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء رواه الترمذي من حديث سهل بن سعد
ورواه ابن ماجه بلفظ تزن بدل وقال قطرة بدل شربة ماء رواه الحاكم وصححه
الدنيا ملعونة وفي نسخة ملعون وملعون ما فيها الا ما كان لله وهو العبادة وما يعين
عليها وفي رواية الطبراني من حديث ابي الدرداء الا ما ابتغي به وجه الله عز وجل واسنا
ده لا بأس به ورواه الترمذي من حديث ابي هريرة وحسنه ولفظه الا ذكر الله وما وا
لاه وعالما متعلما يعني وما جرى مجراه فانه سبحانه وتعالى خلق الاشياء كلها للعبادة كما يشير
اليه قوله تعالى هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وخلق عباده للعبادة كما قال وما خلقت
الجن والانس الا ليعبدون فشكر نعمته ان يصرفها في طاعته وكفرانها ان يصرفها في معصيته او
غفلته ثم الحلوة التي قبل الموت خيرا او شرا تسمى دنيا والتي بعده اي بعد الممات يكون
اخرة فان من مات فقد قامت قيامته وقد يقال بين الموت والبعث حال يقال له البرزخ
فانه الواسطة بين الدنيا والاخرى لكن العبادة وما لا بد منه فيها مما يعين عليها كا
لاكل والشرب واللباس والنوم والمخالطة ونحوها بقدر الضرورة معدودة
من الاخرة لخروجها عما جمع من امور دنياها ورد في التنزيل انما الحيوة الدنيا لعب
ولهو ما يتعب الشخص فيه نفسه من غير فائدة له وهو فعل الصبيان والمجانين ولهو
وهو ما يشغل به عن الطاعات وتلهو عن العبادة وهو فعل اهل الغفلة من الشباب

ارباب المال والجاه كما يشير اليه قوله تعالى الهيكم التكاثر حتى زرتم المقابر الاية اي
وزينة وهي الغالب على النساء ومن يتشبه بهن من السفهاء وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال
والاولاد وهو حال اكثر اهل الدنيا من الاغنياء والامراء فهي اي الاشياء التي جمعت في الاية
السابقة الدنيا باجمعها اي بتمامها ومتاعها حينئذ خيرها جمع من انواعها فيها وورد في التنزيل
زين للناس حب الشهوات اي اللذات الاية اي من النساء والبنين اي دون البنات ولذا
قيل في قوله تعالى المال والبنون زينة الحيوة الدنيا والباقيات الصالحات ان البنات
داخلة في الباقيات الصالحات والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة وقد ورد
لو كان لابن ادم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولن يملا جوف ابن ادم الا التراب ويتوب
الله على من تاب والخيل المسومة اي المعلمة والمرسلة والانعام من الابل والبقر والغنم و
الحرث للزراعة والاشجار والاثمار والازهار ذلك متاع الحيوة الدنيا اي وما
الحيوة الا متاع الغرور والله عنده حسن المآب وجزيل الثواب وما عند الله خير للابرار و
المشغل بها حب حظوظها اي لذاتها وشهواتها باطنا وتحصيلها ظاهرا واما الانبياء والاصفياء
فاختار الله لهم الدرجات العليا في الفقر والمحن والبلوى في الدنيا فعن ابي سعيد الخدري عن
النبي عم لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر فلا يجد الا العباءة وان كان احدهم ليبتلى
بالقمل وكان ذلك احب اليهم من العطاء اليكم رواه ابن ماجة باسناد صحيح وعن ابن عباس
قال لما ورد موسى ماء مدين كانت خضرة البقل ترى من بطنه من الهزال وعلاجها معرفة الرب
فان معرفة الرب موجبة لمحبته وحبه لا يجتمع مع حب غيره كما يشير اليه قوله سبحانه ما جعل الله
لرجل من قلبين في جوفه ولانه تعالى يبغضها فلا ينبغي لاحد ان يحبها والنفس اي ومعرفة قدرها
حتى لا يضيعها في طلبها الدنية ويمنعها عن تحصيل المنازل السنية من الاخرة ودرجاتها
العالية الباقية ونفاسة مراتبها الرفيعة المنيعة وخساسة الدنيا من خسة شركائها وسرعة
فنائها وكثرة عنائها وقلة غنائها ويكفيك في ذمها ما ورد في حقها من ان الدنيا جيفة
وطالبها كلاب فقد روى ابو الشيخ في تفسيره عن علي رضي الله عنه موقوفا الدنيا جيفة
فمن ارادها فليصبر على مخالطة الكلاب واخرج الديلمي عن علي مرفوعا اوحى الله الى داود
يا داود مثل الدنيا كمثل جيفة اجتمعت عليها الكلاب يجرونها افتحب ان تكون كلبا مثلهم
فتجر معهم ولاحمد عن عائشة مرفوعا ورجاله ثقات الدنيا دار من لا دار له ومال له ولها يجمع
من لا عقل له وفي صحيح مسلم والترمذي عن ابي هريرة مرفوعا الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر
ورواه احمد عن عبد الله بن عمرو زيادة فاذا فارق الدنيا فارق السجن ثم الدنيا فتنة و

وبلية كما في صحيح مسلم الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون
وفقنا الله سبحانه وتعالى لما يحب ويرضى في الدنيا والاخرى وبلغنا المقام الاسنى مع
الذين احسنوا الحسنى **الباب العشرون في التوحيد والتوكل واليقين** بسم الله الرحمن الرحيم
المنفرد بتوحيد الذات وتوحيد الصفات عليه يتوكل المتوكلون وبه يتقرب المتقون المؤمنون
ادنى درجة التوحيد من مراتبه الاربع محض القول بالتفريد بان يقول الانسان بظاهر اللسان
لا اله الا الله وقلبه غافل عنه وهو جاهل به منكر كتوحيد المنافق وهو اى قوله النفاق
والعياذ بالله منه اى من النفاق وما يترتب عليه من الخلاف والشقاق ولا يفيد ذلك التوحيد
في الحال الا عصمة الدم والمال اى حفظ دم الموحد وماله فورد في الحديث الصحيح وصدره امرت
ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله الا الله فاذا قالوها اى كلمة التوحيد عصموا مني دماءهم
واموالهم تمام الحديث الا بحقها وحسابهم على الله ثم التصديق معه وهو ان يصدق بمعنى اللفظ
قلبه كما صدق به عموم المسلمين ويكون اعتقاده كالعامى اى كما هو اعتقاد العوام والمتكلم
وهو الخائض في علم الكلام فهو اى المتكلم لا يتميز عن العامى في هذا المقام الا بالحيلة اى الصنعة
الجدلية الدافعة تشويش المبتدعة المانعة من انجرام قواعد اهل السنة والجماعة ويفيد التصديق
الجناني مع الاقرار اللساني النجاة من الخلود في النار ولو كان صاحبه من الفساق والفجار ثم مشاهدة
صدور الكل اى ظهور جميع ما يقع في الكون منه تعالى وفي الحقيقة هذا يسمى توحيد الافعال في
المصنوعات وما سبق توحيد الذات والصفات وهذا انما يكون بطريق الكشف بواسطة نور
الحق لتنوير الاسرار وهو مقام المقربين الابرار وذلك بان يرى اشياء كثيرة ظاهرها الاغيار
ولكنه يراها على كثرتها صادرة من الواحد القهار فيقول المشاهد ليس في الدار غيره ديار
ويفيد هذا التوحيد اعتماد القلب عليه في امور الدنيا والاخرى وانقطاعه عما سواه فلا يرى احدا
يضر وينفع او يعطي ويمنع الا اياه وهو التوكل اى الاعتماد على الله وعدم الالتفات الى ما عداه
وتوضيحه ان ينكشف لك ان لا فاعل الا الله وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع ونفع
وحلو ومر وخير وشر وغنى وفقر وحياة ومماة الى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم الموجود في
دائرة الشهود فالمنفرد بابداعه واختراعه هو الله تعالى لا شريك له فيه واذا انكشف
لك هذا لم تنظر الى غيره بل كان منه خوفك واليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك
فانه فاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرة من
ملكوت السموات والارض واذا انفتح لك ابواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحا اتم
بالمشاهدة بالبصر وانما يصدك الشيطان عن هذا التوحيد في مقامين يبتغى به ان يتطرق الى

فتلك

فتلك شائبة الشرك بشيئين احدهما الالتفات الى اختيار الحيوانات والثاني الالتفات
الى الجماد ثم اما الالتفات الى الجمادات فكاعتماده على المطر في خروج الزرع ونباته ونمائه
والى الغيم في نزول المطر وعلى البرد في اجتماع الغيم وعلى الريح في استواء السفينة و
سيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الامور ولذا قال تعالى فاذا ركبوا
في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون قيل معناه يقولون
لو استواء الريح لما نجونا ومن انكشف له امر العالم كما هو عليه علم ان الريح هو الهواء
لا يتحرك بنفسه ما لم يحركه محرك وكذا محركه وهكذا ينتهي الى المحرك الاول الذي لا محرك له
ولا هو متحرك في نفسه ومنه قوله تعالى وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى
واما الالتفات الى اختيار الحيوانات في الافعال الاختيارية فيقول الشيطان كيف ترى
الكل من الله وهذا الانسان يعطيك رزقك باختياره فان شاء اعطاك وان شاء قطع
عنك وهذا الشخص هو الذي يحز رقبتك بسيفه وهو قادر عليك ان شاء حز رقبتك و
ان شاء عفا عنك فكيف لا تخافه ولا ترجوه وامرك بيده فانت تشاهد ذلك ولا تشك
فيه وعند هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم
الشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر ان جميع ما في السموات والارض من الشمس والقمر
والنجوم والمطر والارض والحجر والمدر والشجر وكل حيوان وملك ونبات مسخرات في قبضة
القدرة الالهية الصمدانية والقوة السبحانية الربانية ثم اعلم انه سبحانه قال وما تشاؤون
الا ان يشاء الله واجمع السلف على ان ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يتحرك الانسان
ولا يسكن الا اذا شاء الله شاء العبد ام لم يشأ فليست المشيئة اليه فمهما وجدت المشيئة
التي تصرف القدرة الى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل الى المخالفة
فالحركة لازمة ضرورة بالقدرة والقدرة محركة ضرورة عند انجزام المشيئة والمشيئة
تحدث ضرورة في القلب فهذه ضروريات ترتبط بعضها الى بعض وليس للعبد ان يدفع
وجود المشيئة ولا انصراف القدرة الى المقدور بعدها ولا وجود الحركة بعد بعث
المشيئة للقدرة فهو مضطر في الجميع قيل فهذا جبر محض ينافي الاختيار وانت لا تنكر
الاختيار فكيف تكون مجبورا مختارا اجيب بانه لو انكشف لك الغطاء لعرفت انه في
عين الاختيار مجبور فاذن عبد مسخر مقهور ولذا قال بعض العارفين لا تختر فان كنت
مختارا فاختر انه لا مختار وربك يخلق ما يشاء ويختار والله اعلم بحقائق الاسرار
ثم رؤية عدم ما سواه اى مشاهدة بحيث وجود مولاه فلا يرى في الوجود الا الواحد

وهو مشاهدة الصديقين الافراد ويقيد هذا التوحيد الاستغراق به اي شهوده
والغيبة عن الغير اي الغفلة عن وجوده وهو عند الصوفية الفناء في التوحيد
الحاصل من كمال الصفاء وجمال الوفاء من حيث انه لا يرى الا واحدا فلا يرى نفسه ايضا
فاذا لم ير نفسه لكونه مستغرقا بالواحد كان فانيا عن نفسه في توحيده بمعنى انه فني
عن رؤية نفسه بالكلية وقد يفنى عن رؤيته ايضا ويسمى الفناء عن الفناء ويبقى له في
مشاهدة اللقاء فالاول موحد بمجرد اللسان وذلك يعصم صاحبه عن السيف والسنان
والثاني موحد بجنانه مفهوم لسانه لكن ليس فيه انشراح وانفتاح لشأنه والثالث موحد
بمعنى انه لم يشاهد الا فاعلا واحدا والرابع موحد بمعنى انه لم يحضر في نظر شهوده غير الواحد
الواجب في وجوده ولا يرى الكل من حيث انه كثير بل من حيث انه واحد وهذه هي الغاية
القصوى في التوحيد ويسمى مقام جمع الجمع في حال التوحيد وهو ان لا يحجبه الكثرة عن الوحدة
ولا يحجبه الوحدة عن الكثرة وبهذا يتبين لك ان توحيد الفعل مقصد عال للسالكين لكنه
لا يخرج عن مشاهدة الغير والالتفات الى الكثرة بالاضافة الى من لا يشاهد الا واحدا و
هو يشاهد السماء والارض وما بينهما من طول والعرض وهي كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا
فاعلم ان العارفين قالوا صدور الاحرار قبور الاسرار كما يشير اليه قوله عم لو تعلمون
ما اعلم وقالوا ايضا افشاء سر الربوبية كفر لكن قد يمكن الاشارة الى كشف ما فيه بان
يقال الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار وقد يكون واحدا بنوع اخر من ملا
حظة واستبصار وهذا كما ان الانسان كثير اذا التفت الى روحه وجسده واطرافه
وعروقه وعظامه واحشائه واعضائه وهو باعتبار اخر ومشاهدة اخرى واحد
كم من شخص يشاهد انسانا ولا يخطر بباله كثرة امعائه واجزائه فهو في حال الاستغراق و
الاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفرق وكانه في عين الجمع والملتفت الى الكثرة في تفرقه
فكذا كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له باعتبارات ومشاهدة كثيرة مختلفة وهو باعتبار
من الاعتبارات واحد وباعتبارات اخر سواها كثير ثم هذه المشاهدة التي لا يظهر فيها الا
الواحد الحق تارة يدوم وتارة كالبرق الخاطف وهو الاكثر والدوام نادر عزيز يغلبه في
المجاذيب والى هذا المقام اشار الحسين بن منصور الحلاج حيث راى الخواص يدور في
الاسفار فقال فيما ذا انت قال ادور في الاسفار لاصحح حالي في التوكل وقد كان من المتوكلين
فقال الحسين قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فكان الخواص كان
في تصحيح المقام الثالث من التوحيد فطالبه بالمقام الرابع منه المزيد فان قلت فكيف الجمع بين

التوحيد

التوحيد والشرع اذ معنى التوحيد ان لا فاعل الا الله ومعنى الشرع اثبات الافعال للعباد
فان كان العباد فاعلا فكيف يكون الله فاعلا وان كان الله فاعلا فكيف يكون العبد فاعلا
ومفعول بين فاعلين غير مفهوم فالجواب نعم ذلك غير مفهوم اذا كان للفاعل معنى واحد
وان كان له معنيان ويكون الفعل مجملا مرددا بينهما لم يتناقض كما يقال قتل الامير فلانا
ويقال قتله الجلاد لكن الامير قتل بمعنى اخر والجلاد قتل بمعنى اخر فكذلك العبد فاعل بمعنى
والله فاعل بمعنى اخر فمعنى كون الله فاعلا انه المخترع الموجد ومعنى كون العبد فاعلا انه
المحل الذي خلقت فيه القدرة بعد ان خلق الله فيه الارادة بعد ان خلق فيه العلم ولاجل
توافق ذلك وتطابقه نسب الله سبحانه الافعال في القرآن مرة الى الملائكة واخرى الى
العباد ونسبها بعينها مرة الى نفسه فقال تعالى قل يتوفيكم ملك الموت الذي وكل بكم وقال
توفته رسلنا وقال الله يتوفى الانفس حين موتها وقال فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما
رميت اذ رميت ولكن الله رمى وهو جمع بين النفي والاثبات ظاهرا ولكن معناه ما رميت بالمعنى
الذي يكون به الرب راميا اذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به راميا فانهما المعنيان مختلفان
فالمعنى وما رميت حقيقة اذ رميت مجازا ولكن الله رمى حيث خلق فيك قوة الرمي او خلق
في المرمي الوصول الى عين عدو وقيل ما رميت خلقا اذ رميت كسبا ولكن الله قدر رميانا ذ
لا وكذا ذكر الله تع في القرآن الادلة والايات في الارض والسموات ثم قال اولم يكف بربك
انه على كل شيء شهيد وقال شهد الله انه لا اله الا هو فبين انه الدليل على نفسه وذلك ليس
بمتناقض بل طريق الاستدلال مختلف فمنهم من طالب عرف الموجود بالله سبحانه كما قال بعضهم
ما نظرت شيئا الا ورايت الله قبله وهذا مسلك المراد المجذوب ومن هنا قال من قال عرفت
ربي بربي ولولا ربي لما عرفت فالحاصل ان الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه
المعاني اذا فهمت حقائق المعاني ولذا قال عم للذي ناوله التمرة خذها لو لم تاتها لاتتك
بما رواه ابن حبان والطبراني فاضاف الاتيان اليه والى التمرة ومعلوم ان التمرة لا تاتي
على الوجه الذي ياتي الانسان به اليها وكذا لما قال ذلك التائب اتوب الى الله ولا اتوب الى محمد عم
قال عرف الحق لاهله وذلك لان من اضاف الكل الى الله فهو المحقق الذي عرف الحق لاهله
ومن اضاف الى غيره فهو المتجوز في مرام المستعير في كلامه ومن هنا قال عليه السلام اصدق
بيت قالته العرب قول لبيد شعر الا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل
متفق عليه من حديث ابي هريرة والمعنى ان ما لا قوام له بنفسه وانما قوامه بغيره فهو باعتبار
نفسه باطل حقيقة وحقيقة بغيره لا بنفسه فاذن لا حق بالحقيقة الا الحي القيوم الذي

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فانه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته فهو الحق و
ما سواه باطل اي مضمحل وزائل كما قال تعالى كل شيء هالك الا وجهه ومن هنا قال
سهل يا مسكين كان ولم يكن ويكون فلما كنت اليوم صرت تقول انا وانا كن الآن كما
لم تكن فانه اليوم كما كان وهذا تفصيل ما اجمل في قول بعضهم كان الله ولم يكن معه شيء
وهو الآن على ما عليه كان هذا واذا اثبت في نفسك بكشف او اعتقاد جازم انه لا فاعل
الا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك ان له تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام
اللطف والرحمة بجملة العباد وانه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى
عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة اتكل لا محالة قلبك عليه وحده ولم تلتفت الى غيره
بوجه ولا الى نفسك وحولك وقوتك فانه لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فالحول
عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة والالتفات الى الغير ح لاحد الامرين اما ضعف
اليقين وذلك التطرق الشك وخطوره في امور يجب عدم الالتفات او عدم الاستيلاء
ولعلة غلبة اليقين واستيلائه على القلب ودخول اليقين سويدائه واما للضعف
الجبلي اي الخلق الطبيعي وهو مرض القلب باستيلاء الجبن عليه وانزعاجه بسبب الاوهام
الغالبة لديه فان القلب قد ينزعج تبعا للوهم وطاعة له من نقصان في اليقين فان
من كان يتناول عسلا وشبه بين يديه بالعذرة ربما نفر عنه طبعه ويمتنع عليه
تناوله كالجبان مطيع الوهم لا يطيق البيتوتة في بيت خال او فيه ميت فلو كلف العاقل
ان يبيت مع الميت في قبر او فراش او بيت نفر طبعه عن ذلك وان كان متيقنا لكونه ميتا
وانه جماد في الحال وان سنة الله مطردة بان لا يحشره الآن ولا يحييه ولو احياه لعاد كما
كان واحبه وابقاه وعانقه كما ان سنة سبحانه مطردة بان القلم الذي في يده لا يقلبه
وان كان قادرا عليه ومع انه لا يشك في هذا اليقين فينفر قلبه عن مضاجعة الميت في فراش
ولا ينفر من سائر الجمادات وذلك جبن في القلب وهو نوع ضعف قلما يخلو الانسان عن شيء
منه وان قل وقد يقوى فيصير مرضا حتى يخاف ان يبيت في البيت وحده مع اغلاق الباب
واحكامه فاذا لا يتم التوكل الا بقوة القلب وقوة اليقين جميعا اذ بهما يحصل سكون القلب
وطمانينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمانينة معه كما قال تعالى
اولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي فالتمس ان يشاهد احياء الميت بعينه ليترقى من مقام علم
اليقين الى عين اليقين هذا وقد قال تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله
يعدكم مغفرة منه وفضلا فالانسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان ولذا قيل

الشفيق بسوء الظن مولع واذا انضم اليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على
الطلب والكسب غلب سوء ظنه وضعف قوة توكله وعنه ع م ان الله عز وجل بحكمته وجلاله
جعل الروح والفرح في الرضاء واليقين وجعل الهم والحزن في الشك والسخط وادنى
رتب التوكل على الله ان يعتمد عليه اعتماد الموكل من المخلوق على الوكيل مثله للعلم اي لعلم الموكل
بشفقته تعالى وقدرته وعلمه كما قدمنا وهذه الدرجة الاولى ثم التوكل الاعلى منه اي يعتمد
عليه سبحانه اعتماد الطفل على الام فيكون حاله مع الله كحالة الطفل مع امه فانه لا يعرف غيرها
ولا يفزع الى احد سواها ولا يعتمد الا اياها فاذا راها تعلق في كل حال بذيلها ولم يتركها وان
نابه امر في غيبتها كان اول سابق الى لسانه يا اماه خاطر يخطر على قلبه امه فانها مفزعه وقد وثق
كفالتها وشفقتها وكفايتها وعادتها فمن كان تالهه الى الله ونظره الى مولاه واعتماده في
دنياه واخراه كلفه به كما يكلف الصبي بامه بل اقوى منه فانه ارحم الراحمين فيكون متوكلا
حقا كما ان الطفل متوكل على الله صدقا ويفارق هذه المرتبة الثانية الدرجة الاولى
بتبيين بعدم الالتفات على الاعتماد استغراقا فانا الام في باب الاسناد اذ الصبي اذ الموكل
لتفصيل لمحل لا يعرف ان التوكل ما هو فلا يعرف الا الوكيل وتوضيحه في مقام الفرق بين هذا
وهذا الاول ان هذا متوكل وقد فني في توكله عن توكله ان ليس يلتفت قلبه الى التوكل
وحقيقته بل على المتوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير المتوكل عليه واما الاول فمتوكل
بالتكلف والكسب ليس فانيا عن توكله حيث له التفات الى توكله وشعور به وذلك شغل صارف
عن ملاحظة المتوكل عليه وحده والى هذه الدرجة اشار سهل حيث سئل عن التوكل ما ادنى
فقال ترك الاماني قيل فاوسطه قال ترك الاختيار وهذه اشارة الى الدرجة الثانية وسئل
عن اعلاه فلم يذكره وقال لم يعرفه الا من بلغ اوسطه وترك التدبير اي ويفارق الثانية
والاولى بترك تدبير الامور اذ كان في مقام الحضور فتلك المرتبة الاولى لا تنافيه اي
اصل التدبير بالطريق الذي رسمه اي بينه الوكيل به وعينه ان يفعله تصريحا او
تلويحا ولكن تنافي بعض التدبيرات الى ما رسمها ولا كلفة في تحصيلها وذلك كالمتوكل
على وكيله في الخصومة فانه يترك تدبيره من جهته غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي
اشار اليه وكيله او التدبير الذي عرف من عادته وسنته دون صريح اشارته فاما
الذي يعرف باشارته فيقول له الموكل لا تتكلم الا بحضوري فيشتغل لا محالة بالتدبير للحضور
ولا يكون هذا منافيا لتوكله عليه اذ ليس هو في عامته الى حول نفسه وقوته في اظهار
الحجة ولا الى حول غيره بل من تمام توكله ان يفعل ما رسمه له اذ لو لم يكن متوكلا ولا معتمدا

لملاحظة في قوله واما العلوم بعادته واطراد سنته فهو انه يعلم من عادته لا بجلب الخصم
الا من السجل فتمام توكله ان كان متوكلا عليه ان يكون معولا على سنته وعادته وفا
ء بمقتضاها وهو ان يحمل السجل مع نفسه اليه عند مخاصمته فاذن لا يستغني عن التدبير
في الحضور وعن التدبير في احضار السجل ونحوه من المشاهد في الامور ثم اعلى رتبة التوكل
على الله تعالى ان يكون المتوكل بين يدي سبحانه في حركاته وسكناته كالميت بين يدي الغاسل
حال تقلبه وسائر تصرفاته لا يفارقه الا في انه يرى نفسه ميتا تحركه القدرة الازلية كما تحرك
يد الغاسل الميت وهو الذي قوي يقينه بانه سبحانه مجري الحركة والقدرة والارادة والعلم
وسائر الصفات وان كله يحدث جبرا فيكون غائبا عن الانتظار لما يجري عليه فهذه
المنزلة الدرجة الثالثة الدرجة الثالثة يترك السؤال مطلقا سواء كان السؤال منه
من الله او من غيره في جميع الاحوال كما روي عن الخليل عم انه لما قال له جبريل الك حاجة
فقال اما اليك فلا واما الى الله فبلى فقال سل ربك فانك في مقام البلاء المورث للوكلاء
فقال حسبي سؤالي علمه بحالي وحاصله انه صاحب هذا المقام يفارق الصبي في حاله من المرام
فان الصبي يفزع الى امه ويصيح وراءها ويتعلق بذيلها ويعدو خلفها بل مثاله
صبي عرف انه يعلم انه وان لم يزعق بامه فالام تطلبه وانه وان لم يتعلق بذيل امه فالام تحمله
وانه وان لم يطلب منها اللبن فالام تبتدئ وترضعه وهذا المقام في التوكل يثمر ترك
الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته ورحمته ورعايته وانه يعطي ابتداء افضل
مما يسئل فكم من نعمة ابتدأتها قبل الدعاء وبغير الاستحقاق كما يشير اليه قوله تعالى واتاكم من
كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها فتلك اي الرتبة الثانية انما تنافيه اي السؤال
من غيره تعالى فقط وهي الدرجة الثالثة اندر اي اقل وقوعا واعز بقاء ثم الثانية ثم الاولى
كذلك فان انبساط العقل لملاحظة الحول والقوة والاسباب طبيع وان قيامه بالكلية
عن ملاحظة هذه الاشياء عادة من لا يدوم فاذن رجع حال التوكل الى التبري من
الحول والقوة وهذا هو تحقيق معنى لا حول ولا قوة الا بالله الخ حقا صادقا وقد اشكل
امر الحول والقوة على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعي انه تعمق في الراي
والمعقول حتى ينشق الشعر بحدة نظره فهي مهلكة خطره ومزلة قدم عظيمة هلك فيه المعا
اذ اشق الانفهم امر وهو ترك في التوحيد واثبات خالق سوى الله فمن جاوز هذه
العقبة بتوفيق الله اياه فقد علت رتبته وعظمت ورفعت درجته وارتفعت همته وهو
الذي صدق بمعنى قوله لا حول ولا قوة الا بالله وعن بعض العارفين انه قال ما مضمونه

اي بالذنوب

بالذنب واعتذرت منه الى الرب مع ان اعتذاري عند قلبي اسوء من ذنبي لتضمنه
دعوى الوجود والقدرة والفعل وهذه كلها مخصوصة بربي ولا بد منه اي من
التوكل في امر الرزق وغيره لثمانية اشياء ورد في التنزيل وعلى الله اي لا على ما سواه
فتوكلوا ان كنتم مؤمنين كاملين واذا امرتم مؤمنين والامر للوجوب وفي اية اخرى و
على الله فليتوكل المؤمنون وقال نعم اجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون
ومن يتوكل على الله فهو حسبه اي كافيه فيما يتمناه وقال اليس الله بكاف عبده فمن يطلب من
غيره الكفاية فهو مكذب لهذه الاية وقال ان الله يحب المتوكلين وناهيك بخصلة موجبة
للمحبة الالهية وقال ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم اي عزيز لا يزال من استجار به و
لا يضيع من لاذ بجنابه والتجأ الى حماه وذمامه بابه حكيم لا يقصر عن تدبير امر من توكل على
حسن تدبيره وفق تقديره وقال وتوكل على الحي الذي لا يموت الى ان من يموت لا اعتماد عليه ولا
استناد اليه كما حكي عن الخواص ولو توكلتم وفي رواية لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزق
كم كما يرزق الطير تغدو خماصا وتروح بطانا رواه الترمذي والحاكم وصححاه من حديث
عمر وهو مقتبس من قوله تعالى وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع
العليم وفي رواية ولمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال وفي رواية البيهقي لو عرفتم
الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال وعن ابن مسعود مرفوعا اريت الامم بالموسم فرايت
امتي قد ملأت السهل والجبل فاعجبتني كثرتهم وهيئاتهم فقيل لي ارضيت فقلت نعم فقيل ومع
هؤلاء سبعون الفا يدخلون الجنة بغير حساب قيل من هم يا رسول الله قال الذين لا يكتوون
ولا يتطيرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون فقال عكاشة بن محصن فقال يا رسول
الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال عم اجعله منهم فقام اخر فقال ادع الله ان يجعلني منهم
فقال سبقك بها عكاشة رواه منيع باسناد حسن واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس
والحاكم وغيره من حديث ابن عباس من سره ان يكون اغنى الناس فليكن بما عند الله اوثق منه
بما في يديه وللطبراني وغيره من رواية الحسن عن عمران بن حصين ولم يسمع منه انه قال
عم من انقطع الى الله كفاه الله كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا
وكله الله اليها ويروى انه لما قال جبريل لابراهيم الخليل عم الك حاجة فقال اما اليك
فلا ووفاء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل انزل الله فيه وابراهيم الذي وفى وقد اوحى
تعالى الى داود عم ما من عبد يعتصم بي من دون خلقي فتكيده اهل السموات والارض الا
جعلت له مخرجا ويرزقه حي وقال سعيد بن جبير لدغتني عقرب فاقسمت على امي لتسترقيني

عقرب فاقسمت على امي لتسقيني فناولته الواحي التي لم تدلغ وقال بعض العلماء لا
يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتضيع امر اخرتك ولا تنال
من الدنيا الا ما كتبه الله لك وقال هرم ابن حيان لاويس القرني اين تامرني ان اكون فاوما
الى الشام فقال الهرم كيف المعيشة بها فقال اويس اف لهذه القلوب قد خالطها الشكوك
فما تنفعها الموعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكيلا وجدت الى كل خير سبيلا وقال
ابو موسى الديلي لابي يزيد ما التوكل فقال لي ما تقول انت فقلت ان اصحابي يقولون لو ان
السباع والافاعي عن يمينك ويسارك ما تحرك لذلك سرك فقال ابو يزيد نعم هذا قريب
ولكن لو ان اهل الجنة في الجنة يتنعمون واهل النار في النار يعذبون ثم وقع لك تمييز بينهما
خرجت من جملة التوكل قال في الاحياء فما ذكره موسى خبر عن اعلى احوال التوكل وهو المقام
الثالث وما ذكره ابو يزيد عبارة عن اعز انواع العلم الذي هو من اصول التوكل وهو
العلم بالحكمة وان ما فعله الله تعالى بالواجب فلا يميز بين اهل النار واهل الجنة بالاضافة
الى اصل العدل والحكمة وهذا غمض انواع العلم وراءه سر القدر وابو يزيد قل ما يتكلم
الا عن اعلى المقامات واقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن نحو الحيات شرطا في المقام الاول
من التوكل فقد احترز الصديق في الغار اذ استد منافذ الحيات فيقال فعله ذلك برجله و
لم يتغير بسببه باطن سره او يقال انما فعل ذلك شفقة على رسوله لا على نفسه وانما يزول
التوكل بحركة سره وتغيره لامر يرجع الى نفسه وللنظر في هذا مجال لان امثال ذلك واكثر منه
لا يناقض احوال التوكل فان حركة السر من الحيات هو الخوف للمتوكل ان يخاف مسلط الحيات
ولا قوة الا بالله وان احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق
الحول والقوة والتدبير ويشير الى هذا المقام قوله تعالى يا موسى لا تخف اني لا يخاف لدي المرسلون
وقوله فاوجس في نفسه خيفة موسى قلنا لا تخف انك انت الاعلى انك في المنزل الاعلى وايضا
كما لا بد من التوكل لوجوبه لا بد منه لما يحصل فيه التفرغ للعبادة عن الالتفات الى تحصيل
الاقوات ثم ما يمنع عن ارادة طريق السعادة فقد سئل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع
الارباب وقطع الاسباب فخلع الارباب اشارة الى علوم التوحيد وقطع الاسباب الى
الاعمال في مقام التفريد فقيل له زدنا فقال القاء النفس في العبودية واخراجها من الربو
بية يعني بالتبري من التبري من الاحوال والقوة وايضا لا بد من التوكل فانه كما هو المعلوم
فانه لا يتغير المقدر المقسوم قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا الاية وقد سئل
حمدون القصار عن التوكل فقال ان كان لك عشرة الاف درهم وعليك دانق دين

لم تأمن

لم تأمن ان تموت ويبقى ذلك في عنقك وان كان عليك عشرة الالف درهم دين من غير ان
تترك لها وفاء لا تيأس من الله يقضيها عنك ويقرب منه قول صاحب المنازل ما يبدي
لم اعرف نصيب مني وما يغيب لم اعرف بيد مني وفي هذا اشارة الى تجرد الايمان بسعة
القدرة وان في المقدور اسبابا خفية سوى هذه الاسباب الظاهرة فورد الرزق
مقسوم مفروغ ليس له اصل بهذا المبنى ولكنه صحيح من حيث المعنى فليهتم في الشعب مرفوعا عن
ام الدرداء ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه اجله ويشير اليه قوله سبحانه الذي
خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم فيه تنبيه على انه لا يموت له شيء من رزقه لم يتأت له طلب
اجله وقد قال بعض العلماء لو هرب العبد من رزقه لطلبه كما لو هرب من الموت لادركه
وانه لو سئل الله ان يرزقه لما استجاب له وكان عاصيا ويقال له يا جاهل كيف اخلقك
ولا ارزقك ولذا قال ابن عباس اختلف الناس في كل شيء الا في الرزق والاجل فانهم
اجمعوا على ان لا رازق ولا مميت الا الله وقال عيسى عم انظروا الى الطير لا تزرع ولا
تحصد ولا تدخر والله يرزقها يوما بيوم فان كنتم تقولون بطوننا اكبر فانظروا الى الانعام
والوحوش كيف قيض الله لها الرزق وقال ابو يعقوب السوسي المتوكلون يجري ارزاقهم
على ايدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدورون وقال بعضهم العبيد
كلهم في رزق الله لكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار
وبعضهم بامتهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يعبدون ويشهدون العزيز فيا
خذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة ويشير الى هذا المقام قوله تعالى ولله العزة
ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون الى ان قال ولله خزائن السموات والارض
لكن المنافقين لا يفقهون اربع فرغ منهن الخلق بالفتح والخلق بالضم والاجل والرزق
رواه الطبراني من حديث ابن مسعود ولفظه فرغ الى ابن ادم من اربع الخلق والخلق و
الرزق والاجل ورواه احمد والطبراني عن ابي الدرداء رض بلفظ فرغ الله عز وجل
الى كل عبد من خمس من اجله ورزقه واثره اي عمله ومضجعه اي محل موته وشقي او سعيد
ولقد احسن من قال الغنون شعر جرى قلم القضاء بما يكون فسيان التحرك والسكون جنون
منك ان تسعى لرزق ويرزق في غشاوته الجنين ايضا لا بد من التوكل اذا المطلوب من
العبد هو العدل اي الاستعداد على الطاعة لزاد المعاد وهو تعالى قادر على اعطائه بسبب
حاصل بغيره من انواع الكسب فقد قال يحيى بن معاذ في وجود العبد الرزق دلالة على ان
الرزق مأمور بطلب العبد ويؤتيه قوله عم للسائل بعد اعطائه التمرة خذ هذا ولو لم

ناتهالانتك وقد تقدم بناه وما يؤيده من معناه وسئل ابو عبد الله القرشي عن
التوكل فقال التعلق بالله في كل حال فقال السائل زدني فقال ترك كل سبب يوصل
الى سبب حتى يكون الحق المتولي لذلك فالاول عام للمقامات الثلثة المتقدمة والثاني اشارة
الى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل ابراهيم الخليل اذ قال له جبريل الك اما اليك
فلا ان كان سؤاله سببا يوصل الى سببي هو حفظ جبريل له فتركه ثقة بان الله ان
اراد سخر جبريل لذلك ليكون هو المتولي لذلك وهذا هو الجمهور غائبا عن نفسه
بالله سبحانه فلم يوجعه عزه وهو حال عزيز في نفسه ودوامه ان وجد ابعد منه
واعز والموت جوعا متعذر ايضا كالموت شبعا فلا بد من التوكل سواء كان شبعا او
جيعانا وقد قال ابو سعيد الخراز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب
فالاول اشارة الى فزع العبد اليه وابتهاله وتضرعه بين يديه والثاني اشارة الى
كمال توكله عليه فعن ابي علي الدقاق التوكل ثلث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فا
لمتوكل يسكن الى وعده والمسلم يكتفي بعلمه والمفوض يرضى بحكمه ثم اعلم ان الشخص اذا كان
بطالا فعليه ان يصير كاسبا وعاملا ولا معنى للتوكل في حقه الا ما يليق بمقامه دون مرامه فان
كمال التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فهو خاصة للمجتهدين
اما من العلماء الزاهدين واما من الصالحين العابدين لا للبطال والاتكال واذا كان
مشتغلا بالله وملازما لمسجده او بيته ومواظبا على علمه وعبادته بتحسين نيته
وتزيين رعاية الله سبحانه وتعالى وحبه في قلوب خصه حتى يحملوا اليه فوق كفايته فا
لذي الى الان من قديم الزمان عالما او عابدا استغرق اوقاته بالله سبحانه وهو وسط
البلاد من القرى والامصار فمات جوعا بل لو اراد ان يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر
عليه فمن كان لله كان الله له لكن ينبغي ان يكون نظره الى مسبب الاسباب لا الى الاسباب ثم لا يطمع
في الحلوى والطير المشوي والثياب الرفيعة والبيوت المنيفة مع انه لو قدر له شيء من ذلك
فلا بد من ظهوره هنالك كما يشير اليه قوله نحن قسمنا بينهم معيشتهم وربك يبسط
الرزق لمن يشاء ويقدر ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب في الخبر
ابى الله ان يرزق عبده المؤمن الا من حيث لا يحتسب فالاهتمام الكثير بامر الرزق قبيح من
ذوي الدين وهو اقبح من العلماء المجتهدين لان من شرطهم القناعة والاشتغال بالطاعة
حسب الاستطاعة الا اذا اراد ان لا ياخذ من ايدي الناس ويحمل من كسبه فذلك له حق
لا يليق بالعالم العامل الذي سلوكه لظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير باطني فان الكسب

يمنعه من السير بالكلية الباطني غالبا باشتغاله بالسلوك مع الاخذ من يد من يتقرب الى الله تعالى
بما يطيعه اولى لانه تورع للمولى واعانة للمعطي على نيل الثواب في العقبى ومن نظر الى مجاري
سنة الله علم ان الرزق ليس على قدر الاسباب ولا على قدر الاكتساب وكذا اسال البعض لا
كاسرة حيكها عن الاحمق المرزوق والعاقل المحروم فقال اراد الصانع ان يدل على نفسه
اذ لو رزق كل عاقل وحرم كل جاهل لظن ان العقل رزق صاحبه فلما راوا خلافه
علموا ان الرازق غيرهم ولا ثقة بالاسباب الظاهرة لهم فقد دخل جماعة على الجنيد فقالوا
نطلب الرزق فقال ان علمتم في اي موضع هو فاطلبوه فقالوا نسال الله تعالى فقال ان علمتم
انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل ننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة
شك قالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة وقال احمد بن عيسى الخراز كنت في البادية فنالني جوع
شديد فغلبتني نفسي ان اسال الله عز وجل طعاما فقلت ليس هذا من افعال المتوكلين فطالبتني
ان اسال الله تعالى صبرا فلما هممت بذلك سمعت قائلا يقول ويزعم انه منا قريب وانا لا نضيع
من اتانا ويسئلنا القوي جهدا وصبرا كانا لا نراه ولا يرانا وايضا لا بد من التوكل اذا
الصلاح في الامور مستور لان من عرف الله تعالى وعرف افعاله وعرف سنته في اصلاح عباده
لم يكن توجه للاسباب فانه لا يدري اي الاسباب خير له كما قال عمر رض لا ابالي اصبحت غنيا او
فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي وايضا لا بد من التوكل حيث انه اي الله سبحانه ضمن الرزق بلا
تعليق اي من غير تقييد بشرط الكسب والطلب فورد في التنزيل وما من دابة في الارض الا
على الله رزقها اي ولو لم يكتسبه ولم يطلبه لا سيما والرزق مبهم في نفسه غير معلوم باعتبار
محله وجنسه فعن ابراهيم بن ادهم سالت راهبا من اين تاكل فقال ليس هذا العلم عندي
لكن سل ربي من اين يطعمني فما اقبح من يثق اي يعتمد على سوقي مع ان الغالب عليه الكذب وخلف
الوعد بعد الاغراض والضيافة ولا يثق بضمانه تعالى مع كمال صدقه وجمال وعده وقد قيل
مكتوب في التورية ملعون من ثقته انسان مثله وفي الحديث من اعتز بالعبيد اذله الله رواه
ابو نعيم في الحلية عن عمر وحكي من عابد انه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فقال له الامام بالمسجد لو
اكتسبت كان افضل لك فلم يجبه حتى اعاده ثلثا فقال في الرابعة يهودي في جوار المسجد
قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال ان كان صادقا في ضمانه فكونك في المسجد خير لك فقال
يا هذا لو لم تكن اماما يقف بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد خيرا لك
يعني فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى للرزق وايضا لا بد من التوكل اذ لا فائدة
في الطلب حيث لا يزيد بطلبه ولا ينقص بتركه فلا منفعة في طلبه الا الذل للمخلوق مثله ولا يحل

لمن ان يذل نفسه وضياع الوقت اى وتضييع العمر في غير عبادة هي المطلوب من العبد
بحسب الامر وايضا لا بد من التوكل اذ الحيوة في الاستقبال مشكوك والموت متيقن
مسلوك والاستعداد للمتيقن اولى من الاستعداد للمشكوك بخلاف الثواب في العقبا
فانهما لو كانا مقدرين كسائر الاسباب لكن لا بد للانسان ان يسعى في اكتساب ما يوجب الثواب
وفي اجتناب ما يقتضي العقاب لورود الاوامر والنواهي في الكتاب وتعليقهما على العمل
حيث قال من يعمل من الصالحات ومن عمل صالحا الايات قال تعالى جزاء بما كانوا يعملون و
مع ما ورد في الترغيب وانتفعوا من فضل الله فقيد يتوهم منه ان المعنى الطلب في
ان ليس للانسان الا ما سعى كذلك فالعلم والثواب فيهما المراد ان من فضل الله اوهو امر رزق
جباحة او امر بطلب الحلال دون الشبهة هنا وقد يظن ان معنى التوكل ترك الكسب
بالبدن وترك التدبير بالقلب السقوط على الارض كالخرقة الملقاة وهذا ظن
الجهال وحرام في الشرع والشرع قد اثنى على المتوكلين ولا ينال المحظور بمقام من مقام
الدين فدفعه بقوله ولا ينفيه ولا ينفيه اى التوكل اربعة اشياء منها الكسب
اى التوكل عمل الباطن فيجتمع مع عمل الظاهر بل هو اتم عند بعض ارباب الاسرار ثم في
مراتب الكسب تفصيل باعتبار السبب فان كان السبب مقطوعا به بارتباط المسبب بحيث
لم يحصل المسبب بدون السبب تعالى كمد اليد للطعام اى كالاكل والوقاع اى وكالجماع
للولد اى لخلقه وبث البذر اى للحصاد بالفتح والكسر اى لقطعه فالترك خطا بل جنون
محض لورود في التنزيل ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا و
توضيحه ان اراد الكان الطعام موضوعا بين يديك وانت جايع محتاج اليه ولكنك
لست تمد اليد عليه وتقول انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد الى الطعام
سعي وحركة وكذا مضغه بالاسنان وابتلاعه باطباق اعالي الحنك على اسافله
فهذا جنون محض وجهل ظاهر وليس من التوكل شيء فانك ان انتظرت ان يخلق الله
شبعا دون اكل الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكا ليمضغه ويوصله الى
معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الارض وطمعت ان يخلق الله نباتا
من غير بذر او تلد الزوجة من غير وقاع كما ولدت مريم فهذا واشاله جنون وليس
التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالعلم او الحال اما العلم فهو ان تعلم ان الله تعالى خلق الطعام
واليد والانسان وقوة الحركة وانه هو الذي يطعمك ويسقيك ويشبعك ويرويك ولما
الحال فهو ان يكون قلبك واعتماده على الله سبحانه وتعالى لا على اليد والطعام فكيف
تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وكيف تعول على قدرتك وربما يطرء عليك

ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك وكيف تثق على حضور الطعام وربما يسلط الله عليك من
يغلبك عليه واذا كان هذا علمه وحاله فليمد اليد اليه فانه متوكل على الله ومعتمد عليه واذا كان
السبب مظنونا اى مشكوكا فيه بعدم حصول المسبب دونه اى من غير السبب غالبا كحمل الزاد للسفر
في البوادي نظرقها الناس الا نادرا فكذلك تركه خطا وجنون وايقاع النفس في المهلكة لانه
اى حمل الزاد في السفر سنة الاولين اى عادة الانبياء والمرسلين وطريقة السلف الصالحين من
الصحابة والتابعين لكنه اى ترك حمل الزاد يجوز ولذا كان يفعل الخواص وهو من الخواص لكنه
بالنسبة الى العوام القاء للنفس في التهلكة وهو حرام وانما يجوز اذا رفاضت النفس في مقام
المرام وصبرت عن الطعام اسبوعا اى سبعة ايام واما قرب منه اى من منه اى الا اسبوع واقله
ان يكون ثلثة ايام ولياليها وقد روى ان ابا تراب النخشبي راى صوفيا مد يده قشر بطيخ ليا
كله بعد ثلثة ايام فقال له لا يصلح لك التصوف لا تصوف الا مع التوكل لمن يصبر عن الطعام
اكثر من ثلثة ايام وعن ابي على الروذبارى اذا قال الفقير بعد خمسة ايام اذا اجايع فالزموه
السوق ومروه بالعمل والكسب ون اشتغل عنه تعالى بان يعبده من غير ضيق قلب وتشويش خاطر
كما حكى ان رجلا قال دخل ابو تراب النخشبي مكة طيب النفس فقلت اين اكلت ايها الاستاد اكلت
بالبصرة واكلت بالنباج واكلت هنا كذا في الرسالة القشيرية وقد رتبا اى وان قدرت والحاصل
كلوم الاحياء ان يقال او قدرت على الاقتيات بالحشيش فبعد هذين الشرطين لا يخرج عاليا
في البوادي في كل اسبوع من ان يلقاه او ينتهي الى قرية او الى حشيش يكون سببا
لحياته وقد يكون له ثبات على الرضا هنالك بالموت ان لم يتيسر شيء من ذلك فالذي يحمل
الزاد وقد يؤخذ زاده او يضل بعيره فيموت جوعا فذلك ممكن مع الزاد كما انه ممكن مع فقد
واما الخان الى شعب من الشعاب حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرق طارق فيه وجلس متوكلا فهو
اثم به يساعى في اهلاك نفسه كما روى ان زاهدا فارق الامصار واقام في سفح جبل و
قال اسال احدا شيئا حتى ياتيني ربي برزق فقعد سبعا فكاد ان يموت ولم ياته شيء فقال
يا رب ان احييتني فاتني برزقي الذي قسمت لي والا فاقبضني فاوحى الله تعالى وعزتي لا ارزقنك
حتى تدخل الامصار وتقعد بين الناس فدخل المصر واقام فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب
فاكل والشرب فاوجس في نفسه من ذلك فاوحى الله اليه اردت تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا
اما علمت اني ارزق عبدي بايدي عبادي احب الي من ان ارزقه بيد قدرتي فاذن التباعد
عن الاسباب بالكلية مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله القديمة واما ما ورد في التنزيل وتزودوا
وهو امر بطلب الزاد فزاد الاخرة هو المراد القرينة ما بعده فان خير الزاد التقوى النافعة

في المعاد وهو اي تزوده امر لقوم خاص من اهل اليمن وغيرهم يقصدون الحج بلا زاد
اتكالا على الناس اي اعتمادا على اعطائهم من ازوادهم ويؤذون الناس بالالحاح في
السؤال ومنهم جمع يدعون انهم متوكلون والحال انهم متاكلون والا اي وان لم نرتا
ضو النفس ولم نصبر على الطعام فحرام عليه ترك الكسب في الطلب لانه سعي في الهلاك للبدن
والله لا يحب المفسدين او رزق بالعيال وان كان السبب هو ما كالاستقصاء في دقايق الكسب
من امراء المزارعة والتجارة وسائر انواع الصناعة ومنه الكي والرقية والطيرة فهو اي
الاستقصاء في هذا الباب ينافيه التوكل عند اولي الالباب لانه غاية الحرص ونهاية الاتكال
على الاسباب فعن سهل التوكل ترك التدبير وقال ان الله تعالى خلق الخلق ولم يحجبهم عن
نفسه وانما حجابهم تدبيرهم ويستغني المرتب قلبه اي دون المعيل فانه يتعين عليه طلب
الحلال لاجل العيال كانهم لا يكلفون بالتوكل وفق ماله من الحال فيختار العزب الكسب
بسبب ثلاثة اشياء بنية التصدق بما فضل عن قوته على سائر الفقراء يعني ذوي
القرب والاعانة على البر اي المساعدة على اهل المجاهدة في العلم والعمل لقوله تعالى
وتعاونوا على البر والتقوى والتخلي اي المحافظة عن الشغل عنه اي عن ذكره
وفكره تعالى بالالتفات الى غيره سبحانه ولو من حوله وقوته فاذا كان المكتسب مكتسبا للغير
او لنفقة ماله فهو بيديه مكتسب ومنتفع وبقلبه عنه منقطع لقوة حاله في مقام كماله
والترك اي ويختار العزب ترك الكسب تخليا (لشغل الكسب) لله تعالى اي عن القيام بحقه كما هو حقه وانقطاعا
اليه وكمال الانقطاع العبد الى حضور سيده عملا بقوله وتبتل اليه تبتيلا رب المشرق
والمغرب لا اله الا هو فاتخذه وكيلا والحاصل ان الكسب لا ينافي حال التوكل اذا روعيت
فيه الشروط وانضاف اليه الحال بعدم التغير لفقد المال وكذا التزود ونحوه من
من الادخار للاستقبال ومن النكاح واختيار العيال اختيارا او تركا فيختاره بنية
التصدق والاعانة ويترك لشغله عن الحق والعبادة ويكتسب المعيل لاجل العيال
كما روي عن الصديق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة اصبح فاخذ رزمة متاعه تحت حضنه
والزراع بيده ودخل السوق ينادي فكره المسلمون ذلك فقالوا كيف تفعل هذا
وقد اقمت لخلافة النبوة فقال لا تشغلوني عن عيالي فاني ان اضعتهم كنت لما سواهم
اضيع حتى فرضوا له قوت اهله من المسلمين فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب
قلوبهم واستغراق وقته لمصالح المسلمين اولى ويستحيل ان يقال لم يكن ابو بكر في مقام
التوكل فمن اولى به منه فدل على انه كان متوكلا باعتبار ترك الكسب في السعي بل باعتبار

فقطع

فقطع الالتفات الى قوته وكفايته والعلم بان الله هو مسبب الاكتساب ومدبر الاسباب وشروط
كان يراعيها من طريق الكسب الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن
غير ان يكون درهم احب اليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرهمه احب اليه من
درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها ولا يصح التوكل الا مع الزهد في الدنيا نعم
يصح الزهد دون التوكل فان التوكل مقام وراء الزهد وقال ابو جعفر الحداد وهو
شيخ الجنيد وكان من المتوكلين اخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق
كنت اكتسب في كل يوم دينارا ولا ابيت منه دانقا ولا استريح منه الى قيراط دخل به
الحمام بل اخرجه كله قبل الليل وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول استحيي
ان اتكلم في مقامه وهو حاضر عندي والحاصل ان التوكل مقام شريف مرام لطيف
ولذا قال ابو سليمان الداراني لاحمد بن ابي الحواري لي من كل مقام نصيب الا من هذا
التوكل المبارك فاني ما شممت منه رائحة هذا من كلامه مع علو قدره ومقامه
ولعله اراد ادراك اقصاه وهي مشاهدة ان لا فاعل الا الله ولا رازق سواه
وبان كل ما يقدره مولاه على عبده من فقر وغنى وموت وحيوة فهو خير له مما يتمناه
وقال الخواص وقد سئل عن اعجب شيء رآه فقال رايت الخضر عليه السلام ورضي بصحبتي ولكني
فارقته خيفة ان يسكن اليه نفسي فيكون نقصا في توكلي ولا يكلف العيال بالاتكال
الا ان يساعده فيما له من الحال بالتوكل مع عدم المال والا فيجب بقدر ربط الكمال
فعن سهل من طعن على الكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك الكسب فقد طعن
على التوحيد فينجي من قام بالعيال فيما اراد مع هذا الحال لا يخرج المعيل عن مقام الاتكال
على الملك المتعال فقد قال الحسن البصري وددت ان اهل البصرة في عيالي
والحبة بدينار وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاسا والارض رصاصا
واهتممت برزقي لظننت اني مشرك بربي ولا الادخار اي ولا ينافي التوكل وضع
الذخيرة لما دون الاربعين يوما من القوت وللسنة من المعيل كما سيجيء واختلف
فيه اي في الادخار هل يكون منافيا للتوكل ام لا فذهب سهل الى انه يخرج به عن التوكل
مطلقا وذهب الخواص الى انه لا يخرج عن التوكل باربعين يوما ويخرج بما زاد على
الاربعين وقال ابو طالب المكي لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الاربعين ايضا
وهذا اختاره ولا معنى له بعد تجويز اصل الادخار كما في الاحياء على ما سياتي بيانه
في الاثناء والتحقيق في مقام التوكل ان الفضل في قلة الادخار لقصر الامل في

في التعلق بهذه الدار وتوضيحه ان كل ثواب موجود على مقام محمود فانه يتوزع
على قدر رتبته فيه مما يوافقه وينافيه ثم تلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى
اصحاب النهايات السابقين واصحاب البدايات اصحاب اليمين اللاحقين ايضا على درجات وكذلك
السابقون واعلى درجات اصحاب اليمين اللاحقين تلو وصلوا اسافل درجات السابقين
كما قيل نهاية الاولياء بداية الانبياء فلا معنى للتقدير في مثل هذا التقدير بل التحقيق ان
التوكل بترك الادخار لا يتم الا بقصر الامل وتجويز قرب الاجل واما عدم امل البقاء
فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده ثم الناس متفاوتون في طول الا
مل وقصره واقل درجات الامل يوم وليلة فما دونه من الساعات واقصاه ما يكون
عمر الانسان بحسب غالب العادة وبينهما درجات لا حصر لها في الاوقات فمن لم يامل اكثر من
شهر اقرب الى المقصود ممن يامل سنة في الوجود وميقات الكليم اي ميعاد موسى حيث قال
تعالى واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ليس للامل لجواز طول الامل بقدر اربعين من الاجل
فان الواقعة ما قصد بها ما يرخص فيه الامل بل لاستحقاق نيل المرام اي وصول موعود
موسى عم بعد اربعين يوما الى مقام الكلام على ما هو السنة الالهية السبحانية والحكمة
الرياضة الصمدانية في تدبير الامور والاشياء كما في صيرورة الجنين اي تصوير الطفل في
بطن امه من اطوار الانشائية الايجادية المتضمنة للتربية التدريجية الامدادية
نطفة اربعين يوما وعلقة كذلك ومضغة كذلك وورد خمرت طينة ادم بيدي اي
بصفتي من نعوت الجمال والجلال او بقدرتي وارادتي على وجه الكمال اربعين صباحا
رواه الديلمي من حديث ابن مسعود وسلمان الفارسي باسناد ضعيف وذلك لان الا
استحقاق تلك الطينة التخمير كان موقوفا على مدة مبلغها ما ذكر وامثاله اي مما ذكر من الكتاب
السنة يؤخذ في الرياضة على اختيار المشايخ للاربعين ويؤيده حديث من اخلص لله اربعين
يوما ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وقد تقدم ومن حفظ على امتي اربعين حديثا حشر
مع العلماء وله طرق يقوى بعضها ببعض فيصير حسنا والسنة اي ولا ينافي التوكل الادخار
للسنة الكاملة من المعيل اي صاحب العيال من الاطفال والنساء تطييبا لقلوب الضعفاء
كما هو المروي في سنة سيد الانبياء في الصحيحين انه عم ادخر لعياله قوت سنة
بلا فوقها فان ما وراء السنة لا يدخر الا لاجل ضعيف القلب والركون الى ظاهر
الاسباب من الطلب والكسب ويترك المضطرب اي المشوش اضطرابا يشتغل قلبه عن
الذكر والفكر طريق المتوكل غير المضطرب بالادخار فان كان يصلح قلبه بالادخار فهو اولى

في الاختيار بل لو امسك صنعة يكون دخلها وافيا بقدر كفايته وكان قلبه لا يفرغ الا
برعاية فذلك اولى في مقام عنايته لان الغرض وهو مدار الحق صلاح القلب في عبادة
الرب المعبود فرب شخص يشغله وجود المال عن تحصيل الكمال ورب شخص يشغله
عدمه لحصول شتات البال والحزن ودوام شغل العبد من الحضور والاجتماع ما في
الدنيا ليس في عينه حزن ولا في وجودها وعدمها حزن ولذا بعث الله رسوله
الى اصناف الخلق ومنهم اهل التجارات والزراعات والمحترفون بانواع الصناعات فلم يامر
التاجر بترك تجارة ولا المزارع بترك زراعته ولا المحترف بترك حرفته ولا امر التارك
لها بالاشتغال بها بل دعا الكل الى الله وطاعته وارشدهم الى ان فوزهم ونجاتهم في انصراف
قلوبهم عن الدنيا الى الله سبحانه وعبادته وعمدة الاشتغال في عبادة الرب هو القلب
ادخار قدر حاجته كما ان الصراف القوي ترك الادخار على قدر طاعته فقد ادخر عم لعياله
قوت سنة ونهى ام ايمن وغيرها ان تدخر لغد كما تقدم ونهى بلالا عن الادخار في قال
انفق بلالا ولا تخش من ذي العرش اقلالا رواه البزار ابن مسعود وابي هريرة وذلك
حين دخل عليه النبي عم وعنده صبر من تمر وللطبراني والحاكم من حديث ابي سعيد انه عم قال
يا بلال الق الله فقيرا واذا سئلت فلا تمنع واذا اعطيت فلا تخبأ وقد اخبر عم ان الله تعالى
يحب ان تؤتى رخصته كما يحب ان تؤتى عزائمه كما رواه احمد وغيره من حديث عمر تطييبا لقلوب
الضعفاء حتى لا ياتي بهم الضعف الى الياس والقنوط فيتركون الميسور عليهم من العجز
لعجزهم عن منتهى درجات الاقوياء فما ارسل سيد الانبياء الا رحمة للعالمين على اختلاف طبقاتهم
وتفاوت درجاتهم واذا فهمت هذا علمت ان الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر
ويدل عليه ما روى ابو امامة الباهلي ان بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن فقال
عم فتشوا ثوبه فوجد دينارين في داخل ازاره فقال عم كيتان كما رواه احمد وكان
غيره من المسلمين يموت ويخلف اموالا فلا يقول ذلك في حقه فهذا يحتمل وجهين لان حاله
يقتضي امرين احدهما انه اراد كيتان من النار كما قال تعالى فتكوى بها جباههم وجنوبهم و
ظهورهم وذلك اذا كان حاله اظهار الزهد والفقر والتوكل مع الافلاس منه
فهو نوع تلبيس وثانيهما ان لا يكون ذلك عن تلبيس فيكون المعنى به النقصان عن درجة كماله
كما ينقص عن جمال الوجه اثر كيتين في الوجه فان كل ما يخلفه الرجل من الدنيا فهو نقصان درجة
في العقبى اذ لا يؤتى احد شيئا من الدنيا الا نقص بقدره في الاخرى واما بيان الادخار
مع فراغ القلب عن المدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ما روى عن انس

قال الحسين المغازلي من اصحابه كنت عنده بضحوة من النهار فدخل عليه رجل كهل اسمر خفيف العارضين فقام له بشر وقال ما رأيته قام الى احد غيره قال ودفع الي كفا من دراهم وقال اشتر لنا بها من اطيب ما تقدر عليه من الطعام والطيب وما قال لي قط مثل ذلك قال فجئت بالطعام فوضعته فاكل معه وما رأيته اكل مع غيره قال فاكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فاخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله فانصرف فعجبت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك انكرت فعله قلت نعم اخذ بقية من الطعام من غير اذن فقال ذلك اخونا فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل وانما اراد ان يعلمنا ان التوكل اذا صح لم يضر معه الادخار والله سبحانه اعلم بحقايق الاسرار ولا مباشرة اسباب اي ولا ينفي التوكل مباشرة اسباب تدفع الضرر المتعرض للخوف في نفس او مال كان الضرر مقطوعا به او مظنونا اما بالنفس كالتحرز عن النوم في مكمن السباع اي في الارض المسبعة و ممر السيل اي وفي مجرى السيل من الوادي لا سيما في الليل فانه اذ هو المويل وتحت الحائط اي الجدار المائل الى السقوط وكذا السقف المنكسر الذي يخاف منه الهبوط لان التعريض للهلاك منهي عنه فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة منه بخلاف الموهوم اي بخلاف ما اذا كان الضرر موهوما فان مباشرته ينفي التوكل الموهوم منها من شرط التوكل وهي الخفي بنسبتها الى دفع الضرر نسبة الكي والرقية فان الكي و الرقية قد يقدم به على الحذر ودفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول الحذر وذلك لم ما وقع فورد في صفة المتوكلين انهم لا يكتوون ولا يسترقون وعلى ما تقدم ثم وصفهم عم الا بترك الكي والرقية والطيرة ولم يصفهم بانهم اذا خرجوا الى موضع بارد لم يلبسوا جبة والجبة تلبس دفعا للبرد المتوقع الاخ اذى للنابس الا استثناء من قوله ولا مباشرة اسباب قدفع الضرر اي الا ان يكون الضرر فيما ناله من اذى الناس له ويكون مما لا اثر له في الخارج كالشتم والتعيير والتوبيخ والمذلة فانه اذا امكنه الصبر والتحمل وامكنه الدفع والتشفي فالاولى فيه الصبر وترك اسباب تدفع الضرر وقوله المص فالاولى ادلى من قول صاحب الاحيا فشرط التوكل الاحتمال والصبر فورد في التنزيل فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون تمامه واهجرهم هجرا جميلا ولنصبرن على ما اذيتمونا انوه وعلى الله فليتوكل المتوكلون ودع اذيهم اي ترك مدافعته ومعاقبته في الحال او مكافاته مجازاته في الاستقبال وتوكل على الله فان من توكل عليه كفاه خلا في اذى السباع فانهم يجوزون على الاضرار في معناها الكفار فالصبر على اذى الحيوانات كا

كالعقارب والحيات ليس من التوكل في الورع اذ لا فائدة فيه حال من الحالات ويأخذ المتوكل السلاح فورد في التنزيل وليأخذوا اسلحتهم في صلوة الخوف وهو او الحذار او استحباب قد اختفى عم عن اعين الاعداء في الغار خوفا من ضرر الكفار وقد قال تعالى لموسى عم فاسر بعبادي ليلا فههنا وما قبله كله في حق النفس واما في حق المال فاشار بقوله ويعقل البعير اي يربط رجله لئلا يذهب ارق رحله فورد انه قال عم للاعرابي لما اهمل البعير قال توكلت على الله اعقلها وتوكل اي على الله رواه الترمذي من حديث انس وضعفه يحيى القطان ورواه الطبراني من حديث عمرو ابن امية الضمري باسناد جيد بلفظ قيدها وتوكل ويسد الباب اي يغلقه غير مستقص اي مبالغ في الحفظ كالتماسه من الجيران حفظه مع وجود غلقه وكجمعه اغلاقا كثيرة في محاله فقد كان مالك بن دينار يغلق بابه ايلا وبشريط ويقول لولا الكلاب ماشددته وفيه لطافة اذ الدنيا جيفة و طالبها كلاب كاورد وقد تقدم ولا يحفظ متاعا يحرص فيه اي في اخذ السارق و يطمع فيه الطارق فيلقي هو سبب معصية باعث معصيته او يكون امساكه موجب هيجان رغبته بل يقتصر على ما لا يخلسه ككوز يشرب منه وركوة يتطهر به وجواب يضع زاده فيه سلاح اذا كان من اهل جهادا وسلاح كل احد بحسب مقامه ووفق مرامه كالكتب للعلماء وعدة الحرف للفقراء والعصا سلاح الضعفاء وسنة الانبياء وكان بعض المجردين لم يكن في خلوته شيء فاذا دخلها اغلقها فاذا اخرج منها تركها مفتوحة ويقول انا متاع البيت ولما اهدى المغيرة الى مالك بن دينار ركوة وقال له خذها قال لا حاجة لي اليها قال لم قال يوسوس الي العدو ان اللص قد اخذها فكانه احتر ذمي ان يعصي السارق ومن شغل قلبه بوسواس الشيطان بسرقتها في الاحق ولذا قال ابو سليمان هذا من ضعف قلب الصوفية ذهب في الدنيا فما عليه ممن اخذها وثم المتوكل اذ سرق اي جعل مسروقا لمعصية السارق وتعرضه العقاب باللاحق لا يغتم لنقص المال بل يفرح به اي بنقص المال لما فيه صلاحه اي لما في نقص المال من كمال صلاح الحال الظن به تعالى فيما قدره وقضاه من الازل الازال ويشكره تعالى جعله مظلوما لا ظالما و نقص دنياه من ماله لا دينه الذي هو كماله فقد ركى بعض الناس لي عالم انه قطع الطريق عليه واخذ ماله فقال ان لم يكن غمك انه صار في المسلمين من يستحل هذا اكثر من غمك بمالك فما نصحت المسلمين وسرق من علي بن الفضيل دينار وهو يطوف بالبيت فرآه ابوه وهو يبكي ويحزن فقال له اعلى الدنيا تبكي فقال لا والله ولكن على المسلمين انه يسال يوم القيمة ولم يكن له حجة و

قيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال اني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه ولا يبالغ
في الطلب اي طلب المسروق من السارق وسوء الظن بالمسلم اي وفي التهمة به وبالجيران وغيرهم
من اقاربه واصحابه والاولى ان يعفوا ولا يحلل ثانيا فهو اي ما ذكر من العفو والاحلال
صدقة ان كان السارق فقيرا او لا اي وان لم يكن السارق فقيرا فاغناه له عن المعصية
التي هي السرقة وعمل لما ورد انصر اخاك ظالما او مظلوما وتوجيهه تقدم في الاحيا فان قلت
كيف يتصور ان لا يحزن اذا اخذ متاعه الذي هو محتاج اليه ولا يأسف عليه وذلك لانه ان
كان لا يشتهيه ولا يريده لم امسكه لديه واغلق الباب عليه وان امسكه لانه يشتهيه
لحاجة اليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزنه فقده وقد حيل بينه وبين ما يشتهيه فاقول
انما كان يحفظه ليستعين به على دينه اذ كان يظن ان الخيرة له في ان يكون له ذلك المتاع
ولو ان الخيرة له ما رزقه الله ولما اعطاه فاستدل على ذلك بتيسير الله وحسن الظن
به تعالى مع ظنه ان ذلك معين له على اسباب دينه ولو لم يكن ذلك عنده مقطوعا به اذ يحتمل
ان يكون خيرته في ان يبتلى بفقد ذلك حتى ينصب في تحصيل عوضه ويكون ثوابه في النصب
والتعب اكثر فلما اخذه الله بتسليط اللص تغير ظنه لانه في جميع الاحوال واثق بالله
حسن الظن به فيقول لولا ان الله علم ان الخيرة الان في عدمها لما اخذها مني فبمثل هذا
الظن يتصور ان يندفع عنه الحزن اذ انه يخرج عن ان يكون فرحه بالاسباب من حيث
انها الاسباب بل من حيث ان مسببها مسبب الاسباب عناية به وتلطفا له وهو كالمريض بين يدي
الطبيب الحبيب يرضى بما يفعله فان قدم اليه الغذاء فرح به وقال لولا انه عرف ان الغذاء
ينفعني وقد قويت على احتماله لما قربه الي وان اخذ عنه الغذاء فرح ايضا وقال لولا انه
عرف ان الغذاء يضرني لما حال بيني وبينه فكل من لا يعتقد في لطف الله ما يعتقده المريض
في الوالد المشفق الحاذق بعلم الطب فلا يصح منه التوكل اصلا ومن عرف الله تعالى وعرف
افعاله وعرف سنته في اصلاح عباده لم يكن فرحه بالاسباب فانه لا يدري اي الاسباب
خير له كما قال عمر رض لا ابالي اصبحت غنيا او فقيرا فاني لا ادري ايهما خير لي ولذلك ينبغي ان
لا يبالي المتوكل بسرقة متاعه او ببقائه فانه لا يدري ايهما خير له في الدنيا ولا في الاخرى فكم
من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكم من غني يبتلى بواقعة لاجل غناه فيقول
ليتني كنت فقيرا او يتمناه ان ما يضطر المتوكل الى تركه خارج البيت فينبغي ان ينوي عند خروجه منه
الرضاء بما يقضي الله تعالى فيه من تسليط سارق عليه يقول ما يأخذ السارق هو منه في سبيل
الله او ان كان فقيرا فهو عليه صدقة وان لم يشترط الفقر فهو اولى ويكون له نيتان لو اخذه

غنيا او فقيرا احدهما ان يكون ماله مانعا له من المعصية فانه ربما يستغني به فيتوانى عن
السرقة بعده وقد زال عصيانه باكله الحرام لما ان جعله في حل والثانية ان لا يظلم مسلما
اخر فيكون ماله فداء لمال مسلم اخر ومهما نوى حراسة مال غيره بمال نفسه او نوى دفع
المعصية عن السارق او تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتثل قوله عم انصر اخاك ظالما
او مظلوما على ما في الصحيحين وتمامه قيل كيف انصره ظالما قال يحجزه عن الظلم فان ذلك
نصره فنصرة الظالم منعه عن الظلم وعفوه عنه اعدام للظلم ومنع له وللتحقيق ان هذه
النية لا تضره بوجه من الوجوه اذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الا ان لها التأثير
ولكن يتحقق اثر هذه النية فان اخذ ماله كان له بكل درهم سبعمائة درهم لانه نواه
وان قصده وان لم يؤخذ حصل له الاجر ايضا وجملة الاداب ان يكون في هذا المقام متوكلا
على الله سبحانه بالعلم والحال اما العلم فهو ان يعلم ان اللص ان اندفع لم يندفع بكفاية الله
في اغلاق الباب بل يدفع الله سبحانه اياه كما سبق في الكتاب فكم من بيت يغلق ولا ينفع وكم من
بعير يعقل ويموت او ينفلت فكم من اخذ سلاحه يقتل او يغلب فلا يتكل اصلا على هذه الاسباب
ورب الارباب اما الحال فهو ان يكون راضيا بما يقضيه الله تعالى به في نفسه وبيته ويقول
اللهم ان سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وانا راض بحكمك فاني لا ادري
انما اعطيتني هبة فلا استرجعها او عارية او وديعة فتستردها ولا ادري
انها رزق قبل خلقي او سبقت مشيتك في الازل انها غيري وكيف ما قضيت فانا راض
به وما اغلقت الباب تحصنا من قضائك وتسخطا به على بلائك بل جريا على مقتضى سنتك
في ترتيب الاسباب فلا ثقة الا بك يا مسبب الاسباب ثم اذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي
ان يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله وان لم يجده بل وجده مسروقا فالى قلبه فان
وجده راضيا او فرحا بذلك عالما بانه ما اخذ الله تعالى ذلك منه في الدنيا الا ليزيده
في العقبى فقد صح مقامه في التوكل وظهر به صدقه وان لم قلبه ووجد قوة الصبر فقد
بان له انه ما كان صادقا دعوى التوكل لان التوكل مقام بعد الزهد ولا يصح الزهد
الا ممن لا يأسف على ما فاته من الدنيا ولا يفرح بما يأتيه بل قد يكون على العكس من ذلك
فكيف يصح له التوكل نعم قد يصح له مقام الصبر ان اخفاه ولم يظهر شكواه ولم يكثر سعيه
في الطلب والتجسس بعده وان لم يقدر على ذلك حتى تأذى قلبه واكثر الشكوى باللسان
واستقصى الطلب ببدنه فقد كانت السرقة معينة له في دينه من حيث انها اظهرت له قصوره
عن جميع المهمات وكذبه في جميع الدعاوى فبعد هذا ينبغي ان يجتهد حتى يصدق نفسه

في دعواها ولا يبتلي بجهل غرورها فانها خداعة امارة بالسوء مدعية للخير
في امورها دينوية اي العفو ابتداء لثياب وان لم يرق فانتها كما في ترك العزل فانه
اذا نوى تحصيل الولد المجاهد في سبيل يثاب به ولو لم يولد فورد فيه اي في ترك العزل
ثواب لدلالة كبير وقتل في سبيله تعالى في الاحيا كما روي عن رسول الله صلى الله عم فيمن
ترك العزل واقر النطفة قرارها ان له اجر غلام ولد من ذلك الجماع وعاش وقتل
في سبيل الله وان كان لم يولد لانه ليس في امر الولد الا الوقاع واما الخلق والحيوة والرزق
والبقاء فليس اليه فلو خلق لكان على فعله وفعله لم ينعدم فكذلك امر السرقة لكن بخرجه
قال لم اجد له اصلا وهذا وان جعله في سبيل الله فيترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة الى
الاخرة فان اعيد عليه فالاولى ان لا ياخذه اي فالاولى ان لا يقبله لو اتاه به اي بالمال المسروق قد ان
جاز الاخذ والقبول فانه ملكه في ظاهر العلم لان النية بمجردها لا تخرج الملك عن يد
المالك لكن اخذه غير مستحسن عند المتوكلين فقد روي ان ابن عمر رض سرقت ناقته
فطلبها حتى اعيى ثم قال في سبيل الله فدخل المسجد فصلى ركعتين فجاءه رجل فقال يا عبد الرحمن
ان ناقتك في مكان كذا وكذا فلبس نعليه وقام ثم قال استغفر الله وجلس فقيل له الا تذهب
فتاخذها فقال اني كنت قلت في سبيل الله وكذا من اخذ رغيفا مثلا ليعطيه فقيرا
فغاب عنه كره ان يرده الى البيت بعد اخراجه منه فيعطيه فقيرا اخر وحكي عن رجل من
العباد بمكة انه كان نائما بجنب رجل معه هميان فانتبه الرجل وفقد هميانه فاتهمه فيه
فقال له كم كان فذكره فحمله الى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك اعلمه اصحابه بانهم
كانوا اخذوا الهميان مزاحا معه فجاء هو واصحابه اليه فردوا الذهب عليه فابى عليهم و
قال خذوه حلالا فما كنت لا اعود في مال اخرجته في سبيل الله ولم يقبل والحوا عليه
فدعا ابنا له وجعل يصرها صررا ويبعث بها الى الفقراء حتى لا يبقى منه شيء ثم اقل درجات
المتوكل ان لا يدعو على السارق الذي ظلمه فان فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهيته و
تاسفه على ما فات وبطل زهده وفي الخبر من دعى على ظالم فقد انتصر وقد تقدم وفي
رواية ان العبد ليظلم المظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويسبه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبقى
للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه فيقتص له من المظلوم وقد تقدم وحكي ان الربيع بن
خيثم سرق له فرس ثمنه عشرون الفا وكان قائما يصلي فلم يقطع صلوته ولم
ينزعج قلبه لطلبه فجاءه قوم يعزونه فقال اما اني كنت قد رأيت وهو يحله فقيل فما منعك
ان تزجره قال كنت فيما هو احب الي من ذلك يعني الصلوة في مقام الاحسان وكمال التكاون

قال

قال فجعلوا يدعون على السارق فقال لا تفعلوا وقولوا خيرا فاني قد جعلتها صدقة
عليه وقيل لبعضهم في شيء كان قد سرق له الا تدعو على ظالمك فقال ما احب ان اكون عونا
للشيطان عليه قيل افرأيت لو ردت عليك السرقة قال لا اخذها ولا انظر اليها لاني كنت ابحتها
قد احللتها له وقيل لاخر ادع الله على من ظلمك فقال ما ظلمني احد ثم قال انما ظلم نفسه الا يكفيه
المسكين ظلمه لنفسه حتى اريده ولا ازالة الضرر اي ولا يمنع التوكل دفع الضرر المقطوع
به بالسبب المقطوع به كالشرب لدفع العطش وكون الاكل لدفع الجوع واللبس لدفع الحر او
البرد والمظنون اي الضرر المظنون فيه بالسبب المظنون فهو الطرف الراجح من المشكوك
كالحجامة والفصد والاسهال اي شرب الدواء المسهل وسائر اسباب الطب من معالجة البرودة
بالحرارة ومعالجة الحرارة بالبرودة بخلاف الموهوم وهو الطرف المرجوح من المشكوك
كالرقية والطيرة والكي فقد روي ان عمران بن حصين اعتل فاشاروا عليه بالكي فامتنع فلم
يزالوا به وعزم عليه الامير حتى اكتوى فكان يقول كنت ارى نورا واسمع صوتا ويسلم علي
الملائكة فلما اكتويت انقطع ذلك عني وكان يقول اكتوينا كيات فوالله ما افلحن ولا انجحن ثم
تاب من بعد ذلك واناب الى الله فرد الله عليه ما كان يجده من الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله
الم تر الى الملائكة التي كان اكرمني الله بها قد ردها الله علي بعد ان كان قد احتبس بفقدها
والترك لمباشرة السبب حرام في المقطوع به عند خوف الموت دون المظنون فان تركه ليس
بحرام واما الموهوم فشرط التوكل تركه اذ وصف به النبي عم المتوكلين واقواها الكي ويليه
الرقية ولذا نهى عم عن الكي دون الرقية ففي البخاري وانهى امتي عن الكي وفي الصحيحين من
حديث عايشة انه عم رخص في الرقية من كل ذي حمة ثم الطيرة اخر درجاتها فالاعتماد عليها
والاتكال اليها في هذا الباب غاية التعمق في ملاحظة الاسباب واما الدرجة المتوسطة وهي
المظنونة كالمداوات بالاسباب الظاهرة عند الاطباء ففعله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الموهوم
وتركه ليس محذورا بخلاف المقطوع بل قد يكون تركه افضل من فعله في بعض الاحوال وفي
بعض الاشخاص ويدل على ان التداوي غير مناقض للتوكل فعله عم وقوله وامره واما قوله
فحديث ما من داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا السام يعني الموت رواه احمد
وغيره وحديث تداووا عباد الله رواه الترمذي وصححه ابن ماجة من حديث اسامة بن
شريك وسئل عم عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا فقال هي من قدر الله رواه
الترمذي وابن ماجه والحديث المشهور ما مررت على ملاء من الملائكة الا قالوا امر امتك بالحجامة
رواه الترمذي من حديث ابن مسعود وحديث احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة واحدى

وعشرين لا يتبيغ بكم الدم فيقتلكم رواه البزار من حديث ابن عباس فمن كان تبيغ الدم
سبب الموت وانه قاتل باذن الله تعالى وبين ان اخراج الدم خلاصه منه اذ لا فرق بين اخراج
الدم المهلك الا هلاك وبين اخراج العقرب من تحت الثياب واما امره عم فقد امر غير واحد
من الصحابة الكرام بالتداوي والحمية وقطع لسعد بن معاذ عرقا اي فصده كذا في الاحياء
رواه مسلم من حديث جابر وقال رمي سعد في اكحله فحسمه عم بيده بمشقص الحديث وقد كوى
سعد بن زرارة رواه الطبراني ويؤخذ منه ان سبب الكي اذا كان موهوما فالاولى تركه
وينافي التوكل فعله وقد قال لعلي رض وكان وجع العين لا تاكل من هذا يعني الرطبة كل
من هذا فانه اوفق لك يعني السلق الذي طبخ بشعير وقال لصهيب وقد رواه ياكل التمر وهو
وجع العين اتاكل التمر وانت رمد فقال انما اكل بالجانب الاخر فتبسم عم واما فعله عم
فقد روي من طريق اهل البيت انه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء
سنة رواه ابن عدي من حديث عايشة وقال انه منكر انتهى وحديث الاكتحال ثلاثة
في الترمذي كما لا يخفى وللطبراني باسناد حسن انه عم لدغته عقرب فغشي عليه فرق
والناس الحديث وله في الاوسط عن انس انه عم كان اذا اشتكى يقمح كفا من شونيز و
ويشرب عليه ماء وعسل ولابي يعلى في الكبير من حديث عبد الله بن جعفر ان النبي عم احتجم
بعد ما سم وللبزار وابن عدي في الكامل من حديث ابي هريرة انه عم كان اذا انزل
عليه الوحي صدع راسه فيغلفه بالحناء وللترمذي وابن ماجه من حديث سلمى انها
اذا خرجت به قرحة جعل عليها حناء فمما ان التداوي مروي ومشهور فترك الدواء
ايضا ماثور عن السلف ومسطور فروي عن الصديق انه قيل له لو دعونا طبيبا فقال
فقال قد راني الطبيب قال اني افعل ما اريد وقيل لابي الدرداء في مرضه ما تشتكي قال ذنوبي
قيل فما تشتهي قال رحمة ربي قالوا الا ندعو لك الطبيب قال الطبيب امرضني وقيل لابي ذر وقد رمدت
عيناه لو داويتهما فقال اني مشغول عنهما قيل لو سالت الله ان يعافيك فقال اسأله فيما هو اهم
علي منهما وكان قد اصاب ربيع بن خثيم فالج فقيل له لو داويت فقال قد هممت ثم ذكرت عادا
وثمود او قرونا بين ذلك كثيرا وكان فيهم الاطباء فهلك المداوي والمداوى ولم يغن
الدواء من الله شيئا من الداء وكان احمد بن حنبل يقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا
الطريق ان يترك التداوي من شرب الدواء وغيره وقيل لسهل متى يصح للعبد التوكل اذا دخل
عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت اليه شغلا بحاله وينظر الى قيام الله تعالى عليه
فوجه الجمع بين فعله عم وبعض الصحابة الكرام تداويا وتوسعة للانام ورخصة في الاحكام وتركه

بعض

بعض الاعلام من مشايخ الاسلام عملا بالعزيمة المناسبة لحالهم من المقام الا في التدا
وي ولا يضر الا من حيث رؤية الدواء نافعا دون خالق الدواء فلا يرى ان الدواء نافع
بنفسه بل من حيث انه جعل الله سببا لنفعه كما لا يرى الماء مرويا ولا الخبز مشبعا وفي الا
حيا ولا يصح وجه الجمع بين فعله عم وافعال التاركين من الاعلام الا بحصر اصوار في عدم
التداوي في ذلك المقام فترك الدواء المذكور في الماثور انما هو لاحد اسباب سبعة لمعرفة
عدم النفع بالمكاشفة وهو ان يكون المريض من المكاشفين وقد كوشف له بانه قد انتهى
اجله فان التداوي لا ينفعه ويكون ذلك معلوما عنده تارة برؤيا صادقة وتارة
بحدس وظن وتارة بكشف محقق ويشبه ان يكون ترك الصديق التداوي من هذا السبب
فانه من المكاشفين فقد قال لعائشة في امر الميراث انهما اختاك ولم يكن لها الا اخت واحدة
ولكن كانت امراته حاملا فوضعت انثى فعلم انه قد كوشف بانها حامل بانثى ولا يبعد ايضا ان
يكون قد كوشف بانتهاء اجله والا فلا يظن به انكار التداوي وقد شاهده عم تداوى
وامره كذا في الاحياء وفرق بين انكار التداوي وعدم مباشرته كما لا يخفى او لكون المرض
من منافي العلاج موهوما في النفع كالكي والرقية ونحوهما وعليه كلام الربيع او للشغل
عنه اي لاشتغال قلبه عن المرض وتداويه بما يوافقه وينافيه بخوف العاقبة وعلمه تعالى
بما وقع له في السابقة فينسيه ذلك الم الامراض اللاحقة فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحا
له او تاملا في ماله وعليه يدل كلام ابي الدرداء وابي ذر في ترك الدواء فكان تالم قلبه
خوفا من ذنبه اكثر من تالم بدنه من حلول مرضه ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز اعزته
او كالخائف الذي يحمل الى ملك من اجل سياسته اذا قيل له تاكل وانت جائع فيقول اني
مشغول عن الاكل وعن الم الجوع بما هو اهم منه ويقرب من هذا اشتغال سهل رح حيث قيل
ما القوة فقال هو الحي القيوم فقيل انما سالناك عن القوام قال القوام هو العلم قيل سالناك
عن الغذاء فقال الغذاء هو الذكر قيل سالناك عن طعمة الجسد قال ما لك والجسد دع من تولاه
اولا يتولاه اخرا اذا دخلت عليه فرده الى صانعه اما رايت الصنعة اذا عابت ردها الى صانعها
حتى يصلحها او لقصد تطويل اي لارادة استيفاء المرض بالصبر على بلائه تعالى فقد ورد في
ثواب المرض ما يكثر ذكره من ذلك ان الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب احدكم ذهبه بالنار
فمنهم من يخرج كالابريز ومنهم من يخرج دون ذلك ومنهم من يخرج اسود محترق رواه
الطبراني من حديث ابي امامة قال ابن مسعود يجد المؤمن من اصح شيء قلبا وامرضه جسما
ويجد المنافق من اصح شيء جسما وامرضه قلبا ويشير اليه قوله تعالى واذا رايتهم تعجبك اجسامهم

لنيل الاجر بالصبر على بلائه تعالى فقد ورد في ثوابه كما

فلذا اعظم الثناء على المريض والبلاء احب قوم المرض واغتموه وتركوا الدواء لينالوا
ثواب الصبر على الدواء فكان منهم من له علة يخفيها ولا يذكرها للطبيب ويقاسي العلة ويرضى
بحكم الله تعالى وبما فيه من الحكمة ويعلم ان ذكر الحق اغلب على قلبه من ان يشغله المرض عنه
وانما يمنع المرض جوارحه وعلموا ان صلوتهم من قعود مثلا مع الصبر على قضائه تعالى
من العلة افضل من الصلوة قائما مع العافية والصحة وكان سهل يقول ترك التداوي وان
ضعف عن الطاعات افضل من التداوي لاجل القوة على العبادات او كانت به علة عظيمة و
لم يتداو لها وكان يداوي الناس منها وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء
من الدواء فانما هو سعة من الله عز وجل لاهل الضعف ومن لم يدخل في شيء منه فهو
افضل لانه ان اخذ شيئا من الدواء وان كان هو الماء البارد يسال عنه لم اخذه وذلك
ومن لم ياخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع
وكسر الشهوات لعلمهم ان ذرة من اعمال القلوب مثل الصبر والرضاء والتوكل افضل من
امثال الجبال من اعمال الجوارح والمرض لا يمنع من اعمال القلوب الا اذا كان المه غالبا
مدهشا وقال سهل علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة او تكفير الذنب بان
يرى طول المرض تكفير الخطايا فلابي يعلى وابن عدي من حديث ابي هريرة لا يزال الحمى
والصداع بالعبد حتى يمشي على الارض كالبردة ما عليه خطيئة وللطبراني من حديث ابي الدرداء
نحوه وله في الاوسط من حديث انس مثل المريض اذا صح وبرئ من مرضه كمثل البردة التي تقع
من السماء في صفائها ولونها وللقضاعي من حديث ابن مسعود حمى يوم كفارة سنة وفي
رواية حمى ليلة ولاحمد وابي يعلى من حديث ابي سعيد الخدري باسناد جيد ان رجلا من
المسلمين قال يا رسول الله رايت هذه الامراض التي تصيبنا ما لنا فيها قال كفارات قال ابي
وان قلت قال وان شوكة فما فوقها قال فدعا ان لا يفارقه الوعك حتى يموت الحديث
والوعك الحمى او شدة المها وللطبراني من حديث ابي بن كعب انه يا رسول الله ما جزاء الحمى
قال تجري الحسنات على صاحبها ما اختلج عليه قدم او ضرب عرق فقال اللهم اني اسئلك حمى لا
يمنعني خروجا في سبيلك ولا خروجا الى بيتك ولا مسجد نبيك الحديث وقال عيسى عم لا يكون
عالما من لم يفرح بدخول المصائب والامراض على جسمه وماله لما يرجو في ذلك من كفارة
خطاياه وروي ان موسى عم نظر الى عبد عظيم البلوى فقال يا رب ارحمه فقال كيف ارحمه
اي به اكفر ذنوبه وازيد في درجته او امتحان النفس اي ليجربها في القدرة على الصبر في
المحنة بعدم الجزاع والفزع والشكاية فقد ورد وهي معاشر الانبياء اشد الناس بلاء

ثم الامثل

ثم الامثل فالامثل يبتلى العبد على قدر ايمانه فان كان صلب الايمان شدد عليه البلاء
وان كان في ايمانه ضعيف خفف عليه البلاء رواه احمد وابو يعلى والحاكم وصححه او طغيانها اي
تجاوز النفس عن حدها في الصحة او في ايام الصحة والعافية بتضييع الوقت بالتنعم في الشهوات
اي اللهوات وتاخير الخيرات اي وبتاخير الطاعات والعبادات او المبرات لتطويل الامل وبتبعيد
الاجل وتوضيحه ان يستشعر العبد في نفسه مبادي البطر والطغيان بطول مدة الصحة فيترك
التداوي خوفا من ان يعاجله زوال المرض فتعاوده الغفلة والبطر والطغيان او طول
الامل والتسويف العمل بتاخير الخيرات والمبرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها ينبعث
الهوى ويتحرك الشهوات وتدعو الى المعاصي والسيئات واقلها ان تدعوا الى التنعم في المباحات
وهو تضييع الاوقات واهمال الربح العظيم في مخالفة النفس وملازمة الطاعات
فاذا اراد الله بعبد خيرا لم يخله عن التنبيه بالامراض والمصيبات ولذا قيل لا يخلو المؤمن عن
علة او قلة او زلة وروي ان الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض قيدي احبس به من اشاء
من خلقي وقال بعض العارفين لا نسيت كيف كنت بعدي كيف كان عافيته ان كنت لم تعص الله فانت
في عافية فان كنت عصيته فاي داء ادوى من المعصية ما عوفي من عصى وعن علي رضي الله عنه لما
راى زينته النبط بالعراق في يوم عيدهم قال ما هذا الذي اظهروه قال يا امير المؤمنين
هذا يوم عيد لهم فقال كل يوم لا نعصي الله فيه فهو لنا عيده وما احسن من قال من
ارباب الحال شعر ليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن امن بالوعيد وقال تعالى كلا ان
الانسان ليطغى ان راه استغنى قيل اي بالعافية وقال بعضهم انما قال فرعون انا ربكم
الاعلى لطول العافية لانه لبث اربعمائة سنة لم يصدع له راس ولم يحم له جسم ولم
يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ولو اخذه الشقيقة لشغلته عن الفضول الدنيوية
فضلا عن دعوى الالوهية وروي ان عمار بن ياسر تزوج امراة ولم تكن تمرض فطلقها
وفي الخبر انه عرض عليه امراة فذكر من صفتها ونعتها حتى هم ان يتزوجها فقيل وانها ما
مرضت قط فقال لا حاجة لي فيها رواه احمد من حديث انس باسناد جيد وذكر عم الا
مراض والاوجاع كالصداع وغيره فقال رجل وما الصداع ما عرفته فقال اني اليك من
اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا رواه ابو داود وذلك لما ورد ان
الحمى حظ كل مؤمن من النار رواه احمد من حديث ابي امامة ولابن ماجه من حديث ابي هريرة
انه عم عاد مريضا من وعك كان به ابشر ان الله عز وجل يقول هي ناري اسلطها على
عبد المؤمن في الدنيا ليكون حظه من النار في العقبى والاولى الاخفاء اي اخفاء مرضه

وسوء حاله صبرا على بلائه تعالى ورضاه بقضائه سبحانه وتحاميا عن الشكاية الا على سبيل الحكاية
وانما جاز ذلك لثلثة اغراض لقصد العلاج للطبيب اذا كان المريض من الضعفاء بخلاف
الاقوياء فكان الامام احمد على الاخبر بها المطبب اذا ساله عنها وتارة يخبر بامراض
يجدها ويقول انما اصف قدرة الله في اولتعليم حسن الصبر او لتعليم المريدين استحسان
الصبر وجواز اظهاره بالشكاية على طريق الحكاية بل لبيان الشكر في الرواية بان يظهر
المرض بلية يصبر عليها او نعمة يشكر ربه بها فيحدث به كما يتحدث بالنعمة وقال الحسن البصري
اذا احمد المريض ربه تعالى وشكره ثم ذكر اوجاعه لم يكن ذلك شكوى وهو اي صاحب هذا
المقام يكون من المتعدي به او اظهار العجز والافتقار عن الصبر اليه تعالى وهو انما يستحسن
من القوي من مقام الصبر كما روي عن علي رض انه قيل له في مرضه كيف انت فقال بشر فنظر بعضهم
الى بعض كانهم كرهوا ذلك وظنوا انه شكاية فقال اتجلد على الله تعالى فاحب ان يظهر فيه
العجز والافتقار مع ما علم فيه من القوة والاقتدار فالنية اي تحسينها واصلاحها
مرخصة لاظهار علله واسبابها والمعنى ان النية مرخصة للتداوي وتركه فان ذلك يختلف
باختلاف الاحوال والاوقات وانما الاعمال بالنيات واما من ترك التداوي توكلا وجه
له لا اظهار اصلا فالاستراحة الى الدواء احسن من الاستراحة الى الافشاء وقد قال
بعضهم من بث لم يصبر ولذا قال يعقوب عم انما اشكو بثي وحزني الى الله وقيل في معنى قوله فصبر
جميل لا شكوى فيه وقيل ليعقوب عم ما الذي اذهب بصرك قال الزمان وطول الاحزان
فاوحى الله تعالى اليه تفرغت شكواي الى عبدي فقال يا رب تبت اليك وروي عن طاوس
ومجاهد انهما قالا لا يكتب على المريض انينه في مرضه وكانوا يكرهون انين المريض لانه
اظهار معنى يقتضي الشكوى حتى قيل ما اصاب بليس من ايوب عم الا انينه في مرضه فجعل
الانين حظه منه ولعله محمول على انين كان يمكن ان لا يظهر عند عواده والا فقد سبق
انه تسبيح وثنا عليه مع انه امر طبعي لا يدخل تحت اختيار المريض وفي الخبر اذا مرض العبد
قال الله تعالى للملكين انظروا ما يقول لعواده فان حمد الله تعالى واثنى عليه بخير وان شكا و
ذكر بشر قالا كذلك يكون وانما كره بعض العباد عيادة العباد خشية الشكاية في المقام
وخوف الزيادة في الكلام وكان بعضهم اذا مرض اغلق بابه فلم يدخل عليه احد حتى يبرء
فيخرج اليهم منهم الفضيل بن عياض ووهب بن الورد وبشر بن الحارث وكان الفضيل
يقول اشتهي المريض بلا عواد وقال اكره العلة الا لاجل العواد هذا مما ينفع في باب
التوكل من حسن الظن بمجيء الرزق ان يسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله في وصول

الرزق الى صاحب التوكل في سائر الاوقات كما روي عن حذيفة المرعشي وكان تقدم ابراهيم
ابن ادهم فقيل له ما اعجب ما رايت منه فقال بقينا في طريق مكة اياما لم نجد طعاما ثم دخلنا
الكوفة فاوينا الى مسجد خراب فنظر الي ابراهيم بن ادهم فقال يا حذيفة ارى بك الجوع
فقلت هو ما راى الشيخ فقال علي بدواة وقرطاس فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انت
المقصود اليه بالله بكل حال والمشار اليه بكل معنى شعر انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جائع
انا ناقع انا عاري هي ستة فانا الضمين بنصفها فكن الضمين بنصفها يا باري مدحي لغيرك
لهب نار خضتها فاجر عبيدك من دخول النار ثم دفع الي الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك
بغير الله وادفع الرقعة الى اول ما يلقاك فخرجت فاول من لقيني كان على بغلة فناولته الرقعة
فاخذها فلما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذا الرقعة فقلت هو في المسجد الفلاني
فدفع الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت رجلا اخر فسالته عن راكب البغلة فقال هذا
رجل نصراني فجئت الى ابراهيم فاخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يجيء الساعة فلما كان
بعد ساعة دخل النصراني واكب على راس ابراهيم يقبله واسلم وقال ابو يعقوب الاقطع البصري
جعت بالحرم عشرة ايام فوجدت ضعفا فحدثتني نفسي بالخروج فخرجت الى الوادي لعلي
اجد شيئا فرايت شلجمة مطروحة فاخذتها فوجدت في نفسي منها وحشة وكان قائل يقول
لي جعت عشرة ايام واخره يكون حظك شلجمة متغيرة فرجعت فدخلت المسجد فقعدت
فاذا انا برجل اعجمي قد اقبل حتى جلس بين يدي ووضع قمطرة وقال هذه لك فقلت
كيف خصصتني بها فقال اعلم انا كنا في البحر منذ عشرة ايام واشرفت السفينة على الغرق
فنذرت ان خلصني الله ان اتصدق بهذه على اول من يقع عليه بصري من المجاورين و
انت اول من لقيته افتحها ففتحتها فاذا فيها كعك سميذ مصري ولوز مقشر وسكر كعاب فقبضت
قبضة من هذا وقبضة من هذا وقلت رد الباقي الى صبيانك هدية مني لكم وقد
قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسير اليك من عشرة ايام وانت تطلبه في الوادي وقال
ممشاد الدينوري كان علي دين فاشتغل قلبي بسببه فرايت في النوم كان قائلا يقول يا
بخيل اخذت علينا هذا المقدار من الدين عليك الاخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك
بقالا ولا قصابا ولا غيرهم وحكي عن بنان الحمال قال كنت في طريق مكة اجي من مصر ومعي
زاد فجاءتني امراة وقالت يا بنان انت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم انه لا يرزقك
قال فرميت بزادي ثم اتي علي ثلث لم اكل فوجدت خلخالا في الطريق فقلت في نفسي احمله
حتى يجيء صاحبه فربما يعطيني شيئا فارده عليه فاذن انا بتلك المراة

فقالت انت تاجر تقول لعيسى يجيء صاحبه فاخذ منه شيئا ثم ردها الى شيء من الدراهم
وقال انفقه فاكتفيت بها الى قريب مصر وحكى ان بنانا احتاج الى جارية تخدمه فانبسط
الى اخوانه فجمعوا له ثمنها وقالوا هوذا يجيء النفير فنشترى ما يوافقك فلما ورد النفير
اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا انها تصلح له وقالوا لصاحبها بكم هذه الجارية فقال انها
ليست للبيع فالحوا عليه فقال انها لبنان الحمال اهدتها اليه امرأة من سمرقند فحملت الى بنان و
ذكرت له القصة وقيل كان في الزمن الاول رجل في سفر ومعه قرص فقال ان اكلته
مت فوكل الله به ملكا فقال ان اكلته فارزقه وان لم ياكله فلا تعطه غيره فلم يزل
القرص معه الى ان مات ولم ياكله وبقى القرص بعده ويقرب منه ما في حيوة الحيوان
ان دودة اكلها التراب وتموت جوعا خوفا من فراغه وخوفا على فراقه وكذا
طير على ساحل البحر يموت عطشا خوفا من نفاد ما فيه من الماء وقال ابو سعيد الخراز
دخلت البادية بغير زاد فاصابتني فاقة فرأيت المرحلة فسررت بان وصلت ثم فكرت
في نفسي اني سكنت واتكلت على غيره سبحانه فاليت ان لا ادخل المرحلة الا ان احمل اليها
فحفرت لنفسي في الرمل حفيرة وواريت جسدي فيها فسمعوا صوتا عاليا في نصف الليل
يا اهل المرحلة ان الله وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فاخرجوني
وحملوني الى القرية وروى ان رجلا لازم باب عمر رض فقال عمر يا هذا اهاجرت الى
عمر او الى الله اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل حتى افتقده
عمر فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر اني استقت اليك فما الذي
شغلك عني فقال اني قرأت القرآن فاغناني عن عمر وال عمر فقال عمر رحمك الله فما وجدت
فيه قال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السما وانا
اطلبه في الارض فبكى عمر فقال صدقت وكان عمر بعد ذلك يجلس اليه وقال ابو حمزة
الخراساني حججت سنة من السنين فبينا انا امشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعتني
نفسي ان استغيث ثم قلت لا والله لا استغيث فما استتم هذا الخاطر مر براس البئر
رجلان فقال احدهما تعال حتى نسد راس هذا البئر لئلا يقع فيه احد فاتوا بقصب
وبارية وطموا على راسه فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي الى من هو اقرب منهما فسكت
فبينا انا بعد ساعة اذا انا بشيء وكشف عن راس البئر وادلى رجله وكان يقول تعلق
بي في همهمة لم كنت اعرف له ذلك فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع فمر وتركني فهتف
بي هاتف فقال يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف فمشيت وانا اقول شعر

اهابك ان ابدي اليك والذي اخفي ۝ وانت عليم ما لا يخط طرفي ۝ نهاني حيائي منك ان اكتم الحيوة
واغنيتني بالفهم منك عن الكشف ۝ تلطفت في امري فابديت شاهدي ۝ الى غائبي واللطف يدرك
باللطف ۝ تراءيت لي بالغيب حتى كانما ۝ تبشرني بالغيب انك في الكف ۝ اراك وبي من هيبتي لك وحشة
فتؤنسني باللطف منك وبالعطف ۝ وتحييني محبا انت في الحب حتفه ۝ وذا عجب كون الحيوة
مع الحتف ۝ فهذه الاحوال رجال ماتوا قبل الموت فلو لحقهم شيء من الفوت وفي هذا المقام قال
من قال عم نفسك وتعال وبينا ذلك الحال ان تطيب نفس السالك لهذه المسالك بالموت ان لم ياته
رزقه علما بان رزقه هو الموت والجوع وان كان نقصانا في الدنيا فهو زيادة كما في العقبى
فيرى انه سيق اليه خير الرازقين ويعتقد انه سبحانه خير الرازقين كما انه احسن الخالقين والاصل
الذي عليه مدار امر الدين خصوصا فيه اي في التوكل هو اليقين وقد قال تعالى واعبد ربك
حتى ياتيك اليقين اي عين اليقين فانه كان عم وابناء الكرام في مقام علم اليقين ولذا
تفسير الموت عند غاية المفسرين من الائمة المتاخرين وقال عز وعلا وهدى للمتقين الذين
يؤمنون بالغيب الى ان قال وهم بالاخرة هم يوقنون وقول علي رض لو كشف الغطاء ما ازددت
يقينا لانه انما يزداد وضوحا عينيا بعد ما كان ظاهرا غيبيا كما ان الذي يرى انسانا في وقت
الاسفار لا يزداد يقينا عند طلوع شمس النهار بانه انسان في صورته وهيئته بل يزداد
وضوحا في عرفان تفصيل خلقته والحاصل انه ما يزداد اليقين في طريق العلم والبيان وانما
يزداد باعتبار الظهور والعيان فينتقل من علم اليقين الى عين اليقين ورؤية الحق
ينتقل من العلم اليقين الى حق اليقين ونظيره ان خبر الكعبة متواتر عند كل سالك المناسك
فله علم اليقين في سلوك تلك المسالك الى ان يشاهد البيت من بعيد فيشهد له بعين اليقين
مع تاييد ثم اذا قبل الحجر الاسود والتزم الملتزم انتقل الى حق اليقين في الحرام المحترم والله
سبحانه اعلم وورد عنه صلى الله عم من كان غريزته العقل اي طبيعته وسجيته اليقين
اي خلقته وطويته لم يضره الذنوب اي ارتكابها لانها يدعوان الى سرعة التوبة عن اكتسابها
بها والتائب عن الذنوب كمن لا ذنب له في اجتنابها والحديث رواه من افضل ما اتيتم
اليقين في امر الدنيا عزيمة الصبر في مقام المجتهدين والحديث رواه قال تعالى وان تصبروا
وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
ولابي نعيم في الحلية والبيهقي من ابي سعيد مرفوعا ان من ضعف اليقين ان ترضي الناس بسخط
الله وان تحمدهم على رزق الله وان تذمهم على ما لم يؤتك الله ان رزق الله لا يجره
اليك حرص حريص ولا يرده كراهة كاره وان الله بحكمته وجلاله جعل الروح والفرح

في الرضاء واليقين وجعل لهم والحزن في الشك والسخط وهو اي اليقين عدم الشك
في امر الدين عند المتكلم في علم الكلام والاستيلاء للامر على القلب باستعلاء الريب
على الاخرة المنتج للعمل في مرضات الله سبحانه وهذا التعريف عند المتصوفة والفقهاء
ولذا يوصف عندهم بالضعف والقوة والكمال والزيادة بخلاف غيرهم ومن هنا
قيل لمن جزع وقت الموت ضعف يقين فلا عند الموت كان الاظهر ان يقال في الموت اي في
حال وقوعه مع عدم الشك لاحد من المسلم والكافر فيه في وجود الموت وثبوته فهو
يقين يشبه الشك وقوي في الرزق اي ويقال لمن ترك بالكلية مباشرة الاسباب وتوكل
على الله حق توكله بترك الاكتساب قوي فلان في امر الرزق مع الشك فيه اي في وجود الرزق
اذ يحتمل عدمه بان يموت جوعا في مقامه ومجاريه اي مجال اليقين ومجاليه كل ما جاء
به الشرع المبين والاصول لليقين اربعة التوحيد للحق وبلوغ الرزق للخلق والجزاء
على الاعمال واطلاعه تعالى على الاحوال سرا وعلانية فانه يعلم السر واخفى والجدوى
اي فائدة اليقين ادبا ايضا عدم الالتفات المسخرات من العلويات والسفليات والاجمال
في الطلب اي طلب الرزق في الحديث اجملوا في طلب الدنيا فان كلا ميسر لما كتب له منها رواه
ابن ماجه وغيره من حديث حميد الساعدي والمعنى اكتسبوا المال بوجه جميل وهو ان لا
يطلبه الا بالوجه الشرعي وتصحيح الزيادة في المقامات مع ترك التأسف على الفوت قال
تعالى لكيلا تأسوا على ما فاتكم اي من الدنيا فورد من اسف على دنيا فاتته اقترب من
النار مسيرة الف سنة ومن اسف على اخرة فاتته اقترب من الجنة مسيرة الف سنة اخرجه
الرازي في مشيخته عن ابي عمرو والاقدام على الطاعات اي وكثرة العبادة مع الا
متناع عن المعصية اي مع الاجتناب عن جميع السيئات والمبالغة في اصلاح الظاهر و
الباطن بتحصيل الاخلاق والشمائل وتحسين الاحوال والفضائل الخاتمة في المحبة
والسلوك اي وسلوك طريق المحبة وسبيل المودة ومن لم يعرف من بحر المعرفة لم يعرف
بحقيقة المحبة مع غير الجنس والمثل والصفة وقال الاصمعي لها الى المواظبة على الطاعة ولما
الكمال المحبة انكر الانس والشوق والذوق والمحو والصحو والفناء والبقاء والقبض والبسط
وسائر لوازم المحبة وتوابع المودة وسائر مقامات اهل المعرفة ويجيء كشف الغطاء
عن هذه عن هذه الحالة ببيان الكتاب والسنة بسم الله الرحمن الرحيم يجلي الامور و
ينشرح الصدور ولامة مجمعة على ان الحب لله ورسوله فرض كيف يفترض ما لا
وجود له وكيف يفسر الحب بالطاعة تبع الحب وثمرته فلا بد من ان يتقدم الحب ثم

بعد ذلك

بعد ذلك يطيع من احب وورد في التنزيل ما يقوي هذا التأويل قل ان كنتم تحبون الله
اي تدعون محبته فاتبعوني فاني رئيس المحبين في سلوك المودة يحببكم الله كما احبني وسماني
حبيب الله ولا اتباع حظ من متبوعه بقدر الاتباع ومما يدل اثبات الحب لله قوله عز وجل يحبهم
ويحبونه ثم في قوله سبحانه والذين امنوا اشد حبا لله دليل على اثبات الحب ومنافيه والتفا
وت في مراتب لا يؤمن احدكم ايمانا اصلا حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما من الولد
والوالد وما عداهما والحديث رواه الشيخان من حديث انس بلفظ لا يجد احد حلاوة الايمان
الحديث وعن ابي رزين العقيلي انه قال يا رسول الله ما الايمان قال ان يكون الله ورسوله احب
اليك مما سواهما وفي الصحيحين من حديث انس ايضا لا يؤمن احدكم حتى اكون اليه من ولده و
ولده والناس اجمعين وفي رواية لهما من نفسه وللبخاري من حديث عبد الله بن هشام
قال عمر يا رسول الله لانت احب الي من كل شيء الا نفسي فقال لا والذي نفسي بيده حتى اكون
احب اليك من نفسك فقال عمر فانت الان والله احب الي من نفسي فقال الان يا عمر يعني امنت
وهو خبر ويحتمل ان يكون استفهاما ولعل هذه الاحاديث مقتبسة من قوله تعالى قل ان
كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة
تخشون كسادها ومساكن طيبة ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله
فتربصوا حتى ياتي الله بامره فان ذلك جرى مجرى التهديد والانكار والتقصير الاثبات
والاقرار ونبه عم على تفاوت المحبة بينه وبين الله سبحانه في هذا المقام بقوله احبوا الله
لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله اياي فاشار الى ان محبة الله اصالة ومحبته عم تبعية
كما يقتضيه المقام الربوبية والعبودية ويروى ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك
قال فاعد للفقر تجفافا رواه الترمذي وحسنه وعن عمر رضي عنه نظر الى مصعب بن
عمير مقبلا وعليه اهاب كبش قد تنطق به فقال عم انظروا الى هذا الرجل الذي قد نور الله
قلبه لقد رأيت بين ابويه يغذوانه باطيب الطعام والشراب فدعاه حب الله ورسوله
الى ما ترون رواه ابو نعيم في الحلية باسناد حسن وفي الصحيحين من حديث انس وابن مسعود
وابي موسى قال اعرابي يا رسول الله متى الساعة ما اعددت لها فقال ما اعددت لها كثير
صلوة ولا صيام الا اني احب الله ورسوله فقال عم المرء مع من احب قال انس فما رايت
المسلمين فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بذلك وقال الصديق من ذاق خالص محبة الله
شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه عن جميع البشر اي من ارباب الدنيا وقال الحسن من
عرف ربه احبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل فاذا تفكر حزن وقال

ابو سليمان الداراني ان من خلق الله تعالى خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من النعيم عنه
فكيف يشتغلون عنه بالدنيا ويروى ان عيسى عم مر بثلثة نفر قد نحلت ابدانهم و
تغيرت الوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما ارى فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله
ان يؤمن الخائف ثم جاوزهم الى ثلثة اخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم
الى ما ارى فقالوا الشوق الى الجنة فقال حق على الله ان يعطيكم ما ترجون ثم جاوزهم
الى ثلثة اخرين فاذا هم اشد نحولا وتغيرا كان وجوههم المرايا من النور فقال ما الذي
بلغ بكم ما ارى فقالوا نحب الله عز وجل فقال انتم المقربون وقال هرم بن حيان اذا عرف
المؤمن ربه احبه واذا احبه اقبل عليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا
بعين الشهوة ولم ينظر الى الاخرة بعين الفترة وهو يحسره وقال يحيى بن معاذ عفوه
يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الامال فكيف حبه وحبه يد
هش العقل فكيف وده ووده ينسي ما دونه فكيف لطفه وقال يحيى بن معاذ مثقال
خردل من الحب احب الي من عبادة سبعين سنة بلا حب وقال ايضا الهي اني مقيم بفنائك
مشغول بثنائك اخذتني اليك وسربلتني بقربك واسكنتني من لطفك ونقلتني في الاحوال
وقلبتني في الاعمال سترا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا وحبا تسقيني من حياضك وتجلي
في رياضك ملازما لامرك مشغوفا بقولك ولما طر شاربي ولاح طائري فكيف انصرف
اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا ولي ما بقيت حولك دندنة وبالضراعة
اليك همهمة لاني احبك وكل حبيب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف والمحبة اعظم
اعظم المقامات واهم المهمات فقيل المحبة محو المحب بصفاته واثبات المحبوب بذاته وقيل
المحبة ايثار المحبوب على المصحوب وقيل مشاهدة الحبيب في المشهد والمغيب وقيل المحبة
ان تغار على المحبوب ان يحبه مثلك في مقام المحبوب وقيل المحبة معنى من المحبوب قاهر للقلوب
يعجز القلوب عن ادراك نهايته ويمنع الالسن عن عبارته وقال الجنيد رحمه الله المحبة
على صاحب العلاقة وقال كل محبة تكون للعوض فاذا زال العوض زالت المحبة وعن ذي
النون قل لمن اظهر حب الله احذر ان تركن الى غير الله وهي اي المحبة ميل النفس الى الموافق
اي الى ما يوافق هواها ولا ينافي مشتهاها وتوضيحه ان المدركات تنقسم الى ما يوافق طبع المدرك
ويلذه ويلائمه والى ما ينافيه وينافره ويولمه والى ما لا يؤثر فيه بايلام ولا التيام
فكل ما في ادراكه لذة وراحة فهو محبوب عند المدرك وما كان في ادراكه الم ومحنة
فهو مبغوض عنده وما يخلو عن استعقاب لذة وراحة والم وشدة فلا يوصف بكونه

محبوبا

محبوبا ولا مكروها فان كل لذيذ محبوب عند المتلذذ به ومعنى كونه محبوبا ان في الطبع
ميلا اليه ومعنى كونه مبغوضا ان في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء
الملذ فان تاكد ذلك الميل وقوي سمي عشقا وشوقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن
المولم المتعب فاذا قوي سمي مقتا ويقال سحقا ثم لما كان الحب تابعا للادراك والمعرفة انقسم
لا محالة بحسب انقسام المدركات بالحواس فلكل حاسة نوع من المدركات ولكل واحد منها
لذة في بعض المدركات وللطبع بسبب تلك اللذة ميل اليها فكانت محبوبا عند الطبع السليم
فلذة في الابصار وادراك المبصرات الجميلة والصور الحسنة ولذة الاذن في النغمات الطيبة
الموزونة ولذة الشم في الروائح الطيبة ولذة الذوق في الاطعمة المستلذة ولذة اللمس
في اللينة والنعومة ثم لذات الحواس الخمسة تشارك فيها البهائم الانسان فان كان الحب مقصورا
على مدركات الحواس الخمس حتى يقال ان الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يتمثل بالخيال فلا يحب فاذا
قد بطل خاصة الانسان وما يتميز به عن الحيوان من الحس السادس الذي يعبر عنه اما بالعقل
واما بالنور او بالقلب او بما شئت من العبارات فلا مشاحة فيها وهيهات فالبصيرة الباطنة
اقوى من البصر الظاهر كما يشير اليه قوله سبحانه فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور
والقلب اشد ادراكا من العين وكذا قال تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب الا من
اتى الله بقلب سليم وجمال المعاني المدركة بالعقل اعظم من جمال الصور الظاهرة للا
بصار وكذا قال تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون وان في
ذلك لايات لقوم يعقلون فيكون لا محالة القلوب بما يدركه من الامور الشريفة الالهية
التي تجل عن ان تدركها الحواس ابلغ واتم فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح القويم
اليه اقوى واهم ولا معنى للحب الا الميل الا ما في ادراكه لذة ولا لذة اعظم من محبة الله تعالى ومعرفته
فلو لم يكن اذا احب الا من قصر به المقصود عن درجة البهائم عقلا فلم يجاوز ادراكه الحواس
اصلا فالادنى من اللذات المطعم اي لذة والشرب من المستلذات ثم النكاح من المشتهيات
وذلك بالنسبة الى المكلف والا فالصبي عنده بعد الاكل تمام لذته للهو واللعب ثم الجاه
الصوري ثم العلم بالامر الضروري ويوقف الترقي بترك الادنى واستحقاره عند وجدان
الاعلى واستقراره كما ان المراة الشابة اذا ارادت زوجا فخيرت بين غني وفقير جواد
فالغالب انها لا تختار الغني لا سيما اذا كانت غنية ولها قوة مشتهية فعلم ان لذة النكاح
اعلى من لذة المطعم ثم لو فرضنا انها كانت من اشراف القوم وفرض ان الرجولية زالت من الناس
الا من ارادهم كالخناسين ولدها غني فالغالب انها لا تختار زوجا من هذه الطائفة ولو كان

غنيا وفي الشهوة قويا فعلم ان لذة المنكح ثم لو فرض شريف ذو نسب في اقل لذة وليس
في البلد عالم الامن اراذل القوم المذكورين فالغالب انه لا يانف ان يحضر في مجلس هذا
العالم يستفيد منه العلم فعلم ان لذة العلم اعلى من لذة الجاه وكذا لو خير بين النظر الى صورة
جميلة وبين استنشاق رايحة طيبة اذا اختار النظر الى الحسن الصورة علم ان الصور
الجميلة عنده من الروايح الطيبة وكذا اذا احضر الطعام واستمر اللاعب بالشطرنج علم ان
لذة اللعب عنده اقوى من لذة الاكل واستكراه البعض للنقص في كماله كاستكراه المريض
المطعم لعلة في حاله والصبي المنكح لعدم بلوغ مناله والا فلا يخفى ان في العلم والمعرفة لذة
حتى ان الذي ينسب الى العلم ولو بشيء خسيس كالشطرنج ونحوه من الكيميا واكسيميا وامثاله
يفرح به والذي ينسب الى الجهل ولو في شيء حقير يغتم بسببه ثم مراتب العلم متفاوتة
باعتبار تفاوت المعلوم والعلم به تعالى اشرف العلوم فشرفه اي العلم بشرف المعلوم
وليت شعري هل في الوجود شيء اجل واعلى واكمل واعظم من خالق الاشياء ومكملها و
مزينها ومبديها ومعيدها ومدبرها ومربيها فالذ العلوم العلم بالله تعالى وصفاته
وافعاله في مصنوعاته وتدبيره وسمواته ومن ثم الفتوى بل الكتابة اشرف من الخياطة
ونحوها من الصياغة والصباغة والرؤية له سبحانه الذمة اي من العلم به لازديا
والكشف في معرفة ذاته وصفاته فيها اي في الرؤية حال التجليات فاللذة باعتبار
هذا المعلوم وازدياد الكشف المفهوم وسببها اي موجب المحبة وباعثها الكمال في
الجمال فهو اي الكمال محبوب طبعا ولو في زيادة الجاه والمال ومن ثم احب العالم لما له
كمال في العلم والصالح لما له كمال في العمل لا لصورتهما الظاهرة بل لسيرتهما الباطنة
الباهرة فان الطباع مجبولة على حب الانبياء والعلماء والاولياء مع انهم لم يشاهدوا
الهم شيئا ومنه حب ارباب المذاهب كابي ح ومالك والشافعي واحمد وغيرهم من
المشايخ حتى ان الرجل قد يجاوز به لصاحب مذهبه او مشربه هذا النسبة فيحمل ذلك
على ان ينفق جميع ماله نصرة مذهبه والذب عنه ويخاطر بروحه في قتال من يطعن
في امامه او شيخه وكم من دم اريق في نصرة المذاهب باختلاف المراتب فليت شعري من
يحب متبوعا من عالم صالح فلم يحبه ولم يشاهد قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن
صورته وهيأته فاستحسانه الذي حمل على افراط حبه انما هو لاستحسان سيرته وهي
صورته الباطنة لا صورته الظاهرة والوجه الجميل لما له من صورة الجمال والكلام
البليغ لما له من سيرة اهل الكمال والاحسان فان الانسان اي جنسه عبيده اي عبيد

الاحسان وفي نسخة الاحياء عبد الاحسان وهو اظهر لحمه على الانسان والمعنى انه قد جبلت
القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء عليها كما ورد وقد ورد ايضا اللهم
لا تجعل الفاجر على يدا فيحبه قلبي كما رواه الديلمي وهذا المقام اذا احقق رجع الى الاول فان
المحسن من امده بالمال والعونة وسائر الاسباب الموصلة الى دوام الوجود وتمام الشهود
وهو من جملة الكمال الا ان الاول كمال لذاته وهذا من عوارض صفاته بل اذا احكي من سيرة
بعض الملوك واصحاب المال في اقطار الارض العدل والاحسان غلب حبه على القلوب مع
الميناس من انتشار احسانه لبعد المزار وتنائي الديار فاذا ليس حب الانسان
مقصورا على من احسن اليه فقط بل المحسن في نفسه محبوب وان كان لا ينتهي احسانه
فقط الى المحب لان كل جمال وحسن فهو محبوب فالصورة ظاهرة وباطنة والحسن
والكمال يشملهما وتدرك الصورة الظاهرة بالبصر والصورة الباطنة بالبصيرة
الباطنة فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يتلذذ بها ولا يحبها ولا يميل اليها ومن
كانت البصيرة الباطنة اغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة اكثر من
حبه للمعاني الباطنة اكثر من حبه للمعاني الظاهرة فشتان بين من يحب نقشا مصورا
على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الانبياء لجمال صورته الباطنة
ولا كمال في الجمال والجلال الا له تعالى شانه وهو الملك المتعال والاحسان الا منه كما يشير
اليه قوله تعالى وما بكم من نعمة فمن الله والاعلى ان يحب اي الله لذاته مع قطع النظر عما يقتضيه
صفاته الجمالية من رجاء الجنة ونعوته الجلالية من خوف العقوبة وما يوجبه صفات الا
فعال من الاكرام والاحسان والانعام وهو اي الحب لذاته من المواهب اللدنية
والمراتب العندية دون المكاسب العبدية كما ورد نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم
يعصه بخلاف غيره اي غير الحب لذاته من انواع الحب الاتية المعبر عنها بقوله ثم
لكمال ثم للاحسان وهو اي حبه لذي الاحسان محبة النفس اي نفس الحب في الحقيقة
وان كان يطلق عليه محبة الله في ظاهر الشريعة والطريقة فاذن يرجع الفرق الى
تفاوت الرتبة والا فكل واحد يرجع الى محبة الانسان لنفسه فكل من احب المحسن
لاحسانه فما احب ذاته تحقيقا بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال الحب مع
بقاء ذاته ولو نقص نقص الحب ويتطرق اليه الزيادة والنقصان بحسب زيادة الا
حسان ونقصانه وفي الاحياء ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه ولا يخفى انه قد يحب غيره
لاجل نفسه وهل يتصور ان يحب غيره لذاته لا لاجل نفسه هذا مما قد يشكل على

الضعفاء حتى يظنوا انه لا يتصور ان يحب لا لنفع غيره لذاته ما لم يرجع منه
حظ الى المحب سوى ادراك ذاته فالحق ان ذلك متصور وموجود ولاهل الكمال
مدرك ومشهود وذلك لعين الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لغيرها
ولا تظنن الصورة الجميلة لا يتصور الا لقضاء الشهوة فان قضاءها لذة اخرى قد
يحب الصورة الجميلة لا لاجلها وادراك نفس الجمال ايضا لذيذ فيجوز ان يكون محبوبا
لذاته وكيف ينكر ذلك والخضرة والماء الجاري محبوبان لا ليشرب الماء او يؤكل الخضرة
او ينال منها حظ سوى نفس الرؤية فقد كان عم يحب الخضرة والماء الجاري ابو نعيم
في الطب النبوي من حديث ابن عباس انه عم كان يحب ان ينظر الى الخضرة والماء الجاري
كما روى ابو نعيم في الطب النبوي من حديث ابن عباس انه عم كان يحب ان ينظر
الى الخضرة الماء الجاري والطباع السليمة من العوارض السقيمة قاضية باستلذاذ
النظر الى الانوار والازهار والاطيار المليحة الالوان والاقاحي ان الانسان
ليفرج عنه الهموم بالنظر اليها لا لطلب حظ وراء النظر عليها فاذا ثبت ان الله
جميل كان لا محالة محبوبا عند من انكشف له جماله وجلاله كما روي ان الله جميل يحب
الجمال رواه مسلم من حديث ابن مسعود هذا وقد يكون الموجبة للمحبة مناسبة خفية
بين المحب والمحبوب اذ رب شخصين يتأكد الحب بينهما لا بسبب جمال او حظ مال بل
لمجرد تناسب الارواح دون تشاكل الاشباح كما ورد الارواح جنود مجندة
فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف رواه مسلم من حديث ابي هريرة و
التعارف هو التناسب والتناكر هو التباين ثم اعلم ان المستحق للمحبة انما هو الله
وحده وان من احب غير الله لا من حيث نسبته الى الله فذلك لجهله وقصوره
ومعرفة ربه وانما يحب غيره من الانبياء والاصفياء لكونهم احباء له سبحانه ومحبوب
المحبوب محبوب ولان اسباب المحبة المتقدمة مجتمعة في حقه سبحانه بجملتها على وجه
الدوام والكمال واما في حق غيره تعالى فلا يوجب لامتدادها على وجه النقصان و
الزوال وانها حقيقة في حقه عز وجل وفي حق غيره مجاز محض بل وهم وتخييل
صرف لا حقيقة لها في شهودهم كما وجودهم فان العبد لا وجود له من ذاته بل هو محض
وعدم صرف لولا فضل الله عليه بالابقاء والامداد ثم المحبة ثمرة المعرفة تنعدم با
نعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها فلذا قال الحسن من عرف ربه احبه ومن
عرف النار بعد منها ومن عرف الدنيا زهد فيها ثم الله سبحانه هو المنفرد بالجود والاحسان

والطول

والطول والامتنان من غير عوض بخلاف احسان الانسان مع انه احسان ايضا من جملة
احسان الملك المنان بل لا احسان على وجه الكمال من غيره محال وكيف يكون غيره محسنا وذلك
المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق المحسن وخالق الاحسان وخالق اسباب الاحسان
ثم العلم من اسباب المحبة فاين علم الاولين والاخرين من علم الله تعالى لا يعزب عنه مثقال ذرة
في السموات ولا في الارض ولقد خاطب الخلق كلهم فقال وما اوتيتم من العلم الا قليلا بل
لو اجتمع اهل الارض والسماء ان يحيطوا بعلمه وحكمته في تفصيل خلق نملة او بعوضة لم
يطلعوا على عشر عشيره كما قال ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فالقدر اليسير الذي
علم الخلائق كلهم فبتعليمه علموه كما قال تعالى خلق الانسان علمه البيان ثم لا قدرة ولا قوة
الا بالله فان العبد لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا و
ما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه وبنفسه بل الله خالقه
وخالق قدرته وخالق اسبابها والممكن له من ذلك ولو سلط بعوضة على اعظم ملك
واقوى سلطان لاهلكته فليس للعبد قوة الا بتمكين مولاه كما يشير اليه حديث لا حول ولا
قوة الا بالله وقال في اعظم ملوك الارض انا مكنا له في الارض واتيناه من كل شيء
سببا فاتبع سببا والسموات مطويات بيمينه والارض ومن عليها جميعا في قبضته وناصية
جميع المخلوقات بيد قدرته ان اهلكهم من عند اخرهم لم ينقص من سلطانه وملكه
ذرة وان خلق امثالهم الف الف مرة لا يبدو في كماله سبحانه ذرة وليس كمال لغير الله
الا بقدر ما اعطاه واما كماله فكمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته
ومنتهى نبوة الانبياء الاقرار بالقصور عن وصف نعته كما قال سيد المرسلين
لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك وقال سيد الصديقين العجز عن ادراك
فسبحان من لم يجعل للخلق طريقا الى معرفته الا بالعجز عن معرفته قالوا اجب على العبد ان
يحب الله لجمال ذاته وصفاته لا لغرض ولا عوض مما يلائم قلب العبد في حاله لانه ولذا
اوحى الله تعالى الى داود عم ان اود الاوداء من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها
وفي الزبور ومن اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلق جنة ولا نارا الم اكن اهلا
ان اطاع ومر عيسى عم على طائفة من العباد وقد نحلوا وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة فقال
مخلوقا خفتم ومخلوقا رجوتم ومر بقوم اخرين كذلك فقالوا نعبده حبا له وتعظيما
لجلاله وانتم اولياء الله معكم امرت ان اقيم وقال ابو حازم اني لاستحيي ان اعبد الله للعقاب
والثواب فاكون كالعبد السوء ان لم يخف لم يعمل او كالاجير السوء ان لم يعط اجره لم

يعلم ثم المناسبة للمحبة بين الله وعبده انه امران يتخلق باخلاقه في اكتساب محامد الصفات
التي من النعوت الالهية كالعلم والبر والاحسان واللطف وافاضة الرحمة على الخلق و
النصيحة والارشاد لهم الى الحق فكل ذلك يقرب العبد من الله سبحانه قرب الصفات ويشير
الى تلك المناسبة قوله انا جعلناك خليفة في الارض فاحكم بين الناس بالحق اذ لم يستحق داود
خلافة الله الا بتلك المناسبة واليه يومي قوله عم ان الله خلق ادم على صورته اي صفة
الكاملين بنعوت الجمالية وقد ظن القاصرون ان لا صورة الا الظاهرة فشبهوا وجسموا او
صوروا وتصوروا تعالى عن ذلك علوا كبيرا واليه الاشارة بقوله تعالى في الحديث القدسي
مرضت فلم تعدني وكيف ذلك قال مرض عبدي فلان ولو عدته لوجدتني عنده وهذه المناسبة
لا تظهر الا بالمواظبة على النوافل بعد احكام الفرايض وانما الشان كما قال تعالى لا يزال
العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه
الذي ينطق به كذا رواه مسلم من حديث ابي هريرة وهذا موضع يجب قبض عنان العلم عنه فقد
تحزب الناس فيه الى حزب قاصرين مالوا الى التشبيه الظاهر والى غالين مسرفين جاوزوا حد المناسبة
الى الاتحاد وقالوا بالحلول حتى قال بعضهم انا الحق وضل النصارى في عيسى عم وقالوا الاله
وقال اخرون تدرعت الناسوت باللاهوت وقال اخرون اتحد به كما يقول الوجودية وهم
طائفة ابن عربي بالمعية واما الذين انكشف لهم استحالة التشبيه والتمثيل والاتحاد والحلول
اتضح في ذلك حقيقة سر التنزيه فهم الاقلون عددا والاكثرون عددا ولعل ابو الحسن
النوري كان ينظر في هذا المقام اذ غلبه الوجد في قول القائل هذا الكلام شعر لا زلت انزل
في ودادك منزلا يتحير الالباب عند نزوله واثارها اي نتائج المحبة واثمارها حمية الشوق
وهو غلبة الخوف في مقام الذوق فورد طال شوق الابرار الى لقائي قال ابو الدرداء
لكعب اخبرني عن اخص اية في التورية فقال يقول الله تعالى طال شوق الابرار الى
لقائي واني الى لقائهم اشد شوقا وقال مكتوب في جانبها من طلبني وجدني ومن طلب غيري لم
يجدوني فقال ابو الدرداء اشهد سمعت رسول الله صلى الله عم كذا في الاحياء وسكت
عنه مخرجه ومن دعا نبينا عم كما اخرجه النسائي والحاكم اللهم اني اسالك الرضا بعد القضا
وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك وكان ابراهيم ادهم من
المشتاقين فقلت يوما يا رب ان اعطيت احدا من المحبين ما يسكن به قلبه قبل لقائك فاعطني
ذلك فقد اضر بي القلق قال فرايت في النوم انه اوقفني بين يديه وقال يا ابراهيم اما استحييت
مني ان تسالني ان اعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه

فقلت

فقلت يا رب تهت في حبك فلم ادر ما اقول فاغفر لي وعلمني ما اقول قل اللهم رضني بقضا
ئك وصبرني على بلائك واوزعني شكر نعمائك واوحى الله الى داود عم يا داود لو يعلم
المدبرون كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي وتقطعت او
صالهم من محبتي يا داود هذه ارادتي في المدبرين عني فكيف ارادتي بالمقبلين علي يا داود
احوج ما يكون عبدي الي اذا استغنى وارحم ما اكون بعبدي اذا ادبر عني واجل ما يكون
عبدي اذا رجع الي وهواء الشوق غلبة انتطلع اي الاشراف من وراء حجب الغيب
الى الجمال اي جمال الحق وسبحانه من احتجب باشراق نوره واختفى عن البصائر والابصار
بشدة ظهوره ولذا قيل شعر لقد ظهرت فما تخفى على احد الا على اكمه لا يبصر القمر لكن بطنت
بما اظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعزة استترا فهو الاول والاخر والظاهر والباطن
وابتعاث الطلب الى الطلب اي وقيام قلب العبد الى طلب الرب فلقد كان الخواص يضرب صدره
ويقول وا شوقاه الى من يراني ولا اراه ويقال الشوق نار الله الموقدة من نور
بروزه لاهله ولاوليائه اشعلها في قلوبهم حتى تحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر والا
رادات والعوارض والحاجات فيكون من خلاص اصفيائه ويرتفع بالموت شوق اللقاء
اي الملاقاة لحصوله حال النزع والاشراف ولا يرتفع شوق زيادة الانكشاف
وهي الرؤية المعبر عنها بالزيادة في قوله تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة فللرؤية
مراتب لا تتناهى بتجليات الالهية الصمدية الابدية ومن جهة عدم نهاية تجليات الجمالية لاهل
الجنة قال تعالى ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد فتتزايد النعم ساعة فساعة كما يشير اليه
قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل اي صورته و
اتوا به متشابها اي سيرة لان الثاني يزيد على الاول لذة وكذا من جهة عدم نهاية
التجليات الجلالية لاهل النار قال عز وجل فذوقوا فلن نزيدكم الا عذابا كلما نضجت
جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب فلا يدخل تحت الحصر دركات اهل النار
كما لا يدخل في حيز الحصر درجات اهل الجنة فكل عارف في الجنة عرضها السموات والارض
من غير ان يضيق على مثله اصلا الا انهم يتفاوتون في سعة منتزهاتهم بقدر درجاتهم
في اتساع نفوسهم وسعة معارفهم في مقاماتهم فمنزل العبد ينبهك على ان معرفة الله
تعالى الذ الاشياء ولذا لا يلذ درجة النظر والرؤية العارفون في الدنيا فالرؤية
بقدر المعرفة لان المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الاخرة مشاهدة كما ينقلب النواة
شجرة ومن لم يعرف الله في الدنيا لا يراه في العقبى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ولما كانت

المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي ايضا على درجات مختلفة ولذا قال ع م
ان الله يتجلى للناس عامة ولابي بكر خاصة كما رواه ابن عساكر من حديث جابر وذلك
لانه كما فضل الناس بشيء وقر في صدره فضل لا محالة بتجلي انفس في سره وتوضيحه
ان طيبة الجنة لكل واحد فيها ما يشتهيه فمن لم يشته الا لقاء الله فلا لذة له في غيره
بل ربما يتاذى به فان نعيم الجنة بقدر حب الله وحب الله بقدر معرفته فاصل السعادات
هي المعرفة التي عبر عنها الشرع بالايمان والاسلام والاحسان والله المستعان فالعارفون
في معرفتهم وفكرهم لمناجاة الله لذا لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا
بها لذة الجنة ثم الواصلون الى رتبة المعرفة ينقسمون الى الاقوياء المرادين المجذوبين
فيكون اول معرفتهم الله تعالى ثم به يعرفون غيره والى الضعفاء المريدين من المجتهدين
فيكون اول معرفتهم بالافعال ثم يترقون الى الفاعل والى الاول الاشارة بقوله تعالى
اولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد وبقوله شهد الله انه لا اله الا هو ومنه قول بعضهم
قيل له اعرفت ربك فقال عرفت ربي بربي ولولا ربي والى الثاني الا
شارة سنريهم اياتنا في الافاق وفي انفسهم الاية وبقوله اولم ينظروا في ملكوت السموات
وبقوله قل انظروا ماذا في السموات والارض وهذا الطريق هو الاسهل على الاكثرين
والاوسع على السالكين واليه دعوة القرآن المبين فالعارف لا يرى غير الله ولا يعرف سواه
ويعلم انه ليس في الوجود الا الله وافعاله اثر من اثار قدرته فهي تابعة فلا وجود لها
بالحقيقة وانما الوجود للواحد الحق الذي وجود الافعال كلها به ومن هذا حاله فلا ينظر
في شيء من الافعال الا ويرى فيه الفاعل ويذهل عن الفعل من حيث انه ارض وسماء وشجر وما
بل ينظر فيه من حيث ان له صانعا فلا يكون نظره مجاوزا له الى غيره فكل العالم تصنيف الله
فمن نظر اليها من حيث انها فعل الله كان الموحد الحق الذي لا يرى الا الله بل لا ينظر الى نفسه
من حيث نفسه بل من حيث انه عبد الله فهذا الذي يقال انه فني في التوحيد وانه فني عن نفسه
واليه الاشارة بقوله من قال كنا بنا ففنينا عنا فبقينا نحن بلا نحن ولذا قال ابو سليمان الدا
راني ان لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف يشغلهم الدنيا
عن الله وفي اخبار عيسى ع م اذا رايت الفتى مشغوفا بطلب الرب فقد الهاه ذلك عما سواه
وقال ابو سليمان ايضا من كان اليوم مشغولا بنفسه ومن كان فهو غدا مشغول بنفسه
ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه وقال الثوري لرابعة ما حقيقة ايمانك
قالت ما عبدته خوفا من ناره ولا رجاء الجنة فاكون كالاجير فاكون كالاجير السوء بل عبدته

حبا له وشوقا اليه وقال في معنى المحبة نظما احبك حبين حب الهوى ۞ وحبا لانك اهل
لذاكا ۞ فاما الذي هو حب الهوى ۞ فشغلي بذكرك عمن سواكا ۞ فاما الذي انت اهل له فكشفك للحجب
حتى اراكا ۞ فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ۞ ولكن لك الحمد في ذا وذاكا ۞ ولعلها ارادت بحب الهوى
حب الله لاحسانه اليها وبانعامه عليها بحظوظ العاجلة وبحبه لما هو اهله الحب لجلاله وجماله
الذي انكشف وهو اعلى الحبين واقواهما وقد قيل لرابعة ما تقولين في الجنة قالت
الجار ثم الدار فبينت ان ليس في قلبها التفات الى الجنة بل الى رب الجنة وبذلك تشير قول
اسية رب ابن لي عندك بيتا في الجنة هذا ومن عرف الله ان اللذات المفرقة والشهوات
المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال الشاعر ۞ كانت لقلبي اهواء مفرقة ۞ واستجمعت
مذ راتك العين اهوائي ۞ فصار يحسدني من كنت احسده ۞ وصرت مولى الورى مذ صرت
مولائي ۞ تركت للناس دنياهم ودينهم ۞ شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي ۞ وقال بعضهم و
هجره اعظم من ناره ۞ ووصله اطيب من جنة ۞ وما ارادوا بهذا الا ايثار لذة القلب في معرفة
الرب على لذة الاكل والشرب والجماع ونحوها فان الجنة معدن تمتع الحواس فاما القلب
فلذته في لقاء الله في مقام الايناس والانس ايضا من اثار المحبة وهو اي الانس غلبة الفرح
بالرب وقصر النظر على المطالعة اي مراقبة ومشاهدة ومن هنا قيل الاستيناس بالناس
علامة الافلاس ومن انس بالله توحش عن خلق الله وفي اخبار داود ع م ان الله تعالى
ابلغ اهل ارضي اني حبيب لمن احبني وجليس لمن جالسني وانيس لمن انس بذكري وصاحب
لمن صاحبني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن اطاعني ما احبني عبد علم ذلك يقينا من
قلبه الا قبلته لنفسي واحببته حبا لا يتقدمه اليه احد من خلقي من طلبني بالحق وجدني ومن طلب
غيري لم يجدني فارفضوا يا اهل الارض ما انتم عليه من غرورها وهلموا الى كرامتي ومصاحبتي
ومجالستي وسرورها فانيسوني اونسكم واسارع الى محبتكم فاني خلقت طينة احبائي
من طينة ابراهيم خليلي وموسى نجيي ومحمد صفيي واني خلقت قلوب المشتاقين من نوري
ونعمتها بجلالي وفي اخبار داود ع م ايضا ان الله اوحى اليه قل لعبادي المتوجهين الى
محبتي ما ضركم اذا احتجبت عن خلقي ورفعت الحجاب بيني وبينكم حتى تنظروا الي بعيون قلوبكم
ماذا زويت عنكم من الدنيا اذا بسطت لكم كرامتي وما ضركم سخطة الخلق اذا التمستم رضائي
وفي اخبار داود ايضا ان الله اوحى اليه ان كنت تحبني فاخرج حب الدنيا من قلبك فان حبي وحبها
لا يجتمعان في قلب يا داود خالص مخالصة وخالط اهل الدنيا مخالطة ومن هنا
قيل علامة الانس بالحق ضيق صدر صاحبه من معاشرة الخلق واستهتاره بعذوبة الذكر

لذاذة الفكر فالخالط فهو منفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر
وشاهد في غيبة وغائب في شهود ومخالط بالقالب ومباين بالقلب فيفارق الانس
الشوق بكونه اي الانس حالة الاضافة الى الحاضر وذلك اي الشوق حالة الاضافة
الى الثاني اي البعيد الغائب ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال لا انما
الشوق الى الغائب فاذا كان حاضرا فالى من اشتاق فهذا كلام مستغرق بالفرح لما
ناله غير ملتفت الى ما بقي في الامكان من مزايا الالطاف ومن غلب عليه حال الانس لم يكن
شهوته الا في الانفراد والخلوة كما حكي ان ابراهيم بن ادهم نزل من الجبل فقيل له
من اين اقبلت فقال من الانس بالله وذلك لان الانس بالله يقتضي التوحش من غير الله
بل كلما يعوق عن الخلوة فيكون من اثقل الاشياء على القلب كما روي ان موسى عم
لما كلمه ربه مكث دهرا لا يسمع كلام احد من الناس الا اخذه الغشيان لان الحب يوجب
عذوبة كلام المحبوب وعذوبة ذكره المطلوب فيخرج عذوبة ما سواه من القلوب
وقال بعض الحكماء في دعائه يا من انسني بذكره واوحشني من خلقه وقال الله لداود عم
كن بي مستانسا ومن سوائي مستوحشا وقيل لرابعة بم نلت المنزلة قالت بتركي ما
لا يعنيني وانسي بمن لم يزل وقيل من ذاق حلاوة الوحدة استوحش من نفسه الوحدة
وكانه يشير اليه قول من قال شعر وجودك ذنب لا يقاس به ذنب وعن علي رض في وصف
اهل الانس من خواص الانس هم قوم هجم بهم الامر على حقيقة الامر فباشروا روح
اليقين واستلانوا ما استوعره المترفون وانسوا بما استوحش منه الجاهلون صحبوا
الدنيا بابدان ارواحها معلقة بالمحل الاعلى اولئك خلفاء الله في ارضه والدعاة الى
دينه وقد قيل شعر الانس بالله لا يحويه بطال ولبس يدركه بالحول محتال والانسون
رجال كلهم نجب وكلهم صفوة لله عمال ويجري اي يعرض الانس الانبساط اي النشاط
على حاشية البسط بالاقوال والاحوال والمناجات على سبيل الادلال كما ورد في التنزيل
واذ قال ابراهيم رب ارني كيف تحيي الموتى وقال موسى رب ارني كيف يحيي الموتى انظر
اليك فنجح في الاول اي اجيب لابراهيم بقوله فخذ اربعة من الطير الاية لوجود الشرط
فيما طلبه واعتذر في الثاني اي جواب موسى بقوله لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان
استقر مكانه فسوف تراني لفقده اي لفقد الشرط وعدمه كما بينه قوله فلما تجلى
ربه للجبل جعله دكا ولولا الانس وجوده المقتضي الانبساط لموسى عم لعوتب على
صدر عنه بالسؤال والكلام كما احترق قوم الكليم عليه السلام حيث قالوا ارنا الله

جهرة فاخذتهم الصاعقة وهم ينظرون فالانبساط قد يكون منكر الصورة لما فيه من
الجرأة وقلة الهيبة ولكنه يحتمل ممن اقيم مقام الانس كموسى عم ومن لم يقم في ذلك
المقام وتشبه بهم في الفعل والكلام هلك به واشرف على الكفر بسببه كما في قوم موسى
ومثاله مناجاة برخ الاسود الذي امر الله تعالى موسى كليمه عم ان يسأله ان يستسقي لبني
اسرائيل بعد ان قحطوا سبع سنين خرج موسى عم ليستسقي لهم في سبعين الفا فاوحى الله
اليه كيف استجيب لهم وقد اظلمت عليهم ذنوبهم وسرائرهم خبيثة يدعونني على غير يقين و
يأمنون مكري ارجع الى عبدي من عبادي يقال له برخ فقل له يخرج حتى استجيب له فسأل
عنه موسى عم فلم يعرف فبينما موسى عم يمشي ذات يوم في طريق اذا بعبد اسود قد
بين عينيه تراب من اثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فعرفه موسى عم بنور الله فسلم
عليه فقال ما اسمك فقال اسمي برخ فقال انت طلبتنا منذ حين اخرج فاستسق لنا
فقال في كلامه ما هذا من فعالك ولا هذا من حلمك وما الذي بدا لك انقضت عليك عيونك ام
ام عاندت الرياح عن طاعتك ام نفد ما عندك ام اشتد غضبك على المذنبين
الست كنت غفارا قبل خلق الخاطئين خلقت الرحمة وامرت بالعطف ام ترينا انك
ممتنع ام تخشى الفوت فتعجل بالعقوبة قال فما برح حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر و
انبت الله العشب في نصف يوم حتى بلغ الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عم فقال
كيف رأيت حين خاصمت ربي كيف انصفني فهم موسى عم فاوحى الله اليه ان برخا يضحكني
كل يوم ثلاث مرات وعن الحسن قال احترقت اخصاص البصرة فبقي في وسطها خص لم يحترق
وابو موسى امير يومئذ بالبصرة فاخبر به فبعث الى صاحب الخص فاتي بشيخ فقال
له يا شيخ ما بال خصك لم يحترق قال اقسمت على ربي عز وجل الا يحرقه فقال ابو موسى
اني سمعت رسول الله صلعم يقول يكون في امتي قوم شعثة رؤوسهم دنسة ثيابهم
لو اقسموا على الله لابرهم رواه ابن ابي الدنيا في كتاب الاولياء قال الحسين ايضا
ووقع حريق بالبصرة فجاء ابو عبيدة الخواص يتخطى النار فقال له امير البصرة انظر
لا تحترق بالنار فقال اني اقسمت على ربي عز وجل لا يحرقني بالنار قال فاعزم عليها
فاعزم عليها ان تطفأ فعزم عليها فطفئت وكان ابو حفص يمشي ذات يوم فاستقبله
رستاقي مدهوش فقال له ابو حفص ما اصابك قال ضل حماري ولا املك غيره فوقف
ابو حفص وقال وعزتك لا اخطو خطوة حتى ترد عليه حماره قال فظهر الحمار
في الوقت ومر ابو حفص رح فهذا وامثاله يجري لذوي الانس وليس لغيرهم ان

يتنبه بهم قال الجنيد اهل الانس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم اشياء هي كفر عند العامة لو سمعها العوام لكفروهم وهم يجدون المزيد في احوالهم وذلك يحتمل منهم ويليق بهم واليه اشار القائل شعر قوم تخالجهم زهو بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه تاهوا برؤيته عما سواه له يا حسن رؤيتهم في عز ما تاهوا ومن الانبساط قول موسى عم ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء وقوله في الاعتذار لما قيل له اذهب الى فرعون وقومه فقال ولهم علي ذنب فاخاف ان يقتلون والاعلى الترك اي والاولى من المراتب في مقام الانس هو ترك الانبساط في حضرة المولى استغناء عن السؤال في مراتب الانتقال الاحوال كما كان له عم في تحويل القبلة حيث كان متادبا في مقام الانس والدلائل واكتفى بالحال عن السؤال تبعا للخليل حيث قال حسبي من سؤالي علمه بحالي كما يشير اليه قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها اي تحبها وتهواها والقرب ايضا من اثار المحبة كما يشير اليه حديث لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه وهو اي القرب زوال كل معترض اي شاغل ومانع عن ذكره تعالى وفكره وهو اي المعترض انما هو النفس يعني بعينها هواها ومطاوعة مشتهاها قال تعالى افرايت من اتخذ الهه هواه وورد ابغض اله عبد في الارض الهوى وقيل وجودك ذنب لا يقاس به ذنب والشيطان لانه يد ضربه الى الطغيان في الدنيا والى النيران في العقبى ولانه نسبة اضلال اليه ايضا فمن يبعد عن حقيقة صفة الجلال فانه من اسباب الضلالة كما ان النبي عم سبب الهداية فاضافة الهداية الى النبي عم في قوله وانك لتهدي الى صراط مستقيم مجاز وانك لا تهدي من احببت حقيقة ومن المجاز في جانب الاضلال قول الخليل رب انهن اضللن كثيرا من الناس فهو الله سبحانه هو الهادي والمضل من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ويضل من يشاء ويهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين كما هو اعلم بالضالين والخلق لان مخالطتهم غالبا يدعوا الى الغيبة والبعد عن قرب الرب لا سيما حب الاهل والولد والاصحاب في الاحياء والعقاد من النسائين و المتنزهات من الدار في الرياض حتى الروح صوت الاطيار دعر وريح نسيم الاسحار فيفقد انسه وقربه الى غيره يبعد عن انسه وقربه الى مولاه كما انه لا يقرب الانسان لمن مشرقا الا ويبعد من المغرب بالضرورة بقدره الا لمن وصل الى مقام جمع الجمع بحيث لا يحجبه الوحدة عن الكثرة عن الوحدة والدنيا فان قطع علايقها ودفع عوايقها

وافواج

افواج حيث غير الله من القلب هو الموجب للقرب الى الرب فان القلب مثل الاناء الذي لا يتسع للخل والهواء ما يحل منه الماء وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وكمال الحب في المورث للقرب ان يحب الله بكل قلبه وما دام يلتفت الى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فبقدر ما يشتغل بغير الله وحبه وقربه ينقص منه حب الله ويبعد عن قرب ربه وبقدر ما يبقى في الاناء من الماء ينقص من الخل او الهواء ويشير الى هذا التفريد والتجريد قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون وقوله ان الذين قالوا ربنا الله اي في مقام التوحيد ثم استقاموا على مقام التجريد وقطع التفريد بل هو معنى قولك لا اله الا الله اي لا معبود ولا موجود ولا مشهود سواه وكما اي القرب الغيبة في رؤية فعله اي غيبة العبد في رؤية افعاله حتى لا يرى نفسه ايضا فاعلة في الحقيقة كما ورد في التنزيل وما رميت حقيقة اذ رميت كسبا او مجازا وقد سبق تحقيقه وحاصل المرام في هذا المقام ان الحبيب هو القريب من الله والقريب من الله هو العبد من صفات البهائم ونعوت الشيطان في التخلق بمكارم الاخلاق التي هي اخلاق الرحمن فهو قريب بالصفة لا بالمكان ومن لم يكن قريبا وصار قريبا فقد تغير فربما يتوهم بهذا ان القرب لما يتجدد فقد تغير وصف الرب جميعا اذا صار قريبا بعد اذ لم يكن وهو محال في حق الله تعالى اذ التغير عليه من المحال بل لا يزال في نعوت الكمال وصفات الجمال والجلال على ما كان عليه في ازل الازال فكلما صار العبد اكمل صفة واتم معرفة واثبت قوة في قهر النفس والشيطان صار اقرب الى الرحمن فمنتهى الكمال لله وقرب كل واحد منه بقدر كماله في التخلق باخلاق الله وافعاله والاتصال ايضا من اثار المحبة وليس المراد بالاتصال هنا ضد الانفصال ولذا قال وهي اي الاتصال يراد به المكاشفة والمشاهدة في مقام المراقبة والمشاهدة فهو من المكاشفة اذ يتصور وهم الحلول في المكاشفة بخلاف المشاهدة والحاصل ان المكاشفة اول نتايج المجاهدة والمشاهدة نهاية المساعدة ويشير اليه قوله عم بعد ذكر الايمان والاسلام والاحسان ان تعبد الله كأنك تراه وان لم تكن تراه فانه يراك وقيل المجاهدة ابتداء والمكاشفة بعده والمشاهدة انتهاء والمحاضرة حضور القلب وقد يكون وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر وان كان حاضرا باستيلاء الذكر والمكاشفة حضوره بنعت البيان غير مفتقر الى تامل دليل ولطلب سبيل والمشاهدة هو وجود الحق من غير بقاء تهمة وبلا ريبة فاذا اصحت سماء الاسرار عن غيوم الاستار فشمس الشهود مشرقة عن برج شرف الانوار في الارشاد المريدين وهو تفسير علم اليقين وعين اليقين

شعر عباراتنا شتى وحسنك واحد ❊ فكل الى ذاك الجمال يشير ❊ كما في قول ابن عمر رضي الله عنهما
كنا نتراءى الله تعالى في ذلك المكان اى يتكلف في مشاهدته او يجتهد حتى نصل الى مرتبة
رؤية ومنزلة حضرة في ذلك الحال الذي هو على الشان جلي البرهان وانما قال هذا
الكلام حاكيا عنه متعذرا عن ترك رد السلام لبعض الصحابة المتكلم في الطواف اى
في حال طواف بيت الله الحرام وحادثة اى كما في قوله حارثة للنبي عم كما سبق في تحقيق
المقام وما ورد اى وكما فيما ثبت اى عند الله وهذا نقل بالمعنى والصواب ان ينقل
بالمعنى وهو ان تعبد الله كانك تراه وهذا اعلى مقام للعبد واقصاه واما ادناه
فكما يشير اليه اخر الحديث فان لم تكن تراه فانه يراك وقد بسطنا القول فيه في شرح
الاربعين وهو خير المعين ومحبة الله تعالى العبد اى للعبد ايضا ثابتة كمحبة العبد
لله سبحانه وورد في التنزيل ما يدل على ثبوت المحبة من الجانبين حيث قال يحبهم
ويحبونه وفي تقديم يحبهم ايماء الى ان الاصل هو المحبة الازلية الصمدية الموجبة
لمحبة المحبة الابدية وورد في الحديث اذا احب الله تعالى عبدا ابتلاه بالمصائب
على قدر ما له من المراتب فان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الامثل فان احبه الحب
البالغ اقتناه واقتناء المال وغيره اتخاذه قنية والمعنى اختياره من بين خلقه
وجعله من خواص ملكه وفي رواية قيل وما اقتناه قال لم يترك له اهلا ولا ولدا اى
في قلبه فلا معه محبة الله ان يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره كما يشير اليه قوله وا
علموا ان الله يحول بين المرء وزوجه رواه الطبراني وفي رواية احب الله ابتلاه
فان صبر على بلائه اجتباه في مقام ولايته وان رضي باعطائه اصطفاه لمقام لقائه
وعن بعض العلماء اذا رايته يحبك ورايته يبتليك فاعلم انه يريد ان يصافيك
والحديث الثاني ذكره صاحب الفردوس من حديث علي ولم يخرجه ولده في مسنده قد
يتوهم من المتن انه حديث وليس كذلك كما بيناه وورد ايضا اذا احب الله عبدا
من عبيده جعل له واعظا من نفسه يبصره عيوب نفسه ويعرفه طريق انسه وزاجرا
من قلبه بارويته يامره بالخير وينهاه عن [illegible] الحديث رواه ابو منصور الديلمي في مسند الفر
دوس من حديث ام سلمة باسناد حسن ولكن بلفظ اذا اراد الله بعبد خيرا الحديث
وله من حديث انس كما رواه الديلمي اذا احب الله عبدا لم يضره ذنب والتائب من الذنب
كمن لا ذنب له ثم تلا ان الله يحب التوابين ومعناه اذا احبه تاب عليه قبل الموت فلم يضره
الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضره الكفر الماضي قبل الاسلام وان كثر قال عم ان الله

تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الايمان الا من يحب رواه احمد والحاكم وصححه
من حديث ابن مسعود وللاحمد وابي يعلى من حديث ابي سعيد من اكثر ذكر الله احبه الله وعن
رابعة من احب شيئا اكثر ذكره فذكر الله علامة لمحبة الله ولمحبة العبد اياه وفي الصحيحين
من احب لقاء الله احب الله لقاءه وقال زيد بن اسلم ان الله تعالى ليحب العبد حتى يبلغ من حبه له ان يقول
اعمل ما شئت فقد غفرت لك ويؤيده انه ورد مثل هذا لاهل بدر ومعناها اى معنا محبة الله
للعبد ان يبتليه به اى من علامتها ما احب العبد للمولى ان يبتليه بالبلاء المورث لزيادة ولاء
واما علامة من كونه محبوبا له تعالى ان يتولى الله شانه ظاهره وباطنه سره وجهره فيكون هو
المبشر عليه والمدبر لامره والمزين لاخلاقه والمستعمل لجوارحه والمسدد ظاهره وباطنه
والجاعل همومه هما واحدا من ذكر ربه والمبغض للدنيا والموحش له من غيره والمونس له
بلذة المناجاة في خلوته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فانظر في تحقيق هذا
المبنى فما ايسر الدعوى وما اعسر المعنى وقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعيم اعلى من نعيم اهل
المحبة والمعرفة ولا في جهنم عذاب من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من
ذلك وقد جاء من بعض المحققين من المفسرين في قوله تعالى ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على
الله وجوههم مسودة انهم هم الذين ادعوا المعرفة والمحبة من غير تحقق تلك الحالة فلا يصلح
العبد لغيره مولاه فيما قدره وقضاه كما ورد في التنزيل واصطنعتك اى اخترتك
بالرسالة لنفسي اى لمعرفة ذاتي وصفاتي وعلاماتها اى امارات محبة العبد لله ثمانية كما
لانه قد يدخل في الدعوى بما جاوز حد المعنى ويزيد عليه في المبنى فينتظم عليه العقوبة في العقبى
ويتعجل عليه البلوى في الدنيا لكونه ذلك من الافتراء على الله نعم قد يكون للمحب سكرة في حبه
حتى يدهش في عقله ولبه فيظهر الى ظاهرها رحمة لربه ولا قصد ولا اختيار فيعذر الا
سراره ولقد قال بعضهم الابرار شعر من اطلعوه على سر فباح به ❊ لم يامنوه على الاسرار ما عاشا ❊
وحب الموت بسبب اللقاء ولذا قال عم لن تروا ربكم وقال حذيفة حبيب جاء على فاقة
لا افلح اليوم من ندم وصية ابي بكر لعمر رضي الله عنهما الحق ثقيل وهو مع ثقله مري والباطل
خفيف وهو مع خفته وبي فان حفظت وصيتي لم يكن غائب احب اليك من الموت وهو
مدركك وان ضيعت وصيتي لم يكن غائب ابغض اليك من الموت ولن تعجزه وكان الثوري و
بشر الحافي يقولان لا يكره الموت الا مريب لان الحبيب على كل حال لا يكره لقاء الحبيب نعم من يكون في ابتداء
مقام المحبة ليس يكره الموت بل يكره عجلته قبل ان يستعد للقاء ربه وعلامته الدوام على الطاعة
واستغراق الهم في استعداد زاد المعاد وان يكون مؤثرا ما احب الله على ما يحب نفس العبد و

وهو فان من بقي مستمرا على متابعة الهوى محجوبا بما يهواه بل ترك المحب هو نفسه لهوى
محبوبه كما قيل شعر اريد وصاله ويريد هجري فاترك ما اريد لما يريد والاطاعة اي
بمداومة الطاعة بقدر الاستطاعة فمن احب الله لا يتبع هواه كما قال ابن المبارك شعر
تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان
المحب لمن يحب مطيع وفي هذا المعنى من بديع الجناس شعر واترك ما اهوى لما قد هويته
وارضى بما يرضى وان هلكت نفسي والتلذذ في العبادة بالمواظبة على الذكر والمداومة
على الفكر وكثرة التلاوة فقد حكي عن بعض المريدين قال كنت قد وجدت حلاوة
المناجاة في شدة الارادة فادمنت قراءة القران ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة
فانقطعت عن التلاوة قال وسمعت قائلا يقول في منامي اذ كنت تزعم انك تحبني
فلم جفوت كتابي اما ترى ما فيه لطيف عتابي وشريف خطابي فانتبهت وقد اشرب
في قلبي تلاوة القران فعاودت الى حالي وقال ابن مسعود لا ينبغي ان يسال احدكم
عن نفسه الا القران وان كان يحب القران فهو يحب الله عز وجل وان لم يكن يحب
القران فلم يكن يحب الله وقال سهل علامة حب الله حب القران وحب القران حب النبي عم
وعلامة حب النبي حب السنة وعلامة حب السنة حب الاخرة بغض الدنيا وعلامة بغض
الدنيا ان لا يأخذ منها الا زادا يبلغه الى العقبى وعن مطرف ان المحب لا يسأم من حديث
حبيبه واوحى الله الى داود عم قد كذب من ادعى محبتي فاذا جنه الليل نام عني اليس
كل حبيب يحب لقاء حبيبه فها انا ذا موجود لمن طلبني وقال يحيى بن معاذ من احب الله
ابغض نفسه اي لانه مما سواه وقال ايضا من لم يكن فيه ثلث خصال فليس بمحب يؤثر كلام
الله على كلام الخلق ولقاء الله على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق ثم اعلم انه ليس
في الوجود غيره سبحانه في عين اهل الشهود ومن ذاته وصفاته ومصنوعاته ولذا
ذكر عن الشيخ ابي سعيد الميهني لما قرئ عليه قوله يحبهم ويحبونه قال بحق يحبهم فليس يحب
الا نفسه على معنى انه الكل وان ليس في الوجود غيره فمن لا يحب الا نفسه وافعال نفسه
وتصانيف نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث انها متعلقة بذاته فهو
اذا لا يحب الا نفسه كما ان العارف لا يحب جميع مصنوعات الله ومكنوناته الا من حيث اثار
قدرته وانوار ارادته واسرار صفاته وما ورد من الفاظ في حب عباده فمؤول معناه
ويرجع معناه الى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه ويشاهده بلبسه والى تمكنه
اياه من قربه والى ارادته ذلك به في ازله فمحبته لمن احبه ازلي مهما اضيف الى الارادة الا
هي

لهية الازلية اقتضت تمكين هذا العبد من سلوك طريق القرب الى الرب واذا اضيف الى
فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث بحدوث سببه الذي يقتضيه
كما قال لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فيكون تقربه بالنوافل سببا لصفاء
باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه وكل ذلك فعل الله ولطفه
به فهو معنى حبه وجملة الكلام في هذا المقام ان حب العبد لله ثمرة حب ربه الازلي ونتيجة
حب ربه الابدي فحب العبد مكتنف بين حبي الرب كما يشير اليه قوله سبحانه يحبهم ويحبونه
مع قوله قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ثم لا يخفى ان مراتب الحب وما فيه
من الدرجات انما تكون على قدر الطاعة والعبادات ويدل على تفاوت المقامات ما روي
ان ابا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما زوج اخته فاطمة من سالم مولاه عاتبته قريش
في ذلك وقد قالوا انكحت عقيلة من عقايل قريش مولى فقال والله لقد انكحته اياها
واني لاعلم انه خير منها فكان قوله اشد عليهم من فعله قالوا فكيف وهي اختك مولاك فقال
سمعت رسول الله عم يقول من اراد ان ينظر الى رجل يحب الله بكل قلبه الى سالم كذا في
الاحياء وقال المخرجه لم اره من حديث ابي حذيفة وروى ابو نعيم في الحلية المرفوع منه
في عمر ان سالما يحب الله حقا من قلبه وفي رواية ان سالما شديد الحب لله عز وجل لو لم يخف
الله ما عصاه فهذا يدل على ان من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيحبه ويحب غيره ايضا
فلا جرم يكون تنعمه بلقاء الله عند قدومه عليه على قدر حبه له وعذابه بفراق الدنيا
عند الموت على قدر حبه لها وتعلقه بها وقد قال بعض العارفين اذا كان الايمان في
ظاهر القلب احب الله حبا متوسطا واذا دخل سويداء القلب احبه الحب البالغ وترك المعاصي
وقال الجنيد الناس في محبة الله عام وخاص فالعوام نالوا ذلك بمعرفتهم في دوام احسانه
اليهم وكثرة نعمه عليهم فلم يتمالكوا ان احبوه الا انهم يقل حبهم ويكثر على قدر نعمهم قلت ويشير
الى ذلك قوله تعالى فليعبدوا رب هذا البيت الذي اطعمهم من جوع وامنهم من خوف بل ايما
الى رجائهم الجنة وخوفهم النار في دار القرار ومن هنا قال الشبلي لما سمع قوله تعالى منكم
من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة اه فاين من يريد الله وقد اجيب عن هذا في بعض نسخ
لمثاني والمصيبة والتلذذ في البلية لما يرى فيها من فعل الجليل سواء يكون في مقام الصبر او
الرضا او الشكر والحرص في الخلوة عن الخلق دون الجلوة لانها تمنع عن مشاهدة الحق
واقل درجات الحب التلذذ بالخلوة والتنعم بمناجاته من دون الرياء والسمعة فمن
كان المقام والاشتغال بكلام الدنيا الذ عنده من العبادة واطيب من مناجاة الله

فكيف تصح محبته فعلامة الحب كمال الانس بمناجاة المحبوب وكمال التنعم بالخلوة وكمال
الاستيحاش من كل ما ينغص عليه الخلوة ويعوقه عن لذة المناجاة وعلامة الانس ان
يصير العقل والفهم كله مستغرقا بلذة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت
هذه اللذة ببعضهم حتى كان في صلوته فوقع الحريق في داره ولم يشعر به وقطعت رجل
بعضهم بسبب علة اصابته وهو في الصلوة ولم يشعر به وعن الصديق من ذاق من خالص
محبة الله شغله ذلك من طلب الدنيا واوحشه من جميع البشر والمناجاة اي والحرص على الذكر
والثناء في جميع الحالات والمقامات فيواظب على التهجد ويغتنم هدو الليل وصفاء
الوقت عن الخلايق بانقطاع العلايق وانفصال العوايق وبغض الدنيا بان لا
ياخذ منها الا زاد العقبى من سلوك طريق المولى وفي اخبار داود عم لا تستانس
الى احد من الخلق فاني انما اقطع عني رجلين رجل استبطا ثوابي فانقطع ورجل نسيني
فرضي بحاله وعلامة ذلك ان اكله الى نفسه وان ادعه في الدنيا حيران ثم مهما انس بغير الله
مستوحشا من الله ساقطا عن درجة محبته وفي قصة برخ وهو العبد الاسود
الذي استسقى موسى عم ان الله تع لموسى ان برخا نعم العبد هو الا ان فيه عيبا قال يا رب
وما عيبه قال يعجبه نسيم الاسحار فيسكن اليه ومن احبني لم يسكن الى غيري والوحشة من
الخلق لان محبة الله ومحبة غيره لا يجتمعان واتحاد الهم هو الدين لما ورد من جعل الهموم هما
واحدا كفاه الله هم الدنيا والاخرة وقال بعض العارفين ان الله تع عبادا احبوه فاطمانوا
اليه فذهب عنهم التاسف على كل ما فات فلم يشتغلوا بحظ انفسهم اذ كان ملك مليكهم
تاما وما شاء كان فما كان لهم فهو واصل اليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم ثم حق المحب
اذا رجع من غفلته في لحظة ان يقبل على محبوبه ويشتغل بالعتاب لنفسه ويساله
ويقول يا رب باي ذنب قطعت برك عني وابعدتني عن حضرتك وشغلتني بنفسي و
بمتابعة الشيطان وطريقها اي طريق تحصيل المحبة السلوك اي سير مسالك اهل الشريعة
والطريقة والحقيقة من منازل السايرين ومراحل الطايرين وقد قيل ان الطرق
الى الله بعدد انفاس الخلايق وفيه تنبيه على ان لكل مخلوق له سر مع خالقه
لا يطلع عليه الا من هو اقرب منه اليه وعن هذا قال تع وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن
لا تفقهون تسبيحهم ثم اقرب الطريق الى الله تع هو المحبة وهي حاصلة بمتابعة الكتاب
والسنة ومخالفة الهوى والبدعة وتمامه باجتناب السيئات من المحرمات والمكروهات
واكتساب الطاعات من الفرايض والنوافل من السنن المؤكدات والمستحبات فورد لا

يزال

يزال العبد يتقرب الي اي بعد اداء الفرايض والواجبات والسنن والرواتب
بالنوافل من الصلوة والطواف والذكر والفكر والثناء والدعاء وما استحسنه
العلماء حتى احبه حبا يليق بارباب المناقب فاذا احببته كنت له سمعا يسمع بي وبصرا يبصر
بي وقلبا يعقل بي ويدا يبطش بي ورجلا يتقوى بي رواه البخاري وغيره بالفاظ مختلفة
فيستخرج ذلك من السالك صفاء ذكر ودقة قلب ورقة فكر يكفر عنه ما سبق من الغفلة
ويكون هفوته سببا لتجدد ذكوريته فلبه مهما المراد المحب الا المحبوب ولم يوثر شيئا الا منه
لم ياسف على فقد المطلوب واستقبل الكل بالرضاء بما وقع من القضاء وعلم ان
المحبوب لم يقدر له الا ما فيه خيرته ويتذكر قوله وعسى ان تكرهوا شيئا فهو خير لكم ولعله
عم قال في هذا المقام انه ليغان على قلبي في اليوم والليل فاستغفر الله سبعين مرة
كما في الصحيحين وانما كان استغفاره من القدم الاول فانه كان بعد ابالاضافة
الى القدم الثاني كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين الاحرار ويكون ذلك عقوبة
لاهل التوفيق على الفتور في الطريق والالتفات الى غير الحبيب والرفيق كما يروى عنه
عم مما يروى عن ربه تبارك وتعالى قال في بعض الكتب المنزلة ان ادنى ما اصنع با
لعالم اذا اثر شهوات الدنيا على طاعتي ان اسلبه لذة مناجاتي فسلب المزيد بسبب الشهوات
عقوبة العموم واما الخصوص فيحجبون عن المزيد بمجرد الدعوى والعجب والركون
الى ما ظهر من عباد اللطف وذلك هو المكر الخفي الذي لا يقدر على الاحتراز منه الا الاقوى
من ذوي الاقدام الراسخة وقد سمع ابراهيم بن ادهم قائلا يقول وهو في سياحته
وكان على جبل لبنان شعر كل شيء بك (مغفور سوى) اعراض عنا قد وهبنا لك ما فات بقي ما فات
منا فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوما وليلة وطرت عليه احوال وغلبة ثم قال سمعت
النداء من الجبل يا ابراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت وقد قررنا ان درجات
الحب لا نهاية لها في مقام القرب فحق العبد ان يجتهد في كل نفس ما يفيد حبا يزيد
داد فيه قربا ولذا قال عم من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من امسه فهو ملعون
كذا في الاحياء وقال العراقي لا اعلم هذا الا في منام لعبد العزيز بن ابي رواد قال رايت
النبي عم في المنام فقلت يا رسول الله اوصني فقال ذلك بزيادة في اوله رواه البيهقي
ولعل تلك الزيادة ما في بعض الروايات ومن لم يكن في زيادة فهو في نقصان وقد
قال الشيخ البستي شعر زيادة المرء في دنياه نقصان ورجحه غير محض الخير خسران
وقال بعض العارفين من عبد الله بمحض المحبة من غير خوف هلك بالبسط والادلال

ومن عبده بالخوف من غير محبة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من
طريق المحبة والخوف احبه الله تعالى وقربه ومكنه وعلمه فالمحب لا يخلو عن خوف والخائف
لا يخلو عن محبة ولكن الذي غلبت عليه المحبة حتى اتسع فيها ولم يكن له من الخوف الا
يسير يقال هو في مقام المحبة ويعد من المحبين ويجعل في طريق السير من لطائف المجذوبين
المحبوبين وقد قيل في وصف الحال العارفين شعر قريب الوجد في وجه بعيد على
الاحرار منهم والبعيد لقد عزت معاينة فغابت عن الابصار الا للشهيد غريب الوصف
ذو علم غريب كان فؤاده زبر الحديد ترى الاعياد في الاوقات تجرى له كل يوم
الف عيد وللاحباب افراح بعيد ولا تجد السرور له بعيد وكان الجنيد ينشد ابياتا
يشير بها الى اسرار العارفين وان ذلك لا يجوز اظهاره للغافلين وهي هذه حسرت
باناس في الغيوب قلوبهم فحلوا بقرب الماجد المتفضل عراضا بقرب الله في ظل عرشه
تجول بها ارواحهم وتنقل موارد هم فيها على العز واليها ومصدرهم عنها لما
هو اكمل تروح بعزمفرد من صفاته وما كتمه اولى لديه واعدل ساكتم من علمي به ما
يصونه وابذل منه ما ارى الحق يبذل فاعطي عباد الله منه حقوقهم وامنع
منه ما ارى المنع اعدل على ان للرحمن سرا يصونه الى اهل السر والصون يجمل
فامثال هذه المعارف التي اشير اليها لا يجوز ان يشترك الناس فيها ولا ينبغي
ان يظهرها من انكشف له شيء منها لمن لم ينكشف له عنها بل لو اشترك الناس فيها
لخربت الدنيا ولم يبق على نظامها فالحكمة تقتضي شمول الغفلة لعمارة الدنيا و
تمامها ولذا قيل الغفلة من الله رحمة ولولا الحمق لخربت الدنيا بل لو اكل الحلال
اربعين يوما لتعطلت الدنيا لزهدهم فيها وذهولهم عنها وبطلت الاسواق و
المعاش منها بل لو اكل العلماء من الحلال واشتغلوا في انفسهم لتحصيل الكمال و
لو وقفت الالسنة والاقلام عن كثير مما نشر عن العلوم بين الانام ولكن الله
فيما هو شر ظاهر حكم واسرار على ما يختفي كما ان له في الخير اسرارا وحكما لا يحصى فلا نهاية
لحكمه ولا غاية لقدرته هذا وقد يظهر مقال السر على لسان العارف حال السكر
فهو معذور ولانه مقهور وادر بما يشتغل من الحب بزمانه فلا يطلق سلطانه وقد
يقبض القلب به فلا يندفع فيضانه ولا ينطفي لمعانه فيعول القادر على كتمانه شعر
قالوا قريب قلت ما انا صانع بقرب شعاع الشمس لو كان في حجري فما لي منه غير ذكر
بخاطر يهيج نار الحب والشوق في صدري والعاجز عنه يقول شعر تخفى فتبدي

اسراره ويظهر الوجد عليه النفس ويقول ايضا شعر ومن قلبه مع غيره كيف حاله
ومن سره في جفنه في كيف يكتم وكان صاحب البردة اخذ من هذه التي بدء قوله ايحسب
الصب ان الحب منكتم ما بين منسجم منه ومضطرم وقال بعض العارفين اكثر الناس
من الله بعدا اكثرهم اشارة به اي الى معاده وقد دخل ذا النون المصري على بعض اخوانه
ممن كان يدعي المحبة فرآه مبتلى ببلاء فقال لا يحبه من وجد الم ضربه فقال الرجل لكني اقول لا
يحبه من لم يتنعم بضربه فقال ذا النون ولكني اقول لا يحبه من شهر نفسه بحبه فقال الرجل استغفر
الله واتوب اليه من دعوى حبه وقد قال ابو تراب النخشبي في علامات الحب ابياتا هي
شعر لا تخدعن فللحبيب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل منها تنعمه بمر بلائه وسروره
فالمنع منه عطية مقبولة والفقر اكرام وبر عاجل ومن الدلائل ان يرى من عزمه طوع
الحبيب وان الح العاذل ومن الدلائل ان يرى متبسما والقلب فيه من الحبيب بلابل
ومن الدلائل ان يرى متفهما لكلام من يحظى لديه السائل ومن الدلائل ان يرى متقشفا
متحفظا من كل ما هو قائل وقال يحيى بن معاذ الرازي في هذا المعنى من البيت شعر ومن الدلائل
ان يرى مشمرا في خرقتين على شطوط الساحل ومن الدلائل حزنه ونحيبه جوف الظلام
فما له من عاذل ومن الدلائل ان تراه مسافرا نحو الجهاد وكل فعل فاضل ومن الدلائل
ضحكه بين الورى والقلب محزون كقلب الثاكل وهو اي السلوك او طريقه يلزوم
عشرة اشيا يكون وقيعة بلزوم الوضوء اي الطهارة الظاهرة فهو اي الوضوء وما
في معناه يتورد القلب بسبب تأثير صفاء الظاهر لصفاء الباطن والخلوة اي ويلزمها عن
الجلوة فهي اي الخلوة تورع عن الشواغل المانعة عن تحصيل الفضائل وتقدم تحقيق بحث
الخلطة والعزلة ثم القوم يختلفون في طريق سلوكهم فمنهم من جعل مدار الخلوة القلب
عن ذكر الرب ومشاهدة الحق ولو كان في جميع الخلق كما يشير اليه قوله تعالى رجال لا تلهيهم
تجارة ولا بيع عن ذكر الله وهو طريق السادة النقشبندية والقادة الشاذلية وقيل
في حقهم انهم عرشيون فرشيون وكان بيون وعرشيون وفرشيون ومنهم من اختار الخلوة
المتعارفة بلبيهم تهوينا للمبتدي وتسهيلا للمنتهي وكان المص منهم ولذا قال والاولى ان
يكون السالك والذاكر في بيت مظلم ليس فيه مقابح الاما لا بد له منه او يلف رأسه اذا
كان في مسجد ونحوه ويغمض عينيه حال ذكره وفكره لا حين صلوته فانه مكروه على ما في
دأبه وسنته وانما يختار البيت المظلم ولف الرأس وتغميض العين لتركد الحواس وتسكن
وتستقر فيه انما ذكر انما هو يسكن حاسة البصر ولعل ايراده بصيغة الجمع لتواد دالنظر

والسكوت اى بلزومه عن غير ذكر ربه فقد ورد من صمت نجاه ومن كان يؤمن
بالله واليوم الآخر فليقل خيرا ليصمت ومن حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه فهو اى السكوت
المشتمل على الفكر يلقح العقل اى يلقح كماله ويقوى القوى من اللسان وما يتبعه من الجوارح
والاركان والجوع اى وبلزومه للصيام والصبر على فقده والا فهو ليس مطلوبا بنفسه
ولذا ورد في دعائه عم واعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع فانه اذا اشتد عن
حده يكون شاغلا لصاحبه عن ذكر ربه وفكر حبه والسهر في الذكر والفكر والعبادة
والتلاوة والا فهو ايضا ليس بمطلوب في حد ذاته فهما اى الجوع والسهر ينوران القلب
اذا كان مشتغلا بذكر الرب بتقليل دمه وذهاب شحمه فيكون مضيقا لمجرى الشيطان
ودخوله وصوله فيختارهما على الاعتدال فيهما فالافراط والمبالغة منهما شاغل عن العبادة
كالتفريط والتقصير عن قدر الحاجة لارباب الارادة واصحاب السعادة ونفى الخواطر
وبلزوم نفيها ودفعها اذا كانت مذمومة كما قال العارف ابن الفارض شعر ولو خطرت
لى في سواك ارادة على خاطرى سهوا حكمت بردتى اى بارتدادى عن مقام كمالى وحالى
ودائى وهذا اذا استقرت الخواطر ولم تكن من العواطر والا فلا عبرة لها واشار اليها
بقوله فالتمييز بين الخاطر الالهى والملكى والشيطانى والنفسى شاغل للسالك عما هو بصدده
من حصول ذكر ربه ووصول سر قربه في مقام حبه والتسليم اى وبلزوم التسليم و
التفويض له تعالى في كل حال من جميع اموره الدنيوية والاخروية فيترك تدبيره واختياره
في جميع احواله الى ما يريده الحق له ازاله ونصب متفقدا اى وبلزوم تعيين خادم
متفقد للوازمه يبلغ القوة الحلال اى يوصل اليه ماكوله مشروبه من مال الحلال
والا فشبهه اقرب اليه من الحرام فان هذا الزمان زمان الشبهات وفقدان الحلال الصرف
من الطيبات فهو اى الحلال الاصل في محافظة الاعمال والاحوال كما يشير اليه قوله
تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحات وقوله سبحانه يا ايها الذين امنوا كلوا
ما رزقناكم واشكروا لله ان كنتم اياه تعبدون فقدم اكل الحلال على الاعمال و
قد امر الله به المؤمنين بما امر به المرسلين اشعارا بان هذا شان السالك من السا
بقين واللاحقين ولان الحلال يترتب ثواب عبادة لم يفعله الشخص والحرام يبطل
ثواب عبادة فعلها وتوجيهه شخص تعب في النهار بسبب كسب الحلال وكانت له و
ظيفة عبادة في الليل من الاعمال ففاتت منه لتعب بسبب البدن وظهور الكسل فلا
شك انه يثاب على تلك العبادة بسبب تحسين النية في الارادة ومن اكل الحرام اذا

لبس

لبس الحرام وترك المنام وقام الليلة كلها بالصلوة وسائر انواع العبادات لا يقبل
منه كما ورد من اشترى ثوبا بعشرة دراهم وفيه درهم حرام لم يقبل الله له صلوة ما دام
عليه منه شيء رواه احمد عن ابن عمر بل قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين يعم اكل الحرام و
سائر المحرمات على الاتمام وترك غير الفرائض القطعية والنفلية والواجبات اى وغير السنن
المذكورة للصلوة الخمس وهذا اللزوم بالنسبة الى المبتدى حيث الافضل في حقه مجرد
الذكر واما بالنسبة الى المتوسط فالاكمل في حقه التلاوة وبالنسبة الى المنتهى الصلوة
لانها جامعة للذكر والتلاوة والجوارح واختلاف الحالة كما في عوارف المعارف
وذكر الدائم اى ولزوم الذكر على سبيل الدوام مستقبلا لبيت الله الحرام مع الحضور
اى حضور القلب في مشاهدة الرب ولعله اراد بالحضور هو مجرد نفى الغفلة واما الذكر
فانما يكون باللسان اى بلسان البيان او بلسان القلب والجنان او بالجمع بينهما وهو اكمل
وان كان الذكر الخفى افضل لقوله تعالى اذكر ربك في نفسك وهو يحتمل انه اراد به الخفية
عن الخلق واخفى منها وهي السر مع الحق كما لا يخفى وكذا ما ورد خير الذكر لا تعلمه الحفظة
افضل مما تعلمه سبعين ضعفا فلذا اختاره النقشبندية لتسليك المريدين
فيأمرونهم بان يلصقوا السنتهم الى حنكهم ويقولون بلسان قلوبهم لا اله الا الله
ويشيرون في لا اله الى نفي ما سوى الله وفي الا الله الى اثبات صفاته ويريدون
بالكلمة معنى لا اله معبودا او موجودا او مشهودا بحسب مراتبهم وتفاوت مناقبهم واما اهل
الذكر الجلى او الخفى باللسان فيشيرون في النفى الى جانب اليمين وفي الاثبات الى جانب
اليسار وهو القلب وهذه كلها اصطلاحات المشايخ الكبار واختيارات الهمم في مقام
الاظهار والاظهار والا فما ثبت عن النبي المختار تلقين ذكر ولا اعطاء خرقة ولا طريقة
مصافحة انما الثابت بالتواتر الصحبة والسنة اذا عرفت هذا فقيل افضل الذكر
هو الله لانه الحق لا سواه لا لانه لا يحصل به التوحيد في مقام التفريد اذ اثبات وجوده
لا يشك لا في حديث في شهوده ولذا قالت رسلهم افى الله شك وقال تعالى ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله فلا بد من كلمة التوحيد ليتحقق صفة التفريد
ومقام جميع الانبياء والرسل بذلك لاتباعهم واشياعهم وورد عن نبينا صلى الله
عليه وسلم افضل الذكر لا اله الا الله تمامه وافضل الدعاء الحمد لله كما رواه
الترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن جابر مرفوعا وقيل لا اله
الا هو الحى القيوم وهو لا ينافى ما تقدم لما فيه من زيادة الحى القيوم ولا بد من

زيادة الحى القيوم ولانه اية من القران والة على التوحيد مع زيادة البرهان
فالحى الازلى الابدى يشير الى ان غيره لا يصلح للالوهية لانه اما لا حيوة له او حيوته حادثة
والقيوم هو الذى يقوم بذاته ويقوم غيره باظهار صفاته من قدرته وارادته وحكمته
فى مصنوعاته وفى هذا تلويح الى بطلان ما تقوله الوجودية من المعية فى المراتب المشهودية
حيث قال ابن عربى سبحان من اوجد الاشيا وهو عينها وقد وقع التناقض فى عين كلام
المنافى لمرامه فانه اذا اوجد الاشيا احدثها كيف يتصور ان يكون عينها فما للتراب ورب
الارباب فهو ابعد من قول بالاتحاد فى مقام الالحاد والله رؤف بالعباد فورد فى بعض
الروايات تقوية لما تقدم الاسم الاعظم ثابت فى اية الكرسى فى اولها وال عمران اى فى صدر
صورتها وهما يشتركان فيه اى فى وجود لفظ الله لا اله الا هو الحى القيوم فيهما دون
غيرهما من السور فانها خالية عنها والحديث رواه ابو داود والترمذى وابن ماجة
وابن ابى شيبة عن اسماء بنت يزيد مرفوعا بلفظ اسم الله تعالى الاعظم فى هاتين الايتين
والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم فاتحة ال عمران الم الله لا اله الا هو الحى
القيوم والظاهر انه فى الايتين كلتاهما معا على سبيل الاجتماع ويحتمل الانفراد وكذا
الكلام فيما ورد من حديث ابى امامة اسم الله الاعظم فى ثلث سورة البقرة وال عمران
وطه قال القاسم التابعى فالتمسته فوجدته ان الحى القيوم لوجوده فيها ويؤيده حديث
اصحاب السنن الاربعة وغيرهم ان الاسم الاعظم يا حى يا قيوم المناسب لما تقدم والله
اعلم واما ما اورده المص فما رايته فى حديث ثم فى المستدرك للحاكم عن سعد بن ابى
وقاص اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به اجاب واذا سئل به اعطى لا اله الا انت سبحانك
انى كنت من الظالمين وهو دعوة ذا النون يونس عم ويؤيده قوله سبحانه فاستجبنا له
ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين وقيل هو حيث صدر بم وختم به فى قوله هو الله
الذى لا اله الا هو فيقال شعر اعد ذكر نعمان لنا ان ذكره هو المسك ما كررته يتضوع
ومن هنا قيل ان فى كلمة الجلالة انواعا من الجلالة اذ لو حذف الف يبقى لله ولله ملك
السموات والارض واذا حذف لامه الاولى يبقى له ما فى السموات وما فى الارض وله الحمد
فى الاولى والاخرة وله الكبرياء فى السموات والارض واذا حذف لامه الثانية يبقى هو لا
اله الا هو قل هو الله احد هو الاول والاخر والظاهر والباطن وهو على كل شيء عليم ليس كمثله
شيء وهو السميع العليم البصير فسبحان من لا يعرف ما هو الا هو وقد جاء فى الاسم الاعظم
روايات اخر كما بينته فى شرح الحصن والجمهور على ان الاسم الاعظم هو الله وقد قال القطب

الربانى السيد عبد القادر الجيلانى ان الله هو الاسم الاعظم لكن بشرط ان تقول
الله وليس فى قلبك سوى الله ومن هنا قال شيخ مشايخنا ابو الحسن البكرى قدس
الله سره السرى فى اول حزبه استغفر الله مما سوى الله وتعقبه بعض العلماء الظاهر حيث
لم يعرف الله ولا ما سواه قد شرحته فى جوابه وبينت القول بصوابه والاولى فيه اى فى
المختار من الاذكار والاستغناء من القلب فيختار ما يلهم الرب فيواظبه ليلا ونهارا وسرا
او جهرا حتى يسقط حركة اللسان اى كلفتها ويجرى الذكر على اللسان دون اختيار اى
من غير تكلف تذكار واحضار ثم يرجع الذكر الى القلب اى ينتهى اليه ويستولى عليه ثم يمحق
وينمحى الحروف من المبنى ويبقى المعنى ثم يرتفع العدد من المائة الف ونحوها مما لا بد له حصر
المبنى ويصير مداومة تصور الذكر حالة مستديمة دالة على رتبة مستقيمة وح يحدث
المحبة وتظهر المودة فلا ينبغى الذكر فى حال من احوال الذكر كالاكل والشرب و
الخلطة والعزلة والسكوت والكلام واليقظة فمن قال المحبة دوام الذكر ويؤيده
حديث من احب شيئا اكثر ذكره وقال سفيان المحبة اتباع صاحب النبوة ويؤيده اية
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى ولله در القائل شعر عجبت لمن يقول ذكرت ربى
وهل انسى فاذكر ما نسيت امرت اذا ذكرتك ثم احيى ولولا حسن ظنى ما حييت
فاحيى بالمنى واموت شوقا فكم احيا عليك وكم اموت فليس خيال تضيعنى فانى
قمرت فى نظرى عميت شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب ولا رويت وقال ابن
الجلال اوحى الله الى عيسى انى اذا اطلعت على سر عبدى فلم اجد فيه حب الدنيا والاخرة
ملاته وتوليته بحفظى ثم يغيب الذاكر عن مشاهدة جميع الاشيا ظاهرا وباطنا فى
مكوناتها من ارضها وسماواتها حتى عن النفس وجودها واجزائها وصفاتها اى وعن
شهود صفاتها الذميمة والمحمودة وساير ما لانها فيغيب عن محاضراتها فى المذكور و
هو القرب المأثور عن الجمهور وعن الخواص المحبة محو الارادات واحراق جميع الصفات
والحاجات ثم يغيب الذاكر عن الذكر اى عن وجوده وشهوده ايضا كالغائب عما عنده
من المسطور فى شهود المذكور اى حضوره بطريق الفرح والسرور وهو الفنا
فى بحر النور ثم يحدث الاتصال وهو كمال البقاء فى الزوال الناشى عن كمال الحب ويشاهده
الذاكر ما يشاهد من عالم الوصال لظهور النور من اشعة الجمال ولمعة الجلال فى مقام
الكمال والغفلة اى وللغفلة والذهول عن الشواغل والموانع عن حصول الوصول الى
تحقيق الفروع والاصول وقالت رابعة العدوية يوما من يدلنا على حبيبنا فقالت جارية

لما جبينا معنا ولكن شغل الدنيا عنه قطعنا وكانه ماخوذ من قوله تعالى وهو معكم
اين ما كنتم وقوله شغلتنا اموالنا واهلونا وقال السري من احب الله عاش ومن مال الى
الدنيا طاش والاحمق يغدو ويروح بلا شيء والعاقل عن عيوبه فتاش فكانه مقتبس من قوله
تعالى فلنحيينه حيوة طيبة وقال هرم بن حيان المؤمن اذا عرف ربه احبه واذا احبه
اقبل اليه واذا وجد حلاوة الاقبال اليه لم ينظر الى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر الى
الاخرى بعين الرغبة وهو بجسده في الدنيا وبروحه في العقبى مع المولى في المقام الا
اعلى وقال الشبلي اوحى الله الى داود عم يا داود ذكرى للذاكرين وجنتي للمطيعين
وزيارتي للمشتاقين وانا خاصة ويصل الذاكر من ملوك الدين ومن ائمة المجتهدين
ومشايخ المسلمين ووحيد عصره وفريد دهره بتوفيق ربه وهو خير المعين لتحقيق
علم اليقين فكمل ايمانه واسلامه واحسانه في عين اليقين واستغرق في بحر التوحيد و
نهر التفريد وغار في عين العلم وغاب عن غيره في ذين الحلم فلنذكر بعض احوال المحبين
فقد قال بعضهم لبعض العارفين انك محب فقال لست محبا انما انا محبوب والمحب متعوب
فكانه اشار الى انه مجذوب ومطلوب وانه بسبب لذته في خدمته محبوب غيره متعوب
ولما دخل الزنج البصرة فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الى سهل اخوانه فقالوا
لو سالت الله عز وجل دفعهم فسكت ثم قال لله عبادا في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين
لم يصبح على وجه الارض ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قيل ولم قال لانهم
لا يحبون ما لا يحب الله وقيل لبشر باي شيء بلغت هذه المنزلة فقال كنت كاتما لله حالي
يعني اساله ان يكتم علي ويخفي امري وروي انه لقي الخضر فقال له ادع الله لي فقال يسر الله
عليك طاعته قلت زدني قال وسترها عليك فقيل معناه سترها عن الخلق حتى لا يطلعوا
عليها وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت انت اليها وفي الاخبار ان الله تعالى اوحى
الى بعض انبيائه اتخذ خليلا من لا يفتر عن ذكري ولا يكون له هم غيري ولم يوثر علي شيئا
من خلقي وان احرق بالنار لم يجد حرق النار وجعا وان قطع بالمنشار لم يجد لمس الحديد
الما فمن لم يبلغ الى ان يغلبه الحب الى هذا الحد فمن اين يعرف ما وراء الحب من الكرامات
والمكاشفات وكل ذلك وراء الحب وراء كمال الايمان ولا حصر لمقامات الايمان وتفاوته
في الزيادة والنقصان والله المستعان ومما يؤيد هذا المبنى من البرهان ما روي انه
عم قال لابي بكر الصديق ان الله قد اعطاك مثل كل من امن بي من امتي واعطاني مثل
ايمان كل من امن بي من ولد ادم رواه الديلمي عن علي وقد انهينا الكتاب بالذي هو لب اللباب

كل

اللباب محل المقطع المشير للاخيار اللهم اني اسئلك الهدى بالايمان والتقى عن
المعاصي والعفاف بالكفاف عن الاسراف والغنى عن الخلق في جميع الاحيان والحديث رواه
مسلم والترمذي وابن ماجه عن ابن مسعود بلفظ اللهم اني اسئلك الحديث فلعل
ما ذكره رواية في المبنى ونقل بالمعنى واختار صيغة الجمع لتدخل معه ويدخل معنا كما في قوله
ونعوذ بك من علم لا ينفع وهو يحتمل احتمالين احدهما انه في نفسه لم يكن من العلوم النا
فعة كما يشير اليه ما ورد ان من العلم جهلا وثانيهما انه لم يكن ينفع صاحبه بالعلم لما ورد
اشد الناس عذابا عالم لم ينفعه الله بعلمه ونعم ما قال ذو الحال الفاخرة شعر يا من تباعد عن
مكارم اخلاقه ليس التفاخر بالعلوم الزاخرة من لم يهذب علمه اخلاقه لم ينفع بعلمه
في الاخرة وقلب لا يخشع بان اسود بالغفلة ولم يؤثر فيه النصيحة والموعظة كما قال
تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله وقال عز وعلا الم يان للذين امنوا ان تخشع
قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا تكونوا كالذين اوتوا الكتاب من قبل فطال
عليهم الامد فقست قلوبهم وقال عز وعلا ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
او اشد قسوة ونفس لا تشبع من الدنيا فتكون حريصا عليها ومقبلا بكليته اليها وكناية
من كثرة اكلها وعدم قناعتها بمقدار كفايتها ودعاء لا يسمع اي لا يقبل في حال دعوته
والحديث رواه ابن ابي شيبة عن ابن عمرو والطبراني في الاوسط عن ابن عباس وزادا
اللهم اني اعوذ بك من هؤلاء الاربع ورواه الحاكم وابن ابي شيبة عن ابن مسعود بلفظ
اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع
وفي رواية لابن حبان وغيره عن انس اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع وعمل لا يرفع
وقلب لا يخشع وقول لا يسمع وفي الرواية لابي داود عن ابي هريرة اللهم اني اعوذ بك
من الاربع من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ودعاء لا يسمع وفي هذه الرواية
دلالة واضحة على عدم منع جواز السجع الصادر عن السليقة لطبع كما حكي انه قيل لصاحب
المنار ذل اترك السجع فما رجعت عما سجعت واخر دعوانا بتوفيق مولانا ان الحمد لله
رب العالمين فيما اولانا في اولينا واخرانا وفيه ايماء الى قوله سبحانه وتعالى اخبارا عن اهل
الجنة ان يقولوا فيها هذا الكلام وهو ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم
ربهم بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعويهم فيها سبحانك اللهم
وتحيتهم فيها سلام واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وفيه تنبيه تنبيه على ان
اخر مقامات اهل الجنة في درجات المعرفة والمحبة هو الرضاء والشكر بمزيد النعمة و

ان ازالة المحبة كما يومى اليه قوله سبحانه وقالوا الحمد لله الذى اذهب عنا الحزن
ان ربنا لغفور شكور الذى احلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب اى
تعب ولا يمسنا فيها لغوب اى كلال او كسل وفسر الحزن بانواع بحسب ما كان لكل احد مبتلى
بفرد من اصنافه فقيل حزن الفقر او كرى البيت او لتحويل منه او حزن الفراق وحجابه
وهو اهل الاشتياق الى مشاهدة الله ورفع نقابه وهو اعلى مراتب ارباب الكمال واعلى
مناصب اصحاب الجمال المترقين المترقى فى ساعة فساعة الى ازل الازال والله سبحانه
اعلم بحقايق الاحوال والسلام على عباده الصالحين من الانبياء والمرسلين السابقين
والصلوة على محمد رسوله سيد الاولين والاخرين وخاتم النبيين وعلى اتقياء
امته من اهل بيته وصحابته اجمعين واشياعهم الى يوم الدين امين خاتم رب العالمين فرغ بيد مؤلفه
رحم وغفر مع سلفه وخلفه اخر يوم الخميس المشرف على ليلة الجمعة المسمات بليلة الرغائب
من شهر الله المعظم رجب المرجب احد اشهر الحرم من شهور عام الاربع عشر بعد الالف
من هجرة خير البشر وشافع المحشر من مكة الامينة الى المدينة النازل فيها للمؤمنين انواع
السكينة حامدا ومصليا ومسلما ومفوضا ومتوكلا ومؤمنا ومسلما والحمد لله اولا واخرا
وظاهرا وباطنا وصلى الله على سيدنا محمد واله وصحبه اجمعين



